



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



عليه
صلى الله عليه وسلم

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir



أضواء على نهج البلاغة

بشرح ابن أبي الحديد في استشاداته الشعرية

الدكتور علي الفاضل



الإصدار

١٨

مكتبة جامعة الإمام محمد باقر الموسوية الخمينية
مكتبة جامعة الإمام محمد باقر الموسوية الخمينية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أضواءٌ على نهج البلاغة : بشرح ابن أبي الحديد في استشهاداته الشعرية

كاتب:

علي الفتال

نشرت في الطباعة:

مؤسسة علوم نهج البلاغة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
14	أضواء على نهج البلاغه : بشرح ابن أبي الحديد في استشهاده الشعريه
14	هوية الكتاب
14	إشارة
19	المجلد 1
19	الإهداء
20	مقدمة المؤلف
24	التمهيد
28	نسب الإمام علي (عليه السلام) ومكانته في الإسلام
33	علي بن أبي طالب (عليه السلام) في رأي مفكري (السُّنَّة)
38	علي بن أبي طالب (عليه السلام) في رأي غير المسلمين
42	علوم علي بن أبي طالب (عليه السلام)
42	إشارة
45	العلم الإلهي: أو علم القضاء
46	علم الفقه
47	علم القضاء
49	علم التفسير
51	علم التصوف
55	علم النحو
57	صفات علمي بن أبي طالب (عليه السلام)
57	إشارة
58	الشجاعة
60	القوة

61	السخاء والجود
63	الجلم
64	الجهاد
65	الفصاحة
67	السماحة
69	الزهد
73	إسهامات عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) ودوره في الإسلام
73	جمعه القرآن
74	مشوراته
77	سياسته
83	الضوء الأوّل: المشككون بنهج البلاغة
83	إشارة
89	الرد على المشككين
105	الضوء الثاني: الرد على المشككين بنهج البلاغة
105	إشارة
109	1- جامع النهج
113	2- الغنائة
113	إشارة
115	1. تخير المفردات
116	2. قوة التعبير
117	3. سهولة التعبير
118	4. قصر الفقرات
119	5. كثرة الصيغ الإنشائية
128	3_عائدية نهج البلاغة
128	إشارة

140	أقوال المنصفين في نهج البلاغة
147	4_ التعريض بالصحابة
157	5_ الوصي والوصاية
170	6_ الإطناب والإيجار
174	7_ السجع
188	8_ دقة الوصف
195	9_ الألفاظ الاصطلاحية
197	10_ التقسيمات العددية
203	11_ التنبؤات والتوقعات
221	12_ الزهد
233	13_ وصف الحياة الاجتماعية
259	الضوء الثالث: من خصائص نهج البلاغة
259	إشارة
262	1_ الخاصية العلمية
267	2_ خاصية التسلسل المنطقي للوصول إلى الحقيقة
268	3_ وصف السماء جغرافياً
270	4_ إشارات تاريخية
278	5_ استشراق المستقبل
283	6_ القيادة العسكرية
291	7_ الشكوى
296	8_ النقد
296	إشارة
297	أ - النقد الاجتماعي
300	ب . النقد الأدبي
305	9_ العتاب

310	10_ النصح والإرشاد
314	11_ مناجاة الله
320	12_ البلاغة
325	13_ إثبات وحدانية الله من خلال وصف الحيوان
331	14_ الإقناع بالحجة
334	15_ وجود الله ومعانيته وصفاته
338	16_ ابتداء خطبه بحمد الله
341	17_ الاستشهاد بقصص الأنبياء لدعم رأيه
344	18_ وصف المتقين والمنافقين
344	أ - المتقون
346	ب - المنافقون
348	19_ المنهج المالي
350	20_ المنهج الإداري
352	21_ المنهج السياسي
355	22_ التضاد والتقابل
355	إشارة
355	أ_ المتضادات
357	ب_ المتقابلات
361	23_ وصف أهل البيت
364	24_ الاستشهاد بالقرآن الكريم
367	المحتويات
372	المجلد 2
372	هوية الكتاب
376	ترجمة الشريف الرضي رحمه الله
379	ترجمة ابن أبي الحديد

380	مؤلفاته
385	الهدف من الأضواء
388	الضوء الأول: بدايات الدعوة الإسلامية
388	اشارة
410	الضوء الثاني: بيعة السقيفة
410	اشارة
428	الضوء الثالث: الحروب الإسلامية
428	اشارة
430	1. غزوة بدر
440	2. غزوة أحد
453	3. غزوة الخندق
460	4. غزوة مؤتة
466	5. وقعة الجمل مقتل عثمان
466	مقتل عثمان
471	6. وقعة الجمل
494	7. وقعة صفين
630	8. الخوارج
685	المحتويات
687	المجلد 3
687	هوية الكتاب
693	الفخر
711	الدنيا
737	الشكوى
747	الحكمة
777	الثناء

803	الاعتقادات
811	التصوف
823	وصف الموتى والقبور
835	الصبر والزهد
847	النسيب
861	النصح والإرشاد
883	الحماسة
919	الملح
955	الهجاء
988	المحتويات
989	المجلد 4
989	هوية الكتاب
995	توضيح مفردة
1007	الإسناد اللغوي
1033	النحو
1033	إشارة
1037	صفتين
1038	شتان
1039	فتح وكسر اللام
1039	جزاء الشرط
1040	وضع (عن) موضع (بعد)
1040	تعديّة اللّازم
1041	تقدير ذو
1041	تقدير فعل
1042	تشكيل اعتراضى

- 1046 أبا
- 1046 جمع نوء
- 1047 أين
- 1047 أوه
- 1048 حذف إن
- 1048 تقديم الجار و المجرور على الحال
- 1050 الأحر
- 1051 من
- 1051 أصبر
- 1052 الفعل المقدر
- 1052 بين
- 1053 إياك
- 1053 تبادل الحروف
- 1054 البلاغة
- 1054 إشارة
- 1056 لزوم ما لا يلزم
- 1058 الاقتباس
- 1060 رأى
- 1062 الاقتباس
- 1171 التشبيه
- 1174 الاستعارة
- 1176 الطباق و المقابلة
- 1180 التخلص و الاستطراد
- 1185 الجناس
- 1193 الكناية

1243	المحتويات
1246	المجلد 5
1246	هوية الكتاب
1250	الضوء الأول: التمثيل
1278	الضوء الثاني: التراث الشعبي
1278	إشارة
1280	توضيح:
1280	صيد الحيوان
1282	التطير والفأل
1326	الضوء الثالث: متفرقات
1326	إشارة
1328	توضيح:
1328	الرياء
1329	صلة الرحم
1330	الاعتذار
1331	المغلاة
1334	بين معاوية وعمرو بن العاص
1335	بين مصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان
1336	إفشاء السر
1337	الخمر، وعمر بن الخطاب
1351	العقوبة
1352	الوصف
1352	القضاة
1355	الصدقات
1356	الفلسفة

1357 الاستجارة
1368 استقراء المستقبل
1370 الشيب والخضاب
1375 الأجوبة المسكنة
1377 المسك
1381 عبد الله بن الزبير
1396 ذم الحرب
1398 الضوء الرابع: المختار من أقوال الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَام)
1398 اشارة
1400 إشارة:
1401 النصح والإرشاد
1404 النقد والتعريض
1408 العتاب والتقريع
1412 الزهديات
1416 البعثة النبوية
1417 التحذير من الفتن
1424 المناظرة والجدل
1427 الوصف العجيب
1428 الأحكام الشرعية
1431 الوصايا والتعاليم
1466 المصادر والمراجع التي اعتمدها المؤلف
1480 المحتويات
1483 تعريف مركز

أضواء على نهج البلاغة : بشرح ابن أبي الحديد في استشهاده الشعرية

هوية الكتاب

جميع الحقوق محفوظة للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى 1439 هـ - 2015 م

العراق : كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

مؤسسة علوم نهج البلاغة

www.inahj.org

Email: inahj.org@gmail.com

موبايل : 078150 16633

ص: 1

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أضواء على نهج البلاغة

الجزء الأول

ص: 1

بَحْرُ الْعِلْمِ وَمَدَارُ الْحَقِّ

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق

وزارة الثقافة العراقية لسنة 2015-910

ص: 2

أضواءٌ على نهج البلاغة

بشرح ابن أبي الحديد في استشهاده الشعرية

الجزء الأول

تأليف

الدكتور علي الفتال

إصدار

مؤسسة علوم نهج البلاغة

العتبة الحسينية المقدسة

ص: 3

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى 1439 هـ - 2015 م

العراق : كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

مؤسسة علوم نهج البلاغة

www.inahj.org

Email: inahj.org@gmail.com

موبايل : 078150 16633

ص: 4

إلى مَنْ شَطَّرْتُ قَوْلَ هَاشِمِ بْنِ مَرْقَالٍ فِيهِ :

أَبَايِعُ غَيْرَ مَكْتَرٍ عَلِيًّا*** مَبَايِعَةٌ تَرُدُّ الرُّوحَ قِيًّا

فَلَا أَخْشَى الْمَلَامَةَ مِنْ مَلِيحٍ*** وَلَا أَخْشَى أَمِيرًا أَشْعَرِيًّا

أَبَايِعُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ سَأْرَضِي*** ضَمِيرِي - مَا بَقِيَتْ بِذَاكَ - حَيًّا

وَأَنْبِي سَوْفَ أَرْضِي يَوْمَ حَشْرِ*** بِذَاكَ اللَّهُ حَقًّا وَالنَّبِيًّا

إلى إمام المهتدين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أهدي جهدي المتواضع هذا.

علي الفتال

ص: 5

بسم الله الرحمن الرحيم

ما قرأت كتاباً - فتفاعلت معه - مثلما قرأت كتاب (نهج البلاغة) للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه نقل لنا درراً من البلاغة العربية في أروع صورها على لسان مبدعها وواضع أسسها الإمام علي (عليه السلام).

إذ إنه نقل لنا - من خلال الخطب والأحاديث والكتب المرسلة إلى عماله، والكتب المتبادلة بينه وبين أنصاره وخصومه - حوادث تاريخية مهمة في تاريخ الأمة العربية منها والإسلامية.

ومن خلال تلك الخطب والأحاديث والمراسلات وما استُشهِدَ فيها من الشَّعر وقفنا على جوانب مهمة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والنفسية للشعب العربي، والشعوب المسلمة. ومن خلال الشعر المُستَشْهَد في شرح (النهج) لابن أبي الحديد وقفنا على خلفيات وأسباب الصراع على السلطة من أولئك الذين

اعتنقوا الإسلام مكرهين، فعادوا به - بعد غياب الرأس النبي الأكرم (محمد صلى الله عليه وآله) - إلى الجاهلية الأولى، وعملوا جهدهم لإبعاده وحرّفه عن المنبع الأول.

وكان الإمام علي (عليه السلام) يقف بوجه أولئك القوم فيبصرهم بدينهم، الذي أخرجهم {...مَنْ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ...}.

فأعداء الإسلام أدركوا أهمية (النهج) في حياة الأمة (تاريخاً ولغةً وفكراً) فراحوا يشككون به ؛ فمرةً ينفون صلة الإمام به أوصلته بالإمام (عليه السلام) وأخرى ينسبون بعضه للإمام (عليه السلام) وبعضه الآخر لغيره.

وأياً كان مصدره ((على أنني أرى انتسابه الشرعي للإمام علي (عليه السلام) بالدليل القطعي، الذي سيرد في ثنايا البحث)) فإنه مصدر عربي تفخر به الأمة العربية كتراث فكري ولغوي، وأدبي ويفخر به الإسلام كقيمة فكرية.

فقد حاول المشكّكون (كما سنرى) الطعن بترائنا العربي والإسلامي كلما وجدوا فيه شواخص إبداعية، فكيف لا ينسبون ما في (النهج) إلى غير الإمام علي (عليه السلام)؟

لقد فاتهم أن الشمس لا تحجب بغربال وأن الحقائق لا بد أن تظهر جلية واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، كما سنرى من خلال مناقشة المشكّكين.

ولأهمية (النهج) فقد انبرى كثير من الأدباء والمفكرين إلى شرحه، لقيّمته الفكرية، التي تلي القرآن الكريم من حيث المضمون والشكل.

وكان أوسع شرح وقفت عليه هو شرح ابن أبي الحديد المعتزلي. إضافة إلى ذلك ثمة من لجأ إلى (النهج) فراح يدرسه ويشير إلى ما فيه من (روائع) ومنهم من اقتطف منه الكلمات القصار كحِكْم ومواعظ فنشروها لأهميتها في الحياة الاجتماعية، وكذلك فعلوا في الشعر الذي ورد في ثنايا (النهج) على لسان الأمامعليّ (عليه السّلام).

فضلاً عن ذلك فإننا لم نَرَ كتاباً - بعد القرآن الكريم - نال شهرة واسعة كنهج البلاغة؛ فقد تزاممت عليه دور النشر فصارت تبذل فيه أعلى الجهود وتوظف له أحدث التقنيات الطباعية لما له من قاعدة جماهيرية واسعة ليس لدى المسلمين حسَبُ - في الوطن العربي والإسلامي - بل شمل العالم كله على اختلاف الديانات والمذاهب لأن الخطب والأحاديث والكتب التي وردت فيه قد وضعت الأسس العامة لِمَا يجب أن يكون عليه القائد، والعلاقة بين الراعي والرعية. ولأنني وجدت أن الاستشهادات الشعرية قد شكّلت عدداً كبيراً في شرح ابن أبي الحديد، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، إضافةً إلى أنه، أي: الشعر المستشهد به - كان وثيق الصلة بالحدث الذي أشار إليه الأمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السّلام) في متن (النهج) ومكملاً إيّاه.

لذا وجدتُ من المفيد جمعه وتبويبه بما ييسر للقارئ الكريم الإحاطة بمحتوى (النهج) من خلال الشعر، لأنني اعتمدتُ أسلوب ربط الاستشهاد بحديث أو بخطبة أو بكتاب للأمام علي (عليه السّلام)، ولكي تكون أضواؤنا هذه إطلالة واسعة، ليس على الشعر العربي حسَبُ، بل على قائله وجامعه وشارحه .

فقد حاولت إغناء القارئ الكريم عن الرجوع إلى مضان الكتب وحملت عنه عبء البحث والتنقيب.

نسأله - جل شأنه - أن نكون قد وُفِّقنا - بعون منه تعالى - عسى أن يكون عملنا هذا شمعة تنير طريقنا في الدنيا والآخرة.

والله نسأل أن يوفقنا لما يريد ويرضاه وهو على كل شيء قدير.

ومن الله العون والسداد

د. علي الفتال

كربلاء المقدسة

1 / رمضان / 1423هـ

6 تشرين الثاني / 2002م

ص: 9

كثيرون هم الذين تناولوا الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) - منذ القرن الأول للهجرة حتى يومنا هذا - سواء في كتب مفردة أو مجزأة.

وليس في هذا جديد، إذ إن كثيراً من الرموز الذين حملوا تاريخ الإنسانية على أكتافهم قد كُتِبَ عنهم، منذ أن وُجِدَتْ الكتابة، حاكماً كان ذلك الرمز أو غير حاكم.

ولكن الجديد في تناول الإمام علي (عليه السلام) هو إن الذين كتبوا عنه - كلهم - كانوا حذرين وهم يمسكون بأقلامهم ليخطوا - في قراطيسهم - أول كلمة عن هذا الرمز الذي ملك الدنيا ولكن أشاح عنها وجهه لما وجد في سحتها من قبح وفي جسمها من نتن وفي طولها من قصّة وفي عمرها من زوال، فعزف عنها ليُوَلِّيَ وجهه صوب محبوبه يرضاها لِمَا فيها من دوام العِشرة وحسن المعاشرة ورحابة الصدر فتزوجها زواجاً أبدياً غير مكترث بمغريات الحياة الفانية .

أقول إن الذين كتبوا عن الإمام علي (عليه السلام) كانوا حذرين لأنهم لا يدرون من أي جانب يتناولونه.

فهو- في الإسلام - أول المسلمين؛ وهو- في الشجاعة - لا يبارى، والتاريخ يشهد له بذلك، ويكفيه أن الرسول الأعظم، محمد (صلى الله عليه وآله) قال عنه - يوم خرج ليدق عنق عمرو بن عبد ودّ العامري في الخندق -:

«خرج الإسلام كُلهُ إلى الشرك كُلهُ».

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«خرج الإيمان كُلهُ إلى الشرك كله».

وهو في - الحق - لم يخش لومة لائم؛ وهو من جرد سيفه - حتى اللحظات الأخرى من حياته - ضد الباطل والسائرين في دروبه المظلمات؛ وهو في - الفصاحة - فارس حلبتها؛ إذ هو من سنّ الفصاحة لقريش، و(نهج البلاغة) خير شاهد على ما نقول.

وهو - في نكران الذات، وفي الذوبان في الذات الإلهية - لا يدانيه أحد، وقصته مع أخيه عقيل يوم جاءه يطلب مالاً شاهداً - هو الآخر - على نظافته وبياض سيرته واستقامة سيرته.

وهو - في الجود والسخاء - ما شهد القرآن الكريم له، إذ قال جل في علاه:

{ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا }.

وهو.. وهو.. وهو.. إلخ.

ذلك هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في ما ذكرنا وفي ما لم نذكر كثير، والجديد في ذلك أيضاً إن الذين تناولوه (عليه السلام) كلهم، بلا استثناء - لم يذكروه إلا بالتجلّة والتقدير ويقفون قبال شخصه وقوف العابد في المحراب، مُسَدِّ لِمِين كان هؤلاء الكُتَّابُ أو غَيْرَ مسلمين، عرباً كانوا أو غيرَ عرب، في عصره أو في غير عصره.

وهذا ما لا يحصل لرجل غيره مهما أوتي من منزلة رفيعة في الحياة .

ونحن إذ نكتب عن هذه الشخصية المتفردة إنما نريد أن نجعل الإمام في المرأة ليقف القارئ على تلك الانعكاسات الحية الزاخرة بالدفق الإيماني الصادق والروح النقية التي تستلهم دققها من المنبع المحمدي الصافي.

لذلك فإنّ منهجنا بسيطٌ كبساطة حقيقة الإمام علي (عليه السلام) فقد تناولنا نسبه ومكانته في الإسلام بطريقة محببة إلى النفس ولا تتسم بالملل لدى القارئ ثم أشرنا إلى رأي مفكري السنّة من المسلمين ومفكري غير المسلمين في الإمام علي (عليه السلام).

وتدرجنا في ذكر بعض علومه، كالعلم الإلهي، وعلم الفضاء، وعلم الفقه، وعلم القضاء، وعلم التفسير، وعلم التصوف، وعلم النحو.

أما صفاته (عليه السلام) فقد تناولنا منها ثمان صفات، هي : الشجاعة ، وهوفارسها المحلّق؛ والقوّة، التي مُنِيحَتْ إليه من اللطيف الخبير؛ والسخاء، والجود، اللذان كانا توأميه؛ والجلم، الذي كان رفيقه في مسارب الحياة؛ والجهاد في سبيل الله، الذي كان لا يفارقه وهو يرى أعداء الحق يريدون النيل منه بطرقهم

الحرثانية؛ والفصاحة التي تفرد بها منذ نعومة أظفاره فكان - وما يزال وسيبقى - مرجعاً للبلغاء وعلماء اللغة في الأزمان كلها وفي أصقاع العالم جميعها.

وكذا قل عن السماحة في موضعها، وعن الزهد بملذات الحياة ليجعل منه صراطه المستقيم إلى ملاقاته ربه، قال تعالى :

{ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ }.

أما إسهاماته (عليه السلام) ودوره في الإسلام فقد أشرنا إلى ثلاثٍ منها وهي : جمعُ القرآن الكريم؛ ومشوراته قبل خلافته؛ وسياسته في خلافته.

وبذلك نكون قد توافرنا على صورة نزع أنها كاملة للإمام علي (عليه السلام) في المرأة التي حاولنا أن تكون مستويةً وصافيةً ونقيةً غيرَ محدبةٍ ولا مُقَعَّرة، لذلك حاولنا أن تكون الصورة مطابقةً الواقع لا لس فيها ولا إبهام لعلنا نكون قد أضفنا شيئاً إلى المكتبة العربية، ومكتبة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) خاصة.

ص: 13

نسب الإمام علي (عليه السلام) ومكانته في الإسلام

إنه لمن نافلة القول ومعه أنه نتحدث عن نسب الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)؛ فهو أعرف من يعرف وأشهر ممن يشار إليه، وأبين ممن يراد تبيانه، إنه ((علي)) وكفى بذلك فخراً؛ فحيثما وجدت كلمة ((علي)) وجدت تعنيه، وحيثما وجدت ((أمير المؤمنين)) وجدت تعنيه أيضاً.

أما نسبه (عليه السلام)، فمعروف ب((هاشم)) وهاشم ما نعرف؛ فهو الذي كان يهشم الثريد للحاج وكانت إليه الوفادة والرفادة، وهو الذي سن الرحلتين، رحلة الشتاء إلى اليمن والعراق، ورحلة الصيف إلى الشام، وكان اسمه عمرو، فليل له ((عمرو والعلا)).

وفيه قال مطرود بن كعب الخزاعي :

عمرو والعلا هشم الثريد لقومه*** ورجال مكة مستنون عجاف

وهاشم بن المغيرة (عبد مناف)، والمغيرة بن زيد (قصي)، وزيد بن حكيم

(كلاب)، إذ قال فيه الشاعر :

ص: 14

حكيم بن مرة ساد الورى*** يبذل النوال وكف الأذى

أباح العشيرة أفضاله*** وجنبها طارقات النوى

وحكيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قيس (النضر) بن كنانة بن خزيمة بن عمرو (مدركة) بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان؛ وهو ما ينتهي إليه نسب الرسول محمد (صلى الله عليه وآله).

وقد وصف الجاحظ بني هاشم، فقال إنهم: (ملح الأرض وزينة الدنيا، وطلی العالم، والسنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولباب كل جوهر كريم وسر كل عنصر شريف، والطينة البيضاء، والمغرس المبارك، والنصاب الوثيق، ومعدن الفهم وينبوع العلم).

وهو ابن عم الرسول محمد ((صلى الله عليه وآله وسلم)) وزوج ابنته البتول فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وهو كاتب وحيه، وأول من أسلم على يديه، ولازمه. أليس هو من قال فيه عمر بن الخطاب: (لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن)..

وعلي (عليه السلام) هو أول من سنّ للبلاغة أسسها وشاد بنيانها ووضع مفاتيحها، من خلال خطبه وأحاديثه ومراسلاته، فها هو المسعودي يقول في ذلك: (والذي حفظ الناس عنه من خطبه وأحاديثه ومراسلاته، في سائر مقاماته أربع مئة خطبة ونيف وثمانين خطبة؛ يوردها على البديهة؛ تداول عنه الناس ذلك قولاً وعملاً).

ص: 15

فيما يقول الشريف الرضي عن بلاغته (عليه السلام)، التي جمع منها طرفاً في كتاب: (علماً أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواب الكَلِمِ الدينية والدينية، ما لا يوجد مجتمعاً في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب). ذلك هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) في نسبه ومكانته في الإسلام والبلاغة. فهو - إذن - العين الساهرة على المبدأ والعقيدة، واليد القابضة على تمخضات ذلك المبدأ ومعطيات تلك العقيدة، اللذين رؤاهما - بالتالي - من دمه الطهور. هو الفكر الخلاق في الطرح والمعالجة، حتى وصلنا منه هذا الذي نحن بصدد، وأعني به (نهج البلاغة)، فكان - بحقٍ - إرثاً قلماً ترك التاريخ مثله في أمةٍ من الأمم. فهو - إلى جانب قيمته اللغوية، البلاغية - عالج مفردات الحياة في مفاصلها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية. ولو تأملنا قول الإمام الصادق (عليه السلام) عنه لوقفنا قبال هذا المبدع العظيم بخشوع العابد في محرابه، يقول الصادق (عليه السلام):

«لما وُلد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فُتح لآمنة بياض فارس، وقصور الشام، فجاءت بنت أسد إلى أبي طالب مستبشرة وأعلمته بما رأت آمنة، فقال أبوطالب: أتعجبين من هذا؟ أصبري سبتاً فستحملين بمثله إلا النبوة، ويكون وصيّه ووزيره. والسبت ثلاثون سنة».

وصدق ما توقعه أبوطالب، إذ يقول يزيد بن قعنب: (كنت أنا والعباس بن عبد المطلب وفريق من بني عبد العزى يإزاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمة بنت أسد، أم أمير المؤمنين وكانت حاملة به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق فقالت:

ربّ إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رُسُلٍ وُكِّتْ وإني مصدّقة بكلام جدي إبراهيم الخليل وإنه بنى البيت العتيق فبحق هذا المولود الذي يكلمني في بطني ويؤنسني في وحشتي، الذي علم أنه آية من آيات جلالك وعظمتك إلا ما يسّرت عليّ ولادتي.

قال يزيد بن قعنب : فرأينا البيت قد انشق من ظهره، ودخلت فاطمة فغابت عن أبصارنا والتزق الحائط، فرمنا أن يُفتح لنا فلم يفتح فعلمنا أن ذلك أمراً من الله.

ثم خرجت في اليوم الرابع وبيدها أمير المؤمنين (عليه السلام) كأنه فلقة قمر وهي تقول : إني فُضِّلْتُ علي من تقدمني من النساء لأن آسيا بنت مزاحم عبدت الله سرّاً في موضع لا يجب أن يُعبد الله فيه إلا اضطراراً، وإن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً، وإني دخلت بيت الله الحرام وأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها ولما أردتُ أن أخرج هتف بي هاتف : (يا فاطمة : سَمِّه علياً، فهو عليّ، والله الأعلى يقول : شققتُ اسمه من اسمي، وأدبته من أدبي، وأوقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدسني ويمجدي، فطوبى لمن أحبه وتابعه، وويل لمن عصاه وأبغضه)).

ويقول الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

«كنتُ أمشي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بعض طرق المدينة فأتيتُ إلى حديقة فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة؟ فقال

صلى الله عليه وآله وسلم: ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها. ثم أتينا على حديقه أخرى فقلت: يا رسول الله : ما أحسنها من حديقه فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها، حتى أتينا على سبع حدائق أقول: يا رسول الله ما أحسنها ويقول لك في الجنة أحسن منها».

ذلك هو الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بإيجاز شديد. وستقف - إن شاء الله - على مفردات أخرى من حياته بشيء من التفصيل.

علي بن أبي طالب (عليه السلام) في رأي مفكري (السنة)

لكي نحيط بموضوعة عليّ (عليه السلام) لندرك - بعد ذلك - أهمية نهج البلاغة، في جوانبه البلاغية والفكرية، نورد نتفاً من أقوال وروايات مفكري الإخوة السنة؛ من الشافعية والحنبلية والحنفية والمالكية في ما ورد من فضائل الإمام علي (عليه السلام) بأسانيد لا تقبل الطعن؛ فهي مروية عن كبار الصحابة كأبي بكرٍ وعمر وعثمان وعبد الله بن عمر وعائشة وغيرهم عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله).

يقول ابن حجر في صواعقه المحرقة، وهو الشافعي (909 - 974هـ):

((روى ابن السَّمَّان أن أبا بكر قال لعلي (عليه السلام) : سمعتُ رسول الله يقول : لا يجوز أحدُ الصراطِ إلا من كتب له عليّ على الجواز)).

ويقول الخوارزمي، وهو يروي الحديث عن كثيرين حتى يوصله إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)، إذ يقول : (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« يا علي إنك قسيم الجنة والنار وإنك تفرعُ باب الجنة فتدخلها بلا حساب »).

ص: 19

فيما يقول الطبري الشافعي، (615 - 694هـ): (التقى أبوبكر وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) فتبسم أبوبكر بوجه علي (عليه السلام) فقال له: ما لك تبسمت؟ قال «سمعت رسول الله يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له عليّ على الجوا»).

وقد اعتمد في ذلك علي ابن السمّان في كتابه الموافقة، وعلى الخوارزمي الحنفي (484 - 568هـ) في كتاب المناقب.

ويقول ابن حجر أيضاً: (لما جاء أبوبكر وعليّ لزيارة قبر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال علي لأبي بكر: «تقدم»).

أي: في الدخول إلى الحجرة التي فيها القبر الشريف؛ فقال أبوبكر: أتقدم رجلاً سمعتُ رسول الله يقول فيه:

«عليّ مني كمنزلي من ربي»).

ويقول الموفق بن أحمد الخوارزمي في (مناقب الخطيب): (نظر أبوبكر إلى علي بن أبي طالب مقبلاً؟ فقال: من سرّه أن ينظر إلى أقرب الناس من رسول الله (صلى الله عليه وآله وأجودهم منزلة وأعظمهم عند الله غنى وأعظمهم عليه) فليُنظر إلى هذا - وأشار إلى علي بن أبي طالب - لأنني سمعتُ رسول الله يقول:

«إنه لرؤوفٌ بالناس وإنه لأواهٌ حلِيم»).

وقال الطبري عن عمر بن الخطاب، إذ سمع رجلاً يسب علياً فقال: (إني لأظنك من المنافقين؛ سمعت رسول الله يقول لعلي:

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»).

وقال الطبري بسنده عن عمر بن الخطاب إنه قال : (أشهد على رسول الله

سَمِعْتُهُ وهو يقول :

«لوان السماوات السبع والأرضين السبع وضعت في كفة، ووضعت إيمان علي في كفة لرجح إيمان علي» .

ويقول علي الهمداني الحنفي، في ينابيع المودة بسنده عن عمر بن الخطاب : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

لو أن البحر مداد ، والرياض أقلام ، والإنس كُتَّابٌ ، والجنُّ حُساب ، ما أحصوا فضائلك يا أبا الحسن» .

وفي ينابيع المودة بسنده عن عمر بن الخطاب قال : (نصّب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام) علم فقال :

من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واخذل من خذله، وانصر من نصره، اللهم أنت شهيدٌ عليهم» .

قلت : يا رسول الله كان في جنبي شاب حسن الوجه طيب الريح قال لي : يا عمر لقد عقد رسول الله عقداً لا يحله إلا منافق، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي وقال :

«يا عمر إنه ليس من ولد آدم لكنه جبرائيل أراد أن يؤكد عليكم ما قلته في علي» .

ومن المعاصرين - وهو من أبناء العامة - الدكتور صبحي الصالح فقد شرح نهج البلاغة فقال : (وعلي عليه السلام) واسى نبيه الكريم بنفسه في المواطن

التي تنكص فيها الأبطال، وتزل فيها الأقدام، نجدةً أكرمها الله بها، وحسبك أنه ليلة الهجرة بات في فراش الرسول غير جازع أن يموت فداه... سجّل له التاريخ أجلاً المواقف وأسمائها، فهو أحد المبارزين يوم بدر، وقاتل عمر بن ودّ في غزوة الخندق، واحد الذين ثبتوا مع الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم في غزوتي أحد وحنين، وصاحب راية المسلمين يوم خيبر، وفيها أبلى أحسن البلاء).

وها هو الشيخ محمد عبده يقول في ديباجته في نهج البلاغة عن الإمام عليّ (عليه السلام): (اجتمع للإمام عليّ بن أبي طالب من صفات الكمال، ومحمود الشمائل والخلال، وسناء الحسب، وباذخ الشرف، مع الفطرة النقية، والنفس المرضية، ما لم يتهيأ لغيره من أفذاذ الرجال...).

ومن المعاصرين توفيق أبو علم يقول في كتابه (الإمام علي بن أبي طالب): (إن عليّ بن أبي طالب وُلد مسلماً لأنه من معدن الرسول مولداً ونشأةً ومن ذاته خلقة وفطرة...).

ويقول أيضاً: (كان الإمام عليّ أول من رأت عيناه النبيّ وزوجته خديجة وهما يصلّيان، ثم أنه كان أول المسلمين وهو لم يبلغ الشباب).

وعن حصر الإمامة به (عليه السلام) يقول عباس محمود العقاد: (ولكن الإمامة - يومئذٍ - كانت وحدها في ميدان الحكم بغير منازع ولا شريك، ولم يُكتب لأحدٍ منهم أن يحمل علم الإمامة ليناضل به علم الدولة الدنيوية، ولا أن يتحيّز بعسكر يقابله عسكر، وصفة تناوئها صفة، ولا أن يصبح رمزاً للخلافة يقترب بها ولا يقترب بشيء غيرها، وكلهم إمام حيث لا اشتباه، وذلك هو عليّ بن

أبي طالب لما لقبه الناس، وجرى لقبه على الألسنة فعرفه به الطفل وهو يسمع أماديحه المنغومة في الطرقات بغير حاجة إلى تسمية وتعريف).

ذلك هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) برأي مفكري السنة. فقد أوردنا جزءاً يسيراً من رواياتهم وآرائهم، ولم نرد الإطالة، لأننا بصدد التمهيد للدخول في (أضواء على نهج البلاغة).

وقبل أن نترك هذه الفقرة نرى من الواجب ذكر رأي غير المسلمين بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) لكي نمهد للفقرة التي تليها فيكون موضوعنا مترابطاً ومتماسكاً في وحدته العضوية والموضوعية .

ص: 23

علي بن أبي طالب (عليه السلام) في رأي غير المسلمين

فهذا سليمان كتاني يناجي عليَّ ابنَ أبي طالب (عليه السَّلام) بقوله :

(أصحيح يا سيدي أنهم - بدل أن يختلفوا إليك - اختلفوا فيك ؟

فمنهم من فقدوك وما وجدوك.

ومنهم من فقدوك ثم وجدوك .

ومنهم وجدوك ثم فقدوك .

إنه لعجبٌ عجاب ...

فكيف لهؤلاء أن يفقدوك ولا يجدونك، أو يجدونك ثم يفقدونك .

ويا لسخرية القدر.

حتى هؤلاء الذين وجدوك كيف تراهم حدّدوك ؟

لو أدرك الذين فقدوك، وحتى الذين وجدوك أنك لعملاق ولو بقامة قصيرة، وإن وجهك - ولو من تراب - هو من لون الشمس، لما وصفوك،
ولما صدّقوا - حتى اليوم - أنهم فقدوك).

إلى أن يقول - بهذه المناجاة -:

ص: 24

(أحببتُ أن أقرع الباب في دخولي على عليّ بن أبي طالب، وأنا أشعر بأن الدخول عليه ليس أقل حرمة من الولوج إلى المحراب. وإني أدرك الصعوبة في كل محاولة أقوم بها في سبيل جعل الحرف يطيع لتصوير هذا الوجه الكريم....

فهوم يأتي دنياه بمثل ما يأتيها العاديون من الناس).

ثم يقول أيضا: (وهو أول المؤمنين وأقوى المدافعين، وأشجع المناضلين

وأصمد المقتحمين، وأبلغ المحققين).

ثم يخاطب الإمام بقوله: (عفوك يا بن أبي طالب ...

فأنت من الرسالة كقطب الرحي...)

إن الدروب التي مشيتها برفقة الرسول تشهد بثقل خطاك، بضع سنين ربما مشاها وحده...

وأنت إلى جانبه - فيما عداها، في وحدة العيش وفي وحدة المصير - وفي وحدة النهج، وفي وحدة التفكير).

فأيةً اعتلاجة من اعتلاجات روجه..

لم يكن من نفسك فيها اعتلاجة؟

وهذا جورج جرداق يعترف أن (الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) نسخة مفردة لم ير لها الشرق ولا الغرب صورة طبق الأصل لحد الآن).

ويتحدث عن تماسك شخصية الإمام فيقول: (وهذا التماسك في شخصية علي بن أبي طالب (عليه السلام) واضح ساطع حيث مشيت في دروب نهجه وأتى

اتجهت، فإذا الفكرة الأساس التي يبني عليها لهذا الوالي هي الأساس التي يبني عليها عهده لكل وإلّا تناقض بين عهدين منهما ولا تضارب في الجذور المقامة ولا في الفروع النامية عليها، ثم إنما هي نفس الفكرة الأساس التي بني عليها خطبته وقوله، قبل أن يستخلفه المبايعون والتي يبني عليها خطبته وقوله اليوم وقد استخلف، والتي سبني عليها خطبته غداً في حالة السلم، وبعد غد، وفي الغد الأبعد).

أقول: قبل أن أوصل في طرح رأي جورج جرداق بالإمام علي (عليه السلام) أرى أن أقف قليلاً لأشير إلى أن النهج الذي اختطه (عليه السلام) في مسيرته قبل الخلافة وبعدها، بَعْدَهُ نهجاً ثابتاً لا يتغير - كما أشار جورج جرداق - لا يعني الجمود على الخط وعدم التفاعل مع المعطيات الجديدة للعصر المعاش، بل يعني أن الإمام علياً (عليه السلام) التزم بمبادئ الإسلام ولم يَحُد عنها لأنها تتفق - في معطياتها - مع كل عصر وبيئة وتجمّع سكاني.

قلت ذلك لكي لا يتبادر إلى الذهن أن الإمام (عليه السلام) غير مستشرف آفاق المستقبل وغير متفاعل معها، فحاشاه من ذلك. ويواصل جورج جرداق التحدث عن تماسك شخصية الإمام فيقول: (وهذا التماسك في شخصية ابن أبي طالب واضح ساطع كذلك في الفكرة الأساس التي يتوجه بها إلى الصديق والعدومعاً، وإلى القريب والبعيد والمحارب والمحارب الأقرب يدفعه في طريق التبديل والتغيير في هذه الفكرة. ولا مودة ولا مجازية، ولا بعد يميل به عن هذه الفكرة ولا عداً ولا خصومة. فالأساس الذي ينزع عنه بآرائه وتعاليمه واحد لا يجوز عليه رضاً أو غضب، ولا يزحزحه سلم أو قتال ولا يبدل وجهه وعدّ أو وعيد).

وهنا يعني أنه (عليه السلام) كان يضع مبادئ الإسلام معلماً في طريقه فيسير على وفق هداها لا يحيد عنها بسبب من محسوبة ومنسوية، فهوذو خط واضح وثابت في معالجة الأمور.

ويرد جرج جرداق قائلاً: (وهذا التماسك في شخصية ابن أبي طالب واضح ساطع في هذا التمازج المطلق بين تعاليمه وعهوده وخطبه ووصاياه، وبين مسلكه مع نفسه ومع الناس).

ويقول جرج جرداق: (إن ابن أبي طالب لم يكن ينفذ تعاليمه وأوامره بنفسه ليكون قدوة لغيره شأن الكثيرين من أصحاب التعاليم والأوامر بل كان أسلوبه في ذلك أبسط وأعمق وأجل شأنًا، كان يحيي فكرته بقلبه ودمه قبل أن تصبح فكرة مصوغة بألفاظ وتعابير، فإذا هي تنبتق انبثاقاً طبيعياً صافياً، لا يد فيه للسنعة ولا عمل فيه لحمل الناس على ما لا تطيق).

وعن تماسك لغة الإمام (عليه السلام) وبلاغته قال جرج جرداق: (أما البيان فقد وصل عليّ سابقه بلا حقه، فضم روائع البيان الجاهلي الصافي المتحد بالفطرة السليمة اتحاداً مباشراً إلى البيان الإسلامي الصافي المهذب المتحد بالفطرة السليمة والمنطق القوي اتحاداً لا يجوز فيه فصل العناصر بعضها عن بعض، فكان له من بلاغة الجاهلية ومن سحر البيان النبوي، ما حدا ببعضهم أن يقول في كلامه: (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق)).

لقد تجمعت في شخصية الإمام علي (عليه السلام) مزايا كثيرة ومن تلك المزايا - بل هي في رأسها - مزية العلم. فقد برز الإمام (عليه السلام) في هذا الميدان، مثلما برز في ميادين أُخر، فكان فارس حلبته في الميادين تلك، كلها. ولكي نعزّز قولنا بسند تاريخي، نقول :

إن ابن عباس كان تلميذاً للإمام علي (عليه السلام)، وعُرف ابن عباس بالتبحر في العلم، حتى وُصف بأنه (حبر الأمة وترجمان القرآن) ولما سُئل ابن عباس : (أين علمك من علم ابن عمك؟) قال :

كنت قطرة من المطر إلى البحر المحيط).

وقال له عمر بن الخطاب : (لا أبقاني الله بأرضٍ لستَ بها يا أبا الحسن).

كما قال : (لولا علي لهلك عمر).

وروى أبو الفرج في كتابه الأغاني : (إن ابن عباس سمع قصيدة لعمر بن أبي ربيعة مرة واحدة فحفظها وأعادها، وما سمعها قط إلا تلك المرة صفحاً - أي : مروراً - ثم أنشدتها من آخرها إلى أولها مقلوبة.

فقال له بعضهم : ما رأيت أذكى منك قط، فقال ابن عباس : لكنني ما رأيت قط أذكى من عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)).

وقال ابن عباس : (والله لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركهم في العُشر العاشر). ويسند ذلك قول الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها».

وفي حديث آخر قال صلّى الله عليه وآله وسلّم:

أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها».

وكان الإمام علي (عليه السلام) يقول :

سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني في شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مئة، وفضل مئة إلا أنباتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها».

حتى أن معاوية بن أبي سفيان - عندما جاءه ابن أبي محضن وقال له : (جئتك من عند أعيى الناس) - ويعني به علياً (عليه السلام) - قال له معاوية : (ويحك، كيف يكون أعيى الناس، فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره). وينقل لنا الجاحظ - في البيان والتبيين - قوله (عليه السلام): «قيمة كل امرئ ما يُحسِن» .

أقول : فلولم تقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية ومجزية مُغْنِيَةٌ، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية، وغير مقصرة على الغاية .

أما ابن عائشة فيقول عنها : (ما أعرف كلمة بعد كلام الله ورسوله أخصر لفضاً ولا أعم نفعاً من قول علي : «قيمة كل امرئ ما يُحسِن»).

ثم أليس هو القائل :

«سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل؟»

وأليس هو القائل :

لوكسرت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرق انهم؟ « ويكفي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال له (عليه السلام) يوماً :

«يا علي إن الله أمرني أن أدنِّكَ وأعلِّمَكَ لتعي».

وأُنزلت قوله تعالى :

{... وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ }.

فأنت أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ لعلمي. ذلك هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في مجال العلم، فما هي العلوم التي وصلتنا عنه (عليه السلام)؟ إن الأمة العربية، والدين الإسلامي، لولم يكن عندهما - بعد رسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، أحد لكفاهما فخرًا أن منهما وفيهما علي بن أبي طالب (عليه السلام).

كان وعاءاً للعلم حقاً، فما العلوم التي وصلتنا عنه (عليه السلام)؟

إننا سنشير إلى بعضها إشارات سريعة تنسجم مع هذا التمهيد وهي :

العلم الإلهي: أو علم الفضاء

يقول ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: (وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه شرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم، ومن كلامه (عليه السلام) اقتبس، وعنه نقل، وإليه انتهى؛ ومنه ابتداء).

وقد صدق ابن أبي الحديد، أليس هو القائل (عليه السلام)، في خطبة له يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، وخلق آدم؟ فقال (عليه السلام):

«أنشأ الخلق إنشاءً وابتدأه ابتداءً، بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها وألزمها أثابجها، عالماً قبل ابتدائها محيطاً بحدودها وانتهائها، غارقاً بقرائنها وأحنائها، ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشق الأرجاء وسكّانك الهواء، فأجرى فيها ماءً متلاطماً تياره، متراكماً زخاره، حمله على متن الريح العاصفة والزعرع القاصفة، فأمرها برده، وسلطها على شده، وقرنها إلى حده، الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق، ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبها وأدام مربها، وأعصف مجراها، وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار،

ص: 31

وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء، تردّ أوله إلى آخره وساجيه إلى مائره، حتى عبَّ عبابه ورمى بالزبد ركابه، فرفعه في هواء منفتح، وجومنفهق، فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً وعليهن سقفاً محفوظاً وسمكاً مرفوعاً بغير عمد، ولا دسار ينظمها».

وهكذا يستمر الإمام (عليه السلام) بوصف السماء وصفاً دقيقاً كأنه رافق هذا العمل الخلاق قبل وأثناء إنشائه.

إن العلم الإلهي الذي علّمه إياه معلّمه الأول، الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ومن يُرد الاستزادة فليقرأ تلك الخطبة التي تحتاج إلى كثير من التأمل وإعمال الفكر في هذا الرجل الذي سبر أغوار العلم سبر

خيبرٍ مقتدر.

علم الفقه

ومن العلوم التي برز فيها (عليه السلام) علم الفقه، فقد وضع أسسه وسن قوانينه ونشر معطياته.

يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج: (وكل فقيه في الإسلام فهو عيالٌ عليه ومستفيدٌ من فقهه؛ أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما أخذوا عن أبي حنيفة، وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة؛ وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس وقرأ عبد الله بن عباس على عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر).

ص: 32

ويؤيد هذا قول العقاد في (عقرية الإمام علي) : (فالمزية التي امتاز بها علي بين فقهاء عصره إنه جعل الدين موضوعاً من موضوعات التفكير والتأمل، ولم يقصر على العبادة، وإجراء الأحكام، فإذا عُرف في عصره أناس فقهاء في الدين ليصححوا عباداته ويستنبطوا منه قضيته وأحكامه، فقد امتاز عليٌّ بالفقه الذي يُراد به الفكر المحض والدراسة الخاصة وأمعن فيه يغوص في أعماقه على الحقيقة العلمية والحقيقة الفلسفية، كما نسميه اليوم).

فعليٌّ - إذن - ليس فقيهاً في جانب واحد من الأحكام ولا لعصره حسب بل هو فقيه في كل أحكام الدين الإسلامي ومنفتح على تلك الأحكام بما يجعله مستشرفاً آفاق المستقبل بصورة تنسجم مع كل عصر لأنه أخذ تلك الأحكام من منبعها الأول فوضع لها الأجوبة المنسجمة وروح الشريعة الإسلامية الصافية.

علم القضاء

القضاء جزء من الفقه في أي تشريع قضائي، بل هو معبّر عنه وناطقٌ بلسانه، فهما متلازمان، فإن قلت : فلان قاضٍ أردت به أنه من الفقهاء، وهكذا كان الإمامُ عليٌّ (عليه السّلام) فقيهاً قاضياً.

فقد نقل الكليني، والصدوق، والشيخان، والرضي، والسروري - في الكافي، والفقيه، والإرشاد، والتهذيب، وخصائص الأئمة، والمناقب - عدداً مما قضى به الإمامُ عليٌّ (عليه السّلام)، سواء في عهد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أو بعده؛ فقد لجأ في قضاياها (عليه السّلام) إلى أساليب مبتكرة في كشف

الجريمة وإظهار الحق وحيل المحتالين واستنطاق المنكر، مما جعل عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس يأخذان منه، بل اعتمد عمر على الإمام علي (عليه السلام) في حل كثير من قضايا أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقد قال عمر: (لولا علي لهلك عمر)، وقال: (لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن)، وقال: (لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر).

أما الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد قال عبارته الصريحة:

«أفضاكم علي».

وعندما بعثه إلى اليمن قاضياً قال:

«اللهم اهد قلبه وثبت لسانه».

مما جعل الإمام علياً (عليه السلام) يقول:

«ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين».

وعن ابن مسعود قال: (إن أفضى أهل المدينة علي بن أبي طالب).

وعنه أيضاً قال: (أعلم أهل المدينة بالفرائض علي بن أبي طالب).

وعن عمر بن الخطاب قال: (علي أفضانا).

وينقل القرطبي - في تفسيره عند الكلام على تفسير قوله تعالى:

{ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا }.

إن عثمان قد أتى بامرأة ولدت لسته أشهر، فأراد أن يقضي عليها بالحد فقال له علي (عليه السلام) ليس ذلك عليها، قال تعالى:

{ وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا }.

وهوالذي قال في المنبرية، أي التي سُئِل عنها وهو على المنبر :

«صار تحتها تُسعاً».

إذ إنه (عليه السّلام) سُئِل في ابنتين وأبوين وامرأة فقال (عليه السّلام) :

«صار تحتها تسعاً».

وأراد أن الأسهم عالت حتى صار للمرأة التُّسعُ، ولها في الأصل الثُّمنَ وذلك إن الفريضة لولم تعل كانت من أربعة وعشرين.

فلما عالت صارت من سبعة وعشرين، فللابنتين الثلثان؛ ستة عشر سهماً، وللأبوين السدسان، ثمانية أسهم، وللمرأة ثلاثة من سبعة وعشرين؛ وهو التسع، وكان لها قبل العول ثلاثة من أربعة وعشرين، وهو الثمن.

علم التفسير

لا غرابة إذا ما كان للإمامِ عليٍّ (عليه السّلام) باعٌ طويلٌ في علم التفسير فهو من لازم الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل - ومنذ وبعد- الدعوة الإسلامية؛ فقد سمع القرآن من فم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مباشرةً أي : إنه ثاني شخص يسمع بالقرآن بعد النبي محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم فضلاً عن الرعاية الأخلاقية التي شمله بها ابن عمه محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، إذ رباه صغيراً وغدّاه من أخلاق بيت النبوة حتى إذا ما شبّ واشتد عوده صار يتأمل في كلام الله عز وجل ويستلهم معانيه من المنبع الأول، وإذا ما رأى رسول الله فيه ذلك وتأكد من امتلاكه مفاتيح المغاليق القرآنية

ارتاحت نفسه وأراد أن يعلم الإمام (عليه السلام) بذلك لينطلق في رحاب الجزيرة العربية فيفتح تلك المغاليق للناس بمفاتيح لا يمتلكها غيره بعد الرسول الكريم.

لذلك خاطبه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :

«تختصم الناس بسبع، ولا- يحاجك أحد من قريش، أنت أولهم إيماناً بالله وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسوية، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند الله مزية».

ولم يخاطب الرسول علياً (عليه السلام) بتلك الكلمات إلا بعد تأكده من امتلاكه - بحق - الصفات والمزايا تلك.

الملازمته الطويلة إياه وسماعه الوحي منه مباشرة، بل إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي غرس فيه (عليه السلام) تلك الصفات والمزايا ليكون وزيره وسفيره إلى الناس، ودليلنا أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل قوله تعالى :

{ وَتَعِيَهَا أَنْ وَاَعِيَتْهُ }

قال :

سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي».

ففعّل فكان الإمام عليّ (عليه السلام) يقول :

«ما سمعتُ من رسول الله كلاماً إلا ووعيته وحفظته ولم أنسه.»

وثمة أخرى عن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن رسول الله (صلى

الله عليه وآله وسلم) أنه قال :

ص: 36

«يا علي إن الله أمرني أن أدنك وأعلّمك لتعي».

وأُنزل قوله تعالى :

{ وَتَعِيهَا أَنْ وَاعِيَةٌ }

إذن ليست مصادفة أن يكون الإمام عليّ (عليه السلام) هو المفسّر الأكثر عمقاً والأكثر ثقةً والأكثر درايةً ومعرفةً بآيات القرآن الكريم لأنه استقاهها من منبعها الأول.

وبسبب من تلك الروايات وغيرها أخذ علم التفسير عن الإمام عليّ (عليه السلام) (ومنه فُرِّغ، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحّة ذلك، لأن أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته إياه

وانقطاعه إليه، وإنه تلميذه وخريجه، إذ قيل له : أين علمك من علم ابن عمك؟

فقال : كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط).

علم التصوف

إن أساس التصوف ليس مظهرياً كلبس الصوف أو التزهُد في الملابس والمأكل والمشرب والتعامل الاجتماعي والسلوك اليومي مع الناس، بل هو الانقطاع إلى ملكوت الله والذوبان في الذات الإلهية ورؤية الأشياء بروية استبطانية - إذا صح التعبير - أي : معرفة بواطن الأمور من خلال عظمة الخالق بعد تمحيصها وتقليبها والتعمق في أغوارها فتبدو مفردات الحياة الدنيا ليست ذات أهمية قياساً إلى مفردات الحياة العليا، حياة الآخرة التي وعدنا الله بها.

ص: 37

فقال عز وجل :

{ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى }.

ولأن الله - جل وعلا - هو خالق الكون كُلُّه؛ بسماواته وشموسها وكواكبها وأجرامها ومجراتها وأرضه وتضاريسها ومياهها ونباتها وإنسانها وحيوانها، لذلك فإن المتصوف يحاول جاهداً الاتصال بالنبع ليستقي منه معارفه.

لهذا نراه ينصرف عن كثير من مفردات الحياة الدنيا ومفاصلها الهامشية وينقطع - كَلِيَّةً في كثيرٍ من تفاصيل حياته - إلى خالق الكون ومبدعه ومصوره؛ إلى الله جلَّ في علاه.

وعليُّ بنُ أبي طالب (عليه السلام)، كان من ذلك النوع من الرجال الذي وجد في الله مُعَلِّمَهُ ومُلهِمَهُ ورَاسِمَ خَريطَةِ حياته في الدنيا والآخرة، لذلك فقد انقطع إليه انقطاعاً كَلِيَّاً عَجيباً؛ فهو يقول عن الدنيا إنها :

«تقوى وتسلم، وتذل وتضرى، وهي أمدٌ، والآخرة تسر، وهي أبدٌ»

والدنيا عنده - (عليه السلام) - :

«محل الغيرِ ودارِ المَحَنِ، وغنيمَةُ الحمقى وضحكةُ المغترِّ، وأمنيةُ الأرجاسِ، ومُطلَقَةُ الأكياسِ، إذ هي ظلُّ زائلٌ ومنقطعَةٌ، وعوارِيبها مرتجفةٌ وفانيةٌ، كيومِ مضى وشهرٍ انقضى، وهي العاجلةُ، الفرْحُ بها حمقٌ والاعتزازُ بها خرقٌ، لأنها دارُ الغرباءِ، وسوقُ الخسرانِ، المواصلُ لها مقطوعٌ، والكمالُ فيها مفقودٌ، هي مصرعُ العقولِ، وعالمُ النقائصِ والآفاتِ، الولةُ بها أعظمُ فتنةٍ، وهي كما تُجبرُ تكسرُ، وكما تُقبَلُ تدبرُ».

ص: 38

ويقول (عليه السلام) عن الدنيا أيضاً :

« إنها دارُ الفناء والآخرة دارُ البقاء.. والحازمُ من ترك الدنيا للآخرة، والرابعُ من باع العاجلة بالآخرة»..

لذلك فهو يناجي ربّه بما يُنسبُ إليه فيقول :

يا ذا المعالي إليك معتمدي *** طوبى لمن كنت مولاهُ

طوبى لمن كان نادماً أرقاً *** يشكو إلى ذي الجلال بلواهُ

وما به علةٌ ولا سقمٌ *** أكثر من حبه لمولاهُ

إذا خلا في الظلام مبتهلاً *** أجابه الله ثم لبّاه

سألت عبدي وأنت في كفي *** وكل ما قلت قد سمعناهُ

صوتك تشاقه ملائكتي *** فذنبك الآن قد غفرناهُ

في جنة الخلد ما تمنّاهُ *** طوباه طوباه ثم طوباه

سلني بلا خشية ولا رهبٍ *** ولا تخف إنني أنا الله

ويذوب في الذات الإلهية وينقطع - بكليته - إلى الخلاق العظيم فيناجيه بهذه الترتيلة النقية التي تدل على نقاء روحه وصفائها، إذ يقول :

لك الحمدُ يا ذا الجودِ والمجدِ والعلا *** تباركت تعطي من تشاء وتمنعُ

إلهي وخلاقي وحرزي وموئلي *** إليك لدى الإعسارِ واليسرِ أفزعُ

إلهي لنن جلت وجمت خطيئتي *** فعفوك عن ذنبي أجل وأوسعُ

إلهي لنن أعطيت نفسي سؤلها *** فها أنا في أرض الندامة أرتعُ

إلهي ترى حالي وفقري وفاقتي *** وأنت مناجاتي الخفية تسمع

إلهي فلا تقطع رجائي ولا تُزعج فؤادي فلي في سببِ جودك مطمئن

إلهي لئن خيبتني أو طردتني *** فمن ذا الذي أرجو ومن ذا أشفع

إلهي أجزني من عذابك أني *** أسير ذليل خائف لك أخضع

إلهي فأنسني بتلقين حجتي *** إذا كان لي في القبر مثوى ومضجع

إلهي فإن عذبتني ألف حجة *** فحبل رجائي منك لا يتقطع

إلهي أذقني طعم عفوك يوم لا *** بنون ولا مال هنالك ينفع

إلهي إذا لم تزعني كنت ضائعاً *** وإن كنت ترعاني فليست أضيع

إلى آخر هذه الترتيلة الرائعة، التي تدل على نفس صافية ونقية وصادقة وذائبة في ملكوت الله.

ذلك هو التصوف الذي سنّه الإمام ووضع أسسه بعيداً عن الشعوذة والدجل والمرءاة.

وكل المتصوفة عيال على الإمام علي (عليه السلام) وتلاميذ صغار في مدرسته النقية، وقد اعترف بذلك الشبلي، والجنيدي، وسري المفلح السقطي، وأبو يزيد البسطامي، وأبو محفوظ معروف الكرخي، وغيرهم.

ويكفيك دلالة على ذلك الخرقه التي هي شعارهم إلى اليوم، وهم يسندونها بإسناد متصل إليه (عليه السلام).

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) هو أوّل من وضع اللَّبَنَاتِ الأُولَى في أساس النحو، فقد ابتدعه وأنشأه وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله، و(كان الهدفُ الأوّل والأخيرُ - من التقعيد - هو تخليصها (أي: اللغة العربية) من اللحن، كما فعل أبو الأسود الدؤلي من بادرة بدرت على لسان ابنته إذ قالت - لأبيها متعجبة، وقد نظرت إلى السماء ونجومها في ليلة صافية -: (ما أحسنُ السماء) فرفعت أحسن، وحقّها - في التعجب - النصبُ وفي الاستفهام الرفع، ففهم أبوها - على ظاهر ما تكلمت به - فقال لها - في الجواب -: نجومُها، أي: أحسنُها نجومُها.

فأدركت خطأها وقالت: (أنا متعجبةٌ ولست مستفهمة).

فأتى عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لِمَا خالطتِ العجمَ وتوشك - إن تطاول عليها زمان - أن تضمحل، فقال له (عليه السلام):

«وما ذلك؟»

فأخبره خبر ابنته فأمره فاشترى صحفاً بدرهمٍ وأملى عليه: إن الكلامَ كلُّه لا يخرج عن اسمٍ وفعلٍ وحرفٍ جاء لمعنى، ثم رسم أصول النحوكلّها، فنقلها النحويون وفرّعوها). كما أنه (عليه السلام) قسّم الكلمةَ إلى معرفةٍ ونكرة، وقسّم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجرّ والجزم.

و تلك -لعمري- هي المعجزة التي تمثّلت فيه بأعلى معانيها وأدقّ تفاصيلها.

وسنرى -في فقرة النحو- هذه -كيف كان (عليه السلام) موضعَ استشهادٍ في كثير من المطالب النحوية في التوظيف و التصريف على حدّ سواء- أنه إمامُ اللُغةِ والفصاحةِ وسيدُّ العرب، كما قال عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

ص: 42

لقد اتصف الإمام عليّ (عليه السلام) بصفات قلّما اتصف بها من سبقوه، أو أعقبوه، فإذا ذُكرت الشجاعة فلا تتعداه وإن ذُكرت القوة فلا تتجاوزه، والسخاء والجود لازماه ملازمة ظلّه إيّاه، أما الحكمة فكانت تنساب من بين شفّتيه انسياب أشعة الشمس من قمة جبل في فجر ربيعيّ جميل.

وأما الجهاد فكان به هاشماً باشاً، ويغضب إن لم يدع إليه، وأما الفصاحة فهو فارس حلبتها، والسماحة فهو سيّد ميدانها، والأخلاق فبمثل عظمتها، والزهد رفعة إلى مقام لم يرتفع إليه أحد غيره من بني آدم منذ أن خلق آدم حتى يوم الناس هذا، وأهم ما فيه الصدق مع النفس في مجاهدتها والصدق مع الله في التقرب منه .

ذلك هو الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في صفاته التي استطعنا تشخيصها والتي سنتعرض إليها بشيء من التوضيح في تمهيدنا هذا.

ومما لا شك فيه أنّه (عليه السلام) يتصف بصفات أخرى قد يراها غيرنا إلا أننا نبغي الإشارة من غير التوغل أكثر، لطبيعة وظيفتنا في هذا التمهيد.

لقد عُرِفَ الإمامُ (عليه السَّلَام) بالشجاعة واقتربت باسمه ووسمته بسِمَتِها ، سواء في بدء الدعوة الإسلامية، أو بعد نجاحها؛ فما من غزوةٍ إلَّا كان الإمامُ قائدها، أو من أبلى فيها بلاءً لا نظير له، ولعل غزوة الخندق شاهدٌ ساطعٌ على ما نقول؛ إذ لم يتقدم إلى فارس قريش، عمر بن عبد ودَّ العامريُّ أحدُ، سواء يوم عبر الخندق وصار ينادي المسلمين بسخرية لاذعة ويدعوهم لمبارزته، وكان الإمام (عليه السَّلَام) أوَّل من لَبَّى نداء الإسلام فيما صمَّ الآخرون آذانهم عن دعوته، وإذا ما برز إليه الإمام (عليه السَّلَام) برز إليه بروز المقتدِّر؛ هكذا كان في معارك المسلمين كلها.

يقول ابن أبي الحديد في مقدمة كتابه شرح نهج البلاغة في شجاعة أمير المؤمنين (عليه السَّلَام) : (أنسى الناس فيها ذكر مَنْ كان قبله، ومحا اسم مَنْ يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورةٌ تُضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة؛ وهو الشجاع الذي ما فرَّق قطُّ ولا ارتاع من كتيبةٍ، ولا بارز أحداً إلَّا قتله، ولا ضرب ضربةً قطُّ فاحتاجت الأولى إلى الثانية، وفي الحديث :

«كانت ضربته وترًا».

ولما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو : لقد أنصفك، فقال معاوية : ما غششتني منذ نصحتني إلَّا- اليوم، أتأمرني مبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق، أراك طمعت في إمارة الشام بعدي! وكانت العرب تتفخر بوقوفها في الحرب في مقابلته (عليه السَّلَام)، وأمام

قتلاه كافتخار رهطهم بأنه قتلهم أظهر وأكثر، قالت أخت عمر بن عبد ودّ ترثيه :

لو كان قاتل عمر وغير قاتله*** بكيتته أبدأ ما دمت في الأبد

لكن قاتله من لا نظير له*** وكان يدعى أبوه بيضة البلد

وفي حرب الجمل نراه يقتحم الجمل بنفسه في كتيبة من المهاجرين والأنصار، وحوله بنوه، فيغوص في عسكر الجمل حتى يطحن العسكر ثم يرجع، وإذا ما انحنى سيفه فقومه بركبتيه، ولم يلتفت إلى توسلات أصحابه بأنهم يكفونه، بل ظل يزأر زئير الأسد.

وحمل ثانيةً وحده فدخل وسطهم يضربهم بالسيف قدماً قُدماً والرجال تفر من بين يديه، وتنحاز عنه يمنةً ويسرةً حتى خضب الأرض بدماء القتلى ثم رجع، وقد انحنى سيفه فقومه بركبتيه، ولما ناشده أصحابه في نفسه وفي الإسلام قال (عليه السلام):

والله ما أريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة».

ويوم صفين لبس سلاح العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وقتل اللخمين والحُمير، الذين لم يكن في الشام أشهر منهم بالبأس والنجدة.

ومع شجاعته النادرة اتصف بأسمى الصفات هي التورع عن المباغته والغدر والبغي؛ إذ إنه لم يبدأ أحداً بالقتال، وكان يوصي ابنه الحسن (عليه السلام) :

«لا تدعون إلى مبارزة، فإن دُعيت إليها فأجب فإن الداعي إليها باغٍ، والباغي مصروع».

ولما قيل له إن جنود الخوارج خارجون عليك فبادرهم قبل أن يبادروك قال : «لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون».

وموقفه مع عمرو بن العاص يوم بارزه في صِمْين فصرعه فكشف عمرو عن عورته فكفَّ عنه الإمام (عليه السّلام) دليل لم يستطع التاريخ إنكاره؛ تلك هي شجاعته وتلك هي مروءته (عليه السّلام) في المعارك.

القوة

كان الإمام عليّ (عليه السّلام) يستمد قوّته ليس من بنيانه الفلسفي حسب؛ فعلى الرغم مما كان يتمتع به من بنية قوية فإن قوة أخرى كانت كامنة فيه غير منظورة عياناً، إنما منظورة بالمحصلة، تلك هي قوة الإيمان بما حَبَّته به السماء بوساطة ابن عمّه ومُعَلِّمه الأَوَّل الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

لقد كان مؤمناً بمبادئ الإسلام، ليس كغيره من المؤمنين؛ وتقياً ليس كغيره من الأتقياء؛ وزاهداً بالحياة وملذاتها الفانية ليس كغيره من الزُهَّاد، إنّه (عليه السّلام) كان مرآة صادقة لعقيدة الإسلام المستوحاة من السماء، بل كان مرآة صافية مستوية غير محدبة ولا مقعرة، اعتمدها في سلوكه اليومي وفي ذبّه عن مبادئ الإسلام.

فمدّته بقوة كامنة فيها تفوق قوة الأرض كلها، لذلك نراه - كما يقول ابن قتيبة في كتابه : (ما صار أحداً إلا صرعه، شديد الوثب، قويّ الضرب، وهو الذي قلع باب خيبر، واجتمع عليه عصبه من الناس ليقبلوه فلم يقبلوه). وهو الذي اقتلع هُبَل من أعلى الكعبة، وكان عظيماً جداً، وألقاه إلى الأرض،

وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته (عليه السلام) بيده بعد أن عجز الجيش كله عنها وانبط الماء من تحتها.

قد يقول قائل : كيف يتوافر لإنسان مثل ذلك وهو كسائر البشر؟

الجواب : إن التاريخ يروي لنا أشياء قد نستغربها أمثال تحريك ورفع الأجسام بخارقة عند بعضهم، والتي سُميت في عصرنا هذا، ب(الباراسايكولوجي) وإن من يريد أن يرفع ثقلاً من الأرض ينتخي بأحد رموز معتقده فنراه يستطيع رفعه فيما لم يكن يستطيع ذلك في الحالة الاعتيادية، فما هو السبب؟ إنها القوة الكامنة في الإنسان، فإذا كان صادقاً مع نفسه وصادقاً في معتقده استطاع أن يأتي بالعجائبات والخوارق، فكيف بالإمام عليّ (عليه السلام)، وهو ربيب بيت النبوة وتلميذ صاحب الرسالة التي أخرجت الناس {مَنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}، وإِنَّهُ الإِيمَانُ الصَّادِقُ.

السَّخَاءُ وَالْجُودُ

إنَّ سَخَاءَ وَجُودَ عَلِيِّ (عليه السلام) مثل صفاته الأخرى، إذ تفرَّد بها أيضاً.

فقد كان (عليه السلام) - كما يذكر ابن أبي الحديد في مقدمة كتابه شرح نهج البلاغة - : (يصوم ويطوي ويؤثر بزاده، وفيه أنزل :

{ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْ جِزَاءٍ وَلَا شُكُورًا } وروى المفسرون أنه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم فتصدَّق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سرّاً وبدرهم علانيةً، فأُنزِلَ فيه :

ص: 47

{ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا يَحْزَنُونَ }.

وروي عنه (عليه السلام) أنه كان يسقي بيده نخل قوم من أهل المدينة، حتى ثخن جلد يده، ويتصدق بالأجر ويشد على بطنه حجراً).

وقال الشعبي عنه (عليه السلام) : كان أسخي الناس؛ كان على الخلق الذي يحبه الله : السخاء والجود، ما قال (لا) لسائل قط.. وقال معاوية بن أبي سفيان لمحفن بن محفن الضبي لما قال له : جنتك من عند أبخل الناس، فقال : ويحك كيف تقول أبخل الناس، لو ملك بيتاً من تير وبيتاً من تين لأنفد تبره قبل تينه .

وهو الذي كان يكنس بيوت الأموال ويصلي فيها.

وهو الذي قال :

يا صفراء ويا بيضاء غري غيري».

وهو الذي لم يخلف ميراثاً، وكانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان من الشام. وهو الذي نزلت فيه هذه الآية المباركة :

{ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ }.

إذ نزلت هذه الآية الكريمة في حقه (عليه السلام) حين كان يصلي في المسجد وهو راع، قام سائل يسأل، فمدّ عليّ (عليه السلام) يده إلى خلفه وأوماً إلى السائل بخاتمه فأخذه من إصبغه).

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

«مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْتِي مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهِ وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ».

وغيرها من الروايات الكثيرة تحجم عن ذكرها لئلا نطيل.

الحلم

الحلم من مرتكزات الرجال ذوي النفوس الكبيرة والنظرة الشاملة إلى الحياة، الذين يضربون بأزاميلهم في العمق ليأتوا بعملٍ خلاقٍ يخلدُهم مدى الزمن.

والإمام عليّ (عليه السلام) كان من ذلك الطراز من الرجال؛ فهو مع ما كان يتمتع به من قوة وشجاعة إلا أنه كان حليماً في معاملة الآخرين، لاسيما خصومه؛ فكثيراً ما كان يصفح عنهم في أشد حالات صلفهم.

وهو القائل :

« إذا دعيتك قدرتُك على أذى الناس فتذكر قدرة الله عليك».

فقد كان (عليه السلام) - كما يقول ابن أبي الحديد - : (أحلم الناس عن مذنب، وأصفحهم عن مسيء، وقد طبّق ذلك يوم الجمل؛ حيث ظفر بمروان بن الحكم وكان أعدى الناس له، وأشدّهم بغضاً - فصفح عنه).

وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأَشْهَاد، وكان علي (عليه السلام) يقول : «ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت».

حتى شبَّ عبد الله، فظفر به يوم الجمل، فأخذه أسيراً، فصفح عنه، وقال له : اذهب فلا أرنيك.

لم يزد على ذلك، وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة - وكان عدواً - فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً.

وظفر بعائشة يوم الجمل فأكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس فعمّمتهم بالعمائم وقلدهن السيوف.

فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يُذكر به، وتأففت وقالت: هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي، فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن، وقلن لها: إنما نحن نسوة.

وحاربه أهل البصرة و ضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف، و شتموه و لعنوه، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم، و نادى مناديه في أقطار العسكر : ألا- لا يُتبع مؤلّ، ولا يُجهز على جريح، ولا يُقتل مستأسر، و من ألقى سلاحه فهو آمن، و من تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن، و لم يأخذ أئقالهم، و لا سبى ذراريهم و لا غنم شيئاً من أموالهم و لو شاء أن يفعل ذلك كلّه لفعل، و لكنّه أبى إلا الصّفح و العفو؛ و تقيد سنّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، و لما ملك عسكر معاوية عليه الماء و حرّموا عسكره منه و لم تنفع معهم لغة العقل حمل عليهم حملات كثيفة حتى أزالهم عن مراكزهم، و مع ذلك فسح لهم عن بعض (الشريعة)، ليشربوا منها.

الجهاد

إنّ جهاد الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) كان على جبهات عديدة؛ فقد جاهد مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، في نشر الدعوة و تثبيت دعائمها.

فما من غزوةٍ إلا كان (عليه السّلام)، صادق الضربة فيها مُدلاً على حرصه لتنظيف أرض الجزيرة العربية من المشركين لتكون قاعدةً لانطلاق المسلمين إلى العالم في نشر الإسلام، فهو - إذن، كما يقول ابن أبي الحديد - : (سيد المجاهدين) في سبيل الله، ولعل غزوة بدر الكبرى شاهدٌ تاريخيٌّ لا يقبل النقض، فقد قتل الإمام (عليه السّلام) - فيها - نصف عدد مَنْ قُتلوا من المشركين البالغ عددهم سبعون مشركاً.

ليس ذلك حَسْبُ، بل إنّه (عليه السّلام) كان سيّد المجاهدين في النفس؛ كبح جماحها ولوى عنها عن ملذات الدنيا وتوجه بها نحو الحياة الباقية التي صممها خالقها للمتقين المجاهدين الصادقين مع أنفسهم، وهذا هو الجهاد الأكبر.

قال تعالى :

{ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ... } ولكن عند عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) كانت لا تعرف السوء، بل كانت مطواعةً بين يديه يوجهها حيث يشاء وكيف يشاء وإلى أي اتّجاه يشاء، ذلك بصدق إيمانه وقوته وتقائه.

الفصاحة

إنّ فصاحة الإمام علي (عليه السّلام) لا تحتاج إلى مَنْ يكتب عنها في عصرنا هذا، فمن أراد التأكيد يجد بغيته في (نهج البلاغة) وكفى بنهج البلاغة شاهداً ثبثاً، لقد جعل (عليه السّلام)، من اللغة العربية مورداً عذباً للواردين،

ص: 51

سواء في المعاني أوفي هندستها المعمارية المنسجمة مع العصور كلها، بل قل : إنه (عليه السّلام) استطاع - من خلال خطبه وأحاديثه وكتبه ومراسلاته - أن يحافظ على لغة الضاد - جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم - من الضياع ومن التلوث البيئي، فجعلها نقيّة صافية كصفاء سمائنا في تألؤ نجومها؛ فهو إمام الفصحاء وسيّد البلغاء، بل واضح أسسها.

قال الشريف الرضي في مقدمته : (كان أمير المؤمنين (عليه السّلام)، مشرّع الفصاحة وموردّها، ومنشأ البلاغة ومولدها؛ ومنه (عليه السّلام)، ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثلته هذا كلُّ قائلٍ خطيب، وبكلامه استعان كلُّ واعظٍ بليغ، ومع ذلك فقد سبق وقصّروا، وتقدّم وتأخّروا، لأنّ كلامه (عليه السّلام)، الذي عليه مسحةٌ من العِلْم الإلهي، وفيه عبقةٌ من الكلام النبوي...).

وقال ابن أبي الحديد: (وفي كلامه قيل : دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين، ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة، قال عبد الحميد بن يحيى : حفظت سبعين خطبة من خطب الأ صلح، ففاضت ثم فاضت، وقال ابن نباتة : حفظت من الخطابة كنزاً لا يزدده الإنفاق إلا سعةً وكثرةً، حفظت مئة فصل من مواظ علي بن أبي طالب (عليه السّلام).

وحتى معاوية بن أبي سفيان لم يستطع إلا أن يقول - مرغماً - : (ما سن الفصاحة لقريشٍ غيره)).

وسيجد القارئ الكريم - في فقرة البلاغة - ما يؤكد تلك الأقوال ويرسّخ عنده أنه (عليه السّلام) لا يُجاري في الفصاحة ولا يُباري في البلاغة، لم يدوّن لأحدٍ

من فصحاء الصحابة العُشْرَ ولا نصف العُشْرَ ما دُونَ له، وما دُونَ له إلا القليل. وها هو الرسول الأعظم محمد صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلّم يقول لعبد الرحمن بن عوف - كما رواه ابن عباس -:

«يا عبد الرحمن أنتم أصحابي، وعلي بن أبي طالب مني وأنا من علي، فمن قاسه بغيره فقد جفاني، ومن جفاني آذاني، ومن آذاني فعليه لعنة ربي، يا عبد الرحمن، إن الله أنزل عليّ كتاباً مبيناً، وأمرني أن أبين للناس ما نزل إليهم، ما خلا عليّ بن أبي طالب فإنه لم يحتجّ إليّ بيان لأن الله جعل فصاحته ودرايته كدرايتي، ولو كان الحلم رجلاً لكان علياً».

ذلك هو الإمام علي في الفصاحة مثلما هو في صفاته الأخرى.

السماحة

إن اتّصاف الإمام علي (عليه السّلام) بأخلاق عالية لهو من المسلّمات البديهية لأنه نشأ وتربّى في حجر ابن عمه الرسول الأكرم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وهو من خاطبه الله تعالى في الذّكر الحكيم:

{ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }.

وتغدّى من لبان النبوة، إذ عُرف بسماحة الأخلاق وبشر الوجه وطلاقة المحيا والتبسم، فهو المضروب به المثل حتى عابه بذلك أعداؤه. قال عمرو بن العاص لأهل الشام: (إنه ذو دعابة شديدة)، فردّ عليه (عليه السّلام): «عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أنّ فيّ دعابة، وأني امرؤ تلعبه، أعافس وأمارس»..

فقد استكثرا عليه تلك الصفة، (سجاجة الأخلاق وبشر الوجه وطلاقة المَحْيَا والتبسّم) لأنهما يفتقران إليها.

لنقرأ قول صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه : (كان فينا كأحدنا، لينَ جانبٍ، وشدةً تواضعٍ، وسهولةً قياد، وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياق الواقف على رأسه).

ليس ذلك حَسْبُ، بل إن معاوية نفسه قال لقيس بن سعد : (رحم الله أبا حسنٍ؛ فلقد كان هَشًّا بَشًّا، ذا فكاهة، فأجابه قيس : نعم، كان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يمزح ويتبسّم إلى أصحابه وأراك تسر حسواً في ارتقاء وتعيبه بذلك ؛ أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهْيَبَ من ذي لبدتين قد مسّه الطوى).

تلك هيبة التقوى، وليس كما يهابك طعام أهل الشام.

ويقول ابن أبي الحديد : (وقد بقي هذا الخُلُق متوارثاً متناقلاً في محبيه وأوليائه إلى الآن، كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر، ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعواندهم يعرف ذلك).

إنَّ أَخَذَ عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب ثم (غمز) معاوية نابغ من نمط حياتهم الاجتماعية وسلوكهم اليومي مع الناس، سلوكك التعالي على (الدون) والإشاحة عن (الرعية) [فكل إناء بالذي فيه ينضح] و[شبيه الشيء منجذب إليه]، وإلا ماذا نقول عن وصية الإمام علي (عليه السلام) إلى واليه مالك الأشر، إذ يقول - وهو يوصيه بالناس خيراً - :

«فالناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، يفرط منه الزلل وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، وولي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاءك».

وقوله (عليه السلام) أيضاً :

«لا تكوننّ عليهم سبعا ضارياً تغتمهم أكلهم».

وقوله (عليه السلام) :

«فلا تطولنّ احتجاجك عن رعيتك، فإن احتجاج الولاية عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمر، والاحتجاب عنهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور».

فهل ذلك كله من فعل ال (دعابة)؟ اللهم إذا كان كذلك ف (عليّ) سيّد الدعابة ورمزها ومشيد بنيانها.

الزهد

الزهد، واحدة من صفات الإمام علي (عليه السلام) التي فاقت التصور وتجاوزت المعقول؛ لقد كان (عليه السلام)، زاهداً بحياته في مجمل تفاصيلها؛ في المأكل والمشرب والملبس وما إلى ذلك من أساسات (الدنيا) التي يعتمدها الناس ويقيمون لها وزناً ويولونها اهتمامهم، ولكنه (عليه السلام)، كان يستعيز عن ذلك

ص: 55

الزخرف بما وهبه الله من الصبر في مجاهدة النفس والتوجه بقلب سليم إلى الله وأداء فروضه وتنفيذ ما أوكل إليه من أمر الدين والرعية.

يقول ابن أبي الحديد : (وأما الزهد في الدنيا فهو سيّد الزهّاد، وبدل الأبدال وإليه تُشدُّ الرحال، وعنده تُنفض الأجلّس؛ ما شبع من طعام قط، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً.

قال عبد الله بن أبي رافع، دخلت إليه يوم عيد فقدم جراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبز شعيرٍ يابساً مرضوضاً، فقَدَّم فأكل، فقلت : يا أمير المؤمنين، فكيف تختمه؟ قال (عليه السلام):

«خفت هذين الولدين - أي: الحسن والحسين عليهما السلام - أن يُلْتَأَه بسمنٍ أوزيت».

وكان ثوبه مرقوعاً بجلدٍ تارةً وليفٍ أخرى، ونعلاه من ليف، وكان يلبس الكرباس الغليظ، وكان يأتدّم بخلٍّ أو يملح، فإن ترقّى عن ذلك فَيَعْوَضُ بنبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل، ولا يأكل اللحم إلا قليلاً ويقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان، وكان مع ذلك أشدَّ الناس قوة... ولا ينقض الجوع قوته، وهو الذي طلق الدنيا، وكانت الأموال تجي إليه من جميع بلاد الإسلام، إلا من الشام، فكان يفرقها ويمزقها، ثم يقول :

هذا جنائي وخياره فيه*** إذ كلُّ جانٍ يدهُ إلى فيه

ولنقرأ قول الشريف الرضي في مقدمة النهج، إذ يقول : (ومن عجائبه التي انفرد بها وأمن المشاركة فيها كلامه في الزهد والمواعظ، إذا تأمله المتأمل وخلع من

قلبه إنه كلام مثله، ضمن عظم قدره، ونفذ أمره، وأحاط بالرقاب ملكه لم يعترض الشك في إنه من كلام مَنْ لا حظَّ له غير الزهادة، ولا يطل له غير العبادة، فقد قبع في كسر بيت أو انقطع في سفح جبل، لا يسمع إلا حسّه ولا يرى إلا نفسه).

فكلامه (عليه السلام) ينطبق على فعله، فقد روى النَّظْرُ بن المنصور عن عقبة بن علقمة قال : (دخلت على عليّ (عليه السلام) فإذا بين يديه لبنٌ حامضٌ أذنتي حموضته وكسراً يابسةً فقلت : يا أمير المؤمنين أتأكل مثل هذا؟ فقال لي :

«يا أبا الجنوب: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأكل أبيض من هذا ويلبس أخشن من هذا - وأشار إلى ثيابه - فإن لم آخذ بما أخذ به ألا الحق به»).

وكان (عليه السلام) يأكل الشعير وتطحنه الزهراء بيديها، وكان يختم الجراب الذي فيه دقيق الشعير فيقول :

«لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم».

وقال عبد الله بن أبي الهذيل : (رأيت علياً خرج وعليه قميص غليظ دارس إذا مدَّ كُمَّ قميصه بلغ إلى الظفر، وإذا أرسله صار إلى نصف الساعد).

وينقل لنا صاحب أسد الغابة : (إن عليّ (عليه السلام) إزاراً غليظاً قال : اشتريته بخمسة دراهم فمن أربحني فيه درهماً بعتته، فيما ينقل عن الأرقم قوله : رأيت عليّاً وهو يبيع سيفاً له في السوق، ويقول :

«من يشتري مني هذا السيف؟ فوالذي خلق الحبة لطالما كشفتُ به الكرب عن وجه رسول الله ولو كان عندي ثمن إزار ما بعتته»).

ودخل عليه عدي بن حاتم فرأى بين يديه شنة فيها قراح ماء وكسرات من خبز شعير وملح، فقال: إني لا أرى لك يا أمير المؤمنين لتظل نهارك طاوياً مجاهداً وبالليل ساهراً مكابداً، ثم يكون هذا فطورك، فقال عليّ (عليه السلام):

علل النفس بالفنوع وإلا*** طلبت منك فوق ما يكفيها

ثم قال (عليه السلام):

«كأني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران، ومنازلة الشجعان ألا وإن الشجرة البرية أصلب عوداً، والروائع الخضرة أرق جلوداً، والنباتات البدوية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً، وأنا من رسول الله كالصنوم من الصنوم، والذراع من العضد، والله لو تظاهرت الدنيا على قتالي لما وليت عنها».

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخاطبه بقوله:

«يا علي، إن الله، عز وجل، قد زينك بزينة لم يتزين العباد بزينة أحب إليه منها.. الزهد في الدنيا، فجعلك لا تنال من الدنيا شيئاً ولا تنال الدنيا منك شيئاً...».

وهو الذي قال فيه عمر بن عبد العزيز: (أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب). وقد اعترف أبو سفيان بأن (علياً لم يبن آجرة فوق آجرة ولا لبنه على لبنه ولا قصبه على قصبه). ويروي عن الإمام الحسن بن علي، (عليهما السلام) أنه قال: «لم يترك أبي إلا ثمان مئة درهم أوسبع مئة درهم فضلت من عطائه كان يعدها لدار الخادم يشتريها لأهله». فالإمام عليّ (عليه السلام) - إذن - كان سيّد الرّهَادِ في الدنيا وسيّد عشاق الآخرة.

ص: 58

جمعه القرآن

يمكن القول إن القرآن وعليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) لم يفترقا يوماً، والسبب بسيط جداً، وهو أن الإمام (عليه السّلام) تربّى في بيت النبوة، والقرآن بعدُ لم ينزل على صدر النبي.

ولما حانت ساعة الوحي وبدأ يدق باب ذلك البيت كان الإمام عليّ (عليه السّلام) قد بلغ من العمر ما يجعله يدرك معناها فتلقى ذلك الوحي من فم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مباشرة؛ آيةً فآيةً وسورةً فسورةً، فلا شك في أنه حفظ القرآن وأدرك معانيه بسبب من لصوقه بالرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقد اتفق الكل - كما يقول ابن أبي الحديد - على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ولم يكن غيره يحفظه، وهو الذي كان يقول :

«سلوني والله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله ما من آية إلا وأنا أعلم ألبيل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل».

ثم هو أول من جمعه، ومهما قيل في سبب تأخره عن بيعة أبي بكر فإننا نميل إلى أنه (عليه السلام) استغل مدة بُعده عن الخلافة بجمع القرآن، وهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن، لأنه لو كان مجموعاً في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما احتاج إلى أن يشتغل بجمعه بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإذا رجعت إلى كتب القراءات - يستمر ابن أبي الحديد - وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه؛ كأبي عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي النجود وغيرهما، لأنهم لا يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي القارئ، وأبو عبد الرحمن كان تلميذه، وقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهي إليه أيضاً مثل كثير مما سبق.

مشوراته

مما لا شك فيه أن الإمام علياً (عليه السلام) يتمتع بقدرات ذهنية جعلته يتفرد، لا بين أقرانه في عصره حسب، بل على طول التاريخ الإنساني، قبلاً وبعد، وإذا ما دققنا النظر في نهج البلاغة لتأكد لنا ذلك، ويعود سبب تفرده إلى عوامل عديدة منها:

1. التركيب الفسيولوجي، وأعني به خلايا تلافيف دماغه التي أبدعها وصممها خالق الكون والناس لتكون متفردة.

2. نشأته في بيت أنزل الله تعالى رسالته فيه على نبيه الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فتلقفها الصبي (علي بن أبي طالب) عليه السلام)) بتأهف الجائع

رغيف خبزٍ حار، فعاش - منذ صباه - في محيط يتصوّع في أرجائه بخور التقوى والتوحيد والإيمان، بل قل الثورة على القيم البالية التي عاشها العرب دهوراً مديدة، مما جعله دائم التفكير والتأمل.

3. إيمانه المطلق برسالة ابن عمه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) جعله ينطلق في إبلاغها إلى الناس بصدق وبروحية صافية ونظيفةٍ وبعزيمةٍ لا تعرف الكلل ولا الملل، ولا تعرف المداهنة والمحاباة، ولا التوفيقية والوسطية، بل سار في خطٍّ مستقيم واحد حتى آخر لحظةٍ من حياته الكريمة، ويظهر ذلك جلياً في خطبه وأحاديثه ووصاياه ومراسلاته، المجموع بعضها في نهج البلاغة.

4. شعوره بأنه المُكَلَّف بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بتبليغ رسالة السماء إلى الناس وتثبيت دعائمها والحفاظ على قيمها لأنه أولى الناس بحمل هذا التكليف، وهو الذي قال فيه الرسول (صلى الله عليه وآله):

«من كنتُ مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله».

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم):

«أنت مني كمنزلة هارون من موسى...».

فرجلٌ تلك مكانته من الإسلام ومن رسول الإسلام لا بد له أن ينهض في

إتمام ما بدأ به الرسول (صلى الله عليه وآله).

لتلك الأسباب وغيرها لا بد للناس أن يرجعوا إليه في كثير ما أشكل عليهم من تفاصيل الرسالة المحمدية، لذلك نراه - كما يقول ابن أبي الحديد -: (كان

أسدّ الناس رأياً وأصحّهم تدبيراً، وهو الذي أشار على عمر بن الخطاب لَمَّا عزم على أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار، وهو الذي أشار على عثمان بأمر كان صلاحه فيها ولو قبلها لَمَّا حدث عليه ما حدث).

بل هو من قال عنه عمر بن الخطاب : (لولا علي لهلك عمر).

فلا غرابة في ذلك لأنّ سلاحه كان أمضى سلاحٍ وأنفذ سلاحٍ وأصدق سلاحٍ وأتقاه وأصفاه وأكثر تجذراً في عمق العقيدة والمبدأ.

أليس هو من خاطب الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابه قائلاً : «أقضاكم علي».

ثم هو من بعثه قاضياً على اليمن فمسح على صدره وقال :

«اللهم اهد قلبه ولسانه».

مما جعل الإمام يقول :

«فوالله ما شككت بعدها في قضاء قضيت به بين اثنين».

ثم أليس هو من قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - عندما أنزل قوله تعالى : { وَتَعِيَهَا أُنْزُورُ وَعِيَّةٌ } - :

«سألت الله - عز وجل - أن يجعلها أذنك يا علي»..

فقال الإمام عليّ (عليه السلام) :

«فما نسيت شيئاً بعد ذلك، وما كان لي أن أنسى».

وأخيراً، أليس هو من تولى تسميته وتغذيته أياماً من ريقه المبارك، وأمضه لسانه، والقصة في ذلك ما روي عن فاطمة بنت أسد أم عليّ في حديث طويل

قالت : نظر إليّ أبوطالب وقال : - يا أم مالك؟ مالي أراكِ حائلة اللون؟ فقال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمه أبي طالب : «إن كانت حاملاً أنثى فزوجنيها».

فقال أبوطالب عليه السلام : (إن كان ذكراً فهولك عبداً، وإن كانت أنثى فهي لك جاريةً وزوجةً). فلما وضعتُه جعلته في غشاوة، فقال أبوطالب : (لا تفتحوها حتى يجيء محمد فيأخذ حقه).

فجاء محمد ففتح الغشاوة، فأخرج منها غلاماً حسناً فشاله بيده، وسماه عليّاً، وبصق في فيه، وأصلح أمره، ثم إنه ألقمه لسانه فما زال يمصه حتى نام؛ وهكذا فعل معه في اليوم التالي). ذلك هو الإمام عليّ (عليه السلام) ربيب الطهر والنقاء والعقل والمعرفة والمنبع الصافي الأول لرسالة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك فلا غرابة - أقولها ثانية - أن يشير على الصحابة بآرائه التي ما أخطأت يوماً بل جعلتهم لا ينصرفون لغيره ويهابونه في إعطاء الرأي عندما يكون حاضراً بينهم، لأنه أسدُّهم رأياً وأرجحهم فكراً وأقضاهم، وأفتاهم وأصدقهم وأكثرهم إيماناً وتمسكاً بأهداب العقيدة والمبدأ.

سياسته

كانت سياسة الإمام عليّ (عليه السلام) منحازة كُليةً إلى الأسس التي أوحى بها الله - جلت قدرته - إلى رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من غير أن يخشى لومة لائم.

لذلك ترك لنا ثوابت لا تقبل الطعن، بل كانت - وما زالت وستبقى - روافد ثرة ينهل منها أي حاكم ينشد الحق والعدل.

(فقد كان ثاقب الفكر، راجح العقل، بصيراً بمرامي الأمور، وقد أثرت عنه مواقف وأقوال وتصرفات تقوم دليلاً على سياسته الحكيمة، وقيادته الرشيدة، لكن مُثُلُه العليا تحكمت في حياته، فحالت دون تقبله الواقع ورضاه بأنصاف الحلول).

ومن يرجع إلى (هج البلاغة) يجد فيه عشرات الخطب... تعطي صورة واضحة عن نظراته الثاقبة وآرائه البعيدة في مبادئ السياسة، وأساليب حكم الرعية، وإدارة شؤونها، والحرص على دفع الفتن عنها، حتى تعيش في بحبوحة العز والرخاء).

ولكي تتدبر هذا الأمر، ما عليك إلا أن تقرأ خطبه لدى بيعته وإعلانه منهاجه في الحكم، أو تستعيد مواقفه مع عائشة، ووساطاته بين عثمان والثائرين عليه، وصبره الجميل في معالجة الأمر مع معاوية وأهل الشام، وطول أناته في تفهم آراء شيعته، ومناظرته الخوارج قبل أن يخوض معهم ساحة القتال.

وقد خاطب الخوارج بقوله (عليه السلام) :

«فلما أبيتم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن وأن يميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكماً يحكم ما في القرآن، وإن أبيا فنحن من حكمهما براء».

ويقول لرجل وفد عليه من أهل البصرة :

«أرأيت لوأن الذين وراءك بعثوك رائداً تبتغي لهم مساقط الغيث، فرجعت إليهم وأخبرتهم عن الكلاء- والماء، فخالفوا إلى المعاطش والمجادب ما كنت صانعا؟».

قال : كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلاء والماء، فقال الإمام (عليه السلام) : «فامدّد - إذن - يدك».

وإذا بالرجل يقول : فوالله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجة عليّ فيايعته).

وأخيراً كتابه (عليه السلام) إلى عامله الأشتر النخعي الذي يقول فيه :

«أنظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباةً وأثرةً فإنهم جماعٌ من شعب الجور والخيانة، وتوخَّ منهم أهل التجربة والحياة من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام، فإنهم أكثر أخلاقاً وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إسرافاً وأبلغ في عواقب الأمور نظراً، ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم في استصلاح أنفسهم، وغنى لهم في تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك، ثم تفقّد أعمالهم وبعث العيون من أهل الصدق عليهم فإن تعاهدك في السر لأموالهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية».

ويحسن بك - أيها القارئ الكريم - أن ترجع إلى (نهج البلاغة) لتقف - بنفسك - على خطبه وأحاديثه ومكاتباته ووصاياه (عليه السلام)، لتجد فيها أسس

أحدث المُسَلِّمات السياسية وأكثرها عدالةً.

لقد أسهم الإمام عليّ (عليه السّلام) في حقل السياسة إسهاماتٍ جوهريّةً حتى أن أكثر الحاكّمين - إذا لم نقل كلّهم - الذين تعاقبوا بعده من العرب، بل من غير العرب - أيضاً - حتى عصرنا الراهن يتعكزون على مُسَلِّماتِهِ السياسيّة، وسياسته الرشيدة في الرعيّة.

ذلك هو الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) في نسبه ومكانته من الإسلام، ورأي علماء (السُّنّة) فيه ورأي غير المسلمين أيضاً، وعلومه، وصفاته، وأخيراً إسهاماته ودوره في الإسلام.

ويمكن أن نختم تلك الفقرات بقول ضرار بن ضميرة الكناني، إذ دخل يوماً على معاوية فقال: صف لي عليّاً، فاستعفاه ضرار، قال معاوية: لتصفنّه...!

فقال ضرار: أما إذا لا بد من وصفه فإنه كان - والله - (بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهوتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير الدمعة طويل الفكرة، يقلّب كَفّه ويخاطب نفسه، ويعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، وكان فينا كأحدنا، يدنينا إذا أتينا، ويجيبنا إذا سألنا، ويلبّينا إذا دعونا، وينبئنا إذا استبأننا، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه ممّا لا نكاد نكلمه هيبه له، فإن تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدين، ويقرّب المساكين، لا يطمع القويّ في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيتّه في بعض مواقفه - وقد أرخى الليل سدولّه وغارب نجومه - قابضاً على لحيته يتململ

ص: 66

تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين فكأنني أسمعُه الآن وهو يقول :

«يا ربنا يا ربنا».

يتضرّع إليه ثم يقول :

«يا دنيا غري غيري، إليّ تعرّضتِ أم إليّ تشوّقتِ؟ هيهات! هيهات! قد بنتك ثلاثاً لا رجعة فيها؛ فعمرك قصير، وخطرك كبير، وعيشك حقير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق» .

ص: 67

قديمًا قيل : (من أَلْفَ وصنّف فقد استُهدِف).

ذلك القول يصدق في كل زمان ومكان.

فالذين يتعاملون مع الفكر والقلم مُسْتَهْدَفُونَ أبداً لماذا؟

لأنهم :

1. سيطرحون آراءً قد لا تتفق مع هذا وذاك من حملة الأعلام فتبدأ السهام تتراشق في ما بينهم.

2. قد يكون هذا المفكر أوذاك متفوقاً على بعض أقرانه فيحاول هؤلاء الأقران أن يظهرُوا (فساد) قول هذا المتفوق عليهم، غيرةً وحسداً، أو تقرباً من ذوي السلطة والجاه.

3. قد يسلط هذا المتفوق الضوء على بعض الظواهر المدانة التي تمس بعض من يمتّون بصلة إلى أصحاب الظواهر المدانة تلك فيحملون معاول الهدم للنيل من هذا المتفوق الذي ينشد الحق في ما يطرح بهدف قلب الحقائق وتشويهها حتى

ص: 71

لوكانت علي حساب المبدأ والعقيدة.

وهكذا كان الإمام (عليه السلام) في (نهج البلاغة).

إذ لمجرد ورود خطبة أو كلام له لا يتفق مع الرأي الآخر صار هذا (الآخر) يشكك بما جاء في (النهج) هذا.

ولأنهم لا يستطيعون النيل من شخص الإمام علي (عليه السلام) فقد لجؤوا إلى طرق ملتوية ومنافقة تُظهر غير ما تُبطن.

وهذه الطرق تناولت (هج البلاغة) تناولاً ظاهره الحق وباطنه يجأر بالباطل. فقد شككوا في جامع النص؟ أهوالشريف الرضي أم الشريف المرتضى؟

ثم راحوا يشككون في عاندية النهج نفسه: فمنهم من قال إنه ليس من كلام الإمام علي (عليه السلام)، ومنهم من قال إن بعضه للإمام وبعضه من وضع الشريف الرضي وبعضه من وضع ابن أبي الحديد.

وهكذا صاروا يتخبطون خبط عشواء وهم يدركون أن ما في نهج البلاغة كله للإمام علي ولكن ما الحيلة وقد وردت فيه (خطبة) تمس (بعض) من التفوا على مبدأ الحق فحرفوه عن جادته التي رسمها لهم صاحب الدعوة الرسول الأكرم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهؤلاء يسيرون في خط أولئك المحرّفين؛ فهم قالوا إن في (نهج البلاغة) [غثاءة] لا يمكن أن يكون هذا الكلام للإمام علي (عليه السلام) وهو من (سن الفصاحة لقريش)، إنما كلمة حق يراد بها باطل.

ص: 72

وقالوا إن في النهج تعريض بالصحابة وعليّ (بريء...!!) من كلام يتعرض بالصحابة.

إذن فالنهج لا يمكن أن يكون - بزعمهم، كله - من [كلام الإمام علي (عليه السلام)...!!].

ومما قالوا - أيضاً - : إن (الوصي) أو (الوصية) كمصطلح لم تكن معروفة في زمن الإمام علي (عليه السلام) فهي عرفت في عصور لاحقة.

ثم إن الإطناب والإيجار - في رأيهم - لم يكن معروفاً إلا في عصور متأخرة كالعصر العباسي.

وقل مثل ذلك عن السجع الذي زعموا أنه ما كان له أثر في زمن الإمام (عليه السلام) لذلك (قرروا!!) : (إن الكلام المسجوع هومن [وضع

شخص أو أشخاص عاشوا في عصور لاحقة بعد عصر الإمام (عليه السلام)]).

أما دقة وصف الطاووس والنحلة والجرادة والخفّاش فقد استبعدوا أن يكون هذا الوصف الدقيق للإمام علي (عليه السلام) لأنه لم يكن

معروفاً في زمانه (عليه السلام).

وهكذا صاروا يفتشون في مفردات نهج البلاغة ليجدوا ما يعينهم على إبعاد نسبة كتاب (نهج البلاغة) إلى الإمام (عليه السلام) وكلما

(اكتشفوا...!!) واحدة من تلك اللّقى فرحوا بها وصاروا يفتشون عن (لُقيّةٍ) أخرى تعينهم على (منهجهم العلمي...!!) هذا فالألفاظ

الاصطلاحية التي وردت في (النهج) لا يمكن

أن تكون من كلام علي (عليه السلام) لأنها من كلام (فلاسفة) متأخرين عن عصر الإمام (عليه السلام) بقرون.

وكذلك التقسيمات العددية التي وردت في (النهج) لا- يمكن أن تكون - حسب زعمهم - للإمام علي (عليه السلام) لأنها [غير معروفة...!!!] في زمانه أيضاً.

أما التنبؤات، أو التوقعات فهي [موضوعة ومنسوبة إليه...!!!] (عليه السلام)، وهكذا عابوا عليه الزهد في الحياة.

كما أنكروا الوصف الدقيق للحياة الاجتماعية في زمان الإمام (عليه السلام) وقالوا: (إن الذي ورد في (النهج) لم يكن من قول الإمام نفسه لما فيه من مصطلحات هي بعيدة عن عصره (عليه السلام)).

ونحن في هذا الكتاب نحاول تسليط الضوء على ما أوردنا من أقوال المشككين ومناقشتها والرد عليها بمنهج علمي معتمدين الحقائق التاريخية والمنطقية التي لا تقبل الطعن بها.

وقد توخينا - بعملنا هذا - مرضاة الله جل في علاه وإعادة الحق إلى أصحابه وتبصير من زاغوا عن طريق الحق أما جهلاً منهم أو عناداً.

بهدف أن يعودوا إلى جادة الصواب فيتخذوا من شخصية الإمام (عليه السلام) مثلهم الأعلى في مناصرة الحق ومحاربة الباطل وبذلك نكون كالبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضاً فنقف بوجه من يحاولون جاهدين حرفنا عن الدين الذي جاء به الرسول الأكرم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

من الله تعالى ليخرجنا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ - كمقدمة - للقضاء على نور هذا الدين الحنيف الذي وجدوا فيه النور الذي عَشَّتْ أَبْصَارَهُمْ مِنْهُ.

عسى أن نكون ممن أسهموا في وضع الحقائق في نصابها فإن استطعنا فمن الله التوفيق وإن أخفقنا فنسأله جل شأنه أن يغفر لنا وأن يسدد خطانا لما فيه نصره ديننا الذي ارتضاه لنا إنه هو القدير المكين، ومنه نستمد العون والتمكين.

الرد على المشككين

إذا ما رجعنا إلى سيرة الشريف الرضي سنعرف أنه هو الذي جمع مفردات (النهج) وذلك في عام (400هـ) ولكن ثمة من نسب جمع النهج إلى الشريف المرتضى، أخي الرضي؛ من هؤلاء جورجى زيدان إذ قال: (والصحيح إنه من جمع الشريف المرتضى)، وكذا قال بروكلمان.

أما شوقي ضيف فقد قال في كتابه: (إن اعتراف الشريف الرضي بجمعه (النهج) دليل على وضعه إياه، وبذلك قد خلط بين الوضع والجمع).

في الحقيقة إن تلك الأقوال لا تريد التشكيك بمن جمع (النهج) بقدر ما تريد التضييب حول عائدة (النهج) أصلاً إلى الإمام علي (عليه السلام)، وذلك للتقليل من شأنه وشأن أمير المؤمنين (عليه السلام).

والمسألة قديمة، إذ أن خصومه (عليه السلام) - منذ بزوغ نجمه، سواء في الغزوات والحروب في بدء الدعوة الإسلامية وفي تقريب النبي محمد (صلى الله عليه

وآله) إياه قولاً وعملاً - أخذوا ينالون منه بوسائل شتى، إن ظاهرة أو مبطنة، ويرجع تاريخ تلك الخصومة والعداء إلى يوم غدِير خَم، الذي رفع الرسول الأكرم علياً (عليه السّلام) وقال :

«من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد منم عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله».

أوقبل ذلك، يوم زوّجه ابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) ومن خلال أحاديثه (صلى الله عليه وآله وسلّم) الكثيرة في حق الإمام علي (عليه السّلام) كقوله (صلى الله عليه وآله وسلّم) - وهو يخاطبه :-

«يا علي، حُبُّكَ إيمان ، وبغضك نفاق؛ وأوّل من يدخل الجنة مُحِبُّكَ،

وأوّل من يدخل النار مُبْغِضُكَ».

وقد أحسّ خصوم الإمام بأنه سيكون له شأن في البنيّتين الفوقية والتحتية للهيكليّة الإسلاميّة فصاروا ينالون منه بطرق خبيثة، حتى في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، أو بعده.

ففي زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) نذكر الرواية التي تقول :

(إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) بعث علياً (عليه السّلام) في سرّيّة ليقبض الخمس فاصطفى منه سبيّة؛ واتفق أربعة من شهود السريّة أن يبلغوا ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) متعاقبين واحداً بعد واحد في قول واحد، فلما فرغ الرابع من حديثه أقبل عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) - وقد تغيّر وجهه - فقال :

«ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة».

وقال لأحدهم :

«أتبغض علياً؟».

قال : نعم، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) :

«لا تبغضه، فإن له الخمس أكثر من ذلك».

أي : أكثر من السبية التي اصطفاها ...

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) له :

«لا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حباً».

وإن كنت أشك في هذه الرواية في ما يخص (اصطفاء السبية) لأن الإمام علياً (عليه السلام) أكبر مما يسلك هذا السلوك قبل الرجوع إلى الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

والرواية التي تقول : (إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث الإمام علياً (عليه السلام) إلى اليمن فسأله جماعة من أتباعه أن يُركبهم إبل الصدقة ليريحوا إبلهم فأبى فشكوه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد رجوعهم، وتولى شكايتهم سعد بن مالك الشهيد، فقال : يا رسول الله، لقينا من علي الغلظة وسوء الصحبة والتضييق.. ومضى يعدد ما لقيه، حتى ضاق به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ذرعاً فهتف به - وهوفي أثناء كلامه :-

«يا سعد بن مالك الشهيد، بعض قولك لأخيك علي، فوالله لقد

علمت أنه جيش في سبيل الله».

وفي رواية أخرى قال : (صلى الله عليه وآله) للشاكين من الإمام علي عليه السلام :

«أيها الناس لا تشكوعلياً إنه لجيش في ذات الله».

والرسول (صلى الله عليه وآله) كان يعلم أن ثمة من يضرر العداوة والبغضاء للإمام علي (عليه السلام) حسداً له من قربه من ابن عمه فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يؤكد - كما يقول ابن عباس - لهم منزلته العالية في الدنيا والآخرة، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) مخاطباً علي بن أبي طالب (عليه السلام) :

«أنت سعيد في الدنيا وسعيد في الآخرة، من أحببك فقد أحبني ، وحببيك حبيبي، وحببي حبيب الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، طوبى لمن أحببك والويل لمن أبغضك».

وبعد زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صاروا يقبلون الحقائق ويحورون الكلم بما يقلل من شأن الإمام علي (عليه السلام)؛ فقد روى البخاري أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجدته - أي علياً (عليه السلام) - في المسجد نائماً وقد ترب جبينه فجعل يمسح التراب عن جبينه ويقول :

«قم يا أبا تراب».

ويرى العلامة محمد صادق الصدر إن كلمة (أبا تراب) كناية عن كثرة عبادته وصلواته، لأن المسلمين في السابق كانوا يسجدون على التراب، وكان الإمام علي (عليه السلام) معقر الجبين لكثرة ما يسجد.

فقله (صلّى الله عليه وآله وسلم): «قم يا أبا تراب» على حد قوله: (قم يا كثير العبادة).

وقد كانت هذه الكنية من أحب الكنى إليه (صلّى الله عليه وآله وسلم) إذ كان كثيراً ما يدعو به.

ولكن معاوية بن أبي سفيان، ومن حوله أحسّوا برفعة هذه الكنية وميزة صاحبها، فأخذوا يموّهون على الناس بأن سبّوه بها على المنابر مظهرين أنهما منقصة له.

كانت تلك البداية؛ إذ بدؤوا بشخص الإمام (عليه السلام) فنالوا منه ما يشاؤون ليأتوا إلى معطياته الجهادية والأخلاقية والفكرية والإبداعية فيحطّوا من قدرها ويقللوا من شأنها، فلا غرابة - إذن - إذا ما قرأنا، هنا وهناك، وفي هذا العصر أوداك، تشكيكاً في عائدية (النهج) إلى الإمام علي (عليه السلام) أو الطعن في بعضه بطريقة مبطنّة كتبطين كلمة الحق يراد بهما الباطل.

فظهرت الأصوات صريحة مرة ومبطنّة أخرى وخفية تارة وصارخة حيناً؛ ف(محمود محمد شاكر) يرى إن (نهج البلاغة موضوع وملفق على الإمام علي (عليه السلام)) (لأنه كلام كثير الغثاثة).

تلك غمزة لم يكن محمود محمد شاكر وحده قد غمز بها (النهج) وصاحبه، فقد شاركه بما - وبطريقة أكثر ضلالاً - الدكتور شفيح السيد.

فكتب يقول: (... فضلاً عما اشتهر به الإمام من بلاغة القول وورصانة

العبارة، على نحو لا تستبعد معه نسبة تلك النصوص إليه من حيث تركيبها اللغوي وتشكيلها البياني).

لاشك أن القاريء الكريم قد لفتت نظره عبارة: (لا تستبعد نسبة تلك النصوص إليه..).

إذن فهو يشكك بنسبتها إليه (عليه السّلام) ولكنه لا - يستبعد ذلك، ليس هذا حسب، بل إنه يذهب إلى غمزة أخرى للنيل من (النهج) وصاحبه إذ يقول الدكتور شفيح السيد عن الشيعة: (إن بعضاً منهم غالي في تقديره له - أي للإمام علي (عليه السّلام) - حتى رفعه إلى مستوى من اصطفاهم الله بالوحي، ومن هؤلاء الرضوي نفسه في مقدمته للكتاب، فقد علل سبقه في مضمار البيان وتفوقه على كل من عداه من الخطباء والبلغاء؛ بأن كلامه (عليه السّلام): (الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي).

وعدّ ذلك غلواً من الشيعة؛ وقد نسي الدكتور شفيح السيد وغيره، ممن هم على شاكلته في نمط التفكير، إن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) نفسه كان يقول: «إن النظر إلى وجه علي عبادة».

ونسي - هو وغيره - قول الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لعبد الرحمن بن عوف:

«يا عبد الرحمن أنتم أصحابي وعلي بن أبي طالب مني وأنا من علي، فمن قاسه بغيره فقد جفاني، ومن جفاني آذاني، ومن آذاني فعليه لعنة ربي، يا عبد الرحمن إن الله أنزل عليّ كتاباً مبيناً وأمرني أن

أبين للناس ما أنزل إليهم ما خلا علي بن ابي طالب فإنه لم يحتج إلى بيان لأن الله تعالى جعل فصاحته ودرأيته كدرأيتي».

لا أدري ماذا يقول (السيد) وغيره في : (ما خلا) وفي : (لم يحتج إلى بيان) وفي (درأيته كدرأيتي)؟

فأيهما (غالي) أكثر، الشيعة - ومنهم الرضي في (مسحته) و(عبقته) - أم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في ما نقلنا؟

إن قليلاً من التأمل وقليلاً من الركون إلى الحق وقليلاً من الخروج إلى دائرة الضوء تجعلهم يقولون الحق وينظرون إلى الأشياء بمنظار الحق والإنصاف فلا يغمزون ولا يلمزون. فقال عز وجل :

{وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ}.

إن علي بن أبي طالب عربي وإنه ابن عم الرسول وكاتب وحيه وريب بيته ورفيقه في حله وترحاله، أكثر على كلامه أن تكون فيه (مسحة العلم الإلهي وعبقة من الكلام النبوي)؟

ألا يدعو ذلك إلى الفخر أن عربياً ومسلماً وقريباً من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يحمل إلينا هذا المعطى العظيم والفكر الخلاق في بلاغة وفصاحة ومنهج علمي ثابت، وينبئني عربي آخر، بل مسلم؛ ومن البيت نفسه إلى جمع هذا المعطى في كتاب أسماه (نهج البلاغة) أليس ذلك مما يجب أن نفخر به؟

لا أدري لم هذا التشكيك؟ هل لأنه يحمل اسم الإمام علي (عليه السلام)؟ أم

لأنه حظي بما لم يحظ به أي كتاب قبله وبعده من اهتمام المؤلفين والُشراح؟

وقد بلغت شروحه (75) شرحاً، بقول الأميني في كتابه الغدير و(101) شرحاً بقول الشيخ عبد الزهراء الخطيب الحسيني.

ولم تقتصر الشروح تلك على الشيعة، بل كان معظمهم من غير الشيعة وليس كما ذهب الدكتور شفيح السيد إلى القول: (إن معظم شراح (نهج البلاغة) هم من الشيعة).

لنترك قول الشريف الرضي ولنقرأ قول الشيخ محمد عبده، الذي هو ليس (شيعياً) ولا من (أهل البيت)، إذ يقول: (وليس في أهل هذه اللغة إلا قائل بأن كلام الإمام علي بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله وكلام نبيه، وأغزره مادة وأرفعه اسلوباً وأجمعه لجلائل المعاني).

أما الدكتور زكي نجيب محمود، وهو مثل الشيخ محمد عبده في المذهب، فيقول: (ونجول بأنظارنا في هذه المختارات من أقوال الإمام علي التي اختارها الشريف الرضي (970هـ - 1016م) وأطلق عليها (نهج البلاغة)؛ لنقف ذاهلين امام روعة العبارة وعمق المعنى، فإذا حاولنا أن نصنف هذه الأقوال تحت رؤوس عامة تجمعها؛ وجدناها تدور - على الأغلب - حول موضوعات رئيسة ثلاثة، هي نفسها الموضوعات الرئيسة التي ترد إليها محاولات الفلاسفة قديمهم وحديثهم على السواء ألا وهي: الله والعالم والإنسان.

إذن فالرجل - وإن لم يتعمدها - فيلسوف بمادته، وإن خالف الفلاسفة في إن هؤلاء قد غلب عليهم أن يقيموا لفكرهم نسقاً يحتويها على صورة مبدأ

ونتائجه، وأما هو فقد نثر القول نثراً في دواعيه وظروفه).

في الواقع إن بذرة التشكيك بذرها ابن خلكان إذ قال عن (نهج البلاغة): (إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه).

وأبده في ذلك الصفدي في الوافي بالوفيات، والياضي في مرآة الجنان، وابن حجر في لسان الميزان.

ويبدو أن بذرة ابن خلكان قد نمت وصارت شجرة ولكنها شائكة فتقياً - في ظلالها - بعض كتابنا الذين عزّ عليهم أن يكون عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) هو قائل كلام (نهج البلاغة)، فصاروا يُردّدون أقوال ابن خلكان وغيره من تابعوه من القدماء؛ فجرجي زيدان يقول: (إن كنا نرى إن كثيراً من تلك الخطب ليس العلي بدليل اختلاف الأسلوب ومخالفة ما فيها من المعاني لعصره).

وظل شوقي ضيف يتأرجح في كلامه: (يبدو أن النهج قد (دوّخه) فراح يخبط يخبط عشواء؛ فمرة يقول: (إن علياً قد خلف خطباً كثيرة) وأخرى يقول: (إن - النهج - من وضع الشريف الرضي) ولكي يعزز قوله هذا ويدعمه يقول: (إن الوضع على علي أقدم من عصر الشريف بل من عصر المسعودي).

أية (حزورة) هذه التي (حزرها) شوقي ضيف؟

أما محمود محمد شاكر فقد قال وهو يرد على قول الدكتور زكي نجيب محمود: (لننظر كم اجتمع في هذا الرجل - يعني الإمام علي (عليه السلام) - من أدب وحكمة وفروسية وسياسة؛ قال محمود محمد شاكر: (ألم يكن أسلم له في

طريقه - ويريد : طريق الدكتور زكي نجيب محمود - أن يسأل وإن يحاول أن يفكر على الأقل حتى يثبت من صحة نسبة ما في هذا الكتاب من الأقوال إلى علي (رضي الله عنه)؟ إنه إذا بطل أن يكون هذا الكلام صحيح النسبة إلى علي، كان استخراج صورة علي منه ضرباً من العبث).

ولكن محمود محمد شاكر هذا لم يكتفِ بما قال إذ أراد أن يؤكد شيئاً آخر في نفسه ظل يتغرغر به زمناً طويلاً فقال : (إن النظرة الأولى إلى جملة ما في الكتاب من الكلام، تقطع بأن كثرته الكاثرة لم تجرِ على لسان علي - (عليه السلام) - إلا أقل من العشر..).

وهنا سيكتنف محمود محمد شاكر الصعداء بعد أن يؤكد (إن ابن سلام عندما شرح غريب ما في النهج لم يكن فيه من كلام علي (عليه السلام) ربع من حديث عمر).

وبهذا خرجت الغرغرة وارتاح الرجل لهذه المقارنة التي جهد لها في مقاله، ف(ربع حديث عمر) هي ركيزة المقال ومقصوده.

وعلى غرار بعض الكُتّاب الذين يوردون جملة من الأدلة أو الأمور، ولما لم يكن في حوزتهم شيء آخر يقولونه ختموا ذلك التعداد بقولهم : (وغيرها وغيرها) أو (وما إلى ذلك) أو (الخ..).

وهكذا فعل محمود محمد شاكر وهو يحاول جاهداً تأكيد بطلان (كون ما في النهج ل(علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال : (وهناك أدلة أخرى على بطلان نسبة ما في هذا الكتاب إلى أمير المؤمنين) لأنه عجز أن يورد (أدلة أخرى) كأنه

أدرك أن ما أورده من (أدلة) لم تقم حجة على (بطلان) نسبة ما في النهج إلى الإمام بل قامت دليلاً على بطلان كلامه هو، وأعني كلام محمود محمد شاكر، ولأنه أدرك ذلك أراد أن (يستغفر) لنفسه ويكفر عنها هذا الخطأ في المنهج (العلمي) في تناول موضوعات كهذه، أسرع إلى القول، ولكنه قول مبطن أيضاً فقال : (فكتاب كهذا الكتاب، يدل صريح العقل والنظر وصريح النقل والتثبت على إنه كتاب قريب النسب...).

وممن يعني هذا القرب بالنسب؟ هل من الإمام علي (عليه السلام) أم من الشريف الرضي رحمه الله؟

هكذا (غُلف) قوله ليموه على القارئ في نظره.

ومع ذلك فإنه يؤكد أنه (كان غير لائق بالدكتور زكي أن يتسرع إلى التقاطه دون أن يفحصه ويتحرى عنه فيجعل ما فيه من كلام كثير الغثاثة - وقد كتب أكثره بعد دهور متطاولة - ممثلاً لعلي بن ابي طالب وممثلاً للقرن الأول من الهجرة).

سامحك الله يا رجل!! إنك أردت أن تُعرف بين الناس ك(كاتب) و(باحث) و(أديب) و(محقق) فشهرت سيفك هذا ولكنه كان سيفاً نائياً فصرت كالبائل في بئر زمزم.. ونحن نقول لك : (ما هكذا تورد - يا سعد - الإبل).

إذ إنك أردت أن تتواصل مع ابن خلكان في تشكيكه بصحة نسبة النهج إلى الإمام علي (عليه السلام) ولكنك، وابن خلكان وغيركما كثير، ركبتم أفراساً كبت

وشهرتم سيوفاً نبت، فبقيتم في صحرائكم تلهثون وماء زمزم تشدون، حتى قبض الله لكم من يرشدكم إن بثر زمزم لا يجعل من أي منكم (رسولاً) كمحمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكنكم بقيتم تغطون وجوهكم بغربال لئلا ترون شمس الحقيقة، وإلا ماذا يعني قول الدكتور شفيح السيد إن (نسبة الشريف الرضي - جامع الكتاب - إلى البيت العلوي.. يمكن أن تكون مدعاة للشك ودافعاً إلى الإتهام بالتحيز والتعصب .. وقد قال عنه بعض واصفيه : كان شاعراً مفلقاً فصيح النظم ضخم الألفاظ .. وكان مع هذا مترسلاً كاتباً بليغاً متين العبارات، فمن اليسير على مثله إذن أن يؤلف من الكلام ما يشاكل كلام علي - (عليه السلام) - في جزالة الألفاظ ومثانة السبك).

إن الدكتور شفيح السيد مثل (ربعه) يغالط نفسه، بل يدينها من فمه، كيف؟

إذا كان يعترف إن الشريف الرضي (شاعر مفلق) و(فصيح النظم) و(ضخم الألفاظ) و(كاتب بليغ) و(متين العبارة) فماذا يمنعه أن ينسب ما في النهج إلى نفسه ليحلق بشهرته في سماء الأدب والفكر أكثر؟ نحن نعرف، والدكتور..! يعرف إن ثمة من ينشدون الشهرة يسطون على هذا العمل الإبداعي أوذاك لينسبوه إليهم لأنهم قاصرون أن يأتوا بمثله.

ونحن قد اعترفنا بعدم قصور الشريف الرضي، بل وتمكنه من أدواته، فما الداعي أن ينسب كلاماً لنفسه وهو غيره؟ هذه أول إدانة للدكتور الفاضل..! وثاني إدانة أنه اعترف إن كلام الإمام علي (عليه السلام) يتسم ب(جزالة اللفظ

إذن، إذا كان ما جاء به الشريف الرضي (جزل اللفظ ومتين السبك) فما يمنع أن يكون للإمام علي (عليه السلام)؟ بل أليس الأقرب والأكثر معقولة أن يكون له (عليه السلام) من أن يكون للرضي رحمه الله؟ لاسيما نحن نعرف مكانة الإمام علي (عليه السلام) الفكرية والأدبية، وقد مر بنا شيء منها كثير، وهولا يقبل الطعن.

ولكنه بئر زمزم..! يا له من بئر مغرٍ قصاده الواهمين..! الحاملين على أكتافهم مقولة: (خالف تُعرف).

لعلهم وجدوا خيطاً هنا وخيطاً هناك فشدوا أنفسهم بهما، وإن كان من خيوط العنكبوت، ليتأرجحوا فيراهم الناس وبذلك يحققون الشهرة التي يريدون والمجد الذي ينشدون.

وكان أحد الخيوط العنكبوتية ما ذكره ابن أبي الحديد وهو يختم (شرح نهج البلاغة) بكلمات حكمية قصار، إذ قال: (ونحن الآن ذاكرون ما لم يذكره الرضي مما نسبه قوم إليه - أي إلى الإمام علي (عليه السلام) - فبعضه مشهور عنه، وبعضه ليس بذلك المشهور ولكنه قد روي عنه وعُزي إليه، وبعضه من كلام غيره من الحكماء لكنه كالنظير لكلامه، والمضارع لحكمته، ولما كان ذلك متضمناً فنوناً من الحكمة نافعة رأينا أن لا نخلي هذا الكتاب منه، لأنه كالتكملة والتممة لكتاب (نهج البلاغة)، وربما وقع في بعضه تكرار يسير شذ عن أذهاننا التنبه له لطول

الكتاب، وتباعد أطرافه، وقد عددنا ذلك كلمة كلمة فوجدناها ألف كلمة).

فراحوا يشككون بالنهج كله فيدعون بأنه ليس من كلام الإمام علي عليه السلام.

وبذلك حاكوا ابن خلكان، الذي بذر بذرة التشكيك الأولى - كما ذكرنا - إذ قال في وفيات الأعيان : (وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي - (عليه السلام) -، هل جمعه أم جمع أخيه الرضي؟ وقد قيل إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه).

كما حاكى - من قبل - كل من الصفدي في (الوافي بالوفيات) والياضي في (مرآة الجنان) وابن حجر في (لسان الميزان).

وغير أولئك من القدامى والمحدثين منهم الذهبي في (ميزان الاعتدال) في ترجمة الشريف الرضي : إنه هو المتهم بوضع (نهج البلاغة)، ثم قال : (ومن طالع كتابه (نهج البلاغة) جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي، ففيه السب الصريح، والحط على السيدين أبي بكر وعمر.. الخ).

ومنهم محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمته لشرح النهج إذ يقول : (إن في الكتاب من التعريض بصحابة رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) لا يسلم أن يصح صدوره عن مثل الإمام علي).

وأنكر آخرون أن يكون النهج للإمام علي (عليه السلام) سبب ما فيه من ذكر (الوصي والوصاية)، أو طول بعض الخطب والكتب، كالقاصعة والأشباح، وعهد مالك بما لم يك مألوفاً في صدر الإسلام.

والسجع قام دليلاً آخر - عندهم - على عدم نسبته إلى الإمام (عليه السلام) إذ (لم يعهده عصر الإمام ولا عرفه، وإنما طرأ ذلك على العربية بعد العصر الجاهلي وصدر الإسلام وافتتن به أدباء العصر العباسي، والشريف الرضي جاء من بعد ذلك على ما ألفوه فصنف الكتاب على نهجهم وطريقتهم).

ليس ذلك حسب بل الوصف ودقته دليلهم الآخر على ذلك الإكتشاف (الذري) إذ إن (فيه استفراغ صفات الموصوف، وأحكام الفكرة، وبلوغ النهاية في التدقيق كما تراه في وصف الخفاش والطاووس، والنملة والجرادة، وكل ذلك لم يلتفت إليه علماء الصدر الأول، ولا أدباؤه ولا شعراؤه، وإنما عرفه العرب بعد تعريب كتب اليونان والفرس الأدبية والحكمية، ويدخل في هذا استعمال الألفاظ الاصطلاحية التي عرفت في علوم الحكمة من بعد، كالأين والكيف ونحوهما، وكذلك استعمال الطريقة العددية في شرح المسائل، وفي تقسيم الفضائل أو الرذائل مثل قوله - ويعني الإمام علي (عليه السلام) -:

«الاستغفار على ستة معانٍ».

وقوله (عليه السلام):

«الإيمان على أربع دعائم، الصبر واليقين والعدل والجهد، والصبر منها على أربع شعب».

و(علم الغيب) كان ركيزتهم الأخرى في هذا الاكتشاف، لأنهم وجدوا في الكتاب ما يُشَم منه ريح ادعاء صاحبه علم الغيب، وهذا أمر يجلب عن مثله مقام علي ومن كان على شاكلة علي ممن حضر عهد الرسالة، ورأى نور النبوة.

ثم ماذا بعد هذا؟ هل انتهى ما في جمعيتهم من (أدلة ..!)؟

كلا، فهم أخذوا عليه (ما فيه من الحث على الزهد، وذكر الموت، وقرض الدنيا على منهج المسيح (عليه السلام)).

و(وصف الحياة الاجتماعية على نحو لم يُعرف إلا في عصور متأخرة، ترى في هذه الخطب طعناً شديداً على الوزراء والحكام والولاة والقضاة والعلماء في السلوك والأخلاق، وفي الذمم والضمائر، واصفاً القضاة بالجهل وعدم المعرفة بأحكام الشريعة).

ثم إن بعض ما روي عن علي في (نهج البلاغة) عن غيره في غيره، (كقوله: «كان لي فيما مضى أخٌ عظمه في عيني صغر الدنيا في عيني»).

وهذا مروى عن ابن المقفع، وكقوله (عليه السلام):

«الدنيا دار مجاز...».

يُروى لسحبان وائل).

وأخيراً: (خلو الكتب الأدبية من كثير مما في (نهج البلاغة)).

ص: 90

الضوء الثاني : الرد على المشككين بنهج البلاغة

إشارة

ص: 91

تلك كانت أهم (اكتشافات) المشككين بنسبة ما في (نهج البلاغة) إلى الإمام علي (عليه السلام) فهل نتركهم ينعمون!.. بما توصلوا إليه؟

ونحن نعرف أهم وارثوا (تطلع..!) صاحب بئر زمزم!..!

فقد كان يريد أن يُعرف ويُشار إليه بالبنان.. كما عُرف محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأشير إليه بالبنان.

فكان له ما أراد!.. ولكن شتان بين ما عُرف به الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وما أُشير إليه بالبنان، وما عُرف به صاحب بئر زمزم!.. وما أُشير إليه بالبنان!..!

فأينما كان يُولِّي وجهه كان يُشار إليه بقولهم: (هذا الذي بال في بئر زمزم.. جاء.. ذهب.. قام.. قعد.. الخ) فذكره التاريخ واشتهر!.. حتى جاء أحفاده فأرادوا السير على منهجه فلم يجدوا بئر زمزم وعصر بئر زمزم وأهمية بئر زمزم لقوافل العرب، فلجؤوا إلى (نهج البلاغة) فأدلوها فيه بأرائهم!.. تلك فكان لهم ما أرادوا

من الشهرة.. والصيت .. وإنهم كانوا فرسان حلبتهم ..! في التشكيك بأقوال الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وبذلك تواصلوا مع (صاحب بئر زمزم) وابن خلكان.

أقول : هل تتركهم و(اكتشافاتهم).. تلك؟

بالتأكيد، لا.. لذلك سنرد عليهم بما يرضي الله جل وعلا وما يرضي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما يرضي العقيدة والمبدأ وما يرضي الضمير وما يرضي المنهج العلمي وما يرضي التاريخ النظيف مستعينين بالله الواحد الأحد وما توفر لدينا من مصادر في هذا المجال.

ص: 94

قال الشريف الرضي، في كتابه (المجازات النبوية) عندما ذكر حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):

«أغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة».

قال : ويبين ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلام له :

«تخففوا تلحقوا».

وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم (نهج البلاغة) الذي أوردنا فيه مختار جميع كلامه (صلى الله عليه وعلى الطاهرين من أولاده).

وفي كلامه على الحديث الشريف :

«أسرعكن لحاقاً بي، أطولكن يداً».

قال : (ومثل ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام) :

«من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة».

وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم ب(نهج البلاغة)).

وعند كلامه على الاستعارة في قوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في خطبة له :

«ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة».

قال : (ويُروى هذا الكلام على تغيير في ألفاظه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام)، وقد أوردناه في كتابنا الموسوم ب(نهج البلاغة) وهوالمشتمل على مختار كلامه (عليه السّلام) في جميع المعاني والأغراض والأجناس والأعراض).

وحول قوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) :

«ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهرٌ وبطنٌ، ولكل حرف حد ولكل حد مقطع».

قال : (المراد إن القرآن يتقلب وجوهاً ويحتمل من التأويلات ضرورياً كما وصفه أمير المؤمنين علي (عليه السّلام) في كلام له فقال :

«القرآن حمّال ذووجه...»).

وقد ذكرنا هذا في كتابنا الموسوم ب(نهج البلاغة)). وعن قوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) :

«القلوب أوعية بعضها أوعى من بعضها».

قال : (وربما نُسب هذا الكلام إلى أمير المؤمنين (عليه السّلام) على خلاف في لفظه، فقد ذكرناه في جملة كلامه لكميل بن زياد النخعي في كتاب (نهج البلاغة).

إضافة إلى ذلك فإن الرضي كان يذكر (المجازات النبوية) أثناء شرحه النهج كقوله (عليه السّلام) :

«العين: وكاء له».

فقال الرضي : وهذا من الاستعارات العجيبة.. وقد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم ب(مجازات الآثار النبوية).. ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وقد ذكر ذلك محمد بن يزيد المبرد في كتاب (المقتضب) في باب اللفظ بالحروف، وفي الأظهر الأشهر إنه للنبي عليه الصلاة والسلام.

فعلى ماذا تدل عبارة (وفي الأظهر الأشهر) ألا تدل على أمانة أدبية في نقل النصوص والتثبت من صحة نسبتها؟ فلو كان (النهج) من وضع الرضي لما احتاج إلى أن يحتاط هذا الاحتياط فيرفع كلاما ظهر له أنه ليس للإمام علي (عليه السلام) بل هو للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، تلك واحدة.

وفي كتابه الموسوم ب(في حقائق التأويل)، الذي طُبع منه الجزء الخامس فقط يقول الرضي : (واني لأقول أبداً : لو كان كلامه يلحق بغيره، أو يجري في مضماره بعد كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لكان ذلك كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، إذ كان متفرداً في الفصاحة، لا تزاخمه عليه المناكب، ولا يلحق بعقوه الكادح الجاهد، ومن أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه فلينعم النظر في كتابنا الذي ألفناه ووسمناه ب(نهج البلاغة)، ويشتمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، في جميع الأنحاء والأغراض، والأجناس والأنواع من خطب وكتب، ومواعظ وحكم...، وتلك ثانية.

والثالثة قال الرضي رضي الله عنه في جانب من مقدمة نهج البلاغة : (فإني كنت في عنفوان السن وغضاضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب في (خصائص

الأئمة) يشتمل على محاسن أخبارهم، وجواهر كلامهم، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب، وجعلته أمام الكلام، ولما فرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين علياً (صلوات الله عليه)، وعاقبت عن إتمام الكتاب محاجزات الأيام، ومماطلات الزمان، وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك أبواباً، وفصلته فصولاً - فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه (عليه السلام) من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة، فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائعه، ومتعجبين من نواصعه، وسألوني عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوي على المختار من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وأدب).

وقوله وهو يذكر قول الإمام علي (عليه السلام): «تخففوا تلحقوا» فما سمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر منه محصولاً، وما أبعد غورها من كلمة، وأنفع نطقها من حكمة، وقد نبهنا في كتاب (الخصائص) على عظم قدرها، وشرف جوهرها.

تلك الثلاث تدل، بما لا يقبل الطعن، أن الشريف الرضي هو جامع (نهج البلاغة) وليس المرتضى رحمه الله.

ومن يرى غير ذلك - بعد تلك التصريحات من الشريف الرضي - فهو: (سفة الرأي وإصرار على الخطأ.. فالرضي روي ما رأي وأورد ما ورد...).

إشارة

مررنا بكلام لمحمود شاعر تجنى فيه على الإمام علي (عليه السلام) فقال إن في كلامه - في النهج - كثيراً من الغثاة) وكان في طرحه هذا (الاكتشاف) مفتقراً إلى الحجة المنطقية المقنعة، لذلك فإننا سنسلك معه طرقاً علمية ومنهجية لعله يستتير بها هو وغيره، مما أرهقت أبصارهم وبصائرهم ظلمة الطريق التي سلكوها والدرب الذي اختاروه لأنفسهم.

يقول الشريف الرضي في مقدمة نهج البلاغة: (كان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه ظهر مكنوها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثلته أخذ كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وتقدم وتأخروا؛ لأن كلامه (عليه السلام) الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي.. وهو البحر الذي لا يساجل، والجسم الذي لا يحافل).

أما الشيخ محمد عبده فقد قال في مقدمة شرحه (نهج البلاغة): (فقد أوفي

لي حكم القدر بالإطلاع على كتاب (نهج البلاغة) مصادفةً بلا تعمد، أحبته على تغير حال، وتبلبل بال، وتزاحم أشغال، وعظلة من أعمال، فحسبته تسلية وحيلة للتخلية فتصفّحت بعض صفحاته، وتأمّلت جملاً من عباراته، من مواضع مختلفات، وموضوعات متفرقات، فكان يُخِيل إليّ في كل مقام إن حروياً شبت وغارات سُتت، وإنّ للبلاغة دولة، وللفصاحة صولة.. وإن جحافل الخطابة وكتائب الذرابة، في عقود النظام، وصفوف الانتظام، تنافح بالصفيح الأبلج، والقويم الأملج.. وإن مدبّر تلك الدولة، وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد، وتحوّل المعاهد؛ فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية في حُلل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية وتدنو من القلوب الصافية.. وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدياً، فُصّل عن الموكب الإلهي، واتصل بالروح الإنساني، فخلعه عن غايات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى، ونما به إلى مشهد النور الأجلّي، وسكن به إلى عمار جانب التقديس، بعد استخلاصه من شوائب التليس).

وهذا عبد الحميد الكاتب يقول: (حفظت سبعين خطبة من خطبه (أي من خطب الإمام علي (عليه السّلام)) ففاضت ثم فاضت).

ولما سُئل ما الذي خرّجه في البلاغة؟ قال: (خطب الأصلع).

ومثل ذلك قال ابن نباتة المصري: (حفظت من الخطابة كنزاً، لا يزيد

الإِنْفَاقُ إِلا سَعَةً، حَفِظْتَ مِئَةَ فَصَلٍ مِنْ مَوَاعِظِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ).

أما الشريف المرتضى فقد روى : (إن الحسن البصري كان بارع الفصاحة بليغ المواضع كثير العلم، وجميع كلامه في الوعظ، وذم الدنيا، أوجله مأخوذاً لفظاً ومعنى، أو معنى دون لفظ، من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فهو القدوة والغاية).

وكان ابن المقفع يقول عن خطب الإمام علي (عليه السلام) : (شربت من الخطب رياً ولم أضبط لها رويًا، ففاضت ثم فاضت فلا هي نظاماً، وليس غيرها كلاماً).

أما الأستاذ أحمد محمد الحوفي فقد أوجز لنا في كتابه (بلاغة الإمام علي) صفات تعبيرات الإمام علي (عليه السلام) فقال :

1. تخير المفردات

(بحيث تتسجم مع الناحية الصوتية فتجيء خفيفة على اللسان، لذيدة الوقع في الأذن، موافقة لحركات النفس، مطابقة للعاطفة التي أزعجتها والفكرة التي أملتتها).

ويورد أمثلة على ذلك مثل قوله في كتاب إلى عماله على الخراج :

« إنكم خزان الرعية، ووكلاء الأمة، وسفراء الأمة».

وقوله لمعاوية :

«لست بأمض على الشك مني على اليقين».

ص: 101

وقوله (عليه السّلام) :

«كلما أطل عليكم منسر... أغلق كل رجل بابه، وانجحر انجحر الضبة في جحرها والضبع في وجارها».

وقوله (عليه السّلام) :

«من أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه».

وقوله (عليه السّلام) :

«إن تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمى أفندتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء غشاء أبصاركم، وأمن فزع جأشكم، وضيء سواد ظلمتكم».

2. قوة التعبير

«ومن السهل أن نجد كثيراً مما يتصف بالقوة والجزالة والفخامة في خطب الإمام علي وفي رسائله، تعبيراً عن عواطفه وأفكاره التي تقتضي التعبير القوي الفخم الملائم لشدتها وقوتها وحرارتها».

ومن الأمثلة والنماذج قوله :

«والله لا- أكون كالضبع تنام على طول اللدم حتى يصل إليها طالبها، ويختلها راصدها، ولكني أضرب بالمقبل إلى الحق المدبر عنه، وبالسامع المطيع العاصي المريب أبداً، حتى يأتي عليّ يومي».

وقوله (عليه السّلام) :

«ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها، ألا وإنه من لم ينفعه الحق يضره الباطل، ومن لم ينقم به الهدى يجربه الضلال،

ألا وإنكم قد أمرتم بالضعن، ودلتم على الزاد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل».

وقال في خطبة يخوف بها أهل النهروان :

«فأنا نذيرٌ لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط على غير بينة من ربكم ولا سلطان مبین معكم، قد طوّحت بكم الدار، واحتبلكم المقدار، وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة، فأبيتكم عليّ إباء المخالفين، المنابذين، حتى صرفت رأيي إلى هواكم، وأنتم معاشر أخفاء الهام، سفهاء الأحلام، ولم آت - لا أبا لكم - بجرأ، ولا أردت بكم ضراً».

3. سهولة التعبير

مثل قوله في كتاب إلى عبد الله بن عباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر :

«فعند الله نحسبه ولدأ ناصحاً، وعاملاً كادحاً، وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً، وقد كنت حثت الناس على لحاقه، وأمرتهم بغيائه قبل الوقفة، ودعوتهم سراً وجهرأ، وعودأ وبدءا، فمنهم الآتي كارهاً، ومنهم المعتل كاذبأ، ومنهم القاعد خاذلاً».

وقوله في رسالة إلى عمر بن العاص قبل التحكيم :

«أما بعد، فإن الدنيا مشغلة عن غيرها، ولن يصيب صاحبها منها شيئاً إلا فتحت له حرصاً يؤيده فيها رغبةً، ولن يستغني صاحبها بما نال عما لم يبلغ، ومن وراء ذلك فراق ما جمع، والسعيد من وعظ بغيره، فلا تحبط أبا عبد الله أجرك».

وقوله (عليه السّلام) في خطبة له :

«اسمعوا قولي، وأطيعوا أمري فوالله لئن أطمعتموني لا تغفون، وإن عصيتموني لا ترشدون، خذوا للحرب أهبتها، وأعدّوا لها عدّتها، فقد شبت نارها.. ألا- إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والمكر والجفاء بأولى في الجدد في غيهم وضلالتهم من أهل البر والزهادة والإخبات في حقهم وطاعة ربهم. إني والله لولقيتهم فرداً وهم ملأ- الأرض ما باليت ولا استوحشت، وإني من ضلالتهم التي هم فيها والهدى الذي نحن عليه لعلّ ثقةً وبيّنةً ويقين وبصيرة. فانفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون».

4. قصر الفقرات

مثل قوله (عليه السّلام) لَمَّا أغار النعمان بن بشير الأنصاري على عين التمر :

«منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أبا لكم، ما تنتظرون بنصركم ربكم؟ أما دينٌ يجمعكم، ولا حمية تحشّ مكم، أقوم فيكم مستصرخاً، وأناديكم متغوّثاً، فلا تسمعون لي قولاً ولا تطيعون لي أمراً، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة فما يدرك بكم ثأر، ولا يبلغ بكم مرام».

أو كقوله (عليه السّلام) :

«فتداكوا عليه تذاك الإبل يوم وردها، وقد أرسلها راعيها، وخلعت مثنائها، حتى ظننت أنهم قاتليّ، أو بعضهم قاتل بعض لديّ، وقد قلبت

هذا الأمر بطنه وظهره، حتى منعني القوم، فما وجدتنني يسعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فكانت معالجة القتال أهون عليّ من معالجة العقاب ، وموتات الدنيا أهون عليّ من موتات الآخرة».

وقوله (عليه السلام) في كتاب إلى أمراء جيوشه :

«ألا وإن لكم عندي ألاّ احتجز دونكم سراً إلا في حرب، ولا أطوي دونكم أمراً إلا في حكم، ولا أؤخر لكم حقاً عن محلّه، ولا أقف به دون مقطعه، وأن تكونوا عندي في الحق سواء، فإذا فعلت ذلك وجبت والله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة، ولا تنكصوا عن دعوة، ولا تفرطوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق».

5. كثرة الصيغ الإنشائية

وهي (الأمر والنهي والاستفهام والترجّي والتمني والنداء والقسم والتعجب).

وهي أقوى من الصيغ الخبرية تجديداً للسامعين، وأشد تنبيهاً وأكثر إيقاظاً، وأدعى إلى مطالبتهم بالمشاركة في القول وفي الحكم، وهي في الوقت نفسه أدق في تصوير مشاعر الخطيب وأفكاره، لأن أفكاره ومشاعره المتنوعة في حاجة إلى أساليب متغايرة تفصح عنها، ثم إن مغايرة الأساليب تستتبع مغايرة في نبرات الصوت وفي الوقفة والإشارة وطريقة الإلقاء. وهذا كله عون على الوضوح من ناحية وعلى التأثير في السامعين من ناحية أخرى).

ص: 105

ذلك ما قاله الدكتور أحمد محمد الحوفي، ولكي يعزز قوله بالدليل أورد أمثلة على ما قال وهي :

1. من الأمر قوله :

«فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القرض».

وقوله (عليه السلام) :

«فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته، ووقائعه ومثلاته، واتعضوا بمثاوي حدودكم، ومصارع جنوبكم، واستعيذوا بالله من لوائح الكبر، كما تستعيذون من طوارق الدهر».

وقوله (عليه السلام) :

«ليتأسن صغيركم بكبيركم وليرأف كبيركم بصغيركم».

2. من النهي قوله (عليه السلام) :

«فلا تجعلن للشيطان فيك نصيباً، ولا عن نفسك سيلاً».

وقوله (عليه السلام) :

«ولا ترخصوا لأنفسكم، فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة، ولا تدهنوا فيهجم بكم الإدهان على المعصية، ولا تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب، ولا تباغضوا فإنها الحالقة».

وقوله (عليه السلام) :

«فلا يغرنكم ما أصبح فيه أهل الغرور، فإنما هو ظل ممدود إلى أجل معدود».

ص: 106

وقوله (عليه السّلام) :

«إِن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا».

وقوله (عليه السّلام) :

«عباد الله لا تركنوا إلى جهّالكم، ولا تركنوا إلى أهوائكم».

وقوله (عليه السّلام):

«لا يؤنسنكم إلا الحق، ولا يوحشكنم إلا الباطل».

وقوله (عليه السّلام):

«فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الجرب».

وقوله (عليه السّلام) :

«فلا تكلموني بما تكلم به الجبابة، ولا تتحفظوا مني بما يُتحفظ به عند أهل البادية، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقلاً في حقّ قبل لي، فلا تكفّوا عن مقالةٍ بحق أو مشورةٍ بعدل».

3. ومن الاستفهام قوله (عليه السّلام):

«أبعد إيمان برسول الله (صلى الله عليه وآله) وهجرتي معه، وجهادي في سبيل الله، أشهد على نفسي بالكفر، لقد ضللت، إذن، وما أنا من المهتدين».

وقوله (عليه السّلام) :

«هل يُحس به - ملك الموت - إذا دخل منزلاً؟ أم تراه إذا توفّي أحداً؟ بل كيف يتوفّي الجنين في بطن أمه؛ أيلج عليه من بعض جوارحها؟ أم

الروح أجابته بإذن ربها؟ أم هوساكن معه في أحشائها؟ كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله؟».

وقوله (عليه السلام) :

«أين العقول المستصبحة بمصاييح الهدى والأبصار اللامحة إلى منازل التقوى؟ أين القلوب التي ذهبت لله وعوقدت على طاعة الله؟».

4. ومن الترجي قوله (عليه السلام) :

«فاسمعوا قولِي، وعوا منطقي، عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم تتنضي فيه السيوف».

وقوله (عليه السلام) :

«لعل الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة».

وقوله (عليه السلام) :

«لا تعجل في عيب أحد بذنبه، فلعله مغفور له، ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك معذب عليها».

وقوله (عليه السلام) :

«هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيير الأطمعة، ولعل بالحجاز وباليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشعب».

5. ومن التمني، قوله (عليه السلام) :

«يا أشباه الرجال ولا رجال... لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم».

وقوله (عليه السلام) :

«قد دارستكم الكتاب، وفاتحتكما المجاج، وعرفتكم ما أنكرتكم، وسوغتكم ما مججتكم، لو كان الأعمى يلحظ، أو النائم يستيقظ».

6. ومن النداء، قوله (عليه السلام) :

أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة».

وقوله (عليه السلام) :

«فاتقوا الله عباد الله، وفروا إلى الله من الله».

وقوله (عليه السلام) يخاطب فئة من الناس :

«أيها الناس المجتمعة، المختلفة أهواؤهم كلامكم يوهم الصم الصلاب، وفعلكم يُطمع فيكم الأعداء...».

7. ومن القسم قوله (عليه السلام) :

«أما والله ما أتيتكم اختياراً ولكن جئت إليكم سوقاً».

وقوله (عليه السلام) :

«والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام؟».

8. ومن التعجب، قوله (عليه السلام) :

«سبحانك ما أعظم شأنك، سبحانك ما أعظم ما نرى من ملكوتك، وما أحقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك، وما أسبخ نعمك في الدنيا، وما أصغر عظيمه في جنب قدرتك، وما أصغرهما في نعم الآخرة».

وقوله (عليه السلام) :

ص: 109

« إستموا نعم الله عليكم بالصبر على طاعته والمجانبة لمعصيته، فإن غداً من اليوم قريب».

وقوله (عليه السلام):

«ما أسرع الساعات في اليوم، وأسرع الأيام في الشهر، وأسرع الشهور في السنة، وأسرع السنين في العمر».

وقوله (عليه السلام):

«فيا عجباً، عجباً والله يميت القلب، ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم».

9. السجع والترسل، جاء في إحدى خطبه (عليه السلام):

«فليقبل امرؤ كرامة بقبولها، وليحذر قارعة قبل حلولها، ولينظر امرؤ في قصير أيامه، وقليل مقامه، في منزل حتى يستبدل به منزلاً، فليصنع لمتحوله ومعارف منتقله، فطوبى لذي قلب سليم أطاع من يهديه، وتجنب من يرديه، وأصاب سبيل السلامة ببصر من بصره، وطاعة هادٍ أمره، وبادر الهدى قبل أن تغلق أبوابه، وتقطع أسبابه، واستفتح التوبة وأحاط الحوبة، فقد أقيم على الطريق وهدى نهج السبيل».

ومن قوله (عليه السلام) حين أنكر عليه الخوارج تحكيم الرجال :

«إنا لم نحكم الرجال؛ إنما حكمنا القرآن، هذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولا بد له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرجال، ولما دعانا القوم إلى أن نحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله - سبحانه وتعالى - وقد قال الله - عز

من قائل -:

{ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ }.

فَرُدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ وَرَدَّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فِي التَّحْكِيمِ، فَإِنَّمَا فَعَلْتَ ذَلِكَ لِتُبَيِّنَ الْجَاهِلَ، وَيُثَبِّتَ الْعَالَمَ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَصْلِحَ فِي الْهَدْيَةِ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا تَأْخُذَ بِأَكْضَامِهَا - أَي مَخَارِجِ الْأَنْفَاسِ -».

10. التوازن : كثيراً ما تجيء الجملة في (نهج البلاغة) متوازنة، بأن يتساوى عدد كلماتها، أو تتماثل أوزان نهاياتها، وهذا ضرب آخر من موسيقى التعبير يحبه إلى السمع ويقربه إلى الذوق.

يقول الدكتور الحوفي : (والتوازن أو الموازنة بهذا المعنى أهم من السجع، لأن السجع ورود أجزاء الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد مثل : القريب والحسيب والغريب، أما الموازنة بين أواخر الكلمات فهي مثل : القريب والشهيد والجليل، فالوزن واحد والحرف الأخير مختلف).

ومن الموازنة قول الإمام علي (عليه السلام) :

«لم يؤده خلق ما ابتداءً، ولا تدبير ما ذراً، ولا وقف عجزاً عما خلق، ولا ولجت عليه شبهته فيما قضى وقدر، بل قضاء متقن وعلم محكم، وأمر مبرم».

وقوله (عليه السلام) :

«إن غاية تنقصها اللحظة، وتهدمها الساعة، لجديرة بقصر المدة، وإن غائباً يحدوه الجديدان، الليل والنهار، لحري بسرعة الأوبة، وإن

قادماً يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة، فيالها جسرة على ذي غفلة، أن يكون عمره عليه حجة، وأن تؤديه أيامه إلى الشقوة، نسأل الله، سبحانه، أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره النعمة، ولا تقصر عن طاعة ربه غاية، ولا تحل به بعد الموت ندامة ولا كآبة».

وقوله (عليه السلام) :

«إن الزاهدين في الدنيا تبكي قلوبهم، وإن ضحكوا... ويشد حزنهم وإن

فرحوا، ويكثر مقتهم أنفسهم وإن اغتبطوا بما رزقهم».

ويقول الدكتور الحوفي : (وقد يجيء التوازن في داخل الجمل لا في نهاياتها، فيؤلف انسجاماً في نطق الكلمات وفي سماعها، مثل قوله (عليه السلام) : الحمد لله غير مقنوط من رحمته، ولا مخلو من نعمته، ولا ميؤوس من مغفرته، ولا مُستكف عن عبادته، الذي لا تبرح منه رحمة، ولا تُفقد له نعمة).

فقد وزن (عليه السلام) بين مقنوط ومخلوق وميؤوس، إضافة إلى السجع، كما استعرض الدكتور الحوفي مطالب بلاغية أخرى كالجناس والطباق والمقابلة والتوشيح.. مما ورد في خطب وأحاديث ومراسلات ووصايا الإمام علي عليه السلام.

كما استعرض التشبيه والكناية والاستعارة والمجاز.. التي برع فيها الإمام (عليه السلام) براعة منقطعة النظير، في شتى شؤون المعرفة، والعقل، والنفس، وفي مختلف قضايا البشر والدين والدنيا.

وقبل الدكتور الحوفي قال معاوية، وهو يرد على من قال له : جئتك من عند

ص: 112

أعيا الناس، قال له معاوية : (ويحك، كيف يكون أعيا الناس فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره).

قال الرسول الأكرم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

«أنا مدينة العلم - أو الحكمة - وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها».

صدق رسول الله وكذب محمود محمد شاكر في ادعائه إن في قول الإمام (غثاثة).

اللهم اشهد إن كانت البلاغة بفروعها والفصاحة بأصالتها، وتقائها وصفائها التي وردت على لسان إمام البلاغة وسيد الفصحاء الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام والتي وقفنا على بعضها في ما نقلنا من فقرات... أقول : إن كانت تلك البلاغة والفصاحة (غثاثة) فأنا أول المتمسكين بها؛ فغث الإمام سمين وسمين أعدائه غث، لأنه رضع لبانها من منبع النبوة الصافي فوضع لنا أسسها وشيد بنيانها فكانت أقوى الأسس وأجمل بنيان وأحكمه.

ولا نريد أن نضيف شيئاً إلى ما جاء به الدكتور الحوفي عسى أن تكون تلك الشواهد على بلاغة وفصاحة الإمام علي (عليه السلام) شموعاً تنير درب التائهين الحيارى، أمثال محمود محمد شاكر وقاه الله يوم لا مفر منه.

إشارة

لقد تكلمنا في الضوء الأول (جامع النص) وبيّنا بالدليل الواضح إن الشريف الرضي - وليس المرتضى - هو جامع (النهج) ورددنا على المشككين في كون (النهج) للإمام علي (عليه السلام) أو أن بعضه له وبعضه ليس له، ثم رددنا على محمود محمد شاكر في الضوء الثاني (الغثاة)، وعلينا في هذه الفقرة أن نتبسط في الكلام فنبين - بالحجة الدامغة، كما هو منهجنا دائماً - إن ما في (نهج البلاغة) ألفه إلى يائه يعود إلى الإمام علي (عليه السلام) وللرضي جهد الجامع لا الواضع.

وقبل أن نورد ما عندنا من دليل على عائدية ما في (النهج) إلى الإمام علي (عليه السلام) علينا أن نستأنس بأقوال قيلت في بلاغته وفصاحته (عليه السلام) لأنها ستساعدنا على فهم شخصية علي بن أبي طالب في هذا المجال وبذلك نكون قد مهدنا لموضوعنا وسهلنا على المشككين كثيراً من مغاليق أفهامهم ليتمكن فتحها ليطلوا على رحاب الحقيقة الواضحة.

لنقرأ قول غيره فيه :

قال معاوية بن أبي سفيان : (ما رأيت أحداً يخطب ليس محمداً أحسن من علي إذا خطب، فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره).

وقال الحارث الأعور : (والله لقد رأيت علياً وإنه ليخطب قاعداً كـقائم ومحارباً كمسالمة).

وقال الشريف الرضي : في مقدمة (النهج) : (وعلى أمثله حدا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ).

أما ابن الجوزي فقال في التذكرة : (كان علي ينطق بكلام قد حفَّ بالعصمة، ويتكلم بميزان الحكمة، كلام ألقى الله عليه المهابة، فكل من طرق سمعه راقه فهابه، وقد جمع الله له بين الحلاوة والملاحة، والطلاوة والفصاحة، لم تسقط له كلمة ولا بارت له حجة، أعجز الناطقين، وحاز قصب السبق في السابقين).

ولنقرأ قول محمد بن طلحة الشافعي في (مطالب السؤل) : (الفصاحة تنسب إليه - أي الإمام علي (عليه السلام) - والبلاغة تنقل عنه والبراعة تُستفاد منه، وعلم البيان والمعاني غزيرة فيه).

ونكرر قول عبد الحميد الكاتب : إذ سُئل ما الذي خرجك في البلاغة؟

قال : ((حفظت سبعين خطبة من خطب الأ صلح ففاضت ثم فاضت)).

وكذا قال ابن المقفع.

ولنقرأ قول ابن أبي الحديد المعتزلي في طيات شرح (النهج) : (واعلم إننا لا

يخالجنا الشك في أنه (عليه السلام) أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الأولين والآخرين إلا من كلام الله سبحانه، وكلام رسول الله (صلى الله عليه وآله).. حتى يقول: ((واعلم أن تكلف الاستدلال على أن الشمس مضيئة يُتعب، وصاحبه منسوب إلى السفه، وجاحد الأمور المعلومة علماً ضرورياً أشد سفهاً ممن رام الاستدلال بالأدلة النظرية عليها).

وأخيراً قال محمد عبده في مقدمة شرح ((نهج البلاغة)) ((مهتماً اختلفت الناس في شيء من مناقب أمير المؤمنين وفضائله وميزاته وخصائصه فإنهم لا يختلفون بأنه إمام الفصحاء وسيد البلغاء وإن كلامه أشرف الكلام وأبلغه بعد

كلام الله وكلام نبيه، وأغزره مادة وأرفعه أسلوباً، وأجمعه لجلائل المعاني)).

تلك كانت نتف من أقوال منها من مضطرين ومنها من منصفين ولكنها جميعاً كانت تقول: إن علي ابن أبي طالب (عليه السلام) سيد البلغاء وسيد الفصحاء. وإذا ما عرفنا إن مدة تولي الإمام (عليه السلام) كانت صاخبة؛ فمن حرب الجمل إلى حرب صفين فالنهران، فإنه من الطبيعي أن يعالج الإمام (عليه السلام) تلك الأحداث بكتبته وخطبه ووصاياها. وهي مسألة طبيعية لكل حاكم وفي كل عصر، وإذا كان ذلك طبيعي - وهو طبيعي فعلاً - فإن من الطبيعي جداً أن ينبري من المختصين إلى جمع تلك الخطب والأحاديث والمراسلات والوصايا، سواء في زمانه أو بعد زمانه، كوثائق تاريخية عن عهده (عليه السلام).

وقد بلغ اهتمام الناس بكلامه (عليه السلام) وشغفهم به أن أطلقوا على بعض خطبه أسماء خاصة للتعريف بها، والتميز بينها، مثل:

((التوحيد، الشكشقية، الهداية، الملاحم، اللؤلؤة، الغراء، القاصفة، الافتخار، الأشباح، الدرّة اليتيمة، الأقاليم، الوسيلة، الطالوتية، القصيبة، النخيلة، السليمانية، الناطقة، والدامغة الفاضحة المخزون، الديباج، والبالغة، المنبرية والمكاييل، المؤنقة، - أي الخالية من الألف -، العارية عن النقط، والزهراء.

إذن، اهتم الناس بجمع خطب وأحاديث وكتب ووصايا الإمام (عليه السّلام) ولم يكن الشريف الرضي رحمه الله هو السابق إلى جمع كلام أمير المؤمنين علي (عليه السّلام) ولا الأوّل في تدوينه؛ فقد عني الناس به عناية بالغة، وحظي بما لم يحظ به كلام أحد من البلغاء - على كثرتهم - قبل الإسلام وبعده، ودوّنوه في عصره، وحفظوه في أيامه، وكتبوه ساعة إلقائه.

هذا زيد بن وهب الجهني، وكان من أصحابه، وشهد معه بعض مشاهده، جمع كتاباً من خطبه، سلام الله عليه، وهذا الحارث الأعور، صاحبه وكان من المنقطعين إليه، والمجاهدين بحبه وتفضيله على غيره، روى عنه وأخذ من علومه،

الذي توفي سنة 65 هـ. فقد دوّن بعض خطبه (عليه السّلام) ساعة إلقائها.

وهذا الأصبغ ابن نباتة المجاشعي، وكان من خاصة أمير المؤمنين، روى للناس عهده للأشتر النخعي لما ولّاه مصر، ووصيته لولده محمد بن الحنفية وشريح القاضي وكميل بن زياد النخعي، ونوف البكالي، وضرار بن ضمرة

الضبائي.. كلهم سمعوا بعض كلامه فحفظوه، ورووه للناس كما سمعوه.

وذكر الجاحظ : إن خطب علي (عليه السلام) كانت مدونة محفوظة مشهورة. وقال ابن واضح في كتابه (مشكلة الناس لزمالهم) :

كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) مشتغلاً أيامه كلها في الحرب إلا أنه لم يلبس ثوباً جديداً، ولم يتخذ ضيعة، ولم يعقد على مال (أي لم يجمعه) إلا ما كان يبيع والبعثة (عين بالمدينة) مما يتصدق به، وحفظ الناس عنه الخطب، فإنه خطب أربعمئة خطبة، حفظت عنه، وهي التي تدور بين الناس، ويستعملونها في خطبهم)).

وأحصى المسعودي - في مروه - ما كان محفوظاً - ما كان محفوظاً من خطبه (عليه السلام)

فقال :

(والذي حفظ الناس من خطبه في سائر مقاماته أربعمئة ونيف وثمانين. وقال سبط بن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص ((أخبرنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسيني باسناده إلى الشريف المرتضى قال : ((وقع إلي من خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) أربعمئة خطبة)).

وذكر القطب الراوندي أنه وجد بمكة كتاباً في واحد وعشرين جزءاً كله في كلام الإمام علي (عليه السلام)).

تلك هي أقوال من تقدموا على الشريف الرضي بزمان طويل، إذ أكدت أن خطب الإمام علي (عليه السلام) كانت مدونة ومحفوظة وقد أربت على أربعمئة خطبة. وإذا ما علمنا أن الشريف الرضي لم يختر منها إلا (121) خطبة فقط ظهر

ص: 118

لنا جلياً إن ما في ((النهج)) هولاً لمام علي (عليه السّلام) وليس من وضع الشريف الرضي أو غيره، ما خلا ما صرّح به ابن أبي الحديد؛ أنه اختار جملاً قصاراً في آخر النهج منها للإمام ومنها لغيره ولكنها تشبه كلامه، وليته ما اختارها وليته ما صرّح به لأنها كانت قميص عثمان في يد المشككين، ولكن الحقيقة تبقى كما هي لا يمكن نكرانها إذا ما انبرى لها من يكشف عن وجهها الناصع، وما نحن فعلنا ذلك مع من فعل من قبلنا.

وزيادة في التأكيد على أن ما في ((النهج)) هولاً لمام علي (عليه السّلام) نشير إلى بعض المؤلفات التي ألفت قبل ((النهج)) الذي ألفه الشريف الرضي، وكلها تتحدث عن كلام الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السّلام) وهي :

1 _ خطب أمير المؤمنين (عليه السّلام) على المنابر في الجمع والأعياد وغيرها، لزيد بن وهب الجهني، وهو أول كتاب جمع في كلامه (عليه السّلام)، إذ إن مؤلفه أدرك الجاهلية والإسلام، وتوفي سنة 96 هـ.

2 _ خطب أمير المؤمنين (عليه السّلام) المروية عن الإمام الصادق (عليه السّلام). وقد وصلت نسخة من هذا الكتاب إلى السيد علي بن طاووس (قُدس سرّه) وكتب عليها إنها كتبت بعد المئتين من الهجرة. وعن هذا الكتاب، والذي بعده نقل الرضي خطبة الأشباح في ((نهج البلاغة)).

3 _ خطب أمير المؤمنين (عليه السّلام)، لمسعدة بن صدقة العبدي، وهو من علماء الجمهور، وكان هذا الكتاب موجود إلى زمن السيد هاشم البحراني المتوفى

سنة 107 أو 109 ونقل عنه كثيراً في تفسيره (البرهان) وذكره في مقدمة كتابه المذكور.

4_ كتاب الخطبة الزهراء لأمير المؤمنين لأبي مخنف لوط بن يحيى بن مخنف بن سليم الأزدي شيخ أصحاب الأخبار في الكوفة المتوفى سنة 157 هـ.

5_ خطب أمير المؤمنين :

لإسماعيل بن مهران بن أبي النصر زيد السكوني الكوفي، ذكره النجاشي في فهرسه.

6_ خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) : للسيد الجليل عبد العظيم بن عبد الله بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام).

7_ خطب علي (عليه السلام) : لإبراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري. وقد ذكره الطوسي في فهرسه، وهو من أصحاب أواخر القرن الثاني.

8_ خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) : برواية الواقدي أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد المدني المتوفى سنة 207.

9_ خطب علي (عليه السلام) : لأبي الفضل نصر بن مزاحم المنقري الكوفي العطار، وكان من علماء الأخبار وشيخ أصحاب المغازي والسير، وصاحب كتاب ((صفين)) الذي احتوى على كثير من خطب الإمام وكتبه ووصاياه، يوافق بعضها بعض ما جاء في ((نهج البلاغة)). وهو من علماء القرن الثاني. إذ قال ابن النديم عنه إنه من طبقة أبي مخنف، وقيل إن وفاته كانت سنة 202 هـ. ولا شك إن

ص: 120

الرضي اعتمده مصدراً من مصادره في (النهج).

10_ خطب علي كرم الله وجهه : لأبي المنذر بن محمد بن السائب الكلبي المتوفي سنة 205 هـ وقيل 206 هـ. وكان قد نشأ في الكوفة، وهو نسبة وعالم بأخبار العرب وأيامها، وقد اتصل ابوه بالإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، فأخذ هشام عن أبيه أخباره وعلومه، ولأنه من بيت معرفة بالتشيع، لأهل البيت (عليهم السلام) لم يدخله الذهبي بين الحفاظ المشاهير وسماه محمد بهجة الأثري - من المعاصرين - ب(الزنيمة) في حاشيته على ((بلوغ الإرب)) 2/5. ولهذا السبب انمحت آثاره.

11_ خطب علي وكتبه إلى عماله : لأبي الحسن علي بن محمد المدائني، وقد ذكره ابن النديم في فهرسه. وقد صنّف كتباً كثيرة منها : ((خطب النبي صلى الله عليه وآله)) و((خطب علي وكتبه إلى عماله)) و((كتاب من قتل الطالبين)) و(كتاب الفاطميات).

وقال صاحب الكنى والألقاب إنه قد توفي سنة 225 هـ.

12_ خطب أمير المؤمنين (عليه السلام):

لصالح بن حماد الرازي، وقد عدّه النجاشي في فهرسه من رجال المئة الثالثة، إذ كان قد صحب الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

13_ مئة كلمة لأ-مير المؤمنين علي بن أبي طالب : وقد اختارها الجاحظ من كلام الإمام علي (عليه السلام)، واختار الرضي منها في ((النهج)) وذكرها

ص: 121

الخوارزمي في ((المناقب)) بسنده عن أبي بكر محمد بن دريد صاحب أبي عثمان الجاحظ فقال : كان الجاحظ يقول لنا زماناً إن الأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مئة كلمة كل كلمة منها تفي بألف كلمة من محاسن كلام العرب، قال : وكنت أسأله دهرأ بعيداً أن يجمعها لي، ويمليها عليّ، وكان يعدني بها، ويتغافل عنها، ظناً بها.. فلما كان آخر عمره أخرج جملة الكلمات المئة هذه ثم ذكرها.

وروي ذلك في ((الحدائق الوردية)) عن كتاب ((جلاء الأبصار)) عن الحاكم بإسناده إلى الجاحظ.

ولم يرض الأمدى عن الجاحظ لاقتصاره على هذه المئة وقال عنها :

إنها (بعض من كل، وطلّ من وبل) مما دعاه إلى تأليف كتابه (الحكم ودرر الكلم).

14_رسائل أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخباره وحروبه :

ذكره الطوسي في فهرسه بأنه إبراهيم بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي

الكوفي، وكان زيدي الرأي ثم تحول إلى الإمامية، كما قال صاحب تأسيس الشيعة، وذكر وفاته بأنهما في سنة 283 هـ.

15_ الخطب المعربات : لإبراهيم بن جلال بن عاصم بن مسعود الثقفي صاحب كتاب ((رسائل أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخباره وحروبه الذي ذكرناه بالرقم (14)).

قال عنه السيد هبة الدين في كتابه ((ما هو هج البلاغة)) - وهو ينقل عن

ص: 122

النجاشي -: ((إن هذا الكتاب من جملة المؤلفات في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام))).

ويحتمل عبد الزهراء الحسيني الخطيب في كتابه ((مصادر نهج البلاغة وأسانيده)) أن يكون اسم هذا الكتاب ((الخطب المقرييات)) إذ قال : [وقد يسمى هذا الكتاب بالخطب المقرييات (بالقاف بعد الميم والمثناة التحتانية بعد الراء)].

16 _ خطب أمير المؤمنين (عليه السلام):

ذكر النجاشي لأبي إسحق إبراهيم بن سليمان بن عبيد الله بن خالد الحراز الكوفي النهمي (نسبة إلى بطن من همدان) بعنوان (الخطب) وذلك عن رواية آخرهم حميد بن زياد المتوفي سنة 310 هـ مما يدل على إن النهمي كان في أواخر القرن الثالث الهجري، وذكره السيد هبة الدين في كتابه (ما هو نهج البلاغة) بأنه لأمر المؤمنين (عليه السلام)).

17 _ خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) مع شرحها :

للقاضي النعمان المصري المتوفي سنة (363 هـ) عدّه من تصانيفه في كتابه (الهمّة في معرفة الأئمة) وقد ألفه سنة 310 هـ. وكان الرضي قد ولد سنة 359 هـ. وهذا يعني إن الكتاب لم يكن شرحاً ل((نهج البلاغة)) كما صدر عن البعض، وقد تّبّه إلى ذلك صاحب كتاب ((الذريعة)).

18 _ خطب أمير المؤمنين (عليه السلام).

19 _ مواعظ علي (عليه السلام).

20 _ رسائل علي (عليه السلام)، وقد ذكره النجاشي في فهرسه.

21 _ كلام علي (عليه السلام).

22 _ الملاحم، وقد ذكره النجاشي في فهرسه.

قال عبد الزهراء الخطيب في كتابه ((مصادر نهج البلاغة وأسانيده)) (وهو يعتمد كتاب ((المراجعات الريحانية)) للإمام كاشف الغطاء مصدراً له):

إن ((هذه الكتب - وهو يشير إلى الخمسة المذكورة آنفاً - كلها مجموعة من كلام علي (عليه السلام)، ألفها الشيخ عبد العزيز يحيى الجلودي البصري المتوفي سنة (332 هـ)، وهو من أكابر علماء الإمامية، والرواة للآثار والسير، عدد له علماء الرجال ما ينيف على مئتي كتاب بل ما يقرب من ثلاث مئة كتاب كلها من عجائب الكتب. منها أربعون كتاباً فيما يتعلق بخصوص أمير المؤمنين (عليه السلام) في غزواته مع النبي (صلى الله عليه وآله) وحروبه من الجمل وصفين والغارات والحكمين، وبني ناجية، وما نزل في الخمسة، وتزويج فاطمة، ومن أحبه ومن أبغضه، ومن سبّه من الخلفاء، وكتاب التفسير عنه، وما نزل في القرآن في خصوصه، وكتاب شعره وكتاب خطبه وخلافته وعمّله وولاته، والشورى وما كان بينه وبين عثمان، وقضائه، ورسائله، ومن روى عنه من الصحابة، وكتاب شيعته، ومن مال بعده .

أفرد لكل هذه المذكورات كتاباً، ثم على مثل هذا ألف في كل واحد من أهل البيت كتاباً، .. وله عشرات من الكتب تتعلق بعبد الله بن عباس.. ثم بقية كتبه في سائر العلوم وأحوال سائر الأمم عامة والعرب خاصة، والشعراء على

ص: 124

بعد تلك الجولة مع الكتب المؤلفة في خطب وأحاديث أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قبل جمع ((نهج البلاغة))، بل قل قبل ولادة الشريف الرضي، وهي بعض من كل، إذ لاشك أن ثمة غيرها قد أُلِّفت ولكن عوادي الزمن لم تحفظها لنا مثلما لم تحفظ كثيراً مما ذكرنا عنواناتها. وثمة الكتب التي أُلِّفت بعد صدور ((نهج البلاغة)) للرضي، ولكنها كانت مستقياتها في كثير منها غير نهج البلاغة، وغير الشريف الرضي.

أقول.. بعد تلك الجولة : ألا يكفي ذلك دليلاً على إن دور الشريف الرضي كان دور الجامع حَسَب محتويات ((نهج البلاغة))؟

وإن تلك المحتويات هي من كلام الإمام علي (عليه السلام) بقضها وقضيضها ومن ألفها إلى يائها؟

وأخيراً لا بد لي أن أتساءل بما تساءل به عبد الله حسين في كتابه (مصادر نهج البلاغة) :

((أين تلك المؤلفات الموضوعية في خطب الإمام علي وكلامه؟ وأين ذهبت الأربع مئة من كلماته؟ أليس في كل هذا ما يؤكد إن ما اختاره الرضي في ((نهج البلاغة)) هو بعض ما كان مدوناً ومحفوظاً ومشهوراً بين الناس؟ أليس هذا ما يدفع أولئك القائلين بأن ما في ((نهج البلاغة)) موضوع ومنحول على لسان الإمام علي؟))

ثم ماذا نقول عن أقوال الأدباء والمفكرين والفلاسفة في ((نهج البلاغة)) وفي

كونه من كلام علي (عليه السلام)؟ هل نضع هؤلاء كلهم في ((خانة)) الخطأ؟

لنقرأ أقوالهم عسى أن تكون - ليس رداً على المشككين - بل شمساً تضيء لمن يريد أن يستضيء بنور الحقيقة، وتحرق من يصر على ((تعصيب)) عينيه بخرقه سوداء. ولأهمية تلك الأقوال نضعها تحت عنوان مستقل هو :

أقوال المنصفين في نهج البلاغة

قال ابن أبي الحديد : ((إن سطرأ واحداً من ((نهج البلاغة) يساوي ألف سطر من كلام ابن نباتة، وهو الخطيب الفاضل الذي اتفق الناس على إنه واحد عصره في فنه)).

وقال الدكتور زكي مبارك : ((لا مفر من الاعتراف بأن ((نهج البلاغة)) له أصل وإلا فهو شاهد على أن الشيعة كانوا أقدر الناس على صياغة الكلام البليغ)).

أما خليل هنداووي فقال : (لا نكاد نرى كتاباً انفرد بقطعات مختلفة يجمعها سلك واحد من الشخصية الواحدة، والأسلوب الواحد كما نراه في ((نهج البلاغة) لذا نقرر ونكرر أن ((نهج البلاغة) لا يمكن أن يكون إلا لشخص واحد، نفخ فيه نفساً واحدة).

وقال محقق شرح النهج الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في مقدمته : ((ومنذ أن صدر هذا الكتاب عن جامعه، سار في الناس ذكره، وتآلق نجمه، أشأم وأعرق وأنجد وأتهم، وأعجب به حيث كان وتدارسوه في كل مكان، لما اشتمل عليه من

اللفظ المنتقى، والمعنى المشرق، وما احتواه من جوامع الكلم، في أسلوب متساقط الأغراض محكم السبك، يعد في الذروة العليا من النثر العربي الرائع)).

وقال السيد الأميني في أعيان الشيعة : ((وغير خفي أن من يريد اختيار أنفس الجواهر من الجواهر الكثيرة لا بد أن يكون جوهرياً حاذقاً، فكان الرضي باختياره أبلغ منه في كتاباته، كما قيل عن أبي تمام لما جمع ((ديوان الحماسة)) من منتخبات شعر العرب : إنه في انتخاباته أشعر منه في شعره)).

وقد لاقى ديوان الحماسة من القبول عند الناس إقبالاً كثيراً وشرحه أعظم العلماء، وكذلك ((نهج البلاغة) من الشهرة والقبول ما هو أهله، وشرح بشروح كثيرة تنبوع الإحصاء وكان مفخرة من أعظم مفاخر العرب والإسلام)).

في حين قال الشيخ محمد عبده في مقدمة شرحه على ((نهج البلاغة)) :

((وقد جمع الكتاب ما يمكن أن يعرض للكاتب والخطيب أغراض الكلام، فيه الترغيب والتنفير والسياسات والجدليات، والحقوق، وأصول المدنية، وقواعد العدالة، والنصائح والمواعظ، فلا يطلب الطالب طلبته إلا ويرى فيها أفضلها، ولا تختلج فكرة إلا وجد فيها أكملها)).

وقال محمد حسن نائل المرصفي : ((نهج البلاغة)) ذلك الكتاب الذي أقامه الله حجة واضحة، على إن علياً كان أحسن مثال حي النور القرآن وحكمته، وعلمه وهدايته ، وإعجازه وفصاحته.

اجتمع لعلي في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء، وأفذاذ الفلاسفة

ونوابغ الربانيين، من آيات الحكمة السابعة، وقواعد السياسة المستقيمة، ومن كل موعظة باهرة وحجة بالغة تشهد له بالفضل وحسن الأثر، وحسبنا أن نقول إنه الملتقى الفذ الذي التقى فيه جمال الحضارة، وجزالة البداوة، والمنزل المفرد الذي اختارته الحقيقة لنفسها منزلاً تطمئن فيه، وتأوي إليه بعد أن زلت بها المنازل في كل لغة.

وأوجز الشيخ ناصيف اليازجي في قوله فأبدع إذ قال :

أقرانك في العلم والأدب، وصناعة الإنشاء فعليك بحفظ القرآن و(نهج البلاغة).

وقال الشيخ أبو الثناء شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي :

((نهج البلاغة)) الكتاب المشهور الذي جمع فيه السيد المرتضى (كذا) الموسوي خطب لأمير المؤمنين كرم الله وجهه وكتبه ومواعظه وحكمه وسمي ((نج البلاغة)) كما إنه قد اشتمل على كلام يخيل إنه فوق كلام المخلوقين، دون كلام الخالق، عز وجل، قد اعتنق مرتبة الإعجاز، وابتدع أفكار الحقيقة والمجاز ولله در الناظم حيث يقول فيه :

ألا إن هذا السفر ((نهج البلاغة)) *** لمنتهج العرفان مسلكه جلي

على قمم من آل حرب ترفعت *** (كجلمود صخر حطه السيل من عل)

وثمة كلمة للأستاذ أمين نخلة في مقدمة كتابه ((مئة كلمة من كلام الإمام علي، قال فيها :

(إذا شاء أحد أن يشفي صباة قلبه من كلام الإمام فليقبل عليه في (النهج)

من الدفة إلى الدفة وليتعلم المشي على ضوء (نهج البلاغة).

وقال محمد أمين النووي في كتابه ((جولات إسلامية)):

لقد كان علي في خطبه المتدفقة، يمثل بحراً خضماً من العلماء الربانيين وأسلوباً جديداً لم يكن إلا لسيد المرسلين، وطرق بحوثاً من التوحيد لم تكن تخضع في الخطابة إلا لمثله، فهي فلسفة سامية لم يعرفها الناس قبله، فدانت لبيانه، فسلسلت في منطقه وأدبه).

وقال: ((حفظ عليّ القرآن كله، فوقف على أسراره، واختلط به لحمه ودمه، والقارئ يرى ذلك في ((نهج البلاغة)) ويلمس فيه مقدار استفادة علي من بيانه وحكمته)).

((.. وهكذا نجد في كلام علي الدين والسياسة والأدب والحكمة، والوصف العجيب، والبيان الزاخر)).

أما عباس محمود العقاد فقال في كتابه ((عقرية الإمام)):

(في كتاب نهج البلاغة) فيض من آيات التوحيد والحكمة الإلهية تتسع به دراسة كل مشتغل بالعقائد، وأصول التأليه وحكم التوحيد).

وأما محمد محيي الدين عبد الحميد لم يستطع إلا أن يقول:

[نهج البلاغة] هو ما اختاره الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وهو الكتاب الذي ضم بين دفتيه عيون البلاغة وفنونها، وتهيات به للناظر فيه أسباب الفصاحة

ودنا منه قطافها، إذ كان من كلام أفصح الخلق - بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) - منطقاً وأشدّهم اقتداراً، وأبرعهم حجة، وأملكهم لغة يديرها كيف شاء الحكيم الذي تصدر الحكمة عن بيانه، والخطيب الذي ملأ القلب سحر بيانه، العالم الذي تهيأ له من خلاط الرسول، وكناية الوحي، والكفاح عن الدين بسيفه ولسانه منذ حدثته ما لم يتهيأ لأحدٍ سواه].

ونعود إلى الدكتور جورج جرداق، إذ نقلنا رأيه في الإمام علي فننقل هنا، رأيه في نهج البلاغة وهو يقول :

نهج البلاغة آخذ من الفكر والخيال والعاطفة آيات تتصل بالذوق الفني الرفيع ما بقي الإنسان وما بقي له خيال وعاطفة وفكر؛ مترابط بآياته متساوق، متفجر بالحس المشبوب والإدراك البعيد، متدفق بلوعة الواقع وحرارة الحقيقة والشوق إلى معرفة ما وراء هذا الواقع؛ متألف يجمع بين جمال الموضوع وجمال الإخراج حتى ليندمج التعبير بالمدلول، والشكل بالمعنى، اندماج الحرارة بالنار والضوء بالشمس والهواء بالهواء، فما أنت إزاءه إلا ما يكون المرء قبالة السيل إذ ينحدر والبحر إذ يتموج والريح إذ تطوف، أو قبالة الحدث الطبيعي الذي لا بدله أن يكون بالضرورة إلى غير كَوْن (بيان لونطق بالتقريع لانقضّ على لسان العاصفة انقضاضاً ولوهدد الفساد والمفسدين لتفجّر براكين لها أضواء وأصوات؟ ولو انبسط في منطق لخاطب العقول والمشاعر فأقل كل باب على حجة غير ما يتبسط فيه! ولودعا إلى تأمل لرافق فيك منشأ الحس وأصل التفكير، فساقك إلى ما يريده سوقاً، ووصلك بالكون وصلاً، ووحد فيك القوى للاكتشاف توحيداً،

وهولوراعاك لأدركت حنان الأب ومنطق الأبوة وصدق الوفاء الإنساني وحرارة المحبة التي تبدأ ولا تنتهي!

أما إذا تحدث إليك عن بهاء الوجود وجماليات الخلق وكمالات الكون، فإنما يكتب على قلبك بمداد من نجوم السماء!).

(أحس علي إحساساً مباشراً عميقاً بين الكائنات روابط لا تزول إلا بزوال هذه الكائنات، وإن كل ما ينقض هذه الروابط ينقض معنى الوجود ذاته).

(بيان هوبلاغة من البلاغة، وتنزيل من التنزيل، بيان اتصل بأسباب البيان العربي ما كان منه وما يكون، حتى قال أحدهم في صاحبه إن كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق).

وأكثر إنصافاً قول المستشرق الفرنسي هنري كوربال في ((النهج))، فإذا كان جورج جرداق، وهو مسيحي، قال ما قال في ((النهج)) فإنه عربي تربطه بالإمام (عليه السلام) صلة الانتماء القومي ولكن هنري كوربال لم يكن عربياً ولم تربطه بالإمام علي أية رابطة سوى نظرتة الموضوعية المنصفة إلى ما ضمّه ((النهج)) من روائع خلّدها التاريخ، لنقرأ قول هذا الرجل المنصف هنري كوربال :

((وتأتي أهمية هذا الكتاب (أي النهج) بالدرجة الأولى؛ بعد القرآن وأحاديث النبي، ليس بالنسبة للحياة الدينية في التشيع عموماً وحسب، بل بالنسبة لما في التشيع من فكر فلسفي، ويمكن اعتبار نهج البلاغة منهلاً من المناهل التي استقى منها المفكرون الشيعة .. وإنك لتشعر بتأثير هذا الكتاب بصورة جمة من

الترباط المنطقي في الكلام؛ ومن استنتاج النتائج السليمة؛ وخلق بعض المصطلحات التقنية العربية التي أدخلت على اللغة الأدبية والفلسفية فأضفت عليها غنى وطلاوة، وذلك أنها نشأت مستقلة عن تعريب النصوص اليونانية)).

ص: 132

إن رابع عكازة تعكز المشككون عليها بنسبة ما في ((نهج البلاغة)) إلى الإمام علي (عليه السلام) هي ((التعريض بالصحابة)): فقد وقفنا على قول محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمته على (النهج) إذ قال: ((إن في الكتاب من التعريض بصحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما لا يسلم أن يصح صدوره عن مثل الإمام علي...)). اهـ.

قبل الرد على محمد محيي الدين عبد الحميد ومن تعكز على مثل عكازته يحسن بنا أن نتعرف على ((الصحبة)) لغة واصطلاحاً بشيء من الإيجاز؛ فالصحبة لغة: هي المعاشرة. وتطلق على المعاشرة في الزمن القليل والكثير، ولذلك قيل صحبت فلاناً حولاً وشهراً ويوماً وساعة، فيوقع اسم القليل على ما يقع منها كثير، وتقع بين المؤمن والكافر، كما تقع بين المؤمن والمؤمن، قال تعالى:

{ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (الكهف/37) }.

وقال تعالى مخاطباً مشركي قريش:

{ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى { {النجم/ 2} .

وقال تعالى :

{قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى خِزْفٍ ثُمَّ تَذَكَّرُونَ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (سبأ/46)
.

قال (صلى الله عليه وآله) وقد أُشير عليه بقتل عبد الله بن أبي راس المنافقين ؛ ((بل نحن صحبته، وتترفق به ما صحبنا ولا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)).

أما اصطلاحاً فهي : (إن الصحابي من رأى رسول الله - (صلى الله عليه وآله) وقد أدرك الحلم فأسلم، وعقل أمر الدين ورضيه وصحبه ولوساعة من النهار). وطبيعي إن من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يكونوا على درجة واحدة من الإدراك المعرفي، بل حتى من الإخلاص والإيمان؛ ففيهم من بقي على صلته الروحية والإيمانية بالرسول العظيم فكان مثلاً في القول والعمل، في السلم والحرب وفي الرقة والشدة، وفيهم من نكص عن قيم الدعوة المحمدية وأدار وجهه عنها لينشغل بمغريات الدنيا، وهذا الفريق ما تحدث عنه البخاري في صحيحه؛ إذ روى عن ابن مسعود : قال النبي : أنا فرطكم على الحوض ليرفعنَّ إلى رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم، اختلجوا دوني، فأقول : ربي أصحابي، فيقال : لا تدري ما أحدثوا بعدك (وفي رواية سهل بن سعد.. فأقول سحفاً لمن بدّل بعدي) وقد نزلت في ذلك الفريق آيات كريمات تصفهم بأنهم :

ص: 134

{ اِنْتَعَا الْفِتْنَةَ } و { .. اَتَّخَذُوا مَسَدًا ضِدَّ رَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ } . و { .. سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُخَرِّجُوا عَنْكُمْ } فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } .

وثمة آيات كثيرة عرضت ببعض من صحبوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حله وترحاله، وقد أفرد - جل وعلا - لهم سورة أسماها : ((المنافقين)).

وإذا كانت ثمة إشارات تعريضية ببعض الصحابة في ((نهج البلاغة))، فالقرآن الكريم - كما مر بنا - قد عرض بهم وهو سبق ((النهج))، فضلاً عن أن أصحاب الصحاح والأسانيد المعتمدة قد نقلوا لنا كثيراً من ذلك التعريض؛ فالإمام ليس وحده من عرض بالمنافقين من الصحابة، فما جاء في ((النهج)) إذن، (يصح صدره عن مثل الإمام علي) بعكس ما تصور محمد محيي الدين عبد الحميد وغيره من المشككين، لأن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) - كما بينا - ليسوا على درجة واحدة من الإيمان والإخلاص، والصحابة أنفسهم تلاعنوا وتسابوا وتناقدوا فيما بينهم، وهذا ليس بالأمر الغريب، لأن مشاركم مختلفة ودخولهم في الإسلام لم يكن - أصلاً - متفقاً، تمام الاتفاق في الهدف والمرمى، فضلاً عن أن الكل إنسان رؤيته في تفاصيل الحياة الفكرية - خاصة - لذلك فإن النقد واللعن، بل حتى التكفير لم يكن هدفه نيل طرف من طرف آخر لغرض النيل حسب، بل بسبب اختلاف النظرة إلى مفردات الحياة ودرجة الارتفاع إلى مستوى

المتغيرات الجديدة. والدعوة المحمدية ليست بالمتغير الجديد السهل على مجتمع كان غارقاً في جهله العقائدي وغافياً غفوة عميقة على معتقداته حتى جاء الإسلام فأحدث خبطة قوية في ذلك المجتمع فاستوعب فريق تلك القيم الجديدة بعمق إيماني واضح وتأرجح فريق آخر فجاري المتغيرات الجديدة تلك للحفاظ على مركزه الاجتماعي، وهذا ما يحصل في كل زمان ومكان.

والإلا- ماذا نقول عن طلحة والزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وغيرهم قبلهم وبعدهم هل يتساوون في درجة الإيمان مع أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ أمثال بلال الحبشي وسلمان المحمدي وعمار بن ياسر وعلي بن أبي طالب وغيرهم من الصحابة (النظاف) من تلوث أفكار الجاهلية الأولى؟

فالصحابة : ((قوم من الناس لهم ما للناس وعليهم ما عليهم)).

فهل يقف الإمام علي (عليه السلام) - وهو المسلم الأول والمؤمن الأول والمجاهد الأول والمدافع الأول عن قيم الإسلام قولاً وعملاً بشواهد تاريخية لا تُرد - أقول.. هل يقف مثل ذلك الرجل مكتوف اليدين حيال ما يرى من افتتات على الإسلام وحرف مبادئه ومحاولة إفراغه من محتواه من قبل أولئك الذين صحبوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) زمناً قلاً أو أكثر فسمّوا ب(الصحابة)؟ إن التاريخ حفظ لنا، وما يزال يسجل شواهد عن إن كثيراً ممن فجروا الثورات وأحدثوا الانقلابات السياسية في هذا القطر أوداك وفي هذا العصر أو غيره، كانوا في البداية (أصحاباً) تربطهم ((صحبة)) الوسيلة والغاية، إلا أن عقدهم سرعان ما انفرط بعد تلك الثورات والانقلابات فبدأت السقطات على الطريق وبدأت

التصفيات الجسدية والسياسية والفكرية عموماً فيما بينهم، فماذا نسمي ذلك؟

إنه قانون الحياة الطبيعي لأن الناس كلهم ليسوا سواء في النظر والرأي والمشرب والانحدار الطبقي والنسبي، وعند انخراطهم في بوتقة الثورة أو الانقلاب نراهم يختلفون حول هذه المسألة أو تلك فيتساقطون على الطريق، لذلك قيل في المصطلح السياسي (الثورة تأكل أبناءها)).

فإذا ما عرفنا ذلك فإنه سيتوضح لنا، ببسر، أن صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله) - وهم ليسوا على درجة واحدة من الوعي والإدراك والاستيعاب - لا بد - والأمر كذلك - أن يختلفوا فيما بينهم، على هذه المسألة أو تلك، وإذا ما علمنا أن ثورة الإسلام تفوق أية ثورة قبلها وبعدها لما أحدثته من انقلاب جذري في الكم والكيف، أدركنا فوراً إن السقوطات على الطريق أمر طبيعي أيضاً.

لذلك إن أي نقد أو ((تعريض))، كما يسمونه، لأولئك الذين لم يستطيعوا مواجهة معطيات الثورة، أمر طبيعي كذلك.

وإذا ما عدنا إلى (نهج البلاغة) نجد أن جميع التعريض والسباب - على حد تعبيرهم - ما هو إلا نقد بئاء، ووصف للأعمال، بلغة مهذبة، وألفاظ متزنة لم يخرج بها عن حق، ولم يدخل فيها بباطل، ونظرة واحدة في ثنايا الكتاب تغني عن سرد الشواهد، وتسطير الأدلة)).

وإذا ما وجد في ثنايا (النهج) ما يسمونه (التعريض)، وهو نقد كما بيّنا، فإن في ((النهج)) إشادة بالصحابة الذين ترسموا خطى رسول الله (صلى الله عليه

وآله وساروا على منهجه حتى النهاية، كقوله (عليه السلام) :

((لقد رأيت أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) فما أرى أحداً منكم يشبههم)). وقوله (عليه السلام) : ((وأوصيكم بأصحاب محمد الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يأووا محدثاً ولم يمنعوا حقاً، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصانا بهم ولعن المحدث منهم ومن غيرهم.

إذن فليس كل صحابي منزهاً من الدم، وليس كل صحابي محرم من الثلب، لذلك فلا مانع - أبداً - أن يذكر علي بالدم والثلب من يستحق ذلك منهم، خصوصاً أن بعضهم قد شهر السلاح بوجهه وأعلن الحرب عليه وكان يود قتله وسفك دمه مهما كانت الوسائل وبأي سبيل كان.

ومن هنا نرى أن كلمات الدم هذه لم تكن بالشكل الذي ((لا يليق صدورها عن رجل مثل علي في دينه وعلمه وتقواه)) كما يزعم محمود محمد شاكر، ولم تكن ما يجب إنكاره ((تنزيهاً لعلي عن الهبوط إلى هذا المستوى))، كما يدعي الدكتور شفيح السيد.

فهل يُعد ذم الناكثين والقاسطين والطعن في المارقين والمنحرفين عملاً منافياً للتقوى، ومخالفاً أحكام الدين؟

لذلك فلم يكن من المستبعد أن يذم علي هؤلاء وأشباههم، وليس في ورود مثل هذا الدم في كلامه ما يحمل على الشك في انتساب ذلك الكلام إليه، خصوصاً إنه قد أثنى على الصحابة الملتزمين بالأبواب ثناءً جميلاً بلغ حد التأوه والحنين على فراقهم وعلى حنينه عليهم لأنهم ((تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا

الغرض فأقاموه، أحيوا السنة وأماتوا البدعة.. الخ).

أيكفي ذلك دليلاً على إن ما في ((النهج) للإمام علي (عليه السلام)، وإن عكازة ((التعريض)) منخورة لا بد أن تسقط صاحبها يوماً ما فيدرك ما كان عليه من خطأ في الرأي وقصور في النظرة. وإذا كان ذلك لا يكفي نقولها بصريح العبارة: إن الإمام علي (عليه السلام) كان يعني ما يقول، وما قاله كان من إفراز معاناته من حق اغتصبوه منه؛ فخطبته (الشقشقية) التي أغضبتهم وبسببها صاروا يشككون ب((النهج)) لأنه كان مخزوناً من صدق المعاناة، وليس كما يدعي ((صبري إبراهيم السيد)) في كتابه ((تحقيق وتوثيق نهج البلاغة)) إذ يقول:

((ويبدو أن اشتداد التشيع لعلي أعمى شيعته عن حق السلف الصالح، فقالوا فيهم ما لا يقبله عقل ولا يؤيده تاريخ. وظنوا أن مكانة علي لا ترتفع إلا بالخط من قيم هؤلاء خطأ لا يقبله منصف، ولا يرضى به على نفسه)).

فما أودع خطبته ((الشقشقية)) إن هو إلا أمر في غاية المعقولية، ومن ((إيداعات)) الإمام (عليه السلام) نفسه وليس ((دساً في كلام مثبت الرواية معروف للقدماء حتى يجوز على العقول ويصعب فيه التمييز)).

وأي رجل في موقع الإمام علي (عليه السلام) من حيث قرابته من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وإسهاماته في الدعوة الإسلامية وشجاعته وعلمه وحصوله على (وصية) رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأمر من الله، جلت قدرته، في (غدِير خَم) بأن يكون ((ولي كل مؤمن ومؤمنة)).. أقول.. أي رجل في موقعه

وموقفه كان يفعل أكثر مما قاله الإمام علي (عليه السلام) في ((الشقشقية)) ولكن الإمام علي (عليه السلام) خاف على الإسلام أن ينفرد عقده فتسقط حباته في أيدي الجاهلية الأولى ف((سكت)) على مضمض، ولكن سكوته ذلك لا يعني رضاه، ولا يعني أنه ملزم أن لا يظهر ما يعتلج في صدره، لاسيما وهو ابن بيت النبوة والمسلم الأول والمؤمن الأول وصاحب الخندق الذي قال عنه الرسول (صلى الله عليه وآله) يومها: [خرج الإيمان كله إلى الكفر (أو الشرك) كله] وكان الخلفاء الثلاثة شهوداً على موقفه ذلك، إذ لو أخذناه وحده شاهداً على أحقيته بالخلافة، لكفي، إذ كانت معركة الخندق فيصلاً حاسماً بين أن يكون الإسلام أولاً يكون، فثبتت أركانه واتسع بفضل سيف علي بن أبي طالب وشجاعته وغيرته على التكليف الإلهي. فأية غرابة في كلامه (عليه السلام) في خطبته الشقشقية؟ أليست هي تشخيص واقع حصل؟ ألم يحصل ذلك في بيعة السقيفة والرسول (صلى الله عليه وآله) مسجى في فراشه وعلي (عليه السلام) إلى جانبه وحده؟ أكثر على الإمام علي (عليه السلام) أن يقول: [وإنه (أي أبا بكر) ليعلم إن محلي منها (أي من

الخلافة) محل القطب من الرحي. ينحدر عني السيل ولا يرقى إلى الطير))؟

ألا يدل ذلك على أمرٍ (قد بُيِّت في ليل) مما دعا الإمام أن يقول:

.. فيا عجباً بينا هو (أبو بكر) يستقبلها في حياته إذ عقدها الآخر (عمر بن الخطاب) بعد وفاته لشدهما تشطر ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء، يغلظ كلامها ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، وإن أساس لها تقحم فمني الناس لعمر الله، بخبط ومشماس وتلون

واعترض)) .

ألم تكن تلك الصورة فوتوغرافيا لمسلسل ظهرت خطوطه فيما بعد، بوضوح إنه تأمر على، ليس الإمام علي (عليه السلام) حسب، بل على الإسلام برمته لحرفه عن نقائه وصفائه وصدقه وجذره الإلهي .

ودليلنا الأول: ما حصل في (يوم السقيفة).

ودليلنا الثاني : ما أوصى الأول للثاني.

ودليلنا الثالث : دعوة عمر (رجال الشورى) وعهده إليهم باختيار الخليفة بعده .

وقد عرف الإمام هذا (المقلب) بثاقب بصيرته فصوره بكلمات قصار فقال : ((فصغي رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن)).

وكان الإمام (عليه السلام) يقصد في كلامه كلاً من سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن أبي بكر وعثمان، الذي قال فيه : ((إلى أن قام ثالث القوم، نافجاً حُضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أمية، يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث عليه قتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنه)).

ودليلنا الرابع : ما أسفرت عنه الأحداث بعد مقتل عثمان إذ كشف (بنو أمية) عن أوراقهم، وكان ما كان في حرب الجمل وصفين حتى مقتل الإمام علي (عليه السلام) فإذا كانت تلك المعاني التي وردت في الشقشقية (لا تتفق وسيرة علي مع الخلفاء، ولا تتلاءم مع ما أثر عنه من أقوال). كما يقول السباعي بيومي في

ص: 141

كتابه (تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي).

فنحن نقول إن ما جاء في الشقشقية، شيء - وهو إفراز معاناة - والانعكاسات السلوكية للإمام علي (عليه السلام) على مجريات الأحداث - ومنها علاقته بمن تولوا الخلافة شيء آخر. إذ أنه كان في ذلك بعيد النظر يريد منه الحفاظ على قيم الإسلام ومعانيه وعدم انقراط حباته - كما قلنا سابقاً - ولا يعني الرضا عنهم وعن مسلسلهم كما يُصَوَّر لبعضهم.

ص: 142

مثلما أخذوا على (النهج) أنه عرّض بالصحابة فقد أخذوا عليه ورود مصطلح (الوصية والوصاية) وبنوا على ذلك رأيهم بأن محتواه كان منحولاً في نسبته إلى الإمام (عليه السلام) لأن ذلك المصطلح هو من المصطلحات التي عرفت بعد عهد الإمام علي (عليه السلام).

إن هذا الإدعاء يفتقر إلى الدليل العلمي كسابقه لذلك سنرد على مطلقه - كعادتنا - بالدليل القاطع والمقنع فنقول :

إن مصطلح (الوصي والوصاية) ضارب بجذوره في عمق التاريخ العربي قبل ((نهج البلاغة)) بقرون. وكتب التفسير أو الحديث أو التاريخ أو السير والأدب مليئة بذلك المصطلح.

جاء في صحيح البخاري ومسلم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله :

((ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلته إلا ووصيته مكتوبة

عنده)). مما جعل عمر يقول : ((ما مرّت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ذلك إلا وعندي وصيتي)).

وجاء في مشكاة الأنوار قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية)). وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصاً في مروءته وعقله)).

وجاء في مستدرک الحاكم : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي (عليه السلام) :

((أما إنك ستلقى بعدي جهداً)).

قال علي :

- أفي سلامة ديني؟

قال :

- ((في سلامة دينك)).

ومما أخرجه ابن عساکر والمحب الطبري في (الرياض) .. قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي :

- ضغائن في صدور قوم لا يبیدونها إلا من بعدي.

ونقل لنا صاحب الغدير قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

((يا علي إنك ستبتلى بعدي فلا تقاتلن)).

صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد عاني ما عاناه الإمام علي

(عليه السلام) من خصومه بعد النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وهولم يسلم من سهامهم حتى بعد موته وهاهم يوجهون سهامهم إليه في معطى من معطياته الفكرية ألا وهو ((نهج البلاغة)) فيشككون في نسبته إليه ل (إقحام مصطلح الوصية والوصاية) في طياته. وقد نسوا، أوتناسوا أن ذلك المصطلح ولد في (مبدأ الدعوة الإسلامية قبل ظهوره وحين أنزل الله تعالى عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) { وَ أُنزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فَأَمَرَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالَّذِينَ آمَنُوا بَلْغِ الْوَعْدَ بِاللَّهِ وَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ } فدعاهم إلى دار عمه أبي طالب وهم يومئذ أربعون رجلاً أويثقون، وفيهم أعمامه أبوطالب وحمزة والعباس وأبولهب. إذ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) ((يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأياكم يؤازريني على هذا على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟)).

فأحجم القوم غير علي وكان أصغرهم إذ قام وقال : أنا يانبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ رسول الله برقبته وقال : ((إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا...)).

ونقل لنا محمد بن جرير الطبري في (الولاية) إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ((إن الله تعالى أنزل إليّ { بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } . وقد أمرني جبرئيل عن ربي أن أقول في هذا المشهد. وأعلم كل أبيض وأسود أن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام بعدي)).

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (يا معاشر الناس، هذا أخي ووصيي وواعي علمي وخليفتي علي من آمن بي).

وجاء في كفاية الطالب أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : (علي وعاء علمي ووصيي وبابي الذي أوتي منه).

وفي (إكمال كنز العمال) جاء : أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لفاطمة : إن الله اطلع على أهل الأرض اطلاعة فاختر أباك فبعثه نبياً. ثم اطلع الثانية فاختر بعلك وأوصى إلي فاتخذته وصياً)).

وفي فرائد السمطين جاء قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (أنا أفضل أنبياء الله ورسله، وعلي بن أبي طالب أفضل الأوصياء ..)) وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (علي أخي ووزير ووصيي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن ومؤمنة).

ونقل لنا الخوارزمي في مناقبه عن ابن عباس قوله : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأم سلمة : ((هذا علي بن أبي طالب لحمه من لحمي ودمه من دمي، وهومني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، يا أم سلمة هذا أمير المؤمنين وسيد المسلمين ووعاء علمي ووصيي وبابي الذي أوتي منه أخي في الدنيا والآخرة ومعني في المقام الأعلى)).

وعن سلمان المحمدي - كما جاء في (الولاية) لمحمد بن جرير الطبري قال :

((قلت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا رسول الله إنه لم يكن نبي إلا وله وصي فمن وصيك؟ قال وصيي وخليفتي في أهلي وخير من أترك بعدي،

مؤدي ديني ومنجز عداني علي بن أبي طالب)).

وعن المصدر نفسه قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((يا أنس يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغر المحجلين، وخاتم الوصيين، قال أنس قلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، وكتمته، إذ جاء علي فقال : من هذا يا أنس؟ قلت : علي، فقام مستبشراً واعتقه)).

وجاء في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

((إن الله عز وجل عهد إلي في علي عهداً، إن علياً راية الهدى وإمام أوليائي ونور من طاعتي، وهو الكلمة التي ألزمها المتقين من أحبه أحبني، ومن أبغضه أبغضني فبشر، فجاء علي فبشرته بذلك، فقال : يا رسول الله أنا عبد الله وفي قبضته، فإن يعذبني فبذني وإن يتم الذي بشرني به فالله أولى به، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) قلت : اللهم اجل قلبه، واجعله ربيعة الإيمان، فقال ربي عز وجل، قد فعلت به ذلك، ثم قال تعالى : إني مستخصه بالبلاء، فقلت : يا رب إنه أخي ووصيي، قال تعالى : إنه شيء قد سبق إنه مبتلى ومبتلى به)).

وعن أحمد بن حنبل في مسنده : قال أنس بن مالك : قلنا لسلمان : سل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن وصيه فقال سلمان : يا رسول الله من وصيِّك؟ فقال : ((يا سلمان من وصي موسى؟)) فقال : يوشع بن نون، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((وصيي ووارثي يقضي ديني، وينجز مواعيدي علي

بن أبي طالب)).

وذكر الخوارزمي حديث طويلاً روته أم سلمة جاء في آخره : ((إن الله اختار من كل أمة نبياً واختار لكل نبي وصياً فأنا نبي هذه الأمة وعلي وصيي في عترتي وأهل بيتي وأمتي من بعدي)).

وفي ينايع المودة عن أبي الطفيل عامر بن وائلة وهو آخر من مات من الصحابة قال : قال رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((يا علي أنت وصيي حربك حربي وسلمك سلمتي)).

وفي كتاب مودة القربى للهمداني : ((عن خالد بن معدان رفعه : ((إن من أحب أن يمسي في رحمة الله فلا يدخل قلبه شك بأن ذريتي أفضل الذريات، ووصيي أفضل الأوصياء)).

وفي المحاسن والمساوي للبيهقي : إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ((هبط عليّ جبرئيل (عليه السلام) يوم حنين فقال : يا محمد إن ربك تبارك وتعالى يقرؤك السلام وقال : ادفع هذه الأترجة إلى ابن عمك ووصيك علي بن أبي طالب فدفعتها إليه، فوضعتها في كفه، فانفلقت نصفين فخرج منها رق أبيض مكتوب فيه بالنور : من الطالب الغالب إلى علي بن أبي طالب)).

وجاء في المنتقى من تاريخ بغداد لابن الحداد الحنفي : (في الحديث ينادي مناد (أي يوم القيامة) : هذا علي بن أبي طالب وصي رسول رب العالمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين.. الحديث).

ص: 148

وسجل لنا نصر بن مزاحم في كتابه (صفيين) شعراً للإمام علي وردت فيه كلمة (الوصي) فيه قال (عليه السلام) :

يا عجباً لقد سمعت نكراً*** كذباً على الله يشيب الشعرا

يسترق السمع ويغشي البصرا*** ما كان يرضى أحماً لو خبرا

أن يقرنوا وصيه والأبترا

ويريد بالأبتر : عمرو بن العاص، إذ نزلت في أبيه الآية :

{ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (الكوثر (3)) }

أما الخوارزمي فنقل في مناقبه قوله (عليه السلام) : (أنا أخو رسول الله ووصيه).

وخطب الإمام الحسن (كما في مستدرک الحاكم) فقال :

(أنا ابن النبي وأنا ابن الوصي).

أما الإمام الحسين (عليه السلام) فقد قال في خطبته يوم عاشوراء :

((أما بعد فانسبونني فانظروا من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها فانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسنت ابن بنت نبيكم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وابن وصيه، وابن عمه، وأول المؤمنين بالله ..؟ الخطبة ...)).

كثيرة هي الأحاديث التي وردت فيها كلمة (الوصية والوصي)، ونحن إذا اقتصرنا على ما ذكرنا من أحاديث فلأننا نتوخى المرور بالشواهد والأدلة لتلا نطيل على القارئ الكريم، وغير الأحاديث ثمة آيات قرآنية كثيرة وردت فيها تلك

الكلمة (الوصية) يمكن الرجوع إليها.

أما الشعر العربي، قبل ظهور ((نهج البلاغة))، فكان هو الآخر قد حمل لنا تلك الكلمة يحسن بنا أن نلم بشيء منه :

قال عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

ومنا علي ذاك صاحب خبيرٍ *** وصاحب بدرٍ يوم سالت كتابه

وصي النبي المصطفى وابن عمه *** فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه

وقال عبد الرحمن بن جعيل :

العمري لقد بايعتم ذا حفيظةٍ *** على الدين معروف العفا موقفا

علياً وصي المصطفى وابن عمه *** وأول من صلى أخا الدين والتقى

ومن البدرين الهيثم بن التيهان إذ قال :

قل للزبير وقل لطلحة إننا *** نحن الذين شعارنا الأنصار

نحن الذين رأيت قریش فعلنا *** يوم القليب أولئك الكفار

كنا شعار نبينا ودثاره *** يفديه منا الروح والأبصار

إن الوصي إمامنا وولينا *** برح الخفاء وباحث الأبصار

وخرج يوم الجمل غلام من بني ضبة شاب معلم من عسكر عائشة وهو يقول :

نحن بني ضبة أعداء علي *** ذلك الذي يعرف قدماً بالوصي

وفارس الخيل على عهد *** ما أنا عن فضل علي بالعمي

وقال حنجر بن عدي الكندي في ذلك اليوم أيضاً :

يا ربنا سلم لنا علياً*** سلم لنا المبارك المرضيا

المؤمن الموحد التقيا*** لا خطل الرأي ولا غويا

بل هادياً موقفاً مهدياً*** ثم ارتضاه بعده وصيا

أما خزيمة بن ثابت ذوالشهادتين وكان بدرية فقد قال يوم الجمل :

يا وصي النبي قد أجلت الحر*** ب الأعادي وسارت الأضعان

واستقامت لك الأمور من الشا***م وفي الشام يظهر الإذعان

حسبهم ما رأوا وحسبك منا*** هكذا حيث كنا وكانوا

وأما كتب التاريخ فقد نقلت لنا في طياتها مصطلح (الوصي والوصية) هي الأخرى يجدر بنا الوقوف عندها بمرور سريع :

قال ابن واضح في تاريخه : ((ومن جملة احتجاج الخوارج على أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه ضيع الوصية فكان من جوابه (عليه السلام)

: ((أما أقوالكم أني كنت وصياً فضيعة الوصية فإن الله عز وجل يقول :

{ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } .

أفأنتم هذا البيت لولم يحج إليه أحد كان البيت كفر؟ إن هذا البيت لو تركه من استطاع إليه سبيلاً كفر وأنتم كفرتم بترككم إياي لا أنا بتركي

لكم...)).

وقال واضح أيضاً : ((وقال مالك بن الحارث الأشتر لما بويع أمير المؤمنين

(عليه السلام) : ((أيها الناس هذا وصي الأوصياء ووارث علم الأنبياء، العظيم البلاء الحسن المضاء، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان، ورسوله بجنة الرضوان، من كملت فيه الفضائل، ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل)).

أما أبو جعفر الإسكاني المعتزلي فقال في (نقض العثمانية) :

((وقال عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

وإن ولي الأمر بعد محمد*** علي، وفي كل المواطن صاحبه

وصي رسول الله حقاً وصنوه*** وأول من صلى ومن لان جانبه

وتقل لنا الخوارزمي في مناقبه كتاب عمرو بن العاص إلى معاوية قبل أن يتفقا جاء فيه :

((فأما ما دعوتني إليه من خلع ربة الإسلام من عنقي، والتهور في الضلالة معك، وإعانتني إياك على الباطل، واختراط السيف في وجه علي وهو أخور رسول الله ووصيه ووارثه، وقاضي دينه ومنجز وعده وزوج ابنته)).

وأما المسعودي، في مروج الذهب، فقد نقل لنا كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية، وإليك ما يتعلق بالوصية قوله : ((فكيف - لك الويل - تعدل نفسك بعلي وهو وارث رسول الله ووصيه). ومما نقلت لنا المصادر الموثوق بها أقوال بعض المشاهير ممن تأخر عن عصر النبوة والخلافة الراشدية وقد ورد فيها مصطلح الوصية والوصاية.

قال الكميّ بن زيد الأسدي في الهاشميات :

والوصي الذي أمال التجويي *** به عرش أمة لاتهدام
كان أهل العفاف والمجد والخير *** ونقض الأمور والإبرام
والوصي الولي والفراس المعلم *** تحت العجاج غير الكهام
ووصي الوصي ذي الخطة الفصل *** ومردى الخصوم يوم الخصام
وقال قيس بن الرقيات :

نحن منا النبي أحمد والصد *** يق منا النقي والحكماء
وعلي وجعفر ذوالجناحين *** هناك (الوصي) والشهداء
وقال كثير لما حبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية :

تخبر من لاقيت أنك عائد *** بل العائد المحبوس في سجن عارم
وصي النبي المصطفى وابن عمه *** وفكاك أعناق وقاضي مغارم
وقال شارح الهاشميات محمود محمد الرافي عن البيت الثاني :

((وأراد ابن وصي النبي، والعرب تقيم المضاف إليه في الباب مقام المضاف ..)).

ولكن في تذكرة الأمة روي البيت هكذا :

سمي نبي الله وابن وصيه *** وفكاك أغلال وقاضي مغارم
فانتفت الحاجة إلى تخريج شارح الهاشميات.

وقال السيد إسماعيل بن محمد الحميري في قصيدته المذهبة التي شرحها السيد المرتضى :

وأن قلبي حين يذكر أحمداً*** ووصي أحمد نيط من ذي مخلب

أما دعبل الخزاعي - كما جاء في معجم الأدياء - فقال في رثاء الحسين (عليه السلام) :

رأس ابن بنت محمد ووصيه*** يا للرجال على قناة يُرْفَع

وأما الكتب التي ألفت في الوصية في القرون الأولى والصدر الأوّل قبل القرن الرابع - أي قبل صدور ((نهج البلاغة)) - فكثيرة نذكر منها ما صدر في القرنين الأوّل والثاني :

1_ كتاب الوصية لهشام بن الحكم المشهور.

2_ الوصية للحسين بن سعيد الأهوازي.

3_ الوصية للحكم بن مسكين المكفوف.

4_ الوصية لعلي بن المغيرة.

5_ الوصية لعلي بن الحسن بن فضال.

6_ الوصية لمحمد بن علي بن الفضل.

7_ الوصية للإبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي.

أما ما صدر في القرن الثالث نذكر منها :

1_ الوصية ليحيى بن المستفاد .

2_ الوصية لمحمد بن الصابوني.

3_ الوصية لمحمد بن الحسن بن فردخ.

ص: 154

4_ الوصية والإمامة لعلّي بن الحسين المسعودي صاحب مروج الذهب.

5_ الوصية لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي.

6_ الوصايا لمحمد بن علي السلحفاتي المشهور.

ذلك غيض من فيض، ومن أراد الاتساع فليراجع كتاب مصادر نهج البلاغة وأسانيده للشيخ عبد الزهراء الحسيني الخطيب 1/139-179. فقد اعتمدهنا في كثير من شواهدنا جزاه الله خيراً.

فهل مزقت تلك الشواهد الظلام الذي غطى على عيون الذين ادّعوا إن الرضي انفراد بذكر الوصية والوصاية؟ وهل أذابت الضباب الذي حال دونهم لرؤية الحقيقة وسط أشعة الشمس الساطعة؟

أرجو أن أكون قد أسهمت مع من أسهم، في إلقاء الضوء على واحدة من أهم تشكيكات المشككين في نسبة ((نهج البلاغة)) إلى الإمام علي (عليه السلام). عسى أن يهتدي من يطلب الهداية

{... فَأَمَّا الزَّيْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (الرعد/17) } صدق الله جلّت قدرته.

ص: 155

ومما دعاهم إلى التشكيك في نسبة ما في ((نهج البلاغة)) إلى الإمام علي (عليه السلام) كونه أطنب في بعض الخطب والكتب وأطال، كالقاصفة والأشباح وعهد مالك بما لم يكن مألوفاً في صدر الإسلام.

في الحقيقة إن طول الخطب وقصرها، أو الإطناب والإيجاز فيها لم يكن مقتصرًا على عهد دون آخر، بل إن ذلك يتساق مع المرحلة والحدث ومتطلباتهما؛ فكلما سخنت المرحلة وتشعب الحدث تطلب الأمر الارتفاع إلى مستواهما والتوفر على مفرداتهما والتوغل في أعماقهما والإحاطة بتفاصيلهما وإمالة اللثام عن مفاصلهما. وهذا يتطلب من القائد استقراء المرحلة والحدث ليستطيع، بالتالي، من وصف الحالة وطرح الحلول، ولا يكون ذلك إلا بالإطالة أو الإطناب في الكلام، وهو ما تطلبه عصر الإمام علي (عليه السلام) لما فيه من سخونة استثنائية لم تشهدها العهود التي سبقتة؛ فهو (عليه السلام) - على قصر مدّة قيادة الأمة الإسلامية - خاض ثلاث حروب ضارية هي: الجمل وصقّين والنهران، وواجه أناساً انقلبوا على تعاليم الإسلام المتمثلة بالقرآن الكريم

وأحاديث الرسول العظيم، محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأناساً أغرتهم الدنيا بزخرفها فنكصوا عن جادة الحق، وأناساً تأرجحوا بين هؤلاء وأولئك .

فما الذي يفعله الإمام إزاء ذلك كله؟

أليس عليه غير التوجيه والإرشاد والنصح؟

أ يكون ذلك بكلمات موجزات قصار؟

حتى القرآن الكريم لم تكن سوره على وتيرة واحدة من الأسلوب؛ فثمة السور القصار جداً بل الآيات القصار جداً، وثمة السور الطوال، بل والآيات الطوال، ذلك كله لتنسجم مع المرحلة والحدث.

فالذين أنكروا على الإمام علي (عليه السلام) أن يكون صاحب (نهج البلاغة) لذلك السبب لم يتوافروا على عصره وما أحاطت به من أحداث وإن كانوا قد اعترفوا -مضطرين- بقبول ذلك بقولهم: ((نحن لا نقول إن هذا القدر من الطول في الخطب غير مقبول عقلاً...)).

ولكي لا نترك موضوعنا بلا إسناد تاريخي - كما هو منهجنا في البحث دائماً - نقول: إن سمة ((الطول)) في الخطب كانت معروفة ومنتشرة في الجزيرة العربية قبل عهد الإمام علي (عليه السلام)؛ فقد روي أن قيس بن خارقة بن سنان خطب يوماً إلى الليل فما أعاد كلمة ولا معنى. وكذلك فعل سحبان وائل عندما وجد أن الضرورة تقتضي الإفاضة في الكلام وهو في مجلس معاوية إذ خطب من انتهاء صلاة الظهر إلى حلول وقت العصر، ولم يقل أحد أن ذلك مخالف للبلاغة

ص: 157

ومع إطنابه ذاك كان يوجز في الكلام غاية الإيجاز على ما تقتضيه الحال. وفي ذلك يقول الدكتور زكي مبارك : ((وسحبان وائل الذي عرف بالتطويل وأنه كان يخطب أحياناً نصف يوم، أثرت عنه الخطب القصيرة الموجزة، وذلك يدل على أن الفطرة كانت غالبية على ذلك العصر، وأن القاعدة المطردة لم تكن شيئاً آخر غير مراعاة الظروف ...

إن مسألة الإيجاز والإطناب كانت تجري على مقتضى الحال، فكان الكاتب يوجز تارة ويطنب أخرى على وفق الظروف التي فيها رسالته، وكان من الخطباء من يطيل وكان منهم من يوجز، ولا يرجعون في ذلك إلى قاعدة غير المناسبات التي توجب الكلام، فتقضي مرة بالإطناب وتقضي حيناً بالإيجاز)).

فالإمام علي (عليه السلام) فضلاً عن أنه عاش تلك الظروف وخالط خطباء ذلك العصر، فهو من قال فيه الرسول الكريم (صلّى الله عليه وآله وسلم) : ((أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتها من بابها)). وخاطبه مرة قائلاً : ((أنت سيد الفصحاء وسيد البلغاء))، وهو من قال فيه ابن عباس : ((ما رأيت - قط - أذكى من علي بن أبي طالب (عليه السلام)). وهو من خاطبه عمر : ((لا أبقاني الله بأرض لست فيها يا أبا الحسن)). كما قال : ((لولا علي لهلك عمر)). ثم هو من قال عنه معاوية : ((فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره)).

فإذا كان الإمام علي (عليه السلام) كذلك في الفصاحة والبلاغة والذكاء فمن باب أولى أن يكون متمكناً من أدواته اللغوية تمكن الصيرفي من تقوده؛ فهو يطيل

متى رأى أن الموقف يتطلب الإطالة ويقصر على وفق مقتضى الحال، وقد أنصف الدكتور زكي المبارك عندما قال :

((ورسائل علي بن أبي طالب، وخطبه ووصاياه، وعهوده إلى ولاته في ((نهج البلاغة)) تجري على هذا النمط ؛ فهو يطيل عندما يكتب عهداً يبين فيه ما يجب على الحاكم في سياسة القطر الذي يرعاه، ويوجز حين يكتب إلى بعض خواصه في شيء معين لا يقتضي التطويل)).

فتشكيكهم، إذن، في هذا الجانب حظه مثل حظه في الجوانب الأخر لم يستقوا فيه إلا من سراب ولم يركبوا إلا ظهور الأرناب.

ص: 159

والسجع عكازة أخرى تعكز عليها المشككون في نسبة ما في ((نهج البلاغة)) إلى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام). فقال محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمته على (النهج):

((إن فيه من السجع والتنسيق اللفظي، وآثار الصنعة ما لم يعهده عصر الإمام ولا عرفه، وإنما ذلك طراً على العربية بعد العصر الجاهلي وصدر الإسلام وافتن به أدباء العصر العباسي، والشريف الرضي جاء بعد ذلك على ما ألفوه فصنف الكتاب على نهجهم وطريقتهم)) ومع اعترافه بأن من ((عرف ابن أبي طالب حامي عرين الفصاحة وابن بجدتها لم يعسر عليه السليم)). أقول مع ذلك فإنه - وفي مقدمته تلك - راح يطن تشكيكه بكلمات ملفوفة إذ قال: ((السجع إذا جاء من غير تصنع وتكلف، ولم تظهر سماجته، ولم يثقل استماعه، كان آية من آيات البلاغة، ودلائل الفصاحة، ومع ذلك فليس ما في الكتاب كله سجعاً وما فيه من السجع فهو مما لم تدع إليه الصنعة، ولا اقتضاه الكلف بالمحسنات، وأكثره مما يأتي عفواً بلا كد خاطر، ولا تجشم هول، ومثله في عبارات عصره واقع، ومن عرف ابن أبي

طالب كان حامي عرين الفصاحة وابن بجدتها لم يعسر عليه السليم)).

أما أحمد أمين فقد شكك هو الآخر بنسبة ما في ((النهج) إلى الإمام علي (عليه السلام) إذ قال في فجر الإسلام : ((واستوجب هنا الشك أمور ما في بعضه من سجع منمق، وصناعة لفظية لا تعرف لذلك العصر كقوله : ((ويعني الإمام (عليه السلام)))).

((أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير وأصلك الذي إليه تصير)).

واعتمد في شكه هذا على ((هوار)) الذي سبق أن شك في نسبة القرآن إلى الله جل وعلا. إذ نقل عنه طه حسين في الأدب الجاهلي قوله : ((إن ورود هذه الأخبار في شعر أمية بن أبي الصلت مخالفة بعض المخالفة لما جاء في القرآن دليل، على صحة هذا الشعر من جهة، وعلى أن النبي قد استقى منه أخباره من جهة أخرى)).

لنناقش هؤلاء عسى أن نتوصل نحن وإياهم إلى منبع الحقيقة الصافي فترتوي منه الحق والعدل والإنصاف :

1_ يقول محمد محيي الدين عبد الحميد : ((إن فيه من السجع والتنميق اللفظي وآثار الصنعة ما لم يعهده عصر الإمام ولا عرفه ..)).

إذا كان ما قرر محمد محيي الدين عبد الحميد صحيحاً فماذا نسمي قول الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((إن الأعمار تقنى والأجسام تبلى، والأيام تطوى والليل والنهار يتطاردان تطارد البريد، يقربان كل بعيد،

ويخلقان كل جديد، وفي ذلك -عباد الله - ما يلهمي عن الشهوات، ويرغب في الباقيات الصالحات))؟

وماذا نسمي قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((إن مع العز ذلاً، وإن مع الحياة موتاً، وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكل شيء حساباً، ولكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، وإن لكل شيء رقيباً، وإنه لا بد لك من قرين يدفن معك هوحى وأنت ميت، فإذا كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ولا تُبعث إلا معه، ولا تُسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً فإنه إن صلح أنت به، وإن فسد لم يُستوحش إلا منه وهو عمالك)).

وماذا نسمي قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والنهار والناس نيام)).

وماذا نسمي قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((إنما الحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى)).

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((إرجعن مازورات غير مأجورات)).

وماذا تقول عن خطبة أبي بكر : ((أستهدي الله بالهدى، وأعوذ به من الضلال والردى، من يهد الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا تجد له ولياً مرشداً)).

وعن خطبته : ((يا معشر الأنصار إن شئتم أن تقولوا آويناكم في ظلالنا وشاطرناكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا، قلتم، وإن لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد، وإن طال به الأمد)).

وماذا نقول عن خطبة لعمر في الاستسقاء : ((اللهم قد ضرع الصغير، ورقَّ الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى)).

وماذا نقول عن خطبة لعثمان خطب بها الناس لما نعموا عليه ما نعموا : ((إن لكل شيء آفة، وإن لكل نعمة عاهة، وفي هذا الدين عيابون ظنانون، يظهرون لكم ما تحبون، ويُسرون ما تكرهون، يقولون لكم وتقولون)).

وقبل ذلك؛ ماذا نقول عن خطبة قس بن ساعدة الإيادي ومن الرواة لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه، ومنها :

((أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داح، وقار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهري، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجرة، إن في السماء مخبراً وإن في الأرض لغيراً .. الخ)).

أليس تلك الأقوال سجعاً ظاهراً وواضحاً؟ ثم أليست هي في عصر الإمام؟ وإذا انتهينا من تلك الأقوال وعدنا إلى منبع الإسلام الأول- القرآن الكريم - نجد فيه السجع يشكل السمة الأكثر ظهوراً :

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (الإخلاص 1-4)}.

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (الفلق 1-5)}.

{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (الناس 1-6) }.

{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالْفَجْرِ * وَلَيْالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ * فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْبَيْتِمْ * وَلَا تَحَاضُنَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا * وَتَحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا * كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا * وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدًا * يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي (الفجرا-30) }.

{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * لَذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (الشرح

ص: 164

إضافة إلى السور : الذاريات، الطور، النجم، الرحمن، الواقعة.. وغيرها من السور الطوال.

فماذا يعني هذا؟ أليس يعني أن الإمام علياً (عليه السلام) هو امتداد لعصره والعصر الذي سبقه؟ إن ذلك التواصل أمر طبيعي ينسحب على مفردات الحياة كلها، واللغة هي إحدى تلك المفردات، ثم أهوغريب عن شخصية مثل علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي وصفه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وغيره أنه إمام الفصحاء وسيد البلغاء، أن نرث عنه هذا الإرث المتفرد في تدفقه العفوي الطبيعي، والمتفرد في بنائه المعماري المنسجم مع كل عصر في الشكل والموضوع؟ وأين هي آثار الصنعة في قوله (عليه السلام) :

((إن تقوى الله دواء داء قلوبكم وبصر عمى أفندتكم وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء غشاء أبصاركم، وأمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم))؟

وقوله (عليه السلام) وهو يخوف فيها أهل النهروان : ((فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط، على غير بينة من ربكم، ولا سلطان مبين معكم، قد طوحت بكم الدار، واحتبلكم المقدار))؟

نحن نقيم الدنيا ونقعددها إذا ما قرأنا لأبي العلاء المعري لزومياته ونبيري الشرحها والإشادة بها كتراث عربي (وهي كذلك لا شك) ولكننا نعد تلك

اللزومية المتدفقة بشكل عفوي، المتساوقة مع المفردات التي قبلها والتي بعدها تساوقاً لا- تجعلك تحس بأي أثر للصنعة؛ إذ جعل ((التقوى)) دواء (القلوب)) وبصر الأفئدة وشفاء الأجساد وصلاح الصدور وطهر الأنفس، وجلاء الأبصار وأمن الفزع وضيء الظلم.

هذه الوحدة الموضوعية العجيبة والوحدة العضوية المتماسكة والجرس الموسيقي الذي تبعته لزومية ال ((كم) الجميلة المنبعثة من نفس تحترق لتضيء الطريق للآخرين، تبدأ ب((التقوى)) لتعدد لنا تأثيراتها وتنتجها على النفس البشرية والسلوك الاجتماعي، والنظرة الشمولية إلى الحياة.

أقول.. إذا ما قرأنا ذلك لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) نعه من (آثار الصنعة)

لماذا يا قوم؟ أليست مفردات علي (عليه السلام) هي ذاتها المفردات العربية التي ورثناها من عصور ضاربة في عمق الزمن؟ ولكنها جاءت على لسانه بعفوية ((بحيث تسجم مع الناحية الصوتية فتجيء على اللسان لذيدة الوقع في الآذان، موافقة حركات النفس، مطابقة العاطفة التي أزجتها والفكرة التي أملتتها).

أليس كذلك؟

قليلاً من التأنى والإنصاف في إصدار الأحكام على معطيات رجل كان وما يزال وسيبقى معلماً مهماً، بل متفرداً، من معالم حضارتنا وإرثنا الأدبي.

2_ يقول محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمته تلك :

ص: 166

((وافتنن به (أي السجع) أدباء العصر العباسي، والشريف الرضي جاء من بعد ذلك على ما ألفوه فصنف الكتاب على نهجهم وطريقتهم))

ا.هـ

ومعنى هذا الكلام إن الشريف الرضي هو الذي ((وضع)) هذا السجع لينسجم مع ((نهج)) معاصريه.

لوالقينا نظرة فاحصة ودقيقة ومنصفة على مؤلفات الشريف الرضي التي وصلتنا لوجدناها مختلفة عما في ((نهج البلاغة)) في تركيباتها اللغوية وسياقها العام تمام الاختلاف؛ فالرجل له أسلوبه البحثي النابع من ثقافته اختارها هو لنفسه ومن تأصل في تركيبه الذهني. أما أسلوب النهج فليس فيه ذلك.

إن محتويات ((النهج)) بما فيها ((السجع)) كانت وليدة اللحظة والحدث والمعاناة واستشراق آفاق المستقبل، ولكنها كانت مترابطة متماسكة متساوقة مع بعضها، بحيث شكلت بمجموعها وحدة موضوعية واحدة، هي ((الله والعالم والإنسان)) هذا أولاً، وثانياً - وقد ألمحنا إليه فيما سبق - إن الشريف الرضي لو كان واضع ذلك السجع في طيات ((نهج البلاغة)) لأشار إليه، أو لأفرده ضمن مؤلف يضاف إلى مؤلفاته العديدة، ولو عرفنا إن الرضي يتمتع بالتزام أخلاقي وديني لأدركنا إنه رحمه الله يحتاط أن ينسب ما لغيره لنفسه وما لنفسه لغيره نتيجة ذلك الالتزام. فضلاً عن إن جمل السجع تلك تتحدث عن شواهد تاريخية معروفة، كمخاطبة الخوارج بهدف تخويفهم وقد مر ذلك.

وقوله في كتاب إلى عبد الله بن عباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر : ((فعند

ص: 167

اللّٰه نحتسبه ولداً ناصحاً، وعاملاً كادحاً، وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً..)).

وقوله لما أغار النعمان بن بشير الأنصاري على عين التمر : ((منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أبا لكم، ما تنظرون بنصركم ربكم؟ أما دين يجمعكم؟ ولا حمية تحشمكم)).

وكتطبيق عملي لما احتاط به الشريف الرضي في نقله قوله (عليه السّلام) : ((العين وكاء)).

قال الرضي (رحمه الله) : وهذا من الاستعارات العجيبة .. ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى أمير المؤمنين علي (عليه السّلام)، وقد ذكر ذلك محمد بن يزيد المبرد في كتاب ((المقتضب) في باب اللفظ بالحروف، وفي الأظهر الأشهر إنه للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

وقد احتاط الرضي (رحمه الله) في نقل هذا الحديث في النهج فقال :

((فهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقد رواه قوم لأ-مير المؤمنين (عليه السّلام) وذكر ذلك المبرد...)).

لا أدري هل يكفي هذا الإثبات إن الشريف الرضي لم يصف ((السجع)) ليتفق وسمات عصره ونقله نقلاً واثقاً عن لسان إمام الفصحاء وسيد البلغاء علي بن أبي طالب (عليه السّلام)؟

فإذا كان لا يكفي فما ذنب من أراد أن يخرق سجع الظلام في طريق من تلفعوا به ولكنهم أخذوا يستجيرون به لئلا تحرق عيونهم أشعة الشمس.

3- وقال محمد محيي الدين عبد الحميد : ((السجع إذا من غير تصنع وتكلف، ولم تظهر سماجته، ولم يثقل استماعه كان آية من آيات البلاغة، ودلائل الفصاحة..)).

ماذا يعني بكلامه هذا؟

إن المتبادر إلى الذهن لأوّل وهلة أن مراده، الإشارة بقول الإمام في هذا الفن (السجع) ولكن بعد التمحيص والتدبر يظهر الكلام على حقيقته وهو : إنه أراد به الغمز الخفي والاتمام المستور بأن هذا اللون من الكلام لم يكن ذا صلة بالإمام أولاً، وأنه يشوبه التصنع والتكلف والسماجة ثانياً . أما كونه ذا صلة بالإمام فهذا ما تحدثنا عنه في الفقرة السابقة، ونظيف أنه، (عليه السلام)، خاطب أهل البصرة قائلاً :

((يا أشباه الرجال ولا رجال.. لوددت أني لم أركم وأعرفكم..)) و((دارستكم الكتاب، وفاتحتكم المجاج، وعرفتكم ما أنكرتم، وسوّعتكم ما مججتكم، لو كان الأعمى يلحظ، والنائم يستيقظ)).

فهو شاهد تاريخي لا يقبل الجدل إنه من قول الإمام علي (عليه السلام). أما كونه يشوبه التصنع والتكلف والسماجة، فهذا مما يمكن دحضه بشواهد من أقواله (عليه السلام)، كقوله (عليه السلام) :

((فليقبل امرؤ كرامة بقبولها، وليحذر قارعة قبل حلولها، ولينظر امرؤ في قصير أيامه، وقليل مقامه، في منزل حتى يستبدل به منزلاً، فليصنع لمتحوله، ومعارف منتقله، فطوبى لذي قلب سليم أطاع من يهديه، وتجنب من يرديه،

ص: 169

وأصاب سبيل السلامة يبصر من بيصّره، وطاعة هادٍ أمره، وبادر الهدى قبل أن تغلق أبوابه، وتقطع أسبابه، واستفتح التوبة، وأحاط الحوبة، فقد أقيم على الطريق وحُدّي نهج السبيل)).

وقوله (عليه السّلام) : ((وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور، والقلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادع، إزاحةً للشبهات، واحتجاجاً بالبينات، وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً بالمثلات، والناس في فتن انخدّم فيها جبل الدين، وتزعزعت سوارى اليقين، واختلف النجر، وتشتت الأمر، وضاق المخرج، وعمى المصدر، فالهدى خامل والعمى شامل)).

ولولا- خوف الإطالة لاستشهدنا بالكثير من أقواله (عليه السّلام) المسجوعة التي جاءت عفواً والخاطر ولكنها لم تكن ذا صلة بالسماجة والتصنع والتكلف. بل كانت آية من آيات البيان العربي ولوحات فنية تحكي مسيرة هذا الإنسان في حياته اللاحقة.

4 - لقد سلم محمد محيي الدين عبد الحميد بأن الإمام علي (عليه السّلام) ((حامي عرين الفصاحة)). كأن الإمام علي (عليه السّلام) كان يحتاج لشهادة محمد محيي الدين بأنه (حامي عرين الفصاحة) وكأننا لم نعرف ذلك فتبرع ليدلنا عليه.

إن مثل هذا الأسلوب يبعد صاحبه عن قواعد المنهج العلمي البحث. ويضيع عليه الحقيقة النظيفة لأنه درب شائك لا يسلم صاحبه من العثرات في مطباته الكبيرة، وإلا من منا لا يعرف أن علي بن أبي طالب هو إمام الفصحاء، وسيد البلغاء، وقد نقل لنا التاريخ والروايات كثيرة من الشواهد والأدلة بأنه

((حامي عرين الفصاحة)) أما أن محمد محيي الدين يأتي في القرن العشرين فيسلم بذلك تسليم المضطر فهذا لا يغني ولا يضمن من جوع.

إن الشمس لا يحجبها غربال المشككين والغمازين والمازين، وإذا حجبها بعض الغيوم يوماً أو ساعة فإنها تبقى محتفظة بخواصها الفيزيائية والكيميائية، بل إنها بخاصيتها تلك تذيب الغيوم من حولها لتشرق بأشعتها الأرجوانية من جديد فتملاً الحياة حباً خلواً من الثقوب السود.

5 - أما أحمد أمين فقد اعتمد رأي المستشرقين في بلاغة وفصاحة الإمام علي (عليه السلام) وأسلوبه في الكلام.

متى كان المستشرق يعرف ما في الدار أكثر من صاحبها؟ بل متى كان أكثر إخلاصاً في نقل الحقيقة عن أبناء قومنا؟ حتى الذين اعترفوا برجالنا وأشاروا إلى معظياتهم بشيء من الإنصاف لكنهم ليسوا بالبدلاء عنا في إقرار هذا الأمر أوداك، لأننا عشنا حضارتنا وتواصلنا معها جيلاً بعد جيل. ولكننا نبقى نردد ((مغنية الحي لا تطرب)) ولسان حالنا يقول:

فلوغوّرت في تاريخ شعري*** وأبصرت الحقيقة ما عميت

ولكنني هجرت تراث قومي*** وأقصرت الطريق وقد عميت

فداهمني الغزاة بعقر داري*** فما نافحت عنها أونهيت

لأنني مذ خلقت خلقت خصماً*** لبعضي، بل تأكلني الشتيت

فلم ((أشطف)) ثيابي عبر طستي*** فحاطت بي من الدنيا طسوت

وصرت أذب عن أفكار غيري *** وعن أفكار قومي قد غويت
نصوصياً غدوت لكل قولٍ *** غريب، عن جنبي قومي سهوت
كأني ما ورثت لهم تراثاً *** بعد الرمل لكني نسيت
وصرت أغض طرفي عن تراثي *** ولكن عن تراثهم رويت
وثمري لا يقيت بأرض قومي *** ولكن لوأتي منهم يقيت
ومرّ طعامهم حلومذاقاً *** وحلوطعام قومي ((زقنبوت))
وإن ادعى لذبٍ عن تراثي *** أراوغ، إذ كأني ما دُعيْتُ
ولكن لودعاني الغرب يوماً *** أقول له: لإرثك قدُفديت
فذاك لي الرواء إذا ظميت *** ولي مأوى يقيني أومبيت
وذاك لي الدواء إذا اعتراني *** ذبول المحل قلت: به سُفيت
وأما إرثي الموروث أضحى *** لظي لي، بل وفيه قد سُويت
وقد نعتوه بالسلفي ظلماً *** وعنه بعيدة تلك النعوت
وقالوا: إنه إرث مقيت *** تقوّلِب وهو هذا مميت
وقالوا: لم يواكب عصر قومٍ *** تناهوا فيه، بل أضحى يميت
وما يدرون أنني تهت إن لم *** أعب من ريّه، بل ما حييت
وهم يدرون لكن أي بلوى *** بأن يدروا وهم عنه سكوت

ذلك هو حالنا في تقييم تراثنا، وإلا هل يحتاج رجل مثل الإمام علي (عليه السّلام) إلى كبير عناء في إثبات مكانته في الحضارة الإسلامية؟
ودوره الكبير في بلورة

الجوانب الفنية للغتنا العربية؟ وهو القائل :

((هل منا مناص أو خلاص، أو معاذ أو ملاذ، أو مزار، أو مجار)). والقائل : ((أين من جد واجتهد، وجمع واحتشد، وبنى فشيّد، وفرش فمهّد، وزخرف فنجد)). .. ألا يأخذك الجرس الموسيقي بسحره الخلاب إلى عوالم حالمة مع تلك الثنائيات ((مناص و خلاص، معاذ وملاذ، مزار ومحار)) هي إلى الشعر أقرب منها إلى النثر، بل هي مترعة بالدفق الموسيقي المناسب بعدوابة وفراهة وعفوية.

ص: 173

يقول محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمة تحقيق ((نهج البلاغة)):

((إن فيه من دقة الوصف واستفراغ صفات الموصوف، وإحكام الفكرة، وبلوغ النهاية في التدقيق كما تراه في وصف الخفاش والطاووس والنملة والجرادة، وكل ذلك لم يلتفت إليه علماء الصدر الأوّلون أدباً ولا شعراً، وإنما عرفه العرب بعد تعريب كتب اليونان والفرس الأدبية والحكمية...)).

إن الإنسان في كل عصر ومكان يصدر أحكامه على النابغين مما هوفيه: فإذا رأى خارقية ما في إنسانٍ ما أنكرها عليه لأنها تمخض استثنائي لم تستطع مداركه القاصرة الوصول إلى استيعابها فيبدأ بإصدار أحكامه، التي يحسبها أدلة إنكارية قاطعة بلا عمقٍ في التأمل في شمولية الرؤية وأحياناً إنصاف في الحكم. والنابع دائماً يكون هدفاً لذوي العقول القاصرة والنظرة الضيقة والتفكير المتحجر والأذهان المنغلقة على نفسها.

ولأن النابع سابقٌ زمانه، فمن الصعب أن يجد من يفهمه ويستوعب قدراته ومعطياته الفكرية، اللهم إلا القلة القليلة من الذين يقتربون منه في الخاصية تلك.

وقلة هم أولئك النابغون في المجتمعات البشرية، إذ لا تزيد نسبتهم عن 0000001% إن لم تقل.

وهكذا كان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ((استثناء)) في عصره وبقي استثناءً في العصور كلها إلى يومنا هذا.

فليس غريباً - إذن - أن نقرأ لهذا الكاتب أوزك رأياً في نابغ وآخر ينكر عليه نبوغه لا لشيء إلا لكونه قاصراً في نظرتة أو حاسداً إياه، أو مفترقاً عنه في المذهب أو العرق أو التفكير، أو هي مجتمعة كلها فيه. فتأتي (أحكامه...) مبتسرة تفوح منها رائحة لم يألّفها إلا هو.

لذلك نرى، ((إن كثرة الشاكّين في (النهج) لم يسلكوا طريقاً فنياً في التحليل، ولم يركنوا إلى مقياس علمي خلا العاطفة والأغراض، ولم يكونوا صيارفة كلام أحرار متجردين عن كل شيء)) وإلا - من كانت دقة التحليل وإجادة الوصف وفقاً على قوم دون قوم؟ أوليس الشعر العربي مملوء بدقة الوصف واستكمالها؟ ثم أليس لقرشي شهد تنزيل القرآن، وصحب أفصح العرب منذ نعومة أظفاره، وكتب له الوحي، وسمع ما يفجره الله تعالى على لسانه من ينابيع الحكمة، أليس لهذا القرشي ميزة عن سائر الناس؟.

ثم أما كان يجب على أولئك الكتاب الذين استكثروا على الإمام (عليه السلام) دقة الوصف - مثلما استكثروا عليه أشياء كثيرة غيرها بلا وجه حق - أن يدرسوا شخصيته بجوانبها كلها، وعند ذلك تكون أحكامهم متفقة وعظمة واستثنائية هذه الشخصية الفذة.

ثم أن علي بن أبي طالب كان يستعين بذاكرة قوية، وقدرة هائلة على اختزان صور الناس والطبيعة، وأخبار البشر، وأوصاف الأشياء. وكانت دقة ملاحظته تجعله محيطاً إحاطة مدهشة بسمات الشيء الباطنة قبل الظاهرة.

وبفعل ذلك كان وصفه يتغلغل إلى عمق الظاهرة، أو الصفة، كما يتسع ليربط الظاهرة بالأخرى، والصفة بالأخرى ليقدّم رؤية شاملة، تضع الجزئي في موضعه الحقيقي، ضمن العام، وتضع البعض ضمن الكل، وبما أن أبلغ وصف هو ذلك الذي ينقل الصور البليغة للأشياء ويعكسها بأجمل وأجلى تعبير، وأقوى إيماء، وأدق وصف؛ فإن سحر البيان الذي أوتيّه علي بن أبي طالب كان يجعل من عملية الانعكاس الوصفي قطعاً فريدة من النصوص الوصفية التي تفخر بها العربية. ولكن هذا الانعكاس الوصفي الفريد كان له رد فعل معاكس لا يساويه في المقدار البحثي العلمي المنهجي، بل ساواه في النكوص عن جادة الحق والتأمل المنصف، فكان ما جاء به محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمة نهج البلاغة وأحمد أمين في فجر الإسلام والدكتور شفيع السيد ومحمود محمد شاكر وغيرهم ممن أنكروا على الإمام علي (عليه السلام) هذا التفرد في التفكير والنظرة ودقة الوصف - هو من رد الفعل ذلك.

إن ما كان يتمتع به الإمام علي (عليه السلام) من خارقة فائقة التصور جعلت منه ((مبدعاً في ميادين الأساليب المتعددة، فهو يقدم النص الوصفي بالقدرة الرائعة، التي يقدم بها النص السياسي، أو الفقهي، والأخلاقي، ورغم أن وصف الأشياء يتصل اتصالاً دقيقاً بعملية انعكاس الأشياء نفسها في الذهن، فإن

طبيعة النفس المرهفة والعقل النير تجعل من عملية الانعكاس إعادة خلق صوري للموصوف. فيصبح الموصوف (في الصورة البلاغية) يشبه الحقيقة الملموسة للشيء الموصوف ويتجاوزه بالجمالية الممنوحة إليه من داخل كلمات النص.

إن علي بن أبي طالب كان يستنطق الصفات واهباً إياها المقدرة على أن تستعرض نفسها بشفافية أكبر)). تماماً كما يفعل المصور الفوتوغرافي عندما يريد التقاط صورته فهو يختار الجوانب الفنية للأشياء فتأتي صورته أكثر تأثيراً من الأصل المصور. وهنا يكون الاعتماد على قدرة هذا المصور الإبداعية في تحريك كاميرته واقتناص اللحظة والشكل وزاوية النظر فإذا كان مبدعاً حقاً جاءت صورته مترعة بدفق لوفي ناطق بكل آيات الإبداع.

وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ((تميز بقوة ملاحظة نادرة ثم بذاكرة واعية تخزن وتتسع، فتيسرت له من ذلك جميعاً عناصر قوية تغذي فكره وتقوي خياله فتسهل عليه محاكمة الأشياء والمقارنة بين عناصرها لإثبات أرجحها وأفضلها للبقاء والتعميم)).

فليس مستغرباً - إذن - على مثل علي بن أبي طالب (عليه السلام) - إلا - لدى قلة قليلة - أن يصف لنا - ذلك الوصف الرائع - بعض الحيوان مما جعل أصحاب ((الرأي...)) يقفون مذهولين إزاء هذه الصورة، بل اللوحات الزيتية الرائعة التقنية فلم يجدوا لأنفسهم مفرّاً منها إلا الإنكار من كونها من بنات أفكار علي (عليه السلام) لأن عصره يفتقر إلى تلك القدرة الإبداعية...! وإن الجزيرة العربية - والمدينة - لم تدجن الطاووس - مثلاً - الذي وصفه الإمام علي (عليه

السلام) فأبدع في وصفه على الرغم من أن ابن أبي الحديد قد أوضح لهم أن الإمام علي (عليه السلام) لم يشاهد الطواويس في المدينة بل بالكوفة وكانت يومئذ تجي لها ثمرات كل شيء. وتأتي إليه هدايا الملوك من الآفاق، ورؤية المسافدة مع الذكر والأنثى غير مستبعدة)).

أقول على الرغم من ذلك ظلوا يشككون في نسبة هذا الوصف الرائع للإمام علي (عليه السلام) متذرعين بحجج لا تقوم على دليل علمي ومنطقي.

وهذا كله من الجهل بمقام أمير المؤمنين وفضله ومبلغه من العلم. ولكي لا نترك الكلام عارياً من شواهد من وصفه (عليه السلام) نذكر نتفاً من ذلك الوصف على أننا سنعود إليه في فقرة لاحقة إن شاء الله.

قال (عليه السلام) يصف نملة :

((انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيأتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدق الفكر، وكيف دبت على أرضها وحببت على رزقها؛ تنقل الحبة إلى جحرها وتعددها في مستقرها، وتجمع في حرها لبردها وفي ورودها الصدرها، مكفولة برزقها، مرزوقة بوقفها، لا يفعلها المنان ولا يحرمها الديان ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس. ولو فكرت في مجاري أكلها، وفي علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجباً ولقيت من وصفها تعباً، ولوضرت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو فاطر النخلة، لدقيق تفصيل كل شيء، وغامض اختلاف كل حي)).

ص: 178

وقال (عليه السلام) يصف الخفاش :

((ومن لطائف صنعته، وعجائب حكمته، ما أرانا من غوامض الحكمة، في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء، ويسطها الظلام القابض لكل حي، وكيف عشيته أعينها عن أن تستمد من الشمس المضيئة نوراً تقتدي به في مذاهبها، وتصل بعلائية برهان الشمس إلى معارفها، وردعها تلاًؤ ضيائها عن المضي في سبحات إشراقها، وأكثها في مكامنها، عن الذهاب في بلج انتلاقها، فهي مسدلة الجفون في النهار عن أحداقها، جاعلة الليل سراجاً تستدل به في التماس أرزاقها، فلا يرد أبصارها أسداف ظلمته، ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته، فإذا ألفت الشمس قناعها وبدت أوضاع نهارها، ودخل من إشراق نورها على الضباب في وجارها، أطبقت الأجفان على مآقيها وتبلغت بما اكتسبت من فيء ظلم لياليها، فسبحان من جعل الليل لها نهاراً ومعاشاً، والنهار سكوناً وقراراً، وجعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة إلى الطيران، كأنها شظايا الأذان غير ذوات ريش ولا قصب، إلا أنك ترى مواضع للعروق بينة أعلاماً، لها جناحان لما يرقا فينشقا، ولم يغلظا فيثقلان وولدها لاصق بها لاجئ إليها، يقع إذا وقعت ويرتفع إذا ارتفعت، لا يفارقها حتى تشتد أركانه، ويحمله للنهوض جناحه، ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه، فسبحان الباري لكل شيء على غير مثال خلا من غيره .

وقال (عليه السلام) يصف الجراد :

((وإن شئت قلت في الجراد، إذ خلق الله لها عينين حمراوين، وأسرج لها

حدقتين قمرأوين، وجعل لها السمع الخفي، وفتح لها الفم السوي، وجعل الحس القوي، ونايين بينهما تقرض ومنجلين بهما تقبض، يرهبها الزراع في زرعهم ولا يستطيعون ذبها، ولوجلوا بجمعهم، حتى ترد الحرث في نزواتهما، وتقضي منه شهواتها، وخلقها كله لا يكون إصبغاً مستدقة .

وقال (عليه السلام) يصف الطاووس :

ويمشي مشي المرح المختال، ويتصفح ذنبه، وجناحيه فيقهقه ضاحكاً لجمال سرباله وأصاييغ وشاحه، فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا معولاً، وقد نجمت من طنوز ساقه صيصية خفيفة، وله في موضع العرف فتزعة خضراء موشاة، ومخرج عنقه كالإبريق، ومغرزها إلى حيث بطنه، لصبغ الوسمة البانية، أو كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال.

ثم : (ولو كان كزعم من زعم أنه يلحق بدمعة تسفحها مدامعه، فتقف في ضفتي جفونه، وأن أنثاه تطعم لذلك ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنحس، لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب).

هذا، فضلاً عن وصفه الأرض بأنهارها وجبالها وهضابها ومنبطحاتها، والسمااء ونجومها وما فيها من عجائب الخلق، ودقائق الصنعة.

إن دقة الوصف تلك من لدن الإمام علي (عليه السلام) تُعد مفخرة لحضارتنا العربية والإسلامية أن يبرز فيها مثل علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يحمل في تلافيف دماغه خوارق عقلية وفكرية عجيبة يظل التاريخ - مهما امتد واتسع - يذكرها بفخر واعتزاز .

ص: 180

ومما تعكزوا عليه في نفي نسبة ما في نهج البلاغة إلى الإمام علي (عليه السلام)، استعمال ألفاظ اصطلاحية، التي يزعمون أنها عرفت في علوم الحكمة بعد تعريب كتب اليونان والفرس الأدبية والحكّمية.

ولا أحسبني بحاجة إلى الإفاضة في هذا الموضوع لأنني قد تحدثت عنه في كثير من الموضوعات التي مرت وأبرزها قول النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) :

((أنا مدينة العلم وعلي بابها) لذلك وجدت من المفيد الاستئناس برأي لعلامة الشيخ محمد جواد مغنية، إذ يقول :

((إن في القرآن قضايا علمية وفلسفية وتشريعية لم تعرفها العرب في عهد النبي ولا قبله، وقد استدلت علماء الكلام، وفلاسفة المسلمين بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في كثير من الموضوعات الفلسفية التي تكلموا عنها، فهل هذه الآيات منحولة مدسوسة؟ وهل من الضروري - إذا اتفق قول مع قول - أن يكون أحدهما مصدراً للآخر؟ وقد أثبت علماء الغرب والشرق من غير المسلمين بأن القرآن والسنة هما المصدر الأوّل للحضارة الإسلامية وعلومها وفلسفتها،

وكلنا يعلم أن علياً هو صنو الرسول وتلميذه ونجيه، وشريك القرآن، بل هو القرآن الناطق، وما بين الدفتين القرآن الصامت.

والغريب أن هؤلاء المنكرون لا يستكثرون على ابن خلدون الكلام في علم الاجتماع قبل أن يعرفه روسو ومونتسكيو وأن يقولوا عن علومه ومعارفه: (إنها تدفق فجائي وحس باطني، واختمار لا شعوري)، يستكثرون على باب مدينة العلم أن يصف الطاووس، وأن يقول: الله أين الأين فلا يقال له أين؟ وكيف وكيف فلا يُقال له كيف؟ ولأن يصف الباري تعالي بصفات تليق بجلاله، وهو أعرف الناس به بعد الرسول.

هذا إلى أن الإمام (تتكلم عن أشياء لا يعرفها اليونان ولا غير اليونان).

تلك هي كلمة الحق والموضوعية ولكن المشككين يصمون آذانهم كي لا يسمعوها ويعصبون عيونهم كي لا يروا الحقيقة شمساً ساطعة.

ص: 182

ومن تشكيكاهم في نسبة ما في ((نهج البلاغة)) إلى الإمام علي (عليه السلام) ورود تقسيمات عددية فيه. يقول محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمته على النهج :

((وكذلك استعمال الطريقة العددية في شرح المسائل في تقسيم الفضائل أو الرذائل مثل قوله : ((الاستغفار على ستة معانٍ)) ((الإيمان على أربع دعائم، الصبر واليقين والعدل والجهد، والصبر منها على أربع شعب)).

ويمثل ذلك قال أحمد أمين وغيره.

لا- أدري أين كان الكُتَّابُ من أقوال العرب قبل الإسلام وأقوال الرسول محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأقوال الصحابة (رضوان الله عليهم)؟

يبدوأنهم لم يطلعوا على ذلك، وهذا نقص في الباحث عن الحقيقة فلا يحق له إعطاء الرأي - إذن -، وأنهم يعرفون ذلك ولكنهم يريدون طمس الحقائق من خلال نفي وجودها، وهذا ليس من حقهم لأنه تراث يخص حضارة العرب منذ

أن دب عربي على الأرض. وقبل أن تكون المذاهب والتعصب المذهبي، فإن غيرهم قد (فتح) عينيه (جيداً)) ورأي شمس الحقيقة ساطعة ولكنها مغطاة بغربال فمزقوا هذا الغربال فظهرت الشمس ((على ال..)) وهو ما نحن بصدد، إذ سنوظفهم من نومتهم بشمس الحقيقة ونجعلهم (يفركون) عيونهم من ظلام أناخ بكلكله عليهم فحرمهم ضوء الشمس ومتعة الضياء. ولكي يكون كلامنا لا ثاني له سنذكر ما جاء على لسان من تربي الإمام علي (عليه السلام) في حجره وأخذ عنه علومه في مدرسة الإسلام الأولى وهو الرسول العظيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولسان الصحابة والخلفاء الراشدين. وهو - بالتأكيد - قبل صدور ((نهج البلاغة)) بقرون.

فإذا قال الإمام علي لقائل بحضرته: أستغفر الله: ثكلتك أمك! أتدري ما الاستغفار؟ إن للاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معانٍ: أولها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العودة إليه أبداً، والثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عز وجل أمس ليس عليك تبعة، والرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها، والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس أن تذيب الجسم ألم الطاعة كما أذفته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله.

أقول.. فإذا قال الإمام ذلك فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال قبله:

((سنة أشياء حسنة ولكنها من سنة أحسن، العدل حسن وهو من الأمراء أحسن، والصبر حسن وهو من الفقراء أحسن، والورع حسن وهو من العلماء أحسن، والسخاء حسن وهو من الأغنياء أحسن، والتوبة حسنة وهي من الشباب أحسن، والحياء حسن وهو من النساء أحسن، وأمير لا عدل له كغمام لا غيث له، وفقير لا صبر له كمصباح لا ضوء له، وعالم لا ورع له كشجرة لا ثمر لها، وغني لا سخاء له كمكان لا نبت له، وشاب لا توبة له كنهير لا ماء فيه، وامرأة لا حياء لها كطعام لا ملح له)). وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((معشر المسلمين إياكم والزنا فيه ستة خصال، ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة، فأما التي في الدنيا فإنه يذهب البهاء، ويورث الفقر، وينقص العمر، وأما التي في الآخرة فإنه يوجب سخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار)).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أخلاء ابن آدم ثلاثة: واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره، والثالث إلى محشره، فالذي يتبعه إلى قبض روحه فماله، والذي يتبعه إلى قبره فأهله، والذي يتبعه إلى محشره فعمله)). وعن عبد الرحمن بن عوف قال: إنه دخل على أبي بكر الصديق في مرضه الذي توفي فيه فأصابه مهتماً فقال له عبد الرحمن: أصبحت والحمد لله بارئاً، فقال أبو بكر أترأه؟

قال: نعم.

قال: إني وليت أمركم خيركم في نفسي فكلكم ورم أنفه من ذلك يريد أن يكون الأمر له دونه، ورأيتم الدنيا قد أقبلت ولما تقبل وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير، ونضائد الديباج، وتألماوا الاضطجاع على الصوف الأذري كما يؤلم

ص: 185

أحدكم أن ينام على حسك، واللّه لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من أن يخوض في غمرة الدنيا، وأنتم أول ضال بالناس غداً، فتصدونهم عن الطريق يميناً وشمالاً، يا هادي الطريق إنما هو الفجر أو البحر.

فقلت له :

خفض عليك - رحمك الله - فإن هذا يهيضك في أمرك، إنما الناس في أمرك بين رجلين إما رجل رأى ما رأيت فهو معك، وإما رجل خالفك فهو مشير عليك، وصاحبك كما تحب، ولا نعلمك أردت إلا خيراً، ولم تزل صالحاً مصلحاً، وأنت لا تأس على شيء من الدنيا.

قال أبو بكر :

((أجل إني لا آسي على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني تركتهن وثلاث تركتهن وددت أني فعلتهن، وثلاث وددت أني سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عنهن.

فأما الثلاث التي وددت أني تركتهن، فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب ووددت أني حرقت الفجاءة السلمي وأنني قتلتاً سريحاً، أو خليته نجيحاً، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين - يريد عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً .

أما اللاتي تركتهن، فوددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه، فإنه تمثل لي أنه لا يرى شراً إلا أعان عليه، ووددت أني حين سيرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة كنت أقمت بذئ القصة، فإن ظفر المسلمون ظفروا

ص: 186

وإن هزموا كنت بصدد لقاء أو مدد ووددت أني إذ وجهت خالداً إلى الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق، فكنت قد بسطت يدي كليهما في سبيل الله، ومدّ يديه. ووددت أني سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لمن هذا الأمر؟ فلا ينازعه أحد، ووددت أني كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمة فإن في نفسي منهما شيء)).

وقال عمر بن الخطاب في حديث له :

((النساء ثلاث فهينة لينة، عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها، وأخرى وعاء للولد، وأخرى على قمل يضعه الله في عنق من يشاء ويكفه عن من يشاء.

والرجال ثلاثة، رجل ذورأي وعقل، ورجل إذا حزّ به أمر أتى ذا رأي فاستشاره، ورجل حائر بائر، لا يأتّمر رشداً ولا تبع مرشداً)).

تلك بعض الأحاديث النبوية والأقوال التي وردت عن أبي بكر وعمر، وهي جزء يسير مما لو أردنا الإفاضة به، وهدفنا الإشارة فقط إلى أن هذا اللون من الكلام متجذر في عمق الحضارة العربية ولكن إزميل محمد محيي الدين وأحمد أمين وشفيع السيد ومحمود محمد شاكر وغيرهم، إما أن يكون قصيراً فلا (بنوش العمق) أو من معدن رخوفلا يستطيع التوغل في البحث أو مثلاً لا يصلح لعمل بحث علمي منهجي كهذا. أقول هذا مضطراً لأن المطابع في لبنان - خاصة - تضح يوماً مئآت العنوانات من الكتب، وللكتب التراثية حصة كبيرة منها، ولكن

مع ذلك نرى أمثال هؤلاء الكتّاب لم يشيروا إلى ما أشرنا، يبدو أنهم لا يريدون أن يطلعوا على تلك المصادر لكي يقنعوا أنفسهم بأن ما قالوه من المسلّمات..

أما نحن فقد أدينا مهمتنا فليؤمن من يريد أن يؤمن وليكفر من يريد أن يكفر. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ص: 188

ومن تشكيكاتهم في ((نهج البلاغة)) كونه احتوى على بعض الخطب والأحاديث التي تنبأ وتوقع الإمام منها وقوع أحداث مستقبلية فقالوا إنها منحولة..! ومن مدخول الكلام عليه.

قال محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمته على نهج البلاغة :

((إن فيه عبارات ما يشم منه ريح ادعاء صاحبه على الغيب، وهذا أمر يجل عن مثله مقام علي ومن كان على شاكلة علي ممن حضر عهد الرسول ورأى نور النبوة)).

أما عباس محمود العقاد هو الآخر يقول :

((إن التنبؤات التي جاءت في ((نهج البلاغة)) عن الحجاج وفتنة الزنج وغارات التتار وما إليها من مدخول الكلام عليه، مما أضاف النساخ إلى الكتاب بعد وقوع تلك الحوادث بزمن قصير أو طويل)).

لقد تحدثنا في الفقرة التاسعة (دقة الوصف) عن الخارقة التي كان الإمام

يتمتع بها في شيء من الإيجاز أو يمرور الكرام، وفي فقرتنا هذه نرى أن نتوقف عندها بشيء من التفصيل غير المتوسع فيه

إن الخارقة كعلم لم يثبت أقدامه بعد في وطننا العربي ولكنه في غير وطننا العربي دخل المختبرات وصاروا يجرون عليه التحليلات المختبرية في جوانبه كلها؛ كما في أمريكا والاتحاد السوفيتي (السابق) ولقد اهتمت تلك الدولتان بهذا العلم وسمي (الباراسايكولوجي) أي ما وراء النفس، أو الإدراك الحسي العالي، أو الخارقة كما ثبتنا في فقرتنا التاسعة وفقرتنا هذه.

في الواقع إن الخارقة موجودة في هذا الشعب أذاك وفي أجناس مختلفة من العالم وفي عصور مختلفة هي الأخرى. ولكم قرأنا أو سمعنا أن شخصاً ما ظهر في هذا المكان أذاك وصار يتحدث بأشياء مستقبلية ويطبب المرضى ويؤثر في الأشياء سلباً وإيجاباً بنظرة من عينيه، أو يستكنه الأشياء المخفية فيدل عليها ويعطي أوصافها وكمياتها أو مقاديرها. وإذا ما أردنا الخوض في هذا الموضوع فالأمثلة من الكثرة بحيث يمكن إفراد كتاب ضخماً لها ولكننا سنضرب أمثلة قليلة ونمر بها سريعة لندخل بعد ذلك في موضوعنا (الانبؤات والتوقعات عند الإمام علي (عليه السلام)).

في أحد الأيام دخل شاب ألماني إلى مدينة الألعاب عندهم (لونا بارك) وبعفوية محضة نظر إلى ساعته اليدوية وركز في نظره على أميالها فالتوت الأميال فتعجب من الأمر فرفع رأسه شاخصاً ببصره إلى العربات الكهربائية السلكية وهي تجري في الفضاء كأنها تسير على سكة قطار على الأرض وصار يديم النظر بتركيز

شديد فتوقفت العربات عن العمل وأصاب الناس الذعر فهرع مسؤولو مدينة الألعاب وفيما هم في حيرة من أمرهم، أخبرهم الشاب الألماني أن توقفها كان بتأثير من عينيه، وهنا سرعان ما استدعي ذلك الشاب إلى مقر لجنة من العلماء ليستفيدوا من قدرته الخارقة تلك.

وثمة صبي اسمه (عليوف) كان طالباً في مدرسة متوسطة في مدينة (كييف) في الاتحاد السوفيتي (السابق)؛ كان هذا الصبي لا يرتاح لدرس الأدب وفي أحد الأيام - وهو على رحلة الدرس - صار يركز نظره على المدرس المختص بدرس الأدب، حتى استطاع - من غير أن يدري بادئ الأمر - أن يربك المدرس فصار يتلعثم بكلامه أويذرع الغرفة جيئة وذهاباً بلا إرادةٍ منه. ولما شعر المدرس بالإحراج كلف أحد الطلاب بقراءة الدرس فصار (عليوف) يركز نظره على زميله فأربكه هو الآخر فعرف (عليوف) أن ذلك كان بتأثير عينيه فأخبر أهله بالأمر فصاروا يختبرونه إذ أخفوا روبلات عدة وسألوه عما أخفوا فأخبرهم ودلهم على مكانها.

وثمة عائلة تسكن قضاء الكوفة التابعة حالياً لمحافظة النجف تعمل في صيد السمك يستطيع أفراد هذه العائلة رؤية ما خلف الثياب بقدرة خارقة من أبصارهم.

وثمة عائلة أخرى في قضاء الهندية (طويريج) التابع لمحافظة كربلاء (حالياً) يستطيع أي واحد منها إيقاف السفن عن الحركة بمجرد النظر إليها بتركيز خاص.

وثمة فتاة وأبوها في لبنان يستطيع الأب تسريب حرارة المحموم من جسمه

بمجرد مسك يد المحموم فتسرب الحرارة من جسمه إلى يد الرجل ومنها تنتشر في الفضاء. فيما تستطيع الفتاة أن تحرك الأشياء من غير أن تلمسها، كما تستطيع قراءة أي كتاب بالمقلوب.

وفي الستينيات من القرن العشرين ظهر صبي عراقي اسمه عادل شعلان يستطيع حل أي مسألة حسابية أو رياضية معقدة من غير أن يستعمل القلم أو أي جهاز إلكتروني. وكان في الصف الخامس الابتدائي. ومثله فتاة هندية.

وفي أوائل سبعينيات القرن العشرين ظهر صبي آخر في العراق اسمه ظافر إذا أظهره السيد كامل الدباغ في برنامجه التلفزيوني (العلم للجميع) كان يضرب أي رقم في أي رقم آخر مهما طال ويعطي النتائج بلا خطأ. حتى وصل حد الأرقام إلى ما لا توجد في أرقامنا فسماه مقدم البرنامج : (ظافيون).

وثمة طفلة في كوريا لأبوين مدرسين في كلية الهندسة تستطيع حل أعقد المسائل الهندسية التي عجز الطلاب من حلها وقد عرضت في تلفزيون العراق.

وفي العراق أشخاص كثيرون يتمتعون بكهرومغناطيسية في أجسامهم يستطيعون بوساطتها شفاء كثير من الأمراض.

كما أن بعض الأشخاص منهم لهم القدرة على التنبؤ بنتائج الانتخابات العامة، ويتوقعون أحداثاً مستقبلية أغلبها، إن لم يكن كلها، صادقاً وواقعاً.

وأخيراً، وليس آخراً، أن ثمة الطبيب الفرنسي الشهير صاحب التنبؤات المعروفة باسمه ((تنبؤات نوستر آداموس)) التي طبعتها الدار الوطنية لوزارة الثقافة والإعلام في العراق. تلك التنبؤات التي اهتم بها العالم أيما اهتمام وصوّرت

بالفيديو وعرضت على شاشات التلفزيون؛ وهي عبارة عن رباعيات فيها توقعات أحداث خلال عشرة قرون، قال شَرَاهُهَا إنها تحققت وما زالت تنتظر التحقيق. تلك كانت إمامة سريعة عن ذوي القدرات الخارقة ومن أراد التوسع يمكنه أن يجد ذلك من خلال معاينات شخصية في الحياة أو خلال تناثرها هنا وهناك في بطون الكتب التراثية والحديثة.

والآن نتساءل، أيهما أقرب إلى التصديق والقبول في امتلاك قدرة خارقة، الشاب الألماني أو عليوف أو عادل شعلان أو ظافر أو الطفلة الكورية أو الرجل اللبناني وابنته أو العائلة الكوفية (السَّ مَآكة) أو العائلة الطوير جاوية - نسبة إلى قضاء طويريج (الهندية) - أو نوستر آداموس أم الإمام علي بن أبي طالب؟؟.

نحن لا نعرف عن أولئك الذين ذكرناهم الشيء الكثير في النسب والعراقة، ولكننا نعرف عن علي بن أبي طالب (عليه السَّلام) إنه ربيب حجر النبوة، إذ تقول الروايات إنه (عليه السَّلام) عندما ولد جاءه الرسول محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ففتح الغشاوة فأخرج منها غلاماً حسناً فشاله بيده، وسماه علياً، وبصق في فيه وأصلح أمره ثم إنه ألقمه لسانه، فما زال يمصه حتى نام. وقد ذكرنا ذلك من قبل. وهكذا كان في اليوم الثاني.

إذن فعلي بن أبي طالب (عليه السَّلام) ما كان شخصاً عادياً مقطوع الجذور عن العراقة العربية والنبع الإسلامي الصافي؛ فهو إمام البلغاء وسيد الفصحاء وهو باب مدينة العلم، وهو الذي ((سنَّ الفصاحة لقريش))، وهو الذي تعلم من ذي علم، وهو الذي ورث علمه من رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ). فهل

كثير عليه أن يتنبأ ويتوقع؟

إن العالم يقيم الدنيا ويقعدها إذا ما برز شخص في جانبٍ ما فيه شيء من الخارقة فتبدأ الصحافة والوسائل المسموعة والمرئية تتسابق في نشر الخبر وتنظيم اللقاءات معه، والشواهد كثيرة عبر تاريخنا المعاصر.

فما بالناس نحن العرب - وقد برز فينا شخص قلما برز مثله في التاريخ - وأعني به الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا نفخر به أمام العالم باعتباره يشكل الجزء الأكثر إضاءة في حضارتنا العربية والإسلامية؟

وللأسف أقول إننا بدلاً من أن نزداد فخراً بشخصية علي بن أبي طالب (عليه السلام) انبرى بعض مثقفينا، لا للتقليل من شأنه (عليه السلام) حسب، بل التوجيه السهام من خلال التشكيك بمعطياته الذهنية والإبداعية ناسين، أو متناسين أن التشكيك بتلك المعطيات إنما هو تشكيك بحضارتنا العربية والإسلامية لأن علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقف في رأس تلك الحضارة كأبرز معلّم من معالمها التاريخية المضيئة.

لقد ((خُص علي بن أبي طالب بالمعرفة الإلهامية، مثلما خص بالتوقد العقلي، وقد تلقى علي (عليه السلام) تلك المعرفة من النبي العظيم، الذي كان يلقيه العلم، ويشهده التجربة، فكانت روحه ترى ما لا تراه العين، وكان ذهنه الذي يتفتق عن المعارف والأفكار، يومض بالحدس، والتوقعات التي تدخل ضمن رؤى أكدتها الأحداث والوقائع)).

إن المغيبات في نهج البلاغة إنما هي ((نتيجة تعلم الإمام من ذي علم، فإن

اللّٰه تعالى أطلع نبيّه (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم) على أمور غيبية فعلمها النبي لوصيّته (عليه السّلام) ودعا له بأن يعيها صدره وتضطم عليها جوانحه، فأخبر أمير المؤمنين الناس ببعض ذلك حسب مقتضيات الأحوال، وأفضى إليهم ببعض ما سمع وما كذب ولا كُذّب)).

قال الإمام موسى الكاظم (عليه السّلام) مجيباً يحيى بن عبد اللّٰه بن الحسن لما قال له : ((جعلت فداك إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب ؟)) فقال (عليه السّلام) :

- سبحان اللّٰه ضع يدك على رأسي فواللّٰه ما بقيت شعرة فيه ولا في جسدي إلا قامت.

ثم قال (عليه السّلام) :

- ((لا واللّٰه ما هي إلا وراثه ورثتها عن رسول اللّٰه (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم)).

وقال الشيخ ميشم البحراني في شرحه ((نهج البلاغة)) في كيفية علم أمير المؤمنين (عليه السّلام) بعض المغيبات :

((لا يقال لا نسلم إن ذلك علم ألهمه اللّٰه إياه، وأفاضه عليه، بل الرسول (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم) أخبره بوقائع جزئية من ذلك، وحينئذ لا يبقى بينه وبين غيره فرق في هذا المعنى، فإن الواحد منا لو أخبره الرسول (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم) بشيء من ذلك لكان له ان يحكي ما قاله الرسول وإن وقع الخبر به على مثل قوله، ويدل على ذلك قوله بعد وصف الأتراك وقد قال له بعض أصحابه في هذا المقام :

- لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب، فضحك وقال للرجل وكان كليباً :

- يا أخا كلب ليس هذا بعلم غيب، إنما هو تعلم من ذي علم. وإنما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه بقوله :

{ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (لقمان (30) }.

من ذكر وأثنى وقبيح وجميل، وشقي وسعيد، ومن يكون للنار حطباً، أو في الجنان للنبيين مرافقاً، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) فعلمنيه، ودعا بأن يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي))

وهذا تصريح بأنه تعلم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأننا لا نقول : إنا لم ندع أنه (عليه السلام) يعلم الغيب، بل المدعى أنه كان لنفسه القدسية استعداد أن تنتقش بالأمور الغيبية عن إفاضة جود الله تعالى، وفرق بين الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وبين ما ادعينا، فإن المراد بعلم الغيب هو العلم الذي لا يكون مستفاداً عن سبب يفيد ذلك إنما يصدق في حق الله تعالى إذ كل علم الذي علم مداه فهو مستفاد من جوده إما بواسطة أو بغير واسطة فلا- يكون علم غيب وإن كان إطلاعاً على أمر غيبي لا يتأهل للإطلاع عليه كل الناس، بل يختص بنفوس خُصت بعناية إلهية كما قال تعالى :

{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَيَّ غَيْبِي أَحَدًا} (الجن (26)).

فإذا عرفت ذلك ظهر أن كلامه (عليه السلام) صادق مطابق لما أردناه فإنه نفى أن يكون ما قاله علم غيب لأنه مستفاد من جود الله تعالى، وقوله :

((وإنما هو تعلم من ذي علم)) إشارة إلى واسطة تعليم الرسول له وهو إعداد نفسه على طول النصيحة بتعليمه، وإشارة أن كيفية وأسباب التطوع والرياضة حتى استعد للانتقاش بالأمور الغيبية والإخبار عنها، وليس التعليم هو إيجاد العلم - وإن كان أمراً قد يلزم إيجاد العلم - فتبين إذن، أن تعليم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن مجرد توقيفه على الصور الجزئية بل إعداد نفسه بالقوانين الكلية، ولو كانت الأمور التي تلقاها عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) صوراً جزئية لم يحتج إلى مثل دعائه وفهمه لها فإن فهم الصور الجزئية أمر ممكن سهل في حق من له أدنى فهم، وإن ما يحتاج إلى الدعاء، وإعداد الأذهان له بأنواع الإعدادات هو الأمور الكلية العامة للجزئيات وكيفية انشعابها عنها وتفريعها وتفصيلها وأسباب تلك الأمور المتعددة لإدراكها، وما يؤيد ذلك قوله (عليه السلام) : ((علمني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ألف باب من العلم فانفتح لي من كل باب ألف باب)). وقول الرسول : ((أعطيت جوامع الكلم وأعطي علي جوامع العلم)). والمراد بالانفتاح ليس إلا التفريع وانشعاب القوانين الكلية عما هو أهم منها، وبجوامع العلم ليس إلا ضوابطه وقوانينه. وفي قوله (أعطي) بالبناء للمفعول دليل ظاهر على أن المعطي لعلي جوامع العلم ليس هو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بل الذي أعطاه ذلك هو الذي أعطى النبي (صلى

اللّٰه عليه وآله وسلّم) جوامع العلم وهو الحق سبحانه .

أما الأمور التي عددها اللّٰه سبحانه فهي من الأمور الغيبية، وقوله :

لا يعلمها أحد إلا اللّٰه كقوله تعالى :

{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَآسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (الأنعام/59) }.

وهو محتمل للتخصيص كما هو في قوله :

{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (الجن (26) }.

وهذا الأمر واضح لا يحتاج العاقل إلى استكشافه إلى كلفة).

يظهر ما نقلنا عن البحراني - وقد أطلنا فيه - إن معطيات الإمام علي (عليه السلام) التنبؤية والتوقعية أو (الغيبية) مصدرها أمور ثلاثة هي :

1 _ التكوين الخلقى : أي تكون الخلايا الدماغية التي تتحسس ما هو فوق الإدراك الحسي الاعتيادي للإنسان كالحاسوب الذي بلغ من تطوره العمليتي ما تجاوز الأجيال التي سبقتة في الصنعة شكلاً ومحتوى، أي في الحجم والخلايا، وهذا التكوين من اللّٰه جلت قدرته.

2 _ التعليم المستمر والدريّة المتواصلة والرياضة النفسية وهذا من الرسول (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم).

3_ الاستعداد النفسي في التحمل والصبر، وهذا ما ألزم نفسه به (عليه السلام) فهو منه.

إذن؛ إن الإمام علي (عليه السلام) أراد الله أن يكون كذلك فأوصى إلى نبيه الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يعدّه الإعداد الذي أراد الله فلبي الرسول أوامر ربه خاصة أنه وجد في الإمام (عليه السلام) الاستعداد المدهش لهذا التكليف الإلهي.

((وقد كانت البصيرة المحمدية الملهمة، قد أعطت كلمات النبوءة التي فسّرت جميع ما مر به علي بن أبي طالب (عليه السلام) من محن أو صراعات، وحروب مدمرة، داخل الوسط الإسلامي، ومن الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رجل يقال له ((ذوالثدية)) كان - قبل ذلك - يتجاسر على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو يوزع غنائم معركة (حنين)).

- اعدل يا محمد!

فيتجاهله الرسول، فيكرر بصلافة :

- اعدل يا محمد!

ثم يكرر :

- اعدل يا محمد فإنك لم تعدل!

فيجيبه الرسول غضباً :

- ويلك ! ومن يعدل إذا لم أعدل؟

أراد البعض قتله، ولكن الرسول أبي ذلك، ثم قال لهم :

((.. سيخرج من ضئضيء قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من

الرمية، ينظر أحدكم إلى نصله فلا يجد شيئاً، ثم ينظر إلى القذذ فكذلك سبق الفرث الدم.. يخرجون علي حين غرة من الناس تحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم، وصومكم عند صومهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، آيتهم رجل أسود محدج اليد، إحدى يديه كأنها ثدي امرأة، إنهم شر الخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربه عند الله وسيلة..)).

وحلّ وقت آخر، وفي زمن آخر، توجه فيه علي (عليه السلام) إلى الخوارج الذين قادوا أنفسهم إلى المذبحة والهزيمة.

كان علي متأكداً أن ((ذو الثدية)) من بين قتلى الخوارج، قائلاً لأصحابه :

((والله ما كذبتُ وما كُذبتُ - أطلبوا الرجل - إنه في القوم!)).

وفتسوا الجثث واحدة واحدة، حتى عثروا عليه فصاح الناس :

- ذو الثدية!

خرّ عليّ ساجداً شاكراً وهو يقول :

- صدق الله ورسوله!

وهلل المسلمون.

- الله أكبر.. الله أكبر؟

وتوأتية المعرفة الإلهامية بتنبؤ مدهش حين جاؤوه يمروان بن الحكم، بعد انتصاره في حرب الجمل، وكان قد استشفع له الحسن والحسين (عليهما السلام) طالبين له الغفران.

ص: 200

وانتهى الفتیان بعد قليل من استرحامه، واستنزال عفوہ، على الباغي المقهور، ثم أردفا يقولان :

- يبايعك يا أمير المؤمنين .

وتأتي ومضة أخرى تميظ الغطاء عن أحداث مأساوية قادمة فيا لها من ومضة تكشف عن مأساة كالحة!

كان في طريقه إلى الشام، فوقف عند بقعة؛ سيشتهر إسمها (كربلاء) وظل يرنو إليها بنظرة واجمة، ويهمس بصوت حزين :

((هاهنا، هاهنا! هاهنا موضع رحالهم! ومناخ ركابهم!! هاهنا مهراق دمائهم)).

فتأخذ الناس من حديثه رجفة، ويسألون في توجس وإشفاق :

((وماذا يا أمير المؤمنين؟)).

ويتمهل بهم حتى إذا دارت عينه فرأت الحسين، توقف نظره، على محيّاہ في رنوة حانية، ندية غائمة، هتف يجيب :

((ثقل لآل محمد ينزل هاهنا.. فويل لها منكم.. وويل لكم منها.. وويل لهم منكم : تقتلوهم.. وويل لكم منهم، يدخلكم الله بقتلهم إلى النار!)).

ويسير ناكس الرأس إلى مطيته .

ونظيف إلى ما أوردناه من تنبؤاته وتوقعاته (عليه السلام) تلك الرؤيا الواقعية التي جعلته يرى وجه قاتله ((عبد الرحمن بن ملجم المرادي)).

يرى يده .. وهياتہ

ص: 201

فيحُدس حدس العارف بباطن الزمن الآتي، كان رسول الله يقول له :

- يا علي.. أتعلم من أشقى الأولين؟

- نعم.. عافر الناقة .

- أتعلم من أشقى الآخرين؟

- لا..

- من يضربك ها هنا (مشيراً إلى هامته)، ويخضب هذه (مشيراً إلى لحيته).

وها هو الأشقى يأخذ حصته من العطاء، علىّ يتفحصه مردداً :

- من يحبس أشقاها؟

ما كان ابن ملجم يعلم ما أذخره له القدر من دور خسيس، لكن علياً كان يتذكر كلمات الرسول، كان يتذكر نبوءة الدم، وفعلة الشقي، فكم قال لبعض خاصته المحبين الذين كانوا يشفقون عليه، حين الحرب من خوض الحشود، واقتحام السلاح، غير آبه شيئاً بما يصيبه أثناء القتال :

((إني لا أقتل محارباً، وإنما أقتل فتكاً وغيلة .. يقتلني رجل خامل الذكر)).

و((والتقت العيون المذعورة، واسعة الحملاق، حائرة النظرات، وتناثر في الجوحوله رشاش الهمسات في تساؤل واستفسار، لكن الإمام مال عنهم إلى الوافد المشبوه، فمنحه عطاءه الذي جاء له، ثم تمثل بيت شعر لعله يغني عن التفسير :

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

هنا إنبتق من البيت المروي مثل شعاع أضاء في الخواطر ماقد غمض على

ص: 202

الناس في بدء ذلك اللقاء، من كلام الإمام، الآن رفع الغطاء! برح الخفاء وانجاب الستر عن السر المسربل بالغيب، فلا حاجة بهم إلى تعقب أمره، أوتيين ملامحه من خلال غموض الإيماء.. فطالب العطاء الذي أثار قلق القوم، وحرك فيهم الشعور بالخطر حميري من اليمن فيما يعلم نفر منهم غير قليلين، نسبة آل مراد، أهو حليف المراد..؟

- هلا تقتله يا أمير المؤمنين؟

- فكيف أقتل قاتلي؟

ثم قال :

- إنه إن لم يقتلني، فكيف أقتل من لم يقتل؟

أي كيف يقام القصاص بغير جرم، والعقاب قبل الجريمة؟.

ومن تنبؤاته (عليه السلام) لما قال :

((سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مئة وتهدي مئة إلا أنبأتكم بناعتها وسائقها).. قام إليه رجل فقال :

- أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر .

فقال له (عليه السلام) :

- والله لقد حدثني خليلي إن على كل طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك وإن على كل طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك وإن في بيتك سخاتٌ يقتل ابن رسول الله (عليهما السلام).

ص: 203

وكان ابنه قاتل الحسين (عليهما السلام) طفلاً يحبو، وهو سنان بن أنس النخعي.

وروى الحسن بن محبوب عن ثابت الشمالي، عن سويد بن غفلة أن علياً (عليه السلام) خطب ذات يوم، فقام رجل من تحت منبره فقال: يا أمير المؤمنين إني مررت بوادي القرن، فوجدت خالد بن عرفطة قد مات، فاستغفر له، فقال (عليه السلام):

- والله ما مات ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن حمار، فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال:

- يا أمير المؤمنين، أنا حبيب بن حمار، وإني لك شيعة محب.

فقال:

- حبيب بن حمار؟

قال:

- نعم

قال له ثانية:

- الله إنك لحبيب بن حمار؟

فقال:

- إي والله.

فقال:

- أما والله إنك لحاملها ولتحملنها، ولتدخلن بها، من هذا الباب - وأشار

ص: 204

قال ثابت :

((فوالله ما مت حتى رأيت ابن زياد، وقد بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن علي (عليهما السلام) وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته وحييب بن حمار صاحب رأيته، فدخل بها من باب الفيل)).

ومن تنبؤاته (عليهما السلام) : ما أخبر به أن أعشى همدان يقتل على يد الحجاج بن يوسف الثقفي فكان ما أخبر به.

تلك التنبؤات ما هي إلا غيوض من فيض وبعض من كل سقناها لا لغرض إحصائي، بل للإشارة فقط لعل الذين يشككون بأقوال الإمام وخارقته أن يمزقوا تلك الشرائق التي لفوا أنفسهم بها، كما شكك العقاد رحمه الله بما ورد عنه (عليه السلام) عن الحجاج وفتنة الزنج وغارات التتار، فقال عنها: ((إنها من مدخول الكلام عليه)). ((هب إن الأخبار عن الحجاج وفتنة الزنج أضيفت إلى الكتاب بعد صدوره بزمن قصير أو طويل - لأنه لا يريد أن يتهم الرضي بالوضع - ولكن كيف تضاف إلى الكتاب الأخبار عن فتنة التتار، وكل حوادث التتار من حملات جنكيز خان إلى احتلال هولاء كوبغداد كان ما بين سنة (616) وسنة (656) وهذه نسخ ((نهج البلاغة) المخطوطة قبل هذا التاريخ.. وفيها نسخة المتحف العراقي المؤرخة سنة (556) هم أي قبل وقوع تلك الحوادث بمئة عام وفيها هذا الكلام الذي يشير فيه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى تلك الفتن والمحن وهولا يختلف عما في النسخ المطبوعة، بل والمخطوطة أيضاً.

يقول ابن أبي الحديد في شرحه خطبة الإمام علي (عليه السّلام) التي أشار فيها إلى التتار ((واعلم أن هذا الغيب الذي أخبر (عليه السّلام) عنه قد رأيناه عياناً، ووقع في زماننا، وكان الناس ينتظرونه من أول الإسلام حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا، وهم التتار الذين خرجوا من أقاصي المشرق..)).

لا أدري هل يكفي ما نقلنا من شواهد وما ثبتنا من عيّنات أولئك المشككين في نسبة (نهج البلاغة) إلى الإمام علي (عليه السّلام)، إذا كانوا موضوعيين فإنه يكفي وإلا فهم في ضلال مبين، لا يفرقون بين الليل والنهار ولا بين الظلمة والضياء، ولا بين الحق والباطل.

فلو كان علي بن أبي طالب (عليهما السّلام)م (نوسترا داموس) لطبّلوا له وزمّروا ولشرحوا رباعياته وعملوا لها أفلاماً عرضوها على الشاشة الصغيرة، ولقالوا فيه ما قالوا بالشواهد والأدلة على صدق تنبؤاته. ولكن علي بن أبي طالب المسلم الأوّل وأصلب المجاهدين في سبيل الإسلام وابن عم الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) وزوج ابنته ووصيه وباب مدينة علمه، أقول.. ولكن علي بن أبي طالب (عليهما السّلام) أذهلهم بمعطياته الذهنية فراحوا في ضلالهم يعمهون ويقولون ما لا يفقهون ويلقون الكلم على عواهنه دون الرجوع إلى الأسانيد والثوابت التاريخية التي لا تقبل الرد والطعن.

ومما أخذوه على (النهج)) ما فيه من الحث على الزهد، وذكر الموت، وقرض أوزم الدنيا على منهاج المسيح (عليه السلام).

فالحياة الدنيا انعكاسات سلوكية الإنسان عبر نشاطاته وفعالياته ومعطياته المتعددة الجوانب، والإنسان نفسه - منذ أن هبط على هذه الأرض - كان أسير مفاصل الحياة؛ فكل مفصل يشده إليه، بهذا القدر أو ذاك، منذ أن كانت تلك المفاصل بسيطة لا تتعدى الغابة ومتطلباتها حتى تعقدت فشملت المدينة وتمخضاتها المتسارعة والمشابكة بوتائر مرة تتساق مع فهم الإنسان واستيعابه إياها وحيناً تسبقه في ذلك فيظل يلهث راکضاً خلف تلك التمخضات فيسقط في هذه الحفرة أو تلك ويصطدم بهذا الجدار أو ذاك وتأخذه الأمواج متلاطمة بين اصطفاق تلاطمها فلا ينجو منها إلا من كان يجيد السباحة فيرسو على البر متأملاً ذلك التلاطم في الأمواج تأمل من يريد أن يرسم له طريقاً يجعل الحياة معبراً إلى مستقر آخر يبعده عن تلك الحفر والجدران وذلك التلاطم في الأمواج.

وكان علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو ذلك السابح الماهر الذي استطاع

أن يتبين طريقه فيتجنب السقوط في حفر الحياة الدنيا والاصطدام بجدرانها والانجراف بأمواجها المتلاطمة، حتى إذا تمكن من ذلك تمكن الوائق من نفسه المعتمد على قدراته الإرادية المتفردة صار يراقب أولئك المتساقطين في حفر الحياة والمصطدمين بجدرانها والمنجرفين بتيارات أمواجها، وعندما اكتملت الصورة لديه راح يخضعها لفحوصات مختبرية عديدة من حيث المنظور والتساقط اللوبي والأبعاد وغير ذلك من مقومات الصورة فخلص من تحليلاته المختبرية تلك إلى : أن الإنسان - لكي يكون في مأمن من حفر الحياة وجدرانها وأمواجها المتلاطمة - يعتمد في انعكاساته السلوكية ثلوثاً لا بد منه، شاء أو أبي، هو: (الزهد.. ذكر الموت.. ذم الحياة).

والزهد في نظر الإمام علي (عليه السلام) له مفهوم خاص قد تفرد به بعد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ بدأ بمحاسبة نفسه محاسبة شديدة ونادرة تفوق تصور العقل الإنساني؛ فقد تحدى الإمام مغريات الحياة وزخرفها البراق الخداع بخط مستقيم وثابت واعتمد في ذلك قانوناً صارماً سنّه لنفسه فسار بمقتضاه طوال حياته العاصفة، والقانون هو :

(من نصب نفسه للناس إماماً، فليبدأ بتعليم نفسه، قبل تعليم غيره).

وكان الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) أسوته الحسنة في ذلك إذ روى عنه قائلاً :

((لقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد، ويخفف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري، ويردف

خلفه، ويكون الستر على باب بيته، فتكون فيه التصاوير فيقول :

يا فلانة، لإحدى زوجاته، غيبه عني فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها، فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه لكي لا يتخذ منها ريشاً، ولا يعتقدها قراراً، ولا يرجو منها مقاماً)).

وفي التطبيق العملي نراه (عليه السلام)، بعد أن هاجر إلى المدينة مع من هاجروا إشتغل في مزرعة لأحد اليهود، ((وبلغت ثروته ذات يوم أربعة دراهم فكره من أجلها نفسه، وسعى سعيه بالليل والنهار حتى أنفقها على ذوي حاجات فنزلت فيه الآية الكريمة :

{ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (البقرة/276) }.

وخاطب بعض معارضيه بقوله (عليه السلام) :

[اما تتقmon مني؟ إن هذا من غزل أهلي (وأشار إلى قميصه)].

وراه عدي بن حاتم وبين يديه شنة فيها قراح ماء وكسرات من خبز شعير وملح، فقال :

- إني لا أرى لك يا أمير المؤمنين لتظل نهارك طاوياً مجاهداً وبالليل ساهراً مكابداً، ثم يكون هذا فطورك؟

فقال الإمام (عليه السلام) :

علل النفس بالقنوع وإلا طلبت منك فوق ما يكفيها ورد على الذين كانوا يرون في قوته (عليه السلام) ما يضعف صحته، فيقعده به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان، فقال (عليه السلام):

((كأنني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران، ومنازلة الشجعان، ألا إن الشجرة البرية أصلب عوداً، والروائع الخضر أرق جلوداً، والنباتات البدوية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً، وأنا من رسول الله كالصنوم من الصنوم والذراع من العضد، والله لو تظاهرت الدنيا، على قتالي لما وليت عنها)).

إن زهد علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم يكن لنزوة طارئة ولا لحاجة مرحلية، بل هو يستند على قانون ثابت مستقيم كما بيّنا. إذ وضع نصب عينيه مقولة الرسول العظيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منهجا له في تعامله مع قوانين الحياة .

إذ يقول عمار بن ياسر :

- سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لعلي بن أبي طالب : يا علي، إن الله عز وجل قد زينك بزينة لم يتزين العباد بزينة أحب إليه منها : الزهد في الدنيا، فجعلك لا تنال من الدنيا شيئاً، ولا تنال الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حب المساكين ورضوا بك إماماً ورضيت بهم أتباعاً، فطوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك.

إذن، فزهد الإمام علي ما كان إلا بأمر من الله على لسان رسول الله (صلى

اللّٰه عليه وآله وسلّم) فما عليه إلا التنفيذ ليكون موضع ثقة اللّٰه ورسوله .

فالإمام في زهده ما كان هدفه أن يرسم منهجاً للناس في انعكاسات سلوكهم على بعضهم، بل كان ينفذ أمراً صدر إليه من صاحب القرار الأول على لسان رسوله وخازن وحيه محمد (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم).

ونحن نستدل على هذا من كتبه ورسائله إلى عمّاله ونصحه أصحابه الخلّص . من ذلك كلامه مع عاصم بن زياد الحارثي حين سمع عنه إنه لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا، فدعاه (عليه السّلام)، فلما رأى ما هو عليه قال :

- يا عَدِيّ نفسه لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى اللّٰه أحلّ لك الطيبات وهل يكره أن تنالها؟ أنت أهون على اللّٰه من ذلك.

قال :

- يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشومة ماكلك؟

قال :

- ويحك إن اللّٰه فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعف الناس كي لا يتبغ بالفقير فقره.

ومنه عهده لمحمد بن أبي بكر الذي جاء فيه :

((إن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وأجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون، وأخذوا منها ما

ص: 211

أخذ الجبابة المتكبرون، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابع)).

ومنه رسالته لعثمان بن ضيف واليه على البصرة جاء فيها :

ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا المعسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القر، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جسعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أواليمة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشعب، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى؟ أفنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الزهد، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش).

أما ذكر الموت في منهج الإمام علي (عليه السلام) - الذي ورد في ((النهج)) فأخذه المشككون حجة بعدم نسبه إليه - فهو مستمد من القرآن الكريم، الذي عاش الإمام (عليه السلام) تفاصيله من بدايات الدعوة الإسلامية حتى وفاة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وانقطاع الوحي؛ فقد جاء في الذكر الحكيم قوله تعالى :

{ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (النساء/78) }.

وقوله - جل من قائل -:

{ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (آل

عمران (185) .{

وقوله عز وجل :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِنُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَ مَنِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَيْمِينَ (المائدة/7) .{

وقوله جل شأنه :

{ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (ق/19) .{

وقوله جلت قدرته :

{ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (الرحمن/27) .{

وقوله عز من قائل :

{ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (القصص/88) .. الخ. { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ (آل عمران/185) } { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ

ص: 213

{ أَنْتُمْ صَدَرْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنَّ إِرْتِبَاتَكُمْ لَا نُسْتَرِي بِهِ تَمَنَّا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ سَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَمِثِينَ (المائدة/.) } { وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (ق/19) } { كَلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ (الرحمن 29) }. { لَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (القصص/88) }. الخ.

وهذا من الأمور البديهية لأن الإمام منذ نعومة أظفاره تربى في حجر النبوة ورضع من لبان الإيمان وبنى نهجه على وفق ما رأى وسمع وتلقى من تفاصيل الدعوة الإسلامية، بما فيها الوحي والسلوك اليومي للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وما جرى في تضاعيف تلك الدعوة من صراعات قبلية ومذهبية وانشقاقية (ردّات) وحروب، وغيرها فكونت الأساسات الارتكازية لبناء الإمام الفكري والعقائدي الشامخ؛ فمحصّل تلك ارتكازاته لا بد له أن يجعل منها منهجه في الحياة تفكيراً وتطبيقاً، وهكذا إن ما ورد في (نهج البلاغة) إن هو إلا خلاصة ما نشأ وتربى عليه الإمام (عليه السلام) فهو إذن - منتسب إليه (عليه السلام) بقصّته وقضيضه من ألفه إلى يائه بما فيه الزهد والموت ودم الدنيا.

ومبدأ ذكر الموت قائم بالأساس - ليس على التشاؤم واليأس والهزيمة من متطلبات الحياة - على أنه يذكر الإنسان بأن ((يعيش شجاعاً لا يرهب سلطاناً، ولا- يجبن في نزال، ولا- يكف عن القتال، كريماً لا يحرص على مال، عادلاً لا يظلم، بريئاً من الحرص والطمع، سالماً من الخبث والجشع، صابراً في البأساء

والضراء، شاكراً عند الشدة والرخاء، لا تزغعه الشدائد ولا تثني عزمه الأوابد، عزيزاً لا يخزى ولا يذل، عاملاً بجد لا يكل ولا يمل، لا تريبه ريبة، ولا يجزع المصيبة، لا تقسده الشهوات، ولا تقوده اللذات، ولا تضععه البليات، لا يؤخر عملاً إلى غد مخافة أن يدركه الأجل فيفوته أجر العمل.

وهذا هو السبب في عز المسلمين في الغابر، وذلهم في الحاضر، فإنهم كانوا يذكرون الموت في جميع أوقاتهم، حتى أن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا لا يتركون الموضوع مخافة أن تدركهم ساعة وهم محدثون، فلما أيقنوا أنهم صائرون إلى الموت لا محالة وكانوا ذاكرين له في جميع حالاتهم هانت عليهم نفوسهم فأرخصوها في سبيل الله، وجدوا في العمل فأدركوا غاية الأمل، ومن هانت عليه نفسه عز وأبي الذل، وكان ذلك شعارهم في جهادهم، وغزواتهم وأرجازهم وحروبهم.

هذا العباس بن علي (عليهما السلام) في رجزه عند جهاده من هم أكثر منه عدداً وعدة :

لا أرهب الموت إذا الموت زقا*** حتى أداري في المصاليت لقي

إني أنا العباس أعدوا بالسقا*** ولا أخاف الشر عند الملتقى

وقد اقتدي بذلك بأخيه الحسين (عليهما السلام) إذ يقول في رجزه :

الموت خير من ركوب العار*** والعار أولى من دخول النار

وقد جرى شعراء المسلمين وأدباؤهم، في صدر الإسلام، في هذا المجرى

فقال قائلهم :

وإذا لم يكن من الموت بدٌ *** فمن العار أن تموت جباناً

وما أحسن قول المتنبي حين قال :

إذا غامرت في أمرٍ مرومٍ *** فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموتِ في أمرٍ حقيرٍ *** كطعم الموتِ في أمرٍ عظيمٍ

وكانوا يعدّون نسيان الموت ضلالاً، وذكره هدىً وكمالاً؟ فقال شاعرهم :

صاحٍ شمّر ولا تزل ذاكرال *** موت فنسيانه ضلالٌ مبيّنٌ

بذلك حسنت حالهم، وصلحت أعمالهم، وأدركوا ما أملوا، وعز سلطانهم، وقويت شكيمتهم، وسخّروا البلاد، وخضعت لهم جبايرة العباد، ولما حلت الدنيا بأعينهم، وتناسوا ذكر الموت أسرعوا إلى اللذات وانقادوا إلى الشهوات، وهابوا الموت ففزعوا لكل صيحةٍ وصوت، وتداعت أركانهم، وترزع سلطانهم، فهلكوا وضلوا، وخابوا وذلوا، فذكر الموت حياة فيه رضى الرحمن، ونسيانه ممات فيه مرضاة للشيطان.

أما ذم الدنيا، الذي ورد في ((النهج)) فاتخذه المشككون قميص عثمان بعدم نسبة ما في ((النهج)) إلى الإمام علي (عليهما السلام)، فهو مردود أيضاً لأن الإمام (عليهما السلام) لم يرد بدم الدنيا بمعنى أن نعيش في كهوف حجرية ونغل أيدينا إلى أعناقنا وندير ظهورنا عما فيها مما خلقه الله للإنسان رحمة ونعمة، فهو الذي دعانا إلى أن نأكل ((من طيبات الدنيا)) وننعم بخيراتها من ماءٍ وشجرٍ وطيرٍ وحيوانٍ فالمال والبنون هما ((زينة الحياة الدنيا)) فمن ترك ما خلق الله في الدنيا لخدمته

ص: 216

فهو ظالم نفسه في تركه ما وهبه الله إياه، فيوء بخسران مبین.

وتأسيساً على ذلك إن الإمام علي (عليه السلام) لم يذم ما حلل الله في الدنيا، بل ذم ما حرّم، وما حرم ينسينا ذكر الله ونعمه علينا ويلهينا عما أوجبه علينا من إعداد أنفسنا لحياة الآخرة الدائمة.

فالدنيا في ((نهج البلاغة) على ضربين :

دنيا تطلب لذاتها مع الغفلة عما وراءها وهي المذمومة والتي ذكرها الإمام علي (عليه السلام) بالذم.

ودنيا تطلب لما بعدها وتؤخذ من حلّها، وتنال من الوجه الذي أذن الله به وهي المحمودة - وقد أشار الإمام (عليه السلام) إليها أيضاً - لأن ((الدنيا خلقت غيرها ولم تُخلق لنفسها)). وهي (دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غني لمن يزود منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أحبّاء الله ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة).

فصفوة القول : إن أمير المؤمنين (عليه السلام) يرى ((أن ما أحل الله في الدنيا أكثر مما حرّم منها، وبمقدور الإنسان أن يتمتع بزینتها المحللة ويتناول من طيبات رزقها مع الحذر من اتباع الهوى، وطول الأمل)).

أَقْلُ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

وإذا استعصى على الإنسان أن يتوصل إلى ذلك إلا بما حرم الله، (فطوبى للزاهدين في الدنيا) (أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فرشاً، وماءها طيباً). و(وكلُّ مقتصر عليه كافاً). و((وما خير بعده النار بخير، وما شر بشر بعده الجنة، وكل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية)).

ولهذا قال (عليه السلام) ((والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً وأجد في الأغلال مصفداً، أحبُّ إليَّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام)).

تخلص من ذلك كله إلى أن (الزهد وذكر الموت وذم الدنيا) في ((نهج البلاغة) إن هو إلا منهج اختطه الإمام علي (عليه السلام) لنفسه لأنه وعى حقيقة الإسلام أكثر من غيره منذراً نفسه لمعطيته التبروية، فهو امتثال لأوامر الله بنفس راضية مرضية ولم يرد من ذلك هجر ما وهبه الله للإنسان والسكن في الكهوف والغابات بدليل أنه (عليه السلام) تزوج وأولد أولاداً وأكل وشرب مما رزقه الله بالطيب الحلال، ولكنه في ذلك كله ما كان ينسى الله وفضله على العالمين فتجنب الباطل وتمسك بالحق في سلوكه اليومي فوصلتنا انعكاساته السلوكية من ناحية المعطى الفكري من خلال ((النهج)) فهو له ومنه وإليه يعود بالنسب الصحيح والقول الصريح.

ومما تعكزوا عليه من تشكيك في نسبة ((النهج)) إلى الإمام علي (عليه السّلام)، قول أحدهم : ((إن فيه وصف الحياة الاجتماعية على نحو لم يُعرف إلا- في عصور متأخرة..)) لأنه رأى أن ما ورد فيه (يشكل طعنًا شديدًا على الوزراء والحكام والولاة والقضاة والعلماء في السلوك والأخلاق، وفي الذمم والضمانات ووصفا للقضاة بالجهل وعدم المعرفة بأحكام الشريعة)).

نفهم من كلام ((أحدهم)) هذا أن الإمام علي (عليه السّلام) تناول في ((النهج)) :

1_ الولاة

2_ القضاة

3_ العلماء

بما ((لم يُعرف إلا في عصور متأخرة)).

في الواقع إنني ما كنت راغباً في خوض هذا الموضوع، ولما أُلِّخ عليّ المنهج

ص: 219

قررت أن أمرّ به مروراً سريعاً لأنني أفقر لأدوات الرد إنما لأن الموضوع، من أساسه عنكبوتي النسج في مقدماته ونتائجه، ولكن - وبعد إطراقة من التفكير والتأمل - وجدت أن الواجب يدعوني أن أفصّل فيه بعض التفصيل فأغوص في أعماق بحره لأرى الذين شدوا عيونهم بخرق سود لئلا يروا الشمس ساطعة فأنكروا عليها سطوعها.

أقول.. لأريهم أن في بحر علي بن أبي طالب لمرجاناً كثيراً وياقوتاً مختلفة ألوانه.

لا شك أن أي متتبع - موضوعياً كان أو غير موضوعي - يعرف أن التاريخ الإسلامي - منذ بدء الدعوة المحمدية حتى نهاية الحكم الراشدي - كان يتميز بعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والمالي وغيرها من مرتكزات أي نظام، وذلك أمر طبيعي لأن ما جاء به الرسول محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بوحى من الله، لم يكن بالأمر الهين ولا هو من طراز التغييرات الشكلية في البني الفوقية، أو الهيكلية المعروفة في ذلك العهد، أو غيره، مما قبله وبعده، بل كان يهدف إلى تغيير جذري وشامل في البناء الفوقي، ليس في الجزيرة العربية حسب، بل في العالم كله.

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (الأنبياء/107) } والعلاقات التحتية مع قمة ذلك الهرم المبني على علائق اجتماعية غاية في التخلف السياسي والاقتصادي والفكري، هو قائم على مرتكزين أساسيين هما: ((السيد والمسود)) أو ((المالك والمملوك)).

وأى خروج على ذينك المرتكزين كان يُعد خروجاً على قيم هي موضع اعتزازهم الشديد، بل هي مما لا يمكن السكوت على أي تغيير يحصل في بنائه الهرمي ذلك، لأنها كانت متجذرة في عمق التاريخ العربي، ولكن جاءت الدعوة الإسلامية فخضخضت ذلك البناء فوجدته ((نمراً من ورق)) فوضعت على مرتكزاته معول الحق فانهار انهياراً عجبياً، وعبثاً كانت محاولاته في لعق جراحاته لأن معول الإسلام كان يحفر في العمق من ذلك الجذر ليققلعه من أساسه، وهكذا بدأ الإسلام يؤسس مرتكزات جديدة لبناء قيم جديدة عليها بما لم تألفه الجزيرة العربية؛ إذ جعل العبد بإزاء سيده، بل فضّله أحياناً عليه :

((لا فضل القرشي على حبشي إلا بالتقوى)).

((كلكم لآدم وآدم من تراب)).

((كلكم سواسية كأسنان المشط)).

((كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)).

((المسلمون إخوة)).

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (الحجرات/3) }.

وتلك القيم الجديدة لا شك أنها ليست جديدة عليهم في التلقي ووجوب التنفيذ حسب، بل هي مما شكلت صفة قوية لذلك الموروث المتجذر في أعماق

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }.

ودليلنا أن أول من آمن بالدعوة الإسلامية، في ساعاتها وأيامها الأول هم أولئك العبيد الذين ارتبط مصيرهم بأراضي أسيادهم كالحيوان والشجر بل الحيوان والشجر أفضل منهم لأنهما كانا يجدان من يخدمهما ولكن العبيد قد ((خُلقوا للخدمة !..)) فقط فلا أحد يقيم وزناً لأدميتهم وتركيبهم الإنساني من مشاعر وعواطف وأحاسيس، حتى كانت الشرارة الأولى لثورة الحق فزحفوا نحوها وحملوا مشاعلها في طريق وعر لاحب.

أما السادة - ما خلا النفر القليل منهم - فقد دخلوا الإسلام مضطرين غير مؤمنين ليحافظوا على مياه وجوههم ومراكزهم الاجتماعية إزاء هذا الزحف النوراني الكبير.

ولكن هل يبقى أولئك السادة مستسلمين لهذا التغيير الجذري الشامل؟

إن التاريخ ليذكر - منذ بدء التدوين - إن لكل ثورة سقوطاتها على الطريق، وثمة عبارة تقول: ((الثورة تأكل أبناءها)) وهذا أمر طبيعي جداً، خاصة في ثورة مثل الثورة الإسلامية الانتقالية ذات القيم الشمولية الجذرية، وقد ألمحنا إلى ذلك في فقرة سابقة إذ ما إن استقرت الأوضاع لصالح الإسلام - كعقيدة - في الجزيرة العربية في الأقل حتى بدأ التملل يشكل ظاهرة، في صفوف (عليّة) القوم فكانت الآيات القرآنية تنزل تباعاً ناصحة حيناً ومرشدة أحياناً ومحذرة مرة ومتوعدة تارةً وناعثة إياهم ب(المنافقين) و(الماكرين)، و((المجرمين)) كما

نعتهم بالكذب والزور والبهتان والرياء والخديعة، وما إلى ذلك من صفات أولئك الذين دخلوا في دين الله ل(تطمين) مصالحهم مضطرين
حيال هذا الزحف الذي أفقدهم صوابهم.

وبعد صحتهم تلك صاروا يخططون للالتفاف على (الثورة) فأبدوا تقرباً عجيباً من قيادتها الأساسية ((محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و
آله وسلّم)) ثم من القادة الذين أعقبوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) فتغلغلوا في المناصب المختلفة، السياسية منها والإدارية
والفقهية والقضائية والعسكرية، وبذلك استطاعوا أن يسيطروا نفوذهم على الهيكل الهرمي لدولة الإسلام - خاصة بعد رحيل الرسول الكريم
(صلى الله عليه وآله وسلّم) إلى اللطيف الخبير - ليس بالتمطية العربية قبل الإسلام، بل بتمطية جديدة تتفق والواقع الجديد، بازواجية
غير منظورة إلا لمن يمتلك إدراكاً حسيّاً عالياً ومجسّات غاية في التحسس مثل الإمام علي (عليه السلام)؛ فهم أما أن يكونوا تجاراً وأرباب
مهن فهؤلاء صاروا - باسم الإسلام - يوسعون قاعدتهم على حساب القيم الجديدة وباسمها.

فماذا ننتظر من الإمام علي (عليه السلام)، وهو الذي يمتلك ((أذناً واعية)) ورضع لبان العلم من رضاب رسول الرحمة وقائد التغيير
الجدري الشامل؟

هل يدع أولئك على ((كيفهم)) يحفرون لهم أسساً جديدة ويضعون فيها مرتكزات جديدة مخالفة - في تخطيطها وهندستها - ما جاء به
الإسلام؟ أم يتصدى لهم لتبصيرهم أولاً ولتحذيرهم ثانياً ولتعريفهم للرعية ثالثاً؟

ذلك ما فعله منذ أول بادرة ظهرت للانحراف عن مبادئ الإسلام فقال عن أولئك (المتاجرين)) بالإسلام: ((المقيم منهم والمضطرب بحماله والمترفق ببدنه، فإنهم مطرد المنافع، وأسباب المرافق، وجلًا بها من المباعد والمطارح، في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترؤون عليها، فإنهم سلم لا تُخاف بانقته، وصلح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك، وفي حواشي بلادك..)). وأردف قائلاً: ((واعلم - مع ذلك - أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرّة للعامة، وعيب على الولاية، فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منع منه. وليكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين، من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد فيك إياه فنكّل به، وعاقبه في غير إسراف)).

ليس بتلك الإشارة التبصيرية وحدها أشار الإمام (عليه السلام) إلى عامله على مصر، بل ترصد تحركاً آخر هو إبقاء الأرض يباباً بلا عمران لتظل أمور أولئك ((التجار)) ((ماشية)) في التفاهم على مبادئ القيم الجديدة مما جعل الإمام ينبّه عامله مالك الأشر على مصر بقوله: ((وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاية على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء أوقلة انتفاعهم بالغير.. وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن

ذلك لا- يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن يشكوتقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بآلة (أي مطر يبيل الأرض)، أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خفت عنهم بما ترجوان يصلح به أمرهم، ولا يتقلن عليك شيء خفت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قولهم؛

بما ذخرت عندهم من إجماعك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم .. فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد، احتملوه طيبة أنفسهم به، فإن العمران محتمل بما حملته)).

ولأنه (عليه السلام) يعلم بنواياهم ومقاصدهم ونوازعهم وركضهم الحثيث وراء منافعهم الذاتية . نراه في اليوم الثاني من بيعته خطب قائلاً :

((أيها الناس إنما أنا رجل منكم، لي ما لكم.. وعليّ ما عليكم.. وإني حاملكم على منهج نبيكم، ومنفذ فيكم ما أمرت به، إن في العدل سعة، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق، أيها الناس.. ألا لا يقولن رجال منكم - غداً - قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا الخيل، واتخذوا الوصائف المرفقة - إذا ما منعتم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم أي حقوقهم التي يعلمون : ((حرنا ابن أبي طالب حقوقنا).. ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله يرى أن الفضل له على سواه بصحبته فإن الفضل غداً عند الله وثوابه وأجره على الله .. ألا وأيما رجل استجاب الله ولسوله

فصدق ملتنا ودخل دينا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده ، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، ولا فضل فيه لأحد على أحد. وللمتقين عند الله أحسن الجزاء، فإذا كان الغد فاغدوا علينا إن شاء الله، ولا يتخلفن أحد منكم.. من أهل العطاء).

فهل يرضي ذلك أولئك الذين لم يعتنقوا الإسلام إلا بعد أن رأوا فيه واقعاً لا محيص عنه فرفعوا راية الاستسلام بدل راية الإسلام، ولكنهم ظلوا يتحينون الفرص لاستعادة (مجدهم)، ولما تولى الإمام علي (عليه السلام)، الأمر وصار يحكم بمبادئ القرآن وسنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) توجهوا إليه بطريقة التفافية أن يخفف عنهم في سياسته، أجابهم (عليه السلام):

((أأمروني أن أطلب النصر بالجور في من وليت عليه؟

والله ما أطور به ما سمر سمير وما أمّ نجمٌ في السماء نجماً!.. لو كان المال لي لسويت بينكم، فكيف وإنما المال مال الله؟

ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه أويضعه في الآخرة)).

وهذه السياسة إن وافقت بعض المسلمين المؤمنين حقاً بمبادئ الإسلام فإنها لا توافق أولئك الذين أعمت الدنيا بصائرهم فأنستهم نقاء المبادئ وصفاء العقيدة وبهاء القيم النبيلة التي جاء بها الإسلام، الذي ساوى بين العبد وسيدته وجعل التقوى مقياساً يعرف به المسلم المؤمن من المنافق، وأبرز ما في المساواة الصلاة والزكاة والحج، إذ أن الصلاة يستوي فيها العزيز والذليل ويقفان موقفاً بمكان

واحد، ينطقان بالألفاظ نفسها ويأتیان بالحركات نفسها، ونلمس في الزكاة التي تؤخذ من الغني بعض عروض الحياة لترده على الفقير حتى يشعر كلاهما، وإن باعدت بينهما الأنساب بشعور الإخاء، ونلمسها في الحج، تزدهم بأرضه المقدسة أقدام الرجال والنساء، فلا يميز بينهم فارق واحد، بمناسك الحج حفاة شبه عراة لا يسترهم إلا ذات اللباس يستوي فيه كافة الناس أودية الأكفان، التسوية الحققة هي جماع الإسلام والغاية التي هدفت إليه شعائره وتعاليمه وأتاح لهم جميعاً تكافؤ الفرص في موقفهم أمام الله)).

وهذا ما انتهجه الإمام علي (عليه السلام) في سياسته المالية إذ :

((دخل على بيت مال البصرة في جماعة من المهاجرين والأنصار فنظر إلى ما فيه من العين والورق، فجعل يقول : يا صفراء غري غيري، ويا بيضاء غزي غيري .. وأدام النظر إلى المال مفكراً، ثم قال :

((أقسموه بين أصحابي ومن معي خمس مئة خمس مئة، ففعلوا فما نقص درهم واحد، وعدد الرجال اثنا عشر ألفاً)).

و))كان يخف دائماً إلى تقسيم الأعطيات على الناس، كلما اجتمع لديه منها شيء، ويكره أن يؤخرها عنهم، كأنما يتأثم من إرجائها، أو اكتنازها إلى حين)).

وكان يخاطب أهل الكوفة بقوله : ((يا أهل الكوفة إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي ورحلي وغلامي، فأنا خائن)).

لقد كان (عليه السلام) حريصاً على أموال المسلمين شديداً مع ولاته إن هم حادوا عن الطريق القويم، إذ كتب يوماً إلى زياد بن أبيه :

((وإني أقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني أنك خنت في المسلمين شيئاً صغيراً وكبيراً، لأشدنَّ عليك شدةً تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر، ضئيل الأمر...)).

وخاطبه في كتاب آخر : ((فدع الإسراف مقتصرأً، واذكر في اليوم غداً، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتها، أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت من المتكبرين، وتطمع وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة - أن يوجب لك ثواب المتصدقين؟ وإنما المرء مجزي بما سلف وقادم على ما قدم.. والسلام)).

وكذلك خاطب الأشعث بن قيس عامله في آذربايجان، بقوله :

((وإن عملك لك بطعمة ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعي لمن فوقك، ليس لك أن تفتات (أي تستبد) في رعية، ولا تخاطر إلا بوثيقة، وفي يدك مال من مال الله عز وجل، وأنت من خزانه حتى تسلّمه إليّ، ولعلي ألا أكون شر ولا تك لك.. والسلام)).

أما مصقلة بن هبيرة الوالي على بعض مقاطعات فارس فقد ألزمه (عليه السلام)، بإعادة المبلغ الذي أخذه من بيت المال، والذي أنقذ فيه من الأسر خمس مئة رجل معظمهم من بني بكر بن وائل قوم مصقلة، فقال له في كتاب :

((بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك، وعصيت إمامك، إنك

تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم وأريقته عليه دماؤهم، في من اعتامك من أعراب قومك، فوالذي فلق الحبة، وبرأ السممة، لئن كان ذلك حقاً لتجدن لك علي هواناً ولتخفن عندي ميزاناً، فلا تستهن بحق ربك، ولا تصلح دنياك بحق دينك، فتكون من الأخسرين أعمالاً)).

ولما طلب منه (عليه السلام) المغيرة بن شعبة أن يبقي على الولاة الذين ولاهم عثمان أجابه (عليه السلام) بحزم:

((والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي، ولا وليت هؤلاء. لا مثلهم يُؤلّي)).

ولما أكد المغيرة على إبقاء معاوية لأن له ((جراً، وهو في أهل الشام يسمع منه..)) أجابه بالحزم نفسه:

((لا والله .. لا أستعمل معاوية يومين أبداً)).

وكذلك عندما طلب ابن عباس منه ذلك (عليه السلام) أجابه:

((لا والله، لا أعطيه إلا السيف)).

ويرفع شعاره الذي اتخذه مرتكزه الأساس في سياسته العامة وهو:

((إن الرعية لا تصلح إلا بصلاح الولاة)).

ويطرح معادلة الموضوعي في الربط بين الراعي والرعية فيقول عليه السلام:

((.. وأعظم ما افترضه سبحانه من تلك الحقوق، حق الوالي على الرعية

وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل، فجعلها نظاماً لألفتهم وعزاً لدينهم)).

فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاية، ولا تصلح الولاية إلا باستقامة الرعية، فإذا أدت الرعية الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها، عز الحق بينهم، وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل، وجرت على إذلالها إلا السنن، فصلح بذلك الزمان، فطمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء، وإذا غلبت الرعية واليهما، أو أجحف الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الأدغال في الدين (أي الفساد) وتركت حجاج السنن، فعمل بالهوى، وعطلت الأحكام، وكثرت علل النفوس، فلا يُستوحش العظيم حق عطل، ولا العظيم باطل فُعل..

فهناك تذلل الأبرار، وتعز الأشرار، وتعظم تبعات الله سبحانه عند العباد فعليكم بالتناصح في ذلك، وحسن التعاون عليه، فليس أحد - وإن اشتد على رضا الله حرصه، وطال في العمل اجتهاده - يبالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له، ولكن من واجب حقوق الله على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحق بينهم، وليس امرؤ - وإن عظمت في الحق منزلته، وتقدمت في الدين فضيلته - يفوق أن يُعان على ما حمّله الله من حقه، ولا امرؤ - وإن صغرته النفوس، واقتحمته العيون - بدون أن يعين على ذلك أويعان عليه .

وجعل (عليه السلام) من العدل جادته التي لا يحيد عنها وشمسه التي يستحم

بدفنها ويستنير بضئائها، وفي هذا الإطار يكتب إلى الأسود بن قطيبة صاحب جند حلوان بفارس فيقول (عليه السلام) :

((أما بعد فإن الوالي إذا اختلف هواه، منعه ذلك كثيراً من العدل، فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء، فإنه ليس في الجور عوض عن العدل. فاجتنب ما تنكر أمثاله، وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجياً ثوابه، ومتخوفاً عقابه.

واعلم أن الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها منها قط ساعة إلا كانت ضرعته عليه حسرة يوم القيامة.

وإنه لن يغنيك عن الحق شيء أبداً، ومن الحق عليك حفظ نفسك، الاحتساب على الرعية بجهدك، فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك والسلام)).

ويجمل (عليه السلام) صفات الوالي العادل بقوله :

((إن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، هُدِي وَهَدَى، فأقام سنة معلومة وأمات بدعة مجهولة، وإن السنن النيرة، لها أعلام وإن البدع لظاهرة لها أعلام، وإن شر الناس عند الله إمام جائر ظَلَّ وَظُلَّ به، فأمات سنة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة، وإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول :

((يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عابر، فيلقي في نار جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحي، ثم يرتبط في قعرها)).

ويستعمل الإمام علي (عليه السلام) المتقابلات في معادلات حسابية بسيطة

لتوضيح معنى العدل ومعنى العلاقة بين العامة والخاصة، أي بين الراعي والرعية فيقول (عليه السلام) من كتاب إلى مالك الأشتر:

((وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل، وأجمعها لرضا الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة، وإن سخط الخاصة يُغتفر مع رضا العامة، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكراً عند العطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملمات الدهر - من أهل الخاصة، وإنما عماد الدين وجماع المسلمين، والعدة للأعداء؛ العامة من الأمة، فليكن صفوك لهم، وميلك معهم)).

وكان (عليه السلام) يوصي عماله بعدم الاحتجاج عن الرعية ويدعوهم إلى مخالطتهم ليسمعوا منهم وليقفوا على همومهم وتطلعاتهم.

قال (عليه السلام) يوصي قثم بن العباس عامله على مكة :

((لا- يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك، ولا حاجب إلا وجهك ولا تحجين ذا حاجة عن لقاءك بها، فإنها إن زيدت عن أبوابك في أول ردها، لم تُحمد فيما بعد على قضائها)).

وكتب (عليه السلام) إلى الأشتر يوصيه :

((.. فلا تطولن احتجاجك عن رعتك، فإن احتجاج الولاة عن الرعية، شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمر، والاحتجاج عنه علم ما احتجاجوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، ويشاب

الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر لا- يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور وليست على الحق سمات تُعرف بها ضروب الصدق من الكذب، وإنما أنت أحد رجلين؛ إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق، فقيم احتجابك من واجب حق تعطيه، أو فعل كريم تسديه، أو مبتلى بالمنع، فما أسرع كف الناس عنك مسألتك إذا أيسوا من نبلك؟ مع أن أكثر حاجات الناس إليك من لا مؤونة فيه عليك، من شكاة مظلمة، أو طلب لإنصاف في معاملة.. واجعل لذوي الحاجات قسماً تُفرِّغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً، فتتواضع فيه الله الذي خلقك، وتُقعد عنهم جندك وأعوانك، من حرسك وشُرطك، حتى يكلمك مكلّمهم غير متتبع... .

ثم احتمال منهم الخرق والعين (الخرق: العنف. والعين: العجز عن النطق) ونحّ عنهم الضيق والأنف، ييسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته، وأعط ما أعطيت هنيئاً، وامنع في إجمال وإعذار. ثم أمور من أمورك لا بد من مباشرتها، منها إجابة عمالك، بما يعيا عنه كتابك، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تخرج به صدور أعوانك)).

وحذر (عليه السّلام) الأشر من أولئك الذين قلنا أنهم اعتنقوا الإسلام لا- بسبب إيمانهم بمبادئه بل لكونه صار أمراً واقعاً فخافوا على مصالحهم وامتيازاتهم فانخرطوا في صفوفه، ومع ذلك فقد تغلغلوا في المناصب العليا فقال (عليه السّلام) يوصي الأشر ويحذره منهم :

((إن شر وزرائك من كان للأشرار من قبلك، وزيراً ومن شركهم في

الآثام، فلا يكونن لك بطانة فإنهم أعوان الأئمة وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفادهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه، ولا آثماً على إثمه، أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقل لغيرك ألفاً، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم يمرّ الحق، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك، مما كره الله لأوليائه، واقعا ذلك من هواك حيث وقع، وألصق بأهل الورع والصدق، ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من الغرة)). ١

ثم يعكس المعادلة فيوصيه باختيار من هم بالمروءة ألصق وكذلك بالكرامة والشرف والصدق، إذ أنهم من يؤتمن جانبهم فلا يخونون صاحبهم، فقال (عليه السلام) :

((ثم الصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، فإنهم جماع من الكرم، وشعب من العرف (أي المعروف)).

وبعد أن ينتهي (عليه السلام) : من إيصائه باختيار رجاله يوصيه بكبح جماح نفسه وصددها عن الشهوات تبعده عن دينه وتخلخل إيمانه، إذ يقول (عليه السلام) :

((وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك وشحّ بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها في ما أحببت أو كرهت، وأشعر، قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، والالطف بهم ... ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تعتتم

أكلهم ... اجتنب ما تنكر أمثاله ... إن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك، فيقولون فيك ما كنت تقول فيهم)).

ثم يخلص (عليه السلام) من الخاص إلى العام فيحلل النفس الإنسانية تحليلاً علمياً لن يقول بغيره أحد علماء العصر. إذ يقول (عليه السلام): ((الناس صنفان: أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك)).

ثم حدد له أسس التعامل مع رعيته بما يضمن سلامة الحكم وتكافؤ الفرص وإشاعة الأمن والاستقرار، ونشر العدالة الإنسانية إذ يقول (عليه السلام):

((لا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة)).

ثم ((لا تقض سنةً صالحة عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن سنةً تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنّها والوزر عليك بما نقضت منها)).

ثم ((وأكثر من مدارس العلماء ومناقشة الحكماء، في تثبيت صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك)).

ثم ((إياك والمن على رعيتهك بإحسانك والتزويد فيما كان من فعلك أو أن

تعدهم فاتبع موعذك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان، والتزبد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقمت، عند الله والناس، قال تعالى :

{كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (الصف (3) }.

ثم يذكر (عليه السلام) شروط الوالي (الحاكم) فيأتي بالسبب ونتيجته في صفات عديدة للوالي، فيقول (عليه السلام):

((وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين - البخيل فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيظلمهم بجهله، ولا الجاني فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة)).

وروي أن شريح بن الحارث القاضي، اشترى على عهده (عليه السلام) داراً بثمانين ديناراً، فبلغه ذلك فاستدعى شريحاً وقال له :

((بلغني أنك ابتعت داراً بثمانين ديناراً، وكتبت لها كتاباً وأشهدت فيه شهوداً.

فقال شريح : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين فنظر إليه (عليه السلام) نظرة المغضب ثم قال :

((يا شريح أما أنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسألك عن بينتك، حتى يخرجك منها شاخصاً، ويسلمك إلى قبرك خالصاً. فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، وتقدت الثمن غير حلالك : فإذا أنت قد خسرت

دار الدنيا ودار الآخرة! أما أنك لو أتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتاباً على هذه النسخة، فلم ترغب بشراء هذه الدار بدرهم فما فوق)).

أما عثمان بن حنيف الأنصاري، عامل الإمام علي (عليه السلام) في البصرة، فقد دعي إلى وليمة قوم من أهل البصرة، فمضى إليها، فبلغ ذلك الإمام علي (عليه السلام) فكتب إليه مستنكراً ذلك قائلاً:

((أما بعد يا ابن حنيف، فإن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتتقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم، عائلهم مجفون وغنيهم مدعرفانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه)).

ثم تحدث (عليه السلام) عن منهجه في الحكم فدعا الولاة أن يعينوه على إنجاح هذا المنهج فقال (عليه السلام) مخاطباً ابن حنيف:

((ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه (أي ثوبيه الباليين) ومن طعمه بقرصيه (أي رغيفيه)، ألا- وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً. ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا- أعددت لبالي ثوبي قمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه إلا كقوت انان دبرة (الأنان: التي عقر ظهرها فقل أكلها) وهي في عيني أوهى وأهون من عقصة مقررة... وإنما هي نفس أروضها بالتقوى، لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر،

وتثبت على جوانب المزلق (كناية عن الصراط)، ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثي وأكباد حري أو أكون كما قال القائل :

وحسبك داءً أن تبيت ببطنه*** وحولك أكبادٌ تحن إلى القدِّ

أقنع من نفسي أن يقال : هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش! فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسله إلى شغلها تقمّمها (أي أن البهيمة السائبة شغلها أن تلتقط القمامة) تكثرش من أعلافها، وتلهو عما يراد بها، أو أترك سدى أو أهمل عابثاً، أو أجر حبل الضلالة، أو أعتصف طريق المتاهة)).

ثم لم يكتف (عليه السلام) بمحاسبة ولاته عن أي حيدة عن الطريق الذي رسمه لهم الإسلام بل صار يحاسب نفسه أيضاً، وكمثال على ذلك نقرأ قوله (عليه السلام) وقد أرسل إليه أحد ولاته هدية هي عبارة عن حلوى ملفوفة في وعاء فقال (عليه السلام) :

((وأعجب من ذلك طارقٌ طرقنا بملفوفةٍ في وعائها، ومعجونة شنينتها أي : كرتها)، كأنما عجنت بريق حية أوقينها، فقلت :

((صلة أم زكاة أم صدقة؟ فذلك محرم علينا أهل البيت. فقال : لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية. فقلت : هبلتك الهبول (أي : المرأة التي لا يعيش لها ولد) عن دين الله أتيتني لتخدعني، أمختبط أنت أم زوجة أم تهجر (أي : تهذي).

والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في نملة.. أسلبتها جلب (أي : قشرة) شعيرة ما فعلتها، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة، ما لعلِّي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل، وقبيح الزلل، وبه نستعين)).

وقصة النجاشي شاعر الإمام الذي طالما مدحه وهجا خصومه، والذي تعرض هو الآخر إلى الجلد بعد أن وجدته الإمام مفطراً في رمضان وثملاً من السكر ليست بعيدة عن الأذهان.

كما أن الإمام قد حدّر من بعض القضاة الذين استغلوا مهنتهم لمآربهم الشخصية فقال (عليه السلام):

((إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان :

رجلٌ وكله الله إلى نفسه، فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة، ودعاء خلاله، فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدي من كان قبله فضلٌ لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته حمّالٌ خطايا غيره، رهن بخطيئته .

ورجلٌ قمش جهلاً، موضع (أي : أمرع) في جهال الأمة عاد في إغباش الفتنة، غم بما في عقد الهدنة، قد سمّاه أشباه الناس عالماً وليس به، بكر فاستكثر من جمع، ما قل منه من خير مما كثر، حتى إذا ارتوى من ماء آجن واكثر من غير طائل، جلس بين القوم قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشواً رثاً من رأيه، ثم قطع به، فهو من لبس الشهوات في

مثل نسج العنكبوت؛ لا- يدري أصاب أم أخطأ، فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب، جاهل خباط جهالات، عاشٍ ركاب عشوات، لم يعرض على العلم بضرر قاطع، يذري الروايات إذراء الريح الهشيم، لا مليّ - واللّه - بإصدار ما ورد عليه، ولا هو أهل لما فوّض إليه، لا يحسب العلم في شيء مما أنكره ولا يرى أن من ورائه ما بلغ مذهباً لغيره، وإن أظلم عليه أمراً اكتتم به، لما يعلم من جهل نفسه، تصرخ من جور قضائه الدماء، وتعج من المواريث.. وآخر قد تسمى عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جهال وأضاليل من ضلال. ونصب للناس أشراكاً من حبائل غرور، وقول زور، وقد حمل الكتاب (يريد: القرآن الكريم) على أراء، وعطف الحق على أهوائه، يقول: أفق عند الشبهات وفيها وقع، ويقول أعتزل البدع وبينها اضطجع.

فأولئك هم الذين: ((المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المهمات على آرائهم، كأن كل امريء منهم إمام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بعريّ ثقات وألباب محكمات)).

ووضع (عليه السلام) أسساً لمواصفات الفقيه، فقال:

((الفقيه، كل الفقيه: من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله)).

تلك كانت - قارئ العزیز - إضمامة من أقوال الإمام علي بن أبي طالب في وصف ((الحياة الاجتماعية)) في زمانه تناول فيها الولاية والقضاة والعلماء، ومن خلالهم رسم منهجاً علمياً للقوانين الإدارية والسياسية والاقتصادية

(والاجتماعية بصورة عامة) يصلح لكل زمان ومكان إلى يومنا هذا، فهو منهج تمخض عن توقد ذهن الإمام (عليه السّلام) الثاقب ونظرتة الشاملة إلى الحياة العامة .

فإذا كان ذلك لدى البعض لم يعرف إلا في عصور متأخرة (كما ادّعى أحدهم) فما ذنب الإمام (عليه السّلام) وقد سبق عصره والعصور التي أعقبته، ولو أمعن النظر هذا (الأحدهم) في الحياة الاجتماعية (الإدارية والسياسية والاقتصادية) في عهود الخلفاء الراشدين الثلاثة (أبو بكر وعمر وعثمان) لوجد أن الإمام علي (عليه السّلام) كان له الحضور الفاعل والمؤثر في مفاصل سياسة تلك العهود بل لم يستطع أي منهم تجاوزه في المشورة وحل المعضلات السياسية والإدارية والاقتصادية والقضائية. ولعل شهادة عمر بن الخطاب تغنيننا عن كثير من الأدلة (الثبوتية...!) من أنه (عليه السّلام) كان منقذ عمر من مطبات كثيرة؛ أليس هو القائل :

- ((لولا علي لهلك عمر))؟

- ((لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر)).

- ((علي أقضانا))

- ((لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن)).

ثم أليس هو من استشار الإمام (عليه السّلام) حين أراد الخروج بنفسه إلى غزوالروم فأشار عليه الإمام علي (عليه السّلام) بقوله :

((إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتتكب، لا تكن للمسلمين

كانفة (أي : عاصمة) يلجؤون إليها، دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً محرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهره الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى، كنت رداء للناس ومثابة للمسلمين)).

وعندما أراد عمر أن يشخص بنفسه لقتال الفرس استشار الإمام علي (عليه السلام) فأشار عليه :

((إن هذا الأمر لم يكن نصره وخذلانه بكثرة ولا بقلّة، وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعدّه وأمدّه، حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيث طلع، ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده وناصر جنده، ومكان القيم بالأمر مكان النظام (أي السلك) من الخرز، يجمعه ويضمه، فإن انقطع النظام تفرق الخرز وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً، والعرب اليوم، وإن كانوا قليلاً، فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالاجتماع، فكن قطباً، واستدر الرحي بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض إنتعضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم مما بين يديك.

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا : هذا أصل العرب فإن قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك، وطمعهم فيك، فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين، فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما ما ذكرت من عددهم، فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصرة والمعونة)).

تلك هي الشهادة التي لا يحتاجها الإمام ولكننا سقناها إلى أولئك الذين

سلكوا في كتاباتهم ((درب الصد ما رد)) في تشكيكهم بنسبة ما في ((نهج البلاغة)) إلى الإمام علي، ومنه هذه الفقرة التي نحن بصدددها، علّهم يتلمسون طريق العودة من ((در بهم...!)) ذلك إلى جادة الصواب والحق. وعند ذلك لن يستكثروا على مثل الإمام علي (عليه السلام) أن يصف الحياة الاجتماعية بمثل ما وصف لأنهم سيدركون أن عصر الإمام، وعهده في الحكم - خاصة - كان شديد الاضطراب - على قصره - وعهدُ تلك سمته لا بد أن تختلط فيه الأوراق كما ((يختلط الحابل بالنابل)) فتتهتز نفوس وتضطرب أخرى وتُغرى ثالثة بمباهج الحياة الدنيا فيقصر النظر ويضيق الإدراك وتتقاصر البصيرة.. حينذاك لا بد من شخص يتمتع بقدرات ذهنية استثنائية ليعالج تلك التخلخلات والإنثلامات في المجتمع، فكان ذلك الشخص هو الإمام علي (عليه السلام) وكانت معالجاته في تلك الخطب والأحاديث والوصايا والمراسلات التي ضمها ((نهج البلاغة)).

فهل ذلك كثير على الإمام علي (عليه السلام)؟ الذي وصفه الرسول الكريم بأوصاف ما وصف مثله قط، وقد وقفنا على بعضها في كلام لنا فانت. فضلاً عن أقوال الخلفاء الراشدين فيه، بل حتى أقوال خصومه، كمعاوية وعمرو بن العاص وغيرهما.

إن قليلاً من التروي في إلقاء الكلام سيجعل من صاحبه منصفاً ومتصفاً بالنزاهة والأمانة التاريخية.

نرجو أن يكون أولئك المشككون من هؤلاء الرجال - الذين وصفنا - يوماً ما إن كانوا أحياء وإن ماتوا فنرجوهم غفراناً من ربّ رحيم.

من خلال قراءتي ((نهج البلاغة)) بتأملٍ وتأنٍ ورويّةٍ، وجدت في محتواه خصائص هي بمجموعها تشكل قوانين الحياة بمفاصلها الحيوية، وأنا بتحديدتي تلك الخصائص لا يعني ذلك أن توافرت على خصائص ((النهج)) كلها بل هي بعض ما تراءى لي بعد قراءتي المتأنية تلك. لذلك أطلقت عليها ((من خصائص))، والتبعيض هذا الذي دلّت عليه الأداة (من) يعني أن ثمة خصائص أخرى يضمها كلام علي (عليه السلام) فاكتفيت بالذي وجدت.

وإليك قارئ العزيم هذه الخصائص :

ص: 247

لا غرابة إذا ما اختص كلام الإمام علي (عليه السلام) بالعلم لأنه باب مدينة العلم، والأذن الواعية، لذلك نراه قد سبر أغوار العلم، مثلما سبر أغوار المعارف الإنسانية الأخرى، وهو الذي يقول :

((... بل اندمجتُ (أي : انطويتُ) على مكنون علم لو بُحِثَ به لاضطربتم اضطراب الأرشية (الحبال) من الطويِّ البعيدة (أي : البئر العميق)).

ويخبرهم بما سيلقون في المستقبل ما لا يعرفون، فيقول (عليه السلام):

((... والذي بعثه بالحق لتبليِّن (من البلية) ببلبةٍ ولتُغرِبُلَنَّ غرْبلةً ولتُساظَنَّ سوط القدر (أي : خلط ما في القدر فينقلب أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها عند الغلي)، حتى يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم، وليسبقنَّ سابقون كانوا قصرُوا، وليُقَصِّرَنَّ سابقون كانوا سبقُوا. واللَّه ما كتمت وشمة (كلمة) وكذبت كذبة، ولقد نُبِئتُ بهذا المقام وهذا اليوم)).

وذم - (عليه السلام) - اختلاف العلماء في الفتيا بقوله :

((ترد على أحدكم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم يجتمع القضية بذلك عند الإمام الذي استقضاهم (أي الذي ولّاهم القضاء) فيصوّب آراءهم - وإلهم واحداً ونبههم واحداً وكتابهم واحداً! فأمرهم الله - سبحانه - بالاختلاف فأطاعوه! أم ما هم عنه فعصوه؟)).

وتناول أدعياء العلم من الجهلة بقوله (عليه السلام):

((وآخر تسمى عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جهّال، وأضاليل من ضلّال، ونصب للناس أشراكاً من حبائل غرور، وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحق على أهوائه، يؤمن الناس من العظائم، ويهون كبير الجرائم، يقول: أفف عند الشبهات، وفيها وقّع؛ ويقول: اعتزل البدع، بينها اضطجع، فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصد عنه، وذلك ميت الأحياء)).

ويعكس الصورة (عليه السلام) فيتحدث عن أولئك الذين اتخذوا من العلم قوتهم اليومي حتى رسخوا فيه، فيقول (عليه السلام):

((وأعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السُدَد (الرُتاج) المضروبة دون الغيوب، الإقرار بجملته ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب. فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً وسمّى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً)).

وعرّف العالم تعريفاً بسيطاً وموجزاً فقال (عليه السّلام) :

((العالم من عرف قدره...)).

ودعا إلى امتياح العلم والتسلح به فقال (عليه السّلام) :

((.. فبادروا العلم من غير تصويح (تجفيف) نبتة، ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستشار (ظهور) العلم من عند أهله)).

وتحدث عن العالم الذي يخالف علمه في انعكاساته السلوكية في تطبيقاته العملية، فقال (عليه السّلام) :

((... وان العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه أعظم، والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم (أشدّ لوماً)).

وأخبر أصحابه - (عليه السّلام) - بمقدار علمه فقال :

((ولو تعلمون ما أعلم مما طوي عنكم غيبه، إذن لخرجتم إلى الصّعدّات (الطرق) تبكون على أعمالكم وتلتدمون (تضربون وجوهكم كالنساء) على أنفسكم ولتركتكم أموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها)).

وبيّن - (عليه السّلام) - أهمية العلم في حياة الإنسان لدفع حضارته إلى أمام فقال :

((.. لا- تُفتح الخيرات إلا- بمفاتيحه، ولا- تُكشّف الظلمات إلا بمصابيحه، قد أحمي حماه، وأرعى مرعاه، فيه شفاء المستشفي، وكفاية المكنفي)).

وأوضح - (عليه السّلام) - إن العلم يهدي إلى الطريق الأقوم فقال :

ص: 250

((العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح)).

وكان - (عليه السلام) - يدعو الناس أن يسألوه عن طرق السماء فإنه أعلم بها من طرق الأرض بقوله :

((سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض)).

وعلامة المتقي عنده - (عليه السلام) - أن له :

((حرصاً في علم، وعلماً في حلم.. يُخرج الحلم بالعلم، والقول بالعمل)).

وعن الذين أودعوا العلم ليحفظوه، قال (عليه السلام):

((واعلموا إن عباد الله المستحفظين علمه، يصونون مصونه، ويفجرون عيونه)).

وأوصى ابنه الحسن بقوله :

((ولا تقل ما لا تعلمه وإن قلَّ ما تعلم)).

وقال - (عليه السلام) - :-

((رُبَّ عالِمٍ قد قتله جهله، وعلمه معه لا ينفعه)).

وعن صفة خلق آدم - (عليه السلام) - تحدث - (عليه السلام) - بلغة علمية فقال :

((ثم جمع - سبحانه - من حَزَن الأرض وسهلها، وعذابها وسبخها، تربة سَنَّها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلبة حتى ألزبت فجبل منها صورة ذات أحناء

ووصول وأعضاء وفصول، أجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت، لوقتٍ معدود، وأمدٍ معلوم، ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهانٍ يجيلها، وفكرٍ يتصرف بها، وجوارحٍ يخدمها، وأدواتٍ يقلبها، ومعرفةٍ يفرّق بها بين الحق والباطل، والأذواق والشام والألوان والأجناس، معجوناً بطينة الألوان المختلفة، والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية والأخلاق المتباينة، من الحر والبرد، والبله والجمود، واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته إليهم، في الإذعان بالسجود له والخشوع لتكريمته)).

ووصف (عليه السلام) إنشاء الأرض بدقة علمية فقال :

((وأنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصّنها من الأود، والاعوجاج ومنعها من التهافت والانفراج، وأرسى أوتادها، وضرب أسدادها، واستغاض عيونها وحدّ أوديتها؛ فلم يهن ما بناه، ولا ضعف ما قواه، هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته ، وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته ..)).

ص: 252

2_ خاصية التسلسل المنطقي للوصول إلى الحقيقة

قال - (عليه السلام) - في الممتدّين :

((أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله - سبحانه - فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزّاه، ومن جزّاه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عدّه ومن قال فيمّ فقد ضمّنه، ومن قال علام فقد أخلى منه)).

وفي إثبات وجود الخالق - جل شأنه - قال - (عليه السلام) - :-

((كائن لا عن حدّث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، (أي : مفارقة)، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحّد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده.

أنشأ الخلق إنشاءً وابتدأه ابتداءً، بلا رويّة أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها، وبرز غرائزها وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائتها وأحنائها).

ص: 253

ليس غريباً على الإمام علي (عليه السلام) أن يصف خلق السماء ومنحنياتها ومعارجها ونجومها وكواكبها وسكانها وحفظتها؛ فهو القائل :
(سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض)).

يقول الدكتور صبحي الصالح في مقدمته على تحقيق (نهج البلاغة) :

(إن نهج البلاغة) ليظم طائفة من خطب الوصف تبويء علياً ذروة لا تُسامى بين عباقرة الوصافين في القديم والحديث، ذلك بأن علياً - كما تنطق نصوص (النهج) - قد استخدم الوصف في مواطن كثيرة، ولم تكد خطبة من خطبه تخلو من وصف دقيق، وتحليل نفاذ إلى بواطن الأمور؛ صوّر الحياة فأبدع، وشخّص الموت فأجزع، ورسم لمشاهد الآخرة لوحات كاملات فأراع وأرهب، ووازن بين طباع الرجال وأخلاق النساء، وقدّم للمنافقين (نماذج) شاخصة. وللابرار أنماطاً حيّة، ولم يفلت من ريشته المصورة شيطان رجيم يوسوس في صدور الناس ولا ملك رحيم يوحى الخير ويلهم الرشاد).

فمن أوصافه - إذن - ما وصف به السماء وما تحويه فقال - (عليه السلام) : ((... ثم أنشأ - سبحانه - فتق الأجواء وشق الأرجاء وسكانك الهواء،

فأجرى فيها ماءً متلاطماً تياره، متراكماً زخاره، حمله على متن الريح العاصفة، والزعرع القاصفة، فأمرها برده، وسلطها على شده، وقرنها على حده. الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق، ثم أنشأ - سبحانه - ريحاً اعتقم (أي : جعلها عقيماً إلا للتحريك) مهبها وأدام مربها وأعصف مجراها، وأبعد منشاها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار، وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفتها بالقضاء، تردُّ أوله إلى آخره، وساجيه إلى مائره، (أي : الساكن والمتحرك) حتى عبَّ عبا به، ورمى بالزبد ركابه، فرفعه في هواء منفهق (المفتوح الواسع) فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاها موجاً مكفوفاً (أي الممنوع من السيالان) وعلياهن سقفاً محفوظاً، وسمكاً مرفوعاً بغير عمدٍ يدعمها، ولا دسار ينظمها، ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً وقمرأً منيراً . في فلكٍ دائر، وسقفٍ سائر، ورقيمٍ مائر، (أي : لوح متحرك)، ثم فتح ما بين السماوات العلى، فملاهن أطواراً من ملائكته منهم سجود لا يركعون، ورُكع لا ينتصبون، وصاقون لا يتزايلون، ومسبحون لا يسأمون، لا يغشاهم نور العين، ولا سهوالعقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان، ومنهم أمناء على وحيه، ألسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظة لعباده، والسدنة الأبواب جنانه، ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة في السماء العليا أعناقهم، والخارجة إلى الأقطار أركانهم، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسةً دونه أبصارهم (أي : دون العرش)، متلفعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين فن دونهم، حجب العزة وأستار القدرة، لا- يتوهمون ربهم بالتصوير، ولا- يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحدونه بالأماكن، ولا يشيرون إليه بالنظائر)).

من خلال خطبه وأحاديثه ووصاياه ذكر (عليه السّلام) حوادث تاريخية مثل غزوات بدر وأحد والخندق وفتح مكة ومؤتة وبيعة السقيفة والقادسية ويوم ذي قار ووصية عمر بن الخطاب في من يخلفه وحروب الجمل وصفين والنهروان وغير ذلك من الحروب والأيام والغزوات والغارات والفتن ما سنستشهد بعينات من كلامه (عليه السّلام) لندل بأنها شكلت خصيصة قائمة بذاتها في (نهج البلاغة) :

قال (عليه السّلام)، من كتاب له إلى معاوية بن أبي سفيان وهو يذكر ما حصل في بدر وأحد :

((فأراد قومنا قتل نبينا، واجتياح أصلنا، وهمّوا بنا الهموم، وفعلوا بنا الأفاعيل، ومنعونا العذب، وأحلونا الخوف، واضطرونا إلى جبلٍ وعر، وأوقدوا لنا نار الحرب، فعزم الله لنا على الذب عن حوزته، والرمي من وراء حومته، مؤمننا يبغي بذلك الأجر، وكافرنا يحامي عن الأصل، ومن أسلم من قريش خلوا مما نحن فيه، بحلفٍ يمنعه أو عشيرةٍ تقوم دونه، فهو بمكان آمن.

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذا احمر البأس، وأحجم

الناس، قدم أهل بيته فوقي بهم أصحابه حرث السيوف والأسنة، فقتل عبيد الله بن الحارث يوم بدر وقتل حمزة يوم أحد.

وقتل جعفر يوم مؤتة، وأراد من لوشئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة، ولكن عجلت ومنيته أخرت..)).

وفي كتاب آخر له - (عليه السلام) - إلى معاوية بن أبي سفيان ذكره بيوم بدر فقال :

((ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية، وولادة أمر الأمة، بغير قدمٍ سابق ولا شرفٍ باسق، ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء.

وأحذرك أن تكون متمادياً في غزاة الأمنية، مختلف العلانية والسريرة، وقد دعوت إلى الحرب فدع الناس جانباً واخرج إلي، واعف الفريقين من القتال.

لتعلم أينا المرين على قلبه، والمغطي على بصره!

فأنا أبوحسن، قاتل جدك وأخيك وخالك شذخاً يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي؛ ما استبدلت ديناً، ولا استحدثت نبياً، وإني على المنهاج الذي تركتموه طائعين، ودخلتم فيه مكرهين)).

وفي كتاب آخر له - (عليه السلام) - إلى معاوية ذكره بفتح مكة وحوادث

تاريخية أخرى فقال (عليه السلام) :

أما بعد فإننا كنا نحن وأنتم، على ما ذكرت من الألفة والجماعة ففرق بيننا وبينكم أمر إنا آمنا وكفرتكم، واليوم إنا استقمنا وفتنتكم وما أسلم مسلمكم إلا

كرهاً، وبعد أن كان أنف الإسلام كله لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حرباً .

وذكرت أنني قتلت طلحة والزبير، وشردت بعائشة ونزلت بين المصريين، وذلك أمر غبت عنه، فلا عليك ولا العذر فيه إليك.

وذكرت أنك زائري في جمع المهاجرين والأنصار، وقد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك، فإن كان فيك فاسترفه، فإني أزورك فذلك جدير أن يكون الله إنما بعثني إليك للنعمة منك، وإن ترزني فكما قال أخو بني سعد :

مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين أغوارٍ وجلمود

وعندي السيف الذي أعضضته بجدك وخالك وأخيك في مقام واحد).

وفي كلام له (عليه السلام) يوم بيعة السقيفة إذ انتهت إليه أباؤها بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال (عليه السلام) :

((ما قالت الأنصار؟؟)).

قالوا : قالت : منا أمير ومنكم أمير.

قال (عليه السلام) : ((فهلا- احتججتم عليهم بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصّى بأن يحسن إلى محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم!

قالوا : وما في هذا من الحجة عليهم؟

فقال - (عليه السلام) - : ((لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصية بهم ثم قال (عليه السلام) : فماذا قالت قريش؟

قالوا :

احتجت بأنها شجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال (عليه السلام) : ((احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة)).

ومن كلام له - (عليه السلام) - وقد استشاره عمر في الشخوص لقتال الفرس بنفسه في القادسية ونهاوند فقال (عليه السلام) :

((فإن هذا الأمر لم يكن يضرب ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، إنما هو دين الله الذي أظهره، وجنده الذي أعزّه وأمدّه بالملائكة، حتى بلغ ما بلغ، فنحن على موعد من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده، وإن مكانك منهم مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه، فإن انحل تفرق ما فيه وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً؛ والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فإنهم كثير عزيز بالإسلام؛ أقم مكانك، واكتب إلى أهل الكوفة فإنهم أعلام العرب ورؤساؤهم، وليشخص منهم الثلثان، وليقم الثلث، واكتب إلى أهل البصرة أن يمدوهم ببعض من عندهم، ولا تشخص الشام ولا اليمن، إنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم، وإن أشخصت أهل اليمن يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم، ومتى شخصت من هذه الأرض انتفضت عليك العرب من أقطارها وأطرافها، حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك ما بين يديك من العورات والعيالات.

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً قالوا: هذا أمير العرب وأصلهم؛ فكان ذلك أشد لكلبهم عليك، وأما ما ذكرت من مسير القوم من عددهم فإننا لم نكن

ص: 259

تقاتل فيما مضى بالكثرة، إنما كنا نقاتل بالصبر والنصر)). فوافقته عمر رأيه.

وفي كلام له (عليه السلام) في (الشورى) التي دعا إليها عمر بن الخطاب وهو على فراش الموت، فقال (عليه السلام) :

((حتى إذا مضى لسبيله، جعله في ستة زعم أنني أحدهم؛ فيا لله وللشورى؟ متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر لكيني أسففت إذ أسفوا، وطرت إذ طاروا، فصغا رجلٌ منهم لضغنه ومال الآخر لصهره، مع هنٍ وهن)).

واستعرض - (عليه السلام) - موقف كل من طلحة والزبير منه يوم مبايعته وتوليه إمارة المؤمنين، فقال في خطبة له في ذي قار، بعد أن حمد الله وتشهد :

((... فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، الذي أطفأ الله به نيرانها، وأحمد به شرارها، ونزع به أوتادها، وأقام به ميلها، إمام الهدى والنبى المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلقد صدع بما أمر به وبلغ رسالات ربه، فأصلح الله به ذات البين، وأمن به السبل، وحقن به الدماء، وألف به بين ذوي الضغائن الواغرة في الصدور، حتى أتاه اليقين، ثم قبضه الله إليه حميداً، ثم استخلف الناس أبا بكر، فلم يأل جهداً، ثم استخلف أبو بكر عمر فلم يأل جهداً، ثم استخلف الناس عثمان، فنال منكم ونلت منكم، حتى إذا كان من أمره ما كان، أتيتموني لتبايعوني، لا حاجة لي في ذلك، ودخلت منزلي، فاستخرجتموني فقبضت يدي فبسطتموها وتداكتمتم (أي : تراحمتم) عليّ. حتى ظننت أنكم قاتليّ، وإن بعضكم قاتل بعض، فبايعتموني وأنا غير مسرور بذلك ولا جذل. وقد علم الله - سبحانه

- إني كنت كارهاً للحكومة بين أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ... حتى اجتمع عليّ ملؤكم، وبايعني طلحة والزبير وأنا أعرف الغدر والنكث في أعينهما، ثم استأذناني في العمرة، فأعلمتهما أن ليس العمرة يريدان فساراً إلى مكة واستخفا عائشة وخدعاها، وشخص معها أبناء الطلقاء (أي : الذين أطلقهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم فتح مكة فلم يسترقهم) فقدموا البصرة، فقتلوا بها المسلمين، وفعلوا المنكر، ويا عجباً لاستقامتهما لأبي بكر وعمر وبغيهما عليّ! وهما يعلمان أنني لست دون أحدهما، ولو شئت أن أقول لقلت؛ ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه، فكتماه عني، وخرجا يوهمان الطغام أنهما يطلبان بدم عثمان، والله ما أنكرا عليّ منكرًا، ولا- جعللا- بيني وبينهم نصفاً وإن دم عثمان لمعصوبٌ بهما، ومطلوبٌ منهما، يا خيبة الداعي! إلام دعا! وبماذا أجيّب؟ والله إنهما لعلى ضلالة صمّاء، وجهالة عمياء، وإن الشيطان قد ذمر لهما حزبه، واستجلب منهما خيله ورّجله، ليعيد الجور إلى أوطانه، ويرد الباطل إلى نصابه)).

ومن كلام له (عليه السلام) من ذكر أهل البصرة، وقد ألمح إلى ذكر طلحة والزبير فقال :

((كل واحد منهما يرجو الأمر له ويعطفه عليه، دون صاحبه، لا يمتّان إلى الله بحبل، ولا يمتدان إليه بسبب.

كل واحدٍ منهما حاملٌ ضربٍ لصاحبه؛ وعمّا قليل يكشف قناعه به .

والله لئن أصابوا الذي يريدون لينزعن هذا نفس هذا؛ وليأتين هذا على هذا، وقامت الفئة الباغية فأين المحتسبون! لقد شنت لهم الشنن؛
وقدم لهم الخبر؛ ولكل صلة علة، ولكل ناكث شبهة.

والله لا أمون كمستمع للدم، يسمع الناعي، ويحضر الباكي ثم لا يعتبر)).

ومن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية بن أبي سفيان يدعو إلى البيعة والطاعة، حملة إليه جرير بن عبد الله البجلي قوله :

((فإن بيعني لزمتهك وأنت بالشام، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، على ما بويعوا عليه..، وإن طلحة والزبير بايعاني ثم
نقضا بيعتي، فكان نقضهما كردتهما، فجاهدتهما على ذلك، حتى جاء الحق، وظهر الباطل وهم كارهون، فادخل فيما دخل فيه المسلمون.
وقد أكثرت في قتل عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس...، فأما التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون
هواك، لتجدني أبرء قريش من دم عثمان، واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، ولا تُعرض فيهم الشورى)).

وبعد أن أجابه معاوية على كتابه (عليه السلام) ردّ عليه بكتابٍ ثانٍ قال فيه : ((أما بعد؛ فإنه أتاني منك كتاب امرئٍ ليس له بصبرٌ يهديه، ولا
قائد يرشده، دعاه الهوى فأجابه، وقاده الضلال فاتّبعه.. وبعد:

وما أنت وما عثمان..؟ فإن زعمت أنك أقوى على ذلك، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إليّ، وأما تمييزك بينك وبين طلحة
والزبير، وبين أهل الشام وأهل البصرة فلعمري ما الأمر فيها هناك إلا سواء، لأنها بيعة

شاملة لا يستثنى فيها الخيار، ولا يستأنف فيها النظر. وأما شرفي في الإسلام وقرابتي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وموضعي من قريش لو استطعت دفعه لدفعته)).

ومن كلام له (عليه السلام) وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين: ((أما قولكم: أكل ذلك كراهة الموت؟ فوالله ما أبالي، دخلتُ إلى الموت أو خرج الموت إليّ. وقولكم شكّاً في أهل الشام؟ فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشوا إلى ضوئي، فهو أحب إليّ من أن أقتلها على ضلالة؛ وإن كانت تبوء بآثامها)).

ومن كلام له (عليه السلام) يوم لقائه أهل الشام بصفين: (اللهم إليك رُفعت الأبصار، وبُسيطت الأيدي، ونُقِلت الأقدام، ودعت الألسن، وأفضت القلوب، وتحوكم إليك في الأعمال، فاحكم بيننا وبينهم بالحق، وأنت خير الفاتحين، اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا، وقلّة عددنا، وتشتت أصواتنا، وشدة الزمان بنا، وظهور الفتن، فأعنا على ذلك بفتح منك تعجّله، ونصرٍ تعرّض به سلطان الحق وتظهره)).

وثمة إشارات تاريخية كثيرة في ثنايا (النهج) نكتفي بهذا القدر لنتناول خاصية أخرى.

لقد تحدثنا عن هذه الفقرة في الرد على المشككين في نسبة (نهج البلاغة) إلى الإمام علي (عليه السلام) وهنا نستشهد بعينات من تلك التوقعات والتنبؤات، ولكن قبل الاستشهاد وإتماماً لتلك الفقرة، نشير إلى بعض الأخبار عن الغيوب، كغيوب الكهان، كما يحكى أن سطيح بن مازن بن غسان، وشق بن ثمار بن نزار، وسواد بن فارس الدوسي، أما ما كان يقع لأصحاب زجر الطير والبهائم، كما يحكي عن بني لهب في عصر ما قبل الإسلام، أو لأصحاب القيافة، كما يحكي عن بني مذحج، أورباب النيرنجات، فإذا كان أولئك عاى حالتهم تلك فإن الإمام علي (عليه السلام) أولى منهم بهذا الأمر وقد بيّنا مميزاته الخلقية والخلقية.

وإليك قارئى الكريم عينات من توقعاته المستقبلية

قال (عليه السلام):

((أيها الناس، سيأتيكم زمان يُكفأ فيه الإسلام، كما يُكفأ الإناء بما فيه)).

ص: 264

وقال (عليه السّلام) :

((سيأتي زمان تقيض فيه اللثام، وتغيض الكرام، أهله ذئاب، وسلاطينه سباع)).

وقال (عليه السّلام) :

((في آخر الزمان يخلف الناس الحق وراء ظهورهم فيقطعون الأذني ويصلون الأبعد))

وقال (عليه السّلام) :

((... فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مئة وتظلّ مئة، إلا أنبأتكم بناعقها وقاندها وسائقها ومن يقتل من أهلها قتلاً ومن يموت منها موتاً)).

وقال (عليه السّلام) في ذم أهل البصرة :

(كأنني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من ضمنها. (وفي رواية) وأيم الله لتغرقن بلدتكم حتى كأنني أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة أونعامه جائمة. (وفي رواية) بلادكم أنتن بلاد الله تربة، أقربها من الماء وأبعدها من السماء، وبها تسعة أعشار الشر، المحتبس فيها بذنبه والخارق بعفوالله، كأنني أنظر إلى قريبتكم هذه قد طبقتها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤجؤ في لجة البحر).

وقال (عليه السّلام) وهو يخبر عن صاحب الزنج :

ص: 265

((كأنني به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لجب، ولا قعقعة لُجْم، ولا حمحمة خيل، يتبرون الأرض بأقدامهم كأنها النعام، ويل لسكككم العامرة، والدور المزخرفة التي لها أجنحة كأجنحة النسور، وخراطيم كخراطيم الفيلة، من أولئك الذين لا يندب قتلهم ولا يُفْتَقَد غائبهم، إنما كآب الدنيا لوجهها، وقادر بقدرها، وناظر بعينها)).

ويخبر - (عليه السّلام) - عن الأتراك ويصفهم بقوله :

((كأنني أراهم قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة، يلبسون الرق والديباج، وينتقبون الخيل العتاق، ويكون هناك استمرار وقتل حتى يمشي المجروح على المقتول، ويكون المفلت أقل من المأسور)).

وقال (عليه السّلام) وهو يذكر الملاحم ويشير إلى القائم الحجة (عليه السّلام) :

((يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي.

(منها) : حتى تقوم الحرب بكم على ساق بادياً نواجذها مملوءة أخلاقها، حلواً، رضاعها، علقماً عاقبتها. ألا وفي غد - سيأتي غد بما لا تعرفون - يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوي أعمالها، وتخرج له الأرض أفاليد (أي : قطع من الذهب والفضة) كبدها، وتلقي إليه سلماً مقاليدها، فيريكم كيف عدل السيرة، ويحيي ميت الكتاب والسنة.

ومنها : كأنني به نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان، فعطف عليها عطف الضروس وفرش الأرض بالرووس، فقد فغرت فاغرتة، وثقلت في

الضوء الثالث: من خصائص نهج البلاغة.....

الأرض وطأته، بعيد الجولة، عظيم الصولة، والله ليشرونكم في أطراف الأرض حتى لا يبقى منكم إلا قليل كالكحل في العين، فلا تزالون حتى تؤوب إلى العرب عواذب أحلامها...)).

وقال (عليه السلام) في خطبة له :

((... وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه (أي : أروج منه) إذا حُرِّف عن مواضعه، ولا في البلاد أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر، فقد نبذ الكتاب حَمَلْتَهُ وتناساه حَفَظْتَهُ، فالكتاب يومئذ وأهله منفيان طريدان، وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤوٍ فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم، لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا)).

وقال (عليه السلام) :

((يأتي على الناس زمان عضوض (أي : شديد) يعرض الموسر فيه على ما في يديه ولم يُؤمر بذلك، قال الله سبحانه :

{ ... وَلَا تَسْؤُوا الْفُضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (البقرة/237) } .

تنهد فيه الأشرار (أي : ترتفع) وتُستذل الأختيار ويبيع المضطرون...)).

ولما أخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، فاستشفع الحسن والحسين

ص: 267

(عليهما السلام) إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فكلماه فيه، فخلى سبيله فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين، فقال (عليه السلام):

((أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته! إنها كف يهودية لو بايعني بكفه لغدر بسبته، أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر)).

ص: 268

من صفات الإمام علي (عليه السلام) (الشجاعة) وقد تحدثنا عنها في كلام سابق، وفي هذه الفقرة سنستعين بعيّنات من تنظيراته العسكرية خلال مدة حكمه القصيرة المتسمة بالحروب والتي اضطر إليها اضطراراً فضلاً عما كان يبديه من رأي عسكري لمن سبقه في قيادة الأمة الإسلامية.

قال (عليه السلام) لأصحابه في ساحة الحرب :

((...فقدّموا الدارع وأخروا الحاسر (أي : لا لبس الدرع ومن لا درع له)، وعضوا على الأضراس، فإنه أني للسيوف على الهام، والتوا في أطراف الرماح فإنه أمورٌ للأسنة، وغصّوا الأبصار فإنه أربط للجأش وأسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات فإنه أطرّد للفشل، وراياتكم فلا تميلوها ولا- تخلّوها، ولا- تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم والمانعين الذمار منكم، فإن الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفون براياتهم، ويكتفون حفافها! وراءها وأمامها، ولا يتأخرون عنها فيسلموها، ولا يتقدمون عليها فيفردوها، أجزاً امرؤ قرنه (أي : كفوء وخصم)

وَأَسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكُنْ قَرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ قَرْنَهُ وَقَرْنُ أَخِيهِ)).

في فقرة إشارات تاريخية نقلنا رأيه العسكري (عليه السّلام) عندما استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه، يمكن الرجوع إليها، ومع ذلك نذكر الجزء الأخير من إشارته التي أخذ بها عمر، إذ قال الإمام (عليه السّلام) مشيرة على عمر :

((... والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام وعزيزون بالاجتماع، فكن قطعاً واستدر الرحي بالعرب، واصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت (أي : خرجت) من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأفطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك)).

ومن وصية له (عليه السّلام) وصى بها جيشاً بثه إلى العدو :

((فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبيل الأشراف (أي : المرتفعات) أو سفح الجبال، أو أثناء الأنهار كيما يكون لكم ردءٌ ودونكم مرواً، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال (أي : أعالي الجبال) ومناكب الهضاب (أي : مرتفعاتها) لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن، واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم، وإياكم والفرق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً، وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة (مثل كفة الميزان) ولا- تذوقوا النوم إلا غراًراً أو مضمضة)).

ومن وصية له (عليه السّلام) المعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في

((اتقِ الله الذي لا بد لك من لقاءه، ولا منتهى لك دونه، ولا تقاتلن إلا من قاتلك، وسِر البردين (أي : الغداة والعشي) وتحذّر بالناس ورقّه بالسير، ولا تسر أول الليل، فإن الله جعله سكناً وقدّره مقاماً لا ضعناً، فأرح فيه بدنك وروظهرك، فإذا وقفت حين ينبطح السحر (أي : ينبسط)، أو حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله، فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطاً، ولا تدنّ من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس حتى يأتيك أمري، ولا يحملك شنانكم (أي : بغضاؤكم) على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم)).

ومن وصية له (عليه السلام) لعسكره قبل لقاء العدو بصفين :

((لا تقاتلوهم حتى يبدوؤوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا معوراً (أي الذي أبدى عورته) ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم، فانهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول...))

ومن كلام له (عليه السلام) لأصحابه عند الحرب قال :

((لا تشدنّ عليكم فرّة بعدها كرّة، ولا جولة بعدها حملة، وأعطوا السيوف حقوقها، ووطئوا للجيوب مصارعها، واذمروا أنفسكم على الطعن الدّعسي (أي : الشديد) والضرب الطلحفي (أي : أشد الضرب) وأميتوا الأصوات فإنه

طرد للفشل)).

وفي إشارة له (عليه السلام) على عمر عندما استشاره في حربه مع الروم؛ هل يخرج إليهم بنفسه فأشار عليه بقوله ((عليه السلام)):

((انك من تسر الى هذا العدد بنفسك فتلقهم بشخصك فتتكب لا تكن للمسلمين كافة (أي : عاصمة) دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه. فابعث إليهم رجلاً محرباً (أي : محارباً) واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله له فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت ردةً للناس (أي : ملجأ الهم) ومثابة (أي : مرجعاً) للمسلمين)).

وقال في عهده (عليه السلام) للأشتر النخعي واليه على مصر :

((... فولّ من جندك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيئاً (أي : أظهرهم صدراً وقلباً)، وأفضلهم حلماً ممن يبطيء عن الغضب، ويستريح إلى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو (أي : يشتد) على الأقوياء، وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف.. وليكن أثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته، وأفضل من جدته (أي : سعيه وغناه) بما يسعهم ويسع من ورائهم من خلوف (أي : بالعجزة والنساء) أهليهم حتى يكون همهم واحداً في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك..)).

ومن كلام له (عليه السلام) إلى بعض قادة جيشه قال :

((فإن عادوا (أي : الأعداء) إلى ظل الطاعة فذلك الذي نحب، وإن توافت الأمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان، فانهد بمن أطاعك إلى من عصاك، واستغنِ

ص: 272

بمن انتقاد معك عمن تقاعس عنك، فإن المتكاره مغيبه خيرٌ من شهوده، وقعوده أغنى من نهوضه)).

ومن كتاب له (عليه السلام) للأشتر النخعي عندما ولّاه مصر قال :

((ولا تدفعن (ترفذن) صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضا، فإن في الصلح دعة (أي : راحة) لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليغفل (من الغفلة) فخذ بالحزم وآتهم في حسن الظن. وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط (أي : احفظ) عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة (حماية) دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء.. ولا تغدر من بذمتك، ولا تخيسن (تنتقضن) بعهدك ولا تختلن (أي : تخدعن عدوك)).

وقال (عليه السلام) وهو يوصي أحد قادته :

((إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للمقدرة عليه)).

وطرح (عليه السلام) نظرية حربية غاية في الأهمية والخطورة هي حدود التعامل بين القائد الأعلى وقادة الميدان والجنود، فقال :

((لكم عندي أن لا أحتجز دونكم سراً إلا في حرب (أي : لا أكتم عنكم سراً)).

وكتب (عليه السلام) إلى كميل بن زياد النخعي عامله على هيت، منكرأ

عليه تجاوزه مهمته في الدفاع عن المسالحي بالإغارة على قرقيسيا فقال :

((إن تعاطيك الغارة على قرقيسيا (بلدة على الفرات) وتعطيلك مسالحك التي وليناك، ليس بها من يمنعها ولا يرد الجيش عنها، لرأي شعاع (أي : متفرق غير صالح) فقد صرت جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك على أولئك، غير شديد المنكب (أي : ضعيف) ولا مهيب الجانب، ولا ساد ثغرة، ولا كاسر شوكة، ولا مغني عن أهل مصره، (أي : غير قادر) ولا معجز من أميره)).

ومن وصية له (عليه السلام) لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل قال له :

((عض على ناجذك (أحد الأنبا) وأعر الله جمجمتك (أي : اطلب الشهادة في سبيل الله)، تد (أي : وتد أو ثبت) في الأرض قدمك، ارم ببصرك (أي : أخط) أقصى القوم، وعض بصرك، واعلم إن النصر من عند الله سبحانه)).

وأوصى (عليه السلام) جنده في أيام صفين بقوله :

((استشعروا الخشية وتجليبوا السكينة، وعضوا على النواجز فإنه أني للسيوف على الهام، والملوا الأمة (أي الدروع) وقلقلوا السيوف في أغمادها قبل سلها والحظوا الحزر (أي : النظر بغضب) واطعنوا الشزر (أي يمينا وشمالا)، وناقحوا بالضبا (أي بطرف السيف)، وصلوا السيوف بالخطى (أي : اجعلوها متصلة بخطى أعدائكم).. وامشوا إلى الموت مشياً سَمْجاً (أي : سهلاً)، وعليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطنب (السواد الأعظم، أهل الشام، والرواق المطنب، رواق

معاوية) فاضربوا ثبجه (وسطه)).

وقال (عليه السلام) وهو يوصي جنده أن يحسنوا إلى الناس في البلدان التي يحتلونها أو يمرون بها :

((إني قد سيرت جنوداً هي ماراً بكم إن شاء الله، وقد أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كفّ الأذى وصرف الشذي (أي الشر)، وأنا أبرأ إليكم وإي ذمتكم من معرة (أذى) الجيش إلا من جوعه المضطر لا يجد عنها مذهباً إلى شبعه (يسد رمقه) فنكّلوا من تناول منهم شيئاً ظلماً عن ظلمهم، وكفوا أيدي سفهائكم عن مضادتهم والتعرض لهم فيما استتيناها منهم، وأنا بين أظهر الجيش فادفعوا إليّ مظالمكم وما عراكم مما يغلبكم من أمرهم ولا تطيقون دفعه إلا بالله وبني فانا أغيره بمعونة الله إن شاء الله)).

ودعا (عليه السلام) جنده إلى التعاون فيما بينهم قائلاً :

((وأي امرئ فيكم أحسّ من نفسه رباطة جأش عند اللقاء، ورأى من أحد من إخوانه فشلاً، فليذبّ عن أخيه بفضل نجدته التي فُضّل بها عليه كما يذبّ عن نفسه)).

وحدد (عليه السلام) صفات جنوده بقوله :

((فالجنود - ياذن الله - حصون الرعية، وزين الولاة، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم)).

ووازن (عليه السلام) بين ما يجب أن يتصف به الجندي وبين ما يجب من

حوافر تجعله يؤدي واجبات الجندية على خير ما يرام فقال :

((ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذين يقوون به في جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من ولاء حاجاتهم)).

وأوصى (عليه السلام) جنده في معركة الجمل أن ((لا يبدؤوهم بقتال ولا يرموهم بسهم ولا يضربوهم بسيف ولا يطعنوهم برمح)).

وقبل بدء الحرب خطب بجيشه قائلاً :

((يا أيها الناس إذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيراً ولا تتبعوا مولياً ولا تطلبوا مديراً ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل ولا تهتكوا ستراً ولا تقربوا شيئاً من أموالهم إلا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد أو أمة وما سوى ذلك فهو ميراث ورثتهم على كتاب الله تعالى)).

ص: 276

اتسمت حياة الإمام علي (عليه السلام) - سيما بعد توليه أمر المسلمين - بالصخب والاضطراب والعسف ومجانبة الحق، وكان (عليه السلام) ينظر إلى من حوله، سواء في أيام السلم - وهي قليلة - وأيام الحرب - وهي مروعة - فيراهم منقسمين على أنفسهم؛ منهم من تمسك بالدين وارتضى الإمام قائداً بصدق وإخلاص ينطويان على نفس تطهرت بماء الإيمان وتعطرت بشذى السجدة الفطرية المتسمة بالنقاء - وهؤلاء قلة منتقاة بعفوية إيمانية عجيبة.

ومنهم من تأخذهم رياح الأحداث يميناً وشمالاً وتدفعهم إلى الأمام مرة وتسحبهم إلى الخلف أخرى، حسب مقتضى الحال وتقلب الظروف والأحوال، تحكمهم مصالحهم لعدم تمكن الإيمان منهم؛ فهم طينة هشة تتشكل على وفق ما يراد لها أن تتشكل ولكنها كانت إلى زخرف الحياة أميل فكانت تهتز لأقل نسمة فتميل إلى معسكر المكر والخديعة وتضعف أمام مختربات غسل الأدمغة ويسيل لعبها لدسامة موائد مطابخ أولئك الذين يجيدون طبخ المغريات ويعرفون متى وكيف ولمن يقدمون تلك الوجبات التي من شأنها ملء الأمعاء وإفراغ النفوس من الإيمان الصادق.

ومنهم من اتخذوا رسالة محمد بن عبد الله، الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) سفينة نجاة لهم من خطر زوال (مجدهم) وسلطانهم قبل الدعوة الإسلامية، فصاروا يحاربون الدين ورجاله بالدين ورجاله معتمدين المكر والخداع منهجاً لهم فنجحوا في ذلك إلى حد ما، وإن كان نجاحهم مرهوناً بمرحلة وجودهم وما إن زالوا حتى عاد الإيمان والصدق والنقاء، إلى حيث أراد الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأراد الوصي (عليه السلام) والأئمة من بعده .

تلك المفارقات جعلت الإمام علي (عليه السلام) يتشظى ألماً ويتحرق حسرة فيرسلها شكوى رجل خبر الحياة وسبر أغوارها واستقرأ النفس الإنسانية فعرف أسرارها فجاءت شكواه آية من آيات البلاغة وغاية من غايات المنهج التربوي القويم.

ونحن هنا سنختار بعضاً من تلك الزفرات النابعة من نفس مخظلة بصدق الإيمان، إنها شكوى علي بن أبي طالب (عليه السلام) كفى بذلك تعريفاً :

ففي خطبة له (عليه السلام) وهي المعروفة ب (الشقشقية) قال :

((أما والله لقد تقمصها (أي : لبسها كالتقميص) فلان وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحا، ينحدر عيني السيل، ولا يرقى إلى الطير، فسدت (أي : أرخيت) دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً (أي : ملتعتها)، وطفقت أرثي بين أن أصول بيد جذاء (أي : مقطوعة)، أو أصبر على طخية عمياء (أي : ظلمة)، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه!

فرايت أن الصبر على هاتا أحجى (أي : ألزم) فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا (أي : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه) أرى تراثي (ميراثي) نهبا،

حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده ...

شتان ما يوحى على كورها ويوم حيان أخي جابر

فيا عجباً! بينما هو يستقبلها (أي يطلب إعفاه منها) في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطر ضرعيها! فصيرها في حوزة خشنة يغلظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر العثار (أي : الكبوة) فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة (من الإبل ما ليست بذلول)، إن أشنق (أي : كف زمام البعير) لها حزم (قطع) وإن أسلس (أرخی) لها تقحم (هلك)، فجني (ابتلوا) الناس - لعمر الله - بخبط (سير على غير هدى) وشماس (إباء ظهر الفرس عن الركوب)، وتلون واعتراض (التخبط في السير)، فصبرت على طول المدة، وشدة المحنة؛ حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني أحدهم، فيا لله وللشورى! متي الريب في مع الأول منهم، حتى صرت أقرن الى هذه النظائر، لكنتي أسففت (أي دنوت) إذ أسفوا، وطرت اذا طاروا، فصفا (أي : مال) رجل منهم لضغنه (أي : لحقده)، ومال الآخر لصهره مع هن وهن (أي : أغراض أخرى) إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حِضنيه (أي : رافعاً أو متكبراً) بين نثيله (أي : روثه) ومعتلفه، وقاموا معه بنو أبيه يخضمون (أي : يأكلون الشيء الرطب) مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث (أي : انتفض) عليه فتله، وأجهز (أي : تم قتله) عليه عملة وكبت به (أي : كبا) بطنته.

فما راعني إلا والناس كُعرف الضبع إلى ينثالون (أي : يتابعون) علي من كل جانب حتى لقد وطيء الحسنان، وشق عطفائي (أي : خدش جانباها) مجتمعين

ص: 279

حولي كربيضة الغنم (أي : الرابضة من الغنم)، فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى، وقسط (أي : جار) آخرون، كأنهم لم يسمعوا سبحانه يقول :

{ تَلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (القصص/83) }

بلى! والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها! أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا (من الإقرار) على كِطَّة (أي : استتار) ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها (أي : كاهلها) ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهدي عندي من عطفة عنز)).

ومن خطبة له (عليه السلام) بعد مقتل طلحة والزبير قال :

((ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر، وأتوسمكم (أي : أتفرس فيكم بحلية المُعْتَرِّين، حتى سترني عنكم جلباب الدين، وبصّرنيكم صدق النية. أقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلّة (أي : طريق فضل سالكها) حيث تلتقون ولا دليل، وتحترفون ولا تُجبهون (أي : لا تجدون ماء). اليوم أنطق لكم العجماء (أي : البهيمّة) ذات البيان، عَزَبَ (أي : غاب) رأي امريء تخلف عني! ما شككت في الحق مُذْ أُرَيْتَهُ! لم يوجس موسى (عليه السلام) خيفة على نفسه، بل أشفق من غلبة الجهّال ودول الظلال! اليوم تواقفنا (أي : تقابلنا) على سبيل الحق والباطل، من وثق بما لم يظماً)).

ومن خطبة له (عليه السلام) يصف حاله قبل البيعة له :

ص: 280

((فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشربت على الشجا، وصبرت على أخذ الكظم (أي : الإختناق)، وعلى أمر من طعم العلقم. ولم يبايع حتى شرط أن يؤتية على البيعة ثمناً، فلا ظفرت يد البائع، وخزيت أمانة المبتاع)).

ومن خطبة له (عليه السلام) بعد التحكيم قال :

((أما بعد، فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة، وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأبي، لو كان يطاع لقصير (أي : الأبرش) أمراً فأبيتم عليّ إباء المخالفين الحفاة والمنابذين العصاة، حتى ارتاب الناصح بنصحه، وضمن الزند بقده، فكنت أنا وإياكم كما قال أخوهوازن، دريد بن الصمّة :

أمرتكم أمري بمنحرج اللوى فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغدى.

وفي خطبة له (عليه السلام) يشكو ظلم قريش :

((اللهم إني أستعديك (أي : أستعينك) على قريش ومن أعانهم، فإنهم قد قطعوا رحمي وأكفؤوا إنائي (أي : قلبه)، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري، وقالوا :

- ألا إن في الحق أن تأخذه، وفي الحق أن تمنعه، فاصبر مغموماً، أومت متأسفاً.

فنظرت فإذا ليس رافد (أي : معين) ولا ذاب (أي : مدافع) ولا مساعد)).

إشارة

إن نقد الإمام علي (عليه السلام) ليس نقداً من أجل النقد ولم يكن ذا حدٍّ واحد، أي لم يظهر السلبية ويشير إليها حسب، بل هو ذو حدّين؛ إذ يشخص الداء، ويصف الدواء، وهكذا تناول (عليه السلام) أموراً كثيرة وكان صيرفياً لا معاً وطيبياً نطاسياً متمكناً من أدواته، فلا يطلق الكلام على عواهنه، فيقول هذا أسود وهذا أبيض، بل كان يعرف لماذا صار الأبيض أسوداً ولماذا صار الأسود أبيضاً، وكيف يجب أن يتبادلا المواقع. ونقد الإمام (عليه السلام) ينقسم إلى قسمين كما رأيناه: اجتماعي وأدبي.

ففي النقد الاجتماعي - خاصة - كان (عليه السلام) يطرح الحلول ولسان حاله يقول

لقد ناديت لوأسمعت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي و كعادتنا سنستعين بعينات من نقد الإمام (عليه السلام) في كلا القسمين، كشواهد على هذه النخعيصة في (النهج).

من كلام له (عليه السلام) في من اتخذوا الشيطان ولياً لهم قال :

((اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً واتخذهم له أشراكاً (أي : أدوات صيد) فباض وفرّخ في صدورهم، ودب ودرج في جحورهم، فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزلل، وزينّ لهم الخطل، فعُلم من شركه الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل على لسانه)).

ومن كلام له (عليه السلام) دعا فيه الزبير للدخول في بيعته قال :

((يزعم أنه قد بايع بيده، ولم يبائع بقلبه، فقد أقر بالبيعة، وادعى الوليعة (أي : الدخيلة) فليأت عليها بأمرٍ يُعرف، وإلا فليدخل فيما خرج منه)).

وقارن بينه (عليه السلام) وبين خصومه فقال :

((وقد أَرعدوا وأبرقوا، ومع هذين الأمرين الفشل، ولسنا نرعد حتى نوقع، ولا نُسيّلُ حتى نمطر)).

وقال (عليه السلام):

((ألا وإن الشيطان قد جمع حزبه، واستجلب خيله ورجله (جمع راجل) وإن معي لبصيرتي، مالبت (ما أبهمت) على نفسي، ولا لبس عليّ. وأيم الله لأفرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه (مستقيه)، لا يصدرون عنه (لا يعودون بعد الاستقاء) ولا يعودون إليه)).

وقال (عليه السلام) للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب، إذ

اعترضه الأشعث في بعض كلامه قائلاً :

يا أمير المؤمنين هذا عليك لا لك.

فأجابه الإمام (عليه السلام) قائلاً :

((ما يدريك ما عليّ وما لي، عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين! حائك ابن حائك! منافق ابن كافر؟ ويلك لقد أسرك الكفر مرة والإسلام أخرى فما فداك من واحدة منها مالك ولا حسبك! وإن امرأ دَلَّ على قومه السيف، وساق إليهم الحتف، لحرّي أن يمقته الأقرب ولا يأمنه الأبعد)).

ومن كلام له (عليه السلام) حلل فيه تحليلاً نقدياً رائعاً مقتل عثمان فقال :

((لو أمرتُ به لكنت قاتلاً، أو نُهيت عنه لكنت ناصراً، غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول : خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول : نصره من هو خيرٌ مني، وأنا جامع لكم أمره، استأثر فأساء الأثرة (أي : الاستبداد) وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله حكم واقع في المستأثر والجازع)).

ومن كلام له (عليه السلام) يدين موقف قريش منه فيقول :

((مالي ولقريش! والله لقد قاتلتهم كافرين، ولأقاتلنهم مفتونين، وإني لصاحبهم بالأمس، كما أنا صاحبهم اليوم، والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيزنا فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعمرى- تترك المحض صابحاً*** وأكلك بالزبد المقشرة البجرا

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن*** علياً، وحطنا حولك الجرد والسُمرا

وكان مصقلة بن جبيرة الشيباني قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين (عليه السلام) وأعتقهم، فلما طالبه (عليه السلام) بالمال خان وغدر، وهرب إلى معاوية في الشام، فقال (عليه السلام) :

((قبح الله مصقلة! فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ! أَمَا أَنْطِقُ مَا دَحَ حَتَّى أَسْكُتَهُ، وَلَا صَدَّقَ وَاصْفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ (أي : عنفه) ولو أقام لأخذنا ميسوره، وانتظرنا بحاله وفوره)).

وحين منعه سعيد بن العاص حقه قال (عليه السلام) :

((إن بني أمية ليفوقوني تراث محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) تفويقاً، والله لئن بقيت لأنفضنهم نفض اللحم الودام للتربة)).

وفي نقده أهل الشام قال (عليه السلام) :

((جفأة (أي : غلاظ) طعام (أي : أوغاد)، وعبيد أقزام (أي : أرذال)، جُمعوا من كل أوب، وتلقطوا من كل شوب (أي : خلط)، فمن ينبغي أن يُفَقَّه أويؤدَّب، ويُعَلَّم ويُدَرَّب، ويؤلَّى عليه، ويؤخذ على يديه، ليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا من الذين تبوءوا الدار والإيمان.

وبعث (عليه السلام) برسالة إلى معاوية بن أبي سفيان قال فيها :

((أما بعد : فقد أتتني منك موعظة موصلة (أي : ملفقة) ورسالة محيرة (أي : مزينة)، نمقتها بضلالك، وأمضيتها بسوء رأيك، وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه، ولا قائد يرشده، قد دعاه الهوى فأجاب، وقاده الضلال فاتبعه، فهجر

(هذي) لا غطاً وفضل خابطا)).

وفي سحرة اليوم الذي ضرب فيه قال (عليه السلام) :

((مكتني عيني (أي : غلبي النوم) وأنا جالس، فسنح (أي : مرّ) رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت :

- يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد؟

فقال :

- ادع عليهم

فقلت :

- أبدلني الله بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً لهم مني)).

ب . النقد الأدبي

على الرغم من صخب عصر الأمام، وما كانت تكتنفه من أحداث عصفت بكثير من دعائم الدين، بسبب أدياء الدين الإسلامي (وقد أشرنا إلى ذلك في مكان آخر).. نقول : على الرغم من انشغال الإمام علي (عليه السلام) المكثف في أمور حكمه لكنه (عليه السلام)، كان يقتنص الفرصة ليزيح عن أصحابه شيئاً من هموم السياسة، ولأنه الخطيب الذي لا يشق له غبار والأديب الذي لا يُبارى، فقد انبرى (عليه السلام) للنظر في شعر بعض الشعراء، كما ألمح إلى بعض النقد الأدبي لتكتمل في شخصيته مقومات القائد الذي عليه أن يلّم بمفردات الحياة كلها؛ فقد أخبرنا ابن أبي الحديد (153/20-154) :

ص: 286

إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان يعشّي الناس في شهر رمضان باللحم ولا يتعشى معهم، فإذا فرغوا خطبهم ووعظهم، فأفاضوا ليلة في الشعراء وهم على عشائهم، فلما فرغوا خطبهم (عليه السلام) وقال في خطبته :

- اعلّموا أن ملاك أمركم الدين، وعصمتكم التقوى، وزينتكم الأدب، وحصون أعراضكم الحلم.

ثم قال :

- يا أبا الأسود؛ فيم كنتم تقيضون فيه؟ أي الشعراء أشعر؟

فقال :

- يا أمير المؤمنين، الذي يقول :

ولقد أعتدي يدافع ركني *** أعوجي ذومعة إضريح

مِخْلَطٌ مِزِيلٌ مِقْنٌ *** مِنفَحٌ مِطْرَحٌ سَبُوحٌ خُرُوجٌ

يعني أبا دواد الأيادي .

فقال (عليه السلام) : ليس به

قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟

فقال :

- لورفعت للقوم غاية (راية) فجزوا إليها معاً علمنا من السابق منهم، ولكن إن يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة.

قيل :

ص: 287

من هو يا أمير المؤمنين؟

قال: هو الملك الضليل ذوالقروح

قيل:

امرؤ القيس يا أمير المؤمنين؟

قال:

- هو.

وفي نظرة نقدية بليغة من حيث ضغط كلماتها وتكثيف معانيها قال الإمام علي (عليه السلام):

((خير الشعر ما كان مثلاً، وخير الأمثال ما لم يكن شعراً)).

في الواقع إن الشعر لو كان مثلاً أضفى على سمته ميزتين، ميزة الوزن والموسيقى، وميزة الحكمة والمدلول، على أن يكون ذلك غير مصنوع وغير متكلف.

أما قوله (عليه السلام) (خير الأمثال ما لم يكن شعراً) فلأن المثل (يؤدي معنىً كبيراً بألفاظ قليلة، واضحة، وقيود الشعر - من وزن وقافية - قد تؤثر على وضوح الفكرة وإلى زيادة ألفاظ المثل).

وقال (عليه السلام):

(لا تَوَاحِ شاعراً فإنه يمدحك بثمان ويهجوك مجاناً)

ص: 288

ويريد الإمام (عليه السلام) : الشاعر المحترف الذي يقول الشعر للتكسب لا الشاعر الذي يريد التعبير عما يختلج في داخله من تجربة عاشها بصدق.

وقال (عليه السلام) :

((تعلموا شعر أبي طالب وعلموه أولادكم فإنه كان على دين الله، وفيه علم كثير)).

وأحسب إن دعوة الإمام تعلم شعر أبي طالب نابعة من نظرة نقدية صائبة ؛ باعتبار إنه شعر ملتزم.

ومعروف إن الالتزام في الشعر من الأمور الجلييلة في الأدب.

روى ابن رشيقي القيروان في كتاب العمدة : أن أعرابياً وقف على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال :

((إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك.

فقال له علي :

خط حاجتك في الأرض فإني أرى الضر عليك.

فكتب الأعرابي على الأرض : إني فقير

فقال علي : يا قنبر، ارفع إليه حلتي الفلانية :

فلما أخذها مثل بين يديه وقال :

كسوتني حلّة تبلى محاسنها*** وسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

ص: 289

إن الشتاء ليحيي ذكر صاحبه*** كالغيث يحيي نداء السهل والجبال

لا تزهد الدهر في عرف بدأت به*** فكل عبدٍ سيجزى بالذي فعلا

فقال علي :

- يا قنبر، أعطه خمسين ديناراً؛ أما الحلة فلمسألتك وأما الدنانير فلأدبك، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول ((أنزلوا الناس منازلهم)).

وتلك الرواية تدل على نظرة الإمام علي (عليه السلام) النقدية للشعر، إذ ما أن سمع أبيات الأعرابي حتى اهتز لها طرباً وإعجاباً وعبر عن ذلك بإعطائه خمسين ديناراً.

وما تمثل به الإمام (عليه السلام) من شعر أثناء خطبه وأحاديثه ومراسلاته ووصاياهم إلا دليل على حسه النقدي وذوقه الأدبي الرفيع، ولولا خشية التطوال الأوردت عينات كثيرة من نقده الأدبي وهي مبثوثة في أجزاء (النهج) بشرح ابن أبي الحديد، ولكنني أكتفي بهذا لانتقل إلى فقرة أخرى من الخصائص.

ص: 290

في عتابه على أهل البصرة، بعد وقعة الجمل، قال (عليه السلام) :

(أرضكم قريبة من الماء، بعيدة من السماء، خفت عقولكم، وسفهت حلومكم، فأنتم غرض لنا بل، وأكلة لآكل، وفريسة لصائل).

ويعاتب قوماً فيقول (عليه السلام) :

((فإنكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم (خفتم)، وسمعتم وأطعتم، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا، وقريب ما يطرح الحجاب ! ولقد بصرتم إن أبصرتم، وأسمعتم إن سمعتم وهديتم إن اهتديتم، وبحق أقول لكم:

لقد جاهدتم العبر، وزجرتم بما فيه مزدجر، وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء (الملائكة) إلا بشر)).

وبعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية على الحاج بعد قصة الحكمين قال (عليه السلام) يستنهض أصحابه لما حدث في الأطراف :

((أيها الناس، المجتمعة أبدانهم، والمختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء! تقولون في المجالس : كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلت: حيدى حَيّادا! ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل، وسألتموني التطويل (أي : المظل) دفاع ذي الدين المطول (أي : الكثير المظل) لا يمنع الضيم الذليل! ولا يدرك الحق إلا بالجد! أي دار بعد داركم تمنعون، ومع أي إمام بعدي تقاتلون؟ المغرور واللّه من غررتموه، ومن فاز بكم - واللّه - بالسهم الأخبب، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق (أي : مكسور الفوق) ناصل (أي : العاري عن النصل)، أصبحت - واللّه - لا أصدق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد لعدوكم، ما بالكم؟ ما دواؤكم، ما طبكم؟ القوم رجال أمثالكم، أقولاً بغير علم؟ وغفلة من غير ورع! وطمعاً في غير حق!)).

وفي استنفار الناس إلى أهل الشام بعد فراغه من أمر الخوارج قال عليه السلام :

((أفّ لكم! لقد سئمت عتابكم! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً؟ وبالذل من العز خلفاً؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة، يرتج عليكم حواري فتنهون، وكأن قلوبكم مألوسة (أي : مجنونة) فأنتم لا تعقلون، ما أنتم لي بثقة سجيس (أبد) الليالي، وما أنتم بركن يُمال بكم ولا زوافر (أركان) عز يفتقر إليكم، ما أنتم إلا كابل ضل رعاتها، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر، لبس - لعمر اللّه -

سُعُرُ نار الحرب أنتم تُكادون ولا- تكيّدون، وتُنْتَقِص أطرافكم فلا- تمتعضون، لا- يُنام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، غُلب - واللّه - المتخاذلون! وأيم اللّه إني لأظن بكم أن لوحى الوغى، واستحرّ الموت، قد انفرجتكم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس.

واللّه إن امرأ يمكّن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفري جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره، أنت فكن ذلك إن شئت! أما أنا فواللّه دون أن أعطى ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام، وتطيح السواعد والأقدام، ويفعل اللّه بعد ذلك ما يشاء)).

وفي توبيخ بعض أصحابه بعتابية مرة قال (عليه السّلام) :

((وكم أداريكم كما تدارى البكار العمدة، والثياب المتداعية، وكلما حيصت من جانب تهتكت من آخر، كلما أطل عليكم مُنْسِرٌ من مناسر أهل الشام أغلق كل رجل منكم بابه، وانحجر انحجار الضبة في جحرها والضبع في وجرها، الذليل واللّه من نصرتموه. ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل، إنكم - واللّه - الكثير في الباحات، قليل تحت الرايات، وإني لعالم بما يصلحكم، ويقيم أودكم. ولكني لا- أرى إصلاحكم بإفساد نفسي، أضرع اللّه خدودكم (أي : أذلها)، وأتعس جدودكم! لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كابطالكم الحق)).

وفي ذم أهل العراق، وتوبيخهم على ترك القتال في ذروة النصر ونكذبيهم

إياه قال (عليه السلام) :

{أما بعد يا أهل العراق، فإنما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلما أتمت أملصت وماتت قيمها وطال تأيّمها، وورثها أبعدها، أما والله ما أتيتكم اختباراً؛ ولكن جئت إليكم سوقاً، ولقد بلغني أنكم تقولون : عليّ يكذب، قاتلكم الله تعالى! فعلى من أكذب؟ على الله؟ فأنا أول من آمن به، أم على نبيّه؟ فأنا أول من صدّقه، كلا والله، لكنها لهجة غبتم عنها، ولم تكونوا من أهلها، ويل أمه كيلاً بغير ثمن، لو كان له وعاءٌ (وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ) }.

وفي توبيخ البخلاء بالمال والنفس قال (عليه السلام):

((فلا أموال بذلتموها للذي رزقها، ولا أنفس خاطرتم بهما للذي خلقها. تكرمون (أي : تفرون) بالله على عباده، ولا تكرمون الله في عباده، فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم، وانقطعكم عن وصل إخوانكم)).

وقام إليه (عليه السلام) رجل من أصحابه بعد ليلة التحرير في صفيين فقال :

- نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندرِ أي الأمرين أرشد؟

فصفق (عليه السلام) إحدى يديه على الأخرى وقال :

((هذا جزاء من ترك العقدة (أي : التعاقد)، أما والله لو أني حين أمرتكم به حملتم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيراً، فإن استقمتم هديتكم وإن اعوججتم قومتمكم، وإن أبيتم تداركتكم، لكانت الوثقى، ولكن بمن؟ وإلى من؟ أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي. كناقش الشوكة بالشوكة، وهو يعلم ان ضلعها

(أي : تيلها) معها، اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدويي (أي : المؤلم)، وكَلَّتْ النزعة بأشطان الركيي (أي : حبل البئر)، أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى الجهاد فولهوا وَلَهُ اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً، وصبفاً صبفاً، بعض هلك وبعض نجا. لا يبشرون بالأحياء ولا يعزّون عن الموتى، مُرَّة العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام.. أولئك إخواني الذاهبون.. إن الشيطان يريد أن يحل دينكم عقدة عقدة، ويعطيكم بالجماعة الفرقة، وبالفرقة الفتنة. فاصدقوا عن نزعاته ونفثاته، واقبلوا النصيحة ممن أهداها إليكم، واعقلوها عن أنفسكم)).

إن كلام الإمام علي (عليه السلام) كله نصح وإرشاد في مجالات الحياة كافة ولكن ثمة ما هو خاص وما هو أخص، فنحن في فقرتنا هذه سنستشهد بالأخص الأخص مما تناثر هنا وهناك من (نهج البلاغة).

ففي ذكر المكايل والموازين قال (عليه السلام) :

((عباد الله إنكم - وما تأملون من هذه الدنيا - أثوياء (ضعفاء) مؤجلون، ومدينون مقتضون، أجل منقوص، وعمل محفوظ، ورُبِّ دائِبٍ مضيعٌ، ورُبِّ كادح خاسر، وقد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدياراً، ولا الشر إلا إقبالاً، ولا الشيطان في هلاك الناس إلا طمعاً، فهذا أوان قويت عدته، وعميت مكيدته، وأمكنت فريسته، اضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً أو غنياً بدّل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً، أو متمرداً كان بأذنه عن سماع المواعظ وقرأ، أين خياركم وصلحاًؤكم؟ وأين أحراركم وسمحاًؤكم؟ وأين المتورعون في مكاسبهم؟ والمتنزهون في مذاهبهم؟ أليس قد ضعفوا جميعاً عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنفضة؟ وهل خُلِقتم إلا

ص: 296

في حثالة لا تلتقي بدمهم الشفتان استصغاراً لقدرهم، وذهاباً عن ذكرهم، فإننا لله وإنا إليه راجعون. ظهر الفساد فلا منكر مغير، ولا زاجر مزدجر، أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه، وتكونوا أعز أوليائه عنده؟ هيهات لا يَخْدَعُ اللهُ عن جنته، ولا تُنال مرضاته إلا بطاعته، لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، والناهين عن المنكر والعاملين به)).

وفي النهي عن عيب الناس قال (عليه السلام) :

((وإنما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية، ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم، فكيف بالعائب الذي عاب أحاً وعيَّره ببلواه، أما ذكر موضع ستر الله عليه ذنوبه مما هو أعظم من الذنب الذي عابه به. وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله، فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله في ما سواه مما هو أعظم منه. وأيم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لَجُرَّأَتْهُ على عيب الناس أكبر، يا عبد الله لا تعجل في عيب أخذ بذنبه فلعله مغفور له، ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك معذبٌ عليه، فليكفف من علم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته، مما ابتلى به غيره)).

وقال (عليه السلام) :

{أيها الناس، من عرف أخيه وثيقة دين، وسداد طريق فلا يسمع فيه أقاويل الرجال، أما أنه يرمي الرامي وتخطيء السهام ويحيل الكلام، وباطل ذلك

ص: 297

يبور والله سميعٌ شهيد، أما أنه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع (أي : الباطل تقول سمعت والحق تقول رأيت)[

ومن خطبة في الاستسقاء قال (عليه السلام):

((إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات وإغراق خزائن الخيرات، ليتوب تائب ويقلع مقلع، ويتذكر متذكر، ويزدجر مزدجر، وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سبباً لدرور الرزق ورحمة الخلق فقال :

{اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} (نوح 10-12).

فرحم الله امرأ استقبل توبته واستقال خطيئته، وبادر منيته)).

ومن خطبة له (عليه السلام) طويلة نجتزئ منها ما يخص فقرتنا إذ قال :

((... فأفق أيها السامع من سكرتك واستيقظ من غفلتك، واختصر من عجلتك، وأنعم الفكر فيما جاء على لسان النبي الأمي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما لا بد منه ولا محيص عنه، وخالف من خالف ذلك إلى غيره، ودعه وما رضي لنفسه، وضع فخرك واحطط كبرك، واذكر قبرك فإن عليه ممرك، وكما تدين تَدان، وكما تزرع تحصد، وما قدّمت اليوم تُقدّم عليه غداً، فامهد لقدمك، وقدّم ليومك فالحذر الحذر أيها المستمع، والجد الجد أيها الغافل ولا ينبئك مثل خبير)).

ومن خطبة له (عليه السلام) قال :

ص: 298

((ليتأس صغيركم بكبيركم، وليرأف كبيركم بصغيركم، ولا تكونوا كجفأة الجاهلية لا في الدين يتفقهون، ولا عن الله يعقلون كقبض (كقشرة البيضة العليا) بيض في اداح (مبيض النعام) يكون كسرهما وزراً ويخرج حضانها شراً)).

وقال (عليه السلام) في أول خلافته :

((إن الله انزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر، فخذوا نهج الخير تهتدوا، وأصدفوا عن سمت الشر تقصدوا الفرائض الفرائض، أدوها إلى الله تؤدكم إلى الجنة، إن الله حرم حراماً غير مجهول، وأحلّ حلالاً غير مدخول (معيب) وفضّل حرمه المسلم على الحرم كلها، وشدّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، ولا يحل أذى المسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم وهو الموت فإن النار أمامكم، وإن الساعة تحذوكم من خلفكم، تخففوا تلحقوا، وإنما ينتظر بأولكم آخركم، اتقوا الله في عباده فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والهائم، أطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر، فأعرضوا عنه).

وعندما سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفتين قال (عليه السلام) :

((إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالكم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم، اللهم احقن دماءنا وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به)).

كان (عليه السلام) لا ينفك يلجأ إلى الله تعالى في كثير من أيامه المضمخة بالألم. ولكن كان يضمّد جراحاته بإيمانه المطلق بعدالة القضية التي حملها على كتفيه لينير بها دروب الحيارى، واشتمل اتصاله بالله جلّ وعلا على قنوات متعددة المقاصد والأغراض، ولكنها - على تعددها - كانت كلها تنبع من نبع الإيمان النظيف والتمسك الصادق بالعقيدة، لذلك كان واثقاً من أن مناجاته ربّ السماء والأرض إن هي إلا مناجاة تخاطرية لا تُردُّ. وعلى وفق تلك الثقة المطلقة بأن الله يسمعه ويستجيب لدعائه ومناجاته تعددت تلك المناجاة؛ ونحن هنا سنختار عيّنة أو أكثر لكل دعاء أو مناجاة لأنها متعددة الأغراض :

دعاء الاستسقاء :

قال (عليه السلام) :

((اللهم إنا خرجنا إليك من تحت الأستار والأكناف، وبعد عجيج البهائم والولدان، راغبين في رحمتك، وراجين فضل نعمتك، وخائفين من عذابك

ص: 300

ونقمتك، اللهم فاسقنا غيثك ولا تجعلنا من القانطين، ولا تهلكنا بالسنين (أي : بالجذب والقحط)، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا يا أرحم الراحمين، اللهم إنا خرجنا إليك نشكو إليك ما لا يخفى عليك حين ألجأتنا المضايق الوعرة، وأجاءتنا المقاحط المجذبة، وأعيتنا المطالب المتعسرة، وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة.

اللهم إنا نسألك أن لا تردنا خائبين، ولا تقلبنا واجمين، ولا تخاطبنا بذنوبنا، ولا تقاسنا بأعمالنا.

اللهم انشر علينا غيثك وبركتك، ورزقك ورحمتك، واسقنا سقياً نافعاً مرويّةً مُعشّبةً تُنبت بها ما قد فات، وتحيي با ما قد مات، نافعة الحيا (الخصب والمطر)، كثيرة المجتنى، تُروى بها القيعان، وتسيل البطحان، وتستورق الأشجار، وترخص الأسعار إنك على ما تشاء قدير).

دعاء عند وضع رجله في الركاب :

وعندما عزم (عليه السلام) على المسير إلى الشام، دعا ربه وهو يضع رجله في الركاب فقال :

((اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد.

اللهم أنت الصاحب في السفر، وأنت الخليفة في الأهل، ولا يجمعها غيرك ؛ لأن المستخلف لا يكون مستصحباً، والمستصحب لا يكون مستخلفاً)).

تعليم الناس الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبيان صفات الله

وصفة النبي والدعاء له :

((اللهم داحي المدحوات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك، على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق، والفتاح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، والدافع جيئات الأباطيل، والدامغ صولات الأضاليل، كما حُمَّل فاضطلع، قائماً بأمرك، مستوفزاً في مرضاتك، غير ناكلٍ عن قدم ولا واهن في عزم، واعياً لوحيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك حتى أورى قيس القابس وأضاء الطريق للخابط، وهديت به القلوب، بعد خوضات الفتن والآثام، وأقام بموضحات الأعلام، ونيرات الأحكام، فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المنخزون، وشهيدك يوم الدين، وبعيئك بالحق ورسولك إلى الخلق)).

كلمات كان يدعو بها :

((اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عدتُ فعد عليّ بالمغفرة .

اللهم اغفر لي ما أيتُّ من نفسي، ولم تجد له وفاءً عندي.

اللهم اغفر لي ما تقرَّبْتُ به إليك بلساني، ثم خالفه قلبي.

اللهم اغفر لي مزنات الألفاظ وسقطات الألفاظ، وشهوات الجنان وهفوات اللسان))

دعاء لما عزم لقاء القوم في صفين :

((اللهم ربَّ السقف المرفوع، والجوالمكفوف، الذي جعلته مغيضاً لليل

ص: 302

والنهار، ومجرى للشمس والقمر، ومختلفاً للنجوم السيارة؛ وجعلت سكانه سبطاً (قبيلة) من ملائكتك، لا يسأمون من عبادتك، وربّ هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام، ومدرجاً للهوام والأنعام، ومما لا يُحصى ما يُرى وما لا يُرى، وربّ الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً، وللخلق اعتماداً (ملجأ)، إن أظهرتنا على عدوّنا، فجبّنا البغي وسدّدنا للحق، وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصمنا من الفتنة أين المانع للذمار، والغائر (من الغيرة) عند نزول الحقائق (النوازل) من أهل الحفاظ (الوفاء) العار وراءكم والجنة أمامكم)).

اللجوء إلى الله لإغنائه :

((اللهم صن وجهي (عن السؤال) باليسار (الغني)، ولا تبذل جاهي (اسقاط المنزلة) بالاعتدار (الفقر) فأسترزق طالبي رزقك، وأستعطف شرار خلقك، وأبتلى بحمد من أعطاني، وأفتتن بدم من منعني، وأنت من وراء ذلك كله وليّ الإعطاء والمنع، إنك على كل شيء قدير)).

اللجوء إلى الله ليهديه إلى الرشاد :

((اللهم إنك أنس الأنسين لأوليانك، وأحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك، تشاهدهم في سرائرهم، وتطلع عليهم في ضمائرهم، وتعلم مبلغ بصائرهم، فأسرارهم لك مكشوفة، وقلوبهم إليك ملهوفة، (مستغيثة) إن وحشتهم الغربية. أنسهم ذكرك، وإن صبّت عليهم المصائب لجؤوا إلى الإستجارة بك، علماً بأن أزمة الأمور بيدك، ومصادرهما عن قضائك.

ص: 303

اللَّهُمَّ إِن فَهَمْتُ (عَيْتُ) عَنْ مَسْأَلَتِي، أَوْ عَمِيَتْ عَنْ طَلْبَتِي، فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي، وَخَذْ بقلبي إِلَى مَرِاشِدِي (مَوَاضِعِ الرِّشْدِ) فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَكَرٍ (مَنْكَرٍ) مِنْ هِدَايَتِكَ، وَلَا بَبِدْعٍ (غَرِيبٍ) مِنْ كِفَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ احْمَلْنِي عَلَى عَفْوِكَ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ)).

عند لقائه العدو ومحارباً :

((اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَلُ (انتهت) القلوب، ومُدَّتْ الأعناق، وشخصت الأبصار، وثقلت الأقدام، وأنضبت (ضعفت) الأبدان.

اللَّهُمَّ قَدْ صَرَحَ مَكْنُونُ الشَّنَانِ (البغضاء) وجاشت (غلت) مراحل (قدور) الأضغان (الأحقاد).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غِيْبَةَ نَبِينَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَتَشْتِ أَهْوَانِنَا، رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)).

عندما مدحه قوم في وجهه :

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي، وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاعْفِرْ لَنَا مَا لَا يَعْلَمُونَ.

كان يدعو به كثيراً :

((الحمد لله الذي لم يصبح بي ميتاً ولا سقيماً، ولا مضروباً على عروقي بسوء، ولا مأخوذاً بأسواء عملي، ولا مقطوعاً دابري (نسلي)، ولا

مرتداً عن ديني، ولا منكراً لربي، ولا مستوحشاً من إيماني، ولا ملتبساً (مختلطاً) عقلي، ولا

معدباً بعداب الأمم من قبلي، أصبحت عبداً مملوكاً ظالماً لنفسي، لك الحجة عليّ ولا حجة لي، ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني، ولا أتقي إلا ما وقيتني.

اللهم إني أعوذ بك، أن أفتقر في غناك، وأضل في هداك، أو أضام في سلطانك، أو أضهد والأمر لك.

اللهم اجعل نفسي أول كريمة تنتزعها من كرائمي وأول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي.

اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب في قولك، أو أن نفتن عن دينك، أو نتابع بنا أهواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك).

ص: 305

إن ((نهج البلاغة) يدل من اسمه، على أن كلام الإمام علي (عليه السلام)، كله بليغ، بل هو من وضع أسس البلاغة العربية و((سنّ الفصاحة)). وقد مرّ بنا وسنمر - إنشاء الله - في الجزء الخامس على عيّنات من بلاغة الإمام بفروعها من بيان وبديع ومعان.

ولكي لا نترك فقرتنا هذه بلا شاهد نستعين بعيّنات من كلماته البليغة (عليه السلام) منها :

الخداع / قال (عليه السلام) :

((يقول ابن خالك ، عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق)).

وهذا من باب الخداع والاستدراج في علم البيان.

الموازنة / قال (عليه السلام):

((الحمد لله غير مقنوط من رحمته، ولا مخلو من نعمته، ولا ميؤوس من مغفرته ..)). وهذا من باب الموازنة في علم البيان.

التخلص / قال (عليه السلام) من خطبة يذكر فيها ملك الموت وتوفيه الأنفس :

((هل يُحسُّ به إذا دخل منزلاً أم هل تراه إذا توفي أحداً! بل كيف يتوفى الجنين في بطن أمه؟ أيلج عليه من بعض جوارحها؟ أم الروح أجابته بإذن ربها؟ أم هوساكن معه في أحشائها؟

كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله؟

وهذا من باب التخلص في علم البيان، إذ تخلص الإمام (عليه السلام) ببراعة من استطراده، ليصل إلى مراده في الجملة الاستفهامية الأخيرة. (كيف يصف إلهه).

الاستعارة / ولما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخاطبه العباس وأبوسفیان بن حرب أن يبایعاه بالخلافة، قال (عليه السلام) :

((أيها الناس؛ اسقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة، أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح، ماء آجن، ولقمة يغص بها أكلها، ومجتن الثمرة لغير وقت إيناعها كالزراع بغير أرضه، فإن أقل يقولوا: حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا: جزع من الموت.

هيئات - بعد اللتيا والتي - والله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بشدي أمه. بل اندمجت على مكنون علمٍ لوُبِحْتُ به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطرق البعيدة)).

وهذا من باب الاستعارة، إذ استعار أمواج البحر لأمواج الفتن، والمفاخرة

للتيجان.. وهكذا .

الاعتراض / وقال (عليه السلام) :

((ألا وفي غدٍ - وسيأتي غد بما لا تعرفون - يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوئ أعمالها وتخرج له الأرض أفاليد كبدها، وتلقي إليه سلماً مقاليدها، فيريكم كيف عدل السيرة، ويحيي ميت الكتاب والسنة)).

وكان مراده (عليه السلام) في (ألا وفي غد يأخذ الوالي..) الاعتراض بين (ألا وفي غد)

وبين (يأخذ الوالي..) ب (تشكيل اعتراض) هو (وسيأتي غد بما لا تعرفون) وهذا ما يسميه النحاة (جملة اعتراضية) وأسميه أنا (تشكيل اعتراضية)، لأن شرط الجملة لم يتوفر فيه.

الجناس / قال (عليه السلام) :

((أرسله على حين فترة من الرسل، وتنازع الألسن، ففقى به الرسل، وختم به الوحي، فجاهد في الله المدبرينعنه، والعدالين به)).

((وإنما الدنيا منتهى بصر الأعمى، لا يبصر مما وراءها شيئاً، والبصير لا ينفذها بصره. ويعلم أن الدار وراءها، فالبصير منها شاخص، والأعمى إليها شاخص، والبصير منها متزود، والأعمى لها متزود)).

وهذا من باب الجناس، إذ جناس - (عليه السلام) - بين الشاخص الأول والثاني وهو من الجناس التام.

ص: 308

السجع / وقال (عليه السلام) :

((وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه، وبيت لا تهدم أركانه، وعز لا تهزم أعوانه)).

إذ سجع (عليه السلام) بين (لسانه) و(أركانه) و(أعوانه) .

الكناية / وقال (عليه السلام) لما قتل الخوارج وقيل له :

- يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم :

((كلا والله إنهم نطف في أصلاب الرجال، وقرارات النساء، وكلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوباً سلابين)).

إذ كتى (عليه السلام) ب(قرارات النساء) عن الأرحام .

لزوم ما لا يلزم / قال (عليه السلام) :

((أحمدته استتماماً لنعمته، واستسلاماً لعزته، واستعصاماً من معصيته ، وأستعينه فاقة إلى كفايته؛ إنه لا يضل من هداه ولا يئث من عاداه، ولا يفتقر من كفاه؛ فإنه أرجح ما وزن، وأفضل ما خزن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة ممتحناً إخلاصها، معتقداً مصاصها، متمسك بها أبداً ما أبقانا، وندخرها لأهاويل ما يلقانا؛ فإنها عزيمة الإيمان، وفتحة الإحسان، ومرضاة الرحمان، ومدحرة الشيطان)).

فقد ورد في قوله (عليه السلام) ذاك إضافة إلى السجع، لزوم ما لا يلزم حيث (أرجع ما وزن وأفضل ما خزن) وهولزوم الزاء والنون في كلا الجملتين.

ص: 309

المقابلة أو الطباق / قال (عليه السلام) :

(أما بعد؛ فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع، والآخرة أقبلت وأشرفت باطلاع، ألا وإن اليوم المضممار، وغداً السباق، والسبقة الجنة والغاية النار..).

فقد قابل (عليه السلام) بين (أدبرت) و(أقبلت) و(اليوم) و(غداً) و(الجنة) و(النار).

ص: 310

قال (عليه السلام) يصف خلق الجراد :

((... وإن شئت قلت في الجراد، إذ خلق لها عينين حمراوين، وأسرج لها حدقتين قمرأوين (مضيتتين)، وجعل لها السمع الخفي، وفتح لها الفم السوي، وجعل لها الحس القوي، ونابين بهما تقرض، ومنجلين (أي : رجلين) بهما تقبض، يرهبا الزرع في زرعهم، ولا يستطيعون ذبها (دفعها) ولو أجبوا بجمعهم، حتى ترد الحرث في نزواتها (وثباتها) وتقضي منه شهواتها، وخلقها كله لا يكون إصبعاً مستدقة، فتبارك الله الذي يسجد له من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً..)).

وقال - (عليه السلام) - يصف خلق الطاووس :

((ابتدعهم خلقاً عجيباً من حيوان وموات، وساكن وذوي حركات؛ وأقام من شواهد البيئات على لطيف صنعته، وعظيم قدرته، ما انتقادت له العقول معترفة به، ومسلمة له، ونعقت (صاحت) في أسماعنا دلائله على وحدانيته، وما ذراً (خلق) من مختلف صور الأطيوار التي أسكنها أخاديد (شقوق) الأرض،

وخروق فجاجها، (الطرق الواسعة) ورواسي أعلامها (جبالها) من ذات أجنحة مختلفة وهيئات متباينة، مصرفة في زمام التسخير، ومرففة بأجنتها في مخارق الجو المنفسخ، والفضاء المنفرج، كونها بعد إذ لم تكن في عجائب صُور ظاهرة، وركبها في حقائق (مجتمع المفصلين) مفاصل محتجبة (مستترة باللحم)، ومنع بعضها بقبالة (بضخامة) خلقه أن يسموفي الهواء خفوفاً (سرعة وخفة) وجعله يدف دفيفاً.

ونسقها (رتبها) على اختلافها في الأصابع بلطيف قدرته، ودقيق صنعته، فمنها مغموس في قالب لونٍ لا يشوبه غير لون ما غمس فيه؛ ومنها مغموس في لون صبغٍ قد طوّق بخلاف ما صبغ به.

ومن أعجبها خلقاً الطاووس الذي أقامه في أحكم تعديل، ونضد ألوانه في أحسن تنضيد، بجناح أشرح (داخل) قصبه وذنبٍ أطال مسحبه إذا درج (مشى) إلى الأثني نشره من طيه وسما به (رفعه) مطلاً على رأسه كأنه قلعُ (شراع) داري؛ (جالب العطر من دارين)، عنجه نوتيه (جذبه بحاره) يخال (يعجب) بألوانه، ويميس (يتبختر) بزيفانه (حركته يميناً وشمالاً)، يُفضي (يذهب)، كإفضاء الديكة ويؤرُّ (يسند) بملاقحه (آلات التناسل) أزر الفحول المغتلمة (ذات الشهوة) للضراب (للحاق) أحيلك من ذلك على معاينةٍ لا كما يحيل على ضعيف إسناده، ولو كان كزعم من يزعم أنه يلقح بدمعةٍ تسفحها مدامعه فتقف في صفتي جفونه، وإن أثناه تطعم (تذوق) ذلك ثم تبيض لا من لحاق فحل سوى الدمع المنبجس (النابع)، لما كان ذلك بأعجب من مطاعنةٍ (تلقيح) الضراب؛ تخال قصبه مداري (أمشاط) من

فضة، وما أنبت عليها عجيب داراته (حالاته) وشموسه خالص العقيان (الذهب) وפלذ الزبرجد.

فإن شبهته بما أنبت الأرض قلت : جنئى جنى من هرة كل ربيع، وإن ضاهيته بالملايس فهو كموشى (المنقوش) الحلل، وكمونق عصب اليمى، وإن شاكلته بالحلي فهو كفصوص ذات ألوان، قد نُقِّطت باللجين (الفضة) المكلل (المزين) يمشي مشي المرح المختال، ويتصفح ذنبه وجناحيه، فيقهقه ضاحكاً لجمال سرباله (لباسه) وأصايغ وشاحه؛ فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا (صاح) معولاً بصوت يكاد يبين عن استغاثته، ويشهد بصادق توجعه، لأن قوائمه حُمسٌ (دقيقة) كقوائم الديكة الخلاسية (المهجنة) وقد نجمت (لبثت) من ظنوب (حرف عظمة الأسفل) ساقه صيصية (شوكة) خفية، وله في موضع العرف قُنزعة (خصلة) خضراء موشاة، ومخرج عنقه كالإبريق، ومغرسها إلى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية، أو كحريرة ملبسةٍ مرآة ذات صقال وكأنه متلفع بمعجر (بشوب) أسحم (أسود)؛ إلا أنه يخيل للكثرة مئة، وشدة بريقه، أن الخضرة الناضرة ممتزجة به، ومع فتق سمعه خط لمستدق القلم في لون الأقحوان (البابونج) أبيض يقق (شديد البياض)، فهو بياض في سواد ما هنالك يتألق (يلمع) وقلَّ صبغٌ إلا وقد أخذ منه بقسط (نصيب) وعلاه (فاقه) بكثرة صقاله وبريقه، وبصيص ديباجه ورونقه (حسنه) فهو كالأزاهير المبتوثة لم تُربها أقطار ربيع، فيسقط تترى، وينبت تباعاً، فينحت (يسقط) من قصبه انحتات أوراق الأغصان، ثم يتلاحق نامياً حتى يعود كهينته قبل سقوطه، لا يخالف سالف ألوانه، ولا يقع لون في غير مكانه! وإذا

ص: 313

تصفحت شعرةً من شعرات قصبه أرتك حمرةً ورديةً، وتارة خضرة زبر جدية، وأحياناً صفرة عسجدية (مذهبة)، فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق (أعماق) الفطن، وتبلغه قرائح العقول، أو تستتم وصفه أقوال الواصفين!

وأقل أجزائه قد أعجز الأوهام أن تُركه، والألسنة أن تصفه فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق جلّاه (أهره) للعيون، فأدركته محدوداً مكوّناً أو مؤلفاً؛ وأعجز الألسن عن تلخيص صفته، وقصر بها عن تأدية نعمته)).

وقال (عليه السلام) يصف خلق الخفافش :

((الحمد لله الذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته، وردعت عظمتة العقول، فلم تجد مساعاً إلى بلوغ غاية ملكوته! هو الله الحق المبين أحق وأبين مما ترى العيون، تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبهاً، ولم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلاً خلق الخلق على غير تمثيل، ولا مشورة مشير، ولا معونة معين، فتم خلقه بأمره، وأذعن لطاعته، فأجاب ولم يدافع وانقاد ولم ينازع. ومن لطائف صنعته، وعجائب خلقته، ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء، ويبسطها الظلام القابض لكل حي؛ وكيف عَشِيَّتْ أعيُنُها عن أن تستمد من الشمس المضيئة نوراً تهتدي به في مذهبها، وتتصل بعلائية برهان الشمس إلى معارفها، وردعها يتألؤ ضياؤها عن المضي في سبحات إشراقها، وأكتنّها في مكامنها عن الذهاب في بلج (ضوء) ائتلافها، فهي مسدلة الجفون بالنهار على أحداقها، وجاعلة الليل سراجاً تستدل به في التماس أرزاقها، فلا يردّ أبصارها أسداف ظلمته، ولا تمتنع من المضي فيه لغسق جنّته

(ظلمته)، فإذا أَلقت الشمس قناعها. وبدت أوضاح (بياض) نهارها، ودخل إشراق نورها على الضباب في وجارها (جحرها)، أطبقت الأجنان على مآقيها، وتبلّغت بما اكتسبته من المعاش في ظلم ليلائها، فسبحان من جعل الليل لها نهاراً ومعاشاً، والنهار سكوناً وقراراً! وجعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة إلى الطيران، كأنها شظايا الآذان، غير ذوات ريش ولا قصب إلا أنك ترى مواضع العروق بينة أعلاماً (رسوماً)، لها جناحان لما أبرقا فينشقا، ولم يغلظا فيقلا، تطير وولدها لاصق بها لاجيء إليها، يقع إذا وقعت، ويرتفع إذا ارتفعت، لا يفارقها حتى تشتد أركانها، ويحمله للنهوض جناحه، ويعرف مذاهب عيشه، ومصالح نفسه، فسبحان الباريء لكل شيء على غير مثال خلا من غيره، (أي تقدم من سواه فحاذاه).

وقال (عليه السلام) في خلق النملة :

((.. انظر إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها، لا تكاد تُنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبّت على أرضها، وصبّت على رزقها، تنقل الحبة إلى جحرها، وتعدّها في مستقرها. تجمع في حرها لبردها، وفي وردها لصدرها، مكفولة برزقها، مرزوقة بوققها، لا يغفلها المنان، ولا يحرمها الديان ولو في الصف اليابس والحجر الجامس (الجامد) ولو فكرت في مجاري أكلها في علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف (مقاطع أضلاع) بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجباً، ولقيت من وصفها تعباً، فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبنى على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعنه في

خلقها قادر، ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة هوفاطر النخلة، لدقيق تفصيل كل شيء، وغامض اختلاف كل حي، وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلا سواء، وكذلك السماء والهواء والرياح والماء. فانظر إلى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر واختلاف هذا الليل والنهار، وتفجر هذه البحار، وكثرة هذه الجبال، وطول هذه القلال (رأس الجبل) وتفرق هذه اللغات والألسن المختلفات، فالويل لمن جحد المقدر وأنكر المدبر...)).

كان (عليه السلام) يقنع الطرف المقابل بالحجة إما بدليل قرآني أو بقريضة تاريخية لا تقبل الدحض أو بكلام منطقي يُسقط في يد الطرف الآخر حجته؛ ففي الأولى قول رجل للإمام (عليه السلام):

((هؤلاء القوم الذين نقاتلهم، الدعوة واحدة والرسول واحد والصلاة واحدة والحج واحد، فماذا نسميهم؟)).

قال (عليه السلام) :

-سمهم بما أسماهم الله في كتابه.

قال :

- ما كل ما في الكتاب أعلمه.

قال (عليه السلام) :

- أما سمعت الله تعالى يقول :

{ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ } إلى قوله: {...لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ

مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (البقرة/ 253) .

فلما وقع الاختلاف كنا أولى بالله وبالكتاب وبالنبي وبالحق. فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا، وشاء الله قتالهم، فقاتلهم بمشيئته وإرادته)).

وعن الثانية قوله (عليه السلام):

((ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام نجدة أكرمني الله بها.

ولقد قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن رأسه لعلى صدري، ولقد سألت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي، ولقد رأيت غسله (صلى الله عليه وآله وسلم) والملائكة أعواني، فضجت الدار والأفنية ملاً يهبط وملاً يعرج وما فارقت سمعي هينمة منهم، يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه، فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً؟ فانفذوا على بصائرکم ولتصدق نياتكم في جهادكم عدوكم، فوالذي لا إله إلا هو إني لعلى جادة الحق وإنهم لعلى مزلة الباطل، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم)).

وعن الثالثة: إن أحد رُسل البصرة ورد على الإمام (عليه السلام) ليعلم لهم عن حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم فبين له (عليه السلام) من أمره معهم ما علم به أنه الحق، ثم قال: بايع.

فقال:

ص: 318

- إني رسول قوم ولا أحدث حدثاً حتى أرجع إليهم

فقال (عليه السلام):

- رأيت لو أن الذين وراءك بعثوك رائداً تبتغي لهم مساقط الغيث فرجعت إليهم وأخبرتهم عن الكأ- والماء فخالفوا إلى المعاش والمجادب ما كنت صانعاً؟

قال :

- كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكأ والماء.

فقال (عليه السلام) :

- فامدد إذن يدك.

فقال الرجل :

- فوالله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجة عليّ، فبايعته (عليه السلام). والرجل يُعرف بكليب الجرمي.

ص: 319

قال ذعلبة اليماني للإمام علي (عليه السلام) : هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟

فقال (عليه السلام) : أفأعبد ما لا أرى؟؟

فقال ذُعلبُ : وكيف تراه؟

قال الإمام (عليه السلام) : لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مباين، متكلم لا بروية، مرید لا بهمة، صانع لا يجارحة، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء (الخشونة) بصير لا يوصف بالحاسة، رحيم لا- يوصف بالرقّة، تعنوا الوجوه لعظمته، وتجب (تخفق) القلوب من مخافته. ومن خطبة له (عليه السلام) في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول ما لا تجمعه خطبه، قال (عليه السلام) :

((ما وحده من كيفه، ولا- حقيقته أصاب من مثله، ولا إياه عني من شبّهه، ولا صمده (قصده) من أشار إليه وتوهّمه، كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول، فاعل لا باضطراب آلة، مقدّر لا بجول فكرة، غني لا باستفادة

لا تصحبه الأوقات، ولا ترفده (تعينه) الأدوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر (احساس) له، وبمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضاداً للنور بالظلمة، والوضوح بالبهيم، والجمود بالبلل، والحرور بالبرد (البرد)، مؤلف بين متعادياتها (عناصرها) مقارن بين متبايناتها، مقرب بين متباعداتها، مفرق بين متدانياتها، لا يُشمل بحدٍّ، ولا يُحسب بعدٍّ، وإنما تحدُّ الأدوات نفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها، منعتها (منذ) القدمية، وحميتها (قد..). الأزلية، وجنبتها (لولا..) التكملة، (منذ، وقد، ولولا، فواعل للأفعال قبلها) بها تجلّى صانعها للعقول، وبها امتنع عن نظر العيون، لا يجري عليه السكون والحركة، وكيف يجري عليه ما هو أجراه؟ ويحدث فيه ما هو أحدثه؟ إذن لتقارنت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولا امتنع من الأزل معناه، ولكان له وراء إذ وُجد له أمام ولا لتمس التمام إذ لزمه النقصان، إذان لقامت آية المصنوع فيه، ولتحوّل دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه، وخرج بسطان الامتناع من أن يؤثّر فيه ما يؤثّر في غيره، ولم يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً، جلّ عن اتخاذ الأبناء، وطهر عن ملامسة النساء، لا تناله الأوهام فتقدّره، ولا تتوهمه الفطن فتصوّره، ولا تدركه الحواس فتحسّه، لا يتغيّر بحال، ولا يتبدل بالأحوال، ولا تبليه الليالي والأيام، ولا يغيّره الضياء والظلام، ولا يوصف بشيء من الأجزاء، ولا بالجوارح والأعضاء، ولا بعرضٍ من الأعراض، ولا بالغيرية والأبعاض، ولا يقال له حدٌّ ولا نهاية، ولا انقطاع ولا غاية، ولا أن الأشياء تحويه فيقلّه، أو تهويه (ترفعه وتسقطه) أو أن شيئاً

يحمّله فيميله ويعدّله، ليس في الأشياء بوالج! (داخل) ولا عنها بخارج، يخبر لا بلسان ولهوات (جمع لهات : لحمّة في سقف أقصى الفم) ويسمع لا بخروق وأدوات، يقول ولا يلفظ، ويحفظ ولا يتحفظ (لا يتكلف الحفظ)، ويريد ولا يضمّر، يحب ويرضى من غير رقة، ويبغض ويبغض من غير مشقة، يقول لمن أراد كونه كمن فيكون، لا بصوت يُقرع ولا بنداء يُسمع، وإنما علامه سبحانه، فعلاً منه أنشأه، ومثله لم يكن من قبل ذلك ممكناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً.

لا يقال كان بعد أن لم يكن فتجري عليه الصفات المحدثات ولا يكون بينها وبينه فصل، ولا له عليها فضل، فيستوي الصانع والمصنوع، ويتكافأ المبتدئ والبديع، خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره، ولم يستعن على خلقها بأحدٍ من خلقه، وأنشأ الأرض فأمسكها، من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصّنها من الأود والاعوجاج، ومنعها من التهافت والانفراج، (التساقط والانشقاق)، أرسى أوتادها، وضرب أسدادها، واستفاض عيونها، وخذّ (شق) أوديتها، فلم يضعف ما بناه ولا ضعف ما قواه، هو الظاهر عليها سلطانه وعظمته، وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته، والعالي على كل شيء منها بجلاله وعزته، لا يُعجزه شيء منها طلبه، ولا يمتنع عليه فيغلبه، ولا يفوته السريع منها، فيسبقه، ولا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه، خضعت الأشياء له، وذلت مستكينة لعظمته، لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فتمتنع من نفعه وضره، ولا- كفؤ له فيكافئه، ولا- نظير له فيساويه، هو المغني لها بعد وجودها، حتى يصير موجودها كمنقودها، وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها

واختراعها، وكيف لواجتمع جميع حيوانها، من طيرها وبهائمها، وما كان من مراحلها وسائرها، وأصناف أسنارها وأجناسها، ومتبلدة أممها وأكياسها على إحداه بعوضنة ما قدرت على إحدائها، ولا- عرفت كيف السبيل إلى إيجادها، ولتحيرت عقولها في علم ذلك وتاهت، وعجزت قواها وتناهت، ورجعت خاسئة (ذليلة) حسيرة (قاصرة) عارفة بأنها مقهورة مقررة بالعجز من إنشائها، مدعنة بالضعف عن إنشائها.

وإن الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه، كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها، بلا وقت ولا مكان، ولا حين ولا زمان، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات وزالت السنون والساعات، فلا شيء إلا الواحد القهار، الذي إليه مصير جميع الأمور، بلا قدرة منها ما خلقه وبرأه، ولم يكونها لتشديد سلطان، ولا خوف من زمان ونقصان ولا للاستعانة بها على ندم مكاره ولا للاحتراز بها في ملكه، ولا لمكائفة شريك في شركة، ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها، ثم هويها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه في تصرفها وتديورها، ولا لراحة واصلة إليه، ولا لثقل شيء منها عليه، لم يُجلّه طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إنشائها، لكنه، سبحانه، دبرها بلطفه، وأمسكها بأمره، وأتقنها بقدرته، ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها، ولا الاستعانة بشيء منها عليها، ولا لانصراف من حال وحشة إلى حال استئناس، ولا من حال جهل وعمى إلى حال علم والتماس، ولا من فقرٍ وحاجةٍ إلى غنى وكثرة، ولا من ذلٍّ وضععةٍ إلى عزٍّ وقدره)).

كان (عليه السلام) يبدأ خطبه غالباً بحمد الله وذكر صفاته وفضائله، ومن العجيب أن صيغه لم تتكرر في جميع خطبة التي وقفنا عليها، بل كل تحميد له صيغة تختلف عن التي قبلها، كأنه كان (عليه السلام) قاصداً ذلك ليزيد الله - جلّت قدرته - حمداً موصولاً غير ممل ولا مخل.

ففي خطبة له (عليه السلام)، وإنها وما يليها مأخوذة من (نهج البلاغة) ولم نشر إلى الصفحات لثلاث نزيد في (الإحالات)، كما ذكرنا سابقاً.

قال (عليه السلام):

- الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون.
- أحمدته استتماماً لنعمة، واستسلاماً لعزته .
- الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح.
- الحمد لله غير مقنوط (مئوس) من رحمته، ولا مخلوم من نعمته .
- الحمد لله كلما وقب (دخل) ليل وغسق (اشتدت ظلمته)، والحمد لله كلما لاح نجم وخفق (غاب).

- الحمد لله غير مفقود الأنعام.
- الحمد لله الذي لم تسبق له حال حالاً.
- الحمد لله الذي علا بحوله، ودنا بطوله (عطائه).
- الحمد لله المعروف من غير رؤية، والخالق من غير رؤية (فكر).
- الحمد لله الذي لا يُقَدِّه (يزيده) المنع والجحود، ولا يكديه الإعطاء والجود، (أي : يفقره الإعطاء).
- حمد الله والثناء عليه.
- الحمد لله الأول فلا شيء قبله، والآخر فلا شيء بعده.
- نحمده على ما كان، ونستعينه من أمرنا على ما يكون.
- الحمد لله الناشر في الخلق فضله، والباسط فيهم بالجود يده.
- الحمد لله الأول قبل كل أول، والآخر بعد كل آخر.
- الحمد لله الذي شرع الإسلام فسهل شرائعه لمن ورده.
- الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه، والظاهر لقلوبهم بحجته.
- الحمد لله الواصل الحمد بالنعيم، والنعيم بالشكر.
- نحمده على ما أخذ وأعطى، وعلى ما أبلى وابتلى (أي : ما أحسن وامتنح).
- وأحمد الله وأستعينه على مراصد (مداخر) الشيطان ومزاجه.

- الحمد لله الدال على وجوده بخلقه.
- الحمد لله الذي انحسرت (انقطعت).
- الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره، وسبباً للمزيد من فضله، ودليلاً على آلائه وعظمته.
- الحمد لله خالق العباد، وساطح المهاد (الأرض).
- الحمد لله الذي لا توارى سماءٌ سماءً ولا أرضٌ أرضاً.
- الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق، وعواقب الأمور.
- الحمد لله المعروف من غير رؤية، والخالق من غير منصبية (تعب).
- الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد.
- الحمد لله الفاشي (المنتشر) في الخلق حمده، والغالب جنده، والمتعالي جدُّه (عظمته).
- الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء.
- نحمده على ما وفق له من الطاعة، وذاد (طرد) عنه من المعصية .

كان (عليه السلام) إذا أراد أن يقيم دليلاً أو حجة على أحد استشهد بجانب من قصص الأنبياء (عليهم السلام) لدعم ذلك الدليل أو تلك الحجة، فقد قال (عليه السلام) في كيفية رجاء الله :

((.. يدعي بزعمه أنه يرجو الله، كذب والعظيم، ما باله لا يتبين رجاءه في عمله؟ فكل من رجا عرف رجاءه في عمله، وكل رجاء إلا رجاء الله تعالى فإنه مدخول (مغشوش) وكل خوف محقق إلا - خوف الله فإنه معلول (عارض) يرجو الله في الكبير، ويرجو العباد في الصغير، فيعطي العبد ما لا - يعطي الرب، فما بال الله جل ثناؤه يُقصرُ به عما يُصنع لعباده؟ أتخاف أن تكون في رجائك له كاذباً؟ أو تكون لا تراه للرجاء موضعاً؟ وكذلك إن هو خاف عبداً من عبيده، أعطاه من خوفه ما لا يعطي ربه، فجعل خوفه من العباد نقداً، وخوفه من خالقه ضاراً ووعداً. وكذلك من عظمت الدنيا في عينيه، وكبر موقعها في قلبه، آثرها على الله تعالى، فانقطع إليها وصار عبداً لها. ولقد كان في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كافٍ لك في الأسوة (القدوة). ودليل لك على ذم الدنيا وعيبيها،

وكثرة مخازيها ومساويها، إذا قبضت عنه أطرافها، ووطئت لغيره أكتافها (جوانبها) وفطم عن رضاعها أوزوي (قُبض) عن زخارفها.

وإن شئت تثبت بموسى كليم الله (عليه السلام) حيث يقول :

- ربي إني لما أنلت إليّ من خيرٍ فقير.

والله ما سأله إلا خبزاً يأكله، لأنه كان يأكل بقلّة الأرض، ولقد كانت خضرة البقل تُري من شفيف صفاق (جلده) بطنه، لهزاله وتشذب لحمه.

وإن شئت ثلث بداود (عليه السلام) صاحب المزامير، وقارئ أهل الجنة فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ويقول لجلسائه :

- أيكم يكفيني بيعها؟

ويأكل قرص الشعير من ثمنها .

وإن شئت قلت في عيسى بن مريم (عليه السلام)؛ فلقد كان يتوسد الحجر، ويلبس الخشن، ويأكل الخشب، وكان إدامة الجوع، وسراجه الليل والقمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم؛ ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يكفته، ولا طمع يذله، دابته رجلاه، وخادمه يداه! فتأسّ (اقتد) بنبيك الأطيب الأطهر (صلى الله عليه وآله وسلّم)، فإنه فيه أسوة لمن تأسى، وعزة لمن تعزى، وأحب العباد إلى الله المتأسى بنبيه والمقتص الأثرها.

وقال (عليه السلام): { .. ولقد كان (صلى الله عليه وآله وسلّم) يأكل على

الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري، ويردف خلفه، ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاویر فيقول :

- يا فلانة - لإحدى زوجاته - غيبه عني فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها.

فأعرض عن الدنيا في قلبه وأمات ذكرها في نفسه {.

وقال (عليه السلام) {.. ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يدلك على مساويء الدنيا وعيوبها، إذا جاع فيها مع خاصته (خصوصيته عند ربه) وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته (منزلته) فلينظر ناظر بعقله : أكرم الله محمداً بذلك أم أهانه؟ فإن قال أهانه، فقد كذب - والله العظيم - بالإفك العظيم، وإن قال أكرمه إن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له، وزواها عن أقرب الناس منه)).

ص: 329

أ - المتقون

قال - (عليه السلام) :-

((.. فالمتقون فيها (في الدنيا) هم أهل الفضائل؛ منطلقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد، ومشيمهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، نُزِّلَتْ أنفسهم منهم في البلاء كالتي نُزِّلَتْ في الرخاء، ولولا الأجل الذي كُتِبَ لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب، عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون، قلوبهم محزونة، وشروهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة يسرها لهم ربُّهم، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم فقدوا أنفسهم منها، أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم، ويستشيرون به دواء دائهم، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً

ص: 330

وإذا مرّوا بآيةٍ فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول ذاتهم، فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباههم، وأكفهم وركبهم، وأطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله تعالى في فكّك رقابهم، فأما النهار فحكماء علماء، أبرار أتقياء، قد براهم الخوف بري القداح (السهام) ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا (جنّوا).

ولقد خالطهم أمرٌ عظيم، لا يرضون من أعمالهم إلا القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون إذا زكّي أحدهم خاف مما يُقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي من نفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون .

فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وقصداً (اقتصاد) في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتجملاً في فاقة، وصبراً في شدة، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرّجاً عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل، يمسي وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر، يبيت حذراً ويصبح فرحاً؛ حذراً لما حذر من الغفلة، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة، أن استصعب عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤالها فيما تحب، قرّة عينه فيما لا يزول، وزهادته فيما لا يبقى، يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل، تراه قريباً أملّه، قليلاً زلله، خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، منزوراً أكله، سهلاً أمره، حريزاً دينه، مبيّنة شهوته، مكظوماً غيظه، الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، إن كان في الغافلين كُتِبَ في الذاكرين، وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين،

يعفو عن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، بعيداً فحشه، لئناً قوله، غائباً منكروه، حاضراً معروفه، مقبلاً خيره، مدبراً شره، في الزلازل (الشدائد) وقور، وفي المكاره صبور وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يُبغضه، ولا يآثم في من يحب، يعترف بالحق قبل أن يُشهد عليه، لا يضيع ما استُحفظ، ولا ينس ما ذكر، ولا يناز بالألقاب، ولا يضار بالجار، ولا يشمت بالمصائب، ولا يدخل بالباطل، ولا يخرج من الحق، إن صمت لم يغمه صمته، وإن ضحك لم يعلُ صوته، وإن بُغِيَ عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له، نفسه منه في عناء والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته وأراح الناس من نفسه، بُعدة عن تباعد عنه زهدٌ ونزاهة، ودنوه من دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوه بمكرٍ وخديعة)).

ب - المنافقون

قال (عليه السلام) :

((.. أوصيكم عباد الله يتقوى الله، وأحذركم أهل النفاق فإنهم الضالون المظلون، والزالون المزلون يتلونون ألواناً، ويفتنون افتناناً ويعمدونكم بكل عماد ويرصدونكم بكل مرصاد، قلوبهم دوية (مريضة) وشفاهم (وجوههم) نقيه، يمشون الخفاء، ويدبون الضراء، وصفهم دواء، وقولهم شفاء، وفعلهم الداء العياء، حسدة الرّخاء، ومؤكدوا البلاء، ومقنطوا الرجاء، لهم بكل طريق صريع، وإلى كل ملبٍ شفيح، ولكل شجورٍ دموع، يتقارضون الثناء، ويتراقبون الجزاء، إن سألوا ألحفوا (ألحوا) وإن مدلوا كشفوا، وإن حكموا أمرقوا، قد أعدوا لكل حق باطلاً،

ص: 332

ولكلِّ قائمٍ مائلاً ولكل حي قاتلاً ولكل بابٍ مفتاحاً، ولكل ليل مصباحاً، يتوصلون إلى الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم، ويتفقوا به أعلاقهم (نفائسهم)، يقولون فيتشبهون، ويصفون فيمهون، قد هونوا الطريق واضلَعوا المضيق، فهم لَمَّة (جماعة) الشيطان، وحمَّة النيران لأولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)).

ص: 333

كان (عليه السلام) حريصاً على أموال المسلمين؛ فقد نهج نهجاً عادلاً في توزيع ثروة البلاد الإسلامية على مستحقيها في تكافؤ فرصى قل مثيله.

وكتب عماله في هذا الجانب كثيرة في (نهج البلاغة) نختار منها وصيته التي يكتبها لمن يستعمله على الصدقات، قال (عليه السلام) :

((انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا ترؤعاً (تخوفاً) ولا تجتازن (تمر) عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبايتهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار، حتى تقوم بينهم وتسلم عليهم، ولا تخدم (تبخل) بالتحية لهم، ثم تقول : عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله وخليفته، لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه؟ فإن قال قائل : لا، فلا تراجع وإن أنعم (أي : قال نعم) لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعدده، أو تعسفه أو ترهقه فخذ ما اعطاك من ذهب وفضة، فإن كان له ماشية، أو إبل، فلا تدخلها إلا بإذنه ،

فإن أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ولا عنيف به، ولا تنفّرَنَ بهيمة ولا تُفزِعَنَّها، ولا تسوءَنَّ صاحبها فيها، واصدع (قسّم) المال صدعين ثم خيّرهُ فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختاره، فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله؛ فاقبض حق الله منه، فإن استقالك فأقله (اعفه)، ثم اخلطها ثم اصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ حق الله في ماله. ولا تأخذن عوداً (المستنة من الإبل) ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة (ضعيفة) ولا ذات عوار (عيب) ولا تأمنن عليها إلا من تثق بدينه، رافقاً بمال المسلمين، حتى يُوصَل إلى وليّهم فيقسّم بينهم، ولا توكل بهت إلا ناصحاً شفيقاً وأميناً حفيظاً، غير معنف ولا مجحف، ولا ملغب (معيبي)، ولا متعب، ثم أجدر (أسرع) إلينا ما اجتمع عندك نصيّرهُ حيث أمر الله به، فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وبين فصيلها (رضيعها) ولا يَحْصُر (يحلب) لبنها فيضر ذلك بولدها، ولا يجهدنّها ركوباً، وليعد بين صواحباتها في ذلك وبينها، وليرفّه على اللّاعب (المتعب) وليستأن (يرفق) بالنقب (المخروق الخف)، والضالع، وليوردها ما تمر به من العُدُر (جمع غدير)، ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جوادّ الطرق (الخالية من المراعي)، وليروّحها في الساعات، وليمهلهما عند النطاف (المياه القليلة) والأعشاب حتى تأتينا - بأذن الله - بُدّنا (سماناً) مُنقيات (أي ذات مخ) وغير متعبات ولا مجهودات، لنقسّمها على كتاب الله وسنة نبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك - إن شاء الله).

في المنهج الإداري مثله في المنهج المالي؛ إذ كان (عليه السّلام) يريد لها دولة إسلامية نظيفة من الظلم الاجتماعي، بعيدة عن المحسوبة والمنسوبة، الطبقات فيها معدومة والحقوق فيها غير مهضومة (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) وأن المسلمين، (سواسية كأسنان المشط) فلا فرق بين قرشي وحبشي ولا بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى. وهكذا كان (عليه السّلام) يؤكد تلك القيم عبر كتبه إلى ولايته ومن يكلفه أمر الرعية.

في كتاب له (عليه السّلام) إلى عبد الله بن عباس، وهو عامله على البصرة قال فيه :

((واعلم أن البصرة مهبط إبليس، وغرس الفتن، فحادث أهلها بالإحسان إليهم، وأحلل عقدة الخوف من قلوبهم، وقد بلغني تنحرك لبني تميم، وغلظتكم عليهم، وإن بني تميم لم يرغب لهم نجم إلا طلع آخر، وإنهم لم يسبقوا بوغم (بحقد) في جاهلية ولا إسلام، وإن لهم بنا رحماً ماسة، وقرابة خاصة، نحن مأجورون على

صلتها، ومأزورون على قطيعتها، فاربع (ارفق) أبا العباس، رحمك الله فيما جرى على لسانك ويدك من خير وشر فإنا شريكان في ذلك،
وكن عند صالح ظني بك، ولا يفيلنَّ (يضعفنَّ) رأبي فيك، والسلام)).

ومما كتب للأشتر النخعي قوله (عليه السلام):

((إياك وحسامات (علو) الله في عظمته، والتشبيه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار، ويهين كل مختال.

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى (ميل) من رعيتك، وإنك ألا تفعل تظلم! ومن ظلم عباد الله
كان الله خصمه دون عباده، ومن خصمه الله أذحض (بطل) حجته، وكان الله حرباً حتى ينزع (يقلع)، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة
الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهول للظالمين بالمرصاد.

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضا الرعية، فإن سخط العامة يجحف (يذهب) برضى الخاصة،
وإن سخط الخاصة يفتقر مع رضى العامة، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره
للإنصاف، وأسأل بالإلحاف (الإلحاح)، وأقل شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملومات الدهر من أهل الخاصة
.. ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة!
وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه)).

ص: 337

المنهج السياسي للإمام علي (عليه السلام) اعتمد الكتاب والسنة المحمدية بكل تفصيلاتها، كما هو في الإدارة والمالية، فلا زوغان عن ذلك المنهج ولا حلول وسطية في معالجة أمور المسلمين ومفاصل دولة الإسلام، وكعادتنا سنختار عينات للتدليل على ما نقول.

لما أراه الناس على البيعة - بعد قتل عثمان - قال (عليه السلام) :

((دعوني والتمسوا غيري فأنتم مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت واعلموا أنني إن أحببتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل، وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً)).

وبعد أن بويع للخلافة قال له قوم من الصحابة :

- لوعاقت قوماً ممن أجلبوا على عثمان .

ص: 338

فقال (عليه السلام):

((يا إخواناه! إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف لي بقوة والقوم المجلبون (المعنيون) على حد شوكتهم (شدتهم) يملكوننا ولا نملكهم! وهاهم قد ثارت معهم عبدانهم، والتفت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا، وهل ترون موضعاً لقدرة على شيء تريدونه! إن هذا الأمر أمر جاهلية؛ وإن لهؤلاء القوم مادة (عواناً) إن الناس من هذا الأمر - إذ حُرِّك - على أمور :

فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا ذلك، فاصبروا حتى يهدأ الناس، وتقع القلوب مواقعها، وتتوخد الحقوق مُسَمَّحَةً (مُيَسَّرَةً) فاهدؤوا عني، وانظروا ماذا يأتيكم به أمري، ولا تفعلوا فعلة تضعضع (تهدم) قوة، وتسقط مُنَّة (قدرة)، وتورث وهناً وذلةً، وسأمسك الأمر ما استمسك، وإذ لم أجد بداً فأخر الدواء الكي (أي : القتل).

ومن كلام له (عليه السلام) كَلَّم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهم، والاستعانة بالأمر بهما قال (عليه السلام) :

((.. والله ما كانت لي بالخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة (غرض) ولكنكم دعوتموني إليها، وحملتُموني عليها، فلما أفضت إليّ نظرتُ إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته، وما استن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فاقتديته، فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما، ولا إلى رأي غيركما، ولا وقع حكم جهلته فأستشيركما، وإخواني من المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن

ص: 339

غيركما، وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة (التسوية) فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأبي، ولا وُلِّيته هوى مني، بل وجدت - أنا وأنتما - ما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد فرغ منه، فلم أحتج إليكما في ما قد فرغ الله من قَسَمِهِ وأمضى فيه حكمه، فليس لكما - والله - عندي ولا لغيركما في هذا عتب أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر.

.. رحم الله رجلاً رأي حقاً فأعان عليه، أوراى جوراً فردّه، وكان عوناً بالحق على صاحبه)).

إشارة

كان (عليه السّلام) يزاوج في بعض كلماته الحكمية بين المتضادات مرة وبين المتقابلات أخرى، ولكي نجعل القاريء الكريم يقف بنفسه، على هذا الفن من الكلام اخترنا عينات من كلا النوعين :

أ_ المتضادات

قال (عليه السّلام) :

- فاعل الخير خيرٌ منه، وفاعل الشر شر منه .

إذ زاوج بين المتضادين (الخير والشر).

- كن سمحاً ولا تكن مبذراً، وكن مقدراً ولا تكن مقتراً .

- لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه.

- إذا تم العقل نقص الكلام.

- قال (عليه السّلام) لرجل أفرط في الثناء عليه وكان متهمه :

ص: 341

أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك.

- رُبَّ عالِمٍ قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه .

- لقد علّق بنيائ هذا الإنسان بضعة هي أعجب ما فيه وذلك القلب وله مواد من الحكمة وأصداد من أخلاقها :

- فإن سَنَحَ له الرجاء أذله الطمع.

- وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص.

- وإن ملكه اليأس قتله الأسف.

- وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ .

- وإن أسعده الرضا نسي التحفظ .

- وإن ناله الخوف شغله الحذر.

- وإن اتسع له الأمن استلبته الغيرة (الغفلة).

- وإن أفاد مالا أخفاه الغني . - وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع.

- وإن عضته الفاقة شغله البلاء.

- وإن جهده الجوع قعد به الضعف.

- وإن أفرط به الشبع كظته البطنة (آلمته التخمّة).

- فكل تقصير به مضر وكل إفراط به مفسد .

- ما أضمر أحد شيئاً إلا أظهره في فلتات لسانه وصفحات وجهه.

- وقال (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام) :

يا بني احفظ أربعاً وأربعاً لا يضرّك ما عملت معهن :

- الغني غنى العقل.

- وأكبر الفقر - الحمق.

- وأوحش الوحشة - العجب .

- وأكرم الحسب - حُسن الخُلُق .

يا بني :

- إياك ومصادقة الأحمق - فإنه يريد أن ينفَعك فيضرك.

- وإياك ومصادقة البخيل - فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه.

- وإياك ومصادقة الفاجر - فإنه يبيعك بالتافه (القليل).

- وإياك ومصادقة الكذاب - فإنه كالسرّاب يقربّ عليك البعيد ويبعد عليك القريب.

وقال (عليه السلام) :

- الظفر بالحزم.

- والحزم بإجالة الرأي .

- والرأي بتحصيل الأسرار.
- لا غنى كالعقل.
- ولا فقر كالجهل.
- ولا ميراث كالآدب.
- ولا ظهير كالمشاورة.
- من نصب نفسه للناس إماماً - فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره .
- وليكن تأديبه - بسيرته قبل تأديبه بلسانه .
- ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم.
- لا مال أعود من العقل (أنفع).
- ولا وحدة أوحش من العُجب.
- ولا عقل كالتدبير.
- ولا كرم كالتقوى.
- ولا قرين كحُسن الخُلُق.
- ولا ميراث كالآدب.
- ولا قائد كالتوفيق.
- ولا تجارة العمل الصالح.
- ولا ربح كالثواب .

- ولا درع كالوقوف عند الشبهة .

- ولا زهد كالزهد في الحرام .

- ولا علم كالتفكير .

- ولا عبادة كأداء الفرائض .

- ولا إيمان كالحياء والصبر .

- ولا حسب كالتواضع .

- ولا شرف كالعلم .

- ولا مظاهرة أوثق من المشاورة .

وقال (عليه السلام) :

((لأنسبَنَ نسبة لم ينسبها أحد قبلي :

- الإسلام هو التسليم .

- والتسليم هو اليقين .

- واليقين هو التصديق .

- والتصديق هو الإقرار .

- والإقرار هو الأداء .

- والأداء هو العمل الصالح)).

وقال (عليه السلام) :

- من استبد برأيه هلك .

- ومن شاور الرجال شاركها في عقولها.

- من كتم سرّه كانت الخيرة بيده .

- مَنْ حاسب نفسه ربح.

- من غفل عنها خسر .

- ومن خاف أَمِن .

- ومن اعتبر أبصر .

- ومن أبصر فَهِم .

- ومن فَهِمَ عَلِمَ .

وقال (عليه السّلام):

- لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث :

في نكبته. وغيبته. ووفائه .

ص: 346

مما وجدناه من خصائص (نهج البلاغة) إشارات هنا وهناك تخص أهل بيت النبوة (عليهم السلام). إذ كان الإمام علي (عليه السلام) يشير إليهم مشيداً بهم في رسائله وخطبه وأحاديثه ووصاياه، وجدنا من المفيد أن نفرد لتلك الإشارات فقرة خاصة بها لأنهم أعلام الدين ومنارات الورى.

قال (عليه السلام) بعد انصرافه من صفين يصف آل محمد (عليهم السلام):

((هم موضع سره ولجأ أمره (ملاذ أمره)، وعيبة (وعاء) علمه، وموئل (مرجع) حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائضه)).

وقال (عليه السلام):

((هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفىء المغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة)).

وقال (عليه السلام):

((.. وهم أزمّة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق)).

وقال (عليه السّلام) :

((نحن أهل لبيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة)).

وقال (عليه السّلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

((عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم وسقت (ارتفعت) في كرم، لها فروع طوال، وثمر لا يُنال..)).

وقال (عليه السّلام):

((إن مثل آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كمثّل نجوم السماء؛ إذا خوى (غاب) نجم طلع نجم، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع، وأراكم ما كنتم تأملون)).

وقال (عليه السّلام):

((نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومُختلّف الملائكة، ومعادن العلم، وينايع الحكمة، ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة)).

وقال (عليه السّلام):

((وعندنا - أهل البيت - أبواب الحكم وضيء الأمر)).

وقال (عليه السّلام) في أهل بيت النبوة :

((فيهم كرائم (آيات) القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا أصدقوا، وإن صمتوا لم يُسبقوا)).

وقال (عليه السّلام):

((هم عيش العلم، وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقتهم، لا يخالفون لحق ولا يختلفون فيه، وهو دعائم الإسلام وولائج (ما يلج فيه) الاعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه (أصله) وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته (أصله)، عقلوا الدين عقل وقاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية .

فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل)).

ص: 349

استشهد الإمام علي (عليه السلام) بآيات من القرآن الكريم في مواضع عدة من (نهج البلاغة): أما لتدعيم وتأييد رأي له طرحه أو لتبصير الإنسان بأمور حياته، أو لتذكيره بما سينتظره يوم لا ينفع (فيه مالٌ ولا بنون)، أو للمعاتبة والنقد والتأنيب والتوبيخ على تقاعس في قتال. وهكذا نراه (عليه السلام) لا يغفل القرآن الكريم في كلماته كلها، كما في منهجه في الحياة لأنه عليه تربي ومنه استقى معارفه، .. وكعادتنا سنستشهد بعينات من استشهاده القرآنية (عليه السلام):

قال (عليه السلام) في صفة خلق آدم (عليه السلام):

((.. واستأدى (طالب) الله - سبحانه - الملائكة وديعته لديهم، وعهد وصيته إليهم، في الإذعان بالسجود له، والخنوع لتكريمته، فقال سبحانه :

{ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (البقرة/34) } .

اعترتة الحمية وغلبت عليه الشقوة وتعزز بخلق النار، واستوهن خلق الصلصال، فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة، واستتماماً للبلية، وإنجازاً

للعدة، فقال :

{فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (الأعراف/13 - 15) }.

وقال (عليه السلام) في ذكر الحج :

((جعله سبحانه وتعالى للإسلام علماً، وللعائدين حراماً، فرض حقه، وأوجب حجه، وكتب عليكم وفادته (زيارته)، فقال سبحانه :

{... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (آل عمران/97) }

وقال (عليه السلام) يصف يوم مبايعته :

((فما راعني إلا- والناس تعرف الضبع (للكثره)، إلي ينشالون (يتزاحمون) علي من كل جانب، حتى لقد وطىء الحسنان، وشق عطفاي (جانباي) مجتمعين حولي كربيضة (الرابضة) الغنم، فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت (خرجت) أخرى، وقسط آخرون (جاروا) كأنهم لم يسمعوا الله تعالى يقول :

{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (القصص/83) }.

بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجدها)). وقال (عليه السلام) في القرآن الكريم :

((أم أنزل الله - سبحانه - ديناً ناقصاً فاستعان بهم على تمامه! أم كانوا

شركاء له، فلهم أن يقولوا، وعليه أن يرضى، أم أنزل الله - سبحانه - ديناً تاماً فقصّر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن تبليغه وأدائه، والله يقول :

{ ... مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ... (الأنعام/38) }.

وفيه تبيان لكل شيء، وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً، وإنه لا اختلاف فيه فقال - سبحانه -:

{ ... وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا... النساء/82 }.

وأن القرآن ظاهره أنيق (حسن) وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تنكشف الظلمات إلا به).

وقال (عليه السلام) ليلة التحرير في صفين :

((وعليكم بهذا السواد الأعظم، والرواق (الفسطاط) المطنّب (المشدود بحبل) فاضربوا ثبجه (وسطه) فإن الشيطان كامن في كسجه (شقّه)، وقد قدّم للوثب يداً، وآخر للنكوص رجلاً، فصمد صمداً (قصد) حتى ينجلي لكم عمود الحق :

{ وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ (محمد/35) }.

نكتفي بتلك الخاصية من خصائص (نهج البلاغة)، على أننا سنفرد لها كتاباً خاصاً، نحن بصدده، لأننا أردنا في هذا الجزء أن نشير إليها فقط، وهي كثيرة في (النهج) تحتاج إلى شمولية في تناول وعمق في التحليل هي عدّة الكتاب الذي عزمنا على إصداره إن شاء الله، نسأله تعالى أن يمدنا بعونه لنتوفر على دراسة الإمام علي (عليه السلام).

المحتويات

الإهداء... 5

مقدمة المؤلف... 6

التمهيد... 10

نسب الإمام علي (عليه السلام) ومكانته في الإسلام... 14

علي بن أبي طالب عليه السلام في رأي مفكري السنة... 19

علي بن أبي طالب في رأي غير المسلمين... 24

علوم علي بن أبي طالب (عليه السلام)... 28

العلم الإلهي: أو علم الفضاء... 31

علم الفقه... 32

علم القضاء... 33

علم التفسير... 35

ص: 353

علم التصوف...37

علم النحو...41

صفات عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)...43

الشجاعة...44

القوة...46

السخاء والجود...47

الحلم...49

الجهاد...50

الفصاحة...51

السماحة...53

الزهد...55

إسهامات علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودوره في الإسلام...59

جمعه القرآن...59

مشوراته...60

سياسته...63

الضوء الأول: المشككون بنهج البلاغة...74

الرد على المشككين...75

ص: 354

- 1_جامع النهج...95
- 2_ الغثاة...99
1. تخير المفردات...101
2. قوة التعبير...102
3. سهولة التعبير...103
4. قصر الفقرات...104
5. كثرة الصيغ الإنشائية...105
- 3_عائدية نهج البلاغة...114
- أقوال المنصفين في نهج البلاغة...126
- 4_ التعريض بالصحابة...133
- 5_ الوصي والوصاية...143
- 6_ الإطناب والإيجاز...156
- 7_ السجع...160
- 8_ دقة الوصف...174
- 9_ الألفاظ الاصطلاحية...181
- 10_ التقسيمات العددية...183
- 11_ التنبؤات والتوقعات...189
- 12_ الزهد...207
- 13_ وصف الحياة الاجتماعية...219

الضوء الثالث : من خصائص نهج البلاغة ...247

1_ الخاصية العلمية...248

2_ خاصية التسلسل المنطقي للوصول إلى الحقيقة...253

3_ وصف السماء جغرافيا...254

4_ إشارات تاريخية...256

5_ استشراف المستقبل...264

6_ القيادة العسكرية...269

7_ الشكوى...277

8_ النقد...282

أ. النقد الاجتماعي...283

ب. النقد الأدبي...286

9_ العتاب...291

10_ النصح والإرشاد...296

11_ مناجاة الله...300

12_ البلاغة...306

13_ إثبات وحدانية الله من خلال وصف الحيوان...311

14_ الإقناع بالحجة...317

15_ وجود الله ومعانيته وصفاته...320

16_ ابتداء خطبه بحمد الله: ...324

ص: 356

17 - الاستشهاد بقصص الأنبياء لدعم رأيه... 327

18_ وصف المتقين والمنافقين... 330

أ. المتقون... 330

ب. المنافقون... 332

19_ المنهج المالي... 334

20_ المنهج الإداري... 336

21_ المنهج السياسي... 338

22_ التضاد والتقابل... 341

أ. المتضادات... 341

ب. المتقابلات... 343

23_ وصف أهل البيت... 347

24_ الاستشهاد بالقرآن الكريم... 350

ص: 357

المجلد 2

هوية الكتاب

أضواء على نهج البلاغة

الجزء الثاني

ص: 1

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق وزارة الثقافة العراقية لسنة 2010 9110

ص: 2

أضواء على نهج البلاغة

شرح ابن أبي الحديد في استشهاده الشرعية

الجزء الثاني

تأليف

دكتور علي الفتال

إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة العتبة الحسينية المقدسة

ص: 3

جميع الحقوق محفوظة للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى 1639 هـ - 2015 م

العراق : كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

مؤسسة علوم نهج البلاغة

www.inahj.org Email: inahj.org@gmail.com

موبايل : 78150 19933.

جمعية خيرية رقمية: مركز خدمة مدرسة إصفهان

محرر: مصطفى حسام عاشوري

ص: 4

ترجمة الشريف الرضي رحمه الله

هو السيد أبو الحسن وأبو عدنان محمد بن الطاهر ذي المنقبتين أبي أحمد الحسين بن موسى الأبرش بن محمد الأعرج بن أبي سبيحة موسى بن إبراهيم المرتضى المجاب بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين السجاد بن أبي عبد الله الحسين السبط الشهيد بن أبي الحسنين علي المرتضى الحيدر الكرار بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب شيبه الحمد سيد البطحاء بن هاشم الشريد عمرو.

أما نسبه من أمه : فاطمة بنت محمد يعود إلى هاشم الشريد عمرو أيضا.

وأما ولادته فكانت سنة 359هـ في بغداد وتوفي فيها بين سنتي 404 - 406 هـ. وكان يسكن في محلة الأمازيغ وهي إحدى محلات الكاظمية. وقيل في دفنه وقبره أنه دفن في داره ثم نقل رفاته إلى كربلاء حيث كانت لأسرته مقبرة خاصة في كربلاء دفن فيها والده وشقيقه الشريف المرتضى علم الهدى وأخته، وقيل أن قبره يقع بين ضريح الإمام الحسين عليه السلام وقبر إبراهيم المجاب.

ص: 5

أما مؤلفاته فقد بلغت 19 مؤلفة هي :

- (1) كتاب أخبار القضاة .
- (2) كتاب الأمثال .
- (3) تعليق خلاف القضاة.
- (4) كتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن.
- (5) كتاب الجيد من شعر أبي تمام.
- (6) كتاب تعليقه على كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي.
- (7) كتاب الحسن من شعر الحسين بن الحجاج.
- (8) حقائق التأويل في مشابه التنزيل.
- (9) خصائص الأئمة الإثنا عشر عليهم السلام.
- (10) كتاب رسائله المنثورة المسجوعة.
- (11) كتاب الرسائل الشعرية التي دارت بينه وبين أبي إسحاق الصابئي.
- (12) رسالة (ذكرها طارق الخالصي في مجلة الكتاب). (13) كتاب زيادات شعر أبي تمام الطائي .
- (14) كتاب زيادات شعر ابن الحجاج.
- (10) كتاب سيرة والده الطاهر أبي أحمد الحسن
- (16) كتاب مجازات الآثار النبوية .

(17) كتاب المختار من شعر أبي إسحاق الصابي (2).

(18) نهج البلاغة.

(19) ديوان بجزأين.

ص: 7

ترجمة ابن أبي الحديد

هو عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني البغدادي الشيعي الشافعي المعتزلي (568 - 656 هـ).

ثمة مصادر تذكر : أنه ولد ونشأ في المدائن وتوفي ببغداد وأخرى تذكر : أنه ولد في الكرخ ثم عاش في المدائن وهو القائل :

پاكرخ جاد عليك مدرار الهوى *** وسقى ثراك من الرواعد مسبل

مادمت بعدك بالمدائن سلوة *** الأثنى الثاني هواك الأول

استغرق تأليف شرح نهج البلاغة أربع سنوات ونيف إذ كان من 644 -

649 هـ كما صرح به في شرح النهج.

وتسبم وظائف عدة منها :

ص : 8

1. كاتب في دار التشريعات سنة 929 هـ.

2. كاتب في المخزن (دار الخراج) سنة 130 هـ.

3. كاتب في ديوان الخلافة سنة 31-326 هـ. نقل الى واسط سنة 131 هـ الى وظيفة لم يذكرها أصحاب السير.

5. وفي سنة 642 هـ أسندت إليه وظيفة مشرف ولاية الحلة، أي الوالي أو

المفتش المالي.

6. سنة 656 هـ عين بوظيفة الأشراف على خزائن الكتب في بغداد.

7. سنة 656 هـ عين كاتب السلة - بفتح السين المهملة وفتح المشددة اللام - أي ديوان الزمام، وهو رأس الدواوين وأعلاها. وأقربهما إلى الخليفة، وبعد هذه الوظيفة توفي.

مؤلفاته

(1) الاعتبار، وذكره في شرح النهج.

(2) انتقاء المتصفي، وقد ذكره الحاج خليفة في كشف الظنون والزركلي في اعلامه.

(3) تنمة فهج البلاغة، مطبوع وذكره في شرح النهج.

(4) تعليقات على بعض الكتب، غير مطبوع، ذكره في شرح النهج.

(5) تعليقات وحواش على المفصل، وذكره ابن شاکر في الفوات.

ص: 9

(6) تقرير الطريقتين في أصول الكلام، ذكره صاحب الكشكول.

(7) تلخيص نقض السفينانية، ذكره في شرح النهج.

(8) حول سيفيات المتنبي. ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

(9) رسائله الديوانية . ذكره أكثر من مصدر وذكره في شرح النهج.

(10) شرح نهج البلاغة.

(11) الفلك الدائر على المثل السائر. مطبوع. 12) العلويات السبع. مطبوع.

وثمة كتب أخرى تربو على العدد الذي ذكرناه لم تطبع ولكنها ذكرت في المصادر.

منهج الأضواء

الكل مؤلف أو محقق أو معد منهجه في التأليف والتحقيق والإعداد، ولما كانت "الأضواء" على نهج البلاغة تأليفة من خلال الجزء الأول منه خاصة، وتحقيقا من خلال الهوامش وأعدادا من خلال تصنيف النصوص الشعرية .. لذلك كان لزاما علي أن أتخذ لي منهجا يجمع بين دفتيه الوظائف الثلاث (التأليف والتحقيق والإعداد).

وتأسيسا على ذلك يمكن أجمل المنهج الذي اعتمده في "الأضواء" بالأمر الآتية:

(1) ألحقت بعض الآيات التي أشار إليها المحقق أبو الفضل في الهامش بما

ص: 10

أستشهد به ابن أبي الحديد من شعر لثلاث أثقل على القارئ بالرجوع إلى الهامش وتجزئ النص الشعري.

(2) صرفت النظر عن بعض إحالات المحقق من اختلاف بالنقل والقراءة في مضان المصادر أو مخطوطات "النهج" لأن ذلك ليس من وظيفتي.

(3) اختصرت بعض الروايات بالنص بما لا يخل بعناصره الأساسية لينصب التركيز على الشعر، مع الاحتفاظ بارتباطه بالحدث الذي قيل من أجله.

(4) صرفت النظر عن بعض الشعر الذي لم أجد فيه قيمة فكرية، وهو قليل جده.

ه) إذا وجدت شاهدة في قطعة شعرية أخذت البيت المستشهد به وأحلت الأبيات الأخرى إلى باب آخر، كمرثية الشريف الرضي (236).

(7) فقد أخذت البيت الأخير منها وأحلت الأبيات الأخرى إلى الرثاء أو غيرها.

(6) صرفت النظر عن أبيات مكررة في أماكن بعيدة عن مكانها الأول.

(7) وضعت خطة تحت الكلمة التي استشهد بها الشارح في (توضيح معنى مفردة) ليسهل على القارئ الربط بين الشاهد والمستشهد به.

(8) أضفت واو العطف (خاصة في بدايات الأبيات المستشهد بها أما السقوطها من الأصل في الطبع أو لعدم وجودها في الأصل، والمحقق لم يلتفت إليها، على الرغم من اختلال الوزن بدونها، (أي بدون الواو)، ووضعت الواو بين قوسين ()).

(9) اختصرت بعض توضيحات الهوامش لوضوح المعني بما ثبت .

(10) حاولت عدم ذكر ديوان الشاعر المعروف في الهامش، اعتمادا على معرفة القارئ إياه.

(11) قد يتكرر نص شعري، أو كلام للإمام علي عليه السلام فهو ما يقتضيه تقسيم فصول الأضواء.

(12) اتبعت منهج الحياد في نقل الشعر والخبر، وللأمانة التاريخية وتركت الرأي للقارئ.

(13) اتبعت منهج (المحطات في النقل، إذ كنت بين كل معركة ومعركة (في معركة صفين مثلا) أنقل ما يدور في مجلس الأمام علي عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان أو بعض الكتب المتبادلة بينهما لأريح القارئ من عناء رجز المعركة وأطلععه على ما يدور خلف الكواليس.

(14) نقلت شعرة في هجاء الأمام علي عليه السلام الى جانب مدحه لاستكمال الجوانب التاريخية، كما في صفين خاصة، عندما هجاه يزيد بن الحجبة (84/4).

(10) وضعت شروحاتي أو إشاراتي، أو توضيحاتي، أو إبداء رأي ما سواء في المتن أو في الهامش، بين قوسين (.) .

تصرفت بالنص الثري بما لا يضر.

(16) في فصل (حرب صفين) كنت أكمل النص الشعري من كتاب صفين

ص: 12

لنصر بن مزاحم، تحقيق عبد السلام هارون، إماما للفائدة .

17) استبدلت علامة التعجب (!) بعلامة الاستفهام عندما تكون الجملة استفهامية ظنا مني بعدم وجود علامة استفهام طباعية في المطبعة (النسخة التي بين يدي) أو سهو الطباع كقوله عليه السلام لمعاوية : - ((فما أنت وعثمان؟

18) لم أشر في الهامش كثيرة إلى كتاب (صفيين لثلاث أثقل على القارئ الكريم إذ يمكن مراجعة كتاب صفيين بعد كل نص إذا رغب القارئ بذلك

19) قسمت الأضواء على وفق الموضوعات إلى أجزاء وأضواء وذلك بجمع المتشابهات؛ فالجزء الأول تضمن بعد الإهداء والتقديم والمقدمة والتمهيد بفقراته المتعددة كما تضمن ثلاثة أضواء الأول : المشككون بنهج البلاغة، الثاني الرد على المشككين بنهج البلاغة فيما تضمن الضوء الثالث على بعض خصائص مج البلاغة.

في حين تضمن الجزء الثاني ترجمة كل من الشريف الرضي وابن أبي الحديد وترجمة المؤلف. كما تضمن منهج ابن أبي الحديد في الشرح ومنهج المؤلف في الأضواء والهدف من الأضواء. وفي الجزء ثلاثة أضواء الأول بدايات الدعوة الإسلامية والثاني بيعة السقيفة والثالث الحروب الإسلامية سواء في عهد الرسول أو في عهد الأمام علي عليه السلام.

في حين تضمن الجزء الثالث الأغراض الشعرية، فيما تضمن الجزء الرابع

ص: 13

مطالب لغوية وأخيرا تضمن الجزء الخامس التمثيل والتراث الشعبي والمتفرقات وملحق بمختارات من حكم الإمام عليه السلام مع المصادر والفهارس.

الهدف من الأضواء

لعل ثمة من يسأل :

- ما قيمة جمع الشعر الذي استشهد به ابن أبي الحديد، وما إضافة المحقق في دفتي كتاب في حين أنه موجود في شرح "النهج"؟

- ما قيمته من حيث المنهج العلمي في الإعداد والتأليف؟ وهل يخدم القارئ والمكتبة العربية مثل هذا الكتاب؟ وأسئلة أخرى قد تثار. وجوابا على ما قد يثار أقول :

إن الهدف الرئيس من وضع الكتاب هو تسهيل مهمة القارئ في تداول الشعر لتعذر ذلك عليه في ثنايا شرح "النهج" لسعته وعدم إمكانية الحصول عليه من لدن الجميع، وقد حصرت ذلك بين دفتي كتاب لهذا الغرض.

والهدف الثاني : هو ربط الشعر بالحدث لأنه مكمل له كالكتب المتبادلة بين الإمام علي عليه السلام وكل من عماله ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم؛ ووقعتي الجمل وصفين وقبلهما بدايات الدعوة الإسلامية وبيعة السقيفة وغزوات بدر وأحد والخندق ومؤتة... الخ.

أما الهدف الثالث : فإن أكثر ما استشهد به يدور على الألسن دون أن يعرف

القارئ أنه من استشهادات شرح "النهج" السعة الشرح كما أشرنا في الهدف الأول . لذلك فإنه سيجدها في "الأضواء" مسندة في الأغلب.

والهدف الرابع، توخي تقريب أحاديث الإمام عليه السلام إلى القارئ من خلال الشعر المستشهد به والمفصل في أجزاء وأضواء "الأضواء" لأنه وثيقة تاريخية لتلك الخطب والأحاديث.

والهدف الخامس هو: تسهيل مهمة القارئ في الوقوف على حوادث تاريخية مهمة للأمة العربية، خاصة في بدء الدعوة الإسلامية وما تلاها من حوادث ساخنة فت في عضد الأمة.

والهدف السادس: أن الشعر المستشهد به، وبالتالي، المجموع في هذا الكتاب يوجز ما في "النهج" ويقربه إلى ذهن القارئ ويغنيه عن الرجوع إليه في مواقع كثيرة، وإن لم يكن في الأعم الأغلب.

وأخيرا سلسلت الحوادث التاريخية حسب زمنها بما يسهل على القارئ الوقوف عليها عند التناول لأنها متناثرة هنا وهناك في أجزاء "النهج" العشرين كحرب صفين وتعقيداتهما.

أرجو أن أكون قد اقتربت من القارئ الكريم وقربت له البعيد وسهلت له الصعب ووضعت بين يديه طبقة شهية لا يمل منه، بل يشتهيها في كل حين.

ليت!

ص: 15

قال أبو طالب يذكر ما اجتمعت عليه قريش من حربه لما قام بنصرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (55/14) :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم *** حتى أوس في التراب دفينا

فأنفذ لأمرك ما عليك مخافة *** وأبشر وقربذاك منه عيوننا

ودعوتني وزعمت أنك ناصحي *** ولقد صدقت و كنت قبل أمينا

وعرضت ديننا قد علمت بأنه *** من خير أديان البرية دينا

ولما تخلف أبو لهب عن نصرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان أبو طالب يرسل إليه الأشعار ويناشده النصر، منها القطعة التي أولها (56/14) :

حديث عن أبي لهب أانا *** وكانفة على ذاكم رجالا

ومنها القطعة التي أولها (56/14) :

أظنت أني قد خذلت وغالتي *** منك الغوائل بعد شيب المكبر

ومنها القطعة التي أولها (56/4) :

تستعرض الأقوم توسعهم *** عذراً وما إن قلت من عذر

وعندما استجار أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي بعبد المطلب من قومه، وهو ابن أخته، فأجاره وتوثب قومه على أبي طالب لأخذه منه قام أبو لهب ومنعهم وهددهم إن لم يمتنعوا أنظم إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فانصرفوا فطمع فيه أبو طالب حين سمعه قال ما قال، فقال يحرضه على نصره محمد صلى الله عليه وآله وسلم (57/19) :

وإن امرأ أبو عتيبة عمه ***لني معزل من أن يسام المظالم

وتقبلن الدهر ما عشت خطة ***سب به إما هبطت المواسم

أقول له وأين منه نصيحتي ***ثبت سوادك قائما

وول سبيل العجز غيرك منهم ***فأنك لم تخلق على العجز لازما

فحارب فان الحرب نصف ولن ترى ***أخا الحرب يعطي الخسف حتى يسالما

كذبتهم وبيت الله نبزي محمداً ***ولماتروا يوماً من الشعب قائما

وقال يخاطب أبا لهب أيضا (57/16-58) :

عجبت لحلم يا ابن شيبه عازب ***وأحلام أقوام لديك سخاف

يقولون شايح من أراد محمداً ***بظلم وقم في أمره بخلاف

أضاميم أما حاسد ذو ضيانه ***وأما قريب عنك غير مصاف

فلا تركبن الدهر منه ذمامة ***وأنت أمرؤ من خير عبد مناف

ولا تتركه ما حييت لمعظم ***وكن رجلا ذا نجدة وعفاف

يدود العدا عن ذروة هاشمية ***إلا فهم في الناس خير إيلاف

فإن له قربي لديك قريبة*** وليس بذي حلف ولا بخصاف

ولكنه من هاشم ذي صميمها*** إلى أبحرفوق البحور طواف

وزاحم جميع الناس عنه وكن له*** وزيرة على الأعداء غير مجاف

وإن غضبت منه قريش فقل لها*** بني عنما قومكم بضعاف

وما بالكم تخشون منه ظلامه*** وما بال أحقاد هناك خواف

فما قومنا بالقوم يخشون ظلمنا*** وما نحن فيما ساءهم بخفاف

ولكننا أهل الحفاظ والنهي*** وعز ببطحاء المشاعر واف

ولكن أبا لهب لم يعر أبا طالب أذنا فسدر في غيه فتبت يدها. وقال أبو طالب يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيامه دونه :

(61/14)

أرقت وقد تصويت النجوم*** بيت ولا تسالمك الهموم

الظلم عشيرة ظلموا وعقوا*** وغب عقوقهم لهم وضيم

هم انتهكوا المحارم من أخيهم*** وكل فعالهم دنس ذميم

وراموا خطه جورا وظلما*** وبعض القول ذو جنف مليم

لتخرج هاشماً فتكون منها*** بلاقع بطن مكة فالحطيم

فمهلاً قومنا لا تركبونا*** بمظلمة لها خطب جسيم

فيندم بعضكم ويذل بعض*** وليس بمفلح أبداً ظلوم

أرادوا قتل أحمد زاعميه*** وليس بقتله منهم زعيم

ص: 21

ودون محمد مناندي***هم العرنين والعضو الصميم

ومن ذلك قوله (61/14-62):

وقالوا لأحمد أنت أمرؤ***خلوف الحديث، ضعيف السبب

وإن كان أحمد قد جاءهم***بصدق ولم يأتهم بالكذب

فأنا ومن حج من راكب***وكعبة مكة ذات الحجب

تألون أحمد أو تصطلوا***طبات الرماح وحد القضب

ونفترقوا ب ين أبياتكم***صدور العوالي وخيلا شزب

تراهن من بين ضافي السيب***قصير الحزام طويل اللب

عليها صناديد من هاشم***هم الأنجبون مع المنتجب

ومن شعر أبي طالب قوله (62/14-63):

ألا أبلغاعني لؤيا رسالة***بحق وما تغني رسالة مرسل

بني عمنا الأذنين فيما يخصهم***وإخواننا من عبد شمس ونوفل

أظاهرتهم قوماً علينا سفاهة***وأمرأ غويامن غواة وجهل

يقولون لو إنا قتلنا محمدا***أقرت نواحي هاشم بالتذلل

كذبتهم ورب الهدى ترمي نحوره***بمكة والبيت العتيق المقبل

تألونه، أو تصطلوا دون نيله***صوارم تغري كل عضو ومفصل

فمه ولما تنتج الحرب بكرها***نجيل تمام أو بآخر معجل

وتلقوا ربيع الأبطحين محمدا***على ربوة في رأس عنقاء عيطل

وتأوي إليه هاشم أن هاشما***عرانين كعب آخر بعد أول

فأن كنتم ترجون قتل محمد***فروموا بما جمعتم قتل يذبل

فأناسنحميه بكل طمرة***وذي مبععة نهذا المراكل هيكل

وكل رديني ظماء كعوبه***وعضب كأيماض الغمامة مفصل

وقال علي بن يحيى البطريق (رحمه الله) لولا خاصة النبوة وسرها لما كان مثل أبي طالب يمدح ابن أخيه محمد ، وهو شاب قد ربي في حجره، وهو يتيمه ومكفوله، وجار مجرى أولاده بمثل قوله (63/16):

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه***ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يطيف به الهلاك من آل هاشم***فهم عنده في نعمة وفواضل

ومن فرط حب أبي طالب محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان يخاف عليه البيات إذا عرف مضجعه يقيمه ليلا من منامه، ويضجع ابنه عليا مكانه، فقال له علي ليلة :

يا أبت، إني مقتول، فقال له (64/16) :

اصبرن يا بني فالصبر أهجي***كل حي مصيره لشعوب

قدر الله والبلاء شديد***الفداء الحبيب وابن الحبيب

لضدء الأغرذي الحب الثا***قب والباع والكريم النجيب

إن تصبك المنون فالنبل تبرى***فمصيب منها وغير مصيب

كل حي وأن تملى بعمر***وأخذمن مذاقها بنصيب

فأجابه علي عليه السلام فقال له (64/14):

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد*** وتعلم أني لم أزل لك طائعا
سألقي لوجه الله في نصر أحمد*** نبي الهدى المحمود طفلا ويافعا
وأشعار أبي طالب كانت تدل على أنه كان مسلمة، ولا فرق بين الكلام
المنظوم والمنثور إذا نظمنا إقرارا بالإسلام فمن ذلك أقوله (71/14-72):

يرجون منا خطة دون نيلها*** ضراب وطعن بالوشيح المقوم
كذبتهم وبيت الله حتى تفلقوا*** جماجم تلقى بالحطيم وزمزم
وتقطع أرحام وتنسى حليمة*** حليلا، ويغشى محرم بعدمحرم
على ما مضى من مقتكم وعقوقكم*** وغشيتكم في أمركم كل مآثم
وظلم نبي جاء يدعوا إلى الهدى*** وأمر أتى من عند ذي العرش قيم
فلا تحسبونا مسلميه فمثله*** إذا كان يقوم فليس بمسلم
ومن شعر أبي طالب في أمر الصحيفة التي كتبتها قريش في قطيعة بني
هاشم، وعلقتها على الكعبة قوله (72/14):

ألا أبلغاعني على ذات بينها*** لؤيا وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا*** ورسولا كموسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة*** ولا حيف فيمن خصه الله بالحب
وأن الذي رقصته في كتابكم*** يكون لكم يوماً كراغية السقم
أفيقوا أفيقوا قبل ان تحضر الزبي*** ويصبح من لم يحيي ذنباً كذي ذنب

ولا تتبعوا أمر الغوات وتقطعوا*** أوأصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباًعوانا وربما***امر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا وبيت الله نسلم أحمداً***لعزاء من عضن الزمان ولا كرب
ولما تبين منا ومنكم سؤالف***وأيده أثرت بالمهندة الشهب
بمعترك ضيق تربي قصد القنا***به والضباع العرج تعكف كالشرب
كأن مجال الخيل في حجراته***وغمغمة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شد أزره***وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا***ولا نشتكي مما ينوب عن النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهي***إذا طار أرواح الكماة من الرعب
ومن ذلك قوله (73/14) :

فلا تسفهوا أحلامكم في محمد***ولا تتبعوا أمر الغوات الأشائم
تمنيتم أن تقتلوه وإنما***امانيكم هذي كأحلام نائم
وإنكم والله لا تقتلونه***ولماتروا قطع اللحى والجماجم
زعمتم بأنا مسلمون محمدا***ولماتقاذف دونه ونزاحم
من القوم مفضل أبي على العدي***تمكن في الفرعين من آل هاشم
أمين حبيب في العباد مسوم***بخاتم رب قاهر في الخواتم
يرى الناس برهانا عليه وهيبة***وما جاهل في قومه مثل عالم
نبي أتاه الوحي من عند ربه***ومن قال لا يقرع بهاسن نادم

ومن ذلك قوله - وقد غضب لعثمان بن مظعون الجمحي، حين عذبه قريش ونالت منه (73/14-74):

أمن تذكر دهر غير مأمون *** أصبحت مكتئبا تبكي كمحزون

م من تذكر أقوام ذوي سفه *** يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين

ألا يرون - إذن الله جمعهم *** إناغضبنا لعثمان بن مظعون

ونمنع الضيم أن يبغي مضامتنا *** بكل مطرد في الكف مسنون

ومرهفات كأن اللح خالطها *** يشفي بها الداء من هام المجانين

حتى تفر رجال لا حلوم لها *** بعد الصعوبة بالأسماع واللين

أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب *** على نبي كموسى أو كذي النون

يأتي بأمر جلي غير ذي عوج *** كماتين في آيات ياسين

وقد جاء في الخبر أن أبا جهل بن هشام جاء مرة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو ساجد وييده حجر يريد أن يرضخ به رأسه،

فلصق الحجر بكفه فلم يستطيع ما أراد فقال أبو طالب في ذلك في جملة أبيات (74/14):

أفيقوا بني عمنا وانتهوا *** عن الغي من بعد ذا المنطق

وإلا ف أني - إذن - خائف *** بوائق في داركم تلتقي

تكونوا لغيركم عبرة *** ورب المغارب والمشرق

كما ذاق من كان من قبلكم *** ثمود وعاد وماذا بقي

ومنها:

ص: 26

وأعجب من ذلك في أمركم ***عجائب في الحجر الملتصق

بكف الذي قام من حينه *** إلى الصابر الصادق المتقي

فأثبتته الله في كفه *** على رغمه الخائن الأحق

وقد اشتهر عن عبد الله المأمون (رحمه الله) أنه كان يقول أسلم أبو طالب - والله - بقوله :

نصرت الرسول رسول الملوك *** بيض تلالا كلمع البروق

أذب وأحمي رسول الإله *** حماية حام عليه شفيق

وما أن أدب الأعداءه *** ديب البكار حذار الفنيق

ولكن أذير لهم ساميا *** كما زار ليث بغيل مضيق

وقد جاء في السيرة أن عمرو بن العاص لما خرج إلى بلاد الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب وأصحابه عند النجاشي قال :

تقول ابنتي أين أين الرحيل *** وما البين مني بمستنكر

فقلت: دعيني فإني امرؤ *** أريد النجاشي في جعفر

لا كويته عنده كيه *** أقيم بهاغوة الأصعر

ولن أنثني عن بني هاشم *** بما اسطعت في الغيب والمحضر

وعن عائب اللات في قوله *** ولولا رضى اللات لم تمطر

وإني لأثني قريشاً له *** وإن كان كالذهب الأحمر

الله عليه وسلم بمكة يقول له :

- والله إني لأشنوك.

وفيه انزل : " أن شانك هو الأبترا".

فكتب أبو طالب إلى النجاشي شعراً يحرضه فيه على إكرام جعفر وأصحابه

والإعراض عما يقوله عمرو وفيه وفيهم، من جملته (75/14) :

الا ليت شعري كيف في النار جعفر*** وعمرو وأعداء النبي الأقراب

وهل نال إحسان النجاشي جعفرًا*** وأصحابه أم عاق عن ذلك شاغب

وروي عن علي عليه السلام أنه قال :

قال لي أبي : يا بني الزم ابن عمك، فإنك تسلم من كل بأس عاجل أو آجل.

ثم قال (75/14) :

إن الوثيقة في لزوم محمد*** فاشد بصحبته على أيديكا

ومن شعره المناسب لهذا المعنى (76/14) :

إن عليا وجعفرًا تقتي*** عند ملم الزمان والنوب

لا تتخذلا وانصرا ابن عمكما*** أخي لأمي من بينهم وأبي

والله لا أخذل النبي ولا*** يخذله من بني ذو حسب

ومن شعر أبي طالب يخاطب أخاه حمزة، وكان يكنى أبا يعلى (77/14) :

فصبرا أبا يعلى على دين أحمد*** وكن مظهرًا للدين وفققت صابرا

وحط من أتى بالحق من عند ربه*** بصدق وحزم لا تكن حمزكافرا

ص: 28

فقد سرني إذ قلت أنك مؤمن *** فكن لرسول الله و الله ناصرا

وبار قريشاً بالذي قد أتيت به *** جهارة وقل ما كان أحمد كافرا

ومن شعره المشهور (77/14) :

أنت النبي محمد *** قرم أعزمسود

المسودين أكارم *** طابوا وطاب المولد

نعم الأرومة أصلها *** عمرو والخضم الأوحد

هشم الربيكة في الجفا *** نوعيش مكة أنكد

فجرت بذلك سنة *** فيها الخبيزة تشرذ

ولنا السقاية للحجي *** ج بهابحات العنجد

والمأ زمان وماحوت *** عرفاتها والمسجد

أنى تضام ولم أمات *** وأنا الشجاع العريا

وبطاح مكة لا يرى *** فيها نجيع أسود

وبنو أيبك كأنهم *** أسد العرين توقد

ولقد عهدتك صادقا *** في القول لا تتزيد

ما زلت تنطق بالصوا *** ب وأنت طفل أمرد

ومن شعره المشهور أيضا قوله يخاطب محمداً، ويسكن جأشه ويأمر بإظهار

الدعوة (77/14 - 78) :

لا يمنعك من حق تقوم به *** أي تصول ولا سلق بأصوات

فإن كففك كفي إن بليت بهم *** ودون نفسك نفسي في الملمات

ومن ذلك قوله، ويقال أنها لطالب بن أبي طالب (78/14) :

إذا قيل من خير الورى *** قبيلًا وأكرمهم أسرة

أناف لعبد مناف أب *** وفضله هاشم الغرة

لقد حل مجد بني هاشم *** مكان الذمامم والنرة

وخير بني هاشم أحمد *** رسول الإله على فترة

ومن ذلك قوله (78/14) :

لقد أكرم الله النبي محمداً *** فأكرم خلق الله في الناس أحمد

وشق له من اسمه ليحمله *** فذو العرش محمود وهذا محمد

وقوله أيضا، وقد يروي لعلي عليه السلام (78/14) :

ياشاهد الله علي فاشهد *** أن علي دين النبي أحمد

من ضل في الدين فأنى مهتر

وقوله من قصيدة طويلة (79/14) :

أعوذ برب البيت من كل طاعن *** علينا بسوء أو يلوح بباطل

ومن فاجر يفتابنا بمغيبه *** ومن ملحق بالدين ما لم نحاول

كذبتهم وبيت الله يبزي محمد *** ولما نطاعن دونه وناضل

وننصره حتى صرع دونه *** ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وحتى نرى ذا الردع يركب روعه *** من الطعن فعل النكب المتحامل

وينهض قوم في الحديث إليكم *** نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

وأنا وبيت الله من جد جدنا *** التلتبس أسيفنا بالأماثل

بكل فتى مثل الشهاب سميدع *** أخي ثقة عند الحفيضة باسل

وما ترك قوم لا أبالك سيدا *** يحوط الذمار غير نكس مواكل

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه *** شمال اليتامى عصمة للأراامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم *** فهم عنده في نعمة وفواضل

وميزان صدق لا يخيس شعيرة *** ووزان صدق وزنه غير عائل

ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب *** لدينا ولا يعبا بقول إلا باطل

لعمري لقد كلفت وجدة بأحمد *** وأحبته حب الحبيب المواصل

وجدت بنفسي دونه فحميته *** ودافعت عنه بالذرى والكواهل

فلا زال للنديا جمالا لأهلها *** وشينا لمن عادى وزين المحافل

وايده رب العباد بنصره *** وأظهر دينا حقه غير باطل

وقد روي أن أعرابية جاء إلى الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عام جدب فقال :

أتيناك يا رسول الله ولم يبق لنا صبي يرتضع ولا شارف يجتر ثم أنشده (81-80/14):

أتيناك والعذراء تدمي لبانها *** وقد شغلت أم الرضيع عن الطفل

وألقى بكفيه الفتى لاستكائة *** من الجوع حتى مايم ولا يحلي

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا*** سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل

وليس لنا إلا إليك فرارنا*** وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

((اللهم اسقنا غيثا مغيثا، مريئة هنيئة، مريعا سحا سجالا، عذق طبقة قاطبة دائمة درة تحيي به الأرض، وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع، وأجعله سقيا نافعا عاجلا غير راث، فوالله ما رد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده إلى نره حتى ألقى السماء أوراقها، وجاء الناس يضحون :

العذق العذق يا رسول الله!

فقال :

- اللهم حوالينا ولا علينا.

- فانجاب السحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالإكليل، فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه ثم قال.

- الله در أبي طالب إلو كان حيا لغرت عينه، من ينشدنا قوله ؟

فقام علي فقال :

- يا رسول الله لعلك أردت :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه .

قال :

ص: 32

- أجل. فأنشد أبياتا من هذه القصيدة ورسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر

ثم قام رجل من كنانة، فأنشده (81/14) :

لك الحمد والحمد ممن شكر *** سقينا بوجه النبي المطر

دعا الله خالقه دعوة *** إليه، وأشخص منه البصر

فما كان إلا كما ساعة *** أو أقصر حتى رأينا الدرر

دقاق العزالي وجم البعاق *** أغاث به الله عليا مضر

فكان كما قاله عمه *** أبو طالب ذوراء غرر

به يسر الله صوب الغمام *** فهذا العيان وذاك الخير

فمن يشكر الله يلتق المزيدي *** ومن يكفر الله يلتق الغير

فقال رسول الله :

- إن يكن شاعرة أحسن.

وكتب بن أبي الحديد على ظهر كتاب أهدي إليه وطلب منه تقريره، والكتاب عن إسلام أبي طالب، كتب عليه هذه الأبيات (83/16 - 84) :

ولولا أبو طالب وابنه *** لما مثل الدين شخصاً فقاما

فذاك بمكة أوى فحامى *** وهذا بيثرب جس الحماما

تكفل عبد مناف بأمر *** وأوى فكان على تاما

فقل في ثبير قضى بعدما *** قضى ما قضاه وأبقى شماما

ص: 33

فله ذوفاتحا للهدى*** ولله ذالمعالى ختاماً

وماضئ مجد أبى طالب*** جهول لفا أو بصير تعامى

كمالاً يضمر أياه الصبا***ح من ظن ضوء النهار ظلاماً

وقال أبو طالب لمطعم بن عدى بن نوفل فى أمر النبى صلى الله عليه وآله

وسلم لما تمالات قرىش عليه (284/15):

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً*** جزاء مسيء عاجلاً غير آجل

أطعمم أماسامنى القوم خطة***فإنى متى أوكل فليست بأكمل

أطعمم لم أخذلك فى يوم شده*** ولا مشهد عند الأمور الجلائل

ووفد الجارود على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى سنة تسع، وقيل فى

سنة عشر.... وكان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه فقال (55/18):

شهدت بأن الله حق وسامحت*** بنات فؤادى بالشهادة والنهض

فأبلغ رسول الله منى رسالة***فإنى حنيف حيث كنت من الأرض

ولقوله عليه السلام من كتاب له إلى معاوية جواباً على كتابه (251/17):

((وقريب ما أشبهت من أعمام وأحوال؟ حماقمم الشقاوة وتمنى الباطل، على الجحود بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فصرعوا

مصارعهم حيث علمت، لم يدافعوا عظيماً ولم يمنعوا حريصاً، بوقع سيوف ما خلا منها الوغى، ولم تماشها الهوين)) استشهد بالرواية التى

تقول (258/17):

بعد صلح الحديدية قال أنس بن زعيم الدؤلى / أمن بنى كنانة / يهجو محمد

صلى الله عليه وآله وسلم فضربه غلام من خزاعة فعبلوا منهم عشرين رجلاً، فشخص قوم من خزاعة إلى المدينة مستصرخين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخلوا عليه وهو في المسجد فقام عمرو بن سالم الخزاعي فأنشد : -

لاهم أني ناشد محمدا*** خلف أبينا وأبيه الأتلا

لكنت والداً وكنا ولدا*** تمت أسلمنا ولم ننزع يدا

أن قريشاً أخلفوك الموعدا*** ونقضوا ميثاقلك المؤكدا

هم بيتونا بالوتير هجدا*** تتلوا القرآن ركوا سجدا

وزعموا أن لست تدعو أحدا*** وهم أذل وأقل عددا

فأنصرهداك الله نصرأ أيدا*** وأدع عباد الله ياتوا مددا

في فيلق كالبحر يجري مزبدا*** فيهم رسول الله قد تجردا

وقوم لقوم من قروم أصيدا

و وبالرواية التي تقول (267/17):

((عندما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة إلى مكة عام الفتح جاء كعب بن مالك ليعلم أي جهة يقصد؟ فبرك بين يديه على ركبتيه ثم أنشد :

قضينا من تهامة كل نحب*** وخيبر ثم أحمينا السيوفا

فسانلها فلو نطقت لقاتل*** قواضبهن دوساً أو ثقيفا

فلست بحاضر إن لم تردها*** بساحة داركم منها ألوفا

ص: 35

فتنتزع الخيام ببطن وج*** وترك دوركم منها حلوقا

وبالرواية التي تقول (279/17):

((عندما دخلت جيوش المسلمين مكة اعام الفتحا وجعلت الخيل تعج بذي طوى كل وجه، ثم ثابت وسكنت، والتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أسيد بن حضير فقال : كيف قال حسان بن ثابت؟

فأنشده :

عدمنا خيلنا أن لم تردها***تثير النقع موعدها كداء

تظل جياتنا متمطرات***لطمه بالتخمر النساء

وبالرواية التي تقول (276/17):

((لما دخل جيش الرسول مكة / في عام الفتح /قاتل من قاتل وانهزم من الهمزم ومن انهزموا حماس بن خالد الدولي حتى أتى بيته وأغلق الباب خلفه، ولما صارت أمراة تلومه وتسخر منه قال لها منشدا :

إنك لوشهدتنا بالخندمة*** إذف صفوان وف عكرمة

وبو يزيد كالعجوز المؤتمة*** وضربنا هم بالسيف المسلمة

يقطعن كل ساعد وجمجمة***ضربة فلا يسمع إلا غمغمة

لهم زئير خلفنا وحمحمة***لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

وبالرواية التي تقول (282/17-283):

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد هدر دم أنس بن زنيم لانه

ص: 36

هجاه بعد صلح الحديبية وقبل أن يفتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة، قال شعراً يعتذر فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعفا عنه. وما قال أنس بن زنيم:

(و) أنت الذي تهدي مع بأمره*** بك الله يهديها وقال لها أرشدي

فما حملت من ناقة فوق كورها*** أبرأوفي ذمة من محمد

أحث على خير وأوسع نائلاً*** إذا راح يهتزاز المهند

وأكس لبر الخال قبل ارتدائه*** وأعطى لرأس السابق المتجرد

تعلم رسول الله أنك مدركي*** وأن وعيداً منك كالأخذ باليد

تعلم رسول الله أنك قادر*** على كل حي من تهام ومنجد

ونبي رسول الله أني هجوته*** فلا رفعت سوطي إلي يدي

سوى أنني قد قلت يا ويح فتية*** أصيبوا بنحس يوم طلق وأسعد

أصابهم من لم يكن لدمائهم*** كفاء فعزت عبرتي وتلدي

ذؤيباً وكلثوماً وسلمى تتابعوا*** جميعاً فالألامع العين أكمد

على أن سلمى ليس منهم كمثلته*** وأخوته وهل ملوك كأعبد؟

فإني لا عرضاً خرقت ولا دماً*** وهرقت ففكر عالم الحق وأقصد

ويقول عبد الله بن الزعبري الذي اعتذر به إلى الرسول صلى الله عليه وآله

وسلم حين قدم عليه (17/18) :

منع الرقاد بلابل وهموم*** فالليل ممتد الرواق بهيم

مما أتاني أن أحمد لأمني *** فيه، فيت كأنني محموم
ياخير من حملت على أوصالها *** عيرانة سر اليدين سعووم
إني لمعتذر إليك من الذي *** أسدبت إذ أنا في الضلال أهيم
إيان تأمرني بأغوى خطة *** سهم، وتأمرني به مخزوم
وأمد أسباب الروى ويقودني *** امرالغوات وامرهم مشئووم
فاليوم آمن بالنبي محمد *** قلبي، ومخطئ هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها *** ودعت أوصل بيننا وحلوم
فاغفر فدى لك والدي كلاهما *** زللي، فأنك راحم مرحوم
وعليك من علم المليك علامة *** نور أغر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه *** شرفا وبرهان الإله عظيم
ولقد شهدت بأن دينك صادق *** برشأنك في العباد جسيم
والله يشهد أن أحمد مصطفى *** متقبل في الصالحين كريم
فرع علاه بنانه من هاشم *** دوح تمكن في العلا وأروم
ألا من لهم آخر الليل معتم *** طواني، وأخرى النجم لما تفحم

من خطبة له عليه السلام هي الخطبة المعروفة ب (الشقشقية) قوله :

((أما والله لقد تميمصها ابن أبي قحافة وأنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي؛ ينحدر عيني السيل، ولا يرقى إلى الطير، فسدلت دوها ثوبا، وطويت عنها كشحة، وطفقت أرئي أن أصول بيد حذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه؛ فرأيت أن أصبر على هاتا أحجن، فصبرت وفي العين قذي، وفي الحلق شجا، أرى تراثي فبا)). فلقوله :
"لقد تميمصها " استشهد ابن أبي الحديد بقول حاتم (151/1 - 154):

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى *** إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

وقول النابغة :

تسريل سربالا من النصر وارتدى *** عليه بغضب في الكريهة قاصر

ولقوله عليه السلام : "ينحدر عني السيل " استشهد بقول الهذلي :

وعطاء يكثر فيها الذليل *** وينحدر السيل عنها انحدارا

ص: 41

ولقوله عليه السلام ((ولا يرقى إلى الطير)) استشهاد بقول المتنبى :

فوق السماء وفوق ما طلبوا*** فإذا أرادوا غاية نزلوا

وقول حبيب :

مكارم سجت في علو كأنما*** تحاول ثأراً عند بعض الكواكب

ولقوله عليه السلام " أن محلي منها محل القطب من الرحا"

استشهد بقول جرير بن عطية :

على قلاص ومثل خيطان السلم*** قد طويت بطونها على الأدم

بعد انفصاح البدن واللحم والزييم*** إذا قطعن علم أبدا علم

فهن بحثاً كمضلات الحذم*** حتى انخناها إلى باب الحكم

خليفة الحجاج غير المتهم*** في سره المجد وبحبوح الكرم

ويقول أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جدعان :-

فحللت منها بالبطاح*** وحل غيرك بالظواهر

ولما كان الإمام علي عليه السلام وبعض بني هاشم منشغلين بأعداد جهاز وغسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن رحل إلى

اللطيف الخبير، قال العباس للأمام : امدد يدك أبايعك فيقول الناس : عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله، فلا يختلف عليك اثنان فقال له

: أيطمع - يا عم - فيها طامع غيري؟

قال : ستعلم.

فلما أن جاءهما الأخبار بان الأنصار أقعدت سعداً لتبايعه، وأن عمراً جاء

بابي بكر فبايعه، وسبق الأنصار بالبيعة، فأنشد العباس قول دريد (161/1):

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى *** فلم يستينوا النصح إلا ضحى الغد

وممن لم يبايعوا أبا بكر، سعد بن عبادة، رئيس الخزرج، وهو الذي حاولت الأنصار أقامته في الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبايع أبا بكر حين بويع، وخرج إلى حوران، فمات بها، وقيل قتلته الجن لأنه بال قائما في الصحراء لي"، ورووا بيتين من شعر، قيل أما سمعا ليلة قتله، ولم ير قائلهما :

نحن قتلنا سيد ال *** خزرج سعد بن عبادة

ورميناه بسهمين *** فلم نخطيء فؤاده

ويقول قوم: إن أمير الشام - يومئذ - كمن له من رماة لي"، وهو ضاج إلى الصحراء بسهمين، فقتله لخروجه عن طاعة الأمام، وقد قال بعض المتأخرين في ذلك (111/10) :

يقولون سعد شقت الجن قتله *** ألا ربما صححت ذينك بالغدر

وما ذنب سعد أنه بال قائما *** ولكن سعداً لم يبايع أبا بكر

وقد صبرت من لذة العيش أنفس *** وما صبرت عن لذة النهى والأمر

ولما بايع بشير بن سعد أبا بكر، وأزدحم الناس على أبي بكر فبايعوه، مر أبو سفيان بن حرب بالبيت الذي فيه علي بن أبي طالب عليه السلام فوقف فأنشد :

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم *** ولا سيما تيم ابن مرة أو عدي

فما الأمر إلا فيكم واليكم *** وليس لها إلا أبو حسن علي

أبا حسن فأشدد بها كف حازم*** فانك بالأمر الذي يرتجي ملي
فلما كان من الغد قام أبو بكر فخطب الناس وبعد انتهائه من خطبته قال
أبن أبي عبرة القرشي (20/5-21) :-

شكر لمن هو بالشتاء حقيق*** ذهب اللجاح وبويع الصديق

من بعد ما زلت بسع نعله*** ورجار جاء دونه الضيوق

حفت به الأنصار عاصب رأسه*** فاتاهم الصديق والفاروق

وأبو عبيدة والذين اليهم*** نفس المؤمل للقاء تتوق

كنا نقول لها: علي والرضا*** عمر وأولاهم بذاك عتيق

فدعت قريش باسمه فأجابها*** أن المنوه باسمه الموثوق

قل للاولى طلبوا الخلافة زلة*** لم يخط مثل خطاهم مخلوق

أن الخلافة في قريش مالكم افيها- ورب محمد- معروف

وقال أحد ولد أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم شعرا (21/5):

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف*** عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

أليس أول من صلى لقبلكم*** وأعلم الناس بالقرآن والسنن

وأقرب الناس عهدا بالنبي ومن*** جبريل عون له بالغسل والكفن

مافيه ما فيهم لا يمترون به*** وليس في القوم ما فيه من الحسن

ماذا الذي ردهم فيه فتعلمه*** ها ان ذا غبننا من أعظم الغبن

وخطب خالد بن الوليد، وكان شيعة لأبي بكر، ومن المنحرفين عن علي :

فاشاد بابي بكر فعجب الناس من كلامه، ومدحه حزن بن أبي وهب

المخزومي، وهو جد سعيد بن المسيب الفقيه وقال (22/5-23):

وقامت رجال من قريش كثيرة*** فلم يك منهم في الرجال كخالد

ترقى فلم يزلق به صدر نعله*** وكف فلم يعرض لتلك الأوبد

فجاء بهاغراء كالبدر ضوءها*** فسيحها في الحسن أم القلائد

أخالد لا تعدم لؤي بن غالب*** قيامك فيها عند قذف الجلامد

كسكك الوليد بن المغيرة مجده*** وعلمك الأشياخ ضرب القماصد

تقارع في الإسلام عن صلب دينه*** وفي الشرك عن أحساب جد ووالد

وكنت لمخزوم بن يقظة جنة*** يدك فيها ماجداً وابن ماجد

إذا ما سما في حربها ألف فارس*** عدلت بألف عند تلك الشدائد

ومن يك في الحرب المثيرة واحد*** فما أنت في الحرب العوان بواحد

إذا ناب أمر قريش مخلص*** تشيب له رؤس العذارى النواهد

توليت منه ما يخاف وأن تغب*** يقولوا جميعاً: حظنا غير شاهد

لما بويح أبو بكر وأستقر أمره، ندم قوم كثيرة من الأنصار على بيعته، ولام بعضهم بعضاً، وذكروا علي بن أبي طالب عليه السلام وهتفوا باسمه وأنه في داره لم يخرج إليهم، وجزع لذلك المهاجرون وكثر في ذلك الكلام.

وكان اشد قريش نفر فيهم؛ وهم سهيل بن عمرو، أحد بني عامر بن لؤي، والحارث بن هشام، وعكرمة بن جهل المخزوميان، وهؤلاء أشرف قريش الذين

حاربوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم دخلوا الإسلام، وكلهم موتور قد وتره الأنصار.

فلما اعتزلت الأنصار تجمع هؤلاء؛ قام سهيل بن عمرو فخطب في قريش ثم تبعه الحارث بن هشام ثم عكرمة بن جهل ثم أبو سفيان بن حرب وقد أنكر كل الخطباء حق الأنصار وعلي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة. وقال حسان بن ثابت بذكر ذلك (23/6-25):

تنادي سهيل وأبن حرب وحارث*** وعكرمة الثاني لنا أبي جهل

قتلنا أباه وانتزعنا سلاحه*** فأصبح في البطحا أذل من النعل

فاماسهيل فاحتواه ابن د خشم*** أسيرة ذليلا لا يمر ولا يحلي

وصخر بن حرب قد قتلنا رجاله*** غداة لوا بدر فمرجله يغلي

وراكضنا تحت العجاجة حارث*** على ظهر جرداء كباسقة النخل

يقبلها طورا وطورة يحشها*** ويعدلها بالنفس والمال والأهل

أولئك رهط من قريش تبايعوا*** على خطة ليست من الخطط الفضل

وأعجب منهم قابلوا ذاك منهم*** كأننا اشتملنا من قريش على ذحل

وكلهم ثان عن الحق عطفه*** يقولوا: اقتلوا الأنصار يا بس من فعل

نصرنا وأوينا النبي ولم نخف*** صروف الليالي والبلاء على رجل

بذلنا لهم أنصاف مال أكفنا*** كقسمة ايسار الجذور من الفضل

ومن بعد ذلك المال أنصاف دورنا*** وكنا اناس لاعير بالبخل

ونحمي ذمار الحي وهو ابن مالك *** وتوقد نار الحرب بالحطب الجزل

فكان جزاء الفضل منا عليهم *** جهالتهم حمقا وما ذاك بالعدل

فبلغ شعر حسان قريشا، فغضبوا فأمروا ابن أبي عة شاعرهم أن يجيبه فقال (24/6-25):

معشر الأنصار خافوا ربكم ... *** واستجروا الله من شر الفتن

أنني أرهب حربا لا قها *** يشرق المرضع فيها باللبن

جهاسعد وسعد فتنة *** ليت سعد بن عباد لم يكن

خلف برهوت خفي شخصه *** بين بصري ذي رعين وجدن

ليس ما قدر سعد كائنا *** ماجرى البحر وما دام حصن

ليس بالقاطع مناشعة *** كيف يرجى خير أمر لم يحن

ليس بالمدرك منها ابدا *** غير أضغاث أماني الوسن

ولما اجتمع جمهور الناس لأبي بكر أكرمت قريش معن بن عدي وعويم بن

ساعدة وكان لهما فضل قديم في الإسلام؛ فاجتمعت الأنصار لهما في مجلس ودعوهما، فلما أحضر أقبلت الأنصار عليهما فعيروهما بانطلاقهما إلى المهاجرين، وأكبروا فعلهما في ذلك، فتكلم معن وتكلم عويم فأشادا بقريش فوثبت عليهما الأنصار، فأغلظوا لهما، وفحشوا عليهما، فقال معن في ذلك (27/6-28):

وقالت لي الأنصار أنك لم تصب *** فقلت أمالي في الكلام نصيب؟

فقالوا: بلى قل ما بدا لك راشدا *** فقلت: ومثلي بالجواب طيب

تركتم والله لما رأيتم *** تيسألها بالحسرتين نيب

تادون بالأمر الذي النجم دونه *** الا كل شيء ماسواه قريب

فقلت لكم قول الشفيق عليكم *** وللقب من قول البلاء وصيب

دعوا الركض وأثوا من أعنة بغيكم *** ودبوا فسير القاصدين ديب

وخلوا قريشا والأمر وباعوا *** لمن بايعوه ترشدوا وتصيبوا

أراكم أخذتم حقمكم بأفكم *** وما الناس إلا مخطئ ومصيب

ولما أبيتتم لتعنكم إليهم *** وكنت كاني يوم ذلك غريب

فان كان هذا الأمر ذنب إليكم *** فلي فيكم بعد الذنوب ذنوب

فلا تبعثوا مني الكلام فاني *** إذا شئت يوم أشاعر وخطيب

واني لحلو تعتريني مرارة *** وملح أجاج تارة وشروب

الكل أمريء عندي الذي هو أهله *** أفانين شتى والرجال ضروب

وقال عويم بن ساعدة في ذلك : -

وقالت لي الأنصار أضعاف قولهم *** لمعن، وذاك القول جهل من الجهل

فقلت: دعوني لا أبأبيكم *** فاني أخوكم صاحب الخطر الفصل

أنا صاحب القول الذي تعرفونه *** اقطع أنفاس الرجال على مهل

فان تسكتوا أسكت وفي الصمت راحة *** وأن تنطقوا أصمت مقاتلكم تبلى

وما لمت نفسي في الخلاف عليكم *** وان كنتم مستجمعين على عدلي

أريد بذاك الله لاشيء غيره *** وما عند بر الناس من درج الفضل

ومالي رحم في قريش قريبة***ولا دارها داري ولا أصلها أصلي

ولكنهم قوم علينا أئمة***أدين لهم ما أنفذت قدمي نعلي

وكانوا أحق الناس أن تقنعوا به***ويحتملوا من جاء في قوله مثلي

لأنني أخف الناس فيما يسركم***وفيما بسوء لا أولاً أحلي

وقال فروة بن عمرو - وكان ممن تخلف عن بيعة أبي بكر، وكان ممن جاهد مع رسول الله، وكان سيدة وهو من أصحاب علي عليه السلام،
وممن شهد معه يوم الجمل، وفي قوله هذا ذكر معنا وعويمة وعاتبهما على قولهما : -

"خلفنا وراءنا قوما قد حلت دماءهم بفتنتهم" (29/6):

قل لمعي إذا جئته***وذاك الذي شيخه ساعده

بان المقال الذي قلتما***خفيف علينا سوى واحدة

مقالكم: أن من خلفنا***مراض قلوبهم فاسدة

حلال الدماء على فتنة***فيا بتسما ربت الوالدة

فلا تأخذنا قدر أثمانها***ولم تستفيدا بها فائدة

لقد كتب الله ما قلتما***وقد يكذب الرائد الواعدة

وبعد أن أصلح الأنصار بين هذين الرجلين وبين أصحابهما، اجتمعت جماعة من قريش يوماً وفيهم ناس من الأنصار وأخلاق من المهاجرين، وذلك بعد انصراف الأنصار عن رأيها وسكون الفتنة، فاتفق ذلك عند قدوم عمرو بن العاص من سفر كان فيه، فسمع بأمر السقيفة فألقى فيهم خطبته ذكر فيها فضل

قريش وأحقيتهم بالخلافة، فلم يجبه أحد، وانصرف إلى منزله وقد ظفر، فقال :

ألاقل لأوس إذا جئتها*** وقل كلما جئت للخزرج

تمنيتم الملك في يثرب***فأنزلت القدر لم تنضج

وأخرجتم الأمر قبل التمام***وأعجب بذا المعجل المحرج

تريدون نتج الحيال العشار*** ولم تلقموه فلم ينتج

عجبت لسعد وأصحابه*** ولو لم يهيجوه لم يهتج

رجا الخزرجي رجاء السراب*** وقد يخلف المرء ما يرتجي

فكان كمنح على كفه*** بكف يقطعها أهوج

فلما بلغ الأنصار مقالته وشعره، بعثوا إليه لسانهم وشاعرهم النعمان بن عجلان، فأتى عمرو، وهو في جماعة من قريش، فقال :

- أن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : "الأئمة من قريش" فقال : " لو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار".

وبعد تذكيره بمواقفه المعادية للإسلام في بدء دعوته أنصرف وقال (31/6) :

فقل لقريش نحن أصحاب مكة*** ويوم حنين والفوارس في بدر

وأصحاب أحر والنضير وخيبر*** ونحن رجعنا من فريضة بالذكر

ويوم بأرض الشام أدخل جعفر*** وزيد وعبد الله في علق يجري

وفي كل يوم ينكر الكلب أهله*** فطاعن فيهم بالمتقفة السمر

ونضرب في تقع العجاجة أروساً*** ببيض كأمثال البروق إذا تسري

نصرنا وأوينا النبي ولم نخف*** صروف الليالي والعظيم من الأمر

وقلنا لقوم هاجروا قبل: مرحبا*** وأهلا وسهلا، قد أمنتكم من الفقر

نقاسمكم أموالنا وبيوتنا*** كقسمة أيسار الجزور على الشطر

ونكفيكم الأمر الذي تكرهونه*** وكنا أناسا نذهب العسر باليسر

وقلتم: حرام نصب سعد ونصبكم*** عتيق بن عثمان - حلال - أبا بكر

وأهل أبي بكر بها خير قائم*** وإن عليا كان أخلق بالأمر

وكان هوانا في علي وانه*** لا هل لها يا عمو من حيث لا تدري

فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى*** وينهى عن الفحشاء والبغي والنكر

وصي النبي المصطفى وابن عمه*** وقاتل فرسان الضلالة والكفر

وهذا بحمد الله يهدي من العمى*** ويفتح آذاناً ثقلن من الوقر

نجي رسول الله في الغار وحده*** وصاحبه الصديق في سالف الدهر

فلولا اتقاء الله لم تذهبوا بها*** ولكن هذا الخير أجمع للصبر

ولم نرض إلا بالرضا ولربما*** ضربنا بأيدينا إلى أسفل القدر

ولما انتهى شعر النعمان وكلامه إلى قريش غضب كثير منها، وألقى ذلك قدوم خالد بن سعد بن العاص من اليمن، وكان رسول الله أستعمله عليها، فغضب الأنصار وأشاد بدورهم في نصره الإسلام، وهو الذي امتنع عن بيعه أبي بكر وقال: لا أباع إلا عليا.

ثم قال: -

ص: 51

تقوه عمرو والذي لا نريده*** وصرح للأنصار عن شنة البغض

فان تكن الأنصار زلت فأننا*** تقيل ولا نجزيهم بالقرض

فلا تقطعن يا عمرو ما كان بيننا*** ولا تحملن يا عمرو بعضاً على بعض

أتسى لهم يا عمرو ما كان منهم*** ليالي جئناهم من النفل والفرض

وقسمتنا الأموال كاللحم بالمدى*** وقسمتنا الأوطان كل به يقضي

ليالي كل الناس بالكفر جهرة*** يقال، علينا مجتمعون على البغض

فأووا واموا وانتهينا الى المنى*** وقراراننا من الأمن والخفض

وقال خزيمة بن ثابت الأنصاري يخاطب قريشة (34/6):

أيال قريش أصلحوا ذات بيننا*** وبينكم قد طال حبل التماحك

فلا خير فيكم بعدنا فارفقوا بنا*** ولا خير فينا بعد فهر بن مالك

كلانا على الأعداء كف طويلة*** إذا كان يوم فيه جب الحوارك

فلا تذكروا ما كان منا ومنكم*** ففي ذكر ما قد كان مشي التساوك

وقال علي عليه السلام للفضل : -

- يا فضل أنصر الأنصار بلسانك ويدك، فأهم منك وانت منهم. فقال الفضل (34/6-35) : -

قلت يا عمرو مقالا فاحشا*** أن تعديا عمرو والله فلك

إنما الأنصار سيف قاطع*** و من تصبه ضبة السيف هلك

وبسيف قاطع يضربها*** وسهام الله في يوم الحلك

نصروا الدين وأووا أهله***منزل ربح ورزق مشترك

وإذا الحرب تلظت نارها***بركوا فيها إذا الموت برك

فأجابه حسان بن ثابت (35/6):

جزى الله عنا والجزاء بكفه***أبا حسن عنا ومن كأبي حسن

سبقت قريشاً بالذي أنت أهله***فصدرك مشروح وقلبك ممتحن

تمنت رجال من قريش أعزة***مكانك هيهات الهزال من السمن

وأنت من الإسلام في كل موطن***بمنزلة الدلو البطين من الرسن

غضبت لنا إذ قام عمرو بخطبة***أما بها التقوى وأحيا بها الإحن

فكنت المرجي من لؤي بن غالب***كما كان منهم، والذي كان لم يكن

حفظت رسول الله فينا وعهده***اليك ومن أولى به منك من دمن!

الست أخاه في الهدى ووصيه***وأعلم منهم بالكتاب والسنن

فحقك محفوظ بنجد وشيمة***عظيم علينا ثم بعد على اليمن

وقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط - وكان يبغض الأنصار لأهم أسروا أباه يوم بدر، وضربوا عنقه بين يدي رسول الله - بعد خطبة شتم فيها

الأنصار (36/6) :-

تباذخت الأنصار في الناس بأسمها***ونسبتها في الأزد عمرو بن عامر

وقالوا: لناحق عظيم ومنة***على كل بابر من معر وحاضر

فأن يكي للأنصار فضل فلم تنل***بحرمته الأنصار فضل المهاجر

ص: 53

وأن تكن الأنصار آوت وقاسمت *** معايشها من جاء قسمة جازر

فقد أفسدت ما كان منها بمنها *** وما ذاك فعل الأكرمين الأكاير

إذا قال حسان وكعب قصيدة *** بثتم قريش غنيت في المعاشر

وسار بها الركبان في كل وجهة *** واعمل فيها كل خفي وحافر

فهذا لنا من كل صاحب خطبة *** يقوم بها منكم ومن كل شاعر

وأهل بأن يهجو بكل قصيدة *** وأهل بان يرموا بنبل فواقر

ولما أكثر في تخلف علي عليه السلام عن البيعة وأشد أبو بكر وعمر في ذلك خرجت أم مسطح بن أثاثة، فوقفت عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونادت : يا رسول الله! (43/6):

قد كان بعدك أبناء وهينمة *** لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب

أنا فقدناك فقد الأرض وابلها *** فاختل قومك فأشهدهم ولا تغب

قال أحد الطالبين يذكر غضب فاطمة الزهراء عليها السلام (49/6-50):

يا أبا حفص الهوينا وما كنت *** ملياً بذاك لولا الحمام

أتموت البتول غضبي ونرضى *** ما كذا يصنع البنون الكرام

على أن المهاجرين لما اجتمعوا على بيعة أبي بكر، أقبل أبو سفيان وهو يقول :-

أما والله أني عجاجة لا يطفئها إلا الدم؛ يا لعبد مناف، فيم أبو بكر من أمركم؟ أين المستضعفان؟

ثم قال لعلي عليه السلام : ابسط يدك أبايعك، فوالله أن شئت لأملأنها على أبي فصيل - يعني أبا بكر - خي ورجلا".

فامتنع عليه علي عليه السلام؛ فلما يئس منه قام عنه وهو ينشد شعر المسلمين (221/1-222):

ولا يقيم على ضميم يراد به*** إلا الأذلان علي الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته*** وإذا فلا يرثي له أحد

ويوم ولي عمر بن الخطاب قال الإمام علي عليه السلام (162/1) :

"حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده :

شتان ما يومي على كورها*** ويوم حيان أخي جابر

فيا عجباً بينا يستقبلها في حياته إذ عقدها الآخر بعد وفاته يا لشد ما تشطر ضرعها! فصيرها في الحوزة خشنا يغلظ كلمها، ويخشى مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة، أن أشنق لها حزم، وإن أساس لها تقحم، فمن الناس - لعمر الله - يخبط وشماس وتلون واعتراض، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة"

فقال أحد شعراء الشيعة (171/1):

حملوها يوم السقيفة أوزا*** را تخف الجبال وهي ثقال

ثم جاؤوا من بعدها يستقبلو*** ن، وهيئات عشرة أثقال

ص: 55

بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إن عير قريش قد فصلت من مكة تريد الشام، وقد جمعت قريش فيها أموالها فندب لها أصحابه، وخرج يعترضها على رأس ستة عشر شهرا من مهاجره عليه السلام، وخرج في خمسين ومئة - ويقال في مئتين - فلم يلق العير، وفاتته ذاهبة إلى الشام... وهذه غزاة ذي العشيرة، رجع منها إلى المدينة فلم يلق حربا، فلما تحين انصراف العير من قافلة ندب أصحابه لها، وبعث طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمر بن نفيل قبل خروجه من المدينة بعشر ليال يتجسسان خبر العير، ولما راحت العير بيانا حتى أصبحا ثم خرجا، وقدما إلى المدينة في اليوم الذي لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قريشة ببدر، فخرجا يعترضان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلقياه بتربان - وتربان بين مكة والالاة على المحجة وكانت منزل عروة بن أذينة الشاعر وندب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين، وقال :

- وهذه عير قريش، فيها أموالهم : لعل الله أن يغنمكموها فأسرع من

أسرع، حتى أن كان الرجل ليساهم أباه بالخروج، وأبطأ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى انتهى إلى المكان المعروف بالبقع، وهي بيوت السقيا وهي متصلة بيوت المدينة فضرب عسكره هناك، وعرض المقاتلة، فعرض عليه نفر من أصحابه فردهم، فلما نزل عليه السلام بيوت السقيا أمر أصحابه أن يستقوا من بئرهم : وشرب عليه السلام منها، وكان أول من شرب وصلي عندها، ودعا، يومئذ لأهل المدينة، وقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمامه بعض أصحابه، فراح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بيوت السقيا، لاثنتي عشرة ليلة مضت من رمضان، وخرج المسلمون معه ثلاث مئة وخمسة، وتخلف ثمانية، وضرب لهم بسهامهم وأجورهم، واستعمل رسول الله على المشاة قيس بن صعصعة وأمره صلى الله عليه وآله وسلم حين فصل من بيوت السقيا أن يعد المسلمين ففعل، وخرج من بيوت السقيا فنزل تحت شجرة، وأصبح يوم الاثنين وهو هناك، ولحقت قريش بالشام في غيرها، واستقسمت عند هبل للخروج، وأقبل أبو سفيان بالعيير، وخاف هو وأصحابه خوفا شديدا حين دنوا من المدينة، فلما كانت الليلة التي يصبحون فيها على ماء بدر، جعلت العير تقبل بوجوهها إلى ماء بدر، وكان بسيس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء وردا على مجري بدرة يتجسسان الخبر وعرفا أن عير قريش ستنزل بعد يوم أو يومين فأتيا النبي (صلى الله عليه وآله) فأخبراه الخبر، وأصبح أبو سفيان ببدر، قد تقدم العير وهو خائف الرصد، ولما تأكد أبو سفيان من أن محمدا صلى الله عليه وآله عرف مكانهم بالرصد ضرب وجهه عيره وسار بها نحو الساحل وترك بدرة يسارة وأنطلق سريعا،

ولما أفلت أبو سفيان بالعبير ورأى أن قد أحرزها وأمن عليها، أرسل إلى قريش يأمرهم بالرجوع، فأبت الرجوع، ولحق الرسول أبا سفيان فاخبره بمضني قريش ولم ترجع، وسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء للنصف من شهر رمضان؛ فمن يومئذ عقد رسول الله صلى الله عليه وآله الألوية وكانت ثلاثة، وأظهر السلاح، وأستخبر عن قريش فقبل له أنهم بجنب الوادي، فبات الفريقان كل منهم لا يعلم بمنزل صاحبه، إذ تفصل بينهم كئبان، ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وادي بدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان، ولما أصبحوا قال منه بن الحجاج، وكان رجلاً يبصر الأثر :

هذا - والله - أثر سمية وابن أم عبد، أعرفهما.

لقد جاء محمد بسفهاثنا وسفهاء أهل يثرب.

ثم قال (84/14 - 117) :

لم يترك الجوع لنا مبيتاً*** لا بد أن نموت أو نميتا

ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على القليب بنى له عريش من جريد، فقام معاذ على باب العريش متوشحاً سيفه، وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه قبل أن تنزل قريش ودفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رايته إلى مصعب بن عمير، فتقدم بها إلى الموضع الذي أمره أن يصفها، ووقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينظر إلى الصفوف وخطب فيهم، وبعث من يخبر قريشاً أن يمتنعوا عن القتال فأبوا على لسان أبي جهل،

ص: 61

وخطب عتبة بن ربيعة في قريش دعاهم إلى الامتناع عن الحرب.

ولكن أبا جهل قال :

-إن عتبة يشير عليكم كذا لأن محمد ابن عمه وهو يكره أن يقتل ابنه وابن عمه.

فغضب عتبة وشتم أبا جهل ووصفه بالجبن والإفساد وأنشد (118/14 -125):

هذا هداي وأمرت أمري***فبشري بالشكل أم عمرو

فذهب أبو جهل إلى عامر بن الحضرمي وحرضه على عتبة وهييج فيه روح الحرب وهكذا حتى تقدم ابن الحضرمي فشد على القوم فنشبت الحرب، فخرج إليه فهجع مولى عمر بن الخطاب، فقتله عامر، وكان أول قتيل قتل من الأنصار حارثة بن سراقة، وقتله حيان بن العرقة، وتبارز القوم، وممن قام من قريش شيبه ، فقام إليه عبيدة - وهو يومئذ اسن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضرب رجل عبيدة بذباب السيف فاصاب عضلة ساقه، فقطعها، وكر حمزة وعلي على شيبه فقتلاه، وحملا عبيدة إلى الرسول، فقال عبيدة :

يا رسول الله الست شهيدا؟

قال :

-بلى

قال:

ص: 62

- أو والله لو كان أبو طالب حيا لعلم أنني أحق بما قال حين يقول (126/4-130):

كذبتهم وبيت الله نخلي محمدا***ولما نطاعن دونه وناضل

ونصره حتى نصرع حوله***ونذهل عن أبائنا والحلائل

وقد رثت هند بنت عتبة أباه (131/14):

اعيني جودا بدمع سرب***على خير خندف لم يتقلب

تداعى له رهطه قصره***بنو هاشم وبنو المطلب

يذيقونه حر أسيافهم***يعلونه بعد ماقد عطب

أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم بدر، عن قتل أبي البختری، واسمه الوليد بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزی، لأنه كان أكف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة وكان فيمن قام في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم فلقية المجذر بن زياد البلوي حليف الأنصار فقال له : -

أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهانا عن قتلك.

ومع أبي البختری زميل له خرج معه من مكة يقال له جنادة بن مليحة ولما رفض المذر العفو عن زميل أبي البختری أبی أبو البختری ترك زميله فنازل المجزر وأرجز فقال (134/14) : -

لن يسلم ابن حرة زميله***حتى يموت أو يرى سبيله

ص: 63

ثم اقتتلا فقتله المجزر.

وارتجز عدي بن أبي الزغباء يوم بدر فقال : -

أنا عدي والسحل***أمشي بها مشي الفحل

وكان عقبة بن أبي معيط قال بمكة حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة (135/14) : -

يا راكب الناقة القصواء هاجرنا***عما قليل تراني راكب الفرس

أعل رمي فيكم ثم أنهله***والسيف يأخذ منكم كل ملتبس

وقد روي أنه لما توجه المشركون إلى بدر كان فتيان ممن تخلف عنهم بمكة

سمارة يسمرون بذي طوى في القمر حتى يذهب الليل، يتناشدون الأشعار ويتحدثون، فبينما هم كذلك إذ سمعوا صوتا قريبة منهم لا يرون القائل، رافعة صوته يتغن (150/14) :

أزاد الحنفيون بدرامصيبة***سينقض منها ركن كسرى وقيصرا

أرانت لها صم الجبال وأفزعت***قبائل ما بين الوتير فخيبرا

أجازت جبال الخشبيين وجردت***حرائر يضربن الترائب حسرا

وكان الأسود بن المطلب أصيب له ثلاثة من ولده، زمعة وعقيل والحارث

بن زمعة، فسمع أمة تبكي على بغيرها قد أضلته فقال الأسود (152/16) :

تبكي أن يضل لها بغير***ويمنعها من النوم السهود

فلا تبكي على بكر ولكن***على بكر تصاغرت الخدود

فبكي أن بكيت على عقيل*** وبكي حارثاً أسد الأسود

فبكيهم ولا تسمي جميعاً*** فما لأبي حكيمة من نديد

على بدر سرات بني حصيص*** ومخزوم ورهط أبي الحديد

الأقدساد بعدهم رجال*** ولكن يوم بدر لم يسودوا

وعرضت الأسرى على رسول الله صلى الله عليه وآله فرأى النضير بن الحارث، فقال :

اضربوا عنقه.

فقال المقداد :

أسيري يا رسول الله !

فقال :

اللهم اغن المقداد من فضلك، قم يا علي فاضرب عنقه.

فقام علي عليه السلام فضرب عنقه بالسيف صبرة، وذلك بالأثيل، فقالت

أخته وأسمها قتيله (171/14 - 172):

ياراكبا إن الأثيل مظنة*** من صبح خامسة وانت موفق

بلغ به ميتافان تحية*** ما أن تزال به الركائب تخفق

مني اليه وعبرة مسفوحة*** جادت لمائحتها، وأخرى تخنق

فليسمعن النضر إن ناديته*** أن كان يسمع ميت أو ينطق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه*** الله ارحام هناك تمزق

ص: 65

صبرا يقاد الى المدينة راغما***ر سف المقيد وهو عان موثق

أمحمد ولأنت نجل نجبية***في قومها، والفحل فحل معرق

ماكان ضرك لوفنت وربما***من الفتى وهو المغيظ المحنق

والنضر أقرب من قتلت وسيلة***وأحقهم أن كان عتق يعتق

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما وصل إليه شعرها رق له، وقال :

- لو كنت سمعت شعرها قبل أن أقتله لما قتلته .

ومن أسرى بدر سهيل بن عمر والذي يكنى أبو يزيد وكان يطعم الخبز قال

فيه أمية بن أبي الصلت الثقفي، وقد رآه مربوط اليدين إلى عنقه (187/14) :

ياأبا يزيد رأيت سيبك واسعا***وسماء جودك تستهل فتمطر

وقال فيه مالك بن الدخشم، وهو الذي أسره يوم بدر (188/14) :

أسرت سهيلا فلا أبتغي***به غيره من جميع الأمم

وخندف تعلم أن الفتى***سهيلا فتاها إذ تظلم

ضربت بذى الشفر حتى انثني***وأكرهت نفسي على ذى العلم

أي على ذى العلم بسكون اللام، ولكنه حركه للضرورة. وقال كعب بن الأشرف يرثي قتلى بدر من المشركين (197/14) :

طحنت رحى بدر لمهلك أهله***ولمثل بدر يستهل ويدمع

قتلت سراة الناس حول حياضة***لا تبعدوا أن الملوك تضرع

ويقوم أقوام أذل بعزهم***أنا ابن أشرف ظل كعبا يجزع

صدقوا فليت الأرض ساعة قتلوا***ظلت تشيخ بأهلها وتصدع

صار الذي أثر الحديد بطعنه***أو ظل أعمى مرعشاً لا يسمع

نبئت أن بني المغيرة كلهم***خشعوا لقتل ابن الحكيم وجدعوا

وابنا ربيعة عنده ومنيه***مانال مثل الهالكين وتبع

نبئت أن الحارث بن همامهم***في الناس بيني الصالحات ويجمع

ليزور يثرب بالجموع وإنما***يسعى إلى الحسب القديم الأروع

وروي أن عمرو بن أبي سفيان أسره علي عليه السلام يوم بدر ولم يفتده أبو سفيان وبيننا هو محبوس بالمدينة خرج سعد بن النعمان بن الحال أخو بني عمرو بن عوف معتمرة ومعه امرأة له فغدا عليه أبو سفيان فحبسه بمكة بابنه عمرو بن أبي سفيان، وأرسل إلى قوم بالمدينة هذا الشعر (201/14):

أرھط ابن الحال أجيبوا دعاءه***تعاقدمو ألا تسلموا السيد الكهلا

فان بني عمرو لئام أذلة***لأن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا

فذهب قوم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فطلبوا منه فك عمرو ففكه فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلى عن سعد، وقال حسان بن ثابت يجيب أبا سفيان (201/14):

ولو كان سعد يوم مكة مطلقاً***الأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلى

بعضب حسام أو بصفراء نبعة***تحن إذا ما أنبضت تحفز التبلا

ومن أسرى بدر خالد بن الأعمى العقيلي، حليف لبني مخزوم، وهو الذي يقول (203/14):

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا***ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ومن قتلى بدر من المشركين؛ عقبة بن أبي معيط قتله عاصم بن ثابت صبرة بالسيف بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأن رسول الله صلى الله عليه وآله صلبه بعد قتله فكان أول مصلوب في الإسلام. وفيه يقول ضرار بن الخطاب (209/14) :-

عين بكى لعقبة بن أبان***فرع فهر وفارس الفرسان

ص: 68

2. غزوة أحد

لما رجع من حضر من المشركين إلى مكة وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب من الشام موقوفة في دار الندوة... ومشت أشراف قريش إلى أبي سفيان فقالوا :

- يا أبا سفيان.. أنظر هذه العير التي قدمت بها فاحتبستها، فقد أنها أموال أهل مكة ولطيمة قريش، وهم طيبوا الأنفس، يجهزون بهذه العير جيش كثيفة إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد ترى من قتل آباءنا وأبناءنا وعشائنا.

فقال أبو سفيان :

- قد طابت أنفس قريش بذلك؟

قالوا :

- نعم...!

قال :

فأنا أول من أجاب إلى ذلك وبنو عبد مناف معي، فأوالله الموتور والثائر

ص: 69

وقد قتل أبنى حنظلة ببدر وأشرف قومي، فلم تزل العير موقوفة حتى تجهزوا للخروج.

فباعوها فصارت ذهاباً علينا. فلما أجمعوا على المسير قالوا:

- نسير في العرب فنستنصرهم.

وهكذا ساروا في العرب، فأجمعوا على أن يبعثوا أربعة من قريش في العرب، يدعوهم إلى نصرهم؛ فبعثوا عمرو بن العاص وهبيرة بن وهب الزبيري وأبا عزة الجمحي، فأبى أبو عزة أن يسير وقال:

- من علي محمد يوم بدر، وحلفت أن لا أظهر عليه عدوا.

- فمشى إليه صفوان بن أمية يحاول معه ولكنه أبى وأنصرف عنه صفوان بن أمية آيساً منه، فلما كان الغد جاءه صفوان وجبير بن مطعم فطلب منه صفوان ما طلبه أمس فأبى، فقال جبير:

- ما كنت أظن أنني أعيش حتى يمشي إليك أبو وهب في أمر تأبى عليه، فأحفظه.

فقال:

- أنا أخرج.

فخرج إلى العرب يجمعها ويقول (213/14 - 215):

إيه بني عبد مناف الرزام*** أنتم حماة وأبوكم حام

لا تسلمون لا يحل السلام*** لا يعدوني نصركم بعد العام

ص: 70

فخرج النفر مع أبي عزة فألبوا العرب وجمعوا، وبلغوا تقيفة فخرجوا ومعهم نساؤهم كل معه زوجته أو ابنته أو أخته أو أمه، ومن خرجن مع الرجال زوجة غراب بن سفيان بن عوف وهي عمرة بنت الحارث بن علقمة الكنانية، وهي التي رفعت لواء قريش حين سقط حتى تراجعت قريش إلى لوائها، وفيها يقول حسان (216/14-217):

ولولا لواء الحارثية أصبحوا***يباعون في الأسواق بالثمن البخس

وخرجت قريش وهم ثلاثة الأف بمن ضوي إليها من كنانة والأحباش وغيرهم على لواء وأحد، يحمله طلحة بن أبي طلحة...ولما أجمعوا المسير كتب العباس بن عبد المطلب كتابا وختمه، وأستأجر رجلا من بني غفار وسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره أن قريشا قد أجمعت للسير إليه، ولما وصل الغفاري دفع الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأه عليه أبي بن كعب، واستكتم أيما ما فيه، وأخبر أبي بن كعب سعد بن الربيع ما في الكتاب، فجعل سعد يقول :

- يا رسول الله، والله أنني لأرجو أن يكون في ذلك خير .

وأرجعت يهود المدينة والمنافقون وقالوا :

- ما جاء محمد بشيء يحبه .

وأنصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وقد أستكتم سعد بن الربيع الخير.

وشاع الخبر بين الناس بمسير قريش، وسارت قريش إلى بدر ثم خرجت إلى أحد. وخرج النساء ومعهن الدفوف يحرضن الرجال ويذكرهم قتلى بدر في كل منزل.

وكانت قريش بذى الحليفة يوم الخميس صبيحة عشر من مخرجهم من مكة وذلك لخمس مضمين من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرة من الهجرة، ولما أصبحوا بذى الحليفة خرج فرسان منهم فأنزلوهم الوطاء وبعث النبي صلى الله عليه وآله عينين له ليلة الخميس فاعترضا قريش بالعقيق، فسارا معهم حتى نزلوا الوطاء، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبراه. وكان مقدم قريش يوم الخميس لخمس خلون من شوال، وكانت الواقعة يوم السبت لسبع خلون من شوال. وحرس المدينة تلك الليلة ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رؤيا ليلة الجمعة، فلما أصبح واجتمع المسلمون خطبهم، وقال:

- أشيروا علي....

فأشاروا عليه بما يحصنهم ويمكنهم من المشركين فاخذ بما أشاروا عليه وهكذا بدأت الحرب، وصرن نساء المشركين يحرضن رجالهم على القتال ويقلن (235/14):

نحن بنات طارق ***نمشي على النمارق

إن تقبلوا نعانق ***أوت دبروا نفارق

فراق غير وامق

وقد قتل طلحة بن أبي طلحة من جيش المشركين فحمل لواءهم أخوه

ص: 72

عثمان بن طلحة وهو أبو شيبه فارتجز وقال (236/15) :

آن علي رب اللواء حقا*** أن تخضب الصعدة أو تندقا

ويعد أن قتل عثمان حمل اللواء أخوهما أبو سعد بن أبي طلحة فرماه سعد

بن أبي الوقاص فأصاب حنجرتة فأدلع لسانه ادلاع الكلب، وكان النساء خلف أبي سعد يقلن (237/15) :

ضربة بني عبد الدار*** ضربة حماة الأدبار

ضربا بكل بتار

وكان الإمام علي إذا برز لا يسلب كأن أبا تمام عناه بقوله (238/14) :

أن الأسود أسود الغاب همتها*** يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما فر معظم أصحابه عنه يوم أحد كثرت عليه كتائب المشركين، وقصدته كتيبة من بني كنانة، ثم من بني عبد مناة بن كنانة، فيها بنو سفيان بن عوف، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

- يا علي اكفني هذه الكتيبة.

فحمل عليها، وأنهما لتقارب خمسين فارسا، وهو عليه السلام راجل، فما زال يضربها بالسيف تتفرق عنه ثم تجتمع عليه، هكذا مرارة حتى قتل بني سفيان بن عوف الأربعة، وتمام العشرة منها، وممن لا يعرف بأسمائهم. فقال جبرائيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

ص: 73

يا محمد إن هذه المواساة، لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وما يمنعني وهو مني وأنا منه!

فقال جبرائيل عليه السلام:

وأنا منكما.

وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء لا يرى شخص الصارخ به ينادي

مرارة (251/15):

(لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي).

فسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه فقال:

هذا جبرئيل.

كان حنظلة بن أبي عامر في معركة أحد قد اعترض أبا سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فأكسدت الفرس، ووقع أبو سفيان على الأرض فجعل يصيح:

يا معشر قريش أنا أبو سفيان بن حرب.

وحنظلة يريد أن يذبحه بالسيف، فأسمع الصوت رجلاً لا يلتفتون إليه من الهزيمة، وحتى عاينة الأسود بن شعوب، فحمل على حنظلة بالرمح فأنقذه، ومشى إليه حنظلة بالرمح فضربه ثانية فقتله، وهرب أبو سفيان يعدو على قدميه، فلحق ببعض قريش فنزل عن صدر فرسه، وردف وراء أبا سفيان، فذلك قول أبي

ص: 74

سفيان يذكر صبره ووقوفه وأنه لم يفر، وذكره محمد بن إسحاق (270/14):

ولو شئت نجتني كميت طمرة*** ولم أحمل النعماء لأبن شعوب

وما زال مهري مزجر الكلب فيهم*** لدن غدوة حتى دنت لغروب

أقاتلهم وادعي يال غالب*** وأدفعهم عني بركن صليب

فبكي ولا ترعي مقالة عاذل*** ولا تسأمي من عبرة ونحيب

اياك وأخوانا لناقد تتابعوا*** وحق لهم من حسرة بنصيب

وسلي الذي قد كان في التعن أني*** قتلت من النجار كل نجيب

ومن هاشم قرماً كريماً ومصعباً*** وكان لدى الهيجاء غير هيبوب

ولو أنني لم أشف نفسي منهم*** وكانت شجاف في الصدر ذات ندوب

فأبوا وقد أودى الجلايب منهم*** بهم كم من واجب وكنيب

أصابهم من لم يكن لدمائهم*** كفاء ولا في سنخهم بضريب

وفي يوم أحد انتخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال :

أنا ابن العواتك.

وقال أيضا (276/14):

أنا النبي لا كذب*** أنا ابن عبد المطلب

وقال عبد الله بن الزبيري يذكر يوم أحد (277/14 - 278):

إلا ذرفت من مقلتيك دموع*** وقد بان حبل الشباب قطوع

وشط بمن تهوى المزار وفرقت*** نوى الحرب دار بالحبيب فجوع

وليس لما ولى على ذي صباية*** وأن طال تذرراف الدموع رجوع
فدع ذا ولكن هل أتى أم مالك*** أحاديث قومي والحديث يشيع
وجبنا جردة الى أهل يثرب*** عناجيح فيها ضامر وبديع
عشية سرنا من كداء يقودها*** ضرور الأعادي للصديق نفوع
يشد علينا كل زحف كأنها*** عذبر نضوح الجانين نقيع
فلما رأونا خالطتهم مهابة*** وخاصرهم رعب هناك فظيع
فودوا لو أن الأرض ينشق ظهرها*** بهم، وصبور القوم ثم جزوع
وقد عريت بيض كأن وميضها*** حريق وشيك في الأباء سريع
بإيماننا نعلو بها كل هامة*** وفيها سمام للعدو ذريع
فغادرن قتلى الأوس عاصبة بهم*** ضياع وطير موقهن وقوع
ومر بنو النجار في كل تلعة*** بأثوابهم من وقعهن نجيع
ولولا علو الشعب غادرن أحمد*** ولكن علا والسمهري شروع
كما غادرت الكر حمزة ثاويا*** وفي صدره ماضي الشباة وقيع
وقال ابن الزبيري أيضا من قصيدة مشهورة وهي (279/14):
يا غراب البين أسمعت فقل*** أنما نندب أمراً قد فعل
أن للخير وللشر مدى*** وسواء قبر مشير ومقل
أبلغا حسان عني آية*** فقريض يشفي ذياك الفلل
كم ترى بالجسر من جمجمة*** وأكفاً قد أثرت ورجل

وسراييل حسان شققت ***عن كمانى غودروا فى المنتزل

كم قتلنا من كريم سيد ***ماجد الجدين مقدم بطل

صادق النجدة قرم بارع ***غير ملطاة لى دمى الأسل

فسل المهراس من ساكنه؟ ***من كراديس وهام كالحجر

لىت أشياخى بيدر شهىوا ***جزع الخزرج من وقى الأسل

حىن حطت بقباء بركهها ***واستحر القتل فى عبد

ثم خفوا عند ذاكم رقصا ***رقص الحفان تعدوفى

قتلنا النصف من ساداتهم ***وعدلنا مىل بدر فأعتدل

لا الوم النفس إلا أننا ***الوكرنا لفلعلنا المفتعل

بسىوف الهنء تعلوهاهم ***تبرد الغىظ وىشفىن الغلل

وقال حسان وهو بذكر كسر عتبة بن أبى وقاص سن رسول الله صلى الله علىه وآله وسلم يوم أحد وكلم شفتىه وشج وجهه فجعل ىمسح الدم

عن وجهة وىقول : كىف ىفلح قوم خضبوا نبىهم بالدم، وهو ىدعوهم إلى ربهم

فأنزل الله عز وجل :

{ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ }

قال حسان بن ثابت فى ذلك الوم (55/6):

إذا الله حىا معشراً بفعالهم ***ونصرهم الرحمن رب المشارق

فهدك ربى ىاعتىب بن مالك ***ولفاك، قبل الموت، أحدى الصواعق

ص: 77

بسطة يمينا للنبي محمد***فدميت فاه قطعت بالبورق

فهلا ذكرت الله والمنزل الذي***تصير اليه عند احدى الصعائق

فمن عاذري من عبد عذرة بعدها***وهوى يخ دجوجي شديد المضايق

وأورث عارا في الحياة لأهله***وفي النار يوم البعث أم البوائق

ولما قتل حمزة بن عبد المطلب علت هند بنت عتبة، يومئذ، صخرة مشرفة، وصرخت بأعلى صوتها (13/15) :-

نحن جزيناكم بيوم بدر***والحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان عن عتبة لي من صبر***ولا أخي وعمه وبكري

شفيت نفسي وقضيت نذري***شفيت وحشي غليل صدري

فشكر وحشي علي عمري***حتى ترم أعظمي في قبري

فاجابتها هند بنت أئانة بن عبد المطلب بن عبد مناف (14/15) :-

خزيت في بدر وغير بدر***يا بنت عذار عظيم الكفر

أفحمك الله غداة الفجر***بالهاشميين الطوال الزهر

بكل قطاع حسام يغري***حمزة ليثي وعلي صقري

إذ رام شيب وأبوك قهري***قضبا منه ضواحي النحر

ومن الشعر الذي ارتجزت به هند بنت عتبة يوم أحد (14/15) :

شفيت، من حمزة نفسي بأحد***حين بقرت بطنه عن الكبد

أذهب عني ذلك ما كنت أجد***من لوعة الحزن الشديد المعتمد

والحرب تعلقكم بشؤبوب برد قديم أقدامأعليكم، كالأسد

فقال حسان بن ثابت يهجوها (14/15) :

أشرت لكاع وكان عاداتها***لوما إذا أشرت مع الكفر

أخرجت مرقصة الى أحد*** في القوم مقتبة على بكر

بكر ثقال لا حراك به*** الاعن معاتبة ولا زجر

أخرجت ثاتره محاربة***باييك وابنك بعد في بدر

وبعمك المتروك منجدا*** وأخيك منعفرين في الجفر

فرجعت صاغرة بلاتره*** ما ظفرت بها ولا وتر

وقال أيضا يهجوها (15/15) :

لمن سواقط ولدان مطرحة***باتت تفحص في بطحاء اجياد

باتت تمنخص لم تشهد قوابلها*** الى الوحوش والا جنة الوادي

يظل يرحمها الصبيان منعفرا*** وخاله وأبوه سيد الوادي

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول يوم أحد : -

ما فعل عمي، ما فعل عمي؟

فخرج الحارث بن الصمة يطلبه فأبطأ، فخرج عليه السلام يطلبه ويقول

(16/15) :-

يارب إن الحارث بن الصمة***كان رفيقا وبنا ذا ذمة

قد ظل في مها متر مهمة***يلتمس الجنة فيها ثمة

ص: 79

حتى انتهى إلى الحارث، ووجد حمزة مقتولا، فجاء فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل يمشي حتى وقف عليه فقال : -

- ما وقفت موقفا قط أغيظ التي من هذا الموقف. وخرجت فاطمة مع نساء وقد رأته الذي بوجه أبيها صلى الله عليه وآله وسلم فاعتنقته، وجعلت تمسح الدم عن وجهه، وذهب علي عليه السلام فأتى بماء من المهراس وقال لفاطمة : امسكي هذا السيف غير ذميم وقال (35/15) :

افاطم هاك السيف غير ذميم***فلمست برعديد ولا بلثيم

العمري لقد جاهدت في نصر أحمد***وطاعة رب العباد رحيم

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : -

- لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدق معك سماك بن خرشبة، وسهل بن حنيف.

ولما كان بين الحارث بن سويد الصامت والمجذر بن زياد البلوي ثأر، إذ قتل المجذر أبا الحارث قبل الإسلام، فضمها الحارث ، فلما كان يوم أحد وجال المسلمون تلك الجولة، أتاه الحارث (وكان قد أسلم أيضا) من خلفه فضرب عنقه، وقد أتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره أن الحارث بن سويد قتل المجر غيلة، وأمر بقتله، ولما رآه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دعا عويم بن ساعدة فقال له :-

قدم الحارث بن سويد إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذر بن زياد فإنه قتله يوم أحد، فضرب عويم عنقه، ففي ذلك قال حسان (50/15)

ص: 80

يا حار في سنة من قوم أولكم *** أم كنت ويحك مفترا بجبريل

أم كنت يا ابن زياد حين تقتله *** بغرة في فضاء الله مجهول

وقلتم لن نرى والله مبصركم *** وفيكم محكم الآيات والقيل

محمد والعزیز الله يخبره *** بمايكن سريرات الأقاويل

وكان سويد بن الصامت حين ضربه المجذر وبقي قليلا ثم مات، فقال قبل أن يموت يخاطب أولاده (50/15 - 51):-

أبلغ جلاس، وعبد الله مالكة *** وان دعيت فلا تخذلهما حار

أقتل جدارة إذ ماكنت لاقيةهم *** والحي عوفاً على عرف وأنكار

بعد أن زار معبد بن معبد الخزاعي - وهو مشرك - محمد صلى الله عليه

وآله وسلم وجيش المسلمين وعاد إلى قريش أخبرهم عما ينوي من أخذ ثارهم في أحد، وقد حملني ما رأيت منهم أن قلت أبياتا، قالوا :-
وما هي؟

فأنشدهم هذا الشعر (59/15) :

كادت تهدي من الأصوات راحلتي *** إذ سالت الأرض بالجرد الأبايل

تعدو بأسض راب لا تنابلة *** عند اللقاء ولا ميل معازيل

فقلت ويل ابن حر من لقائهم *** إذا تقطمطت البطحاء بالجيل

أني نذرت لأهل البسل ضاحية *** لكل ذي إربة منهم ومعقول

من جيش أحمد لا وحش قنابله *** وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

3. غزوة الخندق

قال الواقدي وابن إسحاق : خرج عمرو بن عبد ود يوم الخندق شاهراً سيفه معلماً مدلاً بشجاعته وبأسه، وخرج معه ضرار بن الخطاب الفهري؛ وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة ابن أبي وهب ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميون، فطافوا بخيولهم على العبور فعبرت، وصاروا مع المسلمين على أرض واحدة ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس وأصحابه قيام على رأسه، فتقدم عمرو بن عبد ود فدعا إلى البراز مرارة، فلم يقم إليه أحد، فلما أكثر قام علي عليه السلام فقال : -

- أنا أبارزه يا رسول الله .

فأمره بالجلوس، وأعاد عمرو النداء والناس سكوت كأن على رؤوسهم الطير، فقال عمرو : -

أيها الناس أنكم تزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار أفما يحب أحدكم أن يقدم على الجنة؟ وأن يقدم عدوا له على النار؟

ص: 82

فلم يقم إليه أحد، فقام علي عليه السلام دفعة ثانية :

- أنا له يا رسول الله .

فأمره بالجلوس فجال عمرو بفرسه مقبلا ومدبرة، وجاءت عظماء الأحزاب، فوقف من وراء الخندق ومدت أعناقها تنظر، فلما رأى عمرو أن أحدا لا يجيبه قال (62/19-63) :-

ولقد عجزت من النداء ***ء بجمعهم هل من مبارز

ووقفت مذجبن المشي ***ع موقف القرن المناجز

أني كذلك لم أزل ***متسرعة قبل الهزاهز

أن الشجاعة في الفتى ***والجود من غير الغرائز

فقام علي عليه السلام فقال :-

يا رسول، إ إذن لي في مبارزته.

فقال :-

إذن، فدني فقلده سيفه، وعممه بعمامته، وقال :-

امضي لشأنك.

فلما انصرف قال :-

اللهم أعنه عليه.

ولما قرب منه قال مجيبا إياه عن شعره (63/19):

لا تعجلن فقد أتا ***ك مجيب صوتك غير عاجز

ص: 83

ذو نيه وبصيره*** يرجو بذاك نجاهة فائز

أني لأمل أن أقي*** م عليك نائحة الجنائز

من ضربة فوهاء يب*** قى ذكرها عند الهزاهز

فقال عمرو :

من أنت؟

وكان عمرو وشيخا كبيرة قد جاوز الثمانين، وكان نديم أبي طالب بن عبد المطلب في الجاهلية، فانتسب علي عليه السلام له وقال : -

أنا علي بن أبي طالب.

فقال : -

- أجل، لقد كان أبوك نديما لي، وصديقه، فأرجع فإني لا أحب أن أقتلك.

فقال له علي عليه السلام: -

لكني أحب أن أقتلك.

فقال : -

- يا ابن أخي : - إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، فأرجع وراءك خير لك.

فقال علي عليه السلام: -

أن قريشا تتحدث عنك أنك قلت : - لا يدعوني أحد إلى ثلاث إلا أجبت، ولو واحدة منها.

ص: 84

قال : -

أجل.

فقال علي عليه السلام.

فإني أدعوك إلى الإسلام.

قال :

دع عنك هذه .

فقال :

فإني أدعوك إلى أن ترجع من تبعك من قريش إلى مكة.

قال :

- إذن تتحدث نساء قريش عني أن غلاما خدعني.

قال : فإني أدعوك إلى البراز.

فحمي عمرو، وقال :

ما كنت أظن أن أحدا من العرب يرومها مني.

ثم نزل فعقر فرسه، وقيل ضرب وجهه ففر وتجاولا، فثارت لهما غبرة وارقهما عن العيون، إلى أن سمع الناس التكبير عالية من تحت الغيرة، فعلموا أن عالية قتله، وانجلت الغبرة عنها، وعلي عليه السلام راكب صدره يحز رأسه، وفر

ص: 85

أصحابه ليعبروا الخندق، فظفرت بهم خيلهم إلا نوفل بن عبد الله فأقصر فرسه، فوقع في الخندق فرماه المسلمون بالحجارة فقال : -

يا معشر الناس، قتلة أكرم من هذه.

فنزل إليه علي عليه السلام فقتله.

ولما انتشر خبر مقتل عمرو بن عبد ود رثاه شعراء من قريش منهم :

مسافع بن عبد مناف بن زهرة بن حذافة بن جمع يبكي عمرو بن عبد الله بن عبد ود قال (288/13) :

عمرو بن عبد كان أول فارس *** جزع المذاد وكان فارس مليل

سمح الخلائق ماجد ذومره *** يبقى القتال بشكلم ينكل

ولقد علمتم حين ولوا عنكم *** ان ابن عبد منهم لم يعجل

حتى تكتفها الكماة وكلهم *** يبغي القتال له وليس بمؤثل

ولقد تكتفت الفوارس فارسا *** بجنوب سلع غير نكس أميل

فاذهب علي ما ظفرت بمثلها *** فخرا ولولا قيت مثل المعضل

سأل النزال هناك فارس غالب *** لاقى حمام الموت لم يتحلحل

أعني الذي جزع المذاد ولم يكن *** فشلا وليس لدى الحروب بزمل

وقال هبيرة بن أبي وهب المخزومي، يعتذر من فراره عن علي بن أبي طالب

عليه السلام وتركه عمرو يوم الخندق ويبكيه (289/19) :

لعمرك ما وليت ظهري محمدا *** وأصحابه جبنا ولا خيفة القتل

ولكنني قلبت أمري فلم أجد*** لسيفي غناء إن وقفت ولا نبلي
وقفت ولما لم أجد لي مقدا*** صدرت كضرغام هزبر إلى شبل
ثنى عطفه عن قرنه حين لم يجد*** مجالا وكان الحزم والرأي من فعلي
فلا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا***فقدت محمود النامجد الفعل
ولا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا*** فقد كنت في حرب العدا مرهف النصل
فمن لطراد تقدع الخيل بالقنا***وللبذل يوماً عند قرقرة البذل
هنالك لولا كان ابن عمرو لزارها*** وفرجها عنهم فتى غير ما وغل
كفتك علي من ترى مثل موقف***وقفت على شلو المقدم كالفحل
فما ظفرت كفاك يوماً بمثلها***أمنت بها ما عشت من زلة النعل
وقال هبيرة بن أبي وهب أيضا يرثي عمرو وبيكيه (289/19 - 290) :
لقد علمت عليا لؤي بن غالب*** الفارسها عمرو إذا ناب نائب
وفارسها عمرو إذا يسوقه*** علي، وأن الموت لاشك طالب
(و) عيشة يدعوه علي وإنه*** كفارسها إذ خام عنه الكتائب
فيا لهف نفسي أن عمروا لكائن***بيثرب لازالت هناك المصائب
لقد أحرز العليا علي بقتله وللخير يوم لا محالة جالب
وقال حسان بن ثابت الأنصاري يذكر عمرو (290/19) :
أمسى الفتى عمرو بن عبير ناظرا***كيف العبور وليته لم يعبر
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة***ولقد وجدت جيانا لم تقصر

ولقد لقيت غداة بدر عصابة***ضربوك ضربة غير ضرب الحسر

أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة***يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

وقال حسان أيضا (290/19) :

لقد شقيت بنو جمح بن عمرو***ومخزوم وتيم ماتقيل

وعمر وكالحسام فتى قريش***كأن جبينه سف صقيل

فتى من نسل عامر أريحي***تطاوله الأسنة والنصول

دعاه الفارس المقدام لما***تكشفت المقانب والخيول

أبو حسين فقعه حساما***اجرازا لا أقل ولا نكول

فغادره مكبا مسلحبا***على عفرأ لا يعيد القتيل

ص: 88

4. غزوة مؤتة

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحارث بن عمير الأزدي في سنة ثمان إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال : -

أين تريد؟

قال : -

الشام.

قال : -

لعلك من رسل محمد؟

قال : -

نعم.

فأمر به فأوثقه رباطا ثم قدمه فضرب عنقه، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسول غيره، وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

ص: 89

فاشتد عليه، وندب الناس وأخبرهم بمقتل الحارث، فأسرعوا وخرجوا، فعسكروا بالجرف، فلما صلى صلى الله عليه وآله وسلم الظهر جلس وجلس أصحابه حوله، وجاء النعمان بن مهض اليهودي فوقف مع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : -

زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قتل زيد بن حارثة، فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة، فإن أصيب ابن رواحة فليرتض المسلمون من بينهم رجلا فليجعلوه عليهم، فقال النعمان بن مهيض : -

يا أبا القاسم، إن كنت نبية فسيصلب من سميت قلي؟ كانوا أو كثيرة إن الأنبياء في بني إسرائيل كانوا إذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا إن أصيب فلان، فلوا سموا مئة أصيبوا جميعا، ثم جعل اليهودي يقول لزيد بن حارثة :

إعهد فلا ترجع إلى محمد أبدا إن كان نبيا.

قال زيد :-

أشهد أنه نبي صادق.

فلما أجمعوا المسير عقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللواء بيده دفعه إلى زيد بن حارثة، وهو لواء أبيض ومشى الناس إلى أمراء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويدعوهم ويدعون لهم وكانوا ثلاثة آلاف فلما ساروا في معسكرهم ناداهم المسلمون : -

دفع الله عنكم وردكم سالمين صالحين غانمين .

ص: 90

فقال عبد الله بن رواحة (61/15 - 62) :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة *** وضربة ذات فرع تقذف الزيدا

أو طعنة بيدي حران مجهزة *** بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي *** يا أرشد الله من غاز إذا رشدا

وقد اختلف الرواة فيمن كان الأمير الأول، ومن خلال قصيدة حسان بن ثابت يظهر أن جعفر بن أبي طالب كان هو الأمير الأول ثم زيد بن حارثة فعبد الله بن رواحة، وهو ما يقول به الشيعة. قال حسان (62/15 - 63):

تأويني ليل ييثرب أعسر *** وهم إذا ماتوم الناس مسهر

لذكرى حبيب هيمنت لي عبرة *** سفوحة وأسباب البكاء التذكر

بلى إن فقدان الحبيب بلية *** وكم من كريم يبتلى ثم يصبر

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا *** بمؤته منهم ذو الجناحين جعفر

وزيد وعبد الله حين تتابعوا *** جميعا وأسياف المنية تخطر

رأيت خيار المؤمنين تواردوا *** شعوب وخلق بعدهم يتأخر

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم *** الى الموت ميمون النقيبة أضر

أغر كضوء البدر من آل هاشم *** أبي إذا سيم الظلامه أصعر

فطاعن حتى مال غير موسد *** بمعترك فيه القنا منكسر

فصار مع المستشهدين ثوابه *** جنان وملطف الحدائق أخضر

فكنا نرى في جعفر من محمد *** وقارة وأمرأ حازمأحين يأمر

وما زال في الإسلام من آل هاشم *** دعائم صدق لاترام ومفخر
هم جبل الإسلام والناس حولهم *** رضام إلى طول يطول ويقهر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه *** علي ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم *** عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج الغماء من كل مأزق *** عماس إذا ماضاق بالناس مصدر
همو أولياء الله أنزل حكمه *** عليهم وفيهم والطناب المطهر
ومنها قول كعب بن مالك الأنصاري من قصيدة أولها (63/15 - 64):
نام العيون ودمع عينك يهمل *** سحا كما وكف الرباب المسبل
وجدة على نفر الذين تتابعوا *** قتلا بمؤته اسندوا لم ينقلوا
ساروا إمام المسلمين كأنهم *** طود يقودهم الهزبر المشبل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه *** قدام أولهم ونعم الأول
حتى تقوضت الصفوف وجعفر *** حيث التقى جمع الغواة مجدل
فتغير القمر المنير لفقده *** والشمس قد كسفت وكادت تافل
قوم علا بنيانهم من هاشم *** فرع أشم وسؤدد متأثل
قوم بهم عصم الإله عباده *** وعليهم نزل الكتاب المنزل
ضلوا المعاشر عفه وتكرما *** وتعمدت أخلاقهم من يجهل
وأن عبد الله بن رواحة ودع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشعر منه
: (65/15)

فثبت الله ما أتاك من حسن *** تثبت موسى ونصرا كالذي نصرنا

أنى تفرست فيك الخيل نافرة *** فراسة خالفتهم في الذي نظروا

أنت الرسول فمن يحرم نوافله *** والبشر منه فقد أودى به القدر

وكان زيد بن أرقم يحدث، قال : -

كنت يتيمة في حجر عبد الله بن رواحة، فلم أر والي يتيم كان خيرا لي منه، خرجت معه في وجهة إلى مؤتة، وصب بي وصببت به، فكان يردفني خلف رحله،

فقال ذات ليلة، وهو على راحلته بين شعبي رحله (66/15):

إذا بلغتني وحملت رحلي *** مسافة أربع بعد الحساء

فشانك فانعمي وخلاك ذم *** ولا أرجع إلى أهلي ورائي

وآب المسلمون وخلفوني *** بأرض الشام مشتهر الثواء

وزودني الأقارب من دعاء *** إلى الرحمان وانقطع الأخاء

هنالك لا أبالي طلع نخل *** ولا نخل أسافلها رواء

ولما قتل جعفر بن أبي طالب وتسلم الراية عبد الله بن رواحة جعل يتردد بعض التردد، ويستقدم نفسه يستنزلها وقال :

أقسمت يا نفس لتزلنه *** طوعا وإلا سوف تكرهه

مالي أراك تكرين الجنة *** إذا جلى الناس وشدوا الرنه

قد طالما قد كنت مطمئنة *** هل أنت إلا نطفة في شته

ثم ارتجز فقال (69/15 - 70):

يا نفس إلا تقتلي تموتي*** هذا حمام الموت قد حليت

وما تمنيت فقد أعطيت*** إن تفعلي فعلهما هديت

وان تأخرت فقد شقيت

ص: 94

مقتل عثمان

قبل ذكر وقعة الجمل لابد من التمهيد لما في ذكر بعض ما قيل في مقتل عثمان من شعر؛ فلقوله عليه السلام من كلام له فيما رده إلى المسلمين من قطائع عثمان (269/1):

((والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الماء، لرددته فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أهون)).

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول (270/1):

إنه عليه السلام أمر بكل سلاح وجد لعثمان في داره، مما تقوى به على المسلمين فقبضت، وأمر بقبض سيفه ودرعه، وأمر أن لا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمين، وبالكف عن جميع أمواله التي وجدت في داره وفي غير داره، وأمر أن ترتجع الأموال التي أجاز بما عثمان حيث أصيب أو أصيب أصحابها .

ثم أستشهد بقول الوليد بن عقبة - وهو أخو عثمان من أمه يذكر قبض

علي عليه السلام نجائب عثمان وسيفه وسلاحه (270/1-271):

بني هاشم ردوا السلاح ابن أختكم*** ولا تنهبوه لا تحل مناهبه

بني هاشم كيف الهوادة بيننا*** وعند علي درعه ونجائبه؟

بني هاشم كيف التودد منكم*** وبزين أروى فيكم وصرائيه؟

بني هاشم إلا تردوا فإننا*** سواء علينا قاتلاه وسالبه

بني هاشم إنا وما كان منكم*** كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه

قتلتهم أخي كيما تكونوا مكانه*** كما غدرت يوما بكسرى مرآزبه

فأجابه عبد الله بن أبي سفيان الحارث بن عبد المطلب بأبيات طويلة من جملتها :

فلا تسألونا سيفكم إن سيفكم*** أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه

وشبهته كسرى وقد كان مثله*** شبيهة بكسرى هديه وصرائبه

أي كان كافرة كما كان كسرى كافرا.

ولقوله عليه السلام : ((والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة كفر؛ ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة، والله ما أشتغل بالمكية ولا أسفر بالشديدة)).

أستشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول (234/10) :

((لما حصر عثمان أبرد مروان بن الحكم بخبره بريدن، أحدها إلى الشام والآخر إلى اليمن - وبما، يومئذ يعلى بن منبه - ومع كل واحد منها كتاب وكتب في آخره:

وما بلغت عثمان حتى تخطمت *** رجال ودانت للصبغار رجال

لقد رجعت عودة على بدء كونها *** وان لم تجرا فالمصير زوال

سيديء مكنون الظمائر قولهم *** ويظهر منهم بعد ذاك فعال

فان تقعدا لا تطلبا ما ورثتما *** فليس لنا طول الحياة مقال

نعيش بدار الذل في كل بلده *** وتظهر مناكدة وهزال

وبعد ورود كتاب مروان بن الحكم على معاوية كتب إلى رؤوس قريش ومن كتب إليهم سعيد بن العاص، وكتب في آخر كتابه (237/10)
- (238) :

تالله لا يذهب شيخي باطلا *** حتى أبير مالكا وكاهلا

القاتلين الملك الحاحلا *** خير مع حسبا ونائلا

وكتب في أسفل الكتاب، الذي بعثه إلى عبد الله بن عامر (239/10):

عليك سلام الله قيس بن عاصم *** ورحمته ماشاء أن يترحما

تحية من أهدى السلام لأهله *** إذا شط دارة عن مزارك سلما

فما كان قيس هلكة هلك واحد *** ولكنه بنيان قوم تهدما

وكتب في آخر الكتاب الذي بعثه إلى الوليد بن عقبة (239/10):

أخترت نومك أن هبت شامية *** عند الهجير وثرأ بالعشيات

على طلاب ثأراً من بني حكم *** هيهات من راقد طلاب ثارات

وكتب في آخر الكتاب إلى يعلى بن أمية (240/10):

واعلم يا ابن أمية أن القوم قاصدوك بادئ بدء لاستنتاف ما حوته يدك

من المال، فاعلم ذلك واعمل على حسبه إن شاء الله وكتب في أسفل الكتاب :

ظل الخليفة محصورة يناشدهم*** بالله طورة وبالقرآن أحيانا

وقد تالف أقوام على حنق*** عن غير جرم وقالوا فيه بهتانا

وقام يذكرهم وعد الرسول له*** وقوله فيه إسرار وإعلانا

فقال كفوا فإني معتب لكم*** وصارف عنكم يعلي ومروانا

فكذبوا ذاك منه ثم ساوره*** من حاض ليته ظلما وعدوانا

وكتب إليه مروان جوابا عن كتابه وكتب في أسفل الكتاب (242/10):

أقتل عثمان وترقى دموعنا*** ونرقد هذا الليل لا نتفزع

ونشرب برد الماء ربا وقد مضى*** على ظمأ يتلو القران ويركع

فإني ومن صبح المليون بيته*** وطافوا به سعيا، وذو العرش يسمع

سأمنع نفسي كل ما فيه لذه*** و من العيش حتى لا يرى فيه مطمع

وأقتل بالمظلوم من كان ظالما*** وذلك حكم الله ما عنه مدفع

وكتب إليه عبد الله بن عامر، وكتب في أسفل الكتاب (242/10) : -

لا خير في العيش في ذل ومنقصة*** والموت أحسن من ضيم ومن عار

إنابنو عبد شمس معشر أنف*** نحر جماجمة طلاب أوتار

والله لو كان ذميا مجاورنا*** ليطلب العز لم تقعد عن الجار

فكيف عثمان لم يدفن بمزبلة*** على القمامة مطروحا بها عار

فازحف إلي فإني زاحف لهم*** بكل أبيض ماضي الحد بتار

وكتب إليه الوليد بن عقبة، وكتب في أسفل الكتاب (243/10):

نومي علي محرم إن لم أقم *** بدم ابن أمي من دم العلات

قامت علي إذا فقدت ولم أقم *** بطلاب ذاك مناحة الأموات

عذبت حياض الموت عندي بعدما *** كانت كريهة مورد النهلات

وكتب إليه يعلى بن أمية، وكتب في أسفل الكتاب (244/10):

لمثل هذا اليوم أوصى الناس *** لا تعط ضيمة أو يخر الرأس

ص: 99

6. وقعة الجمل

لما نزل علي عليه السلام ذا قار كتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر : -

أما بعد، فأني أخبرك أن عليا قد نزل ذا قار، وأقام بما مرعوبا خائفا لما بلغه من عدتنا وجماعتنا، فهو بمنزلة الأشعر، إن تقدم عقر، وإن تأخر نحر.

فدعت حفصة جواري لها يتغنين ويضربن بالدفوف، فأمر من أن يقلن في غنائهن :

ما الخبر ما الخبر***علي في السفر

كالفرس الأشقر*** إن تقدم عقر

وان تأخر نحر

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة، ويجتمعن لسماع ذلك الغناء، فبلغ أم كلثوم بنت علي عليه السلام فلبست جلابيها، ودخلت عليهن في نسوة متنكرات، ثم أسفرت عن وجهها، فلما عرفتها حفصة خجلت واسترجعت، فقالت أم كلثوم : -

ص: 100

لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم، لقد تظاهرتا على أخيه من قبل فأنزل الله فيكما ما أنزل.

فقال حفصة : -

كفى رحمك الله.

فأمرت بالكتاب فحرق، واستغفرت الله .

فقال سهل بن حنيف في ذلك هذه الأشعار (13/14 - 14):

عذرنا الرجال بحرب الرجال*** فما للنساء وما للسباب؟

أما حسبنا ما أتينا به*** لك الخير من هتك ذاك الحجاب

ومخرجها اليوم من بيتها*** يعرفها الذنب نيح الكلاب

إلى أن أتانا كتاب لها*** مشوم فيا قبح ذاك الكتاب

وقالت أخت علي بن عدي، من بني عبد العزى بن عبد شمس وكان أخوها

علي بن عدي من شيعة علي عليه السلام في جملة عسكره (17/14):

لاهم فاعقر بعلي جملة*** ولا تبارك في بعير حملة

الا علي بن عدي ليس له

ثم أجمع علي عليه السلام على المسير من الربذة إلى البصرة، فقام إليه رفاعه بن رافع فقال : -

يا أمير المؤمنين؛ أي شيء تريد؟ وأين تذهب بنا؟

قال عليه السلام :

ص: 101

أما الذي نريد ونبوي فإصلاح، إن قبلوا منا وأجابوا إليه.

قال : -

فإن لم يرضوا؟

قال عليه السلام :

ندعهم ما تركونا.

قال : -

فإن لم يتركونا؟

قال عليه السلام :

نمتنع عنهم.

قال :

فنعم إذا .

وقام الحجاج بن غزية الأنصاري، فقال : والله يا أمير المؤمنين لأرضينك بالفعل، كما أرضيتني منذ اليوم بالقول، ثم قال : -

دراكها دراكها قبل الفوت*** فانقر بنا وأسم بنا نحو الصوت

لا وألت نفسي أن خفت الموت

والله لننصرن الله - عز وجل - كما سمانا أنصارا.

وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى في كتاب وقعة الجمل، جملة أشعار وأراجيز في هذه الوقعة، منها (143/1 - 147) :

ص: 102

قول عبد الله بن سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

ومنا علي ذلك صاحب خبير*** وصاحب بدر يوم سالت كتابه

وصي النبي المصطفى وابن عمه*** فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه؟

وقول عبد الرحمن بن جعيل : -

العمرى لقد بايعتم ذا حفيظة*** على الدين معروف العفاف موقفا

عليا وصي المصطفى وابن عمه*** وأول من صلى أبا الدين والتقى

وقول ابن الهيثم بن تيهان، كان بدريا : -

قل للزبير وقل لطلحة إننا*** نحن الذين شعارنا الأنصار

نحن الذين رأيت قریش فعلنا*** يوم القليب أولئك الكفار

كنا شعار نبينا ودثاره*** يفديه منا الروح والأبصار

إن الوصي أماننا ودليلنا*** برح الخفاء وباحت الأسرار

وقول عمرو بن حارثة الأنصاري، وكان مع محمد بن الحنفية يوم الجمل، وقد لامه أبوه عليه السلام لما أمره بالحملة فتعاس :
أبا حسن أنت فصل الأمور*** بين بك الحل والمحرم

جمعت الرجال على راية*** بها أبناك يوم الوغى مقحم

ولم ينكص المرء من خيفة*** ولكن توالت له أسهم

فقال رويدا فلا تعجلوا*** فإني إذا رشقوا مقدم

فأعجلته والفتي مجمع*** بما يكره الوجل المحجم

سمى النبي وشبه الوصي *** ورايته لونها العندم

وقول رجل من الأزد :

هذا علي وهو الوصي *** أخاه يوم النجوى النبي

وقال هذا بعدي الولي *** وعاه واع ونسي الشقي

وخرج يوم الجمل غلام من بني ضبة شاب معلم من عسكر عائشة، وهو يقول :

نحن بني ضبة أعداء علي *** ذاك الذي يعرف قدما بالوصي

وفارس الخيل على عهد النبي *** ما أنا من فضل علي بالعمي

لكنني أنعى ابن عفان التقي *** أن الولي طالب ثار الولي

وقول سعيد بن قيس الهمداني - وكان من عسكر علي عليه السلام :

أية حرب ظهرت نيرانها *** وكسرت يوم الوغى مرآتها

قل للوصي أقبلت قحطانها *** فادع بها تكفيكها همدانها

هم بنوها وهم إخوانها

وقول زياد بن لبيد الأنصاري - من عسكر الأمام علي عليها السلام :

كيف ترى الأنصار في يوم الطلب *** إنا أناس لا نبالي من عطب

ولا نبالي في الوصي من غضب *** وإنما الأنصار جدلا لعب

هذا علي وابن عبد المطلب *** تنصره اليوم على من قد كذب

من يكسب البغي فيبئسما اكتسب

وقول حجر بن عدي الكندي :

يا ربنا سلم لنا عليا *** و سلم لنا المبارك المضيا

المؤمن الموحد التقيا *** ولا خطل الرأي ولا غويا

بل هاديا موقفاً مهديا *** واحفظه ربي واحفظ النبييا

فيه فقد كان له وليا *** ثم ارتضاه بعده وصيا

وقول خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين، وكان بدريا :

ليس بين الأنصار في حجة الحرب *** وبين العداة إلا الطعان

وقراع الكماة بالقضب البيض *** إذا ما تحطم المرآن

فأدعها تستجب فليس من الخز *** رج والأوس ياعلي جبان

يا وصي النبي قد أجلت الحرب *** الأعاذي وسادت الأضعان

واستقامت لك الأمور سوى *** الشام وفي الشام يظهر الإذعان

حسبهم منا رأوا وحسبك منا *** هكذا نحن حيث كنا وكانوا

وقوله أيضا :

أعائش خلي عن علي وعيبه *** بما ليس فيه إنما أنت والده

وصي رسول الله من دون أهله *** وأنت على ما كان من ذلك شاهده

وحبك منه بعض ما تعلمينه *** ويكفيك لو لم تعلمي غير واحده

إذا قيل ماذا عبت رميته *** بخذل ابن عفان وما تلك آبده

وليس سماء الله قاطرة وما *** الذاك وما الأرض الفضاء بمائده

وقول ابن بديل بن ورقاء الخزاعي :

يا قوم للحظة العظمى التي حدثت *** حرب الوصي وما للحرب من آسي

الفاصل الحكم بالتقوى إذا ضربت *** تلك القبائل أخماساً لأسداس

وقول عمرو بن أميمة يوم الجمل في خطبة الحسن بن علي عليه السلام بعد خطبة عبد الله بن الزبير:

حسن الخير ياشييه أبيه *** قمت فينا مقام خير خطيب

قمت بالخطبة التي صدع الله *** بهاعن أبيك أهل العيوب

وكشفت القناع فأفتضح الأمر *** واصلحت فاسدات القلوب

الست كابن الزبير لجج في القول *** وطاطا عنان فسل مريب

وأبى الله أن يقوم بمقام *** به ابن الوصي وابن النجيب

أن شخصاً بين النبي - لك الخير *** وبين الوصي غير مشوب

وقول زهير بن قيس الجعفي :

أضربكم حتى تقري لعلي *** خير قریش كلها بعد النبي

من زانه الله وسماه الوصي *** إن الولي حافظ ظهر الولي

كما القوي تابع أمر القوي

كتب الإمام علي عليه السلام إلى عامله في البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري بقدم طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة ليطلبوا بدم عثمان، وطلب منه أن يستوضح منهم سبب قدومهم وأن يدعوهم إلى الطاعة والرجوع إلى

الوفاء بالعهد والميثاق، فبعث عثمان أبا الأسود الدؤلي وعمران بن الحصين الخزاعي إلى عائشة ورهطها فكلماها وكلما طلحة والزبير ولما لم ينفع معهم النصيح والإرشاد قال أبو الأسود الدؤلي لعثمان بن حنيف (313/9-314):

يا ابن حنيف قد أتيت فانفر*** وطاعن القوم وجمال وأصبر

وأبرز لها مستلثماً وشمر

فقال ابن حنيف: اي والحرمين لأفعلن، وأمر مناديه فنأدى في الناس:

- السلاح السلاح!

فاجتمعوا إليه وقال أبو الأسود الدؤلي:

أتينا الزبير فداني الكلام*** وطلحة كالنجم أو أبعد

وأحسن قوليهما فادح*** يطيق به الخطب مستنكد

وقد وعدونا بجهد الوعيد*** فأهون علينا بما أوعدوا

فأن تلقموا الحرب بين*** فملقمها أحدها الأنكد

وأن عليا لكم مصحر*** ألا أنه الأسد الأسود

أما أنه ثالث العابدين*** بمكة والله لا يعبد

فرخوا الخناق ولا تعجلوا*** فأن غدا لكم موعد

برز علي عليه السلام يوم الجمل، فنأدى بالزبير:

يا أبا عبد الله، مرارة، فخرج الزبير، فتقاربا حق اختلفت أعناق خيلهما، فقال له علي عليه السلام:

- إنما دعوتك لأذكرك حديثاً قاله لي ولك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أتذكر يوم رآك وأنت معتنقي فقال لك : - أتجبه؟ قلت :
ومالي لا أحبه وهو أخي وابن خالي!

فقال (أما أنك ستحاربه وأنت ظالم له).

فاسترجع الزبير وقال :

أذكرتني ما أنسانيه الدهر.

ورجع إلى صفوفه، فقال له عبد الله ابنه،

لقد رجعت إلينا بغير الوجه الذي فارقتنا به!

فقال :

أذكرني علي حديثاً أنسانيه الدهر فلا أحاربه أبداً، وإني لراجع وتارككم منذ اليوم.

فقال له عبد الله :

ما أراك إلا جنت عن سيوف بني عبد المطلب، إنما السيوف حداد تحملها فتية أنجاد.

فقال الزبير : -

يلك المجني على حربه؟ أما أني حلفت أن لا أحاربه .

قال :

كفر عن يمينك؛ لا تتحدث نساء قريش أنك جنت، وما كنت جباناً .

ص: 108

فقال الزبير:

غلامى مكحول حر كفارة عن يميني،

ثم أنصل سنان رمحه وحمل على عسكر علي عليه السلام برمح لاسنان له فقال علي عليه السلام:

أفرجوا له فانه محرج.

ثم عاد إلى أصحابه، ثم حمل ثانية، ثم ثالثة، ثم قال لابنه:

أجبنا ويحك ترى.

فقال: لقد أعذرت (133/1 - 134).

لما أذكر علي عليه السلام الزبير بما ذكره به ورجع الزبير، قال:

نادي علي بأمر لست أنكره*** وكان عمر أيبك الخير مذحين

فقلت حسبك من عدل أبا حسن*** بعض الذي قلت منذ اليوم يكفين

تلك الأمور التي تخشى مغبتها*** والله أمثل في الدنيا وفي الدين

فاخترت عارا على نار مؤججة*** أني يقوم لها خلق من الطين

ولما أنصرف الزبير عن حرب علي عليه السلام، مر بوادي السباع فاتبعه عمر بن جرموز، وكان فاتكة، فسار ابن جرموز معه، فلما حضرت

الصلاة وقام الزبير إليها شد ابن جرموز عليه فقتله، وأخذ رأسه وخاتمه وسيفه، وجاء إلى علي عليه السلام، ولما علم الإمام أنه هو الذي قتله

قال:

ص: 109

- والله ما كان ابن صفية جبانة ولا لئيمة، ولكن الحين ومصارع السوء، ثم قال :

ناولني سيفه فناوله فهزه، وقال : -

سيف طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابن جرموز : - الجائزة يا أمير المؤمنين.

فقال :

أما أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ((بشر قاتل ابن صفية بالنار)) فخرج ابن جرموز خائبا وقال (135/1 - 136): -

اتيت عليا برأس الزبير ***أبغى به عنده الزلفه

فبشر بالنار يوم الحساب *** فبئست بشارة ذي التحفه

فقلت له أن قتل الزبير ***لولا رضاك من الكلفه

فان ترض ذلك فمناك الرضا *** وإلا فدونك لي حلفه

ورب المحلين والمحرمين ورب الجماعة والألفه

السيان عندي قتل الزبير *** وضرطة عنز بذي الجحفه

ثم خرج ابن جرموز على علي عليه السلام مع أهل النهروان، فقتله معهم فيمن قتل، وكان الزبير وطلحة قد قاما في الناس، فقالا : -

إن عليا إن يظفر فهو فناؤكم يا أهل البصرة فاجمعوا حقيقتكم، فإنه لا

ص: 110

يبقى حرمة إلا انتهكها، ولا حرمة إلا حكته، ولا ذرية إلا قتلها ولا ذوات خدر إلا سباهن، فقاتلوا مقاتلة من يحمي عن حرمة ويختار الموت على الفضيحة يراها في أهله.

فخرج من أهل البصرة شيخ صبيح الوجه، نبيل، عليه جبة وشيء، يحض الناس على الحرب، ويقول (255/1-256):

يا معشر الأزد عليكم أمكم ***فأنها ص لا تكم وصومكم

والحرمة العظمى التي تعمكم ***فاحضروها جدكم وحزمكم

وقال أبو مخنف : -

لم يقل أحد من رجاز البصرة قولاً كان أحب إلى أهل الجمل من قول هذا الشيخ، استقتل الناس عند قوله، وثبتوا حول الجمل، وانتدبوا فخرج عوف بن قطن الضبي؛ وهو ينادي :

ليس لثمان ثار إلا علي بن أبي طالب وولده.

فاخذ خطام الجمل وقال :

يا أم يا أم خلامني الوطن ***ولا أبتغي القبر ولا أبغي الكفن

من هاهنا معشر عوف بن قطن ***أن فاتنا اليوم علي فالغبين

أو فاتنا ابنه حسين وحسن ***إذا أمت بطول هم وحزن

ثم تقدم فضرب بسيفه حتى قتل، وتناول عبد الله بن أبيزي خطام الجمل، وكان من أراد الجد في الحرب وقاتل قتال مستميت يتقدم إلى الجمل فيأخذ بخطامه،

ص: 111

ثم شد على عسكر علي عليه السلام وقال :

أضربهم ولا أرى أبا حسن*** ها إن هذا حزن من الحزن

فشد عليه علي أمير المؤمنين عليه السلام بالرمح فطعنه فقتله وقال :

- قد رأيت أبا حسن، فكيف رأيته؟

وترك الرمح فيه.

وكان عمرو بن يثرب الضبي أخذ بخطام الجمل فدفعه إلى ابنه ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه علباء بن هيثم السدوسي فقتله عمرو، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه هند بن عمر الجملي فقتله عمرو، ثم دعا إلى البراز، فقال زيد بن صوحان العبدي لعلي عليه السلام :

يا أمير المؤمنين، إنني رأيت يد أشرفت علي من السماء وهي تقول : هلم إلينا، وأنا خارج إلى ابن يثرب، فإذا قتلني فادفني بدمي ولا تغسلني فإني مخاصم عند ربي، ثم خرج فقتله عمرو، ثم رجع إلى خطام الجمل مرتجزة يقول (1/258-259):

أرديت علباء وهندا في طلق*** ثم ابن صوصان خضيباً في علق

قد سبق اليوم لنا ماقد سبق*** والوتر منافي عدي ذا الفرق

والأشتر الغاوي وعمرو بن الحمق*** والفارس المعلم في الحرب الحنق

ذاك الذي في الحادثات لم يطق*** أعني عليا ليته فينامزق

وأن عمروة لما قتل من قتل وأراد أن يخرج لطلب البراز، قال للأزد :

- يا معشر الأزد إنكم قوم لكم حياء وبأس، وأني قدوترت القوم، وهم قاتلي، وهذه أمكم نصرها دين، وخذلانها عقوق ولست أخشى أن أقتل حتى أصرع، فإن صرعت فاستنقذوني.

فقال له الأزد :

ما في الجمع أحد نخافه عليك إلا الأشر.

قال :

فإياه أخاف.

فقيضه الله له، فقد علما جميعا فارتجز الأشر :

أني إذا ما الحرب أبدت *** وأغلقت يوم الوغى أبوابها

ومزقت من حنق أثوابها *** كناقدا ماها ولا أذناها

ليس العدو دوننا أصحابها *** من هابها اليوم فلن أهابها

الاطعنها أخشى ولا ضربها

ثم حمل عليه فطعنه فصرعه فحامت عنه الأزد فاستنقذوه فوثب وهو وقيد ثقيل فلم يستطع أن يدفع عن نفسه واستعرضه عبد الرحمن بن طود البكري، فطعنه فصرعه ثانية، ووثب عليه رجل من سدوس فأخذه مسحوبة برجله حتى أتى به عليا عليه السلام فناشده الله فقال :

يا أمير المؤمنين أعف عني فإن العرب لم تزل قائلة عنك إنك لم تجهز على جريح قط، فأطلقه، وقال :

ص: 113

إذهب حيث شئت، فجاء إلى أصحابه وهو لما به، ولما انكشفت الحرب شكرت أبنة عمرو بن يثربي الأزدي وعابت قومها، فقالت :

يا ضنب إنك قد فجعت بفارس *** حامي الحقيقة قاتل الأقران

عمرو بن يثرب الذي فجعت به *** كل القبائل من بني عدنان

لم يحمه وسط العجاجة قومه *** وحت عليه الأزدي أزد عمان

فلهم علي بذلك حادث نعمة *** ولحبهم احببت كل يمانى

لو كان يدفع عن منية هالك *** طول الأكف بذابل المرآن

أو معشر وصلوا الخطا بسيفهم *** وسط العجاجة والحتوف دوان

مانيل عمرو والحوادث جمعة *** حتي ينال النجم والقمران

لو غير الأشر ناله لندبته *** وبكيتته ما دام هضب أبان

لكنه من لا يعاب بقتله أسد الأسود وفارس الفرسان

وخرج عبد الله بن خلف الخزاعي، وهو رئيس البصرة وأكثر أهلها مالا وضياعا، فطلب البراز، وسأل أن لا يخرج إليه إلا علي عليه السلام، وارتجز فقال :

أبا تراب أدن مني فترا *** فإنني وأن إليك بشرا

وأن في صدري عليك عمرا

فخرج علي عليه السلام فلم يمهل أن ضربه ففلق هامته .

وروي أن شعاره عليه السلام كان في ذلك اليوم ((قسم لا ينصرون اللهم

انصرنا على القوم الناكثين)).

وفي اليوم الثالث خرج أول الناس عبد الله بن الزبير ودعا إلى المبارزة فبرز إليه الأشتر، فقالت عائشة :

من برز إلى عبد الله؟

قالوا :

-الأشتر.

فقالت :

وا ثكل أسماء .

فضرب كل منهما الآخر فجرحه، ثم اعتنقا فصرع الأشتر عبد الله وقعد على صدره، واختلط الفريقان، هؤلاء لينقذوا عبد الله وهؤلاء ليعينوا الأشتر.

وكان الأشتر طاوي ثلاثة أيام لم يطعم، وهذه عادته في الحرب، وكان أيضا شيخا عالي السن، فجعل عبد الله ينادي :

أقتلوني ومالكا***واقتلوا مالك معي

وأفلت ابن الزبير من تحته ولم يكد، فذلك قول الأشتر (1/262-263):

أعائش لولا أنني كنت طاويا***ثلاثا لألفيت ابن أختك هالكا

غداة ينادي والرجال تحوزه***بأضعف صوت اقتلوني ومالكا

فلم يعرفوه إذ دعاهم وغمه***خدت عليه في العجاجة باركا

فنجاه مني أكله وشبابه***وأنى شيخ لم أكن متماسكا

ص: 115

وقالت على أي الخصال جرعته***بقتل أتى أم ردة لا أبالكا

أم المحصن الزاني الذي حل قتله***فقلت لها لا بد من بعض ذلكا

والبيتان الأخيران جواب على سؤال عائشة من مالك بن الحارث الأشتر بعد انقضاء أمر الجمل، هو أنه هو الذي صنع بابن أختها ابن الزبير ما صنع فأجابها :

- نعم، ولولا أنني كنت طاوية ثلاثة أيام لا رحت أمة محمد منه، فذكرته بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قال : ((لا يحل دم مسلم إلا بأحد ثلاثة أمور :

كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حق))

فقال الأشتر :

على بعض هذه الثلاثة قاتلناه يا أم المؤمنين.

وقال ذلك الشعر.

وانتهى الحارث بن زهير الأزدي من أصحاب علي عليه السلام إلى الجمل ورجل آخذ بخطامه لا يدنوا منه أحد إلا قتله، فلما رآه الحارث بن زهير مشى إليه بالسيف وارتجز فقال لعائشة (264/1):

يا أمنا أحق أم نعلم***والأم تغذو ولدها وترحم

أما ترين كم شجاع يكلم***وتختلى هامته والمعصم

فاختلف هو والرجل ضربتين فكلاهما أثخن صاحبه.

فخرج خباب بن عمرو الراسبي، وهو من عسكر أهل البصرة (264/1):

أضربهم ولو أرى عليا***عممته أبيض مشرفيا

ص: 116

أربح منه معشرا غويا

فصمد عليه الأشر فقتله.

ثم تقدم عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو من أشراف قريش - وكان اسم سيفه (ولول) فارتجز فقال
(265/1) :

أنا ابن عتاب وسيفي ولول***والموت دون الجمل المجلل

طاف علي عليه السلام على أصحابه وهو يقرأ آيات من القرآن ما تشد من عزيمتهم ثم رفع مصحفه بيده فقال :-

من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إلى ما فيه، وله الجنة؟ ، فقام غلام اسمه (مسلم) عليه قباء أبيض، فقال :

أنا آخذه.

فنظر إليه علي عليه السلام وقال :

إن أخذته فيديك اليمنى تقطع فتأخذه بيدك اليسرى فتقطع ثم تضرب بالسيف حتى تقتل.

فقال :

لا صبر لي على ذلك.

فنادى علي ثانية، فقام الغلام، أعاد عليه القول، أعاد الغلام القول مرارة، حتى قال الغلام :

أنا آخذه، وهذا الذي ذكرت في الله قليل.

ص: 117

فأخذه وانطلق، فلما خالطهم ناداهم :-

هذا كتاب الله بيننا وبينكم فضربه رجل فقطع يده اليمنى فتناوله باليسرى فضربه آخر فقطع اليسرى فاحتضنه فضربه بأسيافهم حتى قتل، فقالت أم ذريح العبدية في ذلك (112/9):

يا رب إن مسلما أتاهم *** بمصحف أرسله مولاهم

للعدل والایمان قد دعاهم *** يتلو كتاب الله لا يخشاهم

فغضبوا من دمه ضباهم *** وأمهم واقفة تراهم

تأمرهم بالغي لا تنهاهم

وكان الإمام علي عليه السلام قد مر بطلحة وهو يكبد بنفسه، فوقف عليه فقال :-

أما والله إن كنت لأبغض أن أراكم مصرعين في البلاد، ولكن ما حتم واقع ثم تمثل (113/9-114):

وما تدري إذا أزمعت أمرا *** بأي الأرض يدركك المقييل

وما يدري الفقير متى غناه *** ولا يدري الغني متى يعيل

وما تدري إذا ألحقت شولا *** أنتج بعد ذلك أم تحيل

وقيل أن حكيم بن جبلة - ويعد أشجع العرب - أنه قطعت رجله يوم الجمل فأخذها بيده، وزحف على قاتله فضربه بها حتى قتله وهو يقول
(56/18):

ص: 118

يا نفس لا تراعي ***إن قطعت كراعي

إن معي ذراعي

فلا يعرف في العرب أحد صنع صنيعة.

دفع أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل رايته إلى محمد ابنه وقد استوت الصفوف وقال له :

احمل.

فتوقف قليلا، فقال له :

احمل.

فقال :

يا أمير المؤمنين أما ترى السهام كأنهما شآبيب المطر؟

فدفع في صدره فقال :

أدركك عرق من أمك.

ثم أخذ الراية فهزها، ثم قال :

اطعن بها طعن أبيك تحمد *** لا خير في الحرب إذا لم توقد

ثم حمل وحمل الناس خلفه فطحن عسكر البصرة، وبعد أن ضعضع أركان عسكر الجمل، دفع إلى محمد الراية وقال :

امسح الأولى بالأخرى، وهذه الأنصار معك، وضم إليه خزيمة بن ثابت ذا

الشهادتين، في جمع من الأنصار، كثر منهم من أهل بدر، فحمل حملات كثيرة أزال كما القوم عن مواقعهم وأبلى بلاء حسنا، فقال الأنصار :

يا أمير المؤمنين، لولا ما جعل الله - تعالى - للحسن والحسين لما قدمنا على محمد أحده من العرب.

فقال خزيمة بن ثابت فيه (243/1-245):

محمد ما في عودك اليوم وصمة*** ولا كنت في الحرب الضروس معدا

أبوك الذي لم يركب الخيل مثله*** علي، وسماك النبي محمدا

فلو كان حقا من أهلك خليفة*** الكنت، ولكن ذاك ما لا يرى بدا

وأنت بحمد الله أطول غالب*** السانا، وأنداها بما ملكت يدا

وأقربها من كل خير تريده*** قريش وأوفاها بما قال موعدا

وأطعنهم صدر الكمي برمحه*** وأكساهم للهام غضب مهند

سوى أخويك السيدين كلاهما*** من الأرض أو الأوج مرقى ومصعدا

ومن الأراجيز المحفوظة يوم الجمل لعسكر البصرة قول بعضهم (1254 - 255):

نحن بني ضبة أصحاب الجمل*** تنازل الموت إذا الموت نزل

ننعى ابن عفان بأطراف الأسل*** ردوا علينا شيخنا ثم بجل

الموت أحلى عندنا من العسل*** لا عار في الموت إذا حان الاجل

ان عليا هو من شر البدل*** إن تعدلوا بشيخنا لا يعتدل

أين الوهاد وشماريخ القلل

فأجابه رجل من عسكر الكوفة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام

نحن قتلنا نعثلا فيمن قتل ***أكثر من أكثر فيه أو أقل

أني يرد نعثل وقد قحل ***نحن ضربنا وسطه حتى انجدل

الحكمه حكم الطواغيت الأول ***أثر في الفيء وجافي في العمل

فأبدل الله به خير بدل ***أني أمرؤ مستقدم غير وكل

مشمر للحرب معروف بطل

ومن أراجيز أهل البصرة :

يا أيها الجند الصليب الإيمان ***قوموا قياما واستغيثوا الرحمن

أني أتاني خبر ذو ألوان ***أن علياًقتل ابن عفان

ردوا إلبناشيخنا كماكان ***يارب وأبعث ناصر لعثمان

يقتلهم بقوة وسلطان

فأجابه رجل من عسكر الكوفة :

أبت بيوت مذحج وهمدان ***بأن ترد نعثلا كماكان

خلقا سويا بعد خلق الرحمن ***وقد قضى بالحكم حكم الشيطان

وفارق الحق ونور الفرقان ***فذاق كأس الموت شرب الظمان

ومن الرجز المشهور المقول يوم الجمل، قاله أهل البصرة :

يا أمناعاش لا تراعي ***كل بنيك بطل المصاع

وحولك اليوم رجال شنوه***وحي همدان رجال الهبوه

والمالكيون القليلو الكبوه***والأزد حي ليس فيهم نبوه

وتختتم فقرة (وقعة الجمل) بقوله عليه السلام : (دماؤكم زعاق)، أي ملح.

وهذا وإن لم يكن من أفعالهم إلا أنه مما تدم به المدينة، ولا ذنب لأهلها في أنها بلاد الحمى والسباع، كما قال الشاعر (252/1):

بلاد بها الحمى وأسد عرينة***وفيها المعلي يعتدي ويجور

فأني لمن قد حل فيهاالراحم***واني لمن لم يأتهاالنذير

ولقوله عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة (185/2):

((ما لي ولقريش؟ والله لقد قاتلتهم كافرين، وأقاتلهم مفتونين)).

استشهد بقول هاشم بن عتبة المرقال، يذكر نفور أهل الكوفة إلى علي عليه السلام (188/2):

وسرنا إلى خير البرية كلها***على علمنا إنا إلى الله نرجع

نوره ي فضله ونجله***و الله ما نرجو وما نتوقع

ونخصف إخفاق المطي على الوجا***و الله ما نرجو و الله نرجع

دلفنا بجمع آثروا الحق والهدى***إلى ذي تقى فى نصره نتسرع

نكافح عنه والسيوف شهيرة***تصافح اعناق الرجال فتقطع

1- الوصي : - قبل الخوض في واقعة صفين أرى أن أذكر بعض الشعر الذي ذكر الإمام علي عليه السلام بعده وصيا بعد الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو واحد من الأدلة على أحقية الإمام بخلافة المسلمين .

ذكر نصر بن مزاحم بن يسار المنقري في كتابه (صفين) جملة من الأشعار

تتضمن تسميته عليه السلام بالوصي، وقال نصر بن مزاحم، قال زهير بن قيس الجعفي (197/1) :

فصلى الإله على أحمد***رسول الملوك تمام النعم

رسول الملوك ومن بعده***خليفتنا الغائم الدعم

عليا عنيت وصي النبي***بجالد عنه غواة الأمم

ومن الشعر المنسوب إلى الأشعث بن قيس :

أتانا الرسول رسول الإمام***فسر بمقدمه المسلمونا

رسول الوصي وصي النبي***له الفضل والسبق في المؤمنينا

بما نصح الله والمصطفى***رسول الإله النبي الأمينا

يجاهد في الحق لا ينثني *** جميع الطغاة مع الجاحدين

وصي النبي وذو صهره *** وسيف المنية في الظالمينا

وكم بطل ماجد قد أذاق *** منية حتف من الكافرينا

وكم فارس كان سال النزال *** فأب الى النار في الآيينا

فذاك علي إمام الهدى *** وغيث البرية والمقحمينا

وكان إذا ما دعا للنزال *** كليث عرين يزين العرينا

ومن الشعر المنسوب إلى الأشعث أيضا (148/1):

أنا الرسول رسول الوصي *** علي المهذب من هاشم

رسول الوصي وصي النبي *** وخير البرية في العالم

وزير النبي وذو صهره *** وخير البرية من قائم

له الفضل والسبق في الصالحات *** الهدي النبي به يأتي

محمدأ أعني رسول الإله *** وغيث البرية والخاتم

اجنبا عليا بفضل له *** وطاعة نصح له دائم

فقيه حلیم له صولة *** كليث عرين بهاسائم

حلیم عفيف وذو نجدة *** بعيد من الغدر والمأثم

1 - الوقعة : - بعد أن انتهى الإمام عليه السلام من وقعة الجمل قدم إلى الكوفة يوم الاثنين اثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة ست وثلاثين... ومعه أشرف الناس وأهل البصرة، استقبله أهل الكوفة وفيهم قراؤهم وأشرفهم فنزل

الرحبة وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلى فيه ركعتين ثم صعد المنبر وخطب وان علي عليه السلام حين قدم من البصرة نزع جرير، همدان، فجاء حتى نزل الكوفة؛ فأراد علي عليه السلام أن يبعث إلى معاوية رسولا فقال له جرير :

ابعثني إلى معاوية فإنه لم يزل مستتصحا وودا فأتيه فأدعوه علي أن يسلم لك هذا الأمر، ويجامعك علي الحق، علي أن يكون أميرة من أمرائك وعاملا من عمالك.

وعلى الرغم من معارضة الأشرع بعثه عليه السلام وقال له حين أراد أن يبعثه:

-إن حولي من أصحاب رسول الله عليه السلام من أهل الدين والرأي من رأيت، وقد اخترتك عليهم لقول رسول الله عليه السلام فيك : ((إنك من خير ذي يمن، أيت معاوية بكتابي، فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون وإلا فانبد إليه وأعلمه أنني لا أرضى به أميرة. وأن العامة لا ترضى به خليفة .

فانطلق جرير إلى الشام وسلم معاوية كتاب الإمام علي بن أبي طالب عليه

السلام بعد أن ألقى كلمة موجزة دعا إلى مبايعة الإمام علي عليه السلام.

فقرأه وأغتم بما فيه، وذهبت به أفكاره كل مذهب، وطاول صبرة بالجواب عن الكتاب، حتى كلم قوما من أهل الشام في الطلب بدم عثمان فأجابوه ووثقوا له. واستشار أخاه عتبة بن أبي سفيان، فقال له : -

استعن بعمر وبن العاص

فكتب إليه معاوية يستقدمه ليستشيريه، ولما قدم كتاب معاوية إلى عمرو استشار ابنه عبد الله ومحمد، فأشار عليه عبد الله بعدم الذهاب فيما أشار محمد عليه بالذهاب، فقال عمرو :

أما أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في ديني، وأنت يا محمد فأمرتني بما

هو خير لي في دنياي، وأنا ناظر. فلما جنه الليل رفع صوته وأهله يسمعون فقال (62/2-63):

تطاول ليلي بالهموم الطوارق*** وخوف التي تجلو وجوه العوائق

وإن ابن هندسالني أن أزوره*** وتلك التي فيها بنات البوائق

أتاه جرير من علي بخطة***أمرت عليه العيش ذات مضائق

فإن نال مني ما يؤمل رده***وان لم ينله ذل المطابق

فوالله ما أدري وماكنت هكذا***أكون ومهماقادني فهوسابق

أخادعه أن الخداع دنية***أم أعطيه من نفسي نصيحة وامق

أم أقعد في بيتي وفي ذاك راحة***الشيخ يخاف الموت في كل شارق

وقد قال عبد الله قولاً تعلقته***به النفس إن لم تقتطعني عوائق

وخالفه فيه أخوه محمد وإني لصلب العود عند الحقائق

على الرغم من نصيحة غلامه وردان بلزوم بيته بقوله :

فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك.

أقول، على الرغم من ذلك رحل إلى معاوية وهو يقول (36/2) :

ياقاتل الله ورداناً وقدحته ***أبدي لعمرك ما في النفس وردان

لما تعرضت الدنيا عرضت لها ***بحرص نفسي و الأطباع أدهان

نفسى تعف وأخرى الحرص يغلبها ***والمرء يأكل تبنا وهو غرثان

أما علي فدين ليس يشركه ***دنيا وذاك له دنيا وسلطان

فاخترت من طرفي دنيا على بصر ***وما معي بالذي أختار برهان

أنى لأعرف ما فيها وأبصره ***وأيضا لما أهواه ألوان

لكن نفسي تحب العيش في شرف وليس يرضى بذل العيش إنسان

عندما التقى معاوية في الشام قال له :

أبا عبد الله طرقتنا في ليلتنا ثلاثة أخبار ليس فيها ورد ولا صدر

قال عمرو :

وما ذاك؟

قال معاوية :

منها أن محمد بن حذيفة كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه، وهو من آفات هذا الدين، ومنها أن قيصرة زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام، ومنها أن عليا نزل الكوفة وقياً للمسير إلينا.

فقال عمرو :

ليس كل ما ذكرت عظيمة؛ أما ابن أبي حذيفة، فما يتعاضمك من رجل

ص: 127

خرج في أشياعه أن تبعث إليه رجلا يقتله، أو يأتيك به، وإن قاتل لم يضرك وأما قيصر فاهد له الوصائف وآنية الذهب والفضة، وسيلة المودعة، فإنه إليها سريع، وأما علي والله يا معاوية ما يسوى العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء، وإن له في الحرب لحظة ما هو لأحد من قريش، وإنه لصاحب ما هو فيه إلا أن تظلمه.

قال معاوية لعمرو:

- يا أبا عبد الله: إني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى الله وشق عصا المسلمين، وقتل الخليفة وأظهر الفتنة وفرق الجماعة وقطع الرحم.

فقال عمرو:

من هو؟

قال:

على...

قال:

والله يا معاوية ما أنت وعلي بحملي بعير، ليس لك هجرته ولا سابقته، ولا صحبته ولا جهاده، ولا فقهه ولا علمه، والله أن له - مع ذلك - لحظة في الحرب ليس لأحد غيره، ولكن قد تعودت من الله تعالى إحسانا وبلاء جميلا؛ فما تجعل لي إن شايعتك على حربه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟

قال:

حكمتك.

ص: 128

فقال :

مصر طعمة. فتلكأ عليه معاوية وقال له : -

- يا أبا عبد الله إني أكره لك أن تتحدث العرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا.

قال عمرو :

لا، لعمر الله ما مثلي يخدع، لأنا أكيس من ذلك.

قال معاوية :

إدن مني أسارك.

فدنا منه عمرو ليساره، فعرض معاوية أذنه وقال :

هذه خدعة! هل ترى في البيت أحده؟ ليس غيري وغيرك . فأنشأ عمرو يقول (64/2-66):

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل *** به منك دينافانظرن كيف تصنع

فان تعطني مصراً فأربح بصفقة***أخذت بها شيخا يضر وينفع

وما الدين والدنيا سواء وإنني *** لأخذ ما تعطي ورأسي مقنع

ولكنني أغضي الجفون وأنني ***الأخذ، كلا، والمخادع يخدع

وأعطيك أمراً فيه للملك قوة*** وأكفي أنزلت النعل أصرع

وتمنعني مصراً وليست برغبة*** وأنني بذا الممنوع قدما لمولع

ص: 129

فقال معاوية :

يا أبا عبد الله، أما تعلم أن مصر مثل العراق؟

قال :

بلى، ولكنها إنما تكون لي إذا كانت لك، إنما تكون لك، إذا غلبت عليا على العراق.

وقد كان أهل مصر بعثوا بطاعتهم إلى علي عليه السلام.

فلما حضر عتبة بن أبي سفيان، قال لمعاوية :

- أما ترضى أن تشتري عمرو مصر إن هي صفت لك؟ ليتك لا تغلب على الشام.

فقال معاوية : -

- يا عتبة بت عندنا الليلة.

فلما جن الليل على عتبة رفع صوته ليسمع معاوية، وقال (66/2-67) :

أيها المانع سيفاً لم يهز*** إنما ملت على خز وقر

إنما أنت خروف مائل*** بين ضرعين وصوف لم يجر

اعط عمرو إن عمرو تارك*** دينه اليوم لدنيا لم تحز

يالك الخير فزن من دره*** شخبة الأول وابعد ماغر

ز واسحب الذيل وبادر فوقها*** وانتهزها إن عمرو ينتهز

اعطه مصره وزده مثلها*** إنما مصر لمن عز فبز

ص: 130

واترك الحرص عليهاضلة***واشيب النار لمقروور يكرز

إن مصرا لعللي أولنا*** يغلب اليوم عليها من عجز

فلما سمع معاوية قول عتبة، أرسل إلى عمرو فأعطاه مصر.

وكان لعمرو بن العاص عم من بني سهم، وهو فتى شاب، وكان داهية حليمة، وجاءه من مصر فلما جاء عمرو بالكتاب مسرورة عجب الفتى، وقال :

ألا تخبرني يا عمرو بأي رأي نعش في قريش؟ أعطيت دينك وعفيت دينا غيرك! أتري أهل مصر - وهم قتلة عثمان - يدفعونها إلى معاوية وعلي حي؟ وأتراها إن صارت لمعاوية لأخذها بالحرف الذي قدمه في الكتاب؟

فقال عمرو :

يا ابن أخي إن الأمر لله دون علي ومعاوية. فقال الفتى (68/2-69) :

ألا ياهند أخت بني زياد***مي عمرو بداهية البلاد

رمي عمرو بأعور عبشمي*** بعيد القعر مغشي الكباد

له خدع يحار العقل منها***مزخرفة ص وائد للفضاد

فشط في الكتاب عليه صرفا***ينادي به بخدعته المنادي

وأثبت مثله عمرو عليه***كلا المرأين حية بطن واد

ألا يا عمرو ما أحرزت مصرا***ولا ملت الغداة إلى الرشاد

وفدت إلى معاوية بن حرب***فكنت بها كوافدقوم عاد

وأعطيت الذي أعطيت منها***بطرسي فيه نصح من مداد

ص: 131

ألم تعرف أبا حسين عليا*** وما نالت يده من الأعداي

عدلت به معاوية بن حرب*** ويا بعد البياض من السواد!

ويا بعد الأصابع من سهيل*** ويا بعد الصلاح من الفساد!

أتأمن أن تذال على خذب*** يحث الخيل بالأسل الحداد

ينادي بالنزال وأنت منه*** قريب فأنظرن من ذا تعادي

فقال عمرو:

يا ابن أخي، لو كنت عند علي لوسعيني، ولكني الآن عند معاوية .

قال الفتى:

انك لو لم ترد معاوية لم يردك؛ ولكنك تريد دنياه وهو يريد دينك.

وبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب فلحق بعلي عليه السلام فحدثه أمره فسر به وقربه، فغضب مروان وقال :

ما بالي لا أشتري كما أشتري عمرو؟ فقال معاوية : إنما يشتري الرجال لك. فلما بلغ عليا ما صنع معاوية قال (69/2-70) :

يا عجب لقد سمعت منكرا*** كذبا على الله يشين الشعرا

بشرق السمع ويعشي البصرا*** ما كان يرضى أحمدالأخبرا

أن يقرنوا وصيه والأبترا*** شاني الرسول والوصي الأخررا

ص: 132

كلاهما في جنده قد عسكرا *** قد باع هذا دينه فأفجرا
من ذا بدنيا بيعه قد خسرا *** يملك مصر إن أصاب الظفرا
ني إذا الموت دنا أو أحضرا *** شممت ثوبي أو دعوت قنبرا
قدم لوائي لا تؤخر حذرا *** الا يدفع الحذار ماقدرا ل
ما رأيت الموت موتا أحمرأ *** عبأت همدان وعبوا حميرا
حي يمانى يعظون الخطرا *** قرن إذا ناطح قرناً كسرا
قل لأبن حرب لا تدب الخمرأ *** ارود قليلاً أبو منك الضجرا
لا تحسبن يا ابن هند غمرأ *** وسل بنابدرا بنا وخيرا
يوم جعلناكم بيدي جزرا *** إذ وردوا المرقدموا الصدرأ
لوان عندي يا ابن هند جعفرأ *** أو حمزة القرم السهام الأزهرأ
رأت قريش نجم ليل أظهرأ

ودعا معاوية بعض أصحابه وخاصته من رؤوس قحطان واليمن وبني عم شرحبيل بن السمط، فأمرهم أن يلقوه ويخبروه أن علياً قتل عثمان، فلما قدم كتاب معاوية على شرحبيل، وهو بحمص، استشار أهل اليمن فاختلفوا عليه، فقام إليه عبد الرحمن بن غنم الأزدي، وهو صاحب معاذ بن جبلة وختنه، وكان أفقه أهل الشام، ودعا شرحبيل أن يسير إلى علي عليه السلام فيبايعه عن الشام وقومه شرحبيل إلا أن يسير إلى معاوية، فكتب إليه عياض الشمالي، وكان ناسكاً (71/2-72):

يا شرح يا ابن السمط إنك بالغ ***بود علي ما تريد من الأمر
وشرح أن الشام شامك ما بها ***سواك فدع عنك المضلل من فھر
فإن ابن هند ناصب لك خدعة*** تكون علينا مثل راغية البكر
فان نال ما يرجوبنا كان ملكنا*** هنيئا له، والحرب قاصمة الظهر
فلا تبغين حرب العراق فإنها*** تحرم أطهار النساء من الزھر
وإن عليا خير من وطئ الثرى*** من الهاشميين المدارك للوتر
له في رقاب الناس عهد وذمة*** كعهد أبي حفص وعهد أبي بكر
فبايع ولا ترجع على العقب كافرا*** أعيدك بالله العزيز من الكفر
ولا تسمعن قول الطغاة فإنهم*** يريدون أن يلقوك في لجة البحر
وماذا عليهم أن تطاعن دونهم*** وكنا بحمد الله من ولد الطھر
وإن غلبوا لم يصل بالخطب غيرنا*** وكان علي حربنا آخر الدهر
يهون على عليا لؤي بن غالب*** دماء بني قحطان في ملككم تجري
فدع عنك عثمان بن عفان إنما*** لك الخير لا تدري بأنك لا تدري
على أي حال كان مصرع جنبه*** فلا تسمعن قول الأعيور أو عمرو
ولما أبطأ جرير عند معاوية على الإمام كتب إلى جرير بعد ذلك :

"أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم، ثم خيره بين حرب مجلية أو سلم محظية فإن اختار الحرب فانبذله، وإن اختار السلم فخذ بيعته".

فلما انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية فأقرأه الكتاب، فقال له : يا معاوية أنه لا يطبع على قلب إلا بذنب، ولا يشرح صدر إلا بتوبة، ولا أظن قلبك إلا مطبوعة، أراك وقفت بين الحق والباطل كأنك تنتظر شيئا في يدي غيرك.

فلما بايع أهل الشام وذاقهم قال معاوية :

يا جرير الحق بصاحبك.

وكتب إليه وكتب أسفل كتابه بقول كعب بن جعيل شاعر أهل الشام (127/2-128):

أرى الشام تكره أهل العراق *** وأهل العراق لهم كارهونا

وكل لصاحبه مبغض *** يرى كل ما كان من ذلك دينا

إذا مارمونا رميناهمو *** وداهمو مثلما يقرضونا

وقالوا علي إمام لنا *** فقلنا رضينا ابن هند رضينا

وقالوا نرى أن تدينوا لنا *** فقلنا ألا لانرى أن ندينا

ومن دون ذلك خرط القتاد *** وطعن وضرب يقر العيوننا

وكل يسر بما عنده *** يرى غث ما يديه سمينا

ومافي علي المستعتب *** مقال سوى ضمير المحدثينا

وإيثاره اليوم أهل الذنوب *** ورفع القصاص من القاتلينا

إذا سيل عنه هذا شبهة *** وعمى الجواب على السائلينا

فليس براض ولا ساخط *** ولا في النهاية ولا الأمرينا

ص: 135

ولا هوساء ولا سرء***ولا بد من بعض ذا أن يكونا

وكان مع الإمام علي عليه السلام رجل من طي، ابن أخت لجرير، فحمل زهير بن قيس (حامل كتاب الإمام إلى جرير) شعرة له إلى خاله جرير وهو (71/3-72):

جرير بن عبد الله لا تردد الهدى***وباع عليا إنني لك ناصح

فإن علياخير من وطئ الحصا***سوى أحمد، والموت غار ورائح

ودع عنك قول الناكثين فإنما***أولاك - أبا عمرو - كلاب نوابح

وباع إذا بايعته بنصيحة***ولا يك منها في ضميرك قادح

فإنك إن تطلب به الدين يقضه***وإن تطلب الدنيا فإنك رابح

وان قلت عثمان بن عفان حقه***علي عظيم والشكور مناصح

وحق عليا إذ وليك كحقه***وشرك ما أوليت في الناس صالح

وإن قلت لا أرضى عليا إمامنا***فدع عنك بحرأضل فيه السوابح

أبي الله إلا أنه خير دهره***وأفضل من ضمت عليه الأباطح

وكان جرير بن عبد الله البجلي قد خطب في أهل همدان فأخبرهم أن الولاية تمت لعلي عليه السلام غير أن (طلحة والزبير نقضا بيعته ...)
وألبا عليه الناس ثم لم يرضيا حتى نصبوا له الحرب، ثم قال (72/3-73):

أناكتاب علي فلم***نرد الكتاب بأرض العجم

ولم نعص مافيه لما أتى***ولماندم ولما نلم

ونحن ولاية على نغرنا ***نضيم العزيز ونحمي الذمم
نساقيهم الموت عند اللقاء *** بكأس المنايا ونشفي القرم
طحاهم طحنه بالقنا *** وضرب سيوف تطير اللمم
مضينا يقينا على ديننا *** ودين النبي مجلي الظلم
أمين الإله وبرهانه *** وعدل البرية والمعتصم
رسول المللك ومن بعده *** خليفتنا القائم المدعم
علي عنيت وحي النبي *** نجالد عنه غواة الأمم
له الفضل والسبق والمكرمات *** وبيت النبوة لا يهتضم
فسر الناس بخطبة جرير وشعره.

وقال ابن الأزور القسري في جرير يمدحه في ذلك (73/3):

لعمر أبيك والأنباء تنمى *** لقد جلي بخطبته جرير
وقال مقالة جدعت رجالا *** من الحيين خطبهم كبير
بدايك قبل أمته علي *** وفك أن أردت الحق رير
أتاك بأمره زحر بن قيس *** وزحر بالتي حدثت خبير
فكنت بما أتاك به سميعا *** وكدت إليه من فرح تطير
فأنت بما سعدت به وزير *** ونعم المرء أنت له أمير
فأحرزت الثواب، ورب حاد *** حادا بالركب ليس له بعير
ليهنك ما سقيت به رجال *** من العلياء والفضل الكبير

وبعد أيام من خطبته جرير ودعوته أهل الشام ومعاقبة إلى مبايعة علي عليه السلام خطب معاوية في أهل الشام ودعاهم إلى الأخذ بثأر عثمان وإلى مبايعته، فقام أهل الشام فأجابوه إلى الطلب بدم عثمان، فلما أمسى معاوية أغتم بما هو فيه وجنه الليل وعنده أهل بيته، فقال (73/3):

تطاول ليلي واعترتني وساوسي *** لا أتى بالترهات السبابس

أتانا جرير والحوادث جممة *** بتلك التي فيها أجتداع المعاطس

أكابده والسيف بيني وبينه *** ولست بأثواب الدني بلباس

إن الشام أعطت طاعة يمنية *** تواضعها أشياخنا في المجالس

فان يجمعوا أصدم عليا بجبهة *** تف عليها كل رطب ويابس

وأني لأرجو خير مانال نائل *** وما أنا من ملك العراق بايس

ألا يكون عند ظني بنصرهم *** وأن يخلفوا ظني كف عابس

اجتمع شرحبيل بجرير بن عبد الله البجلي عند حصين بن نمير بناء على طلب الأول فقال شرحبيل :

يا جرير . أتيتنا بأمر ملقف لتلقنا في لهوات الأسد، وارتدت أن تخلط الشام بالعراق، وأطريت عليا، وهو قاتل عثمان، والله سائلك عما قلت يوم القيامة.

فقال جرير : -

يا شرحبيل، أما قولك أني جئت بأمر ملقف، فكيف يكون ملقفا وقد أجمع عليه المهاجرون والأنصار، وقوتل علي رده طلحة والزبير! وأما قولك أني

ص: 138

القيك في لهوات الأسد، ففي طواقما ألقيت نفسك، وأما خلط أهل الشام بالعراق فخلطهما على حق خير من فرقتهما على باطل.

فبلغ ما قاله إلى معاوية فبعث إلى جرير فزجره... فكتب جرير كتابة إلى شرحبيل قال فيه (80/3-81):

شرحبيل يا ابن السمط لا تتبع الهوى*** فما لك في الدنيا من الدين من بدل

الاتك كالمجري إلى شر غاية*** فقد رق السربال واستنوق الجمل

وقل لأبن حرب مالك اليوم خلة*** تروم بها ما رمت وأقطع بها الأمل

شرحبيل أن الحق قد جد جدده*** فكُن فيه مأمون النديم من النفل

وأرود ولا تفرط بشي؛ نخافه*** عليك، ولا تعجل، فلا خير في العجل

مقال ابن هند في علي عضيهة*** ولله في صدر ابن أبي طالب أجل

وما من علي في ابن عفان سقطه*** بقول، ولا ما عليه ولا قتل

وما كان إلا لازما نصر بيته*** إلى أن أتى عثمان في داره الأجل

فمن قال قولاً غير هذا فحسبه*** من الزور والبهتان يعرض الذي أحتمل

وصي رسول الله من دون أهله*** ومن باسمه في أهله يضرب المثل

ولما قرأ شرحبيل الكتاب ذعر وفكر، وقال :

هذه نصيحة لي في ديني ودنياي، ولا والله لا أعجل في هذا الأمر بشيء في

نفسي منه حاجة، فاستشر له القوم.

ولف له معاوية الرجال يدخلون إليه ويخرجون، ويعظون عنده قتل عثمان

ويرمون به عليا، ويقيمون الشهادة الباطلة، والكتب المختلفة حتى أعادوا رأيه وشحدوا عزمه، وبلغ ذلك قومه فبعث ابن أخت له من بارق، وكان يرى رأي علي بن أبي طالب عليه السلام فبايعه بعد، وكان ممن لحق من أهل الشام، وكان ناسكة، فقال (81/3-82):

لعمر أبي الأشقي ابن هند لقد رمى *** شرحبيل بالسهم الذي هو قاتله

ولفق قوما يسحبون ذيولهم *** جميعا وأوى الناس بالذنب فاعله

فألقي يمانيا ضعيفة نخاعه *** إلى كل ما يهوى تحدى رواحله

فطأطأ لها المارموه بثقلها *** ولا يرزق التقوى من الله خاذله

اليأكل دنيا لأبن هند بدينه *** ألا وابن هند قبل ذلك آكله

وقالوا علي في ابن عفان خدعه *** ودبت إليه في الشنان غوائله

ولا والذي أوى ثبيرة مكانه *** لقد كف عنه كفه ووسائله

وما كان إلا من صحاب محمد *** وكلهم تغلي عليه مراجله

[ومع هذا كله] جعل شرحبيل يستنهض مدائن الشام حتى أستفرغها لا يأتي على قوم إلا قبلوا ما أتاهم به، فبعث إليه النجاشي بن الحارث وهو الذي حده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لشربه الخمر، وكان صديقا له (أي للنجاشي) فقال (83/3):

شرحبيل ما للدين فارقت أمرنا *** ولكن لبعض المالكي جرير

وشحناء دبت بين سعد وبينه *** فأصبحت كالحادي بغير بعير

وما أنت إذ كانت بجيلة عاقبت *** قريشأفيا لله بعد نصير

أتفضل أمرا عبت عنه بشبهة***وقد صار فيها عقل كل بصير

يقول رجال لم يكونوا أئمة***ولا للتي لهولها بحضور

وماقول قوم غائبين تقاذفوا***من الغيب ما ولاهم بغرور

ونترك أن الناس أعطوا عهدهم***عليا على أنس به وسرور

إذا قيل هاتوا واحدا تقتدونه***نظيرة له لم يفصحوا بنظير

لعلك أن تشقى الغداة بحربة***شرحبييل ماما جنته بصغير

ودخل شرحبييل بن السمط الأسود بن جبلة الكندي على معاوية وطالبه أن يعلن طلبه بدم عثمان، فنصحه جرير بن عبد الله - وكان حاضرة - بالتمهل ولكنه يئس من معاوية ومن عوام أهل الشام وكان معاوية قد أتى جريرة قبل ذلك في منزله فقال له : -

يا جرير، أني قد رأيت رأيا .

قال : - .

- هاته .

قال : - .

أكتب إلى صاحبك يجعل لي الشام ومصر جباية، فإذا حضرته الوفاة لم يجعل الأحد بعده في عنقي بيعة وأسلم له هذا الأمر، وأكتب إليه بالخلافة.

فقال جرير : -

أكتب ما أردت أكتب معك.

ص: 141

فكتب علي عليه السلام إلى جرير : -

- أما بعد فإنما أراد معاوية أن لا يكون في عنقه بيعة، وأن يختار من أمره ما أحب، وأراد أن يريثك ويبطئك حتى يذوق أهل الشام، وأن المغيرة بن شعبة قد كان أشار علي أن أستعمل معاوية على الشام، وأنا حينئذ بالمدينة، فأبيت ذلك عليه، ولم يكن الله أن يراني أتخذ المضلين عضدة، فأن بايعك الرجل؛ وإلا فاقبل والسلام.

وفشا كتاب معاوية في العرب، فبعث إليه الوليد بن عقبة (84/3-85) :

معاوي إن الشام شامك فاعتصم*** بشامك لا تدخل عليك الأفاعيا

وحام عليها بالصوارم والقنا*** ولاتك موهون الذراعين واهيا

وأن عليا ناظر ما تحببه*** فأهدله حربا تشيب النواصيا

وإلا فسلم أن في السلم راحة*** لمن لا يريد الحرب فاختر معاويا

وأن كتابا يا ابن حرب كتبته*** على طمع، يزجي اليك الدواهيا

سألت عليا فيه مالن تناله*** ولو نلته لم يبق إلا لياليا

وسوف ترى منه التي ليس بعدها*** بقاء فلا تكثر عليك الأمانيا

أمثل علي تعتريه بخدعة*** وقد كان ما جرت من قبل كافيا؟

وكتب الوليد بن عقبة إلى معاوية أيضا يوقظه ويشير عليه بالحرب، وألا

يكتب جواب جرير (85/3-86) :

معاوي أن الملك قد جب غاربة*** وأنت بما في كفك اليوم صاحبه

ص: 142

أتاك كتاب من علي بخطه***هي الفصل فأختر سلمه أو تحاربه
فلاترج عند الواترين مودة***ولا تأمن اليوم الذي أنت راهبه
وحرابه أن حاربت حرب ابن حرة***وإلا فسلم لاتدب عقاربه
فأن علي غير ساحب ذيله***على خدعة ماسوغ الماء شاربه
وإلا ماما يريد وهذه***يقوم بها يوما عليه نوادبه
فلاتدع الملك والأمر مقبل***وتطلب ما أعيت عليك مذاهبه
فان كنت تنوي أن تجيب كتابه***فقبح ممليه وقبح كاتبه
وأن كنت تنوي أن ترد كتابه***وأنت بأمر لا محالة راكمه
فالق إلى الحي اليماني كلمة***تنال بها الأمر الذي أنت طالبه
تقول : أمير المؤمنين أصابه***عدو ومالاه عليه أقاربه
أفانين منهم قاتل ومحرض***بلا ترة كانت وآخر ساحبه و
كنت أميرة قبل بالشام فيكهم***فحسبي وإياكم من الحق واجبه
فجئوا، ومن أرسى ثبيرة مكانه***ندافع بحرا لاترد غواربه
فأقلل وأكثر مالها اليوم صاحب***سواك، فصرح لست ممن تواريه
وخرج جرير يوما يتجسس الأخبار؛ فإذا هو بسلام يتفلى على قعود له،
وهو يقول (86/3) :

حكيم وعمار الشجا ومحمد***وأشتر والمكشع جروا الد واهيا
وقد كان فيها للزبير عجاجة***وصاحبة الأذنى أثاروا الد واهيا

فأما علي فاستجار بيته*** فلا أمر فيها ولم يك ناهيا

فقل في جميع الناس ما شئت بعده*** فلوقلت أخطأ الناس لم تك خاطيا

وأن قلت عم القوم فيه بفتنة*** فحسبك من ذلك الذي كان كافيا

فقولاً لأصحاب النبي محمد: -*** وخصا الرجال الأقربين الأذانيا

أيقتل عثمان بن عفان بينكم*** على غير شيء ليس إلا تعاميا

فلانوم حتى نستبيح حريمكم*** ونخصب من أهل الشنان العواليا

فقال جرير :

يا ابن أخي من أنت؟

فقال : -غلام من قريش، وأصلي من ثقيف، إن ابن المغيرة بن الأخنس بن شريق، قتل مع عثمان يوم الدار.

فعجب جرير من شعره وقوله. وكتب بذلك إلى علي عليه السلام فقال علي عليه السلام :

والله ما أخطأ الغلام شيئا. وقد سبق أن نقلنا أنه لما بايع معاوية أهل الشام، وبعد أن ذاقهم قال :

يا جرير الحق بصاحبك.

وكتب إليه بالحرب وكتب في أسفل الكتاب شعر كعب بن جعيل :

أرى الشام تكره أهل العراق*** وأهل العراق لهم كار هونا

وكتب مع جرير إلى علي جوابا عن كتابه إليه، مما قال فيه :

ص: 144

ولعمري ليس حججك علي كحججك علي طلحة والزبير، لأهما بايعاك ولم أبيعك، وما حججتك علي أهل الشام كحججتك علي أهل البصرة، لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام، فأما شرفك في الإسلام، وقربتك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وموضعك من قريش فلست أدفعه.

ثم كتب في آخر الكتاب شعر كعب بن جعيل الذي أوله (87/3 - 88) :

أرى الشام تكره أهل العراق *** وأهل العراق لهم كار هونا

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام جوابا عن كتابه، ومما قال فيه :

وبعد، فما أنت وعثمان؟ إنما أنت رجل من بني أمية، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه، فإن زعمت أنك أقوى علي ذلك فأدخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم الي. وأما تمييزك بينك وبين طلحة والزبير، وبين أهل الشام وأهل البصرة، فلعمري ما الأمر فيما هناك إلا سواء، لأنها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار، ولا يستأنف فيها النظر، وأما شرفي في الإسلام وقربتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضعي من قريش، فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته.

ثم دعا النجاشي، أحد بني الحارث بن كعب، أن يرد علي ابن جعيل، شاعر أهل الشام، فقال النجاشي يجيبه (89/3) :

دعايا معاوي مالم يكونا *** فقد حقق الله ما تحذرونا

أتاكم علي بأهل العراق *** وأهل الحجاز فما تصنعونا

علي كل جرداء خيفانه *** وأشعث نهد يسر العيوننا

عليها فوارس مخشية *** كأسد العرين جمين العرينا
يرون الطعان خلال العجاج *** وضرب الفوارس في النقع دينا
همو هزموا الجمع جمع الزبير *** وطلحة والمعشر الناكثين
وأكوا يمينا على حلقة *** لنهدي إلى الشام حربا زبونا
تشيب النواهد قبل المشيب *** وتلقي الحوامل منها الجنينا
فان تكرهوا الملك ملك العراق *** فقد رضي القوم ما تكرهونا
فقل للمضل من وائل *** ومن جعل الغث يوما سميना
جعلتم عليا وإشباعه *** نظير ابن هند أما تستحونا؟
إلى أفضل الناس بعد النبي *** وصنو الرسول من العالمينا
وصهر الرسول ومن مثله *** إذا كان يوم يشيب القرونا
قبل أن نبدأ بشعر ورجز الحرب نرى مواصلة أسبابها ومحفزاتها وأستنهاض الهمم في كلا الجانبين؛ إذ قال نصر بن مزاحم:
لما قتل عثمان ضربت الركبان إلى الشام بقتله، فيها معاوية يوما إذا أقبل
الحجاج بن خزيمة بن الصمة فقال رجة ومعاوية يسمع (91/3):
أن بني عمك عبد المطلب *** هم قتلوا شيخكم غير كذب
وأنت أولى الناس بالوثب فنب *** وأغضب معاوي للإله واحتسب
وسر بناسير الجرير المثليب وأنهض بأهل الشام ترشد وتصب
ثم أهزز الصعدة للشأس الشغب

ثم قال الحجاج لمعاوية :

- إنك لتقوى على علي بدون ما يقوى به عليك؛ لأن معك قوما لا يقولون إذا قلت، ولا يسألون إذا أمرت؛ وإن مع علي قوما يقولون إذا قال ويسألون إذا أمر، فقليل ممن معك خير من كثير ممن معه. فضاق معاوية صدره بما أتاه، وندم على خذلان عثمان وقال (93/ 92/3)

أتاني أمر فيه للنفس غمة***وفيه بكاء للعيون طويل

وفيه فناء شامل وخزاية***وفيه أجتداع للأنوف أصيل

مصاب أمير المؤمنين وهرة***تكاد له صم الجبال تزول

فلله عينا من رأى مثل هالك***أصيب بلا ذنب وذاك جليل

تداعت عليه بالمدينة عصابة***فريقان منهم قاتل وخذول

دعاهم فصموا عنه عند دعائه***وذاك على ما في النفوس دليل

ندمت على ما كان من تبغى الهوى***وقصري فيه حسرة وعويل

سأبغى أبا عمرو بكل مثقف***وبيض لها في الدارعين صليل

ترككتك للقوم الذين هم هم***شجاك فماذا بعد ذاك أقول؟

فلمست مقيما ما حييت ببلدة***أجربها ذيلي وأنت قتيل

فلا لوم حتى شجر الخيل يالقنا***ويشفي من القوم الغواة غليل

ونطحنهم طحن الرحابثقالها***وذاك بما أسدوا إليك قليل

ص: 147

فاما التي فيها مودة بيتنا***فليس اليها ما حيت سبيل

سألتهما حرباً عواناً ملحة***وأني بها من عامنا لكفيل

وكتب الوليد بن عقبة إلى معاوية يستبطنه في الطلب بدم عثمان ويحرضه

وينهاه عن قطع الوقت بالمكاتبة (94/3):

ألا أبلغ معاوية بن حرب***فأنك من أخي ثقة مليم

قطعت الدهر كالسدم المعنى***تهدر في دمشق ولا تريم

فأنك والكتاب إلى علي**كدا بغة وقد حلم الأديم

فقومك بالمدينة قد تردوا***فهم صدعى كأنهم الهشيم

فلو كنت المصاب وكان حيا***تجرد لا الف ولا سؤوم

يهنك الأماراة كل ركب***عن الأفاق سيرهم الرسم

لك الويلات أقحمها عليهم***فحير الطالبى الثرة الغشوم

فكتب معاوية إليه الجواب بيتا من شعر أوس بن حجر (95/3):

ومستعجب مما يرى من أناتنا***ولو وبنته الحرب لم يترمم

وقدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب على معاوية بالشام، فقال له معاوية :

يا ابن أخي أن لك أسم أيبك فأنظر بملء عينيك وأنطق بملء فيك فأنت المأمون المصدق، فاصعد المنبر وأستم علي، وأشهد عليه أنه قتل عثمان.

فقال :

أيها الأمير، أما شتمه فإن أباه أبو طالب، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم،

فما عسى أن أقول في حسبه؟ وأما بأسه فهو الشجاع المطرق، وأما أيامه فما قد عرفت، ولكنني ملزمه دم عثمان فلما خرج عبيد الله بن عمر من معاوية، قام خطيبة فتكلم بحاجته، ولما انتهى إلى أمر علي أمسك ولم يقل شيئاً، فلما نزل بعث إليه معاوية وقال له :

يا ابن أخي؛ أنك بين رعي وخيانة .

فبعث إليه :

إني كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان. وعرفت أن الناس محتملوها مني فتركته.

فهجره معاوية واستخف به وفسقه، فقال عبيد الله (101/3):

معاوي لم أحرص بخطبة خاطب*** ولم أك غيان لؤي بن غالب

ولكنني زاولت نفساً أبيه*** على قذف شيخ بالعراقين غائب

وقذفي علي بن عفان جهرة*** يجدع بالشحنا أنوف الأقارب

فأما انتقافي أشهد اليوم وثبة*** فلست لكم فيها ابن حرب بصاحب

ولكنه قد قرب اليوم جهده*** ودبوا حوالبه ديب العقارب

فما قال أحسنتم ولا قد أسأتم*** أصيب بريئاً لا بأثوب تائب

حرام على أهاله تنف شعره*** فكيف وقد جازوه ضربة لازب

وقد كان فيها للزبير عجاجة*** وطلحة فيها جاهد غير لاعب

وقد أظها من بعد ذلك توبة*** فياليت شعري ما هما في العواقب

ص: 149

عندما نزل الإمام علي عليه السلام في الكوفة بعد حرب الجمل قال شن بن عبد القيس في ذلك (107/3):

قل لهذا الإمام قد خبت الحر***ب وتمت بذلك النعماء

وفرغنا من حرب من تقض ال***عهد وبالشام حية صماء

تنفث السم ما لمن نهشته***فارمها قبل أن تعض شفاء

إنه والذي يحج له النا***س ومن دون بيته البيداء

الضعيف النخاع إن رمي اليو***م بخيل كأنها الأشلاء

جانحات تحت العجاج سخالا***ممهضات تخالها الأسلاء

تتبارى بكل أصيد كالفحل***بكفيه صعدة سمراء

ثم لا ينثني الحديد ولما***يخضب العاملين منها الدماء

إن تذره فما معاوية الدهر***بمعطيك ما أراك تشاء

ولليل السماك أقرب من ذا***ك ونجم العيوق والعواء

فاضرب المد والحديد إليهم***ليس والله غ ير ذا الأدواء

وأيام كان جرير البجلي عند معاوية ينتظر جوابه كتب معاوية وعمرو بن العاص كتابا إلى أهل مكة والمدينة يستعديا هم فيه على علي عليه السلام، فكتب إليهما عبيد الله بن عمر بن الخطاب (109/3-110):

-أما بعد، فلعمري لقد أخطأتما موضع النصره وتناولتماها من مكان بعيد؛ وما زاد الله من شك في هذا الأمر بكتابتكما إلا شكا وما أنتما والمشورة، وما أنتما والخلافة؟

أما أنت يا معاوية فطليق وأما أنت يا عمرو فظنين ألا فكفا أنفسكما، فليس لكما فينا ولي ولا نصير، والسلام، وكتب رجل من الأنصار إليهما مع كتاب عبد الله بن عمر :

معاوي إن الحق أبلج واضح*** وليس بما ربصت أنت ولا عمرو

تصب ابن عفان لنا اليوم خدعة*** كما نصبت الشيخان إذ قضى الأمر

فهذا كذاك البلا حذو فعله*** سواء كرقاق يقربه الشعر

رميتم عليا بالذي لا يضيره*** وإن عظمت فيه المكيدة والمكر و

ما ذنبه إن نال عثمان معشر*** أتوه من الأحياء تجمعهم مصر

فشار إليه المسلمون ببيعة*** علانية ما كان فيها لهم قسر

وبايعه الشيخان ثم تحملا*** إلى العمرة العظمى وباطنه الغدر

فكان الذي قد كان مما اقتصاصه*** يطول، فيا لله ما أحدث الدهر

وما أنتما والنصر منا وأنتما*** بعيثا حروب ما يبوخ لها جمر

وما أنتما لله در ابيكما*** وذكركما الشورى وقد وضع الفجر

وفي أيام نزول الإمام علي عليه السلام في الكوفة قام عدي بن حاتم الطائي إلى علي عليه السلام فقال :

يا أمير المؤمنين إن عندي رجلا لا يوازي به رجل وهو يريد أن يزور ابن عمه حابس الطائي بالشام، فلو أمرناه أن يلقي معاوية لعله يكسره أو

يكسر أهل الشام فقال علي عليه السلام : نعم.

فأمره عدي بذلك، وكان اسم الرجل خفاف بن عبد الله.

فقدم على ابن عمه حابس بن سعد بالشام - وحابس سيد طي كما - فحدث خفاف حابسة أنه شهد عثمان بالمدينة وسار مع علي إلى الكوفة، وكان الخفاف لسان وهياة، فغدا حابس بخفاف إلى معاوية فحدثه بالتفصيل عن مقتل عثمان وبراأ ساحة الإمام علي عليه السلام من قتله.

فذعر معاوية من قوله، وقال حابس:

- أيها الأمير لقد أسمعني شعر غير به حالي في عثمان، وعظم به عليا فقال معاوية:

- أسمعنيه يا خفاف.

فأنشده (111/3-112):

قلت والليل ساقط الأكتاف*** ولجنبي عن الفراش تجافني

أرقب النجم مانلا ومشى الغم***ض بعين طويلة التذراف

ليت شعري وإنني لسؤول***هل لي اليوم بالمدينة شافي

من صحاب النبي إذ عظم الخط***بوفيهم من البرية كاف

أحلال دم الإمام بذب***أم حرام بسنة الوقاف

قال لي القوم لا سبيل إلى ما***تطلب اليوم قلت: حسب خفاف

عند قوم ليسوا بأوعية العلم***ولا أهل صحة وعفاف

قلت، لما سمعت قولاً: دعوني***إن قلبي من القلوب الضعاف

ص: 152

قد مضى ما مضى ومر به الدهر *** كما مر ذاهب الأسلاف
إنني والذي يحج له الناء *** س علي محق البطون العجاف
فتبارى مثل القسي من النبع *** بشقة من الرصاف نحاف
ارهب اليوم إن أتاك علي *** صيحة مثل صيحة الأحقاف
إنه الليث عاديا وشجاع *** مطرق نافث بسم زعاف
فارس الخيل كل يوم نزال *** ونزال الفتى من الإنصاف
واضع السيف فوق عاتقه الأي *** من يذري به شؤون القحاف
لا يرى القتل في الخلاف عليه *** ألف ألف كانوا من الإسراف
سوم الخيل ثم قال لقوم *** تابعوه إلى الطعان خفاف
استعدوا لحرب طاغية الشاء *** م، فلبوه ك البنين اللطاف
ثم قالوا أنت الجناح لك الري *** ش القدامى ونحن منه الخوافي
أنت وال وأنت والدنا البر *** ونحن الغداة كالأخفاف
وقرى الضيف في الديار قليل *** قد تركنا العراق للأنحاف
وهم ماهم إذا نشب البأس *** ذوو الفضل والأمو الكوافي
وانظر اليوم قبل نادبة القوم *** بسلم أردت أم بخلاف
إن هذا رأي الشفيق على الشام *** ولولاه ما خشيت مشاف
فانكسر معاوية وقال :

- يا حابس، إنني لا أظن هذا إلا عينا لعلني، أخرجك عنك لا يفسد أهل

الشام.

ولما رجع جرير إلى علي عليه السلام كثر قول الناس في التهمة لجرير في أمر معاوية، فاجتمع جرير والأشتر عند علي عليه السلام فقال الأشتر:

- أما والله يا أمير المؤمنين، أن لو كنت أرسلتني إلى معاوية، لكنت خيرا لك من هذا الذي أرخى خناقه وأقام عنده، حتى لم يدع بابا يرجو فتحه إلا فتحه، ولا بابا يخاف أمره إلا سده.

فقال جرير:

- لو كنت - والله - أتيتهم لقتلوك. وخوفه بعمرو، وذي الكلاع وحوشب بن ظليم، وقال:

- إنهم يزعمون أنك من قتلة عثمان.

فقال الأشتر:

- والله لو أتيتهم يا جرير لم يعيني جوابها، ولم يتقل علي محملهما، ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر، وقال (119/3) - (117):

لعمرك يا جرير لقول عمرو*** وصاحبه معاوي بالشام

وذي كلع وحوشب ذي ظليم*** أخف علي من ريش النعام

إذا اجتمعوا علي فخل عنهم*** وعن باز مخالفه دوام

ولست بخائف ماخوفوني*** وكيف أخاف أحلام النيام

وهمهم الذي حاموا عليه*** من الدنيا، وهمي ما أمامي

ص: 154

فإن أسلم أعممهم بحرب*** يشيب لهولها رأس الغلام

وإن أهلك فقد قدمت أمرا*** أفوز بفلجه يوم الخصام

وقد زادوا علي وواعدوني*** ومن ذامات من خوف الكلام

وكتب مصقلة إلى نعيم بن هبيرة الشيباني، وهو من شيعة علي عليه السلام من الشام مع رجل من نصارى تغلب، يقال له حلوان :

- أما بعد، فإني كلمت معاوية فيك، فوعدك الكرامة، ومناك الإمارة فاقبل ساعة تلقى رسولي والسلام.

فأخذه مالك بن كعب الأرحبي فسرح به إلى علي عليه السلام فأخذ كتابه فقرأه ثم قدمه فقطع يده، فمات. وكتب نعيم إلى أخيه شعرة لم يرده عليه (146/3):

لا ترمين - هداك الله - معترضا*** بالظن منك فمابالي وحلوانا

ذاك الحريص على ما نال من طمع*** وهو البعيد فلا يورثك أحزاننا

ماذا أردت إلى إرساله سفها*** ترجوسقاط امرئ لم يلف وسنانا

عرضته لعلي إنه أسد*** يمشي العرضنة في آساد خفانا

قد كنت في خير مصطاف ومرتبِع*** نحمي العراق وتدعى خير شيبانا

حتى تقحمت أمراً كنت تكرهه*** للراكبين له سر وإعلانا

لو كنت أديت مال الله مصطبراً*** للحق زكيت أحياناً وموتانا

لكن لحقت بأهل الشام ملتمساً*** فضل ابن هند فذاك الرأي أشجانا

فاليوم تفرع سن العجز من ندم*** ماذا تقول وقد كان الذي كانا

أصبحت تبغضك الأحياء قاطبة*** لم يرفع الله بالعصيان إنسانا

ولما هرب مصقلة (بأموال المسلمين) قال أصحاب علي عليه السلام له : يا أمير المؤمنين، فيؤنا؟ قال : إنه قد صار على غريم من الغرماء فاطلبوه. وقال ظبيان بن عمارة، أحد بني سعد بن يزيد مناة في بني ناجية (147/3) :

هلا صبرت للقراع ناجيا*** والمرهفات تختلي الهواديا

والطعن في غوركم نواليا*** وصائبات الأسهم القواضيا

وقال ظبيان أيضا :

ألا فاصبرن للطعن والضرب ناجيا*** وللمرهفات يختلين الهواديا

فقد صب رب الناس حزيا عليكم*** وصبركم من بعد عشر مواليا

سجالكم بالخيل جردة عواديا*** وأخوتقة لا يبرح الدهر غازيا

فصبحكم في رحلكم وخيولكم*** بضرب يرى فيه المدجج هاويا

فأصبحتم من بعد عز وكثرة*** عبيد العصا لا تمنعون الذراريا

وعندما أراد الإمام علي عليه السلام المسير إلى صفين عارض رجل فزاري الإمام في مسيره فاشتد عليه القوم فهرب في سوق البراذين وحاول الاختفاء بينها إلا أن أصحاب الإمام عليه السلام قتلوه فقال شاعر بني تميم اللات بن ثعلبة (174/3):

ص: 156

أعوذ بربي أن تكون منيتي *** كما مات في سوق البراذين أريد

تعاوره همدان خفق نعالهم *** إذا رفعت عنه يد خفضت يد

وإن عبد الله بن معتم العبسي وحنظلة بن الربيع التميمي لما أمر علي عليه السلام الناس بالمسير إلى الشام دخلا عليه في رجال كثير من غطفان وبني تميم، وطلبا منه التريث وعدم العجلة، فخطب الإمام عليه السلام فيهم، ومما قاله عليه السلام:

- وأيم الله إني لأسمع كلام قوم ما أراهم يعرفون معرفة، ولا ينكرون منكرا.

فأشار قوم من رهط الإمام عليه السلام بعدم الأخذ بقول حنظلة وحبسه وصاحبه ثم بعث الإمام عليه السلام إلى حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب - وهو من الصحابة - فقال له:

يا حنظلة أنت علي أم لي؟

فقال:

- لا لك ولا عليك.

قال: فما تريد؟ قال:

- أشخص إلى الرها فإنه فرج من الفروج اصمد له حتى ينقضي هذا الأمر. ولما غضب قوم من قوله ذلك وأرادوا قتله طلب منهم إمهاله ليدخل داره

ص: 157

ويفكر، ولكن عندما حل المساء هرب إلى معاوية مع ثلاثة وعشرين رجلا من قومه وكذلك هرب معتم، ولكنهما لم يقاتلا مع معاوية واعتزلا الفريقين جميعا.

وأمر علي عليه السلام بدم دار حنظلة فهدمت، هدمها عريفهم شبت بن ربيعي وبكر بن تميم، فقال حنظلة يهجوها (176/3 - 177):

أيا راكبا أما عرضت فبلغن*** مغلفة عني سراة بني عمرو

فأوصيكم بالله والبر والتقوى*** ولا تنظروا في النائبات إلى بكر

ولا شبت ذي المنخرين كأنه*** أذب جمال قد رغا ليلة النضر

وقال أيضا يحرض معاوية بن أبي سفيان :

أبلغ معاوية بن حرب خطة*** ولكل سائلة نسيل قرار

لا تقبلن دنية ترضونها*** في الأمر حتى تقتل الأنصار

وكما تبوء دماؤهم بدمائكم*** وكما تهدم بالديار ديار

وترى نساؤكم يجلن حواسرة*** ولهن من ثقل الرحال شنار

لما وضع علي عليه السلام رجله في ركاب دابته يوم خرج من الكوفة إلى صفين، قال :

- بسم الله.

فلما جلس على ظهرها قال :

- ((سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين)) و ((إنا إلى ربنا المنقلبون)).

ص: 158

ثم خرج أمامه الحر بن سهم بن طريف، وهو يرتجز ويقول (3-166-167):

يا فرسي سيرى وأمي الشاما*** وقطعي الحزون والأعلا ما

ونابذي من خالف الإماما*** إني لأرجو أن لقين العاما

جمع بني أمية الطعاما*** أن تقتل العاصي والهاما

وأن نزيل من رجال هاما

وبلغ عمرو بن العاص مسيره فقال (169/3):

لا تحسبني يا علي غافلا*** لأوردن الكوفة القنابلا

بجمعي العام وجمعي قابلا

فبلغ ذلك عليا عليه السلام فقال (169/3):

لأوردنها العاصي بن العاصي*** سبعين ألفا عاقدني النواصي

مستحقيين حلق الدلاص*** قد جنبوا الخيل مع القلاص

أسود غيل حين لا مناص

بعد حوار بين الإمام علي عليه السلام وابن زينب ابن عون في أحقية دعوة الإمام وبطالان دعوى معاوية وقناعته بما يدعوه إليه الإمام عليه

السلام وكان عمار بن ياسر حاضرة فخرج وهو يقول (179/3):

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبي*** سيروا فخير الناس أتباع علي

هذا أوان حاب سل المشرفى*** وقودنا الخيل وهز السمهري

ولما عرف معاوية بعزم الإمام علي على الحرب كتب إليه يقول :

- وعافانا الله وإياك (313/3):

ما أحسن العدل والإنصاف من عمل *** وأقبح الطيش ثم النفس في الرجل

وكتب بعده :

اربط حمارك لا تنزع سويته *** إذا يرد وقيد العير مكروب

ليست ترى السيد زيدا في نفوسهم *** كما يراه بنوكوز ومرهوب

إن تسألوا الحق نعيم الحق سائله *** والدرع محقبة والسيف مقروب

أو تأنفون فإننا معشر أنف *** لا نطعم الضيم إن السم مشروب

وقد أروح أمام الحي يقدمني *** صافي الأديم كمثل اللون منسوب

مجنب مثل شاة الريل محترف *** بالقصر بين على أولاه مصبوب

يبدو ملجمه هاويه تلح *** كأنه من جذوع العين مشذوب

فذاك ذخري إذا ما خيلهم ركضت *** إلى المثوب أو معاء سرحوب

فأمر علي عليه السلام أن يوزع الناس على القتال، حتى أخذ أهل الشام مصافهم ثم قال : أيها الناس، إن هذا موقف، من نطف فيه نطف يوم القيامة، ومن فلج فيه فلج يوم القيامة.

ثم قال لما رأى نزول معاوية بصفين :

لقد أتانا كاشرة عن نابه *** يهبط الناس على اعتزابه

فليأتنا الدهر بما أتى به

ص: 160

وكتب علي عليه السلام إلى معاوية جواب كتابه : - أما بعد (314/3):

فإن للحرب عراقشرا ***إن عليها قائدا عشذرا

ينصف من أحجر أو تنمرا ***على نواحيها مزجاً زمجرا

إذا ونين ساعة تغشمرا

وكتب بعده :

ألم تر قومي إن دعاهم أخوهم ***أجابوا، وإن يغضب على القوم يغضبوا

هم حفظوا غيبي كما كنت حافظا ***لقومي أخرى مثلها إن يغيبوا

بنو الحرب لم تقعد بهم أمهاتهم ***وأباؤهم آباء ص دق فأنجبوا

حتى إذا كان رجب، وخشي معاوية أن يتابع القراء عليا عليه السلام أخذ في المكر، وأخذ يحتال للقراء، لكيما يحجموا ويكفوا حتى ينظروا، فكتب في سهم : من عبد الله الناصح؛ إني أخبركم أن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم فخذوا حذرکم، ثم رمى بالسهم في عسكر علي عليه السلام، فوقع السهم في يد رجل فقراه ثم قرأه صاحبه وقرأته الناس وقرأه من أقبل وأدبر، قالوا: هذا أخ لنا ناصح؛ كتب إليكم يخبركم بما أراد معاوية؛ فلم يزل السهم يقرأ ويرتفع حتى رفع إلى علي عليه السلام. وقد بعث معاوية مني رجل من القملة إلى عاقول من النهر، بأيديهم المرور والذبل يحفرون فيها بحيال عسكر علي عليه السلام. فقال علي عليه السلام :

ص: 161

- ويحكم! إن الذي يعالج معاوية لا يستقيم له ولا يقوى عليه، إنما يريد أن يزيلكم من مكانكم.

ونصحهم أن لا ينخدعوا بمكر معاوية، ولكنهم ارتحلوا وصعدوا بعسكرهم ملية، وارتحل علي عليه السلام في أخريات الناس، وهو يقول (18/4-19):

فلو أني أطعت عصمت قومي *** إلى ركن اليمامة أو شام

ولكنني متى أبرمت أمرا *** منيت بخلف آراء الطغام

ولما خلا المكان نزل معاوية وعسكر فيه.

بعد أن استولى معاوية على الفرات ذهب شباب من الناس إلى أن يستقوا

فمنعهم أهل الشام فقام رجل ذلك اليوم من أهل الشام يعرف بالشليل بن عمر إلى معاوية، فقال (319/3):

اسمع اليوم ما يقول الشليل *** إن قولي قول له تأويل

امنع الماء من صحاب علي *** أن يذوقوه فالذليل ذليل

واقتل القوم مثلما قتل الشيخ *** صدى فالقصاص أمر جميل

إننا والذي تسامى له البدن *** هدايا كأنهن الغيول

لو علي وصحبه وردوا الماء *** لما ذقتموه حتى تقولوا

قد رضينا بأمركم وعلينا *** بعد ذاك الرضا جلاذ ثقیل

فامنع القوم ماؤكم ليس للقوم *** بقاء وإن يكن قليل

ثم قام رجل من أهل الشام همداني ناسك يتأله ويكثر العبادة، يعرف بمعدى

بن أقبال، وكان صديقاً لعمر بن العاص وأخاه، فطلب من معاوية السماح لأهل العراق من الاستقاء من الفرات وقال له :

- إنهم لو سبقوكم إليه لسقوكم منه.

فأغلظ له معاوية، وقال لعمر بن العاص :

- اكفني صديقك.

فأتاه عمرو فأغلظ له، فقال الهمداني في ذلك شعرا (320/3-321):

لعمري أبي معاوية بن حرب *** وعمرو مالدائهما دواء

سوى طعن يحار العقل فيه *** وضرب حين تختلط الدماء

ولست بتابع دين بن هند *** طوال الدهر ما أرسى جراء

لقد ذهب العتاب فلا عتاب *** وقد ذهب الولاء فلا ولاء

وقول في حوادث كل خطب *** على عمرو وصاحبه العفاء

ألا لله درك يابن هند *** لقد برح الخفاء فلا خفاء

أتحمون الفرات على رجال *** وفي أيديهم الأسل الظماء

وفي الأعناق أسياف حداد *** كأن القوم عندهم نساء

أترجو أن يجاوركم علي *** بلا ماء وللأحزاب ماء

دعاهم دعوة فأجاب قوم *** كحرب الإبل خالطها الهناء

ثم سار الهمداني في سواد الليل حتى لحق بعلي عليه السلام.

لما اغتم علي عليه السلام بما فيه أهل العراق من العطش، خرج ليلا قبل

رايات مدحج، فإذا رجل ينشد شعر (321/3 - 322):

أيمنعنا القوم ماء الفرات*** وفينا الرماح وفينا الجحف

وفينا الشوازي مثل الوشيح*** وفينا السيوف وفينا الزعف

وفينا علي له سورة*** إذا خوفه الردي لم يخف

ونحن الذين غداة الزبير*** وطلحة خضنا غمار التلف

فما بالنا أمس أسد العرين*** وما بالنا اليوم شاء النجف

فما للعراق وما للحجاز*** سوى الشام خصم فصكوا الهدف

فثوروا عليهم كبزل الجمال*** دوين الدميل وفوق القطف

فإما تفوزوا بماء الفرات*** ومثواه منهم عليه جيف

وإما تموتوا على طاعة*** تحل الجنان وتحبو الشرف

وإلا فأنتم عبيد العصا*** وعبد العصا مستذل نطف

فحرك ذلك علي عليه السلام، ثم مضى إلى رايات كندة فإذا إنسان ينشد إلى جانب منزل الأشعث وهو يقول (322/3 - 323):

لئن لم يحل الأشعث اليوم كربة*** و من الموت فيها للنفوس تعنت

فنشرب من ماء الفرات بسيفه*** فهبنا أناس قبل ذاك فموت

فإن أنت لم تجمع لنا اليوم أمرنا*** وتنض التي فيها عليك المذله

فمن ذا الذي تشى الحناجر باسمه*** سواك، ومن هذا إليه التلفت؟ و

هل من بقا بعد يوم وليلة*** نظل خفوتا والعدو يصوت

هلموا إلى ماء الفرات ودونه ***صدور العوالي والصفيح المشتت

وأنت امرؤ من عصابة يمنية ***وكل امرئ من سنخه حين ينبت

فلما سمع الأشعث قول الرجل، قام فأتى عليا عليه السلام، فقال :

- يا أمير المؤمنين، أيمنعنا القوم ماء الفرات، وأنت فينا، والسيوف في أيدينا، خل عنا وعن القوم، فوالله لا نرجع حتى نرده أو نموت. ومر الأشر فليعل بخيله، ويقف حيث تأمره، فدعا علي عليه السلام الأشر فقال :

ألم تغلبن على رأيي أنت والأشعث؟ فدونكما.

فقالا : إنا نكفيك يا أمير المؤمنين .

فقال عليه السلام :

- ذلك لكما.

فنادى الأشعث في الناس فأتاه اثنا عشر فارسا من كندة وأفناء قحطان فشد عليه سلاحه وهو يقول (323/3):

ميعادنا اليوم بياض الصبح ***هل يصلح الزاد بغير الملح

لالا ولا أمر بغير نصح ***دبوا إلى القوم بطعن سمح

مثل العزالي بطعان سمح ***لا صالح للقوم وابن صلح

حسبي من الإقحام قاب رمح

وكان الأشر قد تعالى بخيله حيث أمر علي عليه السلام فبعث إليه الأشعث:

ص: 165

- أفحم الخيل.

فأفحمها حتى وضعت سنابكها في الفرات. وأخذت أهل الشام السيوف فولوا مدبرين.

ودعا الأشر بالحرث بن همام النخعي، ثم الصهباني، فأعطاه لواءه وأوصاه، فقال :

- يا مالك الأسرنك أو لأموتن، فاتبعني.

ثم تقدم اللواء وارتجز، فقال :

يا أخوا الخيرات ياخير النخع *** وصاحب النصر إذا عم الفزع

وكاشف الخطب إذا الأمر وقع *** ما أنت بالحرب العوان بالجدع

قد جزع القوم وعموا بالجزع *** وجرعوا الغيظ وغصوا بالجرع

إن تسقنا الماء فليست بالبدع *** أو نعطش اليوم فجند مقتطع

ما شئت خذ منها وما شئت فدع

وارتجز صالح بن فيروز من فرسان الشام فقال (328/3):

يا صاحب الطرف الحصان الأدهم *** أقدم إذا شئت علينا أقدم

أنا بن ذي العز وذي التكرم *** سيد عك كل عك فاعلم

وكان صالح مشهورة بالشدة والبأس، فارتجز عليه الأشر فقال :

أنا ابن خير مذحج ومركبا *** وخيرها نفسا وأما وأبا

آليت لا أرجع حتى أضربا *** بسيفي المصقول ضربة معجبا

ص: 166

ثم شد عليه فقتله، وهو أول قتيل قتله الأشر بيده .

وبعد أن قتل أربعة من فرسانهم برز إليه زامل بن عقيل - وكان فارسا - فطعن الأشر في موضع الصدر فصرعه على فرسه، ولم يصب مقت،
وشد عليه الأشر بالسيف راجلا فكشف قوائم فرسه، وارتجز عليه فقال (329/3):

لابد من قتلي أو من قتلكا*** قتلت منكم أربعاً من قبلكا

كلهم كانوا حماة مثلكا

ثم ضربه بالسيف وهما راجلان فقتله، ثم خرج إليه محمد بن روضة فقال،

وهو يضرب في أهل العراق ضربة منكرا:

ياساكني الكوفة يا أهل الفتن***ياقاتلي عثمان ذاك المؤتمن

أورث قلبي قتله طول الحزن***أضربكم ولا أرى أبا حسن

فشد عليه الأشر فقتله، وقال :

لا يبعد الله سوى عثمانا*** وأنزل الله بكم هوانا

ثم برز إليه الأجلح بن منصور الكندي - وكان من شجعان العرب وفرسانهما - وهو على فرس له اسمه لاحق؛ فلما استقبله الأشر كره لقاءه
واستحيا أن يرجع عنه، فتضاربا بسيفيهما فسبقه الأشر بالضربة فقتله، فقالت أخته ترثيه :

ألا فابكي أختة***فقد - والله - ابكينا

القتل الماجد القمقا***م لا مثل له فينا

أتانا اليوم مقتله***فقد جرت نواصينا

ص: 167

كريم ماجد الجدي ***ن يشفي من أعادينا

شفانا الله من أهل ال***عراق فقد أبادونا

أما يخشون ربهم***ولم يرعوا له دينا

وأقبل الأشر يوم الماء، فضرب بسيفه جمهور أهل الشام حتى كشفهم من الماء، وهو يقول (330/3):

لاتذكروا ما قد مضى وفاتا***والله ربي الباعث الأمواتا

من بعد ما صاروا كذرافاتا***لأوردن خيلي الفراتا

شعث النواصي أو يقال ماتا

وكان ضبيان بن عمارة التميمي قد حمل على أهل الشام وهو يقول (327/3):

هل لك يا ظبيان من بقاء***ساكني الأرض بغير ماء

لا وإله الأرض والسماء***فاضرب وجوه الغدر والأعداء

بالسيف عند حمس الهيجاء***حتى يجيبوك إلى السواء

قال عمرو بن العاص لمعاوية لما ملك أهل العراق الماء، ما ظنك يا معاوية بالقوم إن منعوك اليوم الماء كما منعتهم أمس؟ أتراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه؟ ما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة.

فقال معاوية :

دع عنك ما مضى، فما ظنك بعلى؟

ص: 168

قال :

ظني أنه لا يستحل منك ما استحلت منه، وإن الذي جاء له غير الماء .

فقال له معاوية قولاً أغضبه.

فقال عمرو (331/3):

أمرتك أمري فسخفته*** وخالفني بن أبي سرحة

وأغضت في الرأي إغماضة*** ولم تري الحرب كالفسحة

فكيف رأيت كباش العراق*** ألم ينطحوا جمعنا نطحة؟

فإن ينطحونا غداً مثلها*** فكن كالزبيري أو طلحة

أظن لها اليوم ما بعدها*** وميعاد ما بيننا صبحه

وإن أخروها لما بعدها*** فقد قدموا الخيط والنفحة

وقد شرب القوم ماء الفرات*** وقلدك الأشر الفصحة

فقال أصحاب علي عليه السلام له :

امنعمهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك.

فقال :

- لا خلوا ما بينهم وبينه، لا أفعل ما فعل الجاهلون، سنعرض عليهم كتاب الله وندعوهم إلى الهدى، فإن أجابوا؟ وإلا حد السيف ما يغني
إن شاء الله .

فاستقى كلا الفريقين من الماء (ما يؤذي إنسان إنسانا).

دعا معاوية عمرو بن العاص فأمره بالخروج إلى الأشر أمام القوم، وقد

ص: 169

علم أنه سيلقاه، وهو يرتجز ويقول (80/8):

ياليت شعري كيف لي بعمر و***ذاك الذي أوجبت فيه نذري

ذاك الذي أطلبه بوتري ***ذاك الذي فيه شفاء صدري

من بائعي يوما بكل عمري ***يعلي به عند اللقاء قدري

أجعله فيه طعام النسر ***أولا فربي عاذري بعذري

فلما سمع عمرو بهذا الرجز فشل وجبن، واستحيا أن يرجع، وأقبل نحو الصوت وقال (80/8):

ياليت شعري كيف لي بمالك ***كم كاهل صببته وحارك

وفارس قتلته وفاتك ***ومقدم آب بوجه حالك

ما زلت دهري عرضة المهالك

فغشيه الأشر بالرمح، فراغ عمرو عنه، فلم يصنع الرمح شيئا، ولوى عنان فرسه، وجعل يده على وجهه، وجعل يرجع راكضا نحو عسكره.

فنادى غلام من يحصب :

يا عمرو عليك العفا ما هبت الصبا، فأخذ اللواء، وكان غلاما حدثا، فقال (80/8-81):

إن يك عمرو قد علاه الأشر ***بأسمر فيه سنان أزهر

فذاك والله لعمري مفخر ***يا عمرو تكليف الطعان حمير

واليحصبى بالطعان أمهر ***دون اللواء اليوم موت أحمر

ص: 170

فنادى الأشر ابنه إبراهيم :

- خذ اللواء فغلام بغلام.

فتقدم فأخذ إبراهيم اللواء وقال :

يا أيها السائل عني لاترع*** أقدم فإني من عرانيت النخع

كيف ترى طعن العراقي الجذع*** أظير في يوم الوغى ولا أقع

ماساء كم سر، وماضرنفع*** أعدوت ذا اليوم لهول المطلع

فتطاعنا حتى سقط الحميري قتيلا، وشمتم مروان بعمره، وغضب

القحطانيون على معاوية، وقالوا :

- تولي علينا من لا يقاتل معنا، ول رجلا منا وإلا فلا حاجة لنا فيك. وقال شاعرهم (81/8):

معاوي أماتدعنا لعظيمة*** يلبس من نكرائها الفرض بالحقب

فول علينا من يحوط ذمارنا*** من الحميريين الملوك على العرب

ولا تأمرنا بالتي لا نريدها*** ولا تجعلنا بالهوى موضع الذنب

ولا تغضبنا والحوادث جممة*** عليك، فيغشوا اليوم في يحصب الغضب

فإن لنا حقا عظيما وطاعة*** وحيأ دنيا المشاس وفي العصب

وبات كعب جميل التغلي، شاعر أهل الشام تلك الليلة، يرتجز وينشد (683/5-184):

أصبحت الأمة في أمر عجب*** والملك مجموع غدا لمن غلب

أقول قولاً صادقاً غير كذب *** إن غدا يهلك أعلام العرب

غدا نلاقى ربنا فنحتسب *** غدا يصيرون رمادا قد ذهب

بعد الجمال والحياء والحسب *** لا رب لا تشمت بنا ولا تصب

من خلع الأنداد طراً والصلب

وقال راجز من أهل الشام (184/5):

ويل لأم مذحج من عك *** وأمهم قائمة تبكي

نصكها بالسيف أي صك *** فلا رجال كرجال عك

نادى عمرو بن العاص بأعلى صوته :

يا أيها الجند الصليب الإيمان *** قوموا قياما واستعينوا الرحمن

إني أتاني خبر ذو ألوان *** إن عليا قتل ابن عفان

ردوا علينا شيخنا لما كان

فرد عليه أهل العراق وقالوا (185/5):

أبت سيوف مذحج وهمدان *** بأن ترد نعثلا كما كان

خلقا جديدا مثل خلق الرحمن *** ذلك شأن قد مضى وذا شان

ثم نادى عمرو بن العاص ثانية يرفع صوته :

ردوا علينا شيخنا ثم بجل *** أو لا تكونوا جزرة من الرسل

فرد عليه أهل العراق :

كيف نرد نعثلا وقد قحل *** نحن ضربنا رأسه حتى انجفل

وأبدل الله به خير بدل ***أعلم بالدين وأزك بالعمل

وقال إبراهيم بن أوس بن عبيدة من أهل الشام :

الله در كتائب جاء تكم *** تبكي فوارسها علي عثمان

تسعون ألفاليس فيهم قاسط*** و يتلون كل مفضل ومثان

يسلون حق الله لا يعدونه***ومجيبكم للملك والسلطان

فأتوا بينو على ما جئتم ***أولا فحسبكم من العدوان

وأتوا بما يمحو قصاص خليفة***الله، ل يس بكاذب خوان

وارتجز عمرو بن العاص وأرسل بما إلى علي عليه السلام (195/5):

لا تأمننا بعدها أبا حسن ***إننا نمر الأمر إمرار الرسن

خذها إليك واعلمن أبا حسن

ويروى :

لتصبحن مثلها أم لبن ***طاحنة تدقكم دق الحفن

فأجابه شاعر من أهل العراق (195/5):

ألا احذروا في حربكم أبا حسن ***ليثاً أباشبلين محذور فظن

يدقكم دق المهارييس الطحن ***التغبين يا جاهلا أي غبن

حتى تعض الكف أو تفرع سن ***ندامة إن فاتكم عد السنن

وكان أول فارسين التقيا في هذا اليوم - وهو اليوم السابع من صفر - هما حجر الخيرا حجر بن عجلي / وحجر الشر / ابن عمه / وكلاهما من

كندة، وبعد

ص: 173

تطاحن العسكرين دعا الإمام علي عليه السلام أصحابه أن يذهب واحد منهم بمصحف كان في يده إلى أهل الشام، فقال :

من يذهب إليهم فيدعوهم إلى ما في هذا المصحف؟

فسكت الناس وأقبل فتى اسمه سعيد فقال :

- أنا صاحبه.

وبعد أن كرر الإمام عليه السلام طلبه مرتين لم يقم إلا الفتى نفسه، فأعطاه إياه، ولما توجه إليهم ودعاهم إلى ما فيه فقتلوه، فقال الإمام عليه السلام لعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي :

- احمل عليهم الآن.

فحمل عليهم بمن معه فجعل يضرب بسيفه ويقول (196/5):

لم يبق غير الصبر والتوكل*** والترس والرمح وسيف مصقل

ثم التمشي في الرعيل الأول*** مشي الجمال في حياض المنهل

والله يقضي ما يشا ويفعل

وحاول ابن بديل أن يصل إلى معاوية فيقتله إلا أن معاوية استنجد بقومه أن يرموه بالحجارة فأنخنوه جراحا حتى سقط فقتلوه، فقال معاوية :

- والله ما مثل هذا إلا كما قال الشاعر :

أخو الحرب إن عضت به الحرب*** وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ويحمي إذا ما الموت كان لقاءه*** قدا الشبر يحمي الأنف أن يتأخرا

ص: 174

كليت هزبر كان يحمي ذماره ***رتمته المنايا قصدها فتقطرا

وتقدم أبو شداد قيس بن المكشوح بن هلال إلى عسكر معاوية بخيله وهو

يريد معاوية وصاحبه : صاحب الترس المذهب الذي كان يستره من الشمس وأثناء زحفه كان يقول (206/5):

إن عليا ذو أناة صارم *** جلد إذا ما حضر العزائم

لما رأى ما تفعل الأشائم *** قام له الذروة والأكارم

وبعد أن قتل أخذ الراية بعده عبد الله بن الأحمسي وارتجز :

لا يبعد الله أباشداد *** حيث أجاب دعوة المنادي

وشد بالسيف على الأعادي *** نعم الفتى كان لدى الطراد

وفي طعان الخيل والجلاد

ولما حاولت تميم أن تنهزم من المعركة ناداهم مالك بن حري النهشلي :

- ضاع الضراب اليوم، والذي له أنا عبد يا بني تميم.

فقالوا : ألا ترى الناس قد انهزموا؟

فقال :

ويحكم أفرار واعتذار؟

وبعد يأس منهم جعل يقاتل ويرتجز ويقول (211/5):

إن تميماً خلف عنك ابن مر *** وقد أراهم وهم الحي الصبر

فإن يفروا أو يخيموا لا أفر

ص: 175

فقتل مالك ذلك اليوم، وقال أخوه فثل بن حري التميمي يرثيه :

تطاول هذا الليل ما كان ينجلي *** كليل التمام ما يريد انصراما

وبت بذكرى مالك بكآبة *** أورق من بعد العشاء نياما

أبي جزعي في مالك غير ذكره *** فلا تعذليني إن جزعت إماما

فأبكي أخي ما دام صوت حمامة *** يؤرق من وادي البطاح حماما

وأبعث أنواحاً عليه بسحرة *** وتذرف عيناى الدموع سجاما

وأدعو سراة الحي تبكي لمالك *** وأبعث نوحايلتد من قياما

يقلن ثوى رب السماحة والحجا *** وذو عزيز يأبى بها أن يضاما

وفارس خيل لا تنازل خيله *** إذا اضطرت نار العدو ضراما

وأحيا عن الفحشاء من ذات كلة *** يرى ما يهاب الصالحون صراما

وأجرأ من ليث بخفان مخدر *** وأمضى إذا رام الرجال صداما

فلا ترجون ذا أمة بعد مالك *** ولا جازر للمنشآت غلاما

وقل لهم لا يرحلوا الأدم بعده ولا يرفعوا نحو الجياد لجاما

وقال أيضا يرثيه (212/5):

بكى الفتى الأبيض البهلول سنته *** عند النداء، فلا نكسة ولا درعا

بكي على مالك الأضياف إذ نزلوا *** حين الشقاء وعثر الرسل فانقطعا

ولم يجد لقراهم غير مربعة *** من المشار نرجي تحتها ريعا

أهوى لها السيف صلت وهي رائعة *** فأوهن السيف عظم الساق فانجذعا

فجاءهم بعد رقد الناس أطيها*** وأسبعت منهم من نام واضطجعا
يافارس الروع يوم الروع قد علموا*** وصاحب العزم لا نكسأ ولا طبعاً
ومدرك التبيل في الأعداء يطلبه*** وإن طلبت بتبيل عنده منعا
قالوا أخوك أتى الناعي بمصرعه*** فانشق قلبي غداة القول فانصدعا
ثم ارعوى القلب شيئاً بعد ضربته*** والنفس تعلم أن قد أثبتت وجعا
وبرز حريث - مولى معاوية - هذا اليوم، وكان شديداً أبداً ذا بأس لا يرام، فصاح:
يا علي هل لك في المباراة؟ فأقدم أبا حسن إن شئت.

فأقبل علي عليه السلام يقول (215/5):

أنا علي وابن عبد المطلب*** نحن - لعمر الله - أولى بالكتب
فذا النبي المصطفى غير كذب*** أهل اللواء والمقام والحجب
نحن نصرناه على كل العرب*** يا أيها العبد الغرير المنتدب
اثبت لنا يا أيها الكلب الكلب
ثم خالطه فما أمهله أن ضربه ضربة واحدة فقطعه نصفين.
حتى جزع معاوية على حريث جزعة شديدة، وعاتب عمرو في إغرائه إياه
بعلي عليه السلام، وقال في ذلك شعراً (216/5):

حريث ألم تعلم وجهلك ضائر*** بأن علياً للفوارس قاهر
وأن علياً لم يبارزه فارس*** من الناس إلا أقصدته الأضافر

أمرتك أمرا حازما فعصيتي*** فجدك إن لم تقبل النصح عاثر
وولاك عمرو والحوادث جممة***غرورة وما جرت عليك المقادر
وظن حريث أن عمروا نصيحه***وقد يهلك العمر من لا يحاذر
أيركب عمرو رأسه خوف سيفه*** ويصلي حريثاً، إنه لفرافر

وكان همدان بلاء عظيم في نصرة علي عليه السلام في صفين، ومن الشعر الذي لاشك أن قائله علي عليه السلام لكثير الرواة له (217/5):

دعوت فلباني من القوم عصبية***فوارس من همدان غير لئام
فوارس من همدان ليسوا بعزل***غداة الوغى من شاکر وشبام
بكل رديني وعذب تخاله***إذا اختلف الأقوام شعل ضرام
لهمدان أخلاق كرام تزينهم*** وبأس إذا لاقوا وح خصام
وجد وصدق في الحروب ونجدة***وقول إذا قالوا بغير أثم
متى تأتهم في دارهم تستضيفهم***تبت ناعما في خدمة وطعام
جزى الله همدان الجنان فإنها***سحام العدى في كل يوم زحام
فلو كنت بواباً على باب جنه***لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقام علي عليه السلام بين الصفين فنادى :

- يا معاوية - يكررها -

فقال معاوية :

سلوه ما شأنه؟

ص: 178

قال :

- أحب أن يظهر لي فأكلمه كلمة واحدة .

فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص، فلما قاربا، لم يلتفت إلى عمرو وقال لمعاوية :

- ويحك إعلام يقتتل الناس بيني وبينك ويضرب بعضنا، أبرزلي فأينا قتل صاحبه فالأمر له.

فالتفت معاوية إلى عمرو، فقال :

ما ترى يا أبا عبد الله ؟ قال :

- قد أنصفك الرجل، واعلم إنك إن نكلت عنه لم يزل سبة عليك وعلى عقبك ما بقي على ظهر الأرض عربي.

فقال معاوية :

- يا بن العاص، ليس مثلي يخدع عن نفسه، والله ما بارز ابن أبي طالب شجاع قط إلا وسقى الأرض من دمه.

ثم انصرف معاوية راجعة حتى انتهى إلى آخر الصفوف وعمرو معه، فلما رأى علي عليه السلام ذلك ضحك وعاد إلى موقفه.

وحقد معاوية على عمرو باطنا، وقال له ظاهرة :

- ما أظنك قلت ما قلت يا أبا عبد الله إلا مازحة.

ص: 179

فلما جلس معاوية مجلسه، أقبل عمرو يمشي حتى جلس إلى جانبه فقال معاوية (217/5 - 218):

يا عمرو إنك قد قشرت لي العصا*** برضاك لي وسط العجاج برازي

يا عمرو إنك قد أشرت بظنة*** حسب المبارز خطفه من بازي

ولقد ظننتك قلت مزحة مازح*** والهزل يحمله مقال الهازي

وإذا الذي وفتك نفسك حاكيا*** قتلي، جزاك بما نويت الجازي

ولقد كشفت قناعها مذمومة*** ولقد لبست بها ثياب الحازي

فقال عمرو:

أيها الرجل أنجبني عن خصمك وتتهم نصيحتك؟

وقال مجيباً:

معاوي إن نكلت عن البراز*** لك الولايات فانظر في المخازي

معاوي ما اجترمت إليك ذنباً*** وما أنا في التي حدثت بخازي

وماذني بآن نادي علي*** وكبش القوم يدعى للبراز

فلو بارزته بارزت لثأ*** حديث الناب يخطف كل بازي

ويزعم أنني أضمرت غشا*** جزاني بالذي أضمرت جازي

أضبع في العجاجة يا بن هند*** وعند الباه كالتيس الحجازي

وبينا مر العباس بن الحارث بن عبد المطلب، مكفهرة بالسلاح، هتف به هاتف من أهل الشام يعرف بمرار بن أدهم:

ص: 180

- يا عباس هلم للبراز!

قال العباس :

فالنزول إذا فإنه أيس من القفول.

فنزل الشامي وهو يقول (219/5):

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا*** أو تنزلون فإننا معشر نزلوا

وثنى العباس رجله وهو يقول :

ويصد عنك مخبلة الرجل العريض موضحة عن العظم*** بحسام سيفك، أو لسانك والكلم الأصيل كأرغب الكلم

وتطاعنا شديدة حتى قتل الشامي.

وخرج رجل من عك فسأل البراز، فخرج إليه قيس بن فهران الكندي فما

ألبته أن طعنه فقتله، وقال (222/5):

لقد علمت ع بصفين أننا*** إذا ما تلاقى الخيل نطعننا شزرا

ونحمل رايات القتال بحقها*** فتوردها بيضا ونصدرها حمرا

وممن قاتلوا مع الإمام علي عليه السلام أيام صفين، بشر بن العوس الطائي - وكان من رجال طي وفرسانها - وفقئت عينه، فكان يذكر بعد

ذلك بأيام صفين فيقول :

وددت أنني قتلت يومئذ، وددت أن عيني هذه الصحيحة فقئت أيضا.

وقال (224/5):

ص: 181

ألا ليت عيني هذه مثل هذه *** ولم أمش بين الناس إلا بقائد

وياليت رجلي ثم طنت بنصفها *** وياليت كفي ثم طاحت بساعدي

وياليتني لم أبق بعد مطرف *** وسعد وبعد المستنير بن خالد

فوارس لم تغذ الحواضن مثلهم *** إذا هي أبدت عن خدام الخرائد

ومن الذين حاربوا مع أمير المؤمنين عليه السلام عنترة بن عبيد بن خالد المحاربي، وهو أشجع الناس يومئذ، كان يشد من عضد أصحابه ويرتجز ويقول (224/5-225):

لا وألت نفس امريء ولي الدبر *** أنا الذي لا أنثني ولا أفر

ولا يرى مع المعازيل الغدر

وقاتل حتى ارتث.

وأقبل الحضين بن المنذر يومئذ وهو غلام يزحف براية ربيعة، وكانت راية حمراء، فأعجب عليا عليه السلام زحفه وثباته فقال (226/5) - (227):

لمن راية حمراء يخفق ظلها *** إذا قيل قدمها حضين تقدما

ويدنو بها في الصنف حتى يزيدها *** و حمام المنايا تقطر الموت والدماء

تراه إذا ما كان يوم عظيمة *** أبى فيه إلا عزة وتكرما

جزى الله قوماً صابروا في لقائهم *** لدى الناس أجأ ما أعف وأكرما

وأحزم صبيرا يوم يدعى إلى الوغى *** إذا كان أصوات الكمأة تغمغما

ربيعة أعني إنهم أهل نجدة *** وبأس إذا لاقوا خميساً عمرما

وقد صبرت عك ولخم وحمير*** المذحج حتى لم يفارق دم دما

ونادت جذام يال مذحج ويحكم*** جزى الله شراً أينما كان ظالما

أما تتقون الله في حرما تكم*** وما قرب الرحمن منها وعظما

أذقتنا ابن حرب طعننا وضربنا*** بأسيفنا حتى تولى وأحجما

وفرينا ذي الزبرقان وظالما*** ونادى كلاعا والكليب وأنعما

وعمرو، وسفيانا وجهما ومالكا*** وحوشب والفادي شريحة وأظلما

وكرز بن تيهان وعمرو بن جحدر*** وصباحا القبين يدعو وأسلما

وقد رويت الأبيات السنة الأولى للإمام علي عليه السلام وباقي الأبيات من قوله (وقد صبرت عك) للحضين بن منذر صاحب الراية.

وكان بصفين تل الجماجم تلقي عليه جماجم الرجال، وكان يدعى تل، فقال عقبه بن مسلم الرقاشي من أهل الشام (230/5):

ولم أر فرسانة أشد حفيظة*** وأمنع منا يوم تل الجماجم

غداة أتى أهل العراق كأنهم*** انعام تلقي في فجاج المنخارم

إذا قلت قد ولوا ثوب كتبية*** ململة في البيض شمط المقادم

وقالوا لنا هذا علي فبايعوا*** فقلنا: صه بل بالسيوف الصوارم

وقال شبت بن ربعي التميمي :

وقفنا لديهم يوم صفين بالقنا*** لدن غدوه حتى هوت لغروب

وولى ابن حرب والرماح تلوته*** وقد أرضت الأسياف كل غضوب

نجالدهم طورا وطورة نشلهم*** على كل محبوبك السراة شبوب

بكل أسيل كالقراط إذا بدت سياسيل***لوائحها بين الكماة لعوب

نجالد غسانا وتشقى بحرنا*** جذام ووتر العبد غير طلبوب

فلم أرفسانا أشد حفيظة*** إذا غشي الأفاق رهج جلوب

أكر وأحمي بالغطاريف والقنا*** وكل حديد الشفرتين قضوب

حمل عبيد الله بن عمر (من جماعة معاوية) على صف بن حنيفة وهو يقول (234/5):

أنا عبيد الله ينميني عمر*** خير قريش من مضى ومن غبر

إلا رسول الله والشيخ الأغر*** قد أبطأت عن نصر عثمان مضرب

والربيعيون فلا أسقوا المطر*** وسارع الحي اليمانون الغرر

والخير في الناس قديما يبتدر

فحمل عليه حرث بن جابر الحنفي (من جماعة علي عليه السلام) وقال :

قد سارعت في نصرها ربيعة*** في الحق والحق لها شريعة

فاكف فليست تارك الوقبة*** في العصبة السامعة المطيعة

حتى تذوق كأسها الفظيعة

وطعنه فصرعه.

فقال كعب بن جعيل التغلبي يرثي عبيد الله، وكعب شاعر أهل الشام (234/5 - 235):

ص: 184

ألا إنما تبكي العيون لفارس *** بصفين أجلت خيله وهو واقف
تبدل من أسماء أسياف وائل *** وأي فتى لو أخطأته المتالف
تركتم عبيد الله في القاع مسلما *** يمح دماء والعروق نوازف
ينوء وتغشاه شأيب من دم *** كما لاح في جيب القميص الكفائف
دعاهن فاستسمعن من أين صوته *** فأقبلن ش تى والعيون ذوارف
تحللن عنه زر درع حصينة *** وينكر منه بعد ذاك معارف
وقرت تميم سعدها وربابها *** وخالفت الخضراء فيمن يخالف
وقد صبرت حول ابن عم محمد *** لدى الموت شهباء المناكب شارف
بمرج ترى الرايات فيها كأنها *** إذا أجنحت للطعن طير عواكف
فما برحوا حتى رأى الله صبرهم *** وحتى أسرت بالأكف المصاحف
جزى الله قتلاتنا بصفين خير ما *** أثيب عباد غادرتها المواقف
ومما رثى به كعب بن جعيل عبيد الله بن عمرو قوله (236/5):
يقول عبيد الله لما بدت له *** سحابة موت تقطر الحتف والدماء
ألا يا لقومي فاصبروا إن صبركم *** أعف وأحجى عفة وتكرما
فلما تداني القوم حز مجدلا *** صريعا تلاقي كفه الترب والفما
وخلف أطفالاً يتامى أذلة *** وعرساً عليه تسكب الدمع أيما
حلالاتها الخطاب لا يمنعنهم *** وقد كان يحمي غيره أن تكلما
وقال الصلتان العبدى يذكر مقتل عبيد الله، وإن حربث بن جابر الحنفي

ألا يا عبيد الله ما زلت مولعا*** ببيكر لها تهدي القرى والشهدا

كأن حماة الحي من بكر وائل*** بذي الرمث أسد قد تبوان غرقدا

وطنت سفيها قد تعودت عادة*** وكل امريء جار على ما تعودا

فأصبحت مصلوبة على شر أيكاة*** صريع القنا تحت العجاجة مفردا

تشق عليك جيبها ابنة هاني*** مسلبة تبدي الشجا والتلدا

وكانت ترى ذا الأمر قبل عيانه*** ولكن حكم الله أهدي لك الردى

وقالت عبيد الله لا تبك وائلا*** فقلت لها لا تعجلي وانظري غدا

فقد جاء ما قد مسها فتسلبت*** عليك، وأمسى الجيب منها مقددا

حباك أخو الهيجا حريث بن جابر*** بجياشة تحكي بها النهر مزبدا

وبعد أن قتل أبو عرفاء جبلة بن عطية الذهلي - من جيش العراق - شدت ربيعة بعده شدة عظيمة على صفوف أهل الشام فنقضتها، فقال
مجزأة بن ثور (240/5):

أضربهم ولا أرى معاوية*** الأبرج العين العظيم الحاوية

هوت به في النار أم هاوية*** جاوره فيها كلاب عاويه

أغوى طغاما لا هدته هاديه

لما اشتد القتال بين الفريقين وتمكن الشاميون من أهل العراق نادي علي عليه السلام يومئذ :

ألا رجل يشري نفسه الله ويبيع ديناه بأخرته؟

فأتاه رجل من جوف يقال له عبد العزيز بن الحارث، على فرس أدهم، كأنه غراب مقنع في الحديد، لا يرى منه إلا عيناه . فقال :

- يا أمير المؤمنين مرني بأمرك، فوالله لا تأمرني بشيء إلا صنعته، فقال علي عليه السلام :

سمحت بأمر لا يطاق حفيظة*** وصدق وإخوان الوفاء قليل

جزاك إله الناس خيرا فإنه***لعمرك فضل ما هناك جزيل

وكان علي عليه السلام لا يعدل بريعة أحدا من الناس فشق ذلك وأظهروا لهم القبيح، وأبدوا ذات أنفسهم، فقال الحضين بن المنذر الرقاشي شعرة أغضبهم به، وهو:

رأت مضر صارت ربيعة دونهم*** شعار أمير المؤمنين، وذو الفضل

فأبدوا إلينا ما تجن صدورهم*** علينا من البغضا وذاك له أصل

فقلت لهم لما رأيت رجالهم*** بدت بهم قطر كأن بهم ثقل

إليكم أهيبوا لا أبالأبيكم*** فإن لكم شكلا وإن لنا شكل

ونحن أناس خصنا الله بالتي***رانا لها أهلا وأنتم لها أهل

فابلوا بلانا أو أقروا بفضلنا***ولن تلحقون الدهر ما حنت الإبل

وقام رؤساء مضر إلى الإمام علي عليه السلام - وبعد كلام كثير - طلبوا منه عليه السلام، إعفاء ربيعة من القتال يوما وتكليفهم به ففعل عليه السلام،

ص: 187

فغدا أبو الطفيل عامر بن وائل في قومه من كنانة وهم جماعة عظيمة، فتقدم أمام الخيل وهو يقول : - طاعنوا وضاربوا، ثم حمل وارتجز فقال (244/5):

قد ضاربت في حربها كنانة*** والله يجزيها به كنانه

من أفرغ الصبر عليه زانه*** أو غلب الجبن عليه شانته

أو كفر الله فقد أهانه*** غدا بعض من عصي بنانه

ثم غدا في اليوم التالي عمير بن عطار بجماعة من بني تميم، وهو يومئذ سيد مضر الكوفة فقال :

يا قوم، إلي أتبع آثار أبي الطفيل، فاتبعوا آثار كنانة ثم قدم رايته وارتجز وقال (245/5):

قد ضاربت في حربها تميم*** إن تميمأخطبها عظيم

لها حديث ولها قديم*** إن الكريم نسله كريم

دين قويم وهوى سليم*** إن لم تردهم رايتي فلوموا

ثم غدا في اليوم الثالث قبيصة بن جابر الأسدي في بني أسد، وقال لأصحابه :

- يا بني أسد، أما أنا فلا أقصر دون صاحبي، وأما أنتم فذاك إليكم، ثم تقدم برايته وقال (245/5-246):

قد حافظت في حربها بنو أسد*** ما مثلها تحت العجاج من أحد

أقرب من يمن وأنأى من نكد*** كأننا ركنائير أو أحد

لسنا بأوياش ولا بيض البلد*** لكننا اللحمة من ولد معد

كنت ترانا في العجاج كالأسد*** ياليت روحي قد نأى عن الجسد

فانتصفوا المضرية من الربعية وظهر أثرها وعرف بلاؤها، وقال أبو الطفيل (247-246/5):

وحامت كنانة في حربها*** وحامت تميم وحامت أسد

وحامت هوازن يوم اللقاء*** فما ضام منا ومنهم أحد

لقينا الفوارس يوم الخميس*** والعيد والسبت ثم الأحد

لقينا قبائل أنسابهم*** إلى حضرموت وأهل الجند

فأمدادهم خلف آذانهم*** دعونا مبدأ ونعم المعد

فظلنا نطق هاماتهم*** ولم نك فيها بيض البلد

ونعم الفوارس يوم اللقاء*** فقل في عديد وقل عدد

وقل في طعان كفرغ الدلاء*** وضرب عظيم كنار الوفد

ولكن عصفتنا بهم عصفة*** وفي الحرب يمن وفيهانكد

طحننا الفوارس وسط العجاج*** وسقنا الزعانف سوق النقد

وقلنا علي الناوالت*** ونحن له طاعة كالولد

قام عمار يوم صفين فاستنهض معه أصحابه ثم مضى ومضى معه أصحابه ، فدنا من عمرو بن العاص فقال :

- يا عمرو بعت دينك بمصر، فتبا لك، وطالما بقيت للإسلام عوجا.

ثم حمل عمار وهو يقول (253/5):

صدق الله وهو للصدق أهل*** وتعالى ربي وكان جليلا

رب عجل شهادة لي بقتل***في الذي قد أحب قتلا جميلا

مقبلا غير مدبر إن للقتل***تل على كل ميتة تفضيلا

إنهم عند ربهم في جنان***يشربون الرحيق والسلسيلا

من شراب الأبرار خالطه المس***ك وكأسأمزاجها زنجيلا

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يذكر عليا عليه السلام بصفين (255/5):

فلوشهدت جهل مقامي ومشهدي***بصفين يوما شاب منها الذوائب

عشية جا أهل العراق كأنهم***سحاب ربيع رفعته الجنائب

إذا قلت قد ولت سراعا بدت لنا***كتائب منهم وأحجنت كتائب

وجنناهم فردى كأن صفوفنا***من البحر مدموجه متراكب

فدارت رحانا واستدارت رحاهم***سراة النهار ماتولى المناكب

فقالوا لنا: إنا نرى أن تبايعوا***فقلنا بلى إنا نرى أن تضاربوا

لما دفع علي عليه السلام الراية إلى هاشم بن عتبة، فألح عليه رجل من العسكر فقال له هاشم:

إذا رأيتني قد صرعت فخذها.

واستحث أصحابه فأخذ الراية فهزها، فقال رجل من أصحابه :

- البث قليلا ولا تعجل.

فقال هاشم (13/8):

قد أكثر لومي وما أقلأ***إني شربت النفس لن أعتلا

أعور يبغي أهله محلا***قد عالج الحياة حتى ملا

لابد أن يفيل أو يفلا***أشلهم بذي الكعوب شلا

مع ابن عم أحمد المعلى***فيه الرسول بالهدى استهلا

أول من صدقه وصلى***فجاهد الكفار حتى أبلا

وقال أبو الأعور وقد اشتبك العسكران (13/8):

إذا ما فررنا كان أسوا فرارنا***صدور الخدود وازورار المناكب

صدور الخدود والقنا متشاجر***ولا تبرح الأقدام عند التضارب

والتقت هذا اليوم همدان بعك الشام فقل قائلهم :

همدان همدان وعك عك***ستعلم اليوم من الأرك

لما التحم جيشا العراق والشام وتداخلا حتى حل الليل عليهما، ولما أذن

مؤذن علي عليه السلام الفجر، قال علي عليه السلام (14/8):

يا مرحبا بالقائلين عدلا***وبالصلاة مرحبا وأهلا

وقال عمار بن ياسر قبيل أن يقتل، وهو ينظر إلى راية عمرو بن العاص :

والله إنما الراية التي قاتلتها ثلاث عركات وما هذه بأرشدهن، ثم قال (24/8):

نحن ضربناكم على تأويله*** كما ضربناكم على تنزيهه

ضرباً يزيل الهام عن مقيله*** ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحق إلى سبيله

وكان عمار في ذلك اليوم قد حمل على أهل الشام وهو يرتجز (26/8):

كلا ورب البيت لا أبرح أجي*** حتى أموت أو أرى ما أشتهي

لا أفتأ الدهر أحامي عن علي*** صهر الرسول ذي الأمانات الوفي

ينصرنا رب السماوات العلي*** ويقطع الهام بحد المشرفي

يمنحنا النصر على من يبتغي*** ظلماً علينا جاهداً ما يأتلي

فضرب أهل الشام حتى اضطهرهم على الفرار.

قال عمرو بن العاص يوماً :

- إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعمار : ((تقتلك الفئة الباغية، وآخر تربك ضياع من لبن (161)).

ولما قتل عمار أرسل معاوية إلى عمرو :

لقد أفسدت على أهل الشام؛ أكل ما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم تقوله؟

فقال عمرو :

- قلتها ولست أعلم الغيب، ولا أدري أن صفيين تكون؛ قلتها وعمار يومئذ لك ولي، وقد رويت أنت فيه مثل ما رويت. فغضب معاوية وتنمر
لعمر،

ص: 192

وعزم على منعه خيره، فقال عمرو لابنه وأصحابه : لا خير في جوار معاوية، إن تجلت هذه الحرب لأفارقته وقال (27/8):

تعاتبني أن قلت شيئاً سمعته *** وقد قلت - لو أنصفتني - مثله قبلي

أنعلك فيما قلت نعل ثببته *** وتزلق بي في مثل ما قلته نعلي؟

وما كان لي علم بصفين أنها *** تكون وعمار يحث على قتلي

ولو كان لي بالغيب علم كتمتها *** وكابدت أفواما مراجلهم تغلي

أبى الله إلا أن صدرك واغر *** علي بلا ذنب جنيت ولا ذحل

سوى أنني والراقصات عشية *** بنصرك مدخول الهوى ذاهل العقل

فلا وضعت عني حصان قناعها *** ولا حملت وجناء ذعلبة رحلي

ولا زلت أدعى في لؤي بن غالب *** قليلاً غنائي لا أم ولا أحلي

إن الله أرضى من خناقك مرة *** ونلت الذي رجيت إن لم أزد أهلي

وأترك لك الشام الذي ضاق رحبها *** عليك ولم ينهك بها العشي من أجلي فأجابه معاوية (28/8):

الآن لما ألت الحرب ركبها *** وقام بنا الأمر الجليل على رجل

غمزت قناتي بعد ستين حجة *** تباعاً كأني لا أمر ولا أحلي

أتيت بأمر فيه للشام فتنة *** وفي دون ما أظهرته زلة النعل

فقلت لك القول الذي ليس ضائراً *** ولو ضر لم يضررك حملك لي ثقلي

تعاتبني في كل يوم وليلة *** كأن الذي أبلبك ليس كما أبلني

فياقبح الله العتاب وأهله*** ألم تر ما أصبحت فيه من الشغل

فدع ذا ولكن هل لك اليوم حيلة*** ترد بها قوما مراجلهم تغلي

دعاهم علي فاستجابوا لدعوة*** أحب إليهم من ثرى المال والأهل

إذا قلت هابوا حومة الموت أرقلوا*** ومن دون ما أظهرته زلة النعل

فلما أتى عمرو وشعر معاوية أتاه فأرضاه وصار أمرهما واحدا.

وأقبل هاشم بن عتبة - من جيش علي عليه السلام - على جيش معاوية

وكان أعور وصار يرتجز (29/8):

أعور يبغى نفسه كالأصا*** مثل الفتيق لأبسا دلاصا

قد جرب الحرب ولا أنصا*** ولا دية يخشى ولا قصاصا

كل امرئ وان كبا وصاصا*** ليس يرى من يومه مناصا

فحمل صاحب لواء ذي الكلاع - هو رجل من عذرة - فقال :

يا أعور العين وما بي من عور*** أثبت فإني لست من فرعي مضر

نحن اليمانون وما فينا خور*** كيف نرى وقع غلام من عذر

بنص ابن عفان ويلحن من عذر*** سيان عندي من سعى ومن أمر

ولما قتل هاشم وذو الكلاع حمل عبد الله بن هاشم اللواء وارتجز وقال :

يا هاشم بن عتبة بن مالك*** أعزز بشيخ من قريش هالك

تحيطه الخيلان بالسناكب*** في أسود من تقعهن حالك

أبشر بحور العين بالأرائك*** والروح والريحان عند ذلك

لما عرف الإمام علي عليه السلام بقتل هاشم وقف وحوله عصابة من أسلم قد صرعوا معه، وقوم من القراء فجزع عليه السلام عليه وقال (35/8):

جزى الله خيرا عصابة أسلمية*** صباح الوجوه صرعوا حول هاشم

يزيد وسعدان وبشر ومعبد*** وسفيان وابنا معبد ذي الأكارم

وعروة لا يبعد ثناه وذكره*** إذا اخترطت يوما خفاف الصوارم

وقالت امرأة من أهل الشام في قتل هاشم وعمار (36/8):

لا تعدموا قوماً أذاقوا ابن ياسر*** شعوبا ولم يعطوكم بالخزائم

فنحن قتلنا اليثربي بن محصن*** خطيبكم وابني بديل وهاشم

أما اليثربي، فهو عمرو بن محصن الأنصاري، وقد رثاه النجاشي شاعر أهل العراق فقال (37/8):

النعيم فتي الحين عمرو بن محصن*** إذا صارخ الحي المصيح ثوبا

إذا الخيل جالت بينها قصد القنا*** يثرن عجاسا طعة متنصبا

لقد فجع الأنصار طراً بسيد*** أخي ثقني في الصالحات مجربا

فيا رب خير قد أنهت، وجعبة*** ملأت، وقرن قد تركت مسلبا

فيارب خصم قد رددت بغيظه*** فأب ذليلا بعد أن كان مغضبا

وراية مجقد حملت وغزوة*** شهدت إذا النكس الجبان تهبيا

حويطاً على جل العشيرة ماجدا*** وما كنت في الأنصار نكسا موثبا

طويل عماد المجد رحبا فناؤه*** خصيبة إذا ما رائد الحي أجلبا

عظيم رماد النار لم يك فاحشا*** ولا فشلا يوم النزال مغلبا

وكنت ربيعا ينفع الناس سيبه*** وسيفا جرازة فائك الحد مقضبا

فمن يك مسرورا بقتل ابن محصن*** فعاش شقياً ثم مات معذبا

وغودر منكبا لفيه ووجهه*** يعالج رمحاذاسنان وثلعبا

فإن يقتلوا الحر الكريم بن محصن*** فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشبا

وإن يقتلوا ابني بديل وهاشم*** فنحن تركنا منكم القرن أعضبا

ونحن تركنا حميرا في صفوفهم*** لدى الحرب صرعى كالنخيل مشدبا

وأفلتنا تحت الأسنة مدثر*** وكان قديما في الفرار مدربا

ونحن تركنا عند مختلف القنا*** أخاكم عبيد الله لحما ملحبا

بصفين لما أرفض عنه رجالكم*** ووجه ابن عتاب تركنا ملغبا

وطلحة من بعد الزبير ولم ندع*** لضية في الهيجا عريفا منكبا

ونحن أحطنا بالبعير وأهله*** ونحن سقيناكم سحاما مقشبا

وفي قتل هاشم بن عتبة يقول أبو الطفيل عامر بن وائلة الكناني، وهو من الصحابة وقيل أنه آخر من بقي من صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشهد مع علي صفين، وكان من مخلصي الشيعة (38/8):

يا هاشم الخير جزيت الجنة*** قاتلت في الله عدو السنه

والتاركى الحق وأهل الظنة*** أعظم بما فزت به من منه

صيرني الدهر كأنى شئة*** وسوف تعلو فوق قبري رنه

من زوجة وحبوبة وكنه

وقال رجل من عذرة من أهل الشام (39/8):

لقد رأيت أمورا كلها عجب*** وما رأيت كأيام بصفينا

الماغدوا وغدوننا كلنا حنق*** لما رأيت الجمال الجلة الجونا

خيل تجول وأخرى في أعتها*** وآخرون على غيظ يرامونا

ثم ابتدلنا سيوفنا في جماجمهم*** وما نساقيهم من ذاك يجزونا

كأنها في أكف القوم لامة*** سلاسل البرق تجدعن العرائنا

ثم انصرفنا كأشلاء مقطعة*** وكلهم عند قتلاهم يصلونا

ولما فر عتبة ابن أبي سفيان عشرين فرسخا عن موضع المعركة التي قادها الإمام علي عليه السلام حتى أتى الشام، قال النجاشي قصيدة أولها
(40/8):

لقد أمعنت يا عتب الفرارا*** وأورتك الوغى خزيا وعارا

فلا يحمد خصاك سوى طمر*** إذا أجرته انهمر انهمارا

وهجا كعب بن جعيل عتبة بن أبي سفيان وعيره بالفرار، وكان كعب من شيعة معاوية، لكنه هجا عتبة تحريضا له، فهجاه عتبة جوابا له (41/8):

وسميت كعبأبشر العظام*** وكان أبوك يسمى الجعل

وإن مكانك م ن وائل*** مكان الفراد من أست الجمل

وقال معقل بن فيك بن يساف الأنصاري في قتلى معركة يوم الخميس، وقد قتل فيها أعلام العرب (42/8):

ص: 197

يا لهف نفسي ومن يشفي حزازتها*** إذ أفلت الفاسق الضليل منطلقا

وأفلت الخيل عمرو وهي شاحبة*** تحت العجاج تحت الركض والعنقا

وافت منية عبد الله إذ لحقت*** قب الخيول به أعجز بمن لحقا

وانساب مروان في الظلماء مستترا*** تحت الدجى كلما خاف الردى أرقا وقال مالك الأشر :
نحن قتلنا حوشبا*** لما غدا قد أعلما

وذا الكلاع قبله*** ومعبدا إذ أقدما

إن تقتلوا منا أبال*** يقظان ش يخا مسلما

فقد قتلنا منكم*** سبعين شيخا مجرما

أضحوا بصفين وقد*** لاقوا نكالا مؤثما

وقالت ضبعة بنت خزيمة ذي الشهادتين ترثي أبها رحمه الله (42/8-43) :

عين جودي على خزيمة بالدمع*** فتيل الأحزاب يوم الفرات

قتلوا ذا الشهادتين عتوا*** أدرك الله م نهم ب الثرات

قتلوه في فتيني غير عزل*** يسرعون الركوب في الدعوات

نصروا السيد الموفق ذا العد*** ل ودانوا بذاك حق الممات

لعن الله معشر قتلوه ورماهم بالخزي والآفات

أتى علقمة بن زهير الأنصاري الإمام علي عليه السلام فقال :

يا أمير المؤمنين، إن عمرو بن العاص يرتجز في الصف بشعر أفأسمعك؟

قال نعم.

قال :

إنه يقول (46/8):

إذا تخازرت ومابي من خزر*** ثم كسرت العين من غير عور
ألفيتني ألوي بعيد المستمر*** اذا صولة في المصمئات الكبر
أحمل ما حملت من غير وشر*** كالحية الصماء في أصل الحجر

فقال الإمام علي عليه السلام :

اللهم العنه؛ فإن رسولك لعنه .

قال علقمة :

وإنه يا أمير المؤمنين يرتجز برجز آخر، فأنشدك؟

قال : قل

فقال :

أنا الغلام القرشي المؤتمن*** الماجد الأبلج ليث كالشطن
ترضى بي الشام إلى أرض عدن*** يا قادة الكوفة يا أهل الفتن
يا أيها الأشراف من أهل اليمن
أضربكم ولا أرى أبا الحسن*** أعني علي وابن عم المؤتمن

كفى بهذا حزنة من الحزن

فضحك علي عليه السلام وقال :

ص: 199

إنه لكاذب وإنه بمكاني لعالم، كما قال العربي :

((غير الوهي ترقيعين وأنت مبصرة))

ويحكم أروني مكانه ؛ لله أبوكم وخلاكم ذم.

وقال محمد بن عمرو بن العاص (وقد نقلنا بعضها من 55/5) على أنها العبد الله بن عمرو بن العاص وهو يذكر عليا عليه السلام بصفين،
وهنا نقلها من (47/8) :

(و) لوشهدت جمل مقامي ومشهدي*** بصفين يوما شاب منها الذوائب

غداة غدا أهل العراق كأنهم*** من البحر موج له متراكب

وجنتاهم نمشي صفوف كأننا*** سحاب خريف صففته الجنائب

فطارت إلينا بالرماح كقاتهم*** وطرنا إليهم والسيوف قواضب

فدارت رحانا واستدارت رحاهم*** سراة نهار ماتولى المناكب

إذا قلت يوما قد دنوا برزت لنا*** كتائب منهم واحتمنت كتائب

وقالوا لنا من رأينا أن تبايعوا*** عليا، فقلنا، بل نرى أن تضاربوا

وقالوا وقد أردوا سراة رجالنا*** وليس لما لا قوا سوى الله حاسب

فلم أر يوما كان أكثر باكيا*** ولا عارضاً منهم كميا يكالب

كأن تلالبي البيض فينا وفيهم*** تلالؤيرق في تهامة ثاقب

فرد عليه محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام :

(و) لوشهدت جمل مقامك أبصرت*** مقام لئيم وسط تلك الكتائب

أتذكر يوماً لم يكن لك فخره*** وقد ظهرت فيه عليك الجلائب

وأعطيتمونا ما نقيمتم أذلة*** على غير تقوى الله والدين واصب

وقال النجاشي يذكر علياً وجده في الأمر (48/8):

إنني أخال علياً غير مرتدع حتى تقام حقوق الله والحرم أما ترى النقع معصوبة بلمته كأنه الصقر في عرينه شمم غضبان عرق ناييه على حنق
كما يغط الفنيق المصعب القطم حتى يزيل ابن حرب عن إمارته كما تنكب تيس الحلبة الحلم (حتى) تروه كمثل الصقر مرتبئة يخفقن من
حوله العقبان والرخم

وقال النجاشي أيضاً يمدح علياً عليه السلام ويهجو معاوية، وقد بلغه أنه يتهدده (48/8-49):

يا أيها الرجل المبدي عداوته*** رؤيء لنفسك أي الأمرتأتمر؟

لا تحسبني كأقوام ملكتهم*** طوع الأعة لما ترشح الغدر

وما علمت بما أضمرت من حنق*** حتى أتتني به الركبان والنذر

إذا نفست على الأنجاد مجدهم*** فابسط يديك فإن الخير مبتدر

أعلم بأن علي الخير من نفر*** شم العرانيين لا يعلوهم بشر

لا يجحد الحاسد الغضبان فضلهم*** ما دام بالحزن من صمائها حجر

نعم الفتى أنت إلا أن بينكما*** كما تفاضل ضوء الشمس والقمر

ولا أخالك ألا لست منتهياً*** حتى يمسك من أظفاره ظفر

لا تحمدن أمراً حتى تجربه*** ولا تذمن من لم يبيله الخبر
أني أمرؤ قلما أثني على أحد*** حتى أرى بعض ما يأتي وما يذر
وأن طوى معشر عني عداوتهم*** في الصدر أو كان في إبطه خزر
أزمت عزم أجراميزي بقافية*** لا يبرح الدهر منها فيهم أثر
وفي زحمة القتال قال عمرو بن العاص (49/8) :
أجئتم الينا تسفكون دماءنا*** وما رمتم وعمر من الأمر أعسر
العمرى لمافيه يكون حجاجنا*** الى الله أوهى لو عقلتم وأنكر
تعاورتم ضربة بكل مهند*** إذا شد وردان تقدم قنبر
كتائبكم طوراً نشد وتارة*** كتائبنا فيها القنا والسنور
إذا ما التقوا يوماً تدارك بينهم*** طعان وموت في المعارك أحمر
وقال رجل من كلب مع معاوية يهجو أهل العراق ويوبخهم (50/8):
لقد ضلت معاشر من نزار*** إذا انقادوا لمثل أبي تراب
وأنهم ويبعثهم عليا*** كواشمة التغضن بالخضاب
تزين من سفاهتها يديها*** وتحسر باليدين عن النقاب
فإياكم وداهية نئودا*** تسير إليكم تحت العقاب
إذا ساروا سمعت لخافتهم*** دوية مثل تصفيق السحاب
يجيبون الصريخ إذا دعاهم*** وقد طعن الفوارس بالحراب
عليهم كل سابعة دلاص*** وابيض صارم مثل التهاب

وقال أبو حية بن غزية الأنصاري، وهو الذي عقر الجمل يوم البصرة، وأسمه عمرو:

سائل حليمة معبر عن بعلمها*** وحليمة اللخمي وابن كلاع

وأسأل عبيد الله عن فرساننا*** الماثوي متجدة بالقاع

وأسأل معاوية المولي هاربا*** والخيل تمعج وهي جد سراع

ماذا يخبرك المخبر منهم*** عنهم وعنا عند كل وقاع

أن يصدقك يخبروك بأننا*** أهل الندى قدما نجيب الداعي

أن يصدقك يخبروك بأننا*** نحمي الحقيقة كل يوم مصاع

ندعوا إلى التقوى ونرعى أهلها*** برعاية المأمون لا المضنياع

ونسن للأعداء كل مثقف*** لدن وكل مشطب قطاع

وقال عدي بن حاتم الطائي (51/8):

أقول لما أن رأيت المعمعة*** وأجتمع الجنندان وسط البلقة

هذا علي والهدى - حقا - معه*** يارب فأحفظه ولا تضيعه

فأنه يخشاه رب فأرفعه*** ومن أراد عيبه فضعه

أو كاده بالبغي منك فأقمعه

وقال النعمان بن جعلان الأنصاري:

سائل بصفين عنا عند غدوتنا*** أم كيف كنا إلى العلياء نبتدر

وسل غداة لفينا الأزد قاطبة*** يوم البصرة لما أستجمعت مضر

لولا الآله وعفو من أبي حسن *** عنهم وما زال منه العفو ينتظر
لما تداعت لهم بالصبر داعية *** إلا الكلاب وإلا الشاء والحمير
كم مقص قد تركناه بمغفرة *** تعوي السباع عليه وهو منعفر
ما أن يؤوب ولا ترجوه أسرته *** إلى القيامة حتى ينفخ الصور
وقال عمرو بن الحمق الخزاعي (52/8) :

تقول عرسي أن لما رأته أرقى *** ماذا يهيجك من أصحاب صفينا
لست في عصبه يهدي الإله بهم *** لا يظلمون، ولا بغى يريدونا
فقلت: أني على ما كان من رشد *** أخشى عواقب أمر سوف يأتينا
أدالة القوم في أمريراد بنا *** فأقني حياء وكفي ما تقولينا
وقال حجر بن عدي الكندي :

يا ربنا سلم لنا عليا *** سلم لنا المهذب التقيا
المؤمن المسترشد الرضيا *** وأجعله هادي أمة مرضيا
وأحفظه ربي حفظك النبيا *** لا خطل الرأي ولا غبيا
فانه كان لنا وليا *** ثم أرتضته بعده وصيا
وكان علي عليه السلام إذا أراد الحملة هلل وكبر، ثم قال (55/8):

من أي يوم من الموت أفر *** أيوم لم يقدر أم يوم قدر؟
وقال النجاشي في أحد أيام صيفين يذكر الأشر (55/8):
ولما رأينا اللواء العقاب *** يقحمه الثانيء الأخر

كليث العرين خلال العجاج***واقبل في خيله الأبت

دعونا لها الكبش كبش العراق***وقد أضمر الفشل العسكر

فرد اللواء علي عقبه***وفاز بخطوتها الأشر

كما كان يفعل مثلها***إذا ناب معصوب منكر

فإن يدفع الله عن نفسه***فحظ العراق به الأوفر

إذا الأشر الخير خلى العراق***فقد ذهب العرف والمنكر

وتلك العراق ومن عرفت***كفقع تضمنه القرقر

ولما ثخن الجرح في كلا العسكرين طاف الإمام علي عليه السلام على صفوف رجاله ثم دعا بيغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فركبها ثم تعصب بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت سوداء، ثم نادى :-

أيها الناس، من يشر نفسه الله يريح، وأن هذا اليوم له ما بعده، أن عدوكم قد مسه القرح كما مسكم، فأتدبوا لنصرة دين الله، فانتدب له ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً، وقد وضعوا سيوفهم على عواتقهم، فشد بهم على أهل الشام، وهو يقول (58/8) :

دبوا ديب النمل لا تقوتوا***واصبحوا في حربكم وبيتوا

حتى تنالوا الثأر أو تموتوا***أولاف أني طالما عصيت

قد قلت لو جئتنا فجيت***ليس لكم ماشنتم وشيت

بل ما يريد المحيي الميت

وتبعه عدي بن حاتم بلوانه. وهو يقول (58/8) :

أبعد عماير وبعد هاشم*** وابن بديل فارس الملاحم

نرجو البقاء ضل حلم الحالم*** لقد غصصنا أمس بالأباهم

فاليوم لا تفرح سن نادم*** ليس أمرؤ من حنفته بسالم

فحمل وحمل الأشر بعدها في أهل العراق كافة، فلم يبق لأهل الشام صف إلا أنتقض، وراهن أهل العراق أتوا عليه، وحتى أفضى إلا إلى مضرب معاوية، وعلي عليه السلام يضرب الناس بسيفه قدما ويقول (58/8-59) :

أضربهم ولا أرى معاوية*** إلا خزر العين العظيم الحاوية

هوت به للنار أم هاوية

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه، فلما وضع رجله في الركاب توقف وتلوم

قليلا، ثم أنشد قول عمرو بن الأطنابة (59/8) :

أبت لي عفتي وأبي بلائي*** وأخذ الحمد بالثمن الريح

واقدامي على المكروه نفسي*** وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت*** مكانك تحمدي أو تستريحي

الأدفع عن مآثر صالحات*** وأحمي بعد عن عرض صحيح

بذي شطب كلون الملح صاف*** ونفس ما تفر على القبيح

ثم قال : -

يا عمرو بن العاص، اليوم صبر وغدة فخر.

ص: 206

قال :-

صدقت، أنك ما أنت فيه كقول القائل (59/8) :

ماعلتي وأنا جلد نابل ***والقوس منها وتر عنابيل

تزل عن صفحتها المعابل *** الموت حق والحياة باطل

فثنى معاوية رجله من الركاب، ونزل واستصرخ بعك والأشعرين، فوقفوا دونه، وجالدوا عنه حتى كره كل من الفريقين صاحبه وتحاجز الناس.

تعرض عمرو بن العاص لعلي عليه السلام يوما من أيام صفين فحمل عليه علي عليه السلام، فلما كاد أن يخالطه إذ رمى نفسه عن فرسه ورفع ثوبه وشطر برجله، فبدت عورته فصرف عليه السلام وجهه عنه، وقام معفرة بالتراب، هاربة على رجله معتصما بصفوفه، وقال معاوية في ذلك (60/8 - 61):

ألا الله من هفوات عمرو *** يعاتبني على تركي برازي

فقد لاقى أبا حسين عليا *** قآب الوائلي مآب خازي

فلولم يبد عورته لطارت *** بمهجته قوادم أي بازي

فان تكن المنية أطفأته *** فقد أورى بها أهل الحجاز!

فغضب عمرو وقال :

ما أشد تعظيمك عليا، أبا تراب في أمري؟ هل أنا إلا رجل لقيه ابن عمه فصرعه؟ أفترى السماء قاطرة لذلك دما؟

ص: 207

قال :

لا، ولكنها معقبة لك خزيا.

ولما أشتد الأمر وعظم على أهل الشام بعث معاوية أخاه عتبة بن أبي سفيان إلى الأشعث فكلمه ليستميله فرد الأشعث عليه كلامه بما أفحمه، فلما عاد عتبة إلى معاوية وأبلغه قوله قال له :

لا تلقه بعدها.

وشاع في أهل العراق ما قاله عتبة للأشعث وما رد الأشعث عليه، فقال النجاشي يمدحه (62/8):

يا ابن قيس وحارث ويزيد*** أنت والله رأس أهل العراق

أنت والله حية تنفث السم*** قليل منها غناء الراقي

أنت كالشمس والرجال نجوم*** لا يرى ضوءها مع الأشراق

قد حميت العراق بالأسل السمر*** وبالبيض ك البروق الرقاق

وسعرت القتال بالشام بالبي*** ض المواضي وبالرماح الدقاق

لا ترى غير أذرع وأكف*** ورؤوس بهامها أفلاق

كلما قلت قد تصرفت الهيجا*** سقيتهم بكأس دهاق

قد قضيت الذي عليك من الحق*** وسارت به القلاص المناقي

أنت حلولمن تقرب بالود*** وللشائين مرالمذاق

باسما ظنه ابن هند ومن مث*** لك في الناس عند ضيق الخناق

ص: 208

ولما يس معاوية من الأشعث طلب من عمرو بن العاص أن يكتب إلى عبد الله بن عباس يستميله إلى جانبه لعل الحرب تنتهي فكتب ابن العاص الكتاب وكتب في أسفل الكتاب (68/8):

طال البلاء وما يرجي له آس *** بعد الإله سوى رفق ابن عباس

قولاً له قول من يرجو مودته: *** لا تنسى حظك أن الخاسر الناسي

أنظر فدى لك نفسي قبل قاصمة *** للظهر ليس لها راق ولا آسي

أن العراق وأهل الشام لن يجدوا *** طعم الحياة مع المستغلق القاسي

يا ابن الذي زمزم سقيا الحجيج له *** أعظم بذلك من فخر على الناس

أنني أرى الخير في سلم الشام لكم *** والله يعلم ما بالسلم من باس

فيها التقى وأمور ليس يجهلها *** وما رأي نوكي كأكياس

فأجابه ابن عباس بكتاب عنفه فيه وأظهر عيوبه وطلب من أخيه الفضل أن

يذيل الكتاب بأبيات ففعل وقال (64/8):

يا عمرو حسبك من مكر ووسواس *** فاذهب فليس لداء الجهل من آس

إلا تواتر طعن في نحوركم *** يشجي النفوس ويشفي نحوه الراس

أما علي فأن الله فضله *** بفضل ذي شرف عال على الناس

أن تعقلوا الحرب نعقلها مخيسة *** أو تبعثوها فانا غير أنكاس

قد كان منا ومنكم في عجاجتها *** مالا يرد ، وكل عرضة الباس

قتلى العراق بقتلى الشام ذاهبة *** هذا بهذا وما بالحق من باس

لا بارك الله في مصر لقد جلبت ***شرا وحظك منها حسوة الكأس

يا عمرو أنك عار عن مغارمها ***-والراقصات - ومن يوم الجزاكاس

ولما وصل الكتاب الى ابن العاص عرضه على معاوية فأجابه بكتاب مسخط فرده ابن عباس بكتاب أكثر أسحاطة. ولما وصل الكتاب إلى معاوية قال :

هذا عملي بنفسي، لا أكتب - والله - اليه كتابة سنة كاملة وقال (67/8):

دعوت ابن عباس الى جل حظه*** وكان أمراً أهدي إليه رسائلي

فأخلف ظني والحوادث جممة*** وما زاد أن أغلى عليه مراجلي

فقل لأبن عباس أراك مخوفا*** بجهلك حلمي أنني غير غافل

فأبرق وأرعد ما استطعت فأنني*** إليك بما يشجيك سبط الأنامل

وفي أحد أيام صفين عقد معاوية الرئاسة على اليمن من قريش، قصد بذلك إكرامهم ورفع منازلهم، ومنهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب، ومحمد وعتبة ابن أبي سفيان، وبسر بن أبي أرطاة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وذلك في الوقعات الأولى من صفين أفغم ذلك أهل اليمن، وأرادوا أن لا يتأمر عليهم أحد إلا منهم، فقام اليه رجل من كندة، يقال له عبد الله بن الحارث السكوني، فقال :

أيها الأمير، إنني قلت شيئاً فاسمعه وضعه مني على النصيحة.

قال : هات.

فأنشده :

معاوي أحييت فينا الأحن*** وأحدثت بالشام ما لم يكن

ص: 210

عقدت لبسر وأصحابه *** وما الناس حولك إلا اليمن

فلا تخلطين بناغيرنا *** كما شيب بالماء صفو اللبن

وإلا فدعنا على حالنا *** فأنا وإنا إذا لم نهن

ستعلم أن جاش بحر العراق *** وأبدى نواجذه في الفتن

وشد علي بأصحابه *** ونفسك إذ ذاك عند الذقن

بأناشعارك دون الدثار *** وإنا الرماح وإنا الجفن

وإنا السيوف وإنا الحتوف *** وإنا الدروع وإنا المحن

فبكي معاوية (لعله بكاء ضعيف ماكر) ونظر إلى وجوه أهل اليمن فقال :

أعن رضاكم يقول ما قال ؟

قالوا :

لا مرحبا بما قال؛ إنما الأمر إليك، فاصنع ما أحببت .

فقال معاوية :

أنما خلطت بكم أهل ثقتي، ومن كان لي فهو لكم؛ ومن كان لكم فهو لي، فرضي القوم وسكتوا. فلما بلغ أهل الكوفة مقال عبد الله بن الحارث لمعاوية قام الأعور الشني إلى علي عليه السلام فقال : -

يا أمير المؤمنين، إنا لا نقول لك كما قال صاحب أهل الشام لمعاوية، ولكن نقول : زاد الله في سرورك وهداك إنظرت بنور الله، فقدمت رجالا واخرت رجالا، عليك أن تقول، وعلينا أن نفعل، أنت الإمام، فأن هلكت فهذان من بعدك،

ص: 211

حسنا وحسين عليهما السلام وقد قلت شيئا فأسمعه.

قال عليه السلام :

هاته

فأنشد (68/8-69):

أبا حسن أنت شمس النهار *** وهذان في الحادثات القمر

وأنت وهذان حتى الممات *** بمنزلة السمع بعد البصر

وانتم أناس لكم سورة *** تقصر عنها أكف البشر

يخبرنا الناس عن فضلكم *** وفضلكم اليوم فوق الخبر

عقدت لقوم أولي نجدة *** من أهل الحياة وأهل الخطر

مسايبح بالموت عند اللقاء *** منا واخواننا من مضر

ومن حي ذي يمن جبله *** يقيمون في النباتات الصعر

فكل يسرك في قومه *** ومن قال، لا، فبفيه الحجر

ونحن الفوارس يوم الزبير *** وطلحة إذ قيل أودى غدر

ضربناهم قبل نصف النهار *** إلى الليل حتى قضينا الوطر

ولم يأخذ الضرب إلا الرؤوس *** ولم يأخذ الطعن إلا الصفر

فنحن أولئك في أمسنا *** ونحن كذلك فيما غبر

فلم يبق أحد من الرؤساء إلا أهدي إلى الشني واتحفه .

إن بسر بن أرطاة بارز عليا يوم صفين فطعنه علي عليه السلام فصرعه،

فأنكشف له، فكف عنه، كما عرض له مثل ذلك مع عمرو بن العاص. فقال الحارث بن نضير الخشعمي - وكان عدوا لعمرو بن العاص
وبسر بن أرطاة (317-316/6):

أفي كل يوم فارس لك ينتهي *** وعورته وسط العجاجة باديه
يكف لها عنه علي سنانه *** ويضحك منها في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقتع رأسه *** وعورة سر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو ثم بسر: ألا انظرا *** لنفسيكما: لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما *** هما كانتا والله - للنفس واقيه
ولولا همالم تنجوا من سنانه *** وتلك بما فيها إلى العود ناهية
متى تلقيا الخيل المغيرة صبحه *** وفيها علي فأتراكا الخيل ناصية
وكونا بعيداً حيث لا يبلغ القنا *** نحوركما، إن التجارب كافية

بعد أن تعاضمت الأمور على معاوية قبل قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب، دعا أركانها إلى شن هجوم على معسكر علي عليه السلام بعد
أن وزعهم كل واحد أزاء فارس من أهل العراق، وخلال خمسة أيام، ثم قصد لحمدان بنفسه وارتجز فقال (69/8):

لا عيش إلا فلق قحف الهام *** من أرحب وشاكر وشبام

لن تمنع الحرمة بعد العام *** بين قتيل وجريح دام

سأملك العراق بالشام *** أنعى ابن عفان مدى الأيام

فطعن في عرض الحيل مليا، ثم أن همدان تنادت بشعارها، وأفحم سعيد بن قيس فرسه على معاوية، واشتد القتال، حتى حجز بينهم الليل، فهمدان تذكر أن سعيد كان يقتنصه (معاوية) إلا أنه فاته راكضا، وقال سعيد في ذلك (70/8) :

يا لهف نفسي فأتني معاوية*** فوق طمر كالعقاب هاويه

والراقصات لا يعود ثانيه*** إلا على ذات خصيل طاويه

أن يتم اليوم فكفي عاليه

وانصرف معاوية في ذلك اليوم، ولم يصنع شيئا، وغدا عمرو بن العاص في اليوم الثاني في حماة الخيل فقصد المرقال وارتجز عمرو فقال (70/8):

لا عيش أن لم الق يوما هاشما*** ذاك الذي جشمني المجاشما

ذاك الذي أقام لي المآتما*** ذاك الذي يشتم عرضي ظالما

ذاك الذي أن ينج مني سالما*** يكن شجي حتى الممات لازما فطعن في أعرض الخيل مزبدة، وحمل المقال عليه وارتجز فقال (70/8):

لا عيش أن لم الق يوما عمروا*** ذاك الذي أحدث فينا الغدرا

او يبدل الله بأمر أمرا*** لا تجزعي يانفس صبيرا صبيرا

ضربا هذا ذيك وطعناشزرا*** ياليت ما تجني يكون القبرا!

وفي اليوم الثالث برز بسر بن إرطأة فلقي قيس بن سعد بن عبادة فاشتدت الحرب بينهما، وأرتجز قيس وقال (71/8):

أنا ابن سعد زانه عباده*** والخزرجيون كماء سادة

ليس فراري في الوغى بعادة*** أن الفرار للفتى قلادة

يارب أنت لقني الشهادة*** فالقتل خير من عناق غادة

حتى متى تشني لي الوسادة

وطاعن خيل بسر، وبرز بسر فارتجز وقال (71/8):

أنا ابن ارطاة العظيم القدر*** مردد في غالي وفهر

ليس الفرار من طباع بسر*** أن أرجع اليوم بغير وتر

وقد قضيت في العدو نذري*** يا ليت شعري كم بقي من عمري

ورجع القوم جميعا، ولقيس الفضل، وتقدم عبید الله بن عمر الخطاب في اليوم الرابع، لم يترك فارسا إلا جمعه؛ وأستكثر ما أستطاع، فلقیه الأشر أمام الخيل مزبدة، وهو يقول (71/8):

يارب قيض لي سيوف الكفرة*** واجعل وفاتي بأكف الفجرة

فالقتل خير من ثياب الجبرة*** لاتعدل الدنيا جميعا وبرة

ولا بعوضاً في ثواب البررة

وشد على الخيل، خيل الشام فردها: فاستحيا عبید الله وبرز أمام الخيل وقال (72/8):

أنعى ابن عفان وأرجو ربي*** ذاك الذي يخرجني من ذنبي

ذاك الذي يكشف عني كربى*** إن ابن عفان عظيم الخطب

يأبى له حبي بكل قلبي*** إلا طعاني دونه وضربي

حسبي الذي أنويه حسبي حسبي

فحمل عليه الأشر، وطعنه واشتد الأمر، وانصرف القوم، وللأشتر الفضل، فغم ذلك معاوية، وغدا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد في اليوم الخامس وكان رجاء معاوية أن ينال حاجته، فقواه بالخيل والسلاح، وكان معاوية يعده ولدا، فلقيه عدي بن حاتم في مذحج، وقضاة، فبرز عبد الرحمن إمام الحيل وقال (72/8) :

قل لعدي ذهب الوعيد*** أنا ابن سيف الله لا مزيد

وخالد يزيد الوليد*** ذاك الذي قيل له الوحيد

ثم حمل فطعن الناس، فقصدته عدي بن حاتم، وسدد إليه الرمح وقال (72/8) :

أرجو الهبي وأخاف ذنبي*** ولست أرجو غير عفوري

يا ابن الوليد بغضكم في قلبي*** كالهضب بل فوق قنان الهضب

ولما كاد أن يخالطه بالرمح، توارى عبد الرحمن في العجاج، واستر بأسنة أصحابه، ورجع عبد الرحمن مقهورة، وانكسر معاوية، وبلغ أيمن ابن خزيم ما لقي معاوية واصحابه، فشمتم كم، وكان ناسكة من أنسك أهل الشام، وكان معتز " الحرب في ناحية عنها فقال (73/8):

معاوي إن الأمر لله وحده*** وإنك لا تستطيع ضرا ولا نفعا

عبأت رجالا من قريش لعصبة*** يمانية لا تستطيع لها دفعا

فكيف رأيت الأمر إذ جد جده*** لقد زادك المر الذي جنته جدعا

تعبي لقيس أو عدي بن حاتم*** والأشتر يا للناس أغمارك الجدعا

وتجعل للمرقال عمرو وأنه ***الليث لقي من دون غايته ضبعا
وأن سعيداً إذ برزت لرمحه ***الفارس همدان الذي يشعب الصدعا
علي بضرب الدارعين بسيفه *** إذا الخيل أبدت من سنابكه نقعا
رجعت فلم تظفر بشيء تريده ***سوى قري أعيت وآبت بها طلعا
فدعهم فلا والله لا تستصيعهم ***مجاهرة، فاعمل لقهرهم خدعا
وأن معاوية أظهر لعمرو شماته، وجعل يقرعه، ويوبخه، وقال :
لقد أنصفتكم؛ أن لقيت سعيد بن قيس في همدان، وفررتهم، وأنتك لجبان يا عمرو.
فغضب عمرو، وقال :

فهل برزت إلى علي! إذ دعاك أن كنت شجاعة كما تزعم؟

وقال (73/8):

تسير الى ابن ذي يزد سعيد *** وتترك في العجاجة من دعاكا

فهل لك في أبي حسن علي *** لعل الله يمكن من قفاكا

دعاك الى البراز فلم تجبه *** ولو نازلته شربت يداكا

وكنت أصم - أذناوك عنها *** وكان سكوته عنها مناكا

فأب الكبش قد طحنت رحاه *** بنجدته وما طحنت رحاكا

فما أنصفت صبحك يا ابن هند *** أتفرقه وتغضب من كفاكا

فلا والله ما أضمرت خيرا *** ولا أظهرت لي إلا هواكا

ص: 217

وخاطب معاوية فرسانه، الذين انقطعوا عنه بعد تلك المعركة، فقال (74/8):

لعمري لقد أنصفت والنصف عادتي *** وعاین طعنافی العجاج المعاین

ولولا رجائي أن تؤوبوا بنهزة *** وان تغسلوا عارة وعته الكائن

الناديت للهيجا رجالا سواكم *** ولكنها تحمي الملوك البطائن

أتدرون من لاقيتم فل جيشكم *** لقيتم ليوثا أصحرتها العرائن

لقيتم صنائيد العراق ومن بهم *** إذا جاشت الهيحاء تحمي الضعائن

وما كان منكم فارس دون فارس *** ولكنه ما قدر الله كائن

ولما سمع القوم ما قاله معاوية، أتوه فاعتذروا إليه، واستقاموا إليه على ما يجب.

وتقابل جيش عك من معاوية، وجيش همدان من الإمام علي عليه السلام، فشدت همدان على عك رجالة فأخذت السيوف أرجل عك، فنادى ابن مسروق (75/8):

ويا لعلي بركة كبرك الكمل

فبركوا تحت الجحف، فشجر قم همدان بالرماح، وتقدم شيخ من همدان وهو يقول (75/8):

بالبكيل لحمها وحاشد *** نفسي فداكم طاعنوا وجالدوا

حتى تخرمتمكم القماصد *** وأرجل يتبعها سواعد

بذاك أوصى جدكم والوالد

وقام رجل من عك فارتجز، فقال (75/8):

تدعون همدان وندعو عكا***بكو الرجال يالعك بكا
أن خدم القوم فبركاً بركا***لاتدخلوا اليوم عليكم شكا
قد محك القوم فزيدوا محكا

والتقى القوم جميعاً بالرمح، وصاروا الى السيوف، وتجالدوا حتى أدركهم الليل، فأنصرف كل إلى ناحيته، وقال عمرو في ذلك (76/8):

إن عكا وحاشدة وبكيلا***كأسود الضرا ولاقت أسودا
وجثا القوم بالقنا وتساقوا***بضباة السيوف موتا عتيذا
ازورار المناكب الغلب بالشم***وضرب المسومين الخدودا
ليس يدرون ما الفرار ولوكا***نفرار لكان ذاك سديدا
يعلم الله ما رأيت من القوم***ازورار ولا رأيت صدودا
غير ضرب فوق الطلي وعلى الهام***وقرع الحديد يعلو الحديددا
ولقد قال قائل خدموا السو***ق فخرت هناك ع قعودا
كبروك الجمال اثقلها الحمل***فما مشتغل إلا ويديدا

ولما اشترطت عك والشعريون على معاوية ما اشترطوا من الفريضة والعطاء فأعطاهم. لم يبق من أهل العراق أحد في قلبه مرض إلا طمع في معاوية، وشخص ببصره اليه، حتى فشا ذلك في الناس، فبلغ علي عليه السلام فساءه، وجاءه عدي بن حاتم يلتمس عليا عليه السلام أن يعود الى القتال، فأخبره الإمام

عليه السلام أن عامة من معه اليوم يعصيه، وإن معاوية فيمن يطيعه ولا يعصيه، وجاء المنذر بن أبي حميصة الوداعي :

وكان شاعر همدان وفارسها - وطلب منه العودة إلى الحرب قائلاً :

والله لآخرتنا خير من دنياهم، ولعراقنا خير من شامهم، ولإمامنا أهدى من إمامهم وأنشده : -

إن عكاسالوا الفرائض والاش *** ع رسالوا جوائز بثنية

تركوا الدين العطاء وللفر *** ض فكانوا بذلك شر البرية

وسألنا حسن الثواب من الله *** وصبراً على الجهاد ونية

فلكل ماساله ونواه *** كلنا يحسب الخلاف خطية

ولأهل العراق أحسن في الحرب *** إذات دانت السمهرية

ولأهل العراق أحمل للثقل *** إذا عمت البلاد بلية

ليس منا من لم يكن في الله *** وليأياذا الولاء والوصية

فأثنى عليه علي عليه السلام، وانتهى شعره إلى معاوية، فقال : -

والله لأستميلن بالدنيا ثقة علي، ولأعيش من فيهم الأموال حتى تغلب دنياي آخرته.

وطلب من فرسان عك بث العيون في معسكر علي عليه السلام، وعباً منهم جيشاً لمقاتلة العراق، وهنا نادي علي عليه السلام : يا لهمدان.

فأجابه سعيد بن قيس، فقال له عليه السلام : احمل

فحمل حتى خالط بالخييل، واشتد القتال، وحطمتهم همدان وأحقتهم بمعاوية، فجزع جزعة شديدة، فأثنى الإمام علي عليه السلام على همدان، وفي هذا اليوم قال عليه السلام (78/8):

ولو كنت بوابا على باب جنة*** لقلت لهمدان ادخلي بسلام

ثم طلب عليه السلام من صاحب لواء همدان أن يكفيه أهل حمص فشدوا عليهم حتى ألجؤوهم قبة معاوية، فقال رجل من همدان عداة في ارحب مرتجزة (78/8):

قد قتل الله رجال حمص*** روا بقول كذب وخرص

حرصاعلى المال وأي حرص*** قد نكص القوم وأي نكص

او عن طاعة الله وفحوى النص

ولما ردت خيول معاوية أسف وجرده سيفه وحمل في كمامة أصحابه فحملت عليه فوارس همدان ففاز منها ركضا، وانكسرت كمامته ورجعت همدان إلى مراكزها، فقال حجر بن قحطان الهمداني، يخاطب سعيد بن قيس (79/8):

ألا يا ابن قيس قرت العين إذ رأيت*** فوارس همدان بن زيد بن مالك

على عارفات للقاء عوابس*** طوال الهوادي مشرفات الحوارك

معودة للطنع في ثغراتها*** يجلن فيحطمن الحصى بالسنايك

عباها علي لأبن هند وخيله*** فلولم يفتها كان أول هالك

وكانت له في يومه عند ظنه*** وفي كل يوم كاسف الشمس حالك

وكانت بحمد الله في كل كربة*** حصونة وعزة للرجال الصعالك

فقل لأمير المؤمنين أن أدعنا*** متى شئت إنا عرضة للمهالك

ونحن حطمنا السمر في حي حمير*** وكندة والحي الخفاف السكاسك

وعك ولخم شائلين سياطهم*** حذار العوالي كالأماء العوارك

وتقدم الأصبع بن نباته إلى الإمام علي عليه السلام واستأذنه أن يقدم فأذن

له فتقدم وأخذ الراية ومضى بها وهو يقول (82/8):

إن الرجاء ب القنوط يدمغ*** حتى متى يرجو البقاء الأصبع

أما ترى أحداث دهر تنبغ*** فادبغ هواك، والأديم يدبغ

والرفق فيماقد تريد أبلغ*** اليوم شغل وغدة لا تفرغ

نادى الأشر يومأ أصحابه ، فقال :

أما من رجل يشري نفسه لله؟

فخرج أثال بن حجل بن عامر المنهجي فنأدى بين العسكرين :

هل من مبارز؟

فدعا معاوية - وهو لا يعرفه - أباه حجل بن عامر المذهجي، فقال : دونك الرجل.

فبرز كل واحد منهما إلى صاحبه، فبدره بطعنة، وطعنه الغلام، وانتسبا فإذا هو ابنه، فنزلا فاعتنق كل واحد منهما صاحبه، وبكيا، فقال له الأب :

يا بني : هلم إلى الدنيا .

ص: 222

فقال له الغلام :

يا أبي هلم إلى الآخرة.

ثم قال :

يا أبت والله لو كان من رأيي الانصراف إلى أهل الشام لوجب عليك ان يكون من رأيك أن تنهاني، واسوأته! فماذا أقول لعلي عليه السلام وللمؤمنين الصالحين؟ كن على ما أنت عليه، وأنا على ما أنا عليه فانصرف كل منهما إلى معسكره، وقال في ذلك حجل (83/8):

إن حجل بن عامر وأثالا***أصبحا يضربان في الأمثال

أقبل الفارس المدجج في النقع***أثال يدعو يريد نزالي

دون أهل العراق يخطر كالفحل***على ظهر هيكل ذيال

فدعاني له ابن هند ومازا***القليلا صحبه أمثالي

فتناولته ببادرة الرمح***وأهوى بأسمر عسال

فأطعنا وذاك من حدث الدهر***عظيم، فتى يشيخ بحال

شاجرة بالقناة صدر أبيه***وعزيز علي طعن أثال

لا أبالي حين أعترضت أثالا***وأثال كذاك ليس يبال

فافترقنا على السلام والنف***سقيها مؤخر الآجال

الایراني على الهدى وأراه***من هداي على سبيل ضلال

فلما انتهى شعره إلى أهل العراق، قال أثال ابنه مجيبا إياه (83/8 - 84):

ص: 223

إن طعني وسط العجاجة حجلا***لم يكن في الذي نويت عقوقا

كنت أرجوبه الثواب من الله***وكوني مع النبي رفيقا

لم ازل أنصر العراق على الشام***أراني بفعل ذاك حقيقا

قال أهل العراق إذ عظم الخطب***ونق المبارزون تقيقا

من فتى يسلك الطريق الى الله***فكنت الذي سلكت الطريقا

حاسر الرأس لا أريد سوى المو***ت أرى الأعظم الجليل دقيقا

فإذا فارس تقحم في الروع***خوب مثل السحوق عقيقا

فبادرني حجل ببادرة الطعن***وماكنت قبلها مسبوqa

فتلقيته بعالية الرمح***كالنا يطال القيوقا

أحمد الله ذا الجلالة والقد***رة حمدا يزيديني توفيقا

إذ كفتت السنان عنه ولم أد***نقتيلا منه ولا تفروقا

قلت للشيخ لست أكفر نعماك***لطيف الغذاء والتفنيقا

فبراني أخاف أن تدخل النار***فلا تعصني وكن لي رفيقا

وكذا قال لي فغرب تغريبا***وشرقت راجعاً تشريقا

دعا معاوية، النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري ومسلمة بن مخلد الأنصاري، ولم يكن معه من الأنصار غيرهما، وشكا لهما موقف الأنصار الذين مع علي عليه السلام منه في الحرب وأخذ يغمز الأنصار، فغضب الرجالن وردا كلامه وغمزه، ولما وصل كلام معاوية والرجلين إلى أنصار علي عليه السلام جمع

قيس بن سعد الأنصار وخطب فيهم وحثهم على تشديد الحرب على معاوية، ثم قال في ذلك (86/8):

يا ابن هند دع التوثب في الحر*** ب إذا نحن بالجياد سرينا

نحن من قد علمت فاد إذا شئ*** ت بمن شئت في العجاج إلينا

إن برزنا في الجمع نلقك في الخز*** رج ندعو في حربنا أبونا

إن تشأ منك فارس فارس منا*** وان شئت باللفيف التقينا

أي هذين ما أردت فخذة*** ليس منا وليس منك الهوينا

ثم لانسلك العجاجة حتى*** تنجلي حربنا أو علينا

ليت ما تطلب الغداة أانا*** أنعم الله بالشهادة عينا

وتحركت خيل معاوية غدوة، فظن قيس بن سعيد أن فيها معاوية، فحمل على رجل يشبهه، فضربه بالسيف فإذا هو ليس به، ثم حمل على آخر يشبهه فقنعه بالسيف ثم أنصرف وهو يقول (87/8):

قولوا لهذا الشامي معاوية*** أن كلما أو عدت ربح هاوية

خوفتنا أكلب قوم عاوية*** الي يا ابن الخاطئين الماضية

ترفل أرفال العجوز الجارية*** في أثر الساري ليالي الشاتية

فبعث معاوية النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري إلى قيس ليعاتبه ويسأله السلم فخرج النعمان فوقف بين الصفيين وصار يخاطب قيساً فرد عليه قيس بما يفحمه ثم قال (88/8):

والراقصات بكل أشعث أغبر*** خوض العيون تحثها الركبان

ما ابن المخلد ناسيا*** أسيافنا*** فيمن نحاربه ولا النعمان

تركا البيان وفي العيان كفاية*** لوكان ينفع صاحبيه عيان

خرج عوف بن مجزأة المرادي / فارس الشام / فالتقى العكبر بن جرير الأسدي فارس أهل العراق، وقال (89/8):

بالشام أمن ليس فيه خوف بالشام عدل ليس فيه حيف بالشام جود ليس فيه سوف أنا ابن مجزأة وأسمي عوف هل من عراقي عصاه سيف يبرز
لي وكيف لي وكيف فقال له العكبر (89/8-90):

الشام محل والعراق ممطر*** بها أمام طاهر مطهر

والشام فيها أعور ومعور*** أنا العراقي وأسمي عكبر

ابن جرير وأبوه المنذر*** أدن، فأنى في البراز قسور

فتطاعنا فقتل عوف ثم تقدم عكبر يريد معاوية فحال أصحابه بينه وبين الوصول إليه ورجع إلى صف العراق، ولم يكلم. فقال له علي عليه
السلام :

ما دعاك الى ما صنعت؟ لا تلق نفسك إلى التهلكة.

قال : يا أمير المؤمنين أردت غرة ابن هند فحيل بيني وبينه، وكان العكبر شاعرة فقال (90/8-91):

قتلت المرادي الذي كان باغيا*** ينادي وقد ثار العجاج : نزال

يقول أنا عوف بن مجزاة والمنى *** لقاء ابن مجزاة بيوم قتال
فقلت له لما علا القوم صوته! *** امنيت بمشبوخ اليدين طوال
فأوجرتة في ملتقى الحرب صعرة *** ملأت بها رعباً صدور رجال
فغادرته يكبو صريعاً لوجهه *** ينوء مرارا في مكر رجال
وقدمت مهري راكضاً نحو صفهم *** أصرفه في جريه بسمالي
أريد به التل الذي فوق رأسه ** معاوية الجاني لكل خبال
يقول - ومهري يعرف الجري جامحا *** بفارسه - قد بان كل ضلال
فلما رأوني أصدق الطعن فيهم *** جلى عنهم رحم العيوب فعالي
فقام رجال دونهم بسيوفهم *** وقام رجال دونه بعوالي
فلو نلت الذي ليس بعدها *** وفزت بفكر صالح وفعال
ولو مت في نيل المنى ألف موته *** لقلت إذا مامت: - لست مبال
فأبكر أهل الشام لقتل عوف المرادي، وهدر معاوية دم العكبر فقال العكبر:
- يد الله فوق يده.

وقال الحضرمي يرثي ذا الكلاع وجوشعا (92/8):

معاوي قد نلنا ونيلت سراتنا *** وجع احياء الكلاع ويعصب
فذو كلع لا يبعد الله داره *** وكل أيمان قد أصيب بحوشب
هما ما هما كانا معاوي عصمة *** متى قلت كانا عصمة لا أكذب
ولو قبلت في هالك بذل فدية *** ف ديتهما ب النفس والأم والأب

طلب معاوية من بسر بن أرطأة مبارزة علي عليه السلام وكان عنده ابن عم له جاء من الحجاز يخطب ابنته، فأبى بسر، فقال له :

إني سمعت أنك وعدت من نفسك أن تبارز علياً، فما يدعوك إلى ما أرى؟

قال :

الحياء، خرج مني كلام فأنا أستحي أن أرجع عنه، فضحك الغلام وقال (95/8):

تنازله يا بسر إن كنت مثله *** وإلا فإن الليث للشاء آكل

كأنك يا بسر ابن أرطأة جاهل *** بآثاره في الحرب أو متجاهل

معاوية الوالي وصنواه بعده *** وليس سواء مستعار وثاكل

أولئك هم أولى به منك أنه *** علي فلا تقربه أمك هابل

متى تلقه فالموت في رأسه رمحه *** و سيفه شغل لنفسك شاغل

وما بعده في آخر الخيل عاطف *** ولا قبله في أول الخيل حامل

فقال بسر :

هل هو إلا الموت؟ لا بد من لقاء الله .

فغدا علي عليه السلام منقطعة عن خيله ويده في يد الأشر وهما يتسايران رويدا. يطلبان التل ليقتفا عليه، إذ برز له بسر مقنعة بالحديد، لا يعرف، فناده أبرز ألي أبا حسن.

فانحدر إليه على تؤدة غير مكترث به حتى إذا قاربه طعنه وهو دارع فألقاه إلى

ص: 228

الأرض، ومنع الدرع السنان أن يصل إليه، فاتقاه بسر بعورته، وقصد أن يكشفها، يستدفع بأسه، انصرف عنه عليه السلام مستدبر، فعرفه الأشر حين سقط. فقال :

- يا أمير المؤمنين هذا بسر بن أرطاة، هذا عدو الله وعدوك .

فقال :

- دعه عليه لعنة الله . أبعد أن فعلها.

فحمل ابن عم بسر من أهل الشام على علي عليه السلام، قال (96/8):

أرديت بسرا والغلام ثأره***أرديت شيخا غاب عنه ناصره

وكلناحام لبسر واتره

فلم يلتفت إليه علي عليه السلام وتلقاه الأشر فقال له (96/8):

في كل يوم رجل شيخ شاغره وعورة وسط العجاج ظاهره تبرزها طعنة كف واتره عمرو وبسر منيا بالفاقره قطعنه الأشر فكسر صلبه وقام بسر من طعنة علي عليه السلام موليا،

وفرت خيله، وناداه علي عليه السلام :

يا بسر، معاوية كان أحق بهما منك. فرجع بسر الى معاوية، فقال له معاوية : ارفع طرفك، فقد أدال الله عمر منك. قال الشاعر في ذلك (96/8-97):

ص: 229

أفي كل يوم فارس تندبونه*** له عورة تحت العجاجة بادية

يكف بها عنه علي سنانه*** ويضحك منها في الخلاء معاوية

بدت أمس من عمرو فقتع رأسه*** وعورة بسر مثلها حذو حانية

فقولاً لعمر وابن أرطاة أبصرا*** سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية

ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما*** هما كانتا للنفس - والله - واقية

فلولا همالم تنجوا من سنانه*** وتلك بما فيها عن العود ناهية

وكونا بعيداً حيث لا يبلغ القنا*** ونار الوغى، إن التجارب كافية

وإن كان منه بعد للنفس حاجة فعود إلى ما شئتما هي هاهي

بعد ملاومة وخصام ومعاتبة في مجلس معاوية بين رهطه وقريش خرج عتبة بن أبي سفيان فنادى على مبعدة من فرسان علي عليه السلام وحاول استرضاءه ومفاوضته إلا أن جعدة رده بحزم، فغضب عتبة وفحش على جعدة فلم يجبه وأعرض عنه، وجمع كل عسكره وياشر جعدة يوم ذلك القتال بنفسه، وجزع عتبة فأسلم خيله وأسرع هاربا إلى معاوية فقال له :

فضحك جعدة، هزمتك لا تغسل رأسك منها أبدا .

وحظي جعدة بعدها عند علي عليه السلام.

وقال النجاشي، فيما كان من فحش عتبة على جعدة (8/99-100):

إن شتم الكريم يا عتب خطب*** فاعلمنه من الخطوب عظيم

أمه أم هانئ وأبوه*** من مع ومن لؤي حميم

ذاك منها هبيرة بن أبي وه*** ب أقرت بفضلته مخزوم
كان في حربه يعدبألف*** حيث يلتقى بها القروم القروم
وابنه الجيدة الخليفة منه*** هكذا تنبت الفروع الأروم
كل شيء تريده فهو فيه*** حسبه ثاقب ودين قويم
وخطيب إذا تمررت الأوجه*** يخشى به الألد الخصيم
وحليم إذا الحبي حله الجبه*** ل، وخفت من الرجال الحلوم
وشكيم الحروب قد علم النا*** س إذا دخل في الحروب الشكيم
وصحيح الأديم نقل العيب*** إذا كان لا يصح الأديم
حامل للعظيم في طلب الحمد*** إذا عظم الصغير اللئيم
ما عسى أن تقول للذهب الأحمر*** عباهيها منك النجوم
كل هذا بحمد ربك فيه*** وسوى ذلك كان وهونظيم
وقال الأعور الشني في ذلك يخاطب عتبة بن أبي سفيان (100/8):
ما زلت تظهر عطفك أبهة*** لا يرفع الطرف منك النية الصلف
لا تحسب القوم إلا فقع قرقرة*** أو شحمة بهاشا لها نطف
حتى لقيت ابن مخزوم وأي فتى*** أحيماثر أباء له سلفوا
إن كان رهط أبي وهب جحاجة*** في الأولين فهذا منهم خلف
أشجك جعدة إذ نادى فوارسه*** حاموا على الدين والدنيا فما وقفوا
هلا عطفت على قوم بمصرعة*** فيها السكون وفيها الأزد والصدف

قد كنت في منظر من ذا ومستمع *** يا عتب لولا سفاه الرأي والصلف

فاليوم يقرع منك السن من ندم *** ما للمبارز إلا العجز والنصف

كان رجل من أهل الشام يقال له الأصبغ بن ضرار الأزدي، من مسالحي معاوية وطلائعه، فندب له علي عليه السلام الأشر، فأخذه الأشر أسيرة من غير قتال، فجاء به ليلاً فشدته وثاقه، وألقاه عند أصحابه ينتظر به الصباح، وكان الأصبغ شاعرة مفوها، فأيقن بالقتل، ونام أصحابه، فرفع صوته فأسمع الأشر، وقال (101/8):

ألا ليت هذا الليل أصبح سرمداً *** على الناس لا يأتيهم بنهار

يكون كذا حتى القيامة أني *** أحاذر في الإصباح يوم بواري

فياليل أطبق، أن في الليل راحة *** و الصبح قتلي أو فكاك أساري

ولو كنت تحت الأرض ستين وادياً *** لما روعتني ما أخاف حذاري

فيا نفس مهلاً إنما الموت غاية *** فصبراً على ما ناب يا ابن ضرار

أأخشى ولي في القوم رحم قريبة *** أبى الله أن أخشى ومالك جاري

ولو أنه كان الأسير ببلده *** أطاع بها، شمرت ذيل إزاري

ولو كنت جار الأشعث الخير فكنى *** وقلا من الأمر المخوف فراري

وجار سعيد أو عدي بن حاتم *** وجار شريح الخير قرقراري

ولو أنني كنت الأسير لبعضهم *** دعوت فتى منهم لفك أساري

أولئك قومي لا عدمت حياتهم *** وعفوهم عني وستر عواري

فغدا به الأشر إلى علي عليه السلام، فقال :

يا أمير المؤمنين، أن هذا الرجل من مسالح معاوية، أصبته أمس وبات عندنا الليل، فحركنا بشعره، وله رحم، فإن كان فيه القتل فاقتله؛ وإن ساغ لك العفو عنه فهبه لنا؛ فقال :

هو لك يا مالك وإذا أصبت منهم أسيرة فلا تقتله، فإن أسير أهل القبلة لا يقتل، فرجع به الأشر إلى منزله وخلي سبيله..

بعد ليلة الهرير خطب الأشعث أصحابه من كندة، فذكرهم بهذا اليوم العصيب وإنه لم ير مثله من قبل، ومما قال :

- إنا نحن إن توافقنا غدة، إنه لفناء العرب وضیعة الحرمات ... أخاف على النساء والذراري غدا إذا فنینا.

فاستغل معاوية خطبة الأشعث فقال :

أصاب ورب الكعبة.

ثم قال لأصحابه :

- اربطوا المصاحف على أطراف القنا، وأصبحوا وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح، وقد قلدها الخيل، والناس على الرايات قد اشتها ما دعوا إليه، مصحف دمشق الأعظم يحمله عشرة رجال على رؤوس الرماح وهم ينادون :

- كتاب الله بيننا وبينكم.

فقام إلى الإمام علي عليه السلام كل من أبي الأعور السلمي وعدي بن

حاتم الطائي والأشتر وعمرو بن الحمق، والأشعث بن قيس وطلبوا منه الموادة.

فقال عليه السلام:

- هذا أمر ينظر فيه .

وبعد خطبة له عليه السلام بين فيها أن معاوية وأصحابه ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وإنه يعرفهم مذ كانوا صغارا فكانوا شر صغار وشر رجال، وإن رفع المصاحف كلمة حق يراد بها باطل، وإنما الخديعة والوهن والمكيذة.

فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفا مقنعين في الحديد شاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودت جباههم من السجود، يتقدمهم مسعر بن فذكي وزيد بن حصين وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لا يأمرة المؤمنين :

- يا علي أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فوالله لنفعلنها إذا لم تجبهم.

وعبثا حاول إخبارهم وإقناعهم بأنه هو أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجاب إليه، وإنه إنما قاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، وأنهم ليس العمل بالقرآن يريدون.

قالوا :

فابعث إلى الأشتر ليأتينك.

وقد كان الأشتر صبيحة ليلة التحرير أشرف على عسكر معاوية ليدخله،

ص: 234

فأرسل إليه يزيد بن هانيء، ولكن الأشتر رفض قائلاً ليزيد :

- إئته فقل له : ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلني عن موقعي؛ إني قد رجوت الفتح فلا تعجلني.

فرجع يزيد إلى علي عليه السلام فأخبره، وفي هذه الأثناء ارتفع الرهح، وعلت الأصوات من قبل الأشتر، وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق، ودلائل الخذلان والإدبار على أهل الشام فقال القوم لعلي عليه السلام :

- والله ما نراك أمرته إلا بالقتال.

فبعث يزيد ثانية إلى الأشتر ولما عاد الأشتر صار يخاطب أهل العراق ويزيدهم تفرقة، فسبوه وسبهم، وضربوا بسياطهم وجه دابته وضرب بسوط وجوه دوابهم، وصاح بهم علي عليه السلام فكفوا، فقام الإمام علي عليه السلام فخطب فيهم ومما قال :

إني كنت أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأمورة، وكنت ناهياً فأصبحت منهية، وقد أحببتكم البقاء، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون ثم قعد.

ثم إن أهل الشام لما أبطأ عنهم علم حال أهل العراق، هل أجابوا إلى المودعة أم لا؟ جزعوا وطلبوا من معاوية أن يكررها عليهم فأرسل إليهم عبد الله بن عمرو بن العاص، فأجابه سعد بن قيس الهمداني، فقام الناس إلى علي عليه السلام فقالوا له :

- أجب القوم إلى المحاكمة، ونادى إنسان من أهل الشام في جوف الليل

بشعر سمعه الناس وهو (214/2-222):

رؤوس العراق أجيئوا الدعاء*** فقد بلغت غاية الشدة

وقد أودت الحرب بالعالمين*** وأهل الحفائظ والنجدة

فلسنا ولستم من المشركين*** ولا المجمعين على الردة

ولكن اناس لقوا مثلهم*** القاعدة ولكم عدة

فقاتل كل على وجهه*** يقحمه الجد والحدة

فان تقبلوها ففيها البقاء*** وامن الفريقين والبلدة

وان تدفعوها ففيها الفناء*** وكل بلاء الى مدة

فحتى متى مخض هذا السقاء*** ولا بد أن تخرج الزبدة

ثلاثة رهط هم أهلها*** وان يسكتوا تخمد الوقدة

سعيد بن قيس وكبش العراق*** وذاك المسود من كندة

وكتب معاوية كتابة الى الامام علي عليه السلام، ومما قاله : أن نحكم بيني وبينكم حكمين مرضيين، أحدهما من أصحابي والاخر من أصحابك، فيحكمان بيننا بما أنزل الله ، فهو خيزلي ولك)).

فكتب اليه الامام علي عليه السلام، ومما قاله عليه السلام :

((ثم إنك قد دعوتني الى حكم القرآن وقد علمت أنك لست من أهل القرآن ولا حكمه تريد، والله المستعان، فقد أجبنا القرآن الى حكمه ولسنا اياك أجبنا، ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضل ضلالا بعيدا)).

ص: 236

وتكاتب الامام علي مع عمرو بن العاص عدة كتب وعرضه فيها ودعاه الى دين الحق وقال له :

((فان الذي اعجبك من الدنيا ما نازعتك اليه نفسك، ووثقت به منها المقلب عنك، ومفارق لك فلا تطمئن الى الدنيا فانها غرارة، ولوا اعتبرت بما مضى الحفظت ما بقي، وانتقصت منها بما وعظت به)).

وجاء الاشعث الى علي عليه السلام واخبره برضى الناس وسرورهم الى مادعوا اليه من حكم القرآن، وقال :

-فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد.

فأمره الإمام عليه السلام فذهب الى معاوية وسأله :

- لأي شيء رفعت هذه المصاحف ؟

قال :

- لئلا نرجع، نحن وانتم إلى ما أمر الله به فيها، فابعثوا رجلا منكم ترضون به، ونبعث منا رجلا، ونأخذ عليهما ان يعملوا بما في كتاب الله ولا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه.

فقال الأشعث: هذا هو الحق.

ولما عاد إلى الإمام فأخبره فبعث عليه السلام قراء من أهل العراق وبعث معاوية قراء من أهل الشام. فاجتمعوا بين الصفيين ومعهم المصحف، فنظروا فيه وتدارسوا.. فرضي قراء الشام بعمرو بن العاص ورضي قراء العراق بأبي موسى

ص: 237

الاشعري، ولكن الامام علي عليه السلام لم يرض بالاشعري بل رشح ابن عباس. ولكن الاشعث عارض فاقترح الإمام عليه السلام أن يكون الاشتر، ولكن الاشعث أصر أن يكون الأشعري هو الحكم. فنزل الامام عند طلبه فجاء الاشتر والاحنف بن قيس وابن الكواء علي عليه السلام وطلبوا منه عدم النزول عند رأي الأشعث وأصحابه .

فلما بلغ ذلك أهل الشام، بعث ايمن بن خزيم الاسدي، وكان معتزلا معاوية بهذه الأبيات، وكان هواه أن يكون الأمر لأهل العراق (2/231):

لو كان للقوم رأي يعصمون به *** من الضلال رموكم يا ابن عباس

لله در ابيّة انما رجل *** ما مثله لفصال الخطب في الناس

لكن رموكم بشيخ من ذوي يمن *** لا يهتدي ضرب أخماس لاسداس

ان يخ عمرو به يقذفه في لجج *** هوي به النجم تيسأين أتياس

ابلع لديك علي غير عاتبه *** قول امرىء لا يرى بالحق من باس

ما الأشعري بمأمون أبا حسن *** فاعلم هديت فليس العجز كالراس

فاصدم بصاحبك الادنى زعيمهم *** ان ابن عمك عباس هو الآسي

ولما بلغ الناس هذا الشعر، طارت أهواء قوم من اولياء علي عليه السلام

وشيعته الى ابن عباس، وأبت القراء إلا أبا موسى.

وكان أيمن بن خزيم رج؟ عابد مجتهدة، وقد كان معاوية جعل له فلسطين، على أن يتابعه ويشايعه على قتال علي عليه السلام، فقال أيمن وبعث بما اليه (223/2):

ص: 238

ولست مقاتلا رجلا يصلي ***على سلطان آخر من قریش

له سلطانه وعلي إثمي *** معاذ الله من سفیر وطیش

أقتل مسلما من غير جرم ***فليس بنافعي معاشت عیثي

فلما رضي أهل الشام بعمره، وأهل العراق بابي موسى، أخذوا في سطر كتاب المواعدة، وكانت صورته :

(هذا ماتقاضى عليه على أمير المؤمنين ومعاوية ابن أبي سفيان).

فقال معاوية :

- بس الرجل أنا أن أقررت انه أمير المؤمنين ثم قاتلته!

وقال عمرو :

- بل نكتب اسمه واسم أبيه ؟ انما هو اميركم، فاما اميرنا فلا.

فلما اعيد الكتاب امر بمحوه. فقبل للامام علي عليه السلام أن لا يمحو صفحته امير المؤمنين فذكرهم بان هذا اليوم صلح الحديبية، اذ حذفت كلمة رسول الله من النبي محمد صلى الله عليه وأله عندما طلب النبي من الامام علي عليه السلام ذلك قائلا :

((ياعلي، إني لرسول الله. وان محمد بن عبد الله، لن يمحو عني الرسالة كتابي لهم : من محمد بن عبد الله، فاكتبها وامح ما اراد محوه، اما انك مثلها ستعطيها وانت مضهد)).

وكتبوا كتاب الصلح وشهد على الكتاب شهود وقرىء الكتاب على أهل

ص: 239

العراق والشام فرضوه به. وارتفعت أصوات تعارض في الكتاب وتطالب الرجوع عنه، فقال الامام علي عليه السلام:

- بعد أن كتبناه ننقضه! أن هذا لا يحل. وقال عليه السلام:

- ان ما فعلت ما فعلت لما بدا فيكم من الحور والفشل عن الحرب.

وهكذا دعا معاوية عمرو بن العاص وصار يحذره من الاشعري ويوصيه.

وخرج عمرو مغضبا كانه كره ان يوصي ثقة بنفسه. وقال لاصحابه حين خرج:

- انما اراد معاوية أن يصغر امر ابي موسى لأنه علم اني خادعه غدا. فاحب ان يقول: أن عمرو لم ينخدع اريبا. فقد كدته بالخلاف عليه.

وقال في ذلك (241/2-242):

يشجعني معاوية بن حرب*** كأني للمؤدب مستكين

واني عن معاوية غني*** بحمد الله والله المعين

وهون امر عبد الله عمدا*** وقال له على ما كان دين

فقلت له ولم اردد عليه*** مقالته وللشاكبي أنين

توى أهل العراق يذب عنهم*** وعن جيرانهم رجل مهين

فلو جهلوه لم يجهل علي*** وغث القول يحمله السمين

ولكن خطبهم فيهم عظيم*** وفضل المرء فيهم مستبين

فإن أظفر فلم أظفر بوعد*** وإن يظفر فقد قطع الوتين

ص: 240

الا ياعمر و عمرو و قبيل سهم *** امن طب اصابك ذا الجنون

دع البغي الذي أصبحت فيه *** فان البغي صاحبه لعين

الم تهرب بنفسك من علي *** بصفين وانت بها حنين

حذار أن تلاقيك المنايا *** وكل فتى سيدركه المنون

ولسنا عائبين عليك الا *** لقولك انني لا استكين

ثم أقبل الناس على قتلاهم فدفنوههم.

كان حابس بن سعد الطائي قد قتل في صفين فمر به عدي بن حاتم، ومعه ابنه زيد، فرآه قتيلا فأخبر أباه أنه خاله فلعنه أبوه ولعنه خاله ولما سأل عن قاتل خاله خرج اليه رجل من بكر بن وائل، فقال : أنا قتلته.

فحمل عليه زيد فطعنه بالرمح وقتله، فصار أبوه يسبه ويشتمه فضرب زيد

فرسه فلحق بمعاوية وادنى مجلسه، وقال زيد في قتل البكري (243/2 - 244):

(و) من مبلغ ابناء طبي بأنني *** ثارت بخالي ثم لم ائثم

تركت أخوا بكرينوء بصدرة *** بصفين مخضوب الجبين من الدم

وذكرني تأري غداة رأيتة *** قتيلا عن الأهوال ليس بمحجم

قتيلا يظل الحي يثنون بعده *** عليه باى من نراه وأنعم

لقد فجعت طي بحلم ونائل *** وصاحب غارات ونهب مقسم

لقد كان خالي ليس خال كمثلته *** دفاع العظيم واحتمالا لمغرم

ولما اراد أبو موسى المسير قام اليه شريح بن هاني فاخذ بيده واوصاه بالثبات

في الحق والحذر من الخديعة وقال له (245/2):

ابا موسى رميت بشر خصم***فلا تضع العراق فدتك نفس

واعط الحق شامهم وخذه***فان اليوم في سهل كأمس

وان غدا يجيء بما عليه***كذاك الدهر من سعدونحس

ولا يخذعك عمرو أن عمروا***عدو الله مطلع كل شمس

له خدع يحار العقل منها***مموهة مزخرفة بلبس

فلا تجعل معاوية بن حرب***كشيخ في الحوادث غير نكس

هداه الله للاسلام فردا***سوى عرس النبي واي عرس

فقال ابو موسى :

- ماينبغي لقوم اتموني أن يرسلوني لادفع عنهم باط، او اجر اليهم حقا. ومثل هذا نصحه عبد الله بن عباس بكلام بليغ، ومما قاله :

- أن الناس لم يرتضوك لفضل عندك لم تشارك، فقال بعض شعراء قريش (212/2) :

والله ماكلم الأقوام من بشر***بعد الوصي علي كابين عباس

اوصى ابن قيس بامر فيه عصمته***لو كان فيها ابو موسى من الناس

اني اخاف عليه مكر صاحبه***ارجو رجاء مخوف شيب بالياس

وكان النجاشي صديقة لابي موسى، فكتب اليه يحذره من عمرو بن العاص (248 - 246/2) :

ص: 242

يؤمل أهل الشام عمروا وانني *** الأمل عبد الله عند الحقائق

وان أبا موسى سيدرك حقنا *** اذا مارمى عمروا باحدى البوائق

وحققه حتى يدر وريده *** ونحن على ذاكم كاحقق حائق

على أن عمروا لا يشق غباره *** اذا ماجرى بالجهد اهل السوابق

فلله ما يرمي العراق وأهله *** به منه ان لم يرمه بالصواعق

فكتب اليه ابو موسى :

- اني لارجو ان ينجلي هذا الأمر، وأنا فيه على رضا الله سبحانه .

ثم أن شريح بن هاني جهز أبا موسى جهازة حسنة، وعظم امره في الناس

ليشرف في قومه، فقال الاعور الشني في ذلك يخاطب شريحا (248/2):

زففت ابن قيس زفاف العروس *** شريح الى دوحة الجنديل

وفي زقك الأشعري البلاء *** وما يقض من حادث ينزل

وما الأشعري بذى اربه *** ولا صاحب المظهر الفيصل

ولا آخذاً حظ أهل العراق *** ولا قيل هاخذه لم يفعل

يحاول عمروا وعمروله *** خداع ويأتي من علي

فان يحكما بالهدى يتبعنا *** وان يحكما بالهوى الاميل

يكونا كتيسين في قفرة *** يكونا نقيقا من الحظنل

فقال شريح:

- والله لقد تعجلت رجال مساءتنا في ابي موسى، واطعنوا عليه بأسوء

الطعن، وظنوا فيه ما لا عصمة منه ان شاء الله .

وسار مع عمرو بن العاص شرحبيل بن السمط في خيل عظيمة، حتى اذا أمن عليه خيل أهل العراق ودعه. واوصاه، وودعه كما ودع شريح أبا موسى بعد أن اوصاه . وكان آخر من ودع أبا موسى الأحنف بن قيس؛ اخذ بيده واوصاه بكلام له معني تاريخي، ولكي يختبر ما في نفسه لعلي عليه السلام قال له :

- فان لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلي، فليختر أهل العراق من قريش

الشام من شأؤوا، أو فليختر أهل الشام من قريش العراق من شأؤوا.

فقال ابو موسى :

- قد سمعت ما قلت.

ولم ينكر ما قاله من زوال الامر عن علي عليه السلام

فرجع الاحنف الي علي عليه السلام فقال له :

- اخرج ابو موسى والله زبدة سقائه في أول مخضه : لا أرانا الابعثنا رجلا لا ينكر خلحك.

وشاع وفشا أمر الاحنف وأبي موسى في الناس، فبعث الصلتان العبدي وهو بالكوفة الى دومة الجندل بهذه الايات (249/2 -250):

لعمرك لا الفى مدى الدهر خالعا*** عليا بقول الاشعري ولا عمرو

فان يحكما بالحق تقبله منهما***والا اثرناها كراغية البكر

ولسنا نقول الدهر ذاك اليهما***وفي ذاك لوقلناه قاصمة الظهر

ص: 244

ولكن نقول: الأمر والنهي كله*** اليه، وفي كفيه عاقبة الامر

وما اليوم الا مثل امسي واننا***لنفي وشل الضحضاح اولجة البحر

فلما سمع الناس قول الصلتان شحذهم ذلك على أبي موسى واستبطأه القوم وظنوا به الظنون.

ولما أبطأت الاخبار على معاوية بعث المغيرة بن شعبة، وكان مقيمة بالطائف لم يشهد الحرب - فاتي دومة الجندل فدخل على أبي موسى كالزائر له فقال :

- يا اباموسى، ما تقول فيمن أعتزل هذا الأمر وكره الدماء؟

قال :

- أولئك خير الناس، خفت ظهورهم من دمائم، وحمصت بطوهم من أموالهم.

ثم أتى عمروة فاجابه على سؤاله فقال :

- أولئك شر الناس، لم يعرفوا حقاً، ولم ينكروا باطلاً.

فرجع المغيرة إلى معاوية فقال له :

- قد ذقت الرجلين : أما عبد الله بن قيس (الاشعري) فخالع صاحبه وجاعلها لرجل لم يشهد هذا الأمر. وهو في عبد الله بن عمر، واما عمرو بن العاص فهو صاحبك الذي تعرف وقد ظن الناس انه يرومها لنفسه، وانه لا يرى انك أحق بهذا الأمر منه. وكان عمرو بن العاص يقدم اباموسى الأشعري في الكلام في دومة الجندل بقوله :

ص: 245

- انك حميت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلي، وانت اكبر مني سنة فتكلم أنت، ثم اتكلم أنا. فجعل ذلك سنة وعادة بينهما، وانما كان مكرة وخديعة واغترارة ان يقدمه. فيبدأ يخلع علي ثم يرى رأيه. وزيادة في طمأنته اعطاه صدر المجلس، وكان لا يتكلم قبله، واعطاه التقدم في الصلاة والطعام، لا يأكل حتى يأكل، وإذا خاطبه فانما يخاطبه بأجل الأسماء، ويقول له :

- يا صاحب رسول الله

حتى اطمأن اليه، وظن انه لا يغشه، وبعد أن اطمأن عمرو ومحابيته لأبي موسى سأله رأيه فقال :

- أرى أن تخلع هذين الرجلين، ونجعل الأمر شورى بين المسلمين، يختارون من شاءوا-

فقال ابو موسى :

- الرأي والله مارأيت.

فأقبلا الى الناس وهم مجتمعون فبدأ أبو موسى الكلام فأخبرهم بما اتفقا عليه، وصدق عمرو. وقدمه ليتكلم فدعاه ابن عباس أن يترك الكلام لعمرو أولاً ومما قاله له ابن عباس :

- ولا أمن أن يكون قد اعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فاذا قمت في الناس خالفك.

وكان أبو موسى رجلا مغفلا.

ص: 246

فقال :

- ايها عنك انا قد اتفقنا :

فتقدم أبو موسى، وبعد الحمد قال : وقد أجمع رأيي ورأي صاحبي على خلع معاوية وعلي، وان يستقبل هذا الأمر فيكون شوري بين المسلمين يولون امورهم من احبوا. واني خلعت عليه ومعاوية؛ فاستقبلوا اموركم، وولوا من رأيتموه لهذا الامر، اهلا. ثم تنحي.

فقام عمرو بن العاص فقال :

أن هذا قد قال ماسمعتم. وخلع صاحبه، وانا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية في الخلافة فانه ولي عثمان والطالب بدمه، واحق الناس بمقامه.

فقال له ابو موسى :

- مالك لا وفقك الله قد غدرت وفجرت انما مثلك.. كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وان تتركه يلهث)).

فقال عمرو :

انما مثلك ((كمثل الحمار يحمل اسفارا)).

وحمل شريح بن هانيء على عمرو فقنعه بالسوط، وحمل ابن عمرو على شريح فقنعه بالسوط، فقام الناس فحجزوا بينهما. والتمس أصحاب علي عليه السلام أبا موسى فركب ناقته ولحق بمكة

ص: 247

وكان ابن عباس يقول :

- قبح الله اباموسى، لقد حذرتة، وهديته الى الراى فماعقل.

ورجع عمرو الى منزله من دومة الجندل فكتب الى معاوية (2/ 250 - 257):

اتتك الخلافة مزفوفة***هنيئا مريئا تقر العيوننا

تزف اليك زفاف العروس***بأهون من طعنة الدار عينا

وما الاشعري بصلد الزناد***ولا حامل الذكر في الاشعرينا

ولكن اتحت له حية***يظل الشجاع لها مستكينا

فقالوا وقلت وكنت امرا***جهجه بالخصم حتى يلينا

فخذها ابن هند على بعدها***فقد دافع الله ماتحذرونا

وقد صرف الله عن شامكم***وعدو مينا وحربا زبوننا

وقام كردوس بن هاني مغضبا فقال (257/2):

الا ليث من يرضى من الناس كلهم***بعمرو وعبد الله في لجة البحر

رضينا بحكم الله لا حكم غيره***وبالله ربا والنبي وبالذكر

وبالاصلع الهادي علي أماننا***رضينا بذاك الشيخ بالعسر واليسر

رضينا به حيا وميتا وانه***أمام هدى في الحكم والنهي والامر

فمن قال لا قلنا بلى ان امره***الأفضل ما يعطاه في ليلة القدر

ومالابن هند بيعة في رقابنا***وما بيننا غير المنقفة السمر

ص: 248

وضرب يزيل الهام عن مستقره*** وهيئات هيئات الرضا آخر الأمر

ابتلي اشياخ الاراقم ستة***أسب بها حتى أغيب في القبر

فتشاتم عمرو وابو موسى من ليلته، فاذا ابن عم لابي موسى يقول (2092):

أبا موسى خدعت وكنت شيخا*** قريب القمر مدهوس الجنان

رمى عمرو صفاتك يا ابن قيس*** بامر لاتنوء به بدان

وقد كنا نجمجم عن ظنون*** فصرحت الظنون عن العيان

مفض الكف من ندم وماذا*** يرد عليك عظمك بالبنان

وشمت أهل الشام بأهل العراق، وقال كعب بن جميل شاعر معاوية (259-258/2)

كأن اباموسى عشية اذرح*** يطوف بلقمان الحكيم بواربه

ولما تلاقوا في تراب محمد*** نحت بابن هند قريش مناسيه

سعي بابن عفان ليدرك ثأره*** وآوى عباد الله بالثار طالبه

وقد غشيتنا في الزبير غضاضة*** وطلحة أذقامت عليه نوادبه

فرد ابن هند مكله في نصابه*** ومن غالب الاقدار فالله غالبه

وما لابن هند من لؤي بن غالب*** نظير وان جاشت عليه اقاربه

فهذاك ملك الشام واف سنامه*** وهذاك ملك القوم قد جب غاربه

يحاول عبد الله عمروا وانه*** ليضرب في بحر عريض مذاهبه

دحادهوة في صدره فهدت به ***الى اسفل الجب الظنون كواذبه

فرد عليه رجل من أصحاب علي عليه السلام (259/2):

غدرتم وكان الغدر منكم سجية ***فماضرنا غدر اللئيم وصاحبه

وسميتم شر البرية مؤمنا ***كذبتم فشر الناس للناس كاذبه

وقال كعب بن جميل - وهو شاعر أهل الشام - بعد رفع المصاحف،

يذكر ايام صفين ويحرض معاوية (8/ 40):

معاوي لاتنهض بغير وثيقة ***فانك بعد اليوم بالذل عارف

تركتم عبيد الله بالقاع مسندا ***يمج ثجيعاً والعروق نوازف

الا انما تبكي العيون لفارس ***بصفين جلت خيله وهو واقف

ينوء وتعلوه شاييب من دم ***كما لاح في جيب القميص اللفائف

تبدل من أسماء اسياف وائل ***واي فتى لو أخطأته المتالف

وفرت تميم: سعدها وربابها ***وخالفت الجعراء فيمن يخالف

وكتب معاوية الى ابي ايوب خالد بن زيد الانصاري، . صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان سيدة معظماً من سادات

الانصار، وكان شيعة علي عليه السلام كتابة من سطر واحد: حاجيتك : ((لا تنس الشيباء ابا عذرهما، ولا قاتل بكرها))

وكتب في أسفل كتابه (8/ 44):

ابلق لديك ابا ايوب مالكة ***انا وقومك مثل الذئب والنقد

ص: 250

اماقتلتم أمير المؤمنين فلا*** ترجو الهوادة منا آخر الابد
ان الذي نلتموه ظالمين له*** ابقته حزازته صدعة على كبدي
اني حلفت يمينا غير كاذبة*** لقد قتلتم اماما غير ذي أود
لاتحسبوا انني انسى مصيبيته*** وفي البلاد من الأنصار من احد
قد أبدل الله منكم خير ذي كلع*** واليحصيين أهل الخوف والجنند
ان العراق لنا تقع بقرقرة*** او شحمة بهاشا ولم يكذ
والشام ينزلها الابرار بلدتها*** أم، ويصبتها بحرية الاسد
فكتب أيوب الى معاوية :

- اما بعد: فانك كتبت ((لاتس الشيباء ابا عذرها ولا قاتل بكرها)) فضربتها مثلا بقتل عثمان. وما نحن وقتل عثمان! ان الذي تربص بعثمان
وثبط يزيد بن أسد، واهل الشام عن نصرته لأنت، وان الذين قتلوه لغير الأنصار.

وكتب في آخر كتابه (8/ 45):

لا توعدنا ابن حرب اننا نفر*** الانبتغي ود ذي البغضاء من أحد
واسطوا جميعا بني الأحزاب كلكم*** لسنا نريد رضاكم آخر الابد
نحن الذين ضربنا الناس كلهم*** حتى استقاموا وكانوا عرضة الاود
والعام قصرك منا ان تبث لنا*** ضرب يزيل بين الروح والجسد
اماعلي فانالانفارقة*** مارفرف الأل في الدوية الجرد
اما تبدلت منا بعد نصرتنا*** دين الرسول - اناسا ساكني الجلد

لا يعرفون أضل الله سعيهم*** الأوتباعكم ياراعي التقد

فقد بغى الحق حتما اترذي كلع***واليحصيون طراً بيضة البلد

فلما اتى معاوية كتاب أبي أيوب كسره بن الضحاك بن سفيان صاحب راية بني سليم مع معاوية مبغضا اياه واهل الشام وله هوى مع أهل العراق : وعلي بن ابي طالب عليه السلام وكان يكتب باخبار معاوية إلى عبد الله بن الطفيل العامري وهو مع أهل العراق فينجد بها عليا عليه السلام ولما كان الامام علي عليه السلام قد بعث بكتابه الى معاوية قبل ليلة التحرير بيومين أو ثلاثة. انه :
(مصباح معاوية ومناجز له)).

بعث ابن الضحاك إلى ابن الطفيل :

- اني قائل شعرة اذ عربه أهل الشام وارغم به معاوية. فقال ليلا لبستمع
أصحابه (120 /15 - 121) :

الا ليت هذا الليل اطبق سرمدًا***علينا وانا لانرى بعده غدا

وياليتها ان جاءنا بصباحه***وجدنا الى مجرى الكواكب مصعدا

حذار علي انه غير مخلف***مدى الدهر مالبي المليون موعدا

كأنني به في الناس كاشف رأسه***على ظهر خوار الرحالة اجردا

يخوض غمار الموت في مرحبنة***ينادون في تقع العجاج محمدا

فوارس بدر والنضير وخبير***وأحد فيهزون الصفيح المهندا

ويوم حنين جالدوا عن نبيهم***فريقا من الأحزاب حتى تبددا

ص: 252

هنالك لا تلوي عجوز على أبنها*** وأن كثرت من قول: نفسي لك الفدا
فقل لأبن حرب مالذي أنت صانع*** أثبت أم ندعوك في الحرب قعددا
وظني بأن لا يصبر القوم موقفا*** يقفه وأن لم يحرك الدهر للمدى
فلا رأي إلا تركنا الشام جهرة*** وأن أبرق الفجفاج فيها وارعدا
وتناقل الناس كلمة علي عليه السلام:

((لأنجزهم مصبحا)).

فقال الأشر (121/15 - 122):

قددنا الفضل وللسل***م رجال وللحروب رجال
فرجال الحروب كل خبر سر*** ومقحم لا تهده الأهوال
يضرب الفارس المدجج بالسبي*** ف إذا خريفى الوغى الأكفال
يا ابن هندش الحيازيم للمو***ت ولا تذهبن بك الأمال
إن في الصبح أن بقيت لأمر***ناوى من هوله الأبطال
أن تكونوا قتلتم النفر البيض*** وغالت أولئك الآجال
فلنا مثلهم غداة التلاقي*** وقليل من مثلهم إبدال
يخصبون الوشيج طعنا إذا جر***ت من الموت بينهم أذيال
طلب الفوز في المعاد وفيه***تستهان النفوس والأموال
فلما أتى معاوية كتاب علي عليه السلام أكتمه عن عمرو بن العاص أياما .
ثم دعاه فقرأه آياه فشمت به عمر، ولم يكن أحد من قريش أشد أعظاما لعلي

عليه السلام من عمرو بن العاص منذ لقيه وصفح عنه، فقال عمرو فيما كان أثار به على معاوية (207/15):

ألا لله درك يا ابن هند *** ودر الأمرين لك الشهود

أتطمع لا أبالك في علي *** وقد قرع الحديد على الحديد

وترجو أن تخبره بشك *** وتأمل أن يهابك بالوعيد

لقد كشف القناع وجر حربا *** يشيب لهولها رأس الوليد

له جأواء مظلمة طحون *** فوارسها تلهث كالأسود

يقول لها إذا رجعت إليه *** وقدمت طعان القوم عودي

ف ان وردت فأولها ورودا *** وأن صدت فلبس بذي صدود

وماهي من أبي حسن بنكر *** ولا هو من مسائك بالبعيد

وقلت له مقالة مستكين *** ضعيف الركن منقطع الوريد

دعن لي الشام حسبك يا ابن هند *** من السوءات والرأي الزهيد

ولو أعطاكها ما زدت عزا *** ولا لك لو أجابك من مزيد

فلم تكسر بذاك الرأي عودا *** لركته ولا ما دون عود

وبعد التحكيم سمع معاوية أن عليا عليه السلام تحمل إليه مقب"، هاله ذلك فخرج من دمشق معسكر) وبعث إلى كور الشام فصاح بها:

- إن عليا قد سار إليكم.

وكتب إليهم نسخة واحدة فقرئت على الناس؛ ذكر في الكتاب كيف أن

الحكمين قد اتفقا على عدم نكث العهد الذي ثبته في كتاب التحكيم، ودعاهم الى أن يتجهزوا للحرب فمكثوا يحيلون الرأي يومين أو ثلاثة، حتى قدمت عليهم عيونهم أن عليا أختلف عليه أصحابه ففارقه منهم فرقة أنكرت أمر الحكومة وأنه قد رجع عنكم إليهم.

وكان عمار بن عقبة بن معيط مقيمة بالكوفة، وكان يكتب إلى معاوية بالأخبار سره، وكان أخوه الوليد يبعث إليه شعرة يحرضه منه (115/2 - 116):

وان يك ظني في عمارة صادقا***ينم ثم لا يطلب بدهل ولا وتر

بييت وأوتار ابن عفان عنده***مجيمة بين الخورفق والقصر

تمشي رخي البال مستشار القوى*** كأنك لم تسمع بقتل أبي عمرو

إلا أن خير الناس بعد ثلاثة***قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

فأجابه الفضل بن عباس بن عتبة (115/2 - 116):

أطلب ثارا لست منه ولا له***ولا لأبن ذكوان الصفوري والوتر

كما أفتخرت بنت الحمار بأماها***وتنس أباهما إذ تسامي أولو الفخر

ألا أن خير الناس بعد نبيهم***ووصي النبي المصطفى عند ذي الذكر

وأول من صلى وصنو نبيه***واول من أردى الغواة لدى بدر

فلو رأيت الأنصار ظلم ابن عمكم***لكانوا له من ظلمة حاجزي النصر

كفى ذلك عيبا أن يشيروا بقتله***وأن يسلموه للأحبيش من مصر

فعند ذلك دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري إلى التجهز والذهاب إلى

الكوفة لأعراب الأعراب هناك والإغارة على المسالح، فأقبل الضحاك فنهب الأموال وقتل من لقي من الأعراب، فاستصرخ أمير المؤمنين عليه السلام الناس، عقب غارة الضحاك، فتقاعدوا عنه، فخطبهم فقال :

ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم..

فخرج حجر بن عدي حتى مر بالسماوة فلم يزل مغذاً في اثر الضحاك حتى لقيه بناحية تدمر، فوافقه فاقتتلوا ساعة فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً، ومن أصحاب حجر رجلان، وحجز الليل بينهم، فمضى الضحاك، فلما أصبحوا لم يجدوا له وأصحابه أثراً .

وأصاب الضحاك في هربه من حجر عطش شديد، وفيما هو يبحث عن الماء سمع قائلاً يقول (122/2):

دعاني الهوى فازددت شوقاً وربما*** دعاني الهوى من ساعة فأجيب

وأرقتني بعد المنام وربما*** أرقت لساري الهم حين يؤوب

فان أك قد أحببتكم ورأيتكم*** فأني بداري عامر لغريب

وعلى أثر هذه الوقفة كتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه أمير المؤمنين عليه السلام حين بلغه خذلان أهل الكوفة، وتقاعدهم به، طلبه فيه السماح له باللحوق به فكتب الإمام عليه السلام إلى أخيه بأنه لا حاجة له بذلك قائلاً :

والله ما أحب أن تملكوا معي أن هلكت، ولا تحسبن ابن أمك - ولو أسلمه الناس - متخشعاً ولا متضرعاً، أنه لكما قال أخو بني سليم (120/2):

ص: 256

فأن تسأليني كيف أنت فأنتي *** صبور على ريب الزمان صليب

يعز علي إن ترى بي كآبة *** فيشمت عاد أو يساء حبيب

ولما وضعت حرب صفين أوزارها وسلم الحسن عليه السلام الأمر إلى معاوية أخذ عبد الله بن هاشم بن عتبة الأمر قال أسير إلى معاوية
ولما مثل بين يديه ، وعنده عمرو بن العاص ، طلب منه أن يقتله قائلاً :

لم تلد الحية إلا الحية.

ولما أجابه عبد الله جواباً مفعمة، إذ ذكره جزيمة أمام علي عليه السلام في صفين، أمر معاوية به إلى الحبس، فكتب عمرو إلى معاوية
(36 31/8):

أمرتك أمراً حازماً فقصيتني *** وكان من التوفيق قتل ابن هاشم

وكان أبوه يا معاوية الذي *** رماك على حرب بحز الغلاصم

فقتلنا حتى جرت من دماننا *** بصفين أمثال البحور الخضارم

وهذا أبنه والمرء يشبه أهله *** ستقرع أن أبقيته سن نادم

فبعث معاوية بالشعر إلى عبد الله بن هاشم، فكتب في جوابه من السجن :

معاوي أن المرء عمرا أبت له *** ضغينة صدر ودهاغير سالم

يرى لك قتلي يا ابن حرب، وإنما *** يرى ما يرى عمرو ملوك الأعاجم

على انهم لا يقتلون أسيرهم *** إذا كان فيه منعة للمسلم

وقد كان منا يوم صفين نفرة *** عليك، جناها هاشم وابن هاشم

قضى الله فيها ما قضى ثم انتضى *** وماما مضى إلا كأخفات حالم

فأن تعف عني تعف عن ذي قرابة*** وأن تقتلي تستحل محارمي فأطرق معاوية طويلا حتى ظن أنه لن يتكلم، ثم قال :

أرى العفو عن عليا قريش وسيلة*** الى الله في اليوم العبوس القماطر

ولست أرى قتلي فتى ذا قرابة*** له نسب في الحي كعب وعامر

بل العفو عنه بعدما خاب قدحه*** وزلت به إحدى الجلود العواثر

وكان أبوه يوم صفين محنقة*** علينا، فاردته رماح بحابر

ص: 258

غلس علي عليه السلام بالناس صلاة الغداة يوم الثلاثاء، عاشر شهر ربيع الأول، سنة سبع وثلاثين - وقيل عاشر شهر صفر، ثم زحف الى اهل الشام بعسكر العراق. والناس على رايه تم واعلامهم، وزحف اليهم اهل الشام وقد كانت الحرب أكلت الفريقين، ولكنها في اهل الشام اشد نكاية، واعظم وقعا، فقد ملوا الحرب، وكرهوا القتال وتضعضت اركانهم.

اذ كان الأشرق قد حمل على اهل الشام فكسر فيهم رمحه ثم رجع وخرج رجل من اهل الشام طالبة من الامام علي عليه السلام أن يرجع اهل العراق الى عراقهم. فيخلى اهل الشام بينه وبين العراق. ويرجع اهل الشام الى شامهم فيخلى اهل العراق بينهم وبين الشام. ولكن الامام عليه السلام رفض هذه الدعوة قائلا :

- إن الله تعالى ذكره لم يرض من أوليائه أن يعص في الأرض وهم سكوت مدعونون؛ لا يأمرهم بمعروف، ولا ينهون عن منكر، فوجدت القتال أهون على من معالجة في جهنم .

فاشتمد القتال بالنبل والحجارة والرماح والسيوف وعمد الحديد فاجتلدوا من صلاة الغداة من اليوم المذكور الى نصف الليل. وافترقوا عن سبعين الف قتيل في ذلك اليوم وتلك الليلة وهي ليلة التحرير المشهورة.

وكان الأشتر في ميمنة الناس وابن عباس في الميسرة، وعلي عليه السلام في القلب والناس يقتتلون. ثم استمر القتال من نصف الليل الثاني إلى ارتفاع الضحى. ولما بلغ معاوية اندحار جيشه وانتصار جيش الامام علي عليه السلام لجأ إلى عمرو بن العاص، فقال :

- ياعمرو : انما هي الليلة حتى يغدو علي علينا بالفيصل، فما ترى؟ فنصحته أن يلقي إلى القوم امرة أن قبلوه. اختلفوا، وان ردوه اختلفوا، وهو: أن يدعوهم إلى كتاب الله. وكان رفع المصاحف المار ذكره في وقعة صفين، فوافقه معاوية، فاختلف اصحاب علي عليه السلام في الرأي : فطائفة قالت : القتال، وطائفة قالت المحاكمة الى كتاب الله، وكانت خديعة عمرو بن العاص، مع ابي موسى الأشعري. ونتيجة الاختلاف في الرأي خرج جماعة وفيهم قراء على الامام عليه السلام فسموا ب ((الخوارج)

ولما دخل الامام علي عليه السلام الكوفة دخل معه كثير من الخوارج، وتخلف منهم بالنخيلة، وغيرها خلق كثير لم يدخلوها. فدخل نفر من رؤوسهم عليه عليه السلام فقالوا له :

- تب من خطيئتك، واخرج بنا الى معاوية، نجاهده .

فاجابهم الامام عليه السلام :

ص: 260

- اني كنت قد نهيتكم عن الحكومة فاييتم. ثم الآن تجعلوها تبا؟

فقال له عليه السلام احدهم :

- أما والله لئن لم تتب من تحكيمك الرجال لاقتلنك! اطلب بذلك وجه الله ورضوانه فقال عليه السلام :

- بؤساً لك ما اشقاك!

وكانت الخوارج في اول ما انصرفت عن رايات علي عليه السلام تمدد الناس قتلاً، فأتت منهم طائفة على النهر الى جانب قرية فقتلوا هناك عبد الله بن خباب، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقروا بطن جارية له. فعزم علي عليه السلام على الخروج من الكوفة الى الحرورية، وهي قرية على بعد ميلين من الكوفة كان اجتماع الخوارج فيها فنسبوا اليها.

ولما انتهى اليها هو وعسكره رماهم الخوارج والامام عليه السلام يمنع عسكره الرد عليهم حتى تكرر الرمي منهم ثلاث مرات، فقال عليه السلام لهم :

- الان طاب القتال، احملوا عليهم. وكان أميرهم، اول ما اعتزلوا، ابن الكواء، ثم بايعوا لعبد الله بن وهب الراسبي، ولما واقفهم علي عليه السلام بالنهران، قال : لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم.

فحمل منهم رجل على صف علي عليه السلام فقتل منهم ثلاثة ثم قال (2/ 265-272):

أقتلهم ولا أرى علياً*** ولوبدا او جرته الخطيا

ص: 261

فخرج اليه علي عليه السلام فضربه فقتله.

وكان الامام علي عليه السلام قد وجه اليهم عبد الله بن عباس لينظرهم ولكن دون جدوى؟

اذ اعتقدوا أن الامام مذب، وعليه أن يتوب! وهو الشرط الذي وضعوه العودتهم إلى صفه. وهكذا بدأ القتال بينه عليه السلام وبين الخوارج في النهروان فقتل منهم خلقا كثيرا.

وبعد وقعة النهروان اجتمع نفر من الخوارج بمكة فتذاكروا أمر المسلمين، فعابوهم وعابوا اعمالهم عليهم، وذكروا اهل النهروان، فترحموا عليهم وقال بعضهم لبعض:

- لو أن شرينا انفسنا لله عزوجل فاتينا أئمة الضلال وطلبنا غرتهم، وارحنا منهم العباد والبلاد وثأرنا باخوتنا الشهداء بالنهروان. فتعاقدوا عند انقضاء الحج، فقال عبد الرحمن بن ملجم: انا اكفيكم عليا، وقال البرك بن عبد الله التميمي انه صاحب معاوية .

وقال عمرو بن أبي بكر التميمي: انا اكفيكم عمرو بن العاص .

وتعدوا لشهر رمضان في الليلة التي قتل فيها ابن ملجم علي عليه السلام. وفيما يخص الامام علي عليه السلام فقد تنبأ بمقتله ومن يقتله وذلك يوم جمع عليه السلام الناس للبيعة، فجاءه عبد الرحمن بن ملجم فرده علي عليه السلام مرتين او ثلاثا، ثم مد يده فبايعه، فقال له علي عليه السلام:

ص: 262

ما يحبس أشقاها! فوالذي نفسي بيده لتخضين هذه من هذه. ثم أنشد (6/11-112):

اشدد حيازيمك للموت*** فان الموت لا قيكما

ولا تجزع من الموت اذا حل بواديكما

وفي رواية أخرى... فلما بلغ ابن ملجم اعطاه عليه السلام وقال له (6/115):

اريد حياته ويريد قتلي*** عذيرك من خليلك من مراد

وصدق الامام عليه السلام اذ كمن له ابن ملجم في المسجد - بعد اتفائه مع قطام بنت الاخضر فبعثت معه من يساعده - وضرب الامام على جبهته وذلك في ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة اربعين، وقيل ليلة سبع عشرة من شهر رمضان. فأدخل ابن ملجم على علي عليه السلام فقال عليه السلام :

- النفس بالنفس؛ إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني، وان سلمت رأيت فيه رأيي.

فقال ابن ملجم:

- ولقد اشتريته بالف - يعني السيف - وسمته بالف فان خانني فابعده الله.

فنادته أم كلثوم: يا عدو الله، قتلت أمير المؤمنين!

قال: انما قتلت أباك.

ص: 263

قالت : ياعدوالله، إني لأرجو أن لا يكون عليه بأس.

قال : فارك انما تبكين عليه، اذا لقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الارض لاهلكتهم. واخرج ابن ملجم من بين يديه عليه السلام وهو يقول (118/6-119):

(و) نحن ضربنا، يا ابنة الخير اذ طغى *** أباحسن مأمومة فتغظرا

ونحن حللنا ملكه من نظامه ***بضربة سيف اذ علا وتجبرا

ونحن كرام في الصباح أعزة*** اذا المرء بالموت ارتدي وتأزرا

وبعد أن فاضت روح الامام علي عليه السلام الى الخبير اللطيف فدفنه الحسن عليه السلام دعا بابن ملجم وامر بضرب عنقه، فاستوهبت أم الهيثم بنت الاسود الخنعية جثته منه عليه السلام فوهبها لها، فاحرقتها بالنار.

فقال ابن ابي مياس الفزاري، وهو من الخوارج (6/ 125):

فلم أر مهر ساقه ذو سماحة*** كمهر قطام من غني ومعدم

ثلاثة آلاف وعبدوقينة*** وضرب علي بالحسام المصمم

فلا مهر أعلى من علي وان غلا*** ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

وقال عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (125/9-126):

وهز علي بالعراقين لحية*** مصيبتها جلت على كل مسلم

وقال سيأتيها من الله نازل ***وينضبها أشقى البرية بالدم

فعاجله بالسيف شلت يمينه*** الشؤم قطام عند ذلك ابن ملجم

فياضرية من خاسر ضل سعيه*** تبوأ منها مقعدا في جهنم

ففاز أمير المؤمنين بحظه*** وان طرقت احدى الليالي بمعظم

الا انما الدنيا بلاء وفتنة*** حلاوتها شيب بصاب وعقلم

وقال أحد بني عبد المطلب يرثي علي عليه السلام ولم يذكر اسمه (6/ 126):

ياقبر سيدنا المجن سماحة*** صلى الاله عليك ياقبر

ماضر قبرا انت ساكنه*** ان لا يحل بارضه القطر

فليذري سماح كفك بالثرى*** وليورق بجنبك الصخر

والله لوبك لم اجد أحدا*** الا قتلت لفاتني الوتر

ويجدر أن نذكر انه فيمن فارق الامام علي عليه السلام والتحق بمعاوية يزيد بن حبيبة التميمي من بني تيم بن ثعلبة بن بكر بن وائل وكان عليه السلام قد استعمله على الري ودست بني فكسر الخوارج. واحتجج المال لنفسه، فحبسه عليه السلام. وجعل معه سعدة مولاه، فقرب يزيد ركائبه، وسعد نائم، فالتحق بمعاوية وقال (83/4-84):

(و) خادعت سعداً وارتححت بي ركابي*** الى الشام واخترت الذي هو افضل

وغادرت سعدة نائماً في عبادته*** وسعد غلام مستهام مضلل

وعندما وصل الرقة، وهي من حيز معاوية، عليها الضحاك بن قيس قال يهجو الامام علي عليه السلام (84/4):

ياطول ليلي بالرقاق ولم أنم *** من غير عشق حيث نفسي ولاسقم

لكن لذكر امور جملة طرقت *** أخشى على الأصل منها زلة القدم

أخشى عليا عليهم أن يكون لهم *** مثل العقور الذي عفى على إرم

وقد كان زياد بن خصفة اليميني، قال لعلي عليه السلام يوم هرب يزيد بن حجية :

ابعثني يا أمير المؤمنين في أثره ارده اليك. فبلغ قوله يزيد بن حجية فقال في ذلك (4/ 84-85) :

(و) ابلغ زيادة انني قد كفيته *** اموري وخليت الذي لا أعاتبه

وباب شديد موثق قد كفيته *** عليك، وقد اعيت عليك مذاهبه

هبلت اما ترجو غنائي ومشهدي *** اذا الخصم لم يوجد له من يجاذبه

فاقسم لولا أن أمك أمنا *** وانك موسى ما طفقت اعاتبه

واقسم لو أدركتني ما رددتني *** كلاة قد اصطفت إليه جلانبه

وكتب إلى العراق شعرة يذم فيه عليا عليه السلام، فدعا عليه وقال لأصحابه عقب الصلاة :

ارفعوا أيديكم فادعوا عليه.

فدعا عليه وأمن أصحابه، وكان دعاؤه عليه السلام عليه : -

"اللهم أن يزيد بن حجية هرب بمال المسلمين ولحق بالقوم الفاسقين، فاكفنا مكره وكيده واجزه جزاء الظالمين".

ورفع القوم أيديهم يؤمنون.

وكان في المسجد عفاف بن شرحبيل بن أبي رهم اليميني شيخا كبيرة، فقال عفاف :

على من يدعو القوم؟

ولما أخبروه عنفهم فضربوه حتى كاد يهلك، فطلب زياد بن خصفة أن يتركوا له ابن عمه فأمرهم عليه السلام بتركه ومشى معه ومسح التراب عن وجهه وعفاف يقول :

والله لا أحبكم ما سعيت ومشيت، والله لا أحبكم ما أختلفت الدرّة الجرة، وزياد يقول :

ذلك أضرك، ذلك شرك.

وقال زياد بن خصفة يذكر ضرب الناس عفاة (85/4-86):

دعوت عفافاً للهدى فأستغثني *** وولى فرياً قوله وهو مغضب

ولولا دفاعي عن عفاف ومشهدي *** هوى بعفاف - عوض عنقاء مغرب

أنبئه أن الهدى في أتباعنا *** فيأبى، ويضربه المرء فيشغب

فان لا يشاعنا عفاف فأننا *** على الحق ما غنى الحمام المطرب

سيغني الأله عن عفاف وسعيه *** إذا بعثت للناس جواة محرب

قبائل من حي معبر ومثلها *** يمانية لاتشني حين تندب

لهم عدد مثل التراب وطاعة *** تود، ويأس في الوغى لا يؤنب

ص: 267

ومن كلام له عليه السلام كلم به الخوارج قوله (129/4):

أصابكم حاصب، ولا بقي منكم أبر: أبعد أيماني بالله، وجهادي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشهد على نفسي بالكفر، لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين، فأؤبوا شرقاب، وأرجعوا على أثر الأعقاب. أما أنكم ستلقون بعدي ذلا شاملا، وسيفا قاطعة، وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة.

واعلم أن الخوارج على أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم كانوا أصحابه وأنصاره في الجمل وصفين قبل التحكيم! وهذه المخاطبة لهم وهذا الدعاء عليهم، وهذه الأخبار عن حالهم، وقد وقع ذلك.. ولقد كان لهم من سيف المهلب بن أبي صفرة وبنه الحنف القاضي، والموت الزؤام.

ونحن نذكر من أخبار الخوارج ها هنا طرفا.

فمنهم نجدة بن عويمر الحنفي، وكان من رؤسائهم، وله مقالة مفردة من مقالة الخوارج. وله أتباع وأصحاب؛ واليهم أشار الصلتان العبدي بقوله (133 - 132/4):

أرى أمه شهرت سيفها***وقد زيد في سوطها الأصبحي

بنجدية أو صرورية***وأزرق يدعو إلى أزرقى

فملتنا أننا مسلمون***على دين صديقنا والنبي

أشاب الصغير وأفتى الكبير***مر الغداة وكبير العشي

إذا ليلة أهرمت يومها***أتى بعد ذلك يوم فتى

ص: 268

نروح ونغدو لحاجتنا*** وحاجة من عاش لا تنقضي

تموت مع المرء حاجاته*** وتبقى له حاجة مابقي

وكان نجدة يصلي بحذاء عبد الله بن الزبير في جمعة في كل جمعة وعبد الله يطلب الخلافة فيمسكان عن القتال من أجل الحرم.

وقال الراعي يخاطب عبد الملك (133/4):

أني حلفت على يميني برة*** لا اكذب اليوم الخليفة قتيلا

ما أن أتيت بما خبيت وافدا*** يوما أريد لبيعتي تبديلا

ولما أتيت نجيدة بن عويمر*** أبغي الهدى فيز يدني تضليلا

من نعمة الرحمن لا من حيلتي*** أني أعدله علي فضولا

ولما حارب عثمان بن عبد الله بن مقمر الخوارج متحديا أيهم ولم ياخذ بنصيحة حارثة بن بدر الغداني، وحاربهم عثمان الى أن غربت الشمس فاجلت الحرب عنه قتيلا وانهزم الناس، وأخذ حارثة بن بدر الراية وصاح بالناس :

أنا حارثة بن بدر فثاب إليه قوم فعبر بهم دجية، وبلغ قتل عثمان البصرة فقال شاعر من بني تميم (142/4):

مضى ابن عبيس صابرا غير عاجز*** وأعقبنا هذا الحجازي عثمان

فارعده من قبل اللقاء ابن معمر*** وابرق، والبرق اليماني خوان

فضمت قریش غلها وسمينها*** وقيل بنوتيم بن مرة غزلان

فلولا ابن بدر للعراقيين لم يقم*** وبما قام فيه للعراقيين إنسان

إذا قيل من حامي الحقيقة؟ أو مات *** إليه معدلاً كف وقحطان

وكان حارثة بن بدر صاحب شراب معاقرة الخمرة فقال فيه رجل من قومه (143/4):

ألم تر أن حارثة بن بدر *** يصلي وهو أكفر من حمار

ألم تر أن للفتيان حظاً *** وحظك في البغايا والعقار

وأن حارثة لما عقدوا له الحراسة، وسلموا إليه الراية، أمرهم بالثبات، وقال لهم:

إذا فتح الله لهم فللعرب زيادة فريضتين، وللموالي زيادة فريضة، وندب الناس فالتقوا وليس بأحد منهم قوة قد فشيت فيهم الجراحات، وماتطاً الخيل الأعلى القتلى، فبيناهم كذلك، إذ أقبل جمع من الشراة من جهة اليمامة يقول المكثر: أهم متتان، والمقتل أهم أربعون، فاجتمعوا وهم مريحون مع أصحابهم، فصاروا كوكبة واحدة فلما رأهم حارثة بن بدر ركض برايته منهزمة، وقال

لأصحابه (143/6-144):

وكرينوا ودولبوا *** أو حيث شتتم فأذهبوا

وقال: -

أير الحمار فريضة لعبيدكم *** والخصيتان فريضة الأعراب

ولما استطاع المهلب بن أبي صفرة أن يهزم الخوارج قال شاعر من أزد (146/4):

ص: 270

أن العراق وأهله لم يخبروا***مثل المهلب في الحروب فسلموا

أمضى وأيمن في اللقاء نقيية***وأقل تهلي إذا ما أحجموا

وأبلى مع المغيرة - يؤميد - عطية بن عمرو العنبري، من فرسان تميم وشجعاهم، ومن شعر عطية (146/4):

يدعى رجال للطاء وإنما***يدعى عطية للطعان الأجرد

وقال فيه شاعر من بني عطية (146/4):

مافارس إلا عطية فوقه***إذا الحرب أيدت عن نواجذها الفما

به هزم الله الأزارق بعدما***أباحوا من المصريين حلا ومحرمًا

وحمل رجل من الأزارق على رجل من أصحاب المهلب فقتله، فحمل عليه المهلب فطعنه فقتله، ومال الخوارج - بأجمعهم - على العسكر فأهمزم الناس وقتل منهم سبعون رجلاً، وثبت المهلب وأبنة المغيرة يومئذ، وعرف مكانه .

ويقال جال المهلب جولة، ويقول الأزدي، بل كان يرد المنهزمة ويحمي أدبارهم، وبنو تميم تزعم أنه فر، وقال شاعرهم (149/4):

بسولاف أضعت دماء قومي***وطرت على مواشكة درور

وقال آخر من بني تميم (149/4-150):

تبعنا الأعور الكذاب طوعاً***يزجي كل أربعة حماراً

فياندمي على تركي عطائي***معينة وأطلبه ضمارة

إذا الرحمن يسرلي قفولاً***فخرق قرى سولاف ناراً

دعى المهلب ب(الأعور الكذاب) لأصابة عينه بسهم، ولأنه كان يصطنع الأحاديث النبوية في صلاح الكذب في ثلاثة :

"الصلح بين رجلين، ورجل يرضي أمراً، والحرب أنها خدعة".

وفيه يقول رجل من الأزد (150/4):

أنت الفتى كل الفتى *** لو كنت تصدق ما يقول

وأن المهلب بن أبي صغرة عندما عبر دحى وصار الى عاقول لا يؤتى إلا من جهة واحدة فأقام به، وأقام الناس ثلاثة مستريحين. وفي عاقول وسولاف يقول ابن الرقيات (151/4):

ألا طرقت من آل مية طارق *** على أنها معشوقة الدل عاشقة

تراءت وأرض السوس بيني وبينها *** ورستاق سولاف حمته الأزارقة

أجازت علينا العسكرين كليهما *** فباتت لنا دون اللحاف معانقة

فأقام المهلب في ذلك العاقول ثلاثة أيام ثم أرتحل، والخوارج بسلي وسلبري فنزل قريبا منهم.

وبعد قتال شرس في اليوم الثالث حتى الليل ولما أصبحوا غدوا على القتلى؛ فأصابوا ابن المحاوز قتيلا (أحد قادة ابن المهلب)، ففي ذلك يقول رجل من الخوارج (153/6 - 154):

بسلي وسلبري جماجم فتية *** كرام وعقرى من كميته ومن ورد

وقال آخر (154/4):

ص: 272

بسلي وسلبري جماجم فنية***كرام وصرعى لم توسد خدودها

وقال رجل من موالي المهلب : -

لقد صرعت يومئذ بحجر واحد ثلاثة رميت به رجلا فصرعته ثم رميت به رجلا فأصبت به إذنه فصرعته، ثم أخذت الحجر وصرعت به ثالثاً؛ وفي ذلك يقول، رجل من الخوارج (154/4):

أتانا باحجار ليقتلنا بها*** وهل يقتل الأبطال ويحك بالحجر

وقال رجل من أصحاب المهلب في يوم ستي سلبري وقتل ابن المحاوز (154/4) :

ويوم سلي وسلبري أحاط بهم*** مناصواعق لاتبقي ولا تذر

حتى تركنا عبيد الله منجدا*** كما تجدل جذع مال منقعر

ويروى أن رجلاً من الخوارج يوم ستي حمل على رجل من أصحاب

المهلب؛ فطعنه، فلما خالطه الرمح صاح : -

يا أمته .

فصاح به المهلب :

لاكثر الله منك في المسلمين !

فضحك الخارجي وقال (154/4):

أمك خير لك مني صاحباً*** تسقيك محضاً وتعل رائباً

وقال رجل من الخوارج في هذا اليوم (155/4):

ص: 273

فان تك قتلى يوم سلي تتابعت ***فكم غادرت أسيافنا من قماقم

غداة نكر المشرفية فيهم ***بسولاف يوم المأزق المتلاطم

وقال رجل من بني يربوع (157/4):

سقى الله المهلب كل غيث *** من الوسمي ينتحر أنتحارا

فما وهن المهلب يوم جاءت ***عوايس خيلهم تبغي الفوارا

وقال رجل من أصحاب المهلب من بني تميم (157/4-158):

ألا يا من لصلب مستهام *** مريح القلب قدم المزونا

لهان على المهلب مالقينا *** إذا ما راح مسرورة بطينا

يمر السابري ونحن شعث *** كأن جلودنا كسيت طحينا

وفي إحدى المعارك قاتل عمر بن عبيد بن معمر والي فارس في عهد المهلب فهزمهم وقلق جبين زعيمهم قطري بن الفجاءة وبينما هم

ينهزمون مر بهم الغرز بن يهزم العبدى، فسألوه عن خبره وأرادوا قتله فأقبل على قطري وقال :-

أني مؤمن مهاجر. فسأله عن أقاويلهم، فأجابه إليها. فخلا عنه، ففي ذلك يقول في كلمة له (161/4):

فشدو وثاقي ثم الجوا خصومتي *** إلى القطري ذي الجبين المفلق

فحاججتهم في دينهم فحججتهم *** ومادينهم غير الهوى والتخلق

ثم رجعوا وتكاتفوا، فسار إليهم عمر بن عبيد الله ومعه عطية بن عمرو،

ومجاعة بن سحر فالتقوا فألح عليهم عمر حتى أخرجهم، وصار يضربهم بعود في يده فركض إليه قطري في فرس طمر وعمر على مهر فأستعلاه قطري بقوة فرسه حتى كاد يصرعه فبصر به مجاعة فأسرع إليه، فصاحت الخوارج :-

يا ابا ثمامة، أن عدو الله قد رهقك فأنحط قطر على فرسه (سرجه) وطعنه مجاعة وعلى قطري درعان فهتكهما وأسرع السنان في رأس قطري فكشط جلده ونجا.

فقال يزيد بن الحكم لمجاعة (162/4):

ودعاك دعوة مرهق فأجيتة*** عمر وقد نسي الحياة وضاعا

فرردت عادية الكتبية عن فتى*** قد كاد يترك لحمه أوزاعا

وبعد مقتل يزيد بن رويم وزوجته (لطيفة) على أيدي الخوارج قال الشاعر (160/4):

مواقفنا في كل يوم كرهية*** أسر وأشفي من مواقف حوشب

دعاه أبوه والرماح شوارع*** فلم يستجب بل راغ ترواغ ثعلب

فلو كان شهيم النفس أو ذا حفيظة*** رأى مارأي في الموت عيسى بن مصعب وقال آخر (165/4):

نجي حليلته وأسلم شيخه*** نصب الأسنة حوشب بن يزيد

وقال قائل يذكر إحدى المعارك مع الخوارج :

ويوم بجي تلاقيته*** ولولاك لاصطم العسكر

ص: 275

وقال آخر (166/4-167):

خرجت من المدينة مستميتا*** ولم اك في كتيبة ياسمينا

أليس من الفضائل أن قومي*** غدوا مستلثمين مجاهدينا

وياسمين جارية للزبير نصب لواء لها وقال :

من أراد فليلحق بلواء ياسمين، ومن أراد الجهاد فليخرج معي وكان رجل من أصحاب عتاب يقال له شريح، ويكنى أبا هريرة، إذا تحاجز القوم مع المساء نادى بالخوارج والزبير بن علي (167/4):

يا ابن أبي الماحوز والأشرار*** كيف ترون ياكلاب النار

شد أبي هريرة الهرار*** يهركم بالليل والنهار

ألم تروا جيا على الضمار*** تمسي من الرحمن في جوار

وفي المعركة في الأحواز حارب المهلب الخوارج فدفعهم إلى رام هرمز؛ وكان الحارث بن عميرة الهمداني قد صار إلى المهلب مراغمة لعتاب بن ورقاء، ويقال :

أنه لم يرضه عن قتله الزبير بن علي، وكان الحارث بن عميرة هو الذي قتله وخاض إليه أصحابه، ففي ذلك يقول أعشى همدان :

ان المكارم أكملت أسبابها*** لأبن الليوث الغرمن همدان

للفارس الحامي الحقيقة معلما*** زاد الرفاق وفارس الفرسان

حتى تداركهم أعز سميدع*** فحماهم إن الكريم يماني

الحارث بن عميرة الليث الذي*** يحمي العراق إلى قرى نجران

ص: 276

ومن الخوارج كانت امرأة مع قطري بن الفجاءة يقال لها أم حكيم وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهاً، وأحسنهم بالدين تمسكة، وخطبها جماعة منهم فردهم ولم يجبهم، فأخبر من شاهدها في الحرب أنها كانت تحمل على الناس وترتجز، فتقول (170/4-171):

أحمل رأس قد سئمت حملة*** وقد مللت دهنه وغسله

ألا فتى يحمل عني ثقله

والخوارج يعدوها بالآباء والأمهات.

وفي إحدى معارك الخوارج نودي على السبي يومئذ فغولي بأم حفص فبلغ بها رجل سبعين ألفاً، وكان ذلك الرجل من مجوس كانوا اسلموا، ولحقوا بالخوارج، ففرض لكل رجل منهم خمس مائة، فكان ذلك الرجل يأخذ أم حفص، فشق ذلك على قطري بن الفجاءة، وقال: -

ما ينبغي لرجل مسلم أن يكون عنده سبعون ألفاً، أن هذه الفتنة فوثب عليها أبو الحديد العبيدي فقتلها، فأتي به قطري، فبارك عمله فقال رجل من الخوارج (175/4):

كفانا فتنة عظمت وجلت*** بحمد الله سيف أبي الحديد

أهاب المسلمون بها وقالوا*** على فرط الهوى هل من مزيد

فزاد أبو الحديد بنصل سيف*** رقيق الحد فعل فتى رشيد

وكان العلاء بن مطرف السعدي بن عمر القنا، وكان يحب أن يلقاه في صدر

مبارزة فلحقه عمرو القنا يومئذ؛ وهو منهزم، فضحك منه وقال متمثلاً (175/4):

تمناني ليلقاني لقيط *** اعام لك ابن صعصعة بن سعد

ثم صاح به :

انج يا ابا المصدى.

وهي كنية عمرو القنا، وكان عمرو القنا قد حمل معه امرأتين إحداهما من بني جنية، يقال لها أم جميل، والأخرى بنت عمه، يقال لها فلانة بنت عقيل فطلق الضبية، وحملها أولاً، وتخلص بابنة عمه، فقال في ذلك (176/4):

الست كريماً إذ أقول لقيتني *** فقوا فاحملوها قبل بنت عقيل

ولولم يكن عودي نضارة لأصبحت *** تجر على المتنين ام جميل

ولما هزم عبد العزيز بن عبد الله أسيد أمام جيش الخوارج جاء حبيب بن المهلب الى أخيه خالد

(وكان أميراً على البصرة) فأخبره فغضب ولم يصدقه فأستتر حبيب في بني عامر بن صعصعة، وتزوج هناك في أستتاره الهلالية وهي أم ابنة عباد بن حبيب، وقال الشاعر يخطئ رأيه (177/4):

بعثت غلاماً من قريش فروقة *** وتترك ذا الرأي الأصيل المهلبا

أبى الذم وأختار الوفاء وأحكمت *** قواه، وقد ساس الأمور وجربا

وقال الحارث بن خالد المخزومي (177/4):

مر عبد العزيز إذ راء عيسى *** وابن داود نازلاً قطريا

ص: 278

عاهد الله أن نجامل منيا*** ليعودن بعدها حرميا

يسكن الخل والصفاح فغوريا*** مرارة ومرة نجديا

حيث لا يشهدوا القتال يسمع*** يوما لكسرخيل دويا

وفي معركة بين الخوارج بقيادة قطري بن الفجأة وبين المهلب بن أبي صفرة في مدينة كازرون، وهي من أخصب مدن سابور، قال النعمان بن عقبة (185/4):

ليث الحواضن في الخدور شهدنا*** فيرين من وغل الكتبية أولا

وقروا وكنا في الوقار كمثلهم*** إذ ليس تسمع غير قدم أو هلا

رعدوا فأبرقنا لهم بسيوفنا*** ضرباً ترى منه السواعد تختلا

تركوا الجماجم والرماح تحيلها*** في كازرون كما تحيل الحنظلا

بعد تلك المعركة اختار الخوارج لهم رئيساً يدعى صالح بن مخراق أعدهم للبيات. فلما انتصف الليل وكان المهلب قد بعث ابنه المغيرة يستطلع أمرهم رجع المغيرة إلى أبيه فسرى صالح بن المخراق في القوم الذين كان أعدهم للبيات إلى ناحية بني تميم وعليهم الحريش بن هلال، وهو يقول (187/4):

أني لمذ للشراة نارها*** ومانع مما أتاها دارها

وغاسل بالسيف عنها عارها

فوجد بني تميم أيقاظا متحارسين، وخرج اليهم الحريش بن هلال وهو يقول (188/4):

وجدتمونا وقرأ انجادا*** لا كسفا ميلا ولا أوغادا

هيهات لا تلفوننا رقادا***لا بل إذا صيح بنا أسيدا

ومن إفرافات هذه الحرب أن أبا حرملة العبدى - وهو من عسكر المهلب - قال يوما يهجو المهلب (190/4):

عدمك يا مهلب من أمير***أما تدى يمينك للفقير؟

بدولاب أضعت دماء قومي***وطرت على مواشكة درور

فقال له المهلب :

ويحك! والله أنى لاقىكم بنفسى وولدى .

قال :- .

جعلني الله فداء الأمير! فذاك الذي نكرهه منك، ما كلنا يجب الموت.

قال :- .

ويحك! وهل عنه من محيص؟

قال :

لا، ولكننا نكره التعجيل؛ وأنت تقدم عليه أقداما .

قال المهلب :

ويلك! أما سمعت قول العلجة اليربوعي (190/4):

ونادى منادى الحي أن قد أتيتم***وقد شربت ماء المزايدة أجمعا

فقلت لكأس الجميها فأنما***نزلنا الكثيب من زرود لنفرعا

فقال :

ص: 280

بلى وقد سمعت، ولكن قولي أحب إلي منه :

ولما وقفتم غدوة وعدوكم *** الى مهجتي وليت أعداءكم ظهري

وطرت ولم أحفل ملامة جاهل *** يساقي المنايا بالردينية السمر

فقال المهلب :

- بنس حشو الكتيبة أنت، والله يا أبا حرملة، أن شئت إذنت لك فانصرفت إلى أهلك.

قال :

بل أقيم معك أيها الأمير.

فوهب له المهلب وأعطاه، فقال يمدحه (191/4):

يرى حتماً عليه أبوسعيد *** جلاذ القوم في أولى النفير

إذا نادى الشراة أبا سعيد *** مشي في رفل محكمة القتير

كانت ركب الناس قديمة من الخشب ... فأمر المهلب بضرب الركب من الحديد :- فهو أول من أمر بضربها وفي ذلك يقول عمران بن عصام الغزي (194/4) :

ضربوا الدراهم في إمارتهم *** وضربت للحدثان والحرب

حلقأتري منها مرافقهم *** كمراكب لجمالة الجرب

وجه الحجاج إلى المهلب رجلين يستحثانه لمناجزة القوم، وهما زياد بن عبد الرحمن، من بني عامر بن صعصعة، والآخر من آل عقيل من رهط الحجاج، فظم

ص: 281

المهلب زيادة الى أبنه حبيب، وضم الثقفي الى ابنه يزيد، وأوصاهما بمفاداة الخوارج، وبعد قتال شديد قتل زياد بن عبد الرحمن، وفقد الثقفي، وفي اليوم الثاني قد وجد الثقفي فدعاه المهلب، ودعا بالغداء فجعل النبل يقع قريبة منهم ويتجاوزهم، والثقفي بعجب من أمر المهلب، فقال الصلتان العبدى (195/4):

ألا يا أصبحاني قبل عوق العوائق *** وقبل اختراط القوم مثل العقائق

غداة حبيب في الحديد يقودنا *** يخوض المنايا في ظلال الخوافق

حرون إذا ما الحرب طارشرارها *** وهاج عجاج النقع فوق المفارق

فمن مبلغ الحجاج أن أمينة *** زياد أطاحته رماح الأزرق

كان الحجاج قد رزق أهل البصرة دون أهل الكوفة فقال له عتاب وقد طلبه الحجاج :

ما أنا ببارح حتى ترزق أهل الكوفة.

فرفض المهلب، فتلا سنا وكادت أن تشب حرب بينهما لولا المغيرة الذي مشي بين أبيه وبين عتاب وقال لعتاب : -

يا أبا ورقاء إن الأمير يصير إلى كل ما تحب.

وسال أباه أن يرزق أهل الكوفة ففعل فصلح الأمر: - فقال رجل من

الأزد من بني أياد بن الأسود (196/4):

ألا أبلغ أبا ورقاء عنا *** فلولا أننا كنا غضابا

على الشيخ المهلب إذ جفانا *** للاقى خيلكم منا خرابا

وخرج عمرو بن القنا - وهو من بني سعد بن زيد مناة بن تميم فنأدى على جيش الخوارج. يا أيها المحلون هل لكم في الطرد، فقد طال عهدي به، ثم قال (198/4):

ألم تر إنا من ثلاثين ليلة*** جديب وأعداء الكتاب على خفض

فالتحم القوم وصرع المغيرة، وكان الذي صرعه عبيدة بن هلال بن يشكر بن بكر بن وائل، وكان يقول يومئذ (198/4):

أنا ابن خير قوم هلال*** شيخ على دين أبي بلال

وذاك ديني آخر الليالي

وبعد أن غار صالح بن مخراق (الخارجي) على السرح شق على المهلب فطلب من أولاده أن يأخذوا الطريق عليهم، فبادر بشر بن المغيرة، ومدرك والمفضل أبنا المهلب؛ فسبق بشر إلى الطريق، فإذا رجل أسود من الأزارقة يشل السرح وهو يقول (199/4):

نحن قمعناكم بشل السرح*** وقد نكأنا القرع بعد القرع

فتناخوا عليه وأستردوا السرح منه بعد أن قتلوه.

وأبلى يومئذ ابن المنجب السدوسي، فقال غلام له يقال له حلاج :

والله لو ددنا أن فضضنا عسكرهم حتى نصير إلى مستقرهم، فأستلب مما هناك جاريتين.

فقال له مولاه ابن المنجب :

ص: 283

وكيف تمنيت، ويحك، أثنيتين؟

فقال :

لأعطيك أحدهما وآخذ الأخرى. فقال ابن المنجب (200/4):

حلاج أنك لن تعانق طفلة***شرقاً بها الجادي كالتمثال

حتى تلاقي في الكتبية معلماً***عمر والقنا وعبيدة بن هلال

وترى المقطر في الفوارس مقدماً***في عصابة نشطوا على الضلال

أو أن يعلمك المهلب غزوة***وترى جبلاً قد دنت لجبال

وكان بدر بن الهذيل، من أصحاب المهلب شجاعة، وكان لخانة؛ كان إذا أحس بالخوارج ينادي : -

يا خيل الله اركبي؛ واليه يشير القائل (201/4):

وإذا طلبت إلى المهلب حاجة***عرضت توابع دونه وعبيد

العبدرس وبدر مثله***وعلاج باب الآخرين شديد

وولي الحجاج كردس) فارساً، ووجهه إليها والحرب قائمة، فقال رجل من أصحاب المهلب (201/4):

(و) لورآه كردم لكردماً كردماً***العير أحس الضيغما

كان المغيرة بن المهلب والرقاد يحيان ولا يعطيان الجند شيئاً، ففي ذلك يقول رجل من بني تميم في كلمة له (202/4):

ص: 284

ولو علم ابن يوسف ما تلاقي *** من الآفات والكرب الشداد

الفاضت عينه جزعا علينا *** واصلح ما أستطاع من الفساد

الأقل للأمير جزيت خيرا *** أرحنا من مغيرة والرقاد

فما رزق الجنود بهم قفيزا *** وقد ساست مطامير الحصاد

ومن الخوارج : عبد ربه الصغير، أحد موالي قيس بن ثعلبة ولما أختلف الخوارج على قطري بايعه جمع منهم كثير، وكان قطري قد عزم على أن يبايع للمقمطر العبدى، فأختلف الخوارج فيما بينهم، فصال بن مخراق وجماعة كرهوا أن يحل المقمطر العبدى محل قطري بن الفجاءة في الخلافة، وقطري يريد ذلك، فخلعه جماعة وبايعوا عبد ربه الصغير، وهو معلم كتاب، فنشبت الحرب بينهم؛ فقال الصلت بن مرة القطري :

يا أمير المؤمنين إن كنت تريد الله فأقدم على القوم، وإن كنت تريد الدنيا فأعلم أصحابك حتى يستأمنوا، ثم قال (205/4):

قل للممحين قدقرت عيونكم *** بفرقة القوم والبغضاء والهرب

كنا أناس على دين فغيرنا *** طول الجدال وخلط الجد باللعب

ما كان أغنى رجالأقل جيشهم ** عن الجدال وأغناهم عن الخطب

أني لأهونكم في الأرض مضطربا *** مالي سوى فرسي والرمح من نشب

ثم قال : أصبح المهلب يرجو منا ما كنا نطمع فيه.

وارتحل القطري إلى منزل آخر ونزل المهلب خندق قطري فجعل يقال عبد

ربه أحيانا بالغداة وأحيانا بالعشي، فقال رجل من سدوس يقال له المعتق وكان فارسا (206/4):

ليث الحرائر بالعراق شهدنا*** ورأينا بالسفح بالأجبال

فنكحت أهل الجد من فرساننا*** والضاربين جماجم الأبطال

وسقط رمح لرجل من مراد، من الخوارج، فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل؛ وذلك مع المغرب، والمرادي يرتجز، ويقول (208/4):

الليل ليل فيه ويل ويل*** قد سال بالقوم الشراة السيل

أن جاز في الأعداء فيناقول

وقال المهلب لحبيب بن أوس :

كر على القوم.

فلم يفعل، وقال (209/4):

يقول لي الأمير بغير علم*** تقدم حين جذبته المراس

فمالي إن أطعتك من حياة*** ومالي غير هذا الرأس راس

وقال المعن بن المغيرة بن أبي صفرة :

إحمل.

فقال :

لا، إلا أن تزوجني ابنتك أم مالك.

فقال :

ص: 286

زوجتك.

فحمل على الخوارج فكشفهم، وطعن فيهم وقال (210-209/4)

ليت من يشتر الحياة بمال***ملكة كان عنده ميزانا

يضل الكل عند ذلك بطعن***أن للموت عندنا ألوانا

ثم جال الناس جولة عند حملة حملها عليهم الخوارج، فالتفت المهلب فقال للمغيرة أبنه :

ما فعل الأمين الذي كان معك؟

قال :

قتل وهرب الثقفي.

فقال ليزيد:

ما فعل عبيد بن أبي ربيعة؟

قال :

لم أره منذ كانت الجولة .

فقال الأمين الآخر للمغيرة :

أنت قتلت صاحبي.

فلما رجع العشي رجع الثقفي، فقال رجل من بني عامر بن صعصعة (210/4):

ص: 287

ما زلت يا ثقفي تخطب بيننا*** وتغمننا بوضيعة الحجاج

حتى إذا ما الموت أقبل زاخرا*** وسقى لنا صرفاً بغير مزاج

وليت يا ثقفي غير مناظر*** تنساب بين أحزّة وفجاج

ليست مقارعة الكمأة لدى الوغى*** شرب المدامة في أناة زجاج

ولما أصبح المهلب أشرف على واد فإذا هو برجل معه رمح مكسور مخضوب بالدم ينشد (210/4-211):

وأني لأعفي ذا الخمار وصنعتي*** إذا راح اطواء ب ني الأصاغر

أخادعهم عنه ليغبق دونهم*** واعلم غير الظن أني مغادر

كأنني وأبدان السلاح عشية*** يمر بنا في بطن فيحان طائر

ووجه كعب بن معدان الأشقري ومرة بن بليد الأزدي فوردنا على الحجاج، فلما طلعا عليه، تقدم كعب فانشد (213/4-214):

يا حفص أني عداني عنكم السفر*** وقد أرقّت فأذى عيني السهر

علقت يا كعب بعد الشيب غانية*** والشيب فيه عن الأهواء مزدجر

أممسك أنت عنها بالذي عهدت*** أم حبلها مذناتك اليوم منبر

علقت خوداً بأعلى الطف منزلها*** في غرفة دونها الأبواب والحجر

درها مناكبها رياً ماكمها*** تكاد إذ نهضت للمشي تنبر

وقد تركت بشط الزابين لها*** دارا بهاسعد البادون والحضر

وأفتر دارا بها حي اسربهم*** مازال فيهم لمن تختارهم خير

لما نبت بي بلادي صرت منتجعا*** وطالب الخير مرتاد ومنتظر

أبا سعيد فأنى جئت منتجعا*** أرجو نوالك لما مسني الضرر

لولا المهلب ما زرنا بلادهم*** ما دامت الأرض فيها الماء والشجر

فما من الناس من حي علمتهم*** إلا يرى فيهم من سييهم أثر

كتانهون قبل اليوم شانهم*** حتى تقاوم أمر كان يحتقر

فما يجاوز باب الجسر من أحد*** قد عضت الحرب أهل المصر فانجمروا

لما وهنا وقد حلوا بساحتنا*** فاستنفر الناس ثارات فمانفروا

نادي أمرؤ لا خلاف في عشيرته*** عنه وليس به عن مثله قصر

خبوا كمينهم بالسفح إذ نزلوا*** بكازون فماعزوا ولا نصروا

بانت كتائبنا تردي مسومة*** حول المهلب حتى نور القمر

هناك ولوا خزايا بعدما هزموا*** وحال دونهم الأنهار والجدر

تأبى علينا حزازات النفوس فما*** تبقي عليهم ولا يبقون أن قدروا

فضحك الحجاج، وقال :

انك لمنصف يا كعب.

وأمر له بعشرين ألف درهم وحمله على فرس، وأوفده على عبد الملك فأمر له بعشرين ألفا أخرى .

وكعب الاشقري من شعراء المهلب ومادحيه، ومما مدحه هذه القصيدة (216/4):

طربت وهاج لي ذاك اذكارا ***بكش وقد اطلت به الحصارا
وكنت الذ بعض العيش حتى ***كبرت وصارلي همي شعارا
رأيت الفانيات كرهن وصلي ***وابدين الصريحة لي جهارا
غرضن بمجلسي وكرهن وصلي ***أوان كسيت من شحط عذارا
زرين علي حين بدا مشيي ***وصارت ساحتي لهم دارا
أتاني والحديث له نماء ***مقالة جائر احفى وجارا
سلوا اهل الاباطح من قریش ***عن المجد المؤثل اين صارا
ومن يحمي الثغور اذا استحرت ***حروب لا ينون لهاغارا
القوم الأزدي في الغمرات أمضى ***وأخي ذمة واعزحارا
هم قادوا الجياد على وجاها ***من الأنصار يقذفن المهارا
بكل مفازة وبكل شهب ***بسابس لا يرون لها منارا
الى كرمان يحملن المنايا ***بكل ثنية يوقدن نارا
شواذب ما اصبنا النار حتى ***رددناها مكلمة مرارا
ويشجرن العوالي السمر حتى ***ترى فيها عن الاسل ازورارا
غداة تركن مصرع عبد رب ***نثرن عليه من رهج غبارا
ويوم الزحف بالاهواز ظللنا ***نروي منهم الاسل الحرارا
فقرت أعين كانت حزينا ***قليلا نومها الأغارا
صنائعنا السوابغ والمذاكي ***ومن بالمصر يحتلب العشارا

وهن يبجن كل صحى عزيز*** ويحمين الحقائق والذمارا
طوالات المنون بطن الا*** اذا سار المهلب حيث سارا
ولولا الشيخ بالمصرين ينفي*** عدوهم لقد نزلوا الديارا
ولكن قارع الأبطال حتى*** اصابوا الأمن واحتلوا القرارا
اذا وهنوا وحل بهم عظيم*** بدق العظم كان لهم جبارا
ومبهما يحيد الناس عنها*** تشب الموت شد لها ازارا
شهاب تنجلي الظلماء عنه*** يرى في كل مظلمة منارا
بنوك السابقون الى المعالي*** اذا ما أعظم الناس الخطارا
كأنهم نجوم حول بدر*** تكمل اذ تكمل فاستدارا
ملوك ينزلون بكل ثغر*** اذا ما الهام يوم الروع طارا
رزان في الخطوب ترى عليهم*** من الشيخ الشمانل والنجارا
نجوم يهتدى بهم إذا ما*** اخو الغمرات في الظلماء حارا
براك الله حيث براك بحرا*** وفجر منك انهارا غزارا

كتب الحجاج الى المهلب يأمره بمناجزة الخوارج، وسيتبطئه ويضعفه ويعجزه من تأخير امرهم، فأجابه المهلب بوساطة رسوله :

انما البلاء أن يكون الأمر لمن يملكه لالمن يعرفه، ثم طلب منه أن يبعث من يرى مكانه، واخبر عبد الملك بذلك فكتب إلى الحجاج ان لا يعارض المهلب فيما يراه .

فقام كعب الأشعري الى المهلب، فأنشده بمحضر رسول الحجاج (219/4-220):

ان ابن يوسف غره من امركم *** خفض المقام بجانب الانصار

لوشاهد الصفين حيث تلاقيا *** ضاقت عليه رحية الاقطار

من ارض سابوا والجنود وخیلنا *** مثل القداح بريتهايشتار

من كل صنديد يرى بلبانه *** وقع الضباة مع القنا الخطار (75)

الرأي معاودة الرياح غنيمة *** ازمان كان محالف الاقتار

فدع الحروب لشييها وشبابها *** وعليك كل غريدة معطار

بعد أن انتصر المهلب على الخوارج وكتب بذلك الى الحجاج، قدم المهلب على الحجاج فأجلسه الى جانبه، وأظهر بره وأكرمه، وقال :

- يا أهل العراق. انتم عبيد قن للمهلب.

ثم قال : انت والله كما قال لقبط (222/4):

فقلدوا أمركم لله دركم *** رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا

الايطعم النوم الاريث يبعثه *** هم يكاد حشاه يقصم الضلعا

الامترفان رخاء العيس ساعده *** ولا اذا عض مكروه به خشعا

مازال يحلب هذا الدهر اشطره *** يكون متعاطورة ومتسقا

حتى استمرت على شزر مريته *** مستحکم الرأي لاقحما ولاضرعا

وطلب الحجاج ان يذكر له القوم الذين ابلوا فذكرهم المهلب على مراتبهم

في البلاء وتفاضلهم في الفناء، وقدم بنيه، وقال : والله لو واحد قدمهم في البلاء القدمته عليهم، ولولا أن اظلمهم لآخر قم. ثم ذكر معن بن المغيرة والرقاد واشباههما. فامر الحجاج بتفضيل قوم على قوم على قدر بلائهم. وزاد ولد المهلب الفين الفين. وفعل بالرقاد وجماعة شبيهة بذلك. وقال يزيد بن صبغاء من الأزارقة (223/4 - 224) :

دعي اللوم أن العيس ليس بدائم *** ولا تعجلي باللوم يأأم عاصم

فان عجلت منك الملامة فاسمعي ***مقالة معني بحقك عالم

ولا تغدلينا في الهدية إنما ***تكون الهدايا من فضول المغانم

وليس بمهمن يكون نهاره *** جلادة ويمسي ليله غير نائم

يريد ثواب الله يوما بطعنة ***غموس كشدم العنبري بن سالم

ابيت وسريالي دلاص حصينة *** ومقرها والسيف فوق الحيازم

حلفت برب الواقفين عشية ***لدي عرفات حلقة غير آثم

لقد كان في القوم الذين لقيتهم ***بابور شغل عن بروز اللطائم

فتوقد في ايديهم زاغيبية ومرهفة تفري شؤون الجماجم

وقال المغيرة الحنظلي من اصحاب المهلب (4 / 224) :

إني امرؤ كني ربي واكرمني ***عن الامور التي في غيرها وخم

وإنما انا انسان اعيش كما ***عاشت رجال وعاشت قبلها أمم

ما عاقني عن ققول الجند ان قفلوا ***عين بما صنعوا حولي ولاصمم

ولو اردت ققولا ما تجهمني ***اذن الامير ولا الكتاب اذ رقموا

ان أن المهلب أن اشتق لرؤيته*** اوامتحه فان الناس قد علموا

والقائل الفاعل الميمون طائره*** ابوسعيد اذا مات النعم

الزمان كرمان از غص الحديد بهم*** واذ تمنى رجال انهم هزموا

وقال حبيب بن عوف من قواد المهلب (225/4):

ابا سعيد جزاك الله صالحه*** فقد كفيت ولم تعنف على أحد

داويت بالحلم اهل الجهل فانقمعوا*** وكنت كالوالد الحاني على ولد

وقال عبيدة بن هلال الخارجي يذكر رجلا من اصحابه (225 /4):

يهوى فترفعه الرماح كأنه*** شلو تنشب في مخالاب ضار

يهوى صريعة والرماح تنوشه*** ان الشراة قصيرة الاعمار

ومن الخوارج شبيب بن يزيد الشيباني. اذ دخل الكوفة والحجاج عليها، حتى انتهى الى السوق، وشد حتى ضرب باب القصر بعموده حتى احدث فيه ضربة، ثم أقبل حتى وقف عند باب المصطبة، وانشد (247/4):

وكأن حافرها بكل ثنية*** فتق يكيل به شحيح معدم

عبد دعي من ثمود أصله*** لا بل يقال أبو البهيم يقدم

ومضى شبيب حتى أخذ على شاطئ الفرات، ثم اخذ على الانبار، ثم دخل دقوق (كركوك) ثم ارتفع الى اداني آذربيجان، وخلال مسيرته تلك دارت معارك بينه وبين الحجاج، فقال الجهري بن ابي همام الذهلي يرثيهم (4 /245):

شباب اطاعوا الله حتى احبهم*** وكلهم شاريخاف ويطمع

فلما تبدوا من دقوقا بمنزل*** الميعاد اخوان تداعوا فاجمعوا

دعوا خصمهم بالمحكمات وبينوا*** ضاللتهم، والله ذو العرش يسمع

بنفسي قتلى في دقوقاء غودرت*** وقد قطعت منها رؤوس واذرع

للتبونساء المسلمين عليهم*** ودون مالاقين مبكى ومسمع

ورثت اخت الوليد بن طريف الشيباني الخارجي اخاها بعد أن قتله يزيد بن يزيد الشيباني، وحمل رأسه إلى الرشيد، وقالت انه من اهل
التقى والدين على قاعدة شعراء الخوارج (73/5-74):

أياشجر الخابور مالك مورق*** كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد الأمن التقى*** ولا المال الأمن قنا وسيوف

ولا الذخر الأكل جرداء شطبة*** وكل رقيق الشقرتين خفيف

فقدناك فقدان الربيع وليتنا*** فدينك من ساداتنا بالوف

وقال مسلم بن الوليد بن يزيد بن يزيد، ويذكر قتله الوليد (74/5).

والمارق بن طريف قد دلفت له*** بعارض للمنايا مسبل هطل

الوان شيئا بكى مما اطاف به*** فاز الوليد بقدرح الناضل الحصل

ماكان جمعهم لما لقيتهم*** الأكرجل جراد ريع منجفل

فاسلم يزيد فما في الملك من أود*** اذا سلمت، ولا في الدين من خلل

خرج في أيام المتوكل بن عمرو الخثعمي بالجزيرة فقطع الطريق، وتسمى

بالخلافة، فحاربه ابو سعيد محمد بن يوسف الطائي الثغري الصامني، فقتل كثيرة من اصحابه، واسر كثيرة منهم، ونجا بنفسه هاربا فمدحه ابو عبادة البحرني، فقال (76-74/5):

كنا نكفر من امية عصبه *** طلبوا الخلافة فجرة وفسوقا

ونلوم طلحة والزبير كليها *** ونعنف الصديق والفاروقا

ونقول تيم اقربت وعديها *** امرأبعداً حيث كان سحيقا

وهموا قريش الأبطون اذا انتموا *** طابوا اصولا في العلا وعروقا

حتى غدت جسم بن بكر تبغي *** ارث النبي وتدعيه حقوقا

جاؤوا براعيهم ليتخذوا به *** عمدالى قطع الطريق طريقا

عقدوا عمامته برأس قناته *** ورأوه برأ فاستحال عقوقا

واقام ينفذ في الجزيرة حكمه *** ويظن وعد الكاذبين صدوقا

حتى اذا ما الحية الذكر انكفى *** من ارزن حربايمج حريقا

غضبان يلقي الشمس منه بهامه *** يعشي العيون تألقأوبروقا

اوفى عليه وظل من دهش يظن *** البر بحرة والفضاء مضيقا

غدرت امانيه به وتمزقت *** عنه غيابة سكره تمزيقا

طلعت جياذك من ربا الجودي قد *** حملن من دفع المنون وسوقا

فدعا فريقا من سيوف حتفهم *** وشدت في عقد الحديد فريقا

ومضى ابن عمر قد اساء بعمره *** قعب على باب التحميل اريقا

لو خاضها عمليق او عوج اذن*** ماجوزت عوجا ولا عمليقا

لولا اخضرار الخوف في أحشائه*** رسب العباب به فمات غريقا

لو نفسته الخيل لفتة ناظر*** ملأ البلاد زلازلا وفتوقا

لشي صدور الخيل تكشف كربه*** ولوى رماح الخط تفرج ضيقا

ولبكرت بكر وراحت تغلب*** في نصر دعوته اليه طروقا

حتى يعود الذئب ليأضيغما*** والغصن ساقا والقرارة نيقا

هيهات مارس فيلقا متيقظا*** قلقا اذا سكن البليد رشيقا

متسلفة جعل الغبوق صبوحة*** ومرى صبوح غد فكان غبوقا

ومن يعظمه الخوارج مرداس بن حدير ابو بلال، أحد بني ربيعة بن حنظلة وكان ناسكة، وكان قد شهد مع علي عليه السلام صفين ثم انكر التحكيم، وشهد النهروان، ونجا فيمن نجا، عبيد الله بن زياد، وخرج من حبسه فغادر هو واصحاب له، ومضى حتى نزل آسك، وهي ما بين رامهرزوارجان، فمر به مال يحمل الى ابن زياد، وقد قارب اصحابه الاربعين فحط ذلك المال، وأخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ورد الباقي على الرسل. ولأبي بلال مرداس هذا في الخروج أشعار، منها قوله (85/5):

أبعد ابن وهب في النزاهة والتقى*** ومن خاض في تلك الحروب المهالكا

احب بقاء أو ارجي سلامة*** وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا

فيارب سلم نيتي وبصيرتي*** وهب لي التقى حتى الاقي أولئكا

ص: 297

فندب ابن زياد جيشا إلى خراسان بقيادة أسلم بن زرعة الكلابي من ألفي رجل، يتعقبون أبا بلال وأصحابه، ولما التقوهم صاح بهم أبو بلال :

اتق الله يا اسلم، فأنا لانريد فسادا في الأرض، ولا تحتجر فيئا.

ولكن أسلم أصر على أن يأخذهم لأبن زياد، فحملوا على أسلم حملة رجل واحد، فانهزم هو وأصحابه من غير قتال، وكان يأسره معبدا أحد الخوارج، ولما عاد إلى ابن زياد غضب عليه غضبا شديدا.

وكان إذا خرج إلى السوق، أو مر بصبيان صاحوا به :

أبو بلال وراءك.

وربما صاحوا به :

معبد خذه.

ففي ذلك يقول عيسى بن فاتك، من بني تميم اللات بن ثعلبة أحد الخوارج (87-86/5) :

فلما أصبحوا صلوا وقاموا*** إلى الجرد العتاق مسومينا

فلما أستجمعوا حملوا عليهم*** فظل ذوو العائل يقتلوننا

أألفامؤمن فيكم زعمتم*** ويهزمكم بأسك أربعونا ؟

كذبتهم ليس ذلك كما زعمتم*** ولكن الخوارج مؤمنونا

هم الفئة القليلة غير شك*** على الفئة الكثيرة ينصرونا

وبعث ابن زياد في أثرهم عباد بن علقمة المازني فلما لقيهم حاوره أبو بلال

ص: 298

مثلما حاور أسلما قبله وبينما هم كذلك مر القعقاع وكان في طريقه إلى الحج ولما علم أهم الخوارج حمل عليهم فأسروه، ولكن أبا بلال أطلقه بحيله أحتالها القعقاع مدعية أنه ليس من أعداء الخوارج بل هو في طريقه إلى الحج فغرر به فقاتلهم، ولما أطلقه حمل عليهم ثانية وهو يقول (89/5):

أقاتلهم وليس علي بعث *** نشاطا ليس هذا بالنشاط

أكثر على الحروريين مهري *** لا حملهم على وضح الصراط

فحمل عليه حريرث بن حجر السدوسي وكهمس بن طلق الصريمي فأسراه وقتلاه، ولم يأتيا به أبا بلال، ولم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت صلاة الجمعة فناداهم أبو بلال:

يا قوم

أن يكفوا ليصلوا، فاجابوه على طلبه، ولكن عبادة وجماعة أسرعوا في صلاهم والخوارج مبطنون، وبينما هم في صلاتهم مال عليهم عباد ومن معه فقتلوهم جميعا، وأتى برأس أبي بلال.

ففي مقتلهم يقول عيسى بن فاتك الخطي (90/5):

ألا في الله لا في الناس سالت *** بداود وأخوته الجذوع

مضوا قتلا وتمزيقا وصلبا *** تحوم عليهم طير وقوع

إذا ما الليل أظلم كابدوه *** فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا *** وأهل الأرض في الدنيا هجوع

ص: 299

وقال عمران بن حطان (91/5):

يا عين يبكي لمرداس ومصرعه *** يارب مرادس أجعلني كمرادس

تركنتي هائما أبكي لمرزئه *** في منزل موحش من بعد أيناس

أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه *** فالناس بعدك يا مرادس بالناس

أما شربت بكأس دار أولها *** على القرون فذاقوا صرعة الكأس

فكل من لم يذقها شاربا عجلا *** يشقى بأنفاس ورد بعد أنفاس

وقال أيضا (91/5):

لقد زاد الحياة الي بغضا *** وحبا للخروج أبو بلال

أحاذر أن أموت على فراشي *** وأرجو الموت تحت ذرا العوالي

ولو أني علمت بأن حتفي *** تحتف أبي بلال لم أبال

فمن يك همه الدنيا فأنى *** لها- والله رب البيت - قال

وعمران هذا أحد بني عمرو بن يسار بن ذهل بن ثعلبة بن عكاية بن صععب بن عك بن بكر بن وائل، وكان راس العقد من الصفرية وفقههم وخطيبهم، وشاعرهم، وشعره هذا بخلاف أبي خالد القناني، وكان من قعد الخوارج أيضا، وقد كان كتب قطري ابن الفجاءة المازني يلومه على القعود (91/5-92) :-

أبا خالد أيقن فلست بخالد *** وما جعل الرحمن عذرا لقاعد

أترعم أن الخارجى على الهدى *** وأنت مقيم بين لص وجاحد

فكتب إليه أبو خالد (92/5):

ص: 300

لقد زاد الحياة الي حبسا***بناتي أنهن من الضعاف

أحاذر أن يرين الفقر بعدي*** وأن يشربن رنقا بعد صاف

وأن يعرين أن كسي الجواري***فتبدو العين عن كرم عجاف

ولولا ذاك قدسوقت مهري*** و الرحمان للضعفاء كاف

وأن عمران بن حطان، لما طرده الحجاج، جعل يتنقل في القبائل، وكان إذا نزل بحي أنتسب نسبا يقرب منهم؛ ففي ذلك يقول (92/5):

نزلنا في بني سعد بن زيد*** وفي عك وعامر عوثبان

وفي لخم وأود بن عمرو*** وفي بكر وحي بني الفدان

وطلبه عبد الملك يوما فبعث روح بن زنياع الجذامي (وكان أثير لديه) ليحيي به إليه، ولما جاء روح قال له عمران : -

قد أردت أن أسالك ذاك فاستحييت منك، فاذهب فإني في الأثر فرجع روح إلى عبد الملك فخبيره، فقال :

أما أنك سترجع فلا تجده .

فرجع فوجد عمران قد احتمل (أي غادر) وخلف رقعة فيها (5-93-94):

يا روح كم من أخي مثوى نزلت به*** وقد ظن ظنك من لخم وغسان

حتى إذا خفته زابت منزله*** من بعد ما قيل عمران بن حطان

قد كنت جارك حولا لا يروعي*** فيه طوارق من أنس ولا جان

حتى أردت بي العظمى فأدركني*** ما أدرك الناس من خوف بن مروان

فاعذر أخاك ابن زبناغ فأن له*** في الحادثات هنات ذات ألوان

يوماجان إذا لاقيت ذا يمن*** وأن لقيت معدية فعدنان

لو كنت مستغفرة يوماً لطاغية*** كنت المقدم سري وأعلاني

لكن أبت ذاك آيات مطهرة*** عند التلاوة في طه وعمران

وكان عبد الملك قد عرف أنه عمران بن حطان من خلال بيتين رواهما له روح بن زبناغ الجذامي، عندما كان عمران ضيفاً عند روح، والبيتان هما (95/5):

يا ضربة من تقي ما أراد بها*** ألا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

أني لأذكره حيناً فأحسبه*** أوفى البرية عند الله ميزانا

وقد قلبها الفقيه الطبري فقال (93/5):

يا ضربة من شقي ما أراد بها*** إلا ليهدم من ذي العرش بنيانا

أني لأذكره يوماً فألعنه*** والعن الوغد عمران بن حطانا

وقال محمد بن أحمد الطيب يرد على عمران بن حطان (94/5):

يا ضربة من عدو صار ضاربها*** أشقى البرية عند الله إنسانا

إذا تفكرت فيه ظلت ألعنه*** وألعن الكلب عمران بن حطانا

ثم ارتحل، حتى نزل بزفر بن الحارث أحد بني عمرو بن كلاب، فأنسب له أوزاعية (نسبة إلى بطن من همدان) فاتاه رجل من كان عند روح، فقال له زفر:

من هذا؟

فقال :

رجل من الأزد رأيتُه ضيفة لروح بن زنباع.

فقال زفر لعمران :

- هذا أزديا مرة وأوزاعية أخرى؟ إن كنت خائفة أماك؛ وإن كنت فقيرة أجرتك، فلما أمسى خلف في منزله رقعة وهرب فوجدوا فيها (94/5)
:(

إن التي أصبحت يعيا بها زفر ***أعيت عياء على روح بن زنباع

ما زال يسألني حولاً لأخبره ***والناس ما بين مخدوع وخداع

حتى إذا انقطعت مني رسائله ***كف السؤال ولم يولع بأهلاع

فاكفف لسانك عن لومي ومسألتي ***ماذا تريد الى شيخ بلا راعي؟

فاكفف كما كف عني أنني رجل ***أماضييم وإما فقعة القاع

أما الصلاة فأني غير تاركها ***كل امريء للذي يعني به ساع

أكرم بروح بن زنباع وأسرته ***قوم دعا اوليهم للعلا داع

جاورتهم سنة من ما أسر به ***عرضي صحيح ونومي غير تهجاع

فأنعم فأنك منعي بواحدة ***حسب اللبيب بهذا الشيب من داع

ثم ارتحل حتى أتى عمان فوجدهم يعظمون أمر أبي بلال، فأظهر أمره فيهم، فبلغ ذلك الحجاج، فكتب إلى أهل عمان، فهرب حتى أتى
قوما من الأزد في سواد الكوفة، فنزل بهم، فلم يزل عندهم حتى مات. وفي نزوله فيهم يقول (95/5):

ص: 303

نزلنا بحمد الله في خير منزل*** نسر بما فيه من الأنس والخفر

نزلنا بقوم يجمع الله شملهم*** وليس لهم دعوى سوى المجد يعتصر

من الأزد أن الأزد أكرم أسوة*** يمانية طابوا إذا أنتبه البشر

فأصبحت فيهم أمنا لا كمعشر*** أتوني فقالوا: من ربيعة أو مضر

أم الحي قحطان وتلك سفاهة*** كما قال لي روح وصاحبه زفر

وما منهما إلا يسبنسبة*** تقربني منه وان كان ذا نفر

ومن الخوارج الرهين المرادي أحد فقهاء الخوارج وناكها وكان لا يرى القعود عن الحرب، وكان في الدهاء والمعرفة والشعر والفقہ بقول الخوارج بمنزلة عمران بن حطان، ومن شعر الرهين المرادي قوله (99/5):

يا نفس قد طال في الدنيا مراوغتي*** لا تأمنن لصرف الدهر تنقيصا

أني لبائع ما يفني لباقية*** أن لم يعقني رجاء العيس تريبصا

وأسأل الله بيع النفس محتسبا*** حتى ألقى في الفردوس حرقوصا

وابن المشيخ ومرداس وأخوته*** إذ فارقوا هذه الدنيا مخاميصا

وقال العزيز يرثي عباد بن أخضر المازني قاتل أبي بلال مرداس بن أديه الخارجي (وقد ذكرنا قصته) إذ كمن له الخوارج في الطريق وبعد مساءلة فقهية قتلوه فقال الفرزدق يذكر ذلك (101/5):

لقد أدرك الأوتار غير ذميمة*** إذا تم طلاب التراث الأخاضر

هم جردوا الأسياف يوم ابن أخضر*** فنالوا التي ما فوقها نال نائر

افادوا به أسدا لها في أقتحامها ***- إذا برزت نحو الحروب - بصائر

كفعل كليب إذ أخلت بجارها *** ونصر اللئيم معصر وهو حاضر

وما لكليب حين تذكر أول *** وما لكليب حين تذكر آخر

ومن الخوارج أبو الوازع الراسبي من مجتهد الخوارج ولساها.

وقد أتى نافع بن الأزرق وهو في جماعة من أصحابه ، يصف لهم جور السلطان وفساد العامة، فقال له أبو الوازع : -

- إنك أعطيت لسانا صادقة، وقلبة كلية فلوددت إن صرامة لسانك كانت القلبك، وكلال قلبك كان لسانك! أنتمضي على الحق وتقعده عنه؟
وتقبح الباطل وتقيم عليه؟

فقال نافع : إنما تنتظر الفرص، إلى أن تجمع من أصحابك من تنكيء به عدوك فقال أبو الوازع (103/5):

لسانك لا تنكيء به القوم إنما *** تنال بكفيك النجاة من الكرب

فجاهد أناسا حاربوا الله واصطبر *** عسى الله أن يجزي نحوي بن بني حرب

ويعني بني حرب : معاوية.

ومن الخوارج عمران بن الحارث الراسبي؛ فهو من نساكها قتل في يوم دولاب، إذ التقى هو والحجاج بن باب الحميري، وكان الأمير يومئذ على البصرة، وصاحب رأيهم، فأختلفا حربتين فخرا ميتين، فقالت أم عمران ترثيه (103/5-104)

ص: 305

الله أيد عمراناً وطهره*** وكان عمران يدعو الله في السحر

يدعوه سرأ وأعلاناً ليرزقه*** شهادة بيدي ملحادة عذر

ولى صحابته عن حر ملحمة*** وشد عمران كالضرغامة الذكر

وممن قتل من رؤسائهم يوم دولاب نافع بن الأزرق، وكان خليفتهم - خاطبوه بأمره المؤمنين، فقال رجل يرثيه (104/5):

شمت ابن بدر والحوادث جملة*** والجائرون بنافع بن الأزرق

والموت حتم لا محالة واقع*** من لا يصبحه نهرا بطرق

فلئن أمير المؤمنين أصابه*** فمن يصبه بغلق

وقال قطري بن الفجاءة يذكر يوم دولاب (104/5-106):

لعمرك أني في الحياة لزاهد*** وفي العيش ما لم الق أم حكيم

من الخفريات البيض لم يرض مثلها*** شفاء لذي بث ولا لسقيم

العمرك أني يوم الطم وجهها*** على نائبات الدهر جد لئيم

إذا قلت يصبوا القلب أو ينتهي المنى*** أبي القلب إلا حب أم حكيم

منعمة صفراء حلوا دلالتها*** أبيت بها بعد الهدو أهيم

قطوف الخطى مخطوطة المنن زانها*** مع الحر خلق في الجمال عميم

فلوشهدتنا بعد دولاب شاهدت*** طعان فتى في الحرب غير ذميم

غداة طغت علماء بكر بن وائل*** وعجنا صدور الخيل نحو تميم

وكان بعبد القيس أول جدنا*** وأحلافها من يحصب وسليم

وظلت شيوخ الأزد في حومة الوغى *** تقوم فمن مستنزل وهزيم

فلم أر يوماً كان أكثر مقمحاً *** يمج دمامن قانظ وكليم

وضارية خدأ كريما على الفتى *** أغر نجيب الأمهات كريم

أصيب بدولاب ولم تك موطننا *** له أرض دولاب وأرض حميم

فلوشهدتنا يومذاك وخيلنا *** تبيح الكفار كل صريم

رأت فتية باعوا الإله نفوسهم *** بجنات عدن عنده ونعيم

ومن الخوارج عبد الله بن يحيى طالب الحق من رؤساء الخوارج وكبارهم قد أقام بصنعاء بعد أن استولى على اليمن، ولما كان وقت الحج وجه أبا حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة وأبرهة بن الصباح إلى مكة والأمير عليهم أبو حمزة في ألف، وأمره أن يقيم في مكة إلى صدر الناس ويوجه بلجة إلى الشام، فأقبل المختار رأي مكة يوم التروية. وعليها وعلى المدينة عبد الواحد بن سلمان بن عبد الملك في خلافة مروان بن محمد بن مروان، وبعد حوار ومراسلات، كره عبد الواحد محاربتهم، ولما كان النفر الأخير نفر عبد الواحد وخلي مكة لأبي حمزة، فدخل بغير قتال، فقال بعض الشعراء يهجو عبد الواحد (108/5):

زار الحجيج عصابة قد خالفوا *** دين الإله ففر عبد الواحد

ترك الأمارة والمواسم هاربا *** ومضى يخط كالبعير الشارد

فلو إن والده تخير أمه *** لصفت خلانقه بعرق الوالد

ورثت إحدى نائحات المدينة قتلى قریش في حربهم الخوارج (113/5):

مال الزمان وماليه ***أفتت قديد رجاليه

لأبكين سريرة *** ولأبكين علانية

ولأبكين على قدي ***د بسوء ما أولانيه

ولا عويق إذا خلو ***ت مع الكلاب العاوية

وقال سهيل مولى زينب بنت الحكم بن أبي العاص وهو يذكر قتال الخوارج (122/5):

ليت مروان رانا ***يوم الاثنين عشية

إذ غسلنا العار عنا *** وانتصينا المشرفية

وارتجزت زوجة أبي حمزة الخارجي قبل أن تقتل مع زوجها قائلة (-122-123):

إن الجديعاء وبنت الأعلم *** من سال عن اسمي فأسمر مريم

بعث سوارى بضبن مخذم

وقيل في بشكت النحوي الذي شايح الخوارج في المدينة وقتل (124/5):

لقد كان بشكت عبد العزيز *** من أهل القراءة والمسجد

فبعد لبشكت عبد العزيز *** وأما القرآن فلا تبعد

وبعد أن جرت معركة بين ابن عطية في الطائف وبين عبد الله بن يحيى الخارجي فقتل جميع من كان مع عبد الله، فقال أبو صخر الهذلي يذكر ذلك (125 - 123/5):

ص: 308

قتلنا عبيدة والذي يكتني الكنى *** أبا حمزة القاري المصلي اليمانيا

وأبرهة الكندي خاضت رماحنا *** وبلجاً منحناه السيوف المواضيا

وما تركت أسيفنا منذ جردت *** لمروان جبارة على الأرض عاصيا

وقال عمرو بن الحصين العنبري يرثي أبا حمزة وغيره من الشراة (125/5 - 128):

هبت قبيل تبلج الفجر *** هند تقول ودمعها يجري

إذ أبصرت عيني وأدمعها *** تنهل وأكفه على النحر

أنى اعتراك وكنت عهدي لا *** سرب الدموع وكنت ذا صبر

أقذي بعينك لا يفارقها *** أم عاثر، أم مالها تدرى؟

أم ذكر أخوان فجعت بهم *** اسلكوا سبيلهم على قدر؟

فأجبت هابل ذكر مصرعهم *** الا غيره عبراتها تجري

يارب أسلكني سبيلهم *** - ذا العرش وأشدد بالتقى أزرى

في فتنة ص بروا نفوسهم *** للمشرفية والقنا السمر

تله مافي الدهر مثلهم *** حتى أكون رهينة القبر

أوب ذمتهم إذا عقدوا *** واعف عند العسر واليسر

متأهبون لكل صالحة *** ناهون من لاقوا عن النكر

صمت إذا حضروا مجالسهم *** من غير ماعي بهم يزري

ألا تجي لهم ف أنهمو رجف القلوب بحضرة الذكر

متأهون كأن جمر غصناً*** للموت بين ضلوعهم يسري

تلقاهم إلا كأنهمو*** الخشوعهم صدروا عن الحشر

منهم كان بهم جرى مرض*** أو مسهم طرف من السمر

لا ليلهم ليل فيلبسهم*** فيه غواشي النوم بالسكر

إلا كرى خلسا وأواثة*** حذر العقاب منهم على ذعر

كم من أخ لك قد فجعت به*** قوام ليلته إلى الفجر

متأوهايتلوقوارع من*** آي الكتاب مفزع الصدر

ظمان وقدة كل هاجره*** تراك لذته على قدر

رفاض ما تهوى النفوس إذا*** رغت النفوس دعت إلى المزر

ومبر من كل سيئة*** عن الهوى ذا مرة شزر

والمصطفى بالحرب يوقدها*** بحسامه في فتية زهر

يختاضها بأقل ذي شطب*** غضب المضارب ظاهر الأشر

لاشيء يلقاه أسرله*** من طعنه في ثغرة النحر

مسهارة منه تجيش بما*** كانت عواصم جوفه تجري

الخليك المختار اذك به*** من معتد في الله أو مسري

خواص غمرة كل متلفة*** في الله تحت القيسي الكدر

نزال ذي النجوات مختضبا*** بنجيسة بالطعنة الشزر

وابن الحصين وهل له شبه*** في العرف أني كان والنكر

بشهادة لم تحسین أضلعه *** لذوي أحزته على غدر
طلق اللسان بكل محكمة *** رأب صدع العظم ذي الكسر
لم ينفكك في جوفه حزني *** تغلي حرارته وتستشري
ترقى وآونة يخفضها *** يتنفس الصعداء والزفر
ومخالطي بلج وخالصتي *** سهم العدو وجابر الكسر
نكل الخصوم إذا هم شغبوا *** وسداد ثملة عورة الثغر
والخائض الفجرات يخطرني *** وسط الأعادي أيما خطر
بمشطب أو غير ذي شطب *** هام العدى بذبابة يغري
وأخيك أبرهة الهجان أخي *** الحرب العوان وموقد الجسر
والضارب الأخدود ليس لها *** حد ينهنهاعن السحر
وولي حكمهم فجعت به *** عمرو، فواكدي على عمرو
قوال محكمة وذوقهم *** عن الهوى مثبت الأمر
ومسيب فاذكر وصيته *** لاتنس أماكنت ذا كر
فكلاهما قد كان مختشعا *** الله ذا تقوى وذا بر
في مخبتين ولم أسمهم *** كانوا ندى وهم أولو نصر
وهم مساعر في الوغى حجج *** وخيار من يمشي على العفر
حتى وفوا الله حيث لقوا *** لعهود لا كذب ولا غدر
فتخالفوا مهجات أنفسهم *** وعداتهم بقواضب بتر

وأسنة أثبتن فى لدن *** خطية بأكفهم زهر

تحت العجاج وفوقهم طرق *** يخفقن من سود ومن حمر

فتوقدت نيران حربهم *** ما بين أعلى البيت والحجر

وتصرعت عنهم فوارسهم *** لم يغمضوا عيناعلى وتر

صرعى فخاوية بيوتهم *** وخوامع بجسومهم تغري

ورثى الشاعر مصعب بن عكاشة بن مصعب بن الزبير يوم قديد فى حرب الخوارج فقال (250/15):

قمن فأندين رجالا قتلوا *** بقديد ولنقصان العدد

ثم لا تعدلن فيها مصعبا *** حين يبكي من قتل بأحد

أنه قد كان فيها باسلا *** صارمة يقدم أقدام الأسد

ولقوله عليه السلام :

ألا وإن معاوية قاد لمة من الغواة، وعمس عليهم الخبر، حتى جعلو نحورهم أغراض المنية (244/3):

استشهد بقول أيوب بن خولي يرثي هدبة اليشكري (267/3):

فيا هذب للهيجا ويا هذب للندي *** ويا هذب للخصم الألد يحاربه

ويا هذب كم من ملحم قد أصبته *** وقد أسلمته للرماح كتائبه

تزودت من دنياك درعا ومغفرا *** وعضبا حسامة لم تخنك مضاربه

وأجرد محبوبك السراة كأنه *** إذا أنقض وافي الريش حجن مخالبه

ص: 312

وقول أحد الخوارج (274/3):

ومن يخشى أطفار المنايا فأنا *** البسنا لهن السابغات من الصبر
وان كرية الموت عذب مذاقه *** إذا ما مزجناه بطيب من الذكر

وقول أحد الخوارج يصف أصحابه (298/3):

وهم الأسود لدى العرين بسالة *** ومن الخشوع كأنهم أحبار
يمضون قد كسروا الجفون إلى الدعا *** متبسمين وفيهم أستبشار
فكأنما أعداؤهم أحبابهم *** فرحا إذا خطر القنا الخطار
يردون حومات الحمام وإنها *** تالله عند نفوسهم لصغار
ولقد مضوا وأنا الحبيب إليهم *** وهم لدي أحبة أبرار
قدر يخلفني ويحضيههم به *** يالهدف كيف يفوتني المقدار

وقول الطرماح بن حكيم، وكان يرى رأي الخوارج (300/3):

وأني لمقتاد جوادي فقاذف *** به وبنفسي اليوم إحدى المتالف
الأكسب مالا أو أأوب إلى غنى *** من الله يكفيني عداة الخلائف
فيا رب أن حانت وفاتي فلا تكن *** على شرع يعلى بنخضر المطارف
ولكن قبري بطن نسر مقيله *** بجوف السماء في نسور عواكف
وأمسى شهيد ثاويا في عصابة *** يصابون في قبح من الأرض خائف
فوارس أشتات يؤلف بينهم *** هدى الله نزالون عند المواقف

المحتويات

ترجمة الشريف الرضي رحمه الله ...5

ترجمة ابن أبي الحديد ... 8

مؤلفاته ...9

منهج الأضواء...10

الهدف من الأضواء...14

الضوء الأول: بدايات الدعوة الاسلامية...17

الضوء الثاني: بيعة السقيفة...39

الضوء الثالث: الحروب الاسلامية ... 57

1 . غزوة بدر...59

2 . غزوة أحد...69

3. غزوة الخندق...82

4. غزوة مؤتة...89

5. وقعة الجمل مقتل عثمان...95

مقتل عثمان...95

6.وقعة الجمل...100

7. وقعة صفين...123

ص:314

8- الخوارج...259

المحتويات...314

ص: 315

جميع الحقوق محفوظة للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى 1436هـ - 2015م

العراق : كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

مؤسسة علوم نهج البلاغة

www.inahj.org

Email: inahj.org@gmail.com

موبايل : 78150 16633.

جمعية خيرية رقمية: مركز خدمة مدرسة إصفهان

محرّر: محمد راد مرد

ص: 1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَصْوَاءٌ عَلَى نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

الْجُزْءُ الثَّالِثُ

بَحْرُ الْعِلْمِ وَ مَدَارُ الْحَقِّ

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق

وزارة الثقافة العراقية لسنة 2015- 912

ص: 2

أضواءٌ على نهجِ البلاغةِ

بشرح ابن أبي الحديد في استشاداته الشعرية

الجزءُ الثالثُ

تأليف: الدكتور علي الفتال

إصدار: مؤسسة علوم نهج البلاغة

العتبة الحسينية المقدسة

ص: 3

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى 1439 هـ - 2015 م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

مؤسسة علوم نهج البلاغة

www.inahj.org

Email: inahj.org@gmail.com

موبايل : 078150 16633

ص: 4

الأغراض الشعرية وتشتمل على :

الفخر

الدنيا

الشكوى

الحكمة

الثناء

الاعتقادات

التصوف

وصف الموتى والقبور

الصبر والزهد

النسيب

النصح والإرشاد

الحماسة

المدح

الهجاء

ص: 5

من كلام لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) لأصحابه :

((أما أنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه - ولن تقتلوه - ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني؛ فأما السب فسبوني، فإنه لي زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تتبرؤوا مني، فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة)) (54/4).

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول الإمام أمير المؤمنين بأبيات منها (4/ 122) :

محمدٌ النبي أخي وصهري *** وحمزة سيد الشهداء عمي

سبقتكم إلى الإسلام طراً *** غلاماً ما بلغت أوان حلمي

ولقوله (عليه السلام) بعد أنباء السقيفة:

- ما قالت الأنصار.

قالوا :

- قالت : منا أمير ومنكم أمير.

قال (عليه السلام):

فهلا احتججتم عليهم بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصى بأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم؟

ص: 9

قالوا :

وما في هذا من الحجّة عليهم؟

فقال (عليه السلام):

لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصية بهم.

ثم قال (عليه السلام): فماذا قالت قريش؟ قالوا :

- احتجت بأنها شجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال (عليه السلام):

- احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة.

لتلك الأقوال استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي القاسم المغربي وهو يتعصب للأنصار على قريش (6/ 15-16):

نحن الذين بنا استجار فلم يضع*** فينا، وأصبح من أعز جوار

بسيوفنا أمست سخينة بُركاً*** في بدرها كنعائر الجزائر

ولنحن في أحدٍ سمحنا دونه*** بنفوسنا للموت خوف العار

فنجأ بمهجته فلولا دَبْنَا*** عنه تنشب في مخالِبِ ضار

وحمية السعدين بل بحماية ال*** سدين يوم الجحفل الجرار

في الخندق المشهور إذ ألقى بها*** بيدٍ ، ورام دفاعها بثمار

ص: 10

قالا: معاذ الله إن هزيمة*** لم نعطيها في سالف الأعصار
ماعدنا إلا السيوف وأقبلا*** نحو الحتوف بها بدار بدار
ولنا بيوم حنين آثار متى*** تذكر فهن كدائم الآثار
لما تصدع جمعه فغدا*** مستصرخاً بعقيرة وجوار
عظفت عليه كمانتا فتحصنت*** منا جموع هوازن بفرار
وفدته من أبناء قبيلة عصبه*** بشرى النقيير وجنة البقار
أفحن أولى بالخلافة بعده*** أم عبد تيم حاملوا الأوزار
ما الأمر إلا أمرنا ويسعدنا*** زفت عروس الملك غير نوار
لكنها حسد النفوس وشحها*** وتذكر الأذحال والأوتار
أفضى إلى هرج ومرج فانبرت*** عشواء خابطة بغير نهار
وتداولتها أربع لولا أبو*** حسن لقلت لو مت من أستار
من عاجز ضرع ومن ذي غلظة*** جاف ومن ذي لوثة خوَار
ثم ارتدى المحروم فضل رداءه*** فعلت مراجل إحنة ونغفار
فتأكلت تلك الجذي، وتلمضت*** تلك الضبا، ورقا أجيح النار
تالله لو ألقوا إليه زمامها*** لمشى به سُجماً بغير عثار
ولو أنها حلت بساحة مجده*** بادي بدا سكنت بدار قرار
هو كالنبي فضيلة لكنّ ذا*** من حظه كاسٍ، وهذا عار
والفضل ليس بنافع أربابه*** إلا بمسعدة من الأقدار

ثم امتطأها عبد شمس فاغدت *** هزواً، وبُدِّل ريحها بخسار

وتنقلت في عصابة أموية *** ليسوا بأطهار ولا أبرار

مايين مانوفٍ إلى متزندقٍ *** ومداهن ومضاعفٍ وحمار

ولقوله (عليه السلام) ((نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكمة، ناصرنا ومُحِبُّنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومُبْغِضُنَا ينتظر السطو)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (218/7):

هل كان يعتقد البراق أبوكم *** أم كان جبريل عليه يُنزل

أم هل يقول له الإله مشافهاً *** بالوحي : قم يا أيها المزمّل

وقول الآخر (219/7):

ويطرقة الوحي وهناً وأنتم *** ضجيعان بين يدي جبرئِلا

ولقوله (عليه السلام) في ذكر أصحاب الجمل ((فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلاً واحداً معتمدين قتله، بلا جرم جرّه، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كله)) (325/9):

استشهد ابن أبي الحديد بقول ابن عباس في منافرة عبد الله بن الزبير (325/9):

قد أنصف الفارة من رماها *** إنّنا إذا مافنة نلقاها

نرد أولاهها على أخراها

ص: 12

وقوله (325/9) :

تتأفني يا ابن الزبير وقد قضى *** عليك رسول الله لا قول هازل

ولو غيرنا يا ابن الزبير فخرتة *** ولكنما ساعيت شمس الأصائل

ولقوله (عليه السلام)، من كتاب له إلى عبد الله ابن عباس وهو عامله على البصرة : ((واعلم أن البصرة مهبط إبليس، ومغرس الفتن، فحادث أهلها بالإحسان إليهم، واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم.

وقد بلغني تمرك لبني تميم، وغلظتك عليهم، وإن بني تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر، وإنهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا إسلام، وإن لهم بنا رحماً ماسة، وقرابة خاصة، نحن ماجورون على صلتها، ومازورون على قطيعتها)) (125/15).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أوس بن مغراء مفاخراً بقومه كعب (127/15) :

كعبي من خير الكعاب كعباً *** من خيرها فوارساً وعقبا

تعدل جنباً وتميم جنباً

وقول الفرزدق (127/15) :

لو كنت تعلم ما برمل مؤسلاً *** فاقري عمان إلى ذوات حجور

لعلمت أن قبائلاً وقبائلاً *** من آل سعد لم تدن لأمير

وقوله (127/15) :

ص: 13

تبكّي علي سعد وسعد مقيمة *** بيّريق قد كادت علي الناس تضعف

وبالرواية التي تقول (127/15) :

كان بنو سعد إذا اجتمع الناس أيام الحج بمنى لم يبرح أحد من الناس ديناً وسنةً حتى يجوز القائم بذلك من آل كرب بن صفوان، وقال أوس بن مغراء :

ولا يريمون في التعريف موقفهم *** حتى يقال: أجزوا آل صفوانا

وقول الفرزدق (127/15) :

إذا ما التقينا بالمحصب من منى *** صبيحة يوم النحر من حيث عرفوا

ترى الناس ما سرنا يسيرون حولنا *** وإن نحن أوامناً إلى الناس وقفوا

وبالرواية التي تقول (128/15) :

إن المنذر بن ماء السماء قال يوماً، وعنده وفود العرب، ودعا بيردي أبيه محرّق بن المنذر، ليلبس هذين أعز العرب وأكرمهم حساباً، فأحجم الناس، فقال أحيمر بن خلف بن بهدلة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم:

- أنا لها.

قال الملك :

بماذا؟

- قال :

- بأن مضراً أكرم العرب وأعزها وأكثرها عديداً، وأن تميماً كاهلها وأكثرها، وإن بيتها وعددها في بني بهدلة بن عوف، وهو جدي.

ص: 14

فقال :

هذا أنت في أصلك وعشيرتك، فكيف أنت في عترتك وأوائتك؟

قال :

- أنا أبو عشرة، وأخو عشرة، وعم عشرة .

فدفعها إليه، وإلى هذا أشار الزبرقان بن بدر في قوله :

ويردا ابن ماء المزن عمي اكتساهما *** بفضل معدٍ حيث عدت محاصله

وبما تقوخر بقوس حاجب بن زرارة المرهونة عند كسرى عن مضر كلها استشهد بقول الشاعر (128/15) :

وأقسم كسرى لا يصلح واحداً *** من الناس حتى يرهن القوس حاجب

ويقول الفرزدق في أبيه / غالب بن صعصعة/ الذي أقرى مئة ضيف واحتمل عدة ديات لقوم لا يعرفهم (130-129/15) :

فله عينا من رأى مثل غالب *** قرى مئة ضيفاً ولم يتكلم

وإذ نبحت كلبٌ على الناس إنهم *** أحق بتاج الماجد المتكرم

فلم يجلوا عن أحسابهم غير غالب *** جرى بعناني كل أبلج خضرم

وقول لبيد في ردافة ملوك آل المنذر، وردافة الملك أن يثني به في الشرب، وإذا غاب الملك خلفه في مجلسه (130/15) :

وشهدت أنخبة الأكارم غالباً *** كعبي وأرداف الملوك شهود

وقول عمر بن الخطاب يفتخر بقتل عمرو بن الحضرمي في سرية نخلة إذ قتله

ص: 15

واقد بن ثعلبة بن يربوع، وهو أول قتيل من المشركين، قال (130/15) :

سقيننا من ابن الحضرمي رماحنا*** بنخلة لما أوقد الحرب واقد

وظل ابن عبد الله عثمان بيننا*** ينازعه غلٌ من القد عاند

وقول الفرزدق وقد غمه من سمع من سليمان بن عبد الملك بن عزة، ولم يستطع له رداً حيث تفاخر بجدوده عند سليمان فردّه الأخير فقال الفرزدق (131/15) :

أتيناك لا من حاجة عرضت لنا***إليك ولا من قلة في مجاشع

وبما روي عن ذي الأعواز، إذ كان له خراج مصر كافة تؤدية إليه، فشاخ حتى كان يحمل على سرير يطاف به على مياه العرب، فيؤدى إليه الخراج، وقال حارثة بن بدر للأحنف بن قيس (134/15) :

سيكفيك عبس أخو كهمسٍ*** مقارعة الأزدي المربد

ويكفيك عمرو على رسلها*** لكيز بن أقصى وماعدّوا

ويكفيك بكرة إذا أقبلت*** بضرب يشيب له الأمر

وقول الفرزدق لجرير مفاخراً (136/15) :

ومتا الذي أعطى يديه رهينة*** لفارزي معدّ يوم ضرب الجماجم

عشية سال المربدان كلاهما*** عجاجة موت بالسيوف الصوارم

هنالك لو تبغي كليياً وجدتها*** أذل من القردان تحت المناسم

وقول جرير (136/15) :

سائل ذوي يمنٍ ورهطٍ محرقٍ *** والأزد إذ ندبوا لنا مسعودا

فأتاهم سبعون ألف مدججٍ *** متسربلين بلاقعاً وحديدا

ولقوله (عليه السلام) من كتاب له إلى معاوية :

((... ألا تربع أيها الإنسان على ضلعك، وتعرف قصور ذرعتك، وتتأخر حيث أتحرك القدر! فما عليك غلبة المغلوب، ولا ظفر الظافر؛ فإنك لذهاب في التيه، رواج عن القصد)) (181 / 15) :

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (201 / 15) :

إنما عبد مناف جوهر *** زين الجوهر عبد المطلب

وقول الحارث بن الحنش السلمي، وهو خال هاشم والمطلب وعبد شمس، في حديث الإيلاف (202 / 15) :

إن أخي هاشماً *** ليس أخا واحد

الآخذ الإيلاف وال *** قائم للقاعد

وبالرواية التي تقول (204 / 15) :

كان لبني هاشم الفضل في عقد حلف الفضول بين القبائل؛ فقد عقد في دار عبد الله بن جدعان ونهض به الزبير بن عبد المطلب ودعا إليه وحث عليه، وهو الذي سماه حلف الفضول، وذلك لما سمع الزيبي المظلوم ثمن سلعته قد أوفي على أبي قبيس قبل طلوع الشمس رافعاً عقيرته وقريش في أنديتها قائلاً :

يا للرجال المظلوم بضاعته *** ببطن مكة ناعي الحي والنفر

إن الحرام لمن تمت حرامته*** ولا حرام لثوبى لابس القدر

حمي وحلف ليعقدن حلفاً بينه وبين بطون قريش من أن قريش يمنعون القوي من ظلم الضعيف، والقاطن من عنف الغريب ثم قال :

حلفت لنعقدن حلفاً عليهم*** وإن كنا جميعاً أهل دار

نسميه الفضول إذا عقدنا*** يعزبه الغريب لدى الجوار

ويعلم من حوالي البيت إنا*** أباة الضيم نهجر كل عار

وقول الزبير بن عبد المطلب (205-204/15) :

ولولا الحمس لم يلبس رجالٌ*** ثياب أعزة حتى يموتوا

ثيابهم شمال أو عباءة*** بها دنس كما دنس الحميت

ولكننا خلقنا إذ خلقنا*** لنا الحبرات والمسك الفتيت

وكأسٌ لوتبين لهم كلاماً*** لقاتل إنمالهم سبيت

تبين لنا القذى إن كان فيها*** رضين الحلم يشربها هيبتُ

ويقطع نخوة المختال عنا*** رقيق الحدضربته صموتُ

بكفٌ مجرب لا عيب فيه*** إذا لقي الكريهة يستميتُ

وقوله أيضاً (205/154):

وأسحم من راح العراق محلاً*** محيط على الجيشين جلد مرأثره

صبحت به طلقاً براح إلى الندى*** إذا ما انتشى لم يختصره معاقره

ضعيف بجنب الكأس قبض بنانه*** كليل على جلد النديم أظافره

وبالرواية التي تقول (205 /15) :

بنو هاشم هم الذين ردوا على الزبيدي ثمن بضاعته، وكانت عند العاص بن وائل، وأخذوا للبارقي ثمن سلعته من أبي بن خلف الجمحي، وفي ذلك يقول البارقي :

ويأبى لكم حلف الفضول ظلامتي *** بني جمحٍ والحق يؤخذ بالغصب

وهم الذين انتزعوا من نبيه بن الحجاج قتول الحسناء بنت التاجر الخثعمي وكان كابره عليها حين رأى جمالها، وفي ذلك يقول نبيه بن الحجاج :

وخشيت الفضول حين أتوني *** قد أراني ولا أخاف الفضولا

إنما والذي يحج له شمط *** إيادٍ وهللوا تهليلا

لبراء مني قتيلة يالللناس *** يتبعون إلا القتولا

وقوله فيها أيضاً :

لولا الفضول وإنه *** لا أمن من عروائها

لدنوت من أبياتها *** ولطُفْتُ حَوْلَ خبائها

حي النخيلة إذ نأت *** منا على عدوائها

لا بالفراق تنيلنا *** شيئاً ولا بلقائها

حلت بمكة حلّة *** في مشيها ووطانها

وقول نفيل بن عدي لحرب بن أمية بفضل عبد المطلب عليه (207 /15) :

أبو معاهد وأبوه عَفٌّ *** وذاد الفيل عن بلد حرام

ص: 19

وقول عامر بن الطفيل يعني نفسه (244/15) :

لبس الفتى إن كنت أعورَ عاقراً *** جباناً فما عذري لدى كل محضر؟

وقول الزبرقان (244/15) :

فاسأل بني سعد وغيرهم *** يوم الفخار فعندهم خُبري

أي امريءٍ أنا حين يحضرنى *** رُفد العطاء وطالب النصر

وإذا هلكت تركت وسطهم *** ولد الكرام ونابه الذكر

ولقوله ((عليه السلام))، من كتاب له إلى معاوية (132/16) :

((وأرديتَ جيلاً من الناس كثيراً؛ خدعتهم بغيك، وألقيتهم في موج بحرك، تغشاهم الظلمات، وتتلاطم بهم الشبهات)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول معاوية بن أبي سفيان وهو يناظر علياً (عليه السلام) لمفاخرة الأكفاء والنظراء (136/16) :

إذا عمير الطائي بالبخل قادرٌ *** وقَرع قساً بالفهاهة باقلُ

وقال السها للشمس أنت خفية *** وقال الدجي: يا صبح لونك حائل

وفاخرت الأرض السماء سفاهةً *** وكاثرت الشهب الحصا والجنادل

فيا موت زر إن الحياة ذميمة *** ويا نفس جدي إن دهرك هازل

ولقوله (عليه السلام)((الشفيع جناح الطالب)) (204/18) :

استشهد ابن أبي الحديد بقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن عبد المطلب (207/18) :

لسنا وإن أحسابنا كملت *** يوماً على الأحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا *** تبني ونفعل مثلما فعلوا

ولقوله (عليه السلام) وقد سئل عن قريش (وذكرناه في مواضع سألته).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي طالب بن عبد المطلب وهو يفخر بخاليه هشام والوليد، على أبي سفيان بن حرب (290/18) :

وخالي هشام بن المغيرة ثاقب *** إذا همَّ يوماً كالحسام المهند

وخالي الوليد العدل عال مكانه *** وخال أبي سفيان عمرو بن مرثد

وقول الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة (305/18) :

من كان يسأل عنا أين منزلنا *** فأقحوانة منّا منزل قمئ

إن نلبس العيش غضاً لا يكدره *** قرب الوشاة ولا ينبو بنا الزمن

ولقوله (عليه السلام): ((كنا إذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه)) (116/19) :

استشهد ابن أبي الحديد بقول الإمام (عليه السلام) نفسه يوم خيبر (127/19) :

أنا الذي سمّني أُمِّي حيدرة *** كليث غابات كرية المنظرة

أُفنيهم بالصاع كيل السندرة

ولقوله (عليه السلام): ((من أبطأ في عمله لم يسرع به نسبه)) (331/19) :

استشهد ابن أبي الحديد بقول ابن الرومي (332/19) :

وما حسب الموروث لا در دُرّه *** بمحتسب إلا بآخر مكتسب

إذا العود لم يثمر وإن كان شعبةً *** من الثمرات اعتدّه الناس في الحطب

وقول آخر (332/19) :

وما فخري بمجد قام غيري *** إليه إذا رقدت الليل عنه

إلى حسب الفتى في نفسه انظر *** ولا تنظر - هديت - إلى ابن من هو

وقول آخر (332/19) :

يقنعني كوني بمن كوني ابنه *** أباً لي أن أرضى لفخري بمجده

إذا المرء لم يحو العلاء بنفسه *** فليس بحادٍ للعلاء بجده

وهل يقطع السيف الحسام بأصله *** إذا هو لم يقطع بصارم حده

ولقوله (عليه السلام): ((ضع فخرك، واحطط كبرك وإذكر قبرك)) (352/19) :

استشهد ابن أبي الحديد بقول أحد الأمويين (354/19) :

إذا تائه من عبد شمس رأيته *** يتيه فرشحه لكل عظيم

وإن تاه تياه سواه فإنه *** يتيه لحمق أو يتيه للوم

وقول أحد الأمويين أيضاً (354/19) :

أسفاً بني مروان كيف تبدلت *** بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

إذا ولد المولود منا تهللت *** له الأرض واهتزت إليه المنابر

وقول أحد التياهيين (354/19) :

أتيه على إنس البلاد وجنّها *** ولو لم أجد خلقاً أتيه على نفسي
أتيه فلا أدري من التيه من أنا *** سوى ما يقول الناس فيّ وفي جنسي
فإن زعموا أنني من الإنس مثلهم *** فما لي عيب غير أنني من الإنس
وقول أحد العلويين (355/19) :

لقد نازعتنا من قريش عصابة *** بحط حدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا الفخار قضى لنا *** عليهم بما نهوى نداء الصوامع
ترانا سكوتاً والشهيد بفضلنا *** عليهم أذان الناس في كل جامع
بأن رسول الله لا شك جدنا *** وأن بنيه كالنجوم الطوالع
ولقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في رواية تقول :

((أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قدم من سفر فأراد الرجال أن يطرقوا النساء ليلاً، فقال ((امهلوا حتى تمتشط الشعثة، وتستحد الغيبة، فإذا
قدمتم الكيس الكيس)).

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول نهشل بن مري (15/244-245) :

على بني يشد الله عظمهم *** والنبع ينبت قضباناً فيكتهل
ويقول الفرزدق، إذ مكث زماناً لا يولد فغيرته زوجته (15/245) :

(و) قالت أراه واحداً لا أخاً له *** يؤمله في الوارثين الأبعاد

لعلك يوماً إن تريني كأنما *** بنيّ حوالى كالليوث الحوارد

فإن تميمًا قبل أن يلد الحصى *** أقام زماناً وهو في الناس واحد

وقول آخر وقد مات إخوته، وملاً حوضه ليسقي، فجاءه رجل صاحب عشيرة وعتره، فأخذ بضبعه فنحاه، ثم قال لراعيه : اسقِ إبلك (15/245) :

لوكان حوض حمار ما شربت به*** إلا ياذن حمار آخر البلد

لكنه حوض من أودي بأخوته*** ريب المنون فأمسى بيضة البلد

لوكان يشكى إلى الأموات ما لقي*** الأحياء بعدهم من قلة العدد

ثم اشتكيت لاشكاني وأنجدني*** قبر بسنجان أو قبر على فحد

وقول الأعشى وهو يذكر الكثرة (15/245)

ولست بالأكثر منهم حصي*** وإنما العزة للكائر

ص: 24

من خطبة له (عليه السلام): ((ألا وإن الدنيا تصرمت وأذنت بانقضاء، وتنكر معروفها، وأدبرت حذاء فهي تحفز بالفناء سكانها، فلم يبق منها إلا سحلة كسحلة الأدوات، أو جرعة كجرعة المقلة، أو تمزها الصديان لم يتقع)) (332/3):

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي الفرج الساوي (335/3):

هي الدنيا تقول بملء فيها *** حذار حذار من بطشي وفتكي

فلا يغركم حسن ابتسامي *** فقولي مضحك والفعل مبكي

وقول آخر (335/3):

تنح عن الدنيا ولا تطلبنها *** ولا تخطبن قتالة من تُناح

فليس يفي مرجوها بمحوقها *** ومكروها أما تأملت راجح

لقد قال فيها القائلون فأكثروا *** وعندي لها وصف لعمرك صالح

سلاف قصاراها زعاف ومركب *** شهي إذا استلذذته فهو جامح

وشخص جميل يعجب الناس حسنه *** ولكن له أفعال سوء قبائح

ص: 27

وقول أبي الطيب (336/3) :

أبدٌ تسترد ما تهب الدنيا *** فياليت جودها كان بخلا
وهي معشوقة على الغدر لا *** تحفظ عهداً ولا تتمم وصلا
كل دمع يسيل منها عليها *** وبفك اليدين عنها تخلى
شيم الغانيات فيها ولا أدر *** ي لذا أنث الناس اسمها أم لا؟
وقوله (339/3) :

تعدُّ المشرفية والعوالي *** وتقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السوابق مضرباتٍ *** وما ينجين من خيب الليالي
ومن لم يعشق الدنيا قديماً *** ولكن لا سبيل إلى الوصال
نصيبك في حياتك من حبيب *** نصيبك في منامك من خيال
رمانى الدهر بالأرزاء حتى *** فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتنى سهام *** تكسرت النصال على النصال
وهان فما أبالي بالرزايا.. *** لأنى ما انتفعت بأن أبالي
يُدْفَن بعضنا بعضاً ويمشي *** أوأخرنا على هام الأوالي
وكم عين مقبلة النواصي *** كحيل في الجنادل والرمال
ومغضٍ كان لا يغضني لخطبٍ *** وبال كان يفكر في الهزال
وقوله (342/3) :

فمالي وللدنيا طلايى نجومها *** ومسعاى منها فى شذوم الأرقام

وقوله (345/3) :

إنّا لفي زمن ترك القبيح به*** من أكبر الناس إحسان وإجمال
ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته*** ما قاته، وفضول العيش إشغال

وقول آخر (336/3) :

إنما الدنيا عوارٍ*** والعواري مستردة

شِدَّةٌ بعد رجاءٍ*** ورخاء بعد شِدَّة

وقول محمد بن هانيء المغربي (336/3) :

وما الناس إلا ضاعن فموذع*** وثاوقريح الجفن يبكي لراحل
فما الدهر إلا كالزمان الذي مضى*** ولا نحن إلا كالقرون الأوائل

نساق إلى الدنيا إلى غير دائمٍ ونبكي على الدنيا على غير طائل

فما عاجل نرجوه إلا كأجل اولا أجل نخشاه إلا كعاجل

وقول ابن المظفر المغربي (336-337) :

دياك دار غرورٍ*** ونعمة مستعارة

ودار أكلٍ وشربٍ*** ومكسبٍ وتجارة

ورأس مالك نفس*** فحف عليها الخسارة

ولا تبعها بأكلٍ*** وطيب عرف وشارة

فإن ملك سليمان*** ن لا يفى بشرارة

وقول أبي العتاهية (337/3) :

ألا إنما التقوى هي البر والكرم *** وحبك للدنيا هو الفقر والعدم
وليس على عبدٍ تقِيٍّ غضاضةٌ *** إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم
وقوله أيضاً (337/3) :

تعلقت بآمالٍ *** طوال أيّ آمال
وأقبلت على الدنيا *** ملِحًا أيّ إقبال
أيا هذا تجهز لفرأ *** ق الأهل والمال
فلا بد من الموت *** على حال من الحال
وقوله أيضاً (337/3) :

سكن يبقى له سكن *** ما بهذا يؤذن الزمن
نحن في دار يخبرنا *** ببلاهاناطق لسن
دار سوء لم يدم فرح *** لا مريء فيها ولا حزن
في سبيل الله أنفسنا *** كلنا بالموت مرتهن
كل نفس عند موتتها *** حظها من مالها الكفن
إن مال المرء ليس له *** منه إلا ذكره الحسن
وقوله أيضاً (338/3) :

ألا إننا كلنا باند *** وأي بني آدم خالد
وبدوهم كان من ربهم *** وكل إلى ربه عائد
فوا عجباً كيف يعصى الإله *** أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية*** تدل على أنه الواحد
وقوله في أرجوزته المشهورة في ذم الدنيا (3/340-341):
ما زالت الدنيا لنادار أذى*** ممزوجة الصفو بألوان القذى
الخير والشر بها أزواج*** لذا نتاج ولذا نتاج
من لك بالمحض وليس محض*** يخبث بعض ويطيب بعض
لكل إنسان طبيعتان*** خير وشرٌّ وهما ضدان
والخير والشر إذا ما عُدَّا*** بينهما بون بعيد جدًّا
إنك لو تستنشق الشحيحا*** وجدته أتن شيء ريحا
حسبك مما تتبغيه القوتُ*** ما أكثر القوت لمن يموتُ
الفقر فيما جاوز الكفافا*** من اتقى الله رجا وخافا
هي المقادير فلمني أو فذر*** إن كنت أخطأت فما أخطا القدر
لكل مايؤذي وإن قل ألم*** ما أطول الليل على من لا ينم
انتفع المرء بمثل عقله*** وخير ذخر المرء حسن فعله
إن الفساد ضده الصلاح*** ورب جدُّ جرّه المزاح
من جعل المنام عيناً هلكا*** مبلغك الشر كباغيه لكا
إن الشباب والفراغ والجدّة*** مفسدة للمرء أي مفسدة
يفتيك عن كل قبيح تركه*** قد يوهن الرأي الأصيل شكه
ماعيش عن آفته بقاه*** نقص عيشاً هائناً فناه

يَا رَبِّ مَنْ أَسْخَطْنَا بِجَهْدِهِ *** قَدْ سَرْنَا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ

مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيْبُ *** إِلَّا لِأَمْرٍ شَأْنُهُ عَجِيبٌ

لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرٌ وَجَوْهَرٌ *** وَأَوْسَطٌ وَأَصْفَرٌ وَأَكْبَرُ

وَكَلِّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرِهِ *** أَصْغَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ

مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَكُلِّ مَمْتَرَجٍ *** وَسَاوِسٍ فِي الصَّدْرِ مِنْكَ تَعْتَلِجُ

عَجِبْتُ وَاسْتَعْرَقْتُ السُّكُوتُ *** حَتَّى كَأَنِّي حَائِرٌ مَبْهُوتٌ

وَقَوْلُهُ أَيْضاً (341/3) :

كُلُّ لَدُنْيَا لَهُ حَرْصٌ *** وَالْحَادِثَاتُ لَنَا بِهَا قَرْصٌ

وَكَأَنَّ مِنْ وَارُوهِ فِي جَدَثٍ *** لَمْ يَبْدُ مِنْهُ لَنَاظِرٌ شَخْصٌ

يَهْوَى مِنَ الدُّنْيَا زِيَادَتَهَا *** وَزِيَادَةَ الدُّنْيَا هِيَ النِّقْصُ

لِيَدِّ الْمَنِيَةِ فِي تَلَطُّفِهَا *** عَنِ ذَخْرِكُلِّ نَفِيسَةٍ فَحْصُ

وَقَوْلُهُ أَيْضاً (341/3) :

أَبْلُغِ الدَّهْرَ فِي مَوَاعِظِهِ بَلْ *** زَادَ فِيهِنَّ لِي مِنَ الْإِبْلَاحِ

أَيُّ عَيْشٍ يَكُونُ أَطْيَبَ مِنْ عِيٍّ *** شِ كِفَافٍ قَوْتٍ بِقَدْرِ الْبِلَاحِ

غَضَبْتَنِي الْيَوْمَ أَهْلِي وَمَالِي *** وَشِبَابِي وَصَحْتِي وَفِرَاحِي

صَاحِبِ الْبَغْيِ لَيْسَ يَسْلَمُ مِنْهُ *** وَعَلَى نَفْسِهِ بَنَى كُلَّ بَاغِ

رَبِّ ذِي نِعْمَةٍ تَعْرِضُ مِنْهَا *** حَائِلٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَسَاغِ

وَقَوْلُهُ أَيْضاً (347/3) :

لتجذبني يد الدنيا بقوتها *** إلى المنايا، وإن نازعتها رسني
لله دنيا أناسٍ دائبين لها *** وحتفها لو درت في ذلك السجن
وقوله أيضاً (347/3-348):

أنساك محياك المماتا *** فطلبت من الدنيا الثباتا

ووثقت بالدنيا وأنت *** ترى جماعتها شتاتا

وعزمت ويك على الحيا *** ة وطولها عزماً بتاتا

يامن رأى أبويه فيمن *** قد رأى - كانا فماتا

هل فيهما لك عبرة *** أم خلت أن لك انفلاتا

ومن الذي طلب التفلت *** من منية ففاتا

كل تصبحة المنية *** أو تبيته بياتا

وقوله أيضاً (348/3):

أرى الدنيا لمن هي في يديه *** كذاباً، كلما كثرت لديه

تهين المكرمين لها بصغر *** وتكرم كل من هانت عليه

إذا استغنيت عن شيءٍ فدعه *** وخذ ما أنت محتاج إليه

وقوله (348/3):

ألم تر ريب الدهر في كل ساعة *** له عارض فيه المنية تلمع

أيا باني الدنيا لغيرك تبتني *** ويا جامع الدنيا لغيرك تجمع

أرى المرء وثاباً على كل فرصة *** وللمرء يوماً لا محالة مصرع

ينازل مالا يملك الملك غيره*** متى تنقضي حاجات من ليس يشبع

وأى امرئٍ في غاية ليس نفسه*** إلى غاية أخرى سواها تَطَلَّعُ

وقوله (348-349):

سل الأيام عن أمم تقضت*** ستخبرك المعالم والرسومُ

تروم الخلد في دار التفاني*** وكم قد رام قبلك ماترومُ

لأمرٍ ما تصرمت الليالي*** وأمرٍ ما تقلبت النجومُ

تنام ولم تنم عنك المنايا*** تنبه للمنية يأنوومُ

إلى ديان يوم الدين تمضي*** وعند الله تجتمع الخصومُ

وقول الرضي الموسوي (338/3):

يا آمن الأيام بادر صرفها*** واعلم بأن الطالبين حثاث

خذ من تراثك ما استطعت فإنما*** شركاؤك الأيام والوزرات

لم يقض حق المال إلا معشر*** نظر الزمان يعيث فيه فعاثوا

تحثي على عيب الفتى يد الفتى*** والفقر عن عيب الفتى بحاث

المال مال المرء ما بلغت به*** الشهوات أو دفعت به الأحداث

ما كان منه فاضلاً عن قوته*** فليعلمنَّ بأنه ميراث

مالي إلى الدنيا الدنية حاجة*** فليجن ساحر كيدها النفاث

طلقتها ألفاً لأحسم داءها*** وطلاق من عزم الطلاق ثلاث

وثباتها مرهوبة دعواتها*** مكذوبة، وحبالها أنكاث

أمُّ المصائب لا تزال تروعنا*** و منها ذكور حوادث وإناث

إني لأعجب للذين تمسكوا*** بحبائل الدنيا وهن رثاث

كنزوا الكنوز وأعقلوا شهواتهم*** فالأرض تشيع والبطون غراث

أتراهموا لم يعلموا أن التقى-*** أزوادنا وديارنا الأجداث

وقوله (3/345-346):

تأبى الليالي أن تديما*** بؤساً لخلق أو نعيما

والمرء بالإقبال يب*** لغ وادعاً خطراً جسيما

فإذا انقضى إقباله*** رجع الشفيح له خصيما

وهو الزمان إذ نبا*** سلب الذي أعطى قديما

كالريح ترجع عاصفا*** من بعد ما بدأت نسима

وقول آخر (3/339):

هذه الدنيا إذا صرفت وجهها لم تنفع الحيلَ

وإذا ما أقبلت لعمٍ*** بصّرته كيف يفتعل

وإذا ما أدبرت لذكيٍ*** غاب عنه السهل والجبل

فهي كالدولاب دائرة*** ترتقي طوراً وتستقل

في زمان صار ثعلبه*** أسداً واستأسد الحمل

فالذنابي فيه ناصية*** والنواصي خُشّع ذلل

فاصبري يانفس واحتملي*** إن نفس الحر تحتمل

وقول ابن المعتز (342/3) :

حمداً لربي وذماً للزمان فما *** أقلّ في هذه الدنيا مسراتي

كفّت يدي أمني عن كل مطلب *** وأغلقت بابها من دون حاجاتي

وقوله (342/3) :

ألم تر أن الدهر يهدم ما بني *** ويسلب ما أعطى ويفسد ما أسدا

فمن سرّه أن لا يرى ما يسوؤه *** فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقداً

وقول البحترى (343-344/3) :

كان الليالي أغربت حادثاتها *** بحب الذي تأبى ويغض الذي تهوى

وقول أبي بكر الخوارزمي (343-344/3) :

ما أنقل الدهر على من ركبته *** حدثني عنه لسان التجربة

لا تشكر الدهر لخير سببه *** فإنه لم يتعمد بالهبة

وإنما أخطأ فيك مذهبه *** كالسيل قد يسقي مكاناً أخربه

والسم يستشفى به من شربه

وقول آخر (344/3) :

يسعى الفتى في صلاح العيش مجتهداً *** والدهر ماعاش في إفساده داعي

وقول آخر (344/3) :

يقرُّ الفتى مرَّ الليالي سليمةً *** وهن به عما قليل عواثر

وقول آخر (344/3) :

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ *** كلاكه أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا *** سيلقى الشامتون كما لقينا

وقول آخر (344/3) :

قل لمن أنكرحالاً منكره *** ورأى من دهر ما حيّره

ليس بالمنكر ما أنكرته *** كل من عاش رأى ما لم يره

وقول ابن الرومي (344/3-345) :

سكن الزمان وتمت سكتته *** دفع من الحركات والبطشِ

كالأفعوان تراه منبطحاً *** بالأرضِ ثم يثور للنهشِ

وقول آخر (345/3) :

جار الزمان علينا في تصرفه *** وأي حر عليه الدهر لم يجر

عندي من الدهر مالو أن آيسره *** يكفي عن الفلك الدوار لم يدرِ

وقول آخر (345/3) :

هذا الزمان الذي كنا نحاذره *** فيما يحدث كعب وابن مسعود

إن دام هذا ولم تعقب له غير *** لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

وقول آخر (345/3) :

يا زماناً ألبس الأحرار *** ذلاً ومهانة

لست عندي بزمانٍ *** إنما أنت زمانة

أجنون ما نراه *** منك يبو أم مجانية؟

وقول أبي عثمان الخاري (346/3) :

ألفت من حادثات الدهر أكبرها *** فما أعادي على أحداثها الصُّغُرِ

تزيد في قسوة الأيام طيب ثنا *** كأنني المسك بين الفهر والحجر

وقول السري الرفاء (346) :

تذكر هذا الدهر فيما يرومه *** على أنه فيما نحاذره ندب

فسير الذي نرجوه سير مقيدٌ *** وسير الذي نخشى غوائله وثب

وقول ابن الرومي (346/3) :

ألا إن في الدنيا عجائب جمّة *** وأعجبها ألا يشيب وليدها

إذا ذل في الدنيا الأعراء واكتست *** أذلتها عزاً وساد مسودها

هناك فلاجادت سماء بصوبها *** ولا أمرعت أرض ولا اخضر عودها

أرى الناس مخسوفاً بهم غير أنهم *** على الأرض لم يقلب عليهم صعيدها

وما الخسف أن يلقي أسافل بلدةٍ *** أعاليها، بل أن يسود عبيدها

وقول السري الرفاء (346/3) :

لنا من الدهر خصم لا نطالبه *** فما على الدهر لو كفت نوائبه

يرتد عنه جريحاً من يسالمة *** فكيف يسلم منه من يحاربه

ولو أمنت الذي تجني أراقمه *** عليّ هان الذي تجني عقاربه

وقول أبي فراس بن حمدان (347/3) :

تصفحت أحوال الزمان ولم يكن *** إلى غير شاك للزمان وصول

أكل خليل هكذا غير منصفٍ *** وكل زمان بالكرام بخيل

وقول ابن الرومي (347/3) :

رأيت الدهر يرفع كل وغدٍ *** ويخفض كل ذي شيم شريفة

كمثل البحر يغرق فيه حيٌّ *** ولا ينفك تطفوفيه جيفة

أو الميزان يخفض كل وافٍ *** ويرفع كل ذي زنة خفيفة

وقول ابن نباتة (347/3) :

وأصغر عيب في زمانك أنه *** به العلم جهل، والعفاف فسوق

وكيف يسر الحرفيه بمطلب *** ومافيه شيءٌ بالسرور حقيق

ولقوله (عليه السلام) في ذكر المكايل والموازن : ((عباد الله إنكم وما تأملون من هذه الدنيا أثرياء مؤجلون، ومدينون مقتضون، أجل منقوص، وعمل محفوظ، فرب دائب مطيع، ورب كادح خاسر؛ وقد أصبحتم في زمن لا- يزداد الخير فيه، إلا- إدياراً، والشر إلا إقبالاً، والشيطان في هلاك الناس إلا طمعاً، فهذا أوان قويت عدته، وعمت مكيدته، وأمكنتم فريسته) (244/8) :

استشهد ابن أبي الحديد بقول بشر الحافي (247/8) :

قرير العين لا ولد يموت *** ولا حذر يبادر مايفوت

رضي البال ليس له عيال *** خلي من حربت ومن دهيت

قضى وطر الصبا وأفاد علماً *** فعاتبه التفرد والسكوت

وأكبر همّه مما عليه *** تذابح من ترى خلق وقوت

ص: 39

وقول ابن المعتز (247/8) :

ملّ معامي عُوْدُهُ*** وخان دمعي مُسْعِدُهُ

وضاع من ليلي غده*** طوبى لعين تجده

ملّت من الدهر يده*** يفنى ويبقى أبده

والموت صار أسده*** وقاتل من يده

وقول آخر (248/8):

قصر الجديد إلى بلى*** والوصل في الدنيا انقطاعه

أي اجتماع لم يعد*** بتفرق منها اجتماعه

أم أي شعب ذي*** التئام لم يبدد انصداعه

أم أي منتفع بسبيء*** ثم تم له انتفاعه

يا بؤس للدهر الذي*** ما زال مختلفاً طباعه

قد قيل في مثل فلا:*** (يكفيك من شرشجاعه)

ولقوله ((عليه السلام)): ((دار بالبلاء محفوفة، وبالغدر معروفة، لا تدوم أحوالها، ولا يسلم نزالها، ... واعلموا عباد الله أنكم، وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى من قبلكم ... وكأن صرتم ما صاروا إليه، وارتهنكم ذلك المضجع، وضمكم ذلك المستودع ... فكيف بكم لو تناحت بكم الأمور، وبعثرت القبور)) (257/11):

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشريف الرضي رضي الله عنه (261-262/11) :

وهل نحن إلا مرامي السهام*** يحفزها نائل دائب

نسر إذ جازنا طائش*** ونجزع إن مسنا صائب

ففي يومنا قدر لا بد*** وعند غدٍ قدر واثب

طرائد تطردها النائبات*** ولا بد أن يدرك الطالب

أرى المرء يفعل فعل الحديد*** وهو غداً حملاً لأزب

عوارى من سلب الهالكين*** يمد يداً نحوها السالب

لنا بالروى موعده صادق*** ونيل المني موعده كاذب

حبائل للدهر مبثوثة*** يرد إلى ج ذبها الهارب

وكيف نجاوز غاياتنا*** وقد بلغ المورد القارب

نصبح بالكأس مجدوحة*** وزعافاً، ولا يعلم الشارب

وقوله (11/262-263):

ما أقل اعتبارنا بالزمان*** وأشد اغترارنا بالأمانى

وقفات على غرورٍ وإقدا*** م على مزلق من الحدثان

في حروب مع الردى فكأننا*** اليوم في هدنة مع الأزمان

وكفاننا م ذكراً بالمنيا*** علمنا أننا من الحيوبان

كل يوم رزية بفلان*** ووقع من الردى بفلان

كم تراني أضل نفساً وألهو*** فكأنني وثقت بالوجدان

قل لهذي الهوامل استوقفي السير*** أو استشري عن الأعطان

واستقيمي قد ضمك اللقم *** النهج، وغنى وراءك الحاديان

كم محيداً عن الطريق وقد ضرح *** خلع البري وجذب العران

نشنى جازعين من العدو *** الدهر ورتاع للمنايا الرواني

جفلته السرب في الظلام وقد *** زُزع روعاً من عدوة الذوبان

ثم نسى جرح الحمام وإن كان *** غيباً يا قرب ذا النسيان

كل يوم تزايل من خليطٍ *** بالردى، أو تباعد من دان

وسواء مضى بنا القدر الجد *** عجولاً، ما مامطل العصران

قد مررنا على الديار خشوعاً *** ورأينا البنا، فأين الباني

وجهلنا الرسوم ثم علمنا *** فذكرنا الأوطار بالأوطان

إلتفاتاً إلى القرون الخوالي *** هل ترى اليوم غير قرنٍ فان

أين رب السدير فالحيرة *** البيضاء، أم أين صاحب الإيوان

والسيوف الحداد من آل بدر *** والقنا الصم من بني الريان

طردتهم وقائع الدهر عن *** لعل طرد السفاف عن نجران

والمواضي من آل جفنة أرسى *** طنباً ملكهم على الجولان

يكرعون العقار من فلق الإبريز *** كرع الظماء في الغدران

من أباة اللعن الذين يُحنّون *** بها في معاقد التيجان

تتراءهم الوفود بعيداً *** ضاربين الصدور بالأذقان

في رياض من السماح خوالٍ *** وجبالٍ من الحلوم رزان

وهم الماء لذ لناهل الظمآن*** برداً والنار للحيران
ظلّ مستيقظ الجنان إذا أظلم*** ليل النؤامة المبطان
يغتدي في السباب غير شجاع*** ويُرى في النزال غير جبان
ماثت عنهم المنون يداً*** شوكاء أطرافها من المرآن
عطف الدهر فرعهم فرآه*** بُعد بعد الذرا قريب المجاني
وثنتهم بعد الجماع المنايا*** في عنان التسليم والإذعان
عطلت منهم المقاري وباخت*** في حماهم مواعد النيران
ليس يبقى على الزمان جريء*** في إباء، أو عاجزٍ في هوان
لاشبوب من الصواري ولا أعنق*** يرعى منابت العلاجان
لا ولا خاضب من الربد يختال*** بربطٍ أحمّ غير يمان
يرتمي وجهه الرئال إذا آ*** فن لون الأظلام والأدجان
وعُقاب الملاع تلحم مزجتها*** بازليقة زلول القنآن
نائلاً في مطامح الجو هاتيك*** وذا في مهابط الغيطان
وقوله (11 / 265-266):

أوما رأيت وقائع الدهر*** أفلا تسيء الظن بالعمر؟
بيننا الفتى كالطود تكنفه*** هضباته، والعصب ذي الأثر
يأبى الدنية في عشيرته*** ويجاذب الأيدي على الفخر
وإذا أشار إلى قبائله*** حشدت عليه بأوجهٍ غرّ

يترادفون على الرماح فهم *** سيل يعب وعارض يسري

إن نهنهور زادوا مقاربة *** فكأنما يدعون بالزجر

عدد النجوم إذا دعي بهم *** يتزاحمون تراحم الشعر

عقدوا على الجلي مآزرهم *** سبطي الأنامل طيبي النشر

زال الزمان بوطء أحمصه *** ومواطىء الأقدام للعر

نزع الإباء وكان شملته *** وأقر إقراراً على صُغر

صدع الردى أعياء تلاحمه *** من أحم الصدفين بالقطر

جرّ الجياد على الوجى ومضى *** أمماً يدق السهل بالوعر

حتى التقى بالشمس مغمدة *** في قعر منقطع من البحر

ثم انشت كف المنون به *** كالضغث بين الناب والظفر

لم تشتجر عنه الرماح ولا *** رد القضاء بماله الدثر

جمع الجنود وراه فكأنما *** لاقته وهو مضيع الظهر

ويرى المعابل للعدى فكأنما *** لحمامه كان الذي يبيري

إن التوقي فرط معجزة *** فدع القضاء يُعدُّ أو يكري

وحمى المطاعم للبقاء وذى *** الأجال ملء فروجها تجري

لو كان حفظ النفس ينفعنا *** كان الطبيب أحقُّ بالعمر

الموت داء دواء له *** سيان ما يأتي وما يُمري

ولقوله (عليه السلام)، من كتاب له إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه :

((أما بعد، إن المرء تَسْرُهُ درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن

ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وليكن أسفك على ما فاتك منها، ومانلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً، وليكن همك فيها بعد الموت)). إستشهد بقول الشاعر (142-140/15) :

دار الفجائع والهموم ودار *** البث والأحزان والبلوى
مر المذاقة غب ما احتلبت *** منها يداك وبيّة المرعى
بينما الفتى منها بمنزلة *** إذ صار تحت ترابها ملقى
تقفوا مساويها محاسنها *** لاشيء بين النعي والبشرى
ولقلّ يوم ذرّ شارقه *** إلا سمعت بها لك ينعى
لا تعتبّن على الزمان لما *** يأتي به فلقلما يرضى
للمرء رزق لا يفوت ولو *** جهد الخلائق دون أن يفنى
يا عامر الدنيا المعدّ لها *** ماذا عملت لدارك الأخرى
وممهد الفرش الوطيئة لا *** تغفل فراش الرقدة الكبرى
لوقد دعيت لقد أحببت لما *** تدعى له فانظر متى تدعى
أترك تحصي كم رأيت من ال *** أحياء ثم رأيتهم موتى
من أصبحت دنياه همته *** فمتى ينال الغاية القصوى
سبحان من لاشيء يعدله *** كم من بصير قلبه أعمى
والموت لا يخفى على احدٍ *** ممن أرى وكأنه يخفى
والليل يذهب والنهار بأح *** بابي وليس عليهما عدوى

ولقوله (عليه السلام): ((من جرى في عنان أمله عشر بأجله)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (127/18):

أراك تزيدك الأيام حرصاً***على الدنيا كأنك لا تموت

فهل لك غاية إن صرت يوماً***إليها قلت حسبي قد رضيت

ولقوله (عليه السلام): ((الدهر يخلق الأبدان، ويجدد الآمال، ويقرب المنية ويباعد الأمنية، من ظفر به نَصَب، ومن فاته تَعَب)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (218/18):

كأنك لم تسمع بأخبار من مضى***ولم تر بالباقيين ماصنع الدهر

فإن كنت لا تدري فتلك ديارهم***عفاها مجال الريح بعدك والقطر

وهل أبصرت عينك حياً بمنزل***على الدهر إلا بالعراء له قبر فل

ا تحسبن الوفير مالاً جمعته***ولكن ما قدمت من صالح وفر

مضى جامعوا الأموال لم يتزودوا***سوى الفقريا بؤس لمن زاده الفقر

فحتى مَ لا تصحو وقد قرب المدى***وحتى مَ لا ينجاب عن قلبك السكر

بلى سوف تصحو حين ينكشف الغطا***وتذكر قولي حين لا ينفع الذكر

ومابين ميلاد الفتى ووفاته***إذا انتصح الأقسام أنفسهم عمر

لأن الذي يأتيه شبه الذي مضى***وما هو إلا وقتك الضيق النزر

فصبراً على الأيام حتى نجوزها***وفعما قليل بعدها يحمد الصبر

ولقوله (عليه السلام): ((معاشر الناس، إتقوا الله؛ فكم من مؤمل ما لا

يبلغه، وبيان ما لا يسكنه، وجامع ما سوف يتركه، ولعله من باطل جمعه، ومن حق منعه؛ أصابه حراماً، واحتمل به آثاماً، فباء بوزره، وقدم على ربه، أسفاً لا هفاً)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (259/19):

ألم تر حوشباً بالأمس بيني *** بناءً نفعه لبني نقيلة

يؤمل ما يعمر عمرنوح *** وأمر الله يطرق كل ليلة

وقول الشاعر (259/19):

وذي إبل يسعى ويحسبها له *** أخو تعب في عيها ودؤوب

غدت وغدا رب سواه يسوقها *** وبُدّل أحجاراً وجال قليب

ولقوله (عليه السلام): ((أيها الناس متاع الدنيا حطام موبوء، فتجنبوا مرعاً قُلعَتْها أحظى من طمأنينتها، وبلغتها أزكى من ثروتها، حكم على مكثريها بالفاقة، وأغنى من غنى عنها بالراحة)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (285-289/19):

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره *** فسوف لعمرى عن قليل يلومها

إذا أدبرت كانت على المرء حسرة *** وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

وقول لبيد (290/19):

وما المال والأهلون إلا وديعة *** ولا بد يوماً أن ترد الودائع

وقول إبراهيم بن أدهم (290/19):

نرَقع دنيانا بتمزيق ديننا*** فلا ديننا يبقى ولا ما نرَقع

وقول الشاعر (291 /19):

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره*** ونال من الدنيا سروراً وأنعماً

كبانٍ بني بنيانه فأقامه*** فلما استوى ماقد بناه تهدماً

وقول أبي العتاهية (291 /19):

تعالى الله يا سلم بن عمرو*** أذل الحرص أعناق الرجال

هب الدنيا تساق إليك عفواً*** أليس مصير ذاك إلى الزوال

وما دنياك إلا مثل فيءٍ*** أظلك ثم آذن بانتقال

وقول الشاعر (292 /19):

يا خاطب الدنيا إلى نفسها*** تنح عن خطبتها يسلم

إن التي تخطب غدارة*** قريبة العرس من المأتم

ولقوله (عليه السلام): ((البخل جامع لمساويء العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كل سوء)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي نواس (316-318 /19):

فتى يشتري حسن الثناء بماله*** ويعلم أن الدائرات دور

وقول ابن الرومي (318 /19):

وتاجر البر لا يزل به*** ربحان في كل متجر تجره

أجرٌ وحمدٌ وإنما طلبٌ*** الأجر ولكن كلاهما اعتوره

ص: 48

ولقوله (عليه السلام): ((ما لابن آدم والفخر، أوله نطفة، وآخره جيفة لا يرزق نفسه، ولا يدفع حتفه)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (115/20) :

إنما الدنيا كرؤيا فرّحت *** من رآها ساعة ثم انقضت

ولقوله (عليه السلام): ((أيها المخلوق السوي، والمُنشأ المرعي؛ في ظلمات الأرحام، ومضاعفات الأستار، بَدئتَ من سلالَة من طين، ووضعتَ في قرار مكين، إلى قدر معلوم، وأجل مقسوم، ... ثم أخرجتَ في مقرّك إلى دار لم تشهدا؛ ولم تعرف سبيل منافعها)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول ابن الرومي في صفة خطوب الدنيا وصروفها (259-257/9) :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها *** يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وإلا فما يبكيه منها وإنها *** لأوسع مما كان فيه وأرغد

إذا أبصر الدنيا استهل كأنه *** وبما سوف يلقي من أذاها يهدد

ولقوله (عليه السلام): ((طوبى لمن لزم بيته وأكل قوته واشتغل بطاعة ربه)) (33/10). استشهد ابن أبي الحديد بقول مجنون ليلى (44/10) :

واني لأستغشي وما بي نعسة *** لعل خيالاً منك يلقي خياليا

وأخرج من بين البيوت لعلي *** أحدث عنك النفس بالسر خاليا

ص: 49

من كلام له (عليه السلام) لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين (عليه السلام) وأعتقه فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام، فقال (عليه السلام):

((قبح الله مصقلة! فَعَلَّ فَعَلَ السادة وفرَّ فرار العبيد، فما أنطق مادحه حتى أسكته، ولا صدق واصفه حتى بكته، ولو أقام لأخذنا ميسوره، وانتظرنا بماله وفوره)) (119/3).

استشهد ابن أبي الحديد بقول علي بن الجهم لما حبسه المتوكل (123-124) :

ألم ترَ مظهرين عليَّ عتباً*** وهم بالأمس إخوان الصفاء

فلما أن بليت غدواً وراحوا*** عليَّ أشدَّ أسباب البلاء

أبت أخطارهم أن ينصروني*** بمالٍ أو بجاهٍ أو ثراءٍ

وخافوا أن يقال لهم خذلتهم*** صديقاً، فادعوا قدم الجفاء

تظافت الروافض والنصارى*** وأهل الاعتزال على هجائي

وعابوني وماذنبني إليهم*** سوى علمي بأولاد الزناء

ص: 53

ولقوله (عليه السلام) للخوارج : ((أصابكم حاصب، ولا بقي منكم أبر، أبعث إيماني بالله، وجهادي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أشهد على نفسي بالكفر؟ لقد ظللت إذاً وما أنا من المهتدين، فأوبوا وارجعوا على أثر الأعقاب، أما أنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة)) (4/ 129) :

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول (4/ 182-183):

لما ولي الحجاج العراق ودخل الكوفة وخطب وهدد فجاءه عمير بن ضابيء البرجمي بانه فقال :

- أصلح الله الأمير! إن هذا أنفع لكم مني، وأشد بني تميم أدياناً، وأجمعهم سلاحاً، وأربطهم جاشاً، وأنا شيخ عليل، واستشهد جلساءه ، فقال له الحجاج :

- إن عذرك لواضح، وإن ضعفك لبين ولكن أكره أن يجتري بك الناس عليّ، وبعد فأنت ابن ضابيء صاحب عثمان، وأمر به فقتل، ففي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدي :

أقول لعبد الله يوم لقيته*** أرى الأمر أمسى منصباً متشعباً

تجهز فإما أن تزور ابن ضابيء*** عميراً، وإما أن تزور المهلبا

هما خطتا حسف نجادك منهما*** ركوبك حولياً من الثلج أشهباً

فكانت ترى من مكره الغزو مُسجراً*** تحم حنو السرج حتى تحنّباً

فما أن أرى الحجاج يغمد سيفه*** مدى الدهر حتى يترك الطفل أشيباً

فأضحى ولو كانت خراسان دونه*** رآها مكان السوق أو هي أقرباً

وقول سوار بن المضرب السعدي وقد هرب من الحجاج (183 /4):

أقاتلي الحجاج إن لم أزر له *** دراب وأترك عند هند فؤاديا

فإن كان لا يرضيك حتى تردني *** إلى قطري ما أخالك راضيا

إذا جاوزت درب المجيزين ناقتي *** فاست أبي الحجاج لما ثانيا

أرجو بنو مروان سمعي وطاعتي *** وقومي تميم والفلاة ورائيا

وبالرواية التي تقول (184 /4):

((أتى الحجاج البصرة .. وكان أشد عليهم إلحاحا.. وأتاه رجل من بني يشكر، وكان شيخاً أعور.. وكان يلقب؛ ذا الكرسة، فقال :

- أصلح الله الأمير! إن بي فتقاً، وقد عذرني بشر بن مروان، وقد رددت العطاء.

قال :

- إنك عندي الصادق، ثم أمر به فضرب عنقه، ففي ذلك يقول كعب بن الأشقر أو الفرزدق :

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة *** تفرقر منها بطن كل عريف

ولقوله (عليه السلام): ((فاعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبينني إسرائيل (عليه السلام) فما أشد اعتدال الأحوال وأقرب اشتباه

الأمثال؟ تأملوا أمرهم في حال تشتتهم وتفرقهم)) (171 /13).

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول (174-175 /13):

ص: 55

إن تميمًا منعت النعمان الأتاوة سنة من السنين فوجه إليهم أخاه الريان بن المنذر، وجعل من معه من بكر بن وائل واستاق النعم وسبي الذراري، وفي ذلك يقول شاعر بني يشكر:

لما رأوا راية النعمان مقبلة*** قالوا: ألا ليت أدنى دارنا عدن

ياليت أم تميم لم تكن عرفت*** مرأً، وكانت كمن أودي به الزمن

إن تقتلوننا فأعيار مخدعة*** أو تنصحونا فقديمًا منكم المنن

منكم زهير وعتاب ومحتضن*** وابنا لقيط وأوس في الوغى قطن

ولقوله (عليه السلام): من وصية للحسن (عليه السلام) كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين - وقد ذكرناها - (109/16).

استشهد ابن أبي الحديد بقول عوف بن محمّل الشيباني في عبد بن طاهر أمر خراسان (55/16):

يا ابن الذي دان له المشرقان*** وألبس الأمن به المغربان

إن الثمانين وبلغتها*** قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وبدلتنني بالشطاط أنحني*** وكنت كالصعدة تحت السنان

وقاربت مني خطي لم تكن*** مقاربات وثنت من عنان

وعوضتني من زماع الفتى*** وهمّه هم الجبان الهدان

وأنشأت بيني وبين الورى*** عناة من غير نسج العنان

ولم تدع فيّ المستمتع*** إلا لساني وكفاني لسان

ص: 56

أدعوه الله وأثنى به *** على الأمير المصعبي الهجان

فقرباني بأبي أتما *** من وطني قبل اصفرار البنان

وقبل منعاي إلى نسوة *** أوطانها حران والرقتان

وقول سالم بن عوض الضبي (56/16) :

لا يبعدن عصر الشباب ولا *** لذاته وبناته النضر

والمشركات من الحدود كما *** ض الغمام وجود بالقطر

وطراد خيل مثلها التقتا *** لحفيظة ومقاعد الخمر

لولا أولئك ما حلفت متى *** عوليت في خرج إلى قبري

هربت زبيبة إن رأيت ثرمي *** وإن انحنى لتقادم ظهري

من بعد ما عهدت فأدلفني *** يوم يمر ولية تسري

حتى كأني خاتل قنصاً *** والمرء بعد تمامه يجري

لا تهزئي مني زبيب فما *** في ذاك من عجب ولا سخر

أو لم تري لقمان أهلكه *** من قُتَّ من سنة ومن شهري

وبقاء نسر كلما انقرضت *** أيامه عادت إلى نسر

ما طال من أمدٍ علي لُبْد *** رجعت محارته إلى قصر

ولقد حلبت الدهر أشطره *** وعلمت ما أتى من الأمر

ولقوله (عليه السلام): ((فإن فيما تبينت من إدمار الدنيا عني، وجموح الدهر عليّ، وإقبال الآخرة إليّ، ما يزغني عن ذكر من سواي.

والاهتمام بما ورائي، غير

أني حيث تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي، فصدتني رأبي، وصرفتني عن هواي)) (57/16):

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي إسحاق الصابي (58-59):

إذا ما تعدت بي وسارت محفة*** لها أرجل يسعى لها رجلا

وما كنت من فرسانها غير أنها*** وقت لي لما خانت القدمان

نزلت إليها عن سراة حصاني*** بحكم مشيب أوفراش حصان

فقد حملت مني ابن سبعين سالكاً*** سبيلاً عليها يسلك الثقلان

كما حمل المهد الصبي وقبلها*** ذعرت أسود الفيل بالنزوان

ولي بعدها أخرى تسمى جنازة*** ضبية يوم للمنية وان

تسير على أقدام أربعة إلى*** ديار البلى معدودهن ثمان

وإني على عيث الردي في جوارحي*** وما كف من خطوي وبطش بناني

فإن لم يدع إلا فؤاداً مروعاً*** به غير باقٍ من الحدثان

تلوم تحت الحجب ينفث حكمه*** إلى أذن تصغي لنطق لسان

لا علم أني ميت عاق وقته*** ذمماً قليل في غيد هوفان و

إن فما للأرض غرثان حائماً*** يراصد من أكل حضور أوان

به شره عم الوري بفجائع*** تركز فلاناً ثاكلاً لفلان

غدا فاغراً يشكو الطوى وهو رائع*** فما تلتقي يوماً له الشفتان

إذا عاضنا بالنسل ممن نعوا له*** تلا أولاً سنة بمهلك ثان

إلى ذات يوم لا ترى الأرض وارثاً*** سوى الله من إنسٍ تراه وجان
أقبيك الردي إني تنبيت من كرى*** وسهو على طول المدى اعترباني
فأثبت شخصاً دانياً كان خافياً*** على البعد حتى صار نصب عياني
هو الأجل المحتوم لي جدّ جدّه*** وكان يريني غفلة المتواني
له نذر قد أذنتني بهجمة*** له لست منها آخذاً بأمان
ولا بد منه ممهلاً أو معاجلاً*** سيأتي فلا يشبه عني ثان

ولقوله (عليه السلام): ((وأنا أسأل الله بسعة رحمته، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه..)) (117/7).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الحارث بن كعب يخاطب بنيه (120/17):

أكلت ش بابي فأفنيته*** وأبليت بعددهور دهورا
ثلاثة أهلين حاجتهم*** فبادوا وأصبحت شيخاً كبيراً
قليل الطعام عسير القيا*** م قد ترك الدهر خطوي قصيراً
أبيت أراعي نجوم السماء*** أقلب أمري بطوناً ظهوراً
ولقوله (عليه السلام): ((خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم، وإن عشتم حنوا إليكم)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (107/8-108):

وأنزلي طول النوى دار غربة*** متى شئت لاقيت امرءاً لا أشاكله
أخا ثقة حتى يقال سجية*** ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

ولقوله (عليه السلام)، وهو يتنبأ بصاحب الزنج : ((يا أحنف، كأني به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لَجَبٌ، ولا فَعْقَعَةٌ لُجْمٌ، ولا حمحمة خيل، يثيرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام)) (8/125).

استشهد ابن أبي الحديد بقول صاحب الزنج / علي بن محمد/ لما هرب من الدار التي كان فيها في اليوم الذي قتل فيه :

عليك سلام الله ياخير منزل*** خرجنا وخلفناه غير ذميم

فإن تكن الأيام أحدثن فرقة*** فمن ذا الذي من ربهن سليم؟

ص: 60

لقد تناثرت أبيات من الشعر الحكمي هنا وهناك في طيات أجزاء شرح نهج البلاغة فاستشهد ابن أبي الحديد - بها في ثنايا شرحه - دعماً لكلام الإمام (عليه السلام) أو أنه أعجب بها. فثمة أبيات استشهد بها الإمام نفسه، إن من قوله أو من أقوال شعراء آخرين، ولما كانت تلك الأبيات متناثرة هنا وهناك، كما ألمحت - ولما فيها من عبر ودروس قد تنفع في مفاصل حياتنا رأيت أن أجمعها تحت باب (الحكمة) فكان هذا الباب.

فلقوله (عليه السلام): ((فلئن أمر الباطل لقديمًا فعل، ولئن قل الحق لربما ولعلّ؛ ولقلما أدبر شيء فأقبل)).

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (280/1):

وقالوا يعود الماء في النهر بعدما*** ذوى نبت جنبيه وجف المشارع

فقلت: إلى أن يجري النهر جارياً*** ويعشب جنباه، تموت الضفادع

ولقوله (عليه السلام): ((إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: اتباع الهوى وطول الأمل)).

ص: 63

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (319/1):

أرى كل إنسان يرى عيب غيره*** ويعمي عن العيب الذي هو فيه

ويقول الإمام (عليه السلام): ((من أكل تمر دَقَل ثم شرب عليه ماء، ومسح بطنه، وقال: من أدخلته بطنه النار، فأبعده الله)).

ثم أنشد (157/3):

فإنك إن أعطيت بطنك سؤله*** وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وبالرواية التي تقول:

وفد عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك فشكا إليه خلَّته بالبيت الآتي:

(و) لقد علمت وما الإشراف من خلقي*** إن الذي هو رزقي سوف يأتيني

فقال له: فكيف خرجت من الحجاز إلى الشام تطلب الرزق؟

فقال أُذَيْنَةُ:

أسعى له فيعنيني تطلبه*** ولوقعدت أتاني لا يعنيني

ثم انشغل عنه، فخرج وقعد على ناقته ونصَّها راجعاً إلى الحجاز.

فذكره هشام في الليل، فسأل عنه فقبل له. إنه رجع إلى الحجاز.

ثم وجه إليه بألفي درهم، فجاء الرسول وهو في المدينة فدفعها إليه، فقال له:

- قل لأمر المؤمنين، كيف رأيت؟ سعيت فأكدت، وقعدت في منزلي فأتى رزقي.

ص: 64

ولقوله (عليه السلام): ((والدنيا دارٌ مُني لها الفناء. ولأهلها منها الجلاء، وهي حلوة خضرة، وقد عجلت للطالب، والتبست بقلب الناظر، فارتحلوا منها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد، ولا تسألوا فيها فوق الكفاف، ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ)).

فاستشهد ابن أبي الحديد بباقة من الشعر في ذلك المعنى نذكره تباعاً:

كقول أحد الحكماء (159/3):

فلا تجزع إذا أعسرت يوماً*** فقد أيسرت في الدهر الطويل

ولا تظنن بربك ظن سوءٍ*** فإن الله أولى بالجميل

وإن العسر يتبعه يسار*** وقيلُ الله أصدقُ كلِّ قيل

ولو أن العقول تجر رزقاً*** لكان المال عند ذوي العقول

وقول الحسين الضحاك (160/3):

يا روح من عظمت قناعته*** حسم المطامع من غدٍ وغدٍ

من لم يكن لله مُتَّهماً*** لم يمس محتاجاً إلى أحدٍ

وقول سليمان بن المهاجر البجلي (161/3):

كسوت جميل الصبر وجهي فصانه*** به الله عن غشيان كل بخيل

فلم يتبدلني البخيل ولم أقم*** على بابه يوماً مقام ذليل

وإن قليلاً يستر الوجه إن يرى*** إلى الناس مبدولاً لغير قليل

وقول الشاعر (161/3):

ولا تهلكن النفس وجداً وحسرة*** على الشيء أسداه لغيرك قادره

ولا تياسن من صالح أن تناله*** وإن كان نهياً بين أيدي تبادره

فإنك لا تعطي امرءً حظ نفسه*** ولا تمنع الشق الذي الغيث ناصره

وقول أحد شعراء العجم (162/3):

غلا السعر في بغداد من بعد رخصه*** وإنني في الحالين بالله واثق

فلمست أخاف الضيق والله واسع*** غناه، ولا الحرمان والله رازق

وقول أحد الشعراء (192/3):

صبرت النفس لا أجزع*** ع من خائنة الدهر

رأيت الرزق لا يكسب*** ب بالعرف ولا النكر

ولا بالسلف الأمثل*** أهل الفضل والذكر

ولا بالسُّمُّ الكدن*** ولا بالخدُّم البتر

ولا بالفعل والدين*** ولا بالجاه والقدر

ولا يُدرك بالطيش*** ولا الجهل ولا الهذر

ولكن قسّم تجري*** بماندري ولا ندري

وقول منصور الفقيه (163/3):

الموت أسهل عندي*** بين القنا والأسنة

والخيل تجري سراعاً*** مقطعات الأعنة

من أن يكون لنذلٍ*** عليّ فضل ومنة

وقول أعرابي (163/3):

أتيس أن يقارنك النجاح*** فأين الله والقدر المتاح

وقول أبي العلاء المعري (163/3):

فإن كنت تهوى العيش فابغ توسطاً*** فعند التناهي يقصر المتناول

تُوفي البدور النقص وهي أهلة*** ويدركها التقصان وهي كوامل

وقول أحدهم (164/3):

وكم من ملك جانبته من كراهية*** لإغلاق باب أو لتشديد حاجب

ولي في غنى نفسي مراد ومذهب*** إذا أبهمت دوني وجوه المذاهب

ولقوله (عليه السلام): ((فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول نصر بن نباتة (245/3):

والحسين الذي رأى الموت في العز*** حياة والعيش في الذل قتلا

وقول التهامي (245/3):

ومن فاته نيل العلا بعلومه*** وأقلامه فليبعها بحسامه

فموت الفتى في العز مثل حياته*** وعيشته في الذل مثل حمامه

وقول الشاعر (246/3):

فمن يطلب المال المقنع بالقنأ*** يعيش ماجداً أو يؤذ فيما يمارس

ولقوله (عليه السلام): ((المأمول مع النقم، المرهوب مع النعم)).

شاعر:

من عاش لاقى مايسو***ء من الأمور ومايسر

ولرب حتفٍ فوقه*** ذهب وياقوت ودر

البحثري:

يسرك الشيء قد يسوء وكم*** نوه يوماً بحاملٍ لقبه

لا ييأس المرء أن ينجيه*** ما يحسب الناس أنه عطبه

آخر:

رب غمٍ يدب تحت سرور*** وسرور يأتي من الموزور

سعيد بن حميد:

كم نعمة مطوية*** لك بين أثناء النوائب

ومسرة قد أقبلت*** من حيث تنتظر المصائب

آخر:

العسر أكرمه وليس بعده*** ولأجل عين ألف عين تكرم

والمرء يكره يومه ولعله*** يأتيه فيه سعادة لا تعلم

الحلاج:

ولربما هاج الكبير*** من الأمور لك الصغير

ولرب أمرٍ قد تضي***ق به الصدور ولا يصير

ص: 68

آخر:

كم مرة حفت بك المكاره*** خار لك الله وأنت كاره

واستشهد لخطبة له (عليه السلام) في صفين بقول حميد بن ثور الهلالي (171 / 15):

قضى الله في بعض المكاره للفتى*** برشد وفي بعض الهوى ما يحاذر

ألم تعلمي أني إذا الألف قاذني*** إلى الجور لا أنقاد والألف جائر

وقد كنت في بعض الصباوة أتقى*** أموراً وأخشى أن تدور الدوائر

وأعلم أني إن تغطيت مرة*** من الدهر مكشوف غطائي فناظر

وخطبة له (عليه السلام) استشهد ببعض الشعر الحكمي منه (93-87 / 7):

قول الفطامي :

قد يدرك المتأني بعض حاجته*** وقد يكون مع المستبصر الزلل

وقول البحترى :

حليم إذا القوم استخفت حلومهم*** وقور إذا ماحدث الدهر أجلبا

وقول الشاعر :

أحلامنا تزن الجبال رجاحة*** وتخالنا جثاً إذا ما نجهل

وقول أحيمة الحلج (17 / 13):

والصمت أجمل بالفتى*** ما لم يكن عيُّ يشينه

والقول ذو خطل إذا*** ما لم يكن لب يعينه

ص: 69

وقول أحدهم :

وإذا خطبت على الرجال فلا تكن *** خطل الكلام تقوله مختالا

واعلم بأن من السكوت إبانة*** ومن التكلف ما يكون خيالا

وقول أبي العتاهية :

كل امريء في نفسه*** أعلا وأشرف من قرينه

والصمت أجمل بالفتى *** من منطق في غير حينه

وقول شاعر:

وإياك إياك المرء فإنه*** إلى الشر دعاء وللشر جالب

وقول علي بن هشام :

لعمرك إن الحلم زين لأهله*** وما الحلم إلا عادة وتحلم

إذا لم يكن صمت الفتى من بلادة*** وعي فإن الصمت أهدى وأسلم

وقول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب :

زعم ابن سلمى أن حلمي ضررتي*** ما ضر قبلي أهله الحلم

إنا أناس من سجيتهم*** صدق الحديث ورأيهم حتم

لبسوا الحياء فإن نظرت حسبتهم*** سقموا ولم يمسههم سقم

إني وجدت العدم أكبره*** عدم العقول وذلك العدم

والمرء أكثر عيبه ضرراً*** خطل اللسان وصمته حكم

ولقوله (عليه السلام): ((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس! وطوبى لمن

لزم بيته؛ وأكل قوته، واشتغل بطاعة ربه، وبكى على خطيئته، فكان من نفسه في شغل، والناس منه في راحة)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أحدهم :

((كنت في سفينة ومعنا شاب علوي؛ فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاماً، فقلنا له :

- قد جمعنا الله وإياك منذ سبع، ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا، فأنشد (10/40-41) :

قليل الهم لا ولد يموت*** وليس بخائف أمراً يفوت

قضى وطر الصبا وأفاد علماً***فغاياته التفرد والسكوت

وأكبر همّه مما عليه*** تناجز من ترى خلق وقوت

وقول الشاعر (10/445) :

وكم سقت في آثاركم من نصيحة*** قد يستفيد الظنة المتصح

وقول بعض الحكماء لصاحبه :

- أعلمك شعراً هو خير لك من عشرة آلاف درهم وهو (10/47-48) :

أخفض الصوت إن نطقت بليل*** والتفت بالنهار قب-ل المقال

ليس للقول رجعة حين يبدو***بقبح يكون أو بجمال

وقول الشاعر (10/48) :

من حمد الناس ولم يبلهم***ثم بلاهم ذم من يحمد

وصار بالوحدة مستأنساً***بوحشة الأقرب والأبعد

وقول الشاعر (49/10) :

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة***ولكن عار أن يزول التجمل

وقول الشاعر (10/49) :

عدوك من صديقك مستفاد*** فلا تستكثرن من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه*** يكون من الطعام أو الشراب

ولأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طلب من بعض نسائه أن تقسم شاة على الفقراء فقالت :

- يا رسول الله، لم يبق منها غير عنقها.

فقال (صلى الله عليه وآله) :

- كلها بقي غير عنقها.

فاستشهد بقول الشاعر (209/10) :

بيكي على الذاهب من ماله*** وإنم يبق الذي يذهب

ولقوله (عليه السلام): ((فطوبى لذي قلب سليم، أطاع من يهديه، وتجنب من يرديه، وأصاب سبيل السلامة يبصر من بصّره، وطاعة هادٍ امره)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول النابغة (68/11) :

ولست بمستبقي أخاً لا تلمّه*** على شعثٍ، أي الرجال المهذب

وقول الشاعر (77/11) :

ص: 72

إذا صفت المودة بين قومٍ *** ودام ودادهم سَمَّجَ الثناء

ولقوله (عليه السلام) يصف العارف : ((وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربه)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (11/141) :

ما أبيض وجه المرء في طلب العلا *** حتي يسود وجهه في البيدا

وقول أبي تمام (11/141) :

فاطلب هدوءً بالتقليل واستتر *** بالعيس من تحت السهي وهجودا

ما إن ترى الأحساب بيضاً وضحاً *** إلا بحيث ترى المنايا سودا

وقول المتنبي (11/132) :

ذريني أنل ما لا ينال من العلا *** فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل

تريدين إدراك المعالي رخيصة *** ولا بد دون الشهد من إبر النحل

وقوله أيضاً (11/132) :

وإذا كانت النفوس كباراً *** تبعت في مرادها الأحسام

وقول الشاعر (11/190) :

أرتب ما أقول إذا افترقنا *** وأحكم دائماً حجج المقال

فأنساها إذا نحاها إذا نحن التقينا *** وأنطق حين أنطق بالمحال

وقول الآخر (11/190) :

فيا ليل كم من حاجة لي مهمة *** إذا جئتكم لم أدر بالليل ما هيه

ولقوله (عليه السلام): ((ألا وإن اللسان بضعة من الإنسان، فلا يسعده القول إذا امتنع، ولا يمهلُه النطق إذا اتسع، وإنا لأمرء الكلام، وفينا تنسبت عروقه، وعلينا تهذلت غصونه)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (17/13):

وما خير من لا ينفَع الدهر عيشه*** وإن مات لم يحزن عليه أقربه

كهامٍ على الأقصى كليلٌ لسانه*** وفي بشر الأذنى حديد مخالبه

ولقوله (عليه السلام) رداً على طلب عثمان منه وهو محصور أن يخرج إلى ينبع، ليقبل هتف الناس بإسمه، للخلافة، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل.

فقال (عليه السلام):

((يا ابن عباس ما يريد عثمان إلا أن يجعلني حملاً ناضراً بالغرب، أقبل وأدبر! بعث إلي أن اخرج، ثم بعث إلي أن اقدم، ثم هو الآن يبعث إلي أن اخرج! والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً)).

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول المتنبي (302/13):

نحن أدرى وقد سألنا ألنا بنجد*** أطويل طريقنا أم يطول

وكثير من السؤال اشتياق*** وكثير من رده تعليل

ويقول محمد بن هاني المغربي (302/13):

في كل يومٍ أستزيد تجارياً*** كم عالم بالشيء وهو يسائل

ولقوله (عليه السلام): ((إذا كان الترفق خرقاً، كان الخرق رفقاً)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول زهير بن أبي سلمى (101/16) :

ومن لم يزد عن نفسه بسلاحه*** يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وقول أبي الطيب المتنبي (101/16) :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلامة*** مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى

ولقوله (عليه السلام): ((الصاحب مناسب)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول المتنبي (117/16) :

ما الخل إلا من أودَّ بقلبه*** وأرى بطرف لا يرى بسؤاله

ولقوله (عليه السلام): ((الهوى شريك العمى)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول عبد الله بن معاوية (118/16) :

وعين الرضا عن كل عيب كليله*** كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولقوله (عليه السلام): ((من اقتصر على قدره كان أبقى له)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي الطيب (118/16) :

ومن جهلت نفسه قدره*** رأى غيره منه ما لا يرى

ولقوله (عليه السلام): ((إياك والتغاير في غير موضع غير)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول مسكين الدارمي (127/16) :

ما أحسن الغيرة في حينها*** وأقبح الغيرة في غير حين

من لم يزل متهماً عرسه*** مناصباً منها لرج الظنون

يوشك أن يغريهت بالذي*** يخاف، أو ينصبها للعيون

حسبك من يحصنها حَمُّها*** منك إلى خيمِ كريمٍ ودين

لا تظهرن يوماً على عورة*** فيتبع المقرون جبل القرين

وقوله أيضاً (127/16-128):

ألا أيه الغائر المستشيط***علام تغار إذا لم تُغر؟

فما خير عرسٍ إذ خفتها***وما خير بيتٍ إذا لم يُزر

تغار من الناس أن ينظروا***هل يفتن الصالحات النظر؟

فإني سأخلي له بيتها***فتحفظ لي نفسها أو تذر

إذا الله لم يعطه ودّها***فلن يعطي الود سوط ممر

ومن ذا يراعي عرسه***إذا ضمّه والركاب السفر؟

وقوله أيضاً (128/16):

ولست امرءاً لا أبرح الدهر قاعداً***إلى جنب عرسي لا أفارقها شبرا

وما مقسماً لا أبرح الدهر بيتها***لأجعله قبل الممات لها قبراً

ولا حاملاً ظني ولا قول قائل***على غيرة حتى أحيط بها خبراً

وهبني امرءاً راعيه ما دمت شاهداً***فكيف إذا ما سرت من بتها شهراً

إذا هي لم تحصن لما في فنائها***فليس لمنجيتها بنائي لها قصراً

ولقوله (عليه السلام): ((لا تجعل عرضك غرضاً لنبال القوم)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (45/18):

لا تستتر أبداً ما لا تقوم له***ولا تهيجن من عرسه الأسد

إن الزنابير إن حركتها سفهاً*** من كورها أوجعت من لسعها الجسدا

ولقوله (عليه السلام)، من كتاب له إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه :

((أما بعد فإنك لست بسابقٍ أجلك، ولا مرزوق ما ليس لك، واعلم بأن الدهر يومان : يوم عليك، ويوم لك، وإن الدنيا دار دول، فما كان منها لك أتاك على ضعفك، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك)).

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (60/18) :

قد يرزق العاجز الضعيف وما*** شدَّ بكورٍ رحلا ولا قتباً

ويحرم المرء ذو الجلادة وال*** رأيٍ ومن لا يزال مغترباً

وبقول ابن يعقوب الحزيمي (60/18-61) :

هل الدهر إلا صرفه ونوائبه*** وسراء عيشٍ زائلٍ وحصائبه

بقول الفتى ثمرت مالي وإنما*** لوارثه ما ثمر المال كاسه

يحاسب فيه نفسه في حياته*** ويتركه نهياً لمن لا يحاسبه

فكله وحابيه وخاله وارثاً*** شحيحاً ودهراً تعتركه نوائبه

أرى المال والإنسان للدهر نهبةٍ*** فلا البخل مبقية ولا الجود خاربه

لكل امرئ رزق ولرزقٍ جالب*** وليس يفوت المرء ما خط كاتبه

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره*** ويُعطى الفتى من حيث يحرم صاحبه

يساق لدار رزقه وهو وادع*** ويحرم هذا الرزق وهو يغالبه

وإنك لا تدري أرزقك في الذي*** تطالبه أم في الذي لا تطالبه

تناسى ذنوب الأقرابين فإنه*** لكل زكوبٍ ركبٍ وهو راكبه

له هفوات في الرخاء يشوبها*** بنصرة يوم لا توارى كواكبه

تراه غدواً ما أمنت وتتقي*** بجهته يوم الوغي من يحاربه

لكل امرئٍ إخوانٍ بؤسٍ ونعمة*** وأعظمهم في النائبات أقاربه

ولقوله (عليه السلام): ((خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم وإن عشتم حنوا إليكم)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول المهاجر بن عبد الله (107/18):

وإني لأقضي المرء من غير بغضة*** وأدني أخا البغضاء مني على محددٍ

ليحدث ودأ بعد بغضاء أو أرى*** له مصرعاً يردي به الله من يردي

ومن الشعر المنسوب إلى الإمام علي (عليه السلام) قوله (113/18):

إن أخاك الحق من كان معك*** ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان وصدّك*** شتت فيك شمله ليجمعك

وما ينسب إليه (عليه السلام) أيضاً (114/18):

أخوك الذي إن أجزتاك ملة*** من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما

وليس أخوك بالذي إن تشعبت*** عليك أمور ظل يلحاك واجما

ولقوله (عليه السلام): ((ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه، وصفحات وجهه)). (137/18):

استشهد بقول زهير بن أبي سلمى :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة*** وإن خالها تخفى على الناس تعلم
ولقوله (عليه السلام): ((احذروا صولة الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول المتنبي للشق الثاني (179/18) :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكة ملكته*** وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ولقوله (عليه السلام): ((من كتم سره كانت الخيرة بيده)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (384/18) :

فلا تقشِ سرِّك إلا إليك*** فإن لكل نصيح نصحا
ألم تر أن غواة الرجال*** لا يتركون أديماً صحيحاً
وقول الشاعر (18/385) :

إذا جاوز الاثنين سرّاً فإنه*** يئث وتكثير الوشاة قمين

ولقوله (عليه السلام): ((من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (404/18) :

وخير الرأي ما استقبلت منه*** ولس بأن تتبعه اتباعا

ولقوله (عليه السلام): ((إذا هبت أمراً فقع فيه، فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول المتنبي (406/18) :

وإذا لم يكن من الموت بدّ*** فمن العجز أن تكون جانا

كلما لم يكن من الصعب في الآن*** فس سهل فيها إذا هو كانا

وقول آخر (806/18) :

لعمرك ما المكروه إلا ارتقابه*** وأعظم مما حلّ ما يُتوقع

وقول آخر (406/18) :

عوبة الرزء تلقى في توقعه*** مستقبلاً وانقضاء الرزء أن يقعا

ولقوله (عليه السلام): ((لا يزهّدنك في المعروف من لا يشكره لك، فقد يشركك عليه من لا يستمتع بشيء منه، وقد يدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر، واللّه يحب المحسنين)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول نفسه (24/19) :

لا تسدين إلى ذي الوم مكرمة*** فإنه سبخ لا ينبت الشجرا

فإن زرعته محفوظ بمضيعة*** وأكل زرعك شكر الغير إن كفرا

وقول الشاعر (24/19) :

لعمرك ما المعروف في غير أهله*** وفي أهله إلا كبعض الودائع

فمستودع ضاع الذي كان عنده*** ومستودع ما عنده غير ضائع

وما الناس في شكر الصنيعة عندهم*** وفي كفرها إلا كبعض المزارع

فمزرعة طابت وأضعف زرعها*** ومزرعة أكدت على كل زارع

ولقوله (عليه السلام): ((اغضِ على القذى والألم ترضَ أبدا)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (34/19) :

ومن لم يغمض عينه عن صديقه*** وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتتبع جاهداً كل عثرة*** يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

وقول الشاعر (34/19) :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى*** ظمئت، وأي الناس تصفو مشاريه

ولقوله (عليه السلام): ((احذروا نِفار النعم، فما ظل شارداً بمردود)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (9/19):

إذا كنت في نعمة فارعها*** فإن المعاصي تزيل النعم

ولقوله (عليه السلام): ((قطع العلم عذر المتعلمين)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (156/19) :

قدمت على الكريم بغير زاد*** من الأعمال ذا ذنب عظيم

وسوء الظن إن تعتدَّ زاداً*** إذا كان القدوم على الكريم

ولقوله (عليه السلام): ((ما قال الناس لشيء طوبى له! إلا وقد خبأ له الدهر يوم سوء)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (178/19) :

تاه الأعيرج واستولى به البطر*** فقل له خير ما استعملته الحذر

أحسنْتَ ظنك بالأيام إذ حسنت*** ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها*** وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وقول الشاعر (1979/19) :

فيالنعيم ساعدتنا رقابه*** وخاست بنا أكفاله والروادف

وقول اسحاق بن إبراهيم الموصلي (179/19):

هي المقادير تجري في أعتتها*** فاصبر فليس لها صبر على حال
يوماً تريش خسيس الحال ترفعه*** إلى السماء ويوماً تخفض العالي

وقول هانيء بن مسعود (179/19):

إن كسرى أبى على الملك النع*** مان حتى سقاه أم الرقوب
كل ملك وإن تصعد يوماً*** بأناس يعود للتصويب

وقول أحيحة بن الحلاج (179/19):

وما يدري الفقير متى غناه*** وما يدري الغني متى يعيل
وما تدري إذا آخرت شولا*** أتلقح بعد ذلك أم تميل
وما تدري إذا أزمت سيراً*** بأي الأرض يدركك المقييل

وقول الآخر (179-180):

رب قوم غبروا من عيشهم*** في سرور ونعيم وغدق
سكت الدهر زماناً عنهم*** ثم أبكاهم دماحين نطق
وبما نسب إلى محمد الأمين بن زبيدة (180/19):

يانفس قد حق الحذر*** أين الفرار من القدر

كل امرئ مما يخافا*** ف ويرتجيه على قدر

من يرتشف صفو الزمانا*** ن يعص يوماً بالكدر

ولقوله (عليه السلام): ((إن أخذ القليل خير من ترك الكثير)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشنفرى (185/19):

وأطوي على الخمص الحوايا كما انطوت *** خيوطه ماريّ نغار وتقتل
وإن مُدَّت الأيدي إلى الزاد لم أكن *** بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل
وما ذاك إلا بسطة من تفضلٍ *** عليهم وكان الأفضل المتفضل

وقول الشاعر (186/19):

فإن قراب البطن يكفيك ملؤه *** ويكفيك سوءات الأمور اجتنابها
وقول الشاعر (المبرد) أنشده (188/19):

فإن امتلاء البطن في حسب الفتى *** قليل الغناء وهو في الجسم صالح
ولقوله (عليه السلام) للأشعث بن قيس، وقد عزّاه عن ابن له :

((إن تحزن على إبنك فقد استحق ذلك منك الرحم، وإن تصبر في الله من كل مصيبة خلف)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي العتاهية (192/19):

ولابد من جريان القضاء *** إما مثاباً وإما أثيماً
وقول الآخر (193/19):

ومن لم يزل غرضاً للمنون *** يتركه كل يوم عميدا
فإن هن أخطأته مرة *** فيوشك مخطئها أن يعودا
فبيننا يحدد وأخطأته *** قصدن فأعجلنه أن يحددا
وقول آخر (193/19):

هو الدهر قد جربته وعرفته*** فصبراً على مكروهه وتجلدا

وما الناس إلا سابق ثم لاحق*** وفئت موت سوف يلحقه غدا

وقول آخر (193/19):

أينا قدمت صروف الليالي*** فالذي آخرت سريع اللحاق

غدرات الأيام منتزعات*** عنفينا من أس هذا العناق

وقول ابن نباتة (193/19):

نعلل بالدواء إذا مرضنا*** وهل يشفي من الموت الدواء

ونختار الطبيب وهل طيب*** يؤخر ما يقدمه القضاء

وما أنفاسنا إلا حساب*** وما حركاتنا إلا فناء

ولقوله (عليه السلام) لابنه: ((يا بني إني أخاف عليك الفقر، فاستعد بالله منه، فإن الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت)).

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (288/19):

المال أنفع للفتى من علمه*** والفقر قتل للفتى من جهله

ما حز من رفع الدراهم قدره*** جهلاً يناط إلى دناءة أصله

وقول آخر (228/19):

دعوت أخي فولني مشمنزاً*** ولبي درهمي لمادعوت

وقول آخر (228/19):

ولم أر أوفى ذمة من دراهمي*** وأصدق عهداً في الأمور العظام

فكم خانني خلّ وثقت بعهدہ*** وكان صديقاً لي زمان الدراهم

وقول آخر (229-228/19):

أبو الأصفر المنقوش أنفع للفتى*** من الأصل والعلم الخطير المقدم

وما مدح العلم امرؤ ظفرت به*** يداه ولكن كل معرٍ ومعدم

وقول آخر (229/19):

ولم أر بعد الدين خيراً من الغنى*** ولم أر بعد الكفر شراً من الفقر

وقول أحد الظرفاء (229/19):

أصون دراهمي وأذب عنها*** لعلمي أنها سيفي وترسي

وأذخرها وأجمعها بجهدني*** ويأخذ وارثي منها وعرسي

فيأكلها ويشربها هنيئاً*** على النعمات من نقر وجرس

ويقعد فوق قبوري بعد موتي*** ولا يتصدقن عني بفلس

أحب إلي من قصدي عظيماً*** كبيراً أصله من عبد شمس

أمد إليه كفي مستميحاً*** وأصبح عبد خدمته وأمسي

ويتركني أجر الرجل مني*** وقد صارت كنفس الكلب نفسي

ولقوله (عليه السلام): ((المسؤول حر حتى يعد)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول ابن الفضل (249/19)

أثروا ولم يقضوا ديون غريمهم*** واللؤم كل اللؤم مطل الموسر

وقول آخر (249/19):

إذا أتت العطية بعد مطل *** فلا كانت وإن كانت سنية

وقول الشاعر (249 / 19):

تحيل على الفراغ قضاء شغلي *** وأنت إذا فرغت تكون مثلي

فلا أدعى بخادمك المرجى *** ولا تدعى بسيدنا الأجلّ

وقول آخر (249 / 19) :

لو علم الماظل أن المطال *** فقد به يذهب طعم النوال

وأن أعلى البر ما ناله *** طالبه نقداً عقيب السؤال

عجّل للسائل معروفة *** مهناً من غير قيل وقال

ولقوله (عليه السلام): ((من كابد الأمور عَطِبَ، ومن اقتحم اللجج غرق)).

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر :

من حارب الأيام أصبح رمحُه *** قصيراً وأصبح سيفه مغلولاً

ولقوله (عليه السلام): ((عند تناهي الشدة تكونن الفرجة، وعند تضايق حَلَقِ البلاء يكون الرخاء)).

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (167 / 19) :

إذا بلغ الحوادث منتهاها *** ترَجَّ بُعيدها الفرج المطلا

فكم كرب تولّى إذ توالى *** وكم خطب تجلى حين جلى

وقول أمية بن أبي الصلت (267 / 19) :

لا تضيقن في الأمور فقد يك *** شف غماؤها بغير احتيال

ربما تجزع النفوس من الأمر *** له فرجة كحل العقال

ولقوله (عليه السلام): ((اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني؛ فإن عدت فعد علي بالمغفرة، اللهم اغفر لي ما رأيت من نفسي، ولم تجد له وفاءً عندي)).

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول ابن جدعان (176/6-190):

أذكر حاجتي أم قد كفاني *** حياؤك، إن شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يوماً *** كفاه من تعرضه الثناء

ولقوله (عليه السلام): ((ولا تباغضوا فإنها الحالقة)) (324/6):

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (359/6):

ومن دعا الناس إلى ذمه *** نموه بالحق وبالباطل

مقالة السوء إلى أهلها *** أسرع من منحدر سائل

ولقوله (عليه السلام)((جانبو الكذب فإنه مجانيب للإيمان)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (360/6):

لا يكذب المرء إلا من مهانته *** أو عادة السوء أو من قلة الأدب

لَعَصُ جيفة كلب خير رائحة *** من كذبة المرء في جد وفي لعب

ولقوله (عليه السلام): ((ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم، فكيف بالعائب الذي عاب أخاه، وعيَّره ببلواه)) (59/9):

استشهد بقول الشاعر (64/9):

ومطروفة عيناه عن عيب نفسه*** فإن لاح عيب من أخيه تبصرا

وقول الشاعر (65 /9) :

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها*** لنفسي في نفسي عن الناس شاغل

وقول أحدهم (965 /9):

ولست بذى نيرب بالصديق*** خؤون العشيرة سبابها

ولا من إذا كان في مجلسٍ*** أضاع القبيلة واغتابها

ولكن أبجل ساداتها*** ولا أتعلم ألقابها

وقول أبي نواس (66 /9):

ما حطك الواشون من رتبة*** عندي وماضرك مغتاب

كانهم أثنوا ولم يعلموا*** عليك عندي بالذي عابوا

ولقوله (عليه السلام): ((في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (38 /19) :

لا تحمّدن امرءً حتى تجريه*** ولا تدمّنه من غير تجريب

وقول الآخر (38 /19) :

ما زال يحلب هذا الدهر أشطره*** يكون متبّعاً طوراً ومُتّبِعاً

حتى استمر على شزر سريرته*** مستحکم الرأي لا قحماً ولا ضرعا

ولجوابه (عليه السلام) عندما سئل عن قوله تعالى :

{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً }

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (النحل / 97) .

فقال : ((هي القناعة)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (55 / 19) :

فمن أُشرب اليأس كان الغنيّ *** ومن أُشرب الحرص كان الفقيرا

وقول الآخر (55 / 19) :

غنى النفس ما يكفيك من سد خلةٍ *** فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

وقول الشاعر (55 / 19) :

فمن سره أن لا يرى ما يسوؤه *** فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

ص: 89

من خطبة له (عليه السلام): ((ولعمري ما علي من قتال من خالف الحق، وخابط الغي، من إدهان ولا إيهان، فاتقوا الله عباد الله. وفروا إلى الله من الله وامضوا في الذي نهجه لكم، وقوموا بما عصبه بكم، فعلي ضامن لفلجكم آجلاً إن لم تمنحوه عاجلاً)) (331 / 1) :

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول (340 / 1) :

((يقول حسان بن ثابت الأنصاري يرثي ربيعة بن مكرم بن حرثان بن جذيمة بن علقمة بن فراس، الشجاع المعروف، حامي الظعن حياً وميتاً إذ لم. إذا تعرض له أحد الفرسان من بني سليم، فرماه نبيشه بن حبيب بسهم أصاب قلبه فنصب رمحه في الأرض واعتمد عليه وهو ثابت في سرجه لم يزل ولم يجل... فقال حسان فيه الأبيات الآتية (342 / 1) :

لا يبعدن ربيعة بن مكرم *** وسقى الفوادي قبره بذنوب

نفت قلوصي من حجارة حرة *** بنيت على طلق اليدين وهوب

لا تنفري ياناق مني فإنه *** شريب خمر مسعر لحروب

لولا السقاء وبعد خرق مهمة*** لتركها تجثو على العرقوب

نعم الفتى أدى نبيشة بزه*** يوم اللقاء نبيشة بن حبيب

وبالرواية التي تقول (340/1):

بعث معاوية إلى اليمن بسر بن أرطاة الكتاني في جيش كثيف، وأمره أن يقتل كل من كان في طاعة علي (عليه السلام) فقتل خلقاً كثيراً، وقتل فيمن قتل ابني عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب. وكانا غلامين صغيرين فقالت أمهما أم حكيم ترثيهما:

هما من أحسن يا بني اللذين هما*** كالدرتين تشطى عنهما الصدف

هما من أحسن يا بني هما*** سمعي وقلبي، وعقلي اليوم مختطف

هما من أحسن يا بني هما*** منح العظام، مخي اليوم مزدهف

نبئت بسرأ وما صدقت ما زعموا*** من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا

أنحى علي ودجي ابني مرهفة*** مشحودة، وكذلك الإثم يقترف

حتى لقيت رجالاً من أرومته*** شم الأنوف لهم في قومهم شرف

فالآن ألعن بسرأ حق لعنته*** وهذا لعمر ابي بسر هو السرف

من دل والهة حرى مسلبة*** على صبيين ضالا إذ مضى السلف

وبالرواية التي تقول (وهي مخالفة الأولى) (14/2):

دخل بسر ابن أرطاة الطائف .. مر ببني كنانة، وفيهم ابنا عبد الله بن العباس وأمهما، فلما انتهى بسر إليهم طلبهما، فدخل رجل من بني كنانة

- كان أبوهما

أوصاه بهما - فأخذ السيف من بيته وخرج، فقال له بسر :

- ثكلتك أمك! والله ما كنا أردنا قتلك، فلم عرّضت نفسك للقتل.

قال :

- أقتل دون جاري أعذر لي عند الله والناس.

ثم شد على أصحاب بسر بالسيف حاسراً وهو يرتجز :

آليت لا يمنع حافات الدار*** ولا يموت مصلتاً دون الجار

إلا فتى أروع غير غدار

وبالرواية التي تقول (15/2) :

عندما دخل بسر صنعاء منعه من دخولها عمرو بن أراكة الثقفي الذي استخلفه عبيد الله بن العباس عليها فقاتله بسر فقتله فرثاه أبوه عبد الله بن أراكة الثقفي بهذه الأبيات :

لعمري لئن اتبعت عينيك ما مضى*** به الدهر أو ساق الحمام إلى القبر

لتستفدن ماء الشؤون بأسره*** ولو كنت تمرهين من ثبج البحر

لعمري لقد أردى ابن أرطاة فارساً*** بصنعاء كالليث الهزبر أن الأجر

نعز فإن كان البكار ردّ هالكاً*** على أحد، فأجهد بكاك على عمرو

ولا تبك ميتاً بعد ميت أجنة*** علي وعباس وآل أبي بكر

وقول يزيد بن مفرع الحميري يرثي قتلى اليمن على يد بسر بن أرطاة(17/2) :

ص: 95

تعلق من أسماء ما قد تعلقا*** ومثل الذي لاقى من الشوق أرقا

سقى هدم الابعاد منبعج الكلى*** منازلها من مُسرقاة مسرقا

إلى الشرف الأعلى إلى راب هرmez*** إلى قريات الشيخ من نهر أريقا

إلى دشت بارين إلى الشط كله*** إلى مجمع السلان من بطن دورقا

إلى حيث يرفا من دجيل سفينة*** إلى مجمع النهرين حيث تفرقا

إلى حيث سار المرء بسر بجيشه*** فقتل بسرما استطاع وحرّقا

ولقوله (عليه السلام) في مصقلة بن هبيرة الشيباني لما هرب بأموال المسلمين إلى معاوية؛ إذ كان قد ابتاع سي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين (عليه السلام) وأعتقه :

(قبح الله مصقلة! فعل فعل السادة، وفر فرار العبيد، فما أنطق مادحه حتى أسكته، ولا صدق واصفه حتى بكّته، ولو أقام لأخذنا ميسوره، وانتظرنا بماله وفوره) (119/3) (وقد نقلناه في فقرة الشكوى).

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول (120/3):

((خرج أسامة بن لؤي بن غالب إلى ناحية البحرين مغاضباً لأخيه كعب بن لؤي في محاضرة كانت بينهما، فطأطأت ناقته رأسها لتأخذ العشب فعلق بمشفرها أفعى، ثم عطفت على قتبها فحكته به، فدب الأفعى على القتب حتى نهش أسامة فقتله، فقال أخوه كعب بن لؤي يرثيه :

عيني جودي لسامة بن لؤي*** عقلت ساق سامة العلاقة

رب هرقتها ابن لؤي *** حذر الموت لم تكن مهراقة

ولقوله (عليه السلام) في سحرة اليوم الذي ضرب فيه : ((مكتني عيني وأنا جالس، فسبح لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقلت :

يا رسول الله ! ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد؟

فقال :

- ادع عليهم.

فقلت :

- أبدلني الله خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً لهم مني (6/112) :

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (6/123-124) يرثي زياداً :

صلى الإله على قبر وطهره *** عند الثوية يسفي فوقه المور

زفت إليه قريش نعش سيدها *** فالحلم والجود فيه اليوم مقبور

أبا المغيرة والدنيا مفعجة *** وإن من غرت الدنيا المغرور

قد كان عندك للمعروف معرفة *** وكان عندك للمنكور تنكير

وكنت تقشي وتعطي المال من سعة *** فالיום قبرك أضحي وهو مهجور

والناس بعد وقد خفت حلومهم *** كأنما نفخت فيه الأعاصير

ولقوله (عليه السلام): ((ألا- وإن لكل دمٍ ثأراً، ولكل حق طالباً، وإن الثأر في دماننا كالحاكم في حق نفسه، وهو الله الذي لا يعجزه من

طلب، ولا يفوته من هرب (17/197)).

ص: 97

استشهد ابن أبي الحديد بقول عبد الله بن عمرو العبلي في رثاء قومه (123/7-124):

تقول أمامة لما رأته *** نشوزي عن المضجع الأملس

وقلة نومي على مضجعي *** لدى هجعة الأعين النفس

أبي ماعراك؟ فقلت: الهموم *** عرين أباك فلا تليس

عرين أباك فحبسناه *** من الذل في شر ما محبس

لفقد الأحبة إذ نالها *** سهام من الحدث الميس

رمتها المنون بلانكل *** ولا طائشات ولا نكس

بأسهمها المتلفات النفوس *** متى ما تصب مهجة تخلص

فصر عنهم بنواحي البلاد *** فملقى بأرض ولم ير مس

وأخرقد رُس في حفرة *** وأخرطار فلم يحسس

أفاض المدامع قتلى كدى *** وقتلى بكثرة لم تر مس

وقتلى بدج وباللاتبي *** ن من يثرب خير ما أنفس

وبالزايين نفوس ذوت *** وقتلى بنهر أبي فطرس

أولئك قومي أناخت بهم *** نواب من زمن متعس

إذا ركبوا زينوا الموكيين *** وإن جلسوا زينة المجلس

وإن عن ذكرهم لم ينم *** أبوك وأوحش في المأنس

فذاك الذي غالني فاعلمي *** ولا تسألني بامريء متعس

هم أضرعوني لريب الزمان*** وهم لصقوا الخد بالمعطس

وقول أبي سعيد إبراهيم، ويُعد من موالي عثمان بن عفان وهو من شعرائهم الذين رثوهم، ومن شعره بعد زوال أمرهم (بني أمية) (145/7):

بكيت وماذا يرد البكاء*** وقل البكاء لقتلي كداء

أصيبوا معاً قتلوا معاً*** كذلك كانوا معافي رخاء

بكت لهم الأرض من بعدهم*** وناحت عليهم نجوم السماء

وكانوا ضياء ولما انقضى*** الزمان بقومي تولى الضياء

وقوله فيهم (145/7):

أثرت الدهر في رجالي فقلّوا*** بعد جمع فراح عظمي حميضا

ماتذكرتهم فتملك عيني*** فيض دمع وحق لي أن تقيضا

وقوله فيهم (145/7):

أولئك قومي بعد عزٍّ وثروة*** تداعوا فألاً تذرّف العين أكمدا

كأنهم لانس للموت غيرهم*** وإن كان فيهم منصف غير معيد

ولقوله (عليه السلام):

((حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبناً، وأنزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفاناً، وجعل لهم من الصفيح أجعناً، ومن التراب أكفاناً، فهم جيرة لا

يجيبون داعياً؛ ولا يمنعون ضيماً، ولا يباليون مندبة، إن جبروا لم يفرحوا، وإن قحطوا لم يقنطوا، جميع وهم آحاد، وجيرة وهم أبعاد، متدانون

لا يتزاورون، وقريبون

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشريف الرضي (رحمه الله) (234 /7)

أعزز عليَّ بأن نزلت بمنزلٍ *** متشابه الأُمجاد بالأوغاد

في عصبه جنبوا إلى آجالهم *** والدهر يعجلهم عن الإرواد

ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم *** من غير أطناب ولا أوتاد

ركب أناخوا لا يرجى منهم *** قصد لأتهام ولا أنجاد

كرهوا النزول فأنزلتهم قعة *** للدهر نازلة لكل مقاد

فتهافتوا عن رحل كل مذلل *** وتطارحوا عن سرج كل جواد

بادون في صور الجميع فإنهم *** متفردون تفرد الآحاد

وقوله رضي الله عنه (234 /7) :

متوسدين على الخدود كأنما *** كرعوا على ظمأ على الصهباء

صور ضننت على العيون بحسنها *** أمسيتُ أقرها من البوغاء

ونواظر كحل الضباب جفونها *** قد كنت أحرسها من الأقداء

قربت ضرائحهم على زوارها *** ونأوا عن الطلاب أيّ تناء

وقول عبد الله بن ثعلبة الحنفي (235 /7) :

لكل أناس مقبر في ديارهم *** فهم ينقصون والقبور تزيد

هم جيرة الأحياء أما مزارهم *** فدان، وأما الملتقى فبعيد

ولقوله (عليه السلام):

((قد توكل الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحورة، وستر العورة، والذي نصرهم، وهم قليل لا ينتصرون، ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون، حي لا يموت)) (296/8).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أخت الأشر، مالك بن الحارث النخعي تبيكه (304/8) :

أبعد الأشر النخعي نرجو*** مكاثرة ونقطع بطن واد

ونصحب مذحجاً ياخاء صدق*** وإن نسب فنحن ذرا إباد

ثقيف عمنا وأبو أيينا*** وإخوتنا نزار أولو السداد

ولقوله تعالى :

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}.

استشهد ابن أبي الحديد بقول الخنساء ترثي أخاها (231/11):

ولولا كثرة الباكين من حولي*** على إخوانهم لقتلت نفسي

وما سيكون مثل أخي ولكن*** أعزّي النفس عنه بالتأسي

ولقوله (عليه السلام) كلاماً في عمر بن الخطاب (12/3):

استشهد ابن أبي الحديد بأحد الجن قوله (149/12) :

جزيت عن الإسلام خيراً وباركت*** يد الله في ذاك الأديم الممزق

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة*** ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها*** بوائق في أكمامها لم تفتق

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت *** له الأرض تهتز العصاه بأسوق

وما كنت أحشى أن تكون وفاته *** بكفّي سبتي أزرق العين مطرق

تظل الحصان البكر يلقي جنينها *** نثا خيرٍ فوق المطيِّ معلق

ولأولية إسلام علي (عليه السلام) في دعوة قريش الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إن يدعو شجرة إليه بعروقتها ففعل (312-212/13).

استشهد ابن أبي الحديد بقول هند بنت عتبة ترثي أهلها (283 / 13) :

ما كان من عتبة لي من صبر *** أبي وعمي وشقيق صدري

أخي الذي كان كضوء البدر *** بهم كسرت يا علي ظهري

ولقوله (عليه السلام) من كتاب إلى معاوية :

((وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت امرأً إن تم لك اعتزلك كله، وإن نقص لم يلحقك ثمله، وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس؟ وما لللقاء وأبناء الطلقاء والتميز بين المهاجرين الأولين، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم؟ هيهات، لقد حن قدح ليس فيها، وطقق يحكم فيها من عليها الحكم لها)) (181 / 15).

استشهد ابن أبي الحديد بقول مطرود الخزاعي يرثي هاشماً (212 / 15):

مات الذي بالشام لما إن ثوى *** أودى بغرة هاشم لا يبعد

فجفانه رذمٌ لمن ينتابه *** والنصر أدنى باللسان وباليد

وقوله يرثيه أيضاً (212 / 15) :

فابكي على هاشم في وسط بلقعة*** تقي الرياح عليه وسط غزوات

ياعين ابكي ابا الشعث الشجيات*** يبكيه حسراً مثل البنيات

يبكيين عمرو والعلا إذ حان مصرعه*** سمح السجية بسام العشيات

يبكيه معولات في معاورها*** ياطول ذلك من حزن وعولات

محزومات على أوساطهن لهما*** جرّ الزمان من أحداث المصيبات

أبيت أرعى نجوم الليل من ألم*** أبكي وتبكي معي شجواً بنياتي

وقول أبي طالب يرثي نديمه مسافر بن عمرو بن أمية بن عبد شمس (220-219/15):

ليت شعري مسافر بن أبي عمرو*** وليت يغولها المحزون

كيف كانت مذاقة الموت إذ*** مت وما بعد الممات يكون

رحل الركب قافلين إلينا*** وخليلي في مرمس مدفون

بورك الميت الغريب كمابو*** رك نصر الرياحان والزيتون

رزه ميت على هبالة قد*** حالت فيافٍ من دونه وحزون

مدره يدفع الخصوم بأيدي*** وبوجه يزينه العرنين

كم خليل وصاحب وابن عم*** وحميم قفت عليه المنون

فتعزيت بالجلادة والصبر*** وإني بصاحبي لضنين

وقول صافية ترثي أخاها الزبير بن عبد المطلب (223-222/15):

بكي زبير الخير إذ مات إن*** كنت على ذي كرم باكية

لولفظته الأرض مالمتها*** أو أصبحت خاشعة عارية

قد كان في نفسي أن أترك ال*** موتى ولا أتبعهم قافية

فلم أطق صبراً على رزئه*** وجدته أقرب إخوانيه

فهو الشامي واليماني إذا*** ماخضروا، ذو الشفرة الدامية

وقول ضرار بن الخطاب يبكيه (223/15) :

بكي ضباع على أبي*** ك بكاء محزون أليم

قد كنت أنشره فلا*** رث السلاح ولا سليم

كالكوكب الدرّي يع*** لوضوؤه ضوء النجوم

زخرت به أعراقه*** ونماه والده الكريم

بين الأغروهاشم*** فرعين قد فرعا القروم

ولقوله (عليه السلام) من وصية للحسن (عليه السلام) (9/16):

((إلى المولود المؤمن ما لا يدرك، السالك سبيل من قد هلك، غرض الأسقام ورهينة الأيام، ورمية المصائب، وعبد الدنيا، وتاجر الغرور، وغريم المنايا، وأسير الموت، وحليف الهموم، وقليل الأحزان، ونصب الآفات، وصريع الشهوات، وخليفة الأموات).

استشهد بقول الجارود بن أبي سبره (14/16)، بعد وصول نعيه البصرة في يومين وليلتين :

إذا كان شرّ سار يوماً وليلة*** وإن كان خيرٍ آخر السير أربعا

إذا ما برید الشر أقبل نحونا*** يا حدى الدواهي الرید سار وأسرعاً

وقول سليمان بن قته يرثيه وكان محبا له (52/16) :

يا كذب الله من نعي حسناً*** ليس لتكذيب نعيه ثمن

كنت خليلي وكنت خالصتي*** لكل حي من أهله سكن

أجول في الدار ولا أراك وال*** دار أناس جوارهم غبن

بدلتهم منك ليت أنهم*** أضحوا ويني وبينهم عدن

ولقوله (عليه السلام):

((ولكني آسي أن يلي هذه الأمة سفهاؤها وفجارها، فيتخذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً)) (17/225):

استشهد ابن أبي الحديد بقول أشجع السلمي في الوليد بن عقبة وابن أبي زيد ففي الرقة قد فني جميعاً في موضع واحد (17/243):

مررت على عظام أبي زبيد*** وقد لاحت ببقعة صلود

فكان له الوليد نديم صدقٍ*** فنادم قبره قبر الوليد

وما أدري بمن تبدو المنايا*** بمحزة أم بأشجع أم يزيد؟

ولقوله (عليه السلام):

((.. فإننا كنا - نحن وأنتم - على ما ذكرت من الألفة والجماعة ففرق بيننا وبينكم أمس، إنا آمننا وكفرتكم، واليوم إنا استقمنا وفتنتكم، وما أسلم مسلمكم إلا كرهاً)) (17/250) :

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول (15/18) :

إن مقيس بن ضبابة وأمه سمية، كان يوم الفتح عند أخواله بني سهم، فاصطحب الحمر ذلك اليوم في ندامى له، وخرج ثملاً يتغنى بأبيات (ذكرناها في التمثيل الذي سيرد) فلقية نخيلة بن عبد الله الليثي، وهو من رهطه فضربه بالسيف حتى قتله فقالت أخته ترثيه :

لعمري لقد أخزى نخيلة رهطه*** وفجع أصناف النساء بمقيس

فله عينا من رأي مثل مقيس*** إذ النفساء أصبحت لم تخرس

ولقوله (عليه السلام): ((العلم وارثة كريمة، والآداب حلل مجددة، والفكر مرآة صافية)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أوس بن حجر وهو يرثي (18/93-94):

إن الذي جمع السماحة والنجدة*** والجزم والنهي جمعا

الألمعي الذي يظن بك ال*** ظن كأن قد رأى وقد سمعا

ولقوله (عليه السلام):

((أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم)) (18/112).

استشهد بقول الأعشى يرثي المنتشر بن وهب (18/114):

أما سلكت سبيلاً كنت سالكها*** فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر

من ليس في خيره شر ينكده*** على الصديق ولا في صفوه كدر

ص: 106

وقول آخر يرثي صديقا له (114/18) :

أخ طالما سرنى ذكره*** وأصبحت أشجى له ذكره

وقد كنت أغدو إلى قصره*** فأصبحت أغدو إلى قبره

وكنت أرانى غنياً به*** عن الناس لومد في عمره

إذا جتته طالباً حاجة*** فأمرى يجوز على أمره

ولقوله (عليه السلام)، وقد سئل عن بيوتات قريش فعددها ووصفها (وقد ذكرناها).

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول مسافر بن أبي عمرو يرثي هشامة (288/18) :

تقول لنا الركبان في كل منزل: *** أمات هشام أم أصابكم جذب

وقول عبد الله بن سلمة بن قشير (288/18) :

دعيني أصطبغ يا بكر إني*** رأيت الموت نقب عن هشام

وقول عبد الله بن ثور الخفاجي (288/18) :

وأصبح بطن مكة مقشعراً*** كأن الأرض ليس بها هشام

وقول أبي الطمحان القيني، أو أخوه (288/18):

وكانت قريش لا تخون صريمها*** من الخوف حتى ناهضت بهشام

وقول أبي بكر بن شعوب لقومه كنانة (288/18):

يا قومنا لا تهلكوا أخفاتا*** إن هشام القريشي ماتا

قول أبي طالب يرثي أبا أمية زاد الركب وهو خالد (18 / 291):

كأن على رضراض قص وجندل *** من اليبس أو تحت الفراش المجامر

على غير حاف من معدٍ وناعلٍ *** إذا الخير يرجى إذا الشر حاسر

ألا إن زاد الركب غير مدافع *** بسرد سُحيم غيَّبه المقابر

تنادوا بأن لا سيد اليوم فيهم *** وقد فجع الحيان كعب وعامر

وكان إذا يأتي من الشام قافلاً *** تقدمه قبل الدنو البشائر

فيصبح آل الله بيضاً ثيابهم *** وقدماً حباهم والعيون كواسر

أخو جفنة لا تبرح الدهر عندنا *** مجعجة تدمي وشاء وباقر

ضروب بنصل السيف سوق سحاتها *** إذا أرسلوا يوماً فإنك عاقر

فيالك من راع رميت بألة *** شرعية تخضر منه الأظافر

وقول أبي طالب أيضاً يرثي خاله هشام بن المغيرة (18 / 291-291):

فقدنا عميد الحي والركن خاشع *** كفقد أبي عثمان والبيت والحجر

وكان هشام بن المغيرة عصمة *** إذا عرك الناس المخاوف والفقير

بأبياته كانت أرامل قومه *** تلوذ وأيتام العشيرة والسفر

فودت قريش لوفدته بشطرها *** وقل لعمرى لوفدوه له الشطر

تقول لعمر وأنت منه وإنما *** لترحوك في جلّ الملمات يا عمرو

وقول ضباعة بنت عامر بن سلمة بن قرط ترثيه (18 / 292):

إن أبا عثمان لم أنسه *** وإن صبراً عن بكاه لحوب

تفاقدوا من معشر ما لهم *** أي ذنوب صوبوا في القلب

وقول عبد الله بن ثور (293 / 18) :

هريقا من دموعكما سجاما *** ضباع وحاربي نوحاً قياما

فمن للركب إذ جاؤوا طروقاً *** وعلقت البيوت فلا هشاما

وقوله أيضاً (293 / 18) :

وما ولدت نساء بني نزار *** ولا رشحن أكرم من هشام

هشام بن المغيرة خير فهر *** وأفضل من سقى صوب الغمام

وقول أبي بكر بن الأسود بن شعيب يرثيه (298 / 18) :

ذريني أصطبح يا بكر إني *** رأيت الموت نقب عن هشام

تخيره ولم يعدل سواه *** ونعم المرء بالبلد الحرام

وكنت إذا ألقيه كأنني *** إلى حرم وفي شهر الحرام

فودّ بنو المغيرة لو فدوه *** بألف من رجال أو سوام

فبكيه ضباع ولا تملي *** هشاماً إنه غيث الأنام

وقول الحارث بن أمية الضمدي (298 / 18) :

ألا هلك القناص والحامل الثقلا *** ومن لا يظن عن عشيرته فضلا

وحرب أبا عثمان أطفأت نارها *** ولولا هشام أوقدت حطباً جزلاً

وعانٍ تربكٌ يستكين لعله *** فككت أبا عثمان عن يده الغلا

ألا لست كالهلكا فتبكي بكاءهم *** ولكن أرى الهلاك في جنبه وغلا

غدا وغدت تبكي ضباعة غيثا *** هشاماً وقد أعلت بمهلكه ضحلا

ألم تريا أن الأمانة أصعدت *** مع النعش إذ ولي وكان لها أهلا

وقوله أيضاً بيكيه ويرثيه (299/18):

وأصبح بطن مكة مقشعراً *** شديد المحل ليس به هشام

يروح كأنه أشلاء سوطٍ *** وفوق جفانه شحم ركام

فللكبراء أكل كيف شاؤوا *** وللولدان لقمٌ واغتمام

فبكيه ضباع ولا تملي *** شمال الناس إن قحط الغمام

وإن بني المغيرة من قريش *** وهم الرأس المقدم والسنام

وقول عبد الله بن ثور البكائي يرثيه (300-299/18) :

هرريقي من دموعهما سجاما *** ضباع وجاوبي نوحاً قياما

على خير البرية لن تراه *** ولن تلقى مواهبه العظاما

جواد مثل سيل الغيث يوماً *** إذا علجانه يعلو الأكاما

إذا ما كان عام ذو عرام *** حسبت قدوره جبلاً صياما

فمن للركب إذ أمسوا طروقاً *** وغلقت البيوت فلا هشاما

وأوحش بطن مكة بعد أنس *** ومجد كان فيها قد أقاما

فلم أر مثله في أهل نجدٍ *** ولا فيمن بغورك يا تهاما

ولقوله (عليه السلام): ((كان لي فيما مضى أخ في الله، وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عيني،

وكان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يتشهى ما لا يجد، ولا يكتر إذا وجد، .. فعليكم بهذه الخلائق فالزموها أو تنافسوا فيها، فإن لم تستطيعوا فاعلموا أن أخذ القليل خير من ترك الكثير)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أعشى بأهله يرثي المنتشر بن وهب (184-183 /19):

طاوي المصير على الغراء منصلتٌ *** بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر

تكفيه فلذة لحم إن ألم بها *** من الشواء ويروي شربة العمر

ولا يبالي بما في القدر يرقبه *** ولا تراه أمام القوم يفتقر

لا يغمز الساق من أين ولا وصبٍ *** ولا يعرض على شرسوفه الصفر

ولقوله (عليه السلام) للأشعث وقد عزاه عن ابنه :

((يا أشعث ابنك سرّك وهو بلاء وفتنة، وحزنك، وهو ثواب ورحمة)) (192 /19):

استشهد ابن أبي الحديد بقول البحري وهو يرثي محمد بن وهب (193 /19):

إن الرزية في الفقيد فإن هفا *** جزع بلبك فالرزية فيكا

ومتى وجدت الناس إلا تاركاً *** لحميمه في التراب أو متروكاً

لو ينجلي لك ذخرها من نكبةٍ *** و جلٍ لأضحكك الذي يبكيكا

وقول شاعر في رثاء ولده (194 /19):

وسميتة يحيى ليحيى ولم يكن *** إلى رد أمر الله فيه سبيل

تخيرت فيه الفأل حين رزقته *** ولم أدر أن الفأل فيه يغيل

وقول آخر (194/19):

وهون وجدي بعد فقدك أنني *** إذا شئت لاقيت امرء مات صاحبه

وقول آخر (194/19):

وقد كنت أرجو لو تحليت عيشة *** عليك الليالي مرّها وانتقالها

وأما وقد أصبحت في قبضة الردى *** فقل لليالي فلتصب من بدا لها

وقول المتنبي (194/19):

قد كنت أشفق من دمعي على بصري *** فالיום كل عزيز بعدكم هانا

وقول غيره (194/19):

فراقك كنت أخشى فافترقنا *** فمن فارقت بعدك لا أبالي

ولقوله (عليه السلام)، عند وقوفه على قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ساعة دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

((إن الصبر جميل إلا عنك، وإن الجزع لقبيح إلا عليك، وإن المصاب بك لجليل، وإنه بعدك لقليل)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أحدهم (159/19):

أمست بجفني للدموع كلوم *** حزناً عليك و الخدود رسوم

والصبر يحمد في المواطن كلها *** إلا عليك فإنه م ذموم

ص: 112

وقول أبي تمام (195/19) :

وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً*** فقد صار يدعي حازماً حين يجزع

وقول أبي الطيب (195/19) :

أجد الجفاء على سواك مروءة*** والصبر إلا في نواك جميلاً

وقول أبي تمام أيضاً (195/19) :

الصبر أجمل غير أن تلذذاً*** في الحب أولى أن يكون جميلاً

وقول الخنساء أخت عمر بن الشريد (196/19) :

ألا يا صخر إن أبكيت عيني*** لقد أضحكنتي دهرًا طويلاً

بكيتك في نساء معولات*** وكنت أحق من أبدى العويلاً

دفعت بك الجليل وأنت حي*** فمن يدفع عن الخطب الجليلاً

إذا قبح البكاء على قتيل*** رأيت بكاءك الحسن الجميلاً

وقول أحدهم (196/19) :

قد قلت للموت حين نازله*** والموت مقدامةً على البُهم

أذهب شئت إذا ظفرت به*** ما بعد يحيى للموت من ألم

وقول الشمردل اليربوعي يرثي أخاه (196/19) :

إذا ما أتى يوم من الدهر بيننا*** فحياك عناشرفه وأصانله

أبي الصبر إن العين بعدك لم تزل*** يحالف جفنيها قذى ما ترايله

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى*** فأنت على من مات بعدك شاغله

أعيني إذ أبكاكما الدهر فابكيا*** لمن نصره قد بان عنا ونائله

وكنت به أغشى القتال فعزني*** عليه من المقدار من لا أقاتله

لعمرك إن الموت منا المولع*** بمن كان يرجى نفعه وفواضله

وقول آخر يرثي رجلاً اسمه جارية (197/19):

أجاري ما أزداد إلا صباباً*** عليك وماتزداد إلا تنائياً

أجاري لونغفس فدت نفس ميت*** فديتك مسروراً بنفسي وماليا

وقد كنت أرجو أن أراك حقيقة*** فحال قضاء الله دون قضائيا

ألا فليمت من شاء بعدك إنما*** عليك من الأقدار كان حذاريا

وقول الإمام علي (عليه السلام) نفسه (197/19) (قال يوم فاضت روح الرسول (صلى الله عليه وآله)):

كنت السواد لناظري*** فبكي عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت*** فعليت كنت أحاذر

وقول آخر:

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن نفض*** فحسبك مني ما تجن الجوانح

كمن لم يمت حي سواك ولم تقم*** على أحد إلا عليك النوائح

لئن حسنت فيك المرآثي بوصفها*** لقد حسنت من قبل فيك المدائح

فما أنا من رزء وإن جل جازع*** ولا بسرورٍ بعد موتك فارح

ولقوله (عليه السلام) وقد عزى قوماً عن ميت لهم:

((إن هذا الأمر ليس بكم بدأ، ولا إليكم انتهى، وقد كان صاحبكم هذا يسافر؟

فقالوا : نعم.

قال : فعدوه في بعض سفرائه، فإن قدم عليكم، وإلا قدمتم عليه)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول إبراهيم بن المهدي يرثي والده (274/195) :

يؤوب إلى أوطانه كل غائب*** وأحمد في الغياب ليس يؤوب

كأن لم يكن كالغصن في ميعة الضحى*** سقاه الندى فاهتز وهو رطيب

تبدل داراً غير داري وجيرة*** سواي وأحداث الزمان تنوب

أقام بها مستوطناً غير أنه*** على طول أيام المقام غريب

وإني وإن قُدمت قبلي لعالم*** بأني وإن أبطأت عنك قريب

وإن صباحاً نلتقي في مسائه*** صباح إلى قلبي الغداة حبيب

ولقوله (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

((جاءه الموت فذهب به، فلبثتم بعد ما شاء الله، حتى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم شركم)) (84/7) :

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر يرثي رجلاً؟ (88-89) :

لقد وارى المقابر من شريك*** كثير تحلّم وقليل عاب

صموتاً في المجالس غير عي*** جديراً حين ينطق بالصواب

ص: 115

قيل إن الشاعر بشار بن بُرد المرعَّث كان يُرمي بالزندقة، إذ كان يذهب إلى تصويب إبليس في الامتناع من السجود ويفضله على آدم. ومن الشعر المنسوب إليه قوله (107/1) :

النار مشرقة والأرض مظلمة*** والنار معبودة مذ كانت النار

وكان أبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي الواعظ، أخو أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الفقيه الشافعي قاصاً لطيفاً وواعظاً. وقال يوماً على المنبر :

- من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق، أمر أن يسجد لغير سيده فأبى.

ولست بضارع إلا إليكم*** وأما غيركم حاشا وكلا

وقال مرة أخرى، وقد ذكر إبليس على المنبر :

- لم يدر ذلك المسكين أن أظفير القضاء إذا حكّت أدمت، وإن قسي القدر إذا رمت أصمت.

ص: 119

ثم قال لسان حال آدم ينشد في قصته وقصة إبليس (107 /1) :

وكنت وليلى في صعود من الهوى *** ولما توافينا ثبت وزلت

وروي عن أبي يزيد البسطامي قوله (108 /1) وهو يغالي في تفضيل إبليس على آدم :

فمن آدم في البين *** ومن إبليس لولاكا

فتنت الكل والكل *** هو الفتنة يهاوكا

وكان في العرب مجسمة ومشبهة، منهم أمية بن أبي الصلت وهو القائل (191 /1) :

من فوق عرش جالس قد خط *** رجله إلى كرسيه المنصوب

قال ابن جريج : ما ظننت أن الله ينفع أحداً بشعر عمر ابن أبي ربيعة، حتى كنت باليمن فسمعت منشداً ينشد قوله (125 /1) :

بالله قولاً له في غير معتبة *** ماذا أردت بطول المكث في اليمن

إن كنت حاولت دنياً أو ظفرت بها *** فما أخذت بترك الحج من ثمن

فحركني ذلك على ترك اليمن والخروج إلى مكة، فخرجت فحججت .

وسمع أبو حازم امرأة ترفث في كلامها فقال :

يا أمة الله ألسنت حاجة؟ ألا تتقين الله؟

فسفرت عن وجه صبيح، ثم قالت أنا من اللواتي قال فيهن العرجي (125 /1) :

أماطت كساء الخبز عن حرٍّ وجهها*** وردت على الخدين برداً مهلهلاً

من اللائي لم يحججن يبغين حسبة*** ولكن ليقتلن البريء المغفلاً

فقال أبو حازم:

- فأنا أسأل الله أن لا يعذب هذا الوجه بالنار.

ومما نسب إلى الإمام علي (عليه السلام) قوله يخاطب الحارث الأعور الهمداني (1/ 299):

يا حار همدان من يمت يرني*** و من مؤمن أو منافق قُبلاً

يعرفني طرفه وأعرفه*** بعينه واسمه ومافعلاً

أقول للنار وهي توقد لل*** عرض ذريه لا تقربي الرجال

ذريه لا تقريه أن لا*** حبلاً بحبل الوصي متصلاً

وأنت يا حار إن تمت ترني*** فلا تخف عشرة ولا زللاً

أسقيك من بارد علي ظمأ*** تخاله في الحلاوة العسلاً

واستشهد ابن أبي الحديد ببعض شعره وهو يناجي به الباري سبحانه في خلواته. يقول عنه: ((إنه فن أطويه وأكتمه عن الناس، وإنما ذكرت بعضه في هذا الموضوع، لأن المعنى ساق إليه، والحديث ذو شجون) (5/ 166-167):

يا جفاني فوجدني بعده عدم*** هبني أسأت فأين العفو والكرم

أنا المرابط دون الناس فاجف وصل*** وقل وعاقب وحاسب لست منهزم*

إن المحب إذا صحت محبته*** فما لوقع المواضي عنده ألم

وحق فضلك ما استيأست من نعم *** تسري إلي وإن حلت بي النقم

ولا أمنت نكالاً منك أرقبه *** وإن ترادفت الآلاء والنعم

حاشاك لا تعرض عمن في حشاشته *** نار لحبك طول الدهر تضطرم

ألم تقل إن من يدنو إلي قدر *** الذراع أدنو له باعاً وأبتسم

والله والله لوعاقبتني حقباً *** بالنار تأكلني حطماً وتلتهم

ما حلت عن حبك الباقي فليس علي *** حال بمنصرم والدهر ينصرم

* [من حق (منهزم) النصب لأنه خير ليس (الفتال)]

وأقام جعدة بن أبي أهبير - وهو ابن أخت الإمام علي (عليه السلام) حتى مات كافراً، وروى له محمد بن إسحاق، في كتاب المغازي شعراً يذكر فيه أم هاني وإسلامها، وإني مهاجر لها، إذ حيث إلى الإسلام من جملته (1/78-79) :

أشافتك هند أم أتك سؤالها *** كذاك النوى أسبابها وانفتالها

فإن كنت قد تابعت دين محمدٍ *** وقطعت الأرحام منك حبالها

فإني من قوم إذا جدَّ جدُّهم *** على أي حال أصبح القوم حالها

وإني لأحمي من دراءٍ عشيرتي *** إذا كثرت تحت العوالي مجالها

وطارت بأيدي القوم بيض كأنها *** مخاريق ولدان ينوس ظلالها

وإن كلام المرء في غير كنهه *** لنبل تهوى ليس فيها نصالها

وقال ابن أبي الحديد أرجوزة يشرح فيها عقيدة المعتزلة (11/120) :

وخير خلق الله بعد المصطفى *** أعظمهم يوم الفخار شرفا

السيد المعظم الوصي *** بعد البتول المرتضى علي

وابناه ثم حمزة وجعفر *** ثم عتيق بعدهم لا ينكر

والمخلص الصديق ثم عمر *** فاروق دين الله ذاك الغور

وبعده عثمان ذو النورين *** هذا هو الحق بغير مين

قيل أن قريشا خرجت فارةً من الحرم خوفاً من أصحاب الفيل، وعبد المطلب يومئذ غلام شاب، فقال :

- والله لا أخرج من حرم الله أبغي العز في غيره .

فجلس في البيت وأجلت قريش عنه. فقال عبد المطلب :

لا همَّ أن المرء يم *** نع رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبيهم *** ومحالهم أبداً محالك

ونسب إلى شداد بن الأسود في إنكاره البعث قوله وهو يرثي قتلى بدر(1/118) :

فماذا بالقليب قليب بدرٍ *** من الفتیان والقوم الكرام

وماذ بالقليب قليب بدرٍ *** من الشيزي تكلل بالسنام

أيخبرنا ابن كبشة أن سنحياً *** وكيف حياة أصدقاء وهام؟

إذا ما الرأس قال بمنكبيه *** فقد شبع الأنيس من الطعام

أقتلني إذا ما كنت حياً *** ويحييني إذا رمّت عظامي

وكان من العرب من يعتقد التناسخ وتنقل الأرواح في الأجساد، ومن هؤلاء

أرباب الهامة، التي قال (عليه السلام) عنهم :

((لا عدوى ولا هامة ولا صفر)). وقال ذو الأصبع (1/119):

يا عمرو لا تدع شتمي ومنقصتي *** أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

وقالوا أن ليلي الأخيلية لما سلمت على قبر توبة بن الحمير خرج إليها هامة من القبر صائحة، أفزعت ناقتها، فوقصت بها فماتت، وكان ذلك تصديق قوله (1/199) :

ولو أن ليلي الأخيلية سلمت *** عليّ ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أو زقا *** إليها صدى من جانب القبر صائح

وكان عمر بن الخطاب قد أغلظ على جبلة بن الأيهم حتى اضطره إلى مغادرة دار الهجرة، بل دار الإسلام كلها، وعاد مرتداً داخلاً دين النصرانية، لأجل لكمة لطمها، وقال جبلة بعد ارتداده متندماً على ما فعل (1/183) :

تنصرت الأشراف من أجل لكمة *** وما كان فيها لو صبرت له ضرر

فياليت أمي لم تلدني وليتني *** رجعت إلى القول الذي قاله عمر

ص: 124

قال (عليه السلام) بعد تلاوته : ((يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)).

((إن الله سبحانه وتعالى جعل الذكر جلاءً للقلوب تسمع به بعد الوفرة، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة، .. وإن للذكر لأهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً، فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه، .. فلو مثلتهم لعقلك في مقاومتهم المحموده، ومجالسهم المشهوده، وقد نشروا دواوين أعمالهم، وفرغوا لمحاسبة أنفسهم على كل صغيرة وكبيرة، أمروا بها فقصروا عنها، أو نُهوا عنها ففرطوا فيها.. يتسمون بدعائه روح التجاوز، رهائف فاقه إلى فضله، وأسارى ذلة لعظمته)) (176/16) :

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشبلي (216/11):

ذكرتك لا أني نسيته لمحمة*** وأيسر ما في الذكر ذكر لساني

فكدت بلا وجد أموت من الهوى*** وهام عليّ القلب بالخفقان

فلما أراني الوجد أنك حاضري*** شهدتك موجوداً بكل مكان

فخاطبت موجوداً بغير تكلم*** ولا حظت معلوماً بغير عيان

ص: 127

وقول الحسين بن منصور الحلاج (222/11) :

إني لأكتم من علمي جواهره*** كي لا يرى العلم ذو جهل فيفتتنا

وقد تقدمني فيه أبو حسنٍ*** إلى الحسين وأوصى قبله الحسننا

يا رب مكنون علم لو أبوح به*** لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال صالحون دمي*** يرون أفبح ما يأتونه حسنا

وقول الشاعر (224/11):

أنا صببٌ بمن هويت ولكن*** ما احتيالي في سوء رأي الموالي

وقول ابن ظفر في كتابه سلوان المطاع (8/4) :

أيا من يعول في المشكلات*** على ما رآه وما دبّره

إذا عضل الأمر فانزع به*** إلى من يرى منه ما لم تره

تكن بين أعطف نيل الخطوب*** ولطف يهون ماقدّره

إذا كنت تجهل عقبى الأمور*** ومالك حول ولا مقدرة

ولم ذا العنا وعلام الأسي*** ومم الحذار، وفيم الشره

وقوله أيضاً (228/18):

يا رب معتبط ومغبو*** طِ بأمرٍ فيه هلكه

ومنافس في ملك ما*** يشقيه في الدارين ملكه

علم العواقب دونه*** ستر وليس يرام هتكه

ومعارض الأقدار بال*** آراء سيء الحال ضنكه

فكن امرءاً محض اليقي *** ن وزيف الشبهات سبكه

تقويضه توحيده *** وعناده المقدار شركه

ولقوله (عليه السلام):

((الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر، الدال على قدمه، بحدوث خلقه وبعده، بحدوث خلقه على وجوده، وباشتباههم على أن لا شبه له. الذي صدق في ميعاده، وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط في خلقه، وعدله عليهم في حكمه، مستشهد بحدوث الأشياء، على أزليته، وبما وسمه به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه، واحد لا بعدد، ودائم لا بآمد، وقائم لا بعمد (50/13):

استشهد ابن أبي الحديد بمجموعة من شعر نفسه كقوله (50/13):

والله لا موسي ولا *** عيسى المسيح ولا محمد

علموا ولا جبريل وه *** وإلى محل القدس يصعد

كلا ولا النفس البسي *** طة، لا ولا العقل المجرد

من كنه ذاتك غير أن *** ك واحديّ الذات سرمد

وجدوا إضافات وسل *** بأ والحقيقة ليس توجد

ورأوا وجوداً واجباً *** يفنى الزمان وليس ينفد

فلتخساً الحكماء عن *** حرج له الأفلاك تسجد

من أنت يارسطو ومن *** أفلاط قبلك يا مبلد

ص: 129

ومن ابن سينا حين قر***ر ما بنيت له وشيد
هل أنتم إلا الفراش ***رأى الشهاب وقد توقد
فدنا فأحرق نفسه ***ولو اهتدى رشداً لأبعد!
وقوله (51/13):

فيك يا أعجوبة الكو***ن الفكر كليلا
أنت حيرت ذوي اللب ***و بلبلت العقولا
كلما أقدم فكري ***فيك فر ميلا
ناكصاً يخبط في عم ***ياء لا يهدي السبيلا
وقوله أيضاً (51/13):

فيك يا أغلوطة الفكر ***تاه عقلي وانقضى عمري
سافرت فيك العقول فما ***ربحت إلا أذى السفر
رجعت حسرى وما وقفت ***لا على عين ولا على أثر
فلحي الله الأولى زعموا ***أنك المعلوم بالنظر
كذبوا إن الذي طلبوا ***خارج عن قوة البشر
وقوله (51/13):

أفنيت خمسين عاماً معملاً نظري ***فيه، فلم أدر ما آت وما أذر
من كان فوق عقول القايمين فما ***ذا يدرك الفكر أو ما يبلغ النظر
وقوله (51/13-52):

حبيبي أنت لا زيد ولا عمرو*** وإن حيرتني وفتنت ديني
طلبتك جاهداً خمسين عاماً*** فلم أحصل على برد اليقين
فهل بعد الممات بك اتصال*** فأعلم غامض السر اليقين
نوى قذفٍ وكم قد مات قبلي*** بحسرتة عليك من القرون
وقوله (53-52/13):

يامدهش الألباب والفتن*** ومحير التقوالة اللسن
أفنت فيك العمر أنفقه*** والمال مجاناً بلا ثمن
أتبع العلماء أسألهم*** وأجول في الآفاق والمدن
وأخالط الملل التي اختلفت*** في الدين حتى عابد الوثن
وظننت أني بالغ غرضي*** لما اجتهدت ومرئي شجني
ومطهر من كل حس هوى*** قلبي بذاك وغاسل درني
فإذا الذي استكثرت منه هو*** الجاني علي عظام المحن
فظللت في تيه بلا علم*** وغرقت في يم بلاستن
ورجعت صفر الكف مكتئباً*** حيران ذا همٍ وذا حزن
أبكي وأنكت في الثرى بيدي*** طوراً وأدعم تارة ذقني
وأصيح يامن ليس يعرفه*** أحد مدى الأحقاب والزمن
يا من له عننت الوجوه ومن*** قرنت له الأعناق في قرن
أمنت يا جذر الأصم من ال*** اعداد بل يا فتنة الفتن

أن ليس تدركك العيون وأن*** الرأي ذو فن وذو غبن
والكل أنت فكيف يدركه*** وبعض وأنت السرفي العلن
وقوله (53/13):

ناجيته ودعوته اكشف عن عشا*** قلبي وعن بصري وأنت النور
وارفع حجابا قد سدلت ستوره*** دوني، وهل دون المحب ستور
فأجابني صه يا ضعيف وبعض ذا*** قد رامه موسى فدكَّ الطور
وقوله (53/13):

حبيبي أنت من دون البرايا*** وإن لم أحظ منك بما أريد
قنعت من الوصال بكشف حالٍ*** فقليل ارجع فمطلبها بعيد
ألم تسمع جواب سؤال موسى*** وليس على مكانته مزيد
تعرض للذي حاولت يوماً*** وفدكَّ الصخر واضطرم الصعيد
وقوله (53/13):

قد حار في النفس جميع الوري*** والفكر فيها قد غدا ضائعا
وبرهن الكل على ما ادعوا*** وليس برهانهم قاطعا
من جهل الصنعة عجزاً فما*** أجدره أن يجهل الصانعا
ولقوله (عليه السلام):

((واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله، ولرايت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، .. فإذا عرفت ذلك فافعل كما
ينبغي لمثلك أن

يفعله في صغر خطره، وقلة مقدرته، وكثرة عجزه، وعظيم حاجته إلى ربه..)) (77/16):

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول نفسه (79/16):

فلا والله ما وصل ابن سينا*** ولا أغنى ذكاء ابن الحسين

ولا رجعا بشيء بعد بحث*** وتدقيق سوى خفي حنين

لقد طوفت أطلبكم ولكن*** يحول الوقت بينكم وبينني

فهل بعد انقضاء الوقت أحظى*** بوصولكم غداً وتقرعيني

متى عشنا بها زمناً وكانت*** تسوقنا بصدقٍ أو يمين

فإن أكذت فذاك ضياع ديني*** وإن أجدت فذاك حلول ديني

وقوله (79/16):

أمولاي قد أحرقت قلبي فلا تكن*** غداً محرقاً بالنار من كان يهواكا

أتجمع لي نارين نار محبة*** ونار عذاب أنت أرحم من ذاكا

وقوله (79-80/16):

قوم موسى تاهوا سنيماً كما قد*** جاء في النص قدرها أربعونا

ولي اليوم تائهاً في جوى من*** لا أسجي وهبته خمسوناً

قل لأحبابنا إلى م تروم ال*** وصل منكم وأنتم تمنعوننا

كم نناجيكم فلا ترشدونا*** ونناديكم فلا تسمعونا

فعسى تدرك السعادة أرباً*** ب المعاصي فيصبحوا فائزينا

ص: 133

وقوله (81-80/16):

والله ما آسى من الدنيا على *** مال ولا ولد ولا سلطان

بل في صميم القلب مني حسرة *** تبقى معي وتلف في أكفاني

إني أراك بباطني لا ظاهري *** فالحسن مشغلة عن العرفان

يا من سهرت مفكراً في أمره *** خمسين حولاً دائم الجولان

فرجعت أحقق من تعاسة بيهس *** وأضل سعياً من أبي غبشان

وقوله (81-80/16): پ

وحقك إن أدخلتني النار قلت لك *** ذين بهاقد كنت ممن أحبه

وأفريت عمري في علوم دقيقة *** وما بغيتي إلا رضاه وقربه

هبوني مسيئاً أو تغ الحلم جهله *** وأوبقه بين البرية ذنبه

أما يقتضي شرع التكرم عتقه *** أيحسن أن ينسى هواه وحبه

أما كان ينوي الحق فيما يقوله *** ألم تنصر التوحيد والعدل كتبه

أما رد زيغ ابن الخطيب وشكه *** وإلحاده إذ جل في الدين خطبه

أما قلموا من كان فينا مجاهداً *** سيكرم مثواه ويعذب شربه

ونهديه سبلاً من هداانا جهاده *** ويدخله خير المداخل كسبه

فأي اجتهاد فوق ما كان صانعاً *** وقد أحرقت زرق الشياطين شهبه

وما نال قلب الجيش جيش محمدٍ *** كما نال من أهل الضلالة قلبه

فإن تصفحوا يغتم وإن تتجعوا *** فتعذيبكم حلو المذاقة عذبه

ص: 134

وأية صدق الصب أن يعذب الأذى*** إذا كان من يهوى عليه يصبه

وقوله (81 / 16) :

إذا فكرت فيك يحار عقلي*** وألحق بالمجانين الكبار
وأصحوتارة فيشوب ذهني*** ويقدح خاطري كشواظ نار
فيامن تاهت العقلاء فيه*** فأمسوا كلهم صرعى عقار
ويامن كلت الأفكار عنه*** فابت بالمتاعب والخسار
ويامن ليس يعلمه نبي*** ولا ملك ولا يدريه دار
ويامن ليس قداماً وخلفاً*** ولا جهة اليمين ولا اليسار
ولا فوق السماء ولا تدلى*** من الأرضين في لجج البحار
ويامن أمره من ذلك أجلي*** من ابن ذكاء أو صبح النهار
سألتك باسمك المكتوم إلا*** فككت النفس من رق الإسار
وجدت لها بما تهوى فإن ال*** عليم بيا بطن اللغز الضمار

وقوله (81 / 16):

يارب إنك عالم*** بمحبتتي لك واجتهادي
وتجردي للذب عن*** لك على مراغمة الأعادي
بالعدل والتوحيد أص*** دع معلناً كل ناد
وكشفت زيغ ابن الخطي*** ب ولبسه بين العباد
ونفضت سائر ما بنا*** ه من الضلالة والفساد

ص: 135

وأبنت عن إغوائه*** في دين أحمد ذي الرشاد

وجعلت أوجه ناصري*** ه محمماً بالسواد

وكففت من غلوائهم*** بعد التمرد والعناد

فكأنما نُحل الرماد*** عليهم بعد الرماد

وقصدت وجهك أبتغي*** حسن المثوبة في المعاد

فأفض على العبد الفقير*** إليكم نور السداد

وارزقه قبل الموت مع*** رفة المصائر والمبادي

وافكك أسير الحرص بال*** أصفاد من أسر الصفاد

واغسل بصفو القرب من*** أبوابكم كدر البعاد

وأعضه من حر الغلي*** ل بوصلكم برد الفؤاد

وارحم عيوناً فيك ها*** مية وقلباً فيك صاد

ياساطع الأرض المهاد*** وممسك السبع الشداد

قال (عليه السلام) في حديث له عن الموتى :

((سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً سَلَطت الأرض عليهم فيه، فأكلت في لحومهم، وشربت من دمائهم، فأصبحوا في فجوات قبورهم جماداً لا ينمون، وظماراً لا يوحدون..)) (150/11).

فاستشهد ابن أبي الحديد بمجموعة من الشعر كقول الشاعر (156/11) :

لا بد من يوم بلا ليلة*** أو ليلة تأتي بلا يوم

وقول الشريف الرضي (رحمه الله) (157/11):

أعزز عليّ بأن نزلن بمنزل*** متشابه الأمجاد بالأوغاد

في عصابة جنبوا إلى آجالهم*** والدهر يعجلهم عن الأدواد

ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم*** من غير أطناب ولا أعماد

ركب أناخوا لا يرجى منهم*** قصد لأنهام ولا أنجاد

كرهوا النزول فأنزلتهم وقعة*** للدهر باركة لكل مغاد

فتهافتوا عن رحل كل مذلل*** وتطارحوا عن سرج كل جواد

بادون في صور الجميع وإنهم*** متفردون تفرد الأحاد

ص: 139

وقوله أيضاً (157/11) :

ولقد حفظت له فأين حفاظه*** ولقد وفيت له فأين وفاؤه؟
أوعى الدعاء فلم يجبه قطيعة*** أم ظل عنه من البعاد دعاؤه
هيهات أصبح سمعه وعيانه*** في التراب قد حجبتهما أقداؤه
يمسي وليس مهاده حصباؤه*** فيه، ومؤنسة له ظلماؤه
قد قلّيت أعيانه وتنكرت*** أعلامه، وتكسفت أضواؤه
مغفٍ وليس للذة إغفاؤه*** مغضٍ وليس لفكرة إغضاؤه
وجع كلمع البرق غاض وميضه*** قلب كصدر العصب فُل مضائه
حكم البلى به فلو تلقى به*** أعداؤه لرثى له أعداؤه

وقول أبي العلاء (158/11) :

أستغفر الله ما عندي لكم خير*** وما خطابي إلا معشر قبر
أصبحتم في البلى غرباً ملابسكم*** من الهباء فأين البر والقطر
كنتم على كل خطب فادح صبرا*** فهل شعرتم، وقد جاءكم الصبر
فما درى يوم أحد بالذين ثوا*** فيه، ولا يوم بدر أنهم قصروا

وقول أبي عامر الكلابي (158/11) ::

أجازعة ردينة أن أتاها*** نعي أم يكون له اصطبار
إذا ما أهل قبري ودعوني*** وراحوا والأكف بها غبار
وغودر أعظمي في لحد قبر*** تراوحه الخبائث والقطار

تهب الريح فوق محط قبري*** ويرعى حوله اللهق النوار

مقيم لا يكلمني صديق*** بقبر، لا أزور ولا أزار

فذاك النأي لا الهجران حولاً*** وحولاً ثم تجتمع الديار

وقول الشاعر عن حال الإنسان (168/11):

بين الفتى مرح الخطى فرحاً بها*** يُسعى له، إذ قيل قد مرض الفتى

إذ قيل بات بليلة ما نامها*** إذ قيل أصبح مثقلاً ما يرتجى

إذ قيل أمسي شاخصاً وموجهاً*** إذ قيل فارقهم وحل به الردى

وقول أبي النجم العجلي (168/11):

والمرء كالحالم في المنام*** يقول إني مدرك أمامي

في قابل ما فاتني في العام*** والمرء يدينه إلى الحمام

مر الليالي السود والأيام*** إن الفتى يصبح للأسقام

كالغرض المنصوب للسهام*** أخطأ رام وأصاب رام

وقول عمران بن حطان (168-169/11):

إلى كل عام مرضة ثم فقهة*** ويُنعى، ولا ينعى، متى ذا؟ إلى متى؟

ولا بد من يوم يجيء وليلة*** يسوقان حنفاً راح نحوك لوغدا

وقول عبدة بن الطبيب، وكان لصاً من لصوص بني مدين بن زيد مناة بن تميم (119/11):

ولقد علمت بأن قصري حفرة*** غبراء يحملني إليها شرجع

فيكا بناتي شجوهن وزوجتي *** والأقربون إليّ ثم تصدّعوا

وتركت غبراء يُكرّه وردّها *** تسفي عليّ الريح ثم أودع

إن الحوادث تجتر من وإنما *** عمر الفتى في أهله مستودع

وقول متمم بن نويرة اليربوعي (169/11-170) :

ولقد علمت ولا محالة أنني *** للحداثات فهل ترين أجزع

أهلكن عاداً ثم آل محرّق *** فتركتهم بلداً وماقد جمعوا

ولهنّ كان الحداثان كلاهما *** ولهن كان أخو المصانع تبع

فغدوت آبائي إلى عرق الثوى *** فدعوتهم فعلمت أن لم يسمعوا

ذهبوا ولم أدركهم ودعتهم *** غول أتوها والطريق المهيع

لابد من تلفٍ مصيب فانتظر *** أبارض قومك أم بأخرى تصرع

ولياتين عليك يوم مرة *** يبكي عليك مقنعاً لا تسمع

وقول الحرقة بنت النعمان بن المنذر وهي تصف حالها لخالد بن الوليد عندما فتح عين التمر وكانت فيها وقد عميت (170/11) :

وبينا نسوس الناس والأمر أمرنا *** إذا نحن فيه سوّق نتنصف

فإن الدنيا لا يدوم نعيمها *** تقلّب ثارات بنا وتصرف

فقال قائل من كان حول خالد :

- قاتل الله عدي بن زيد! لكأنه ينظر إليها حين يقول :

إن للدهر ص رعة فاحذرنها *** لا تبيتن قد أمنت الدهورا

قد بيت الفتى معافى فيردى *** ولقد كان آمناً مسرورا

وبالرواية التي تقول (171/11):

كان محمد بن عبد الله بن طاهر في قصره ببغداد على دجلة، فإذا بحشيش على وجه الماء في وسطه قصبه على رأسها رقعة فأمر بها فوجد هذا:

تاه الأعرج واستولى به البطر *** فقل له خير ما استعملته الحذر

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت *** ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها *** وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وقول عدي بن زيد (171/11-172):

أيها الشامت المعيره بالدهر *** أنت المبرأ الموفور؟

أم لديك العهد الوثيق من الأيا *** م، بل أنت جاهل مغرور

من رأيت المنون خلدن أم من *** ذا عليه من أن يضام خفير

أين كسرى كسرى المملوك أنوشر *** وان أم أين قبله سابور

وبنو الأصفر الكرام ملوك ال *** روم لم يبق منهم مذکور

وأخو الحضرة إذ بناه وإذ دج *** لة تجبى إليه والخابور

لم يهبه ريب المنون فياد ال *** ملك عنه فبابه مهجور

شاده مرماً وجلله كآ *** ساء فللطير في ذراه وكور

وتبين رب الخورنق إذ أشر *** ف يوماً وللهدى تفكير

سرّه حاله وكثرة ما يم *** لك والبحر معرضاً والسدير

فارعوى قلبه وقال: فما غب*** طة حي إلى الممات يصير

ثم بعد الفلاح والملك والأمة*** وارتهم هناك القبور

ثم أضحوا كأنهم ورق جف*** فالوت به الضبا والديور

وقول الشريف الرضي (رحمه الله) (11/172-173):

انظر إلى هذا الأنام بعبرة*** لا يعجبك خلقه ورواؤه

فتراه كالورق النظير تقصفت*** أغصانه، وتسلبت شجراؤه

أنا تحاماه المنون وإنما*** خلقت مراعي للردى خضراؤه

أم كيف تأمل فلتة أجساده*** من ذا الزمان وحشوه أدواؤه

لا تعجب من العجيب فناؤه*** بيد المنون، بل العجيب بقاؤه

إننا لنعجب كيف حُمّ حمامه*** عن صحة، ويغيب عنا داؤه

من طاح في سبل الردي آباؤه*** فليسلكن طريقهم أبناؤه

ومؤمر نزلوا به في سوقة*** لا شكله فيها ولا نظراؤه

قد كان يغرق ظلّه أقرانه*** ويغض دون جلاله أكفأؤه

ومحجّبٌ ضُربت عليه مهابة*** يعشي العيون بهاؤه وضياؤه

نادته من خلف الحجاب منية*** أمم فكان جوابها حوباؤه

شقت إليه سيوفه ورماحه*** وأميط عنه عبيده وإماؤه

لم يغنه من كان ود لو أنه*** قبل المنون من المنون فداؤه

حرم عليه الذل إلا أنه*** أبدأً ليشهد بالجلال بناؤه

ولقد مررت ببرزخ فسألته*** أين الأولى ضمتهم أرجاؤه

مثل المطي بواركاً أجداثة*** تسفي على جنباتها بوغاؤه

ناديته فحفي عليّ جوابه*** بالقول إلا ما زقت أصدائه

من ناظر مطروقة الحاظه*** أو خاطر مظلولة سودائه

أو واجد مكظومة زفراته*** أو حاقد منسية شحناؤه

ومسندين على الجنوب كأنهم*** شرب تخاذل بالطلا أعضاءه

تحت لصعيد لغير إشفاق إلى*** يوم المعاد يضمهم أحشاؤه

أكلتهم الأرض التي ولدتهم*** أكل الضروس حلت له أكلاؤه

وقوله أيضاً (175 /74) :

وتفرق البعداء بعد تجمع*** صعب، فكيف تجمع القرباء

وخلائق الدنيا خلائق مومس*** للمنع آونةً، وللإعطاء

طوراً تبادلك الصفا وتارة*** تلقاء تنكرها من البغضاء

وتداول الأيام يبلينا كما*** بيني الرشاد تطاوح الأرجاء

وكان طول العمر روحة راكبٍ*** قضى اللغوب وجدّ في الإسراء

لهفي على القوم الأولى غادرتهم*** وعليهم طبق من البيداء

متوسدين على الخدود كأنما*** كرعوا على ظمأ من الصهباء

صور ظننت على العيون بلحظها*** أمسيت أقرها من البوغاء

ونواظر كحل التراب جفونها*** قد كنت أحرسها من الأقداء

قربت ضرائحهم على زوارها*** ونأوا عن الطلاب أي تناء

ولبس ما يلقي بعقر ديارهم*** أذن المصيخ بها وعين الرائي

ولقوله (عليه السلام)، وقد رجع من صفيين فأشرف على القبور بظاهر

الكوفة (322/18):

((يا أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة، والقبور المظلمة، يا أهل التربة، ويا أهل الغربة، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق، أما الدور فقد سكنت، وأما الأزواج فقد نكحت، وأما الأموال فقد قسمت، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟))

ثم التفت إلى أصحابه فقال :

((أما والله لو أذن لهم في الكلام، لأخبروكم أن خير الزاد التقوى)).

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول مكتوب على قبر (323/18):

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه*** لقاءك لا يرجى وأنت رقيب

تزيد بلي في كل يوم وليلة*** ونسى كمانبلى وأنت حبيب

وقول شاعر (324/18) :

أجازعة ردينة أن أتاها*** نعي أم يكون لها اضطبار

إذا أهل قبري ودعوني*** وراحوا والأكف بها غبار

وغودر أعظمي في لحد قبرٍ*** تراوحه الخبائب والقطار

تهب الريح فوق محط قبري*** ويرعى حوله اللهق النوار

ص: 146

مقيم لا يكلمني صديق *** بقفر لا أزور ولا أزار

فذاك النأي لا الهجران حولاً *** وحولاً ثم تجتمع الديار

وقول الآخر (324/18):

كأنّي ياخواني على حافتي قبري *** يهيلونه فوقى وأدمعهم تجري

فيا أيها المذريّ عليّ دموعه *** ستعرض في يومين عني وعن ذكري

عفا الله عني يوم أترك ثاوياً *** أزار فلا أدري وأجفئ فلا أدري

ولقوله (عليه السلام):

((واعلم يا بني أنك خلقت للآخرة لا- للدنيا، وللفناء لا- للبقاء، وللموت لا للحياة.. وإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها،

وتكالبهم عليها)) (89/16) :

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي العتاهية في ذكر الموت (92/16):

ستباشر الزبأ خدك *** وسيضحك الباكون بعدك

ولينزلن بك البلى *** وليخلفن الموت عهدك

وليفنينك مثلما *** أفني أباك، بلى، وجدك

لو قد رحلت عن القصو *** ر وطيبها وسكنت لحدك

لم تنتفع إلا بفع *** ل صالح قد كان عندك

ص: 147

قال الإمام علي (عليه السلام):

((... ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خيراً له من المال يورثه غيره)).

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول أعشى همدان (320 /1) :

إن نلت لم أفرح بشيء نلته *** وإذا سُبقت به فلا أتلهف

ومتى تصبك من الحوادث نكبة *** فاصبر فكل غيابة تتكشف

والبيت الثاني هو الذي قاله الحجاج يوم قتله الأعشى، إذ لما أتى الحجاج بأعشى همدان أسيراً؛ وقد كان خرج مع ابن الأشعث، قال :

- يا ابن اللحناء يا أنت القائل لعدو الرحمن - يعني عبد الرحمن بن الأشعث (320 /1)

يا ابن الأشج قريع كندة *** لا أبالي فيك عتبا

أنت الرئيس بن الرئيس *** وأنت أعلى الناس كعبا

نبئت حجاج بن يوسف خرَّ *** من زلقٍ فتبّا

فانهض هديت لعله *** يجلو بك الرحمن كربا

ص: 151

وابعث عطية في الحرو***ب يكبهن عليه كبا

ثم قال :

- عبد الرحمن خز من زلق فتب، وخسر وانكب، وما لقي ما أحب. ورفع بها صوته، واهتز منكبا، ودر ودجاه واحمرت عيناه، ولم يبق في المجلس إلا من هابه، فقال : - أيها الأمير، وأنا القائل (1/ 320):

أبي الله إلا أن يتمم نوره*** ويطفيء نور الكافرين فتخمدا

وينزل ذلاً بالعراق وأهله*** كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا

وما لبث الحجاج أن سل سيفه*** علينا، فولى جمعنا فتبددا

فالتفت الحجاج إلى من حضر، فقال :

ما تقولون؟

قالوا :

- لقد أحسن أيها الأمير، ومحا بآخر قوله أوله، فليسعه حلمك.

فقال :

- لاها الله، إنه لم يرد ما ظنتم، وإنما أراد تحريض أصحابه، ثم قال له :

- ألسنت القائل :

(إن نلت.. البيتان)؟

أما والله لتظلمن عليك غيابة لا تنكشف أبداً، ألسنت القائل في عبد الرحمن

ص: 152

(321-322/1):

وإذا سألت المجد أين محله*** فالمجد بين محمد وسعيد

بين الأشجّ وبين قيس نازل*** ويخ لوالده وللمولود

ولا يخبيخ بعدها أبداً، ..

يا حرس، اضرب عنقه.

وقال سعيد بن حميد الكاتب (320/1):

لا تعتبن على النوائب*** فالدهر يرغم كل عاتب

واصبر على حدثانه*** إن الأمور لها عواقب

كم نعمة مطوية*** لك بين أثناء النوائب

ومسرة قد أقبلت من حيث تنتظر المصائب

وقول العتابي (322/1):

اصبر إذا بدهتك نائبة*** ماعال منقطع إلى صبر

الصبر أولى ما اعتصمت به*** ولنعم حشوجوانح الصدر

وقول الشاعر (323/1):

ويوم كيوم البعث مافيه حاكم*** ولا عاصم إلا قنا ودروع

حبست به نفسي على موقف الردى*** حفاظاً وأطراف الرماح شروع

وما يستوي عند الملمات إن عرت*** صبور على مكروهاها وجزوع

وقول أبي حية النميري (323/1):

ص: 153

إنني رأيت وفي الأيام تجربة*** للصبير عاقبة محمودة الأثر

وقلّ من جد في أمر يحاوله*** واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وقول عبد العزيز بن زرارّة الكلابي (1/ 323):

قد عشت في الدهر أطواراً على طرقٍ *** شتى فقايسيت منه الحلو والبشعا

كلاً بلوت فلا النعماء تبطرنى*** ولا تخشعت من الأوائها جزعا

لا يملأ الأمر صدر قبل موقعه*** ولا يضيق به صدري إذ وقعا

وقول منصور النميري في الرشيد (1/ 324):

ويوم كان المصطلين بحرّه*** وإن لم يكن جمراً قيام على جمر

صبرنا له حتى تجلي وإنما*** تُفَرِّح أيام الكريهة بالصبر

وبكتابه (عليه السلام) الذي كتبه إلى عقيل أخيه :

((لا تحسبن ابن أمك - ولو أسلمه الناس - متضرعاً متخشعاً، ولا مقرأً للضميم واهناً، ولا سَلِسَ الزمام للقائد، ولا وطيء الظهر للراكب،

ولكنه كما قال أخو بني سليم (1/ 324-325):

فإن تسأليني كيف أنت فإنني*** صبور على ريب الزمان صليب

يعز عليّ أن تُرى بي كآبة*** فيشمت عاد أو يساء حبيب

ولقوله (عليه السلام):

((دار بالبلاء محفوفة، وبالغدر معروفة، لا تدوم أحوالها، ولا يسلم نزالها.. إنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى قبلكم،

ممن كان أطول

منكم أعماراً، وأعماراً ودياراً وأبعد آثاراً؛ أصبحت أصواتهم هامدة ورياحهم راكدة، وأجسادهم بالية، وديارهم خالية ..)). استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي نواس (11/260/261):

يابني النقص والغير *** وبني الضعف والخور

وبني البعد في الطباع *** على القرب في الصور

والشكول التي تبا *** ين في الطول والقصر

أين من كان قبلكم *** من ذوي البأس والخطر

سائلوا عنهم المدا *** ن واستبحثوا الخبر

سبقونا إلى الرحي *** ل وإن البلاء تر

من مضى عبّر لنا *** وغداً نحن معتبر

إن للموت أخذة *** تسبق للمح بالبصر

فكأنني بكم غداً *** في ثياب من المدر

قد نقلتم من القصور *** ر إلى ظلمة الحفر

حيث لا تضرب القبا *** ب عليكم ولا الحجز

حيث لا تضربون من *** ه للهو ولا سمر

رحم الله مسلماً *** ذكر الموت فازدجر

رحم الله مؤمناً *** خاف فاستشعر الحذر

ولقوله (عليه السلام):

((وإن اليسير من الله سبحانه أكرم وأعظم من الكثير من خلقه وإن كان كله منه))

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (95 / 16):

لا تحرصن على الحطام فإنما*** يأتك رزقك حين يؤذن فيه

سبق القضاء بقدره وزمانه*** وبأنه يأتك أو يأتية

وقول الآخر:

أراك تزيدك الأيام حرصاً*** على الدنيا كأنك لا تموت

فهل لك غاية إن صرت يوماً*** إليها قلت: حسبي قد رضيت؟

وقول أبي العتاهية (95 / 16) :

أيُّ عيش يكون أطيب من عي*** وش كفاف قوت بقدر البلاغ

قهرتي الأيام عقلي ومالي*** وثيابي وصبوتي وفراغي

ولقوله (عليه السلام)، وقد نقلناه في الحكمة :

((إنني أخاف عليك الفقر، فاستعذ بالله منه، فإن الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول محمود البقال (230 / 19) :

الفقر خير فاتسع واقتصد*** إن من العصمة أن لا تجد

كم واجد أطلق وجدانه*** عنانه في بعض ما لم يُرد

ومد من للخمر غاو على*** سماع عود وغناء غرد

ص: 156

لولم يجد خمراً ولا مسمعاً*** يرد بالماء غليل الكبد

كم من يد للفقر عند امريء*** طأطأ منه الفقر حتى اقتصد

وقول البحتري (230/16) :

فقر كفقر الأنبياء وغربة*** وصبابة ليس البلاء بواحد

وقول أبي العتاهية (230/16) :

ألم تر أن الفقر يرجي له الغنى*** وإن الغنى يخشى عليه من الفقر

وقول القائل (231/19) :

وصاحب صدقٍ ليس ينفع صدقه*** ولا وده حتى تفارقه عمدا

ويريد بصاحب صدق : المال).

وقول الآخر : (231/19) :

وقد يهلك الإنسان حسن ريشه*** كما يذبح الطاووس من أجل ريشه

وقول الآخر (231/19):

رويدك إن المال يهلك ربه*** إذا جم واستعلى وشد طريقه

ومن جاوز المال الغزير ومجّه*** وسد طريق الماء فهو غريقه

ولقوله (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام): ((يا بني : لا تخلفن وراءك شيئاً من الدنيا فإنك تخلفه لأحد رجُلَيْنِ، أما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به، وأما رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعته؛ فكنت عوناً له على معصيته؛ وليس أحد هذين حقيقاً أن تؤثره على نفسك)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أحدهم (20/54-55):

يا جامعاً مانعاً والدهر يرمقه *** مدبراً أي باب عنه يغلقه

وناسياً كيف تأتيه منيته *** أغادياً أم بها يسري فتطرقه

جمعت مالاً فقتل لي هل جمعت له *** - يا جامع المال - أياً ما تفرقه

المال عندك مخزون لوارثه *** ما المال مالك إلا يوم تنفقه

أرفه ببال فتى يغدو على ثقة *** إن الذي قسم الأرزاق يرزقه

فالعرض منه مصون لا يدنسه *** والوجه من جديد ليس يخلقه

إن القناعة من يحلل بساحتها *** لم يلق في ظلها هما يؤرقه

ولقوله (عليه السلام):

((القناعة مال لا ينفد)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الغزي (20/244):

أنا كالثعبان جلدي ملس *** لست محتاج إلى ثوب الجمال

فالمخمول العز واليأس الغنى *** والقنوع الملك، هذا ما بدا لي

وقوله أيضاً (20/244):

لا تعجبن لمن يهوى ويصعد في *** دنياه فالخلق في أرجوحة القدر

واقنع بما قل فالأوشال صافية *** ولجة البحر لا تخلو من الكدر

ولقوله (عليه السلام):

((ورب منعم عليه مستدرج بالنعمي، ورب مبتل مصنوع له بالبلوى، فزد

أيها المستمع في شرك، وقصر من عجلتك، وقف عند منتهى رزقك)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (162/19-163):

اقنع بعيشك ترضه*** واترك هواك وأنت حرٌّ

فلرب حنّف فوقه*** وذهب وياقوت ودُرٌّ

وقول آخر (163/19):

إلى متى أنا في حلٍّ وترحال*** من طول سعي وإدبار وإقبال

ونازح الدار لا انفك مغترباً*** من الأحبة ما يدرون ما حالي

بمشرق الأرض طوراً ثم مغرباً*** لا يخطر الموت من حرص على بالي

ولوقعت أتانِي الرزق في دعة*** إن القنوع الغنى لا كثرة المال

ولقوله (عليه السلام):

((العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغني)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول عبد الصمد المعدّل (255/19):

سأقني العفاف وأرض الكفاف*** وليس غنى النفس حوز الجزيل

ولا أتصدى لشكر الجواد*** ولا أستعد لدم البخيل

واعلم أن بنات الرجاء*** تُحلُّ العزيز محلّ الذليل

وأن ليس مستغنياً بالكثير*** من ليس مستغنياً بالقليل

ص: 159

كانت الصعبة بنت الحضرمي، تحت أبي سفيان صخر بن حرب، فطلقها ثم تبعها نفسه فقال فيها شعراً أوله (1/255):

وإني وصعبة فيما أرى *** بعيدان والود ودُّ قريب

ومما قاله علي بن محمد بن عبد الرحيم - صاحب الزنج - متغزلاً قوله (8/128):

ولما تبينت المنازل بالحمى *** ولم أقض منها حاجة المتورد

زفرت لها زفرة لو حشوتها *** سراويل أبدان الحديد المسرد

لرقت حواشيها وظلت متونها *** تلين كمالانت لداود باليد

وقال ابن أبي الحديد أنه وجد بخط محمد بن عبد الله الخشاب رحمه الله في تعاليق مسودة أبياتاً للقطوي؛ وهي (10/97):

قد رأينا الغزال والغصن والنج *** مين شمس الضحى وبدر التمام

فوحق البيان يعضده البر *** هان في مآقط شديد الحضام

ما رأينا سوى المليحة شيئاً جمع الحسن كله في نظام

هي تجري مجرى الأصالة في الرأ *** ي ومجرى الأرواح في الأجسام

ص: 163

وقال شاعر (145 /10) :

ضعيفة كـر الطرف تحسب أنها*** حديثه عهد بالأفاق من سقم

وقال النصر آبادي (78 /11) :

ومن كان في طول الهوى ذاق سلوة*** فإني من ليلي لها غير ذائق

وأكثر شيء نلته في وصالها*** أمانني لم تصدق كلمحة بارق

وقال أبو علي الدقاق في معنى قول النبي (صلى الله عليه وآله) :

((حبك الشيء يعمي ويصم)).

قال :

- يعمي ويصم عن الغير إعراضاً، وعن المحبوب هيبة.

ثم أنشد (78 /10) :

إذا ما بدا لي تعاظمتة*** فاصدر في حال من لم يره

وقال الشاعر (79 /10) :

عجبت لمن يقول نسيت ربي*** وهل أنسى فأذكر ما نسيتُ

شربت الحب كأساً بعد كأسٍ فما نقد الشراب ولا رويتُ

وقال الشاعر :

وأسكر القوم دور كأسٍ*** وكان سكري من المدير

وقال أبو علي بن الدقاق (180 /10):

لي سكرتان وللندمان واحدة*** شيء خصصت به من بعدهم وحدي

ص: 164

وقال الشاعر:

بكت عيني غداة البين دمعاً*** وأخرى بالبكا بخلت علينا

فعاقت التي بخلت علينا*** بأن أغمضتها يوم التقينا

وقال الشاعر (139/11):

ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس سار

فالناس وسُدِّفِ الظلام***م ونحن في ضوء النهار

وأشددوا (140-139/11):

فلما استنار الصبح طوح ضوءه*** بأنواره أنوار ضوء الكواكب

فجرعهم كأساً لو ابتليت به*** بتجرعة طارت كأسرع ذاهب

وقال الشاعر:

فافترقنا حولاً فلما التقينا*** كان تسليمه عليّ وداعا

وقال آخر:

ياذا الذي زار وما زارا*** كأنه مقتبس ناراً

مرّ بباب الدار مستعجلاً*** ماضره لو دخل الداراً

وآخر:

وبلاني من مشهدٍ ومغيب*** وحبیب منى بعيد قريب

لم ترد ماء وجهه العين حتى*** شرقت قبل ريبها بريب

وآخر:

ص: 165

والليل يشملنا بفاضل برده*** والصبح يلحفنا رداءً مذهباً

وقال خالد بن الوليد (141 / 11) :

عند الصباح يحمد القوم السرى*** وتنجلي عنا غيابات الكرى

وقال الشاعر:

تقول سليمان لو أقيمت بأرضنا*** ولم تدرِ أني للمقام أطوف

وقال صاحب سلوان المطاع (207 / 11):

يا مفزعي فيما يجيء*** وراحمي فيما مضى

عندي لما تقضيه ما*** يرضيك من حسن الرضا

ومن القطيعة استعيط*** مصرحاً ومعرضاً

وقال أيضاً:

كن من مدبرك الحكيم*** علا وجلّ، على وجل

وارضَ القضاء فإنه*** حتم أجل، وله أجل

وقال أيضاً (209-207 / 11) :

يا من يرى حالي وأن ليس لي*** في غير قربي منه أوطأ

وليس لي ملتحد دونه*** ولا عليه لي أنصار

حاشا لذاك العز والفضل أن*** يهلك من أنت له جار

وإن تشأ هلكي فهب لي رضاً*** بكل ما تقضي وتختار

عندي لأحكامك يامالكي*** قلبٌ كما أنعمت صبار

كل عذاب منك مستعذب*** ما لم يكن سخطك والنار

وقال الشاعر (222 /11) :

أبدأ تحن إليكم الأرواح*** ووصالكم ريحانها والراحُ

وقلوب أهل وداكم تشناقكم*** وإلى لقاء جمالكم تراحُ

وارحمة للعاشقين تحملوا*** ثقل المحبة والهوى فضاحُ

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم*** وكذا دماء الفاتحين تباحُ

وقال الشاعر (224 /11) :

همّت ياتيانا حتى إذا نظرت*** إلى المرأة نهاها وجهها الحسن

وقال آخر :

إني لأحسد ناظريّ عليكما*** حتى أغض إذا نظرت إليكما

وأراك تخطر شمانلك التي*** هي فتنتي ، فأغار منك عليكما

وقال الشاعر (259 /19) :

واحسرتا مات حظي من وصالكم*** وللحفظ كما للناس آجال

إن مت شوقاً ولم أبلغ مدى أجلي*** كم تحت هذي القبور الخرس آمال

وقال سحيم عبد النبي الحسحاس (344 /19) :

وهبت شمال آخر الليل قرة*** ولا ثوب إلا درعها وردائي

فما زال بردي طيباً من ثيابها*** مدى الحول حتى انهج البرد بانيا

وقال كثير عزة (344 /19) :

ص: 167

فأروضة بالحزن طيبة الثرى*** يمج الندى جثمانها وعرارها
بأطيب من أرواض عزة موهناً وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها
وقال امرؤ القيس (345 / 19) :

ألم ترياني كلما جئت طارقاً*** وجدت بها طيباً وإن لم تطيب
وقال الرضي رضي الله عنه (406 / 19):

ولقد مررت على طولهم*** ورسومهم بيد البلى نهبُ
فوقفت حتى ضج من لغبٍ*** نصوي وضجّ بعذلي الركبُ
وتلفتت عيني فمد خفيت*** عني الطلول تلفت القلبُ
وقال آخر:

تلقت نحو الحي حتى وجدتنى*** وجعت من الإصغاء ليتاً وأضرعا
ولقوله (عليه السلام):

((إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه، وشكر قيامه، وكل يوم لا تعصي الله فهو يوم عيد)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أحد المحدثين متغزلاً (73 / 20) :

قالوا أتى العيد قلت أهلاً*** إن جاء بالوصل فهو عيد

من ظفرت بالمنى يده*** فكل أيامه سعود

وقول آخر (73 / 20) :

قالوا أتى العيد والأيام مشرقة*** وأنت تبكي وكل الناس مسرور

فقلت إن واصل الأحباب كان لنا*** عيداً وإلا فهذا اليوم عاشور

وقول أبي ذؤيب (108 /20) :

وعيرني الواشون أنني أحبها*** وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

فإن أعتذر عنها فإني مكذب*** وإن تعتذر يردي عليك اعتذارها

وسئل (عليه السلام) عن أشعر الشعراء فقال :

- فإن كان ولا بد فالملك الضليل.

يريد امرؤ القيس.

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول امرئ القيس (172-153 /20) :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعاً*** فألهيتها عن ذي تمانم محول

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له*** بشق وعني شقها لم يُحول

وقوله :

سموت إليها بعد أن نام أهلها*** سمو حباب الماء حالا على حال

فقلت لحاك الله إنك فاضحي*** ألسنت ترى السمار والناس أحوالي

فقلت لها تالله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت*** هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا*** ورُضت فذلت صعبه أي إذلال

حلفت لها بالله حلقة فاجرٍ*** الناموا فما أن من حديث ولا صالي

فأصبحت معشوقاً وأصبح بعلها*** عليه القتام كاسف الوجه والبال

وقوله في اللامية الأولى :

وبيضة خدر لا يرام جناؤها*** تمتعت من لهو بها غير معجل
تخطيت أبواباً إليها ومعشراً*** عليّ حراساً لويسرون مقتلي
فجئت وقد نصت لنوم ثيابها*** لدى الستر إلا لبسة المتفضل
فقلت يمين الله مالك حيلة*** وإني أرى عنك الغواية تنجلي
فقممت بها أمشي تجر وراءنا*** على إثرنا أذيال مرط مرجل
فلما أجزنا ساحة الحي وانتحي*** بنا بطن خبت ذي عقاف عقنقل
هصرت بفودي رأسها فتمايلت*** على هظيم الكشح ريا المخلخل
وقوله :

فبت أكابد ليل التمام*** والقلب من خشية مقشعر
فلما دنوت نسديتها*** فثوباً نسيت وثوباً أجر
ولم يرنا كاليء كاشح*** ولم يبدو منا لدى البين سر
وقد را بني قولها: يا هنا*** ه ويحك الحق شراً بشر
وقوله :

تقول وقد جردتها من ثيابها*** كما رعت مكحول المدامع أتلعا
لعمرك لو شيء أأنا رسوله*** سواك ولكن لم نجد لك مدفعا
فبتنا نصد الوحش عنا كأننا*** قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا
تجافي عن المأثور بيني وبينها*** وتدني عليّ السابري المضلعا

وقول الشاعر (191 / 20) :

وقائلة أخضب فالغواني *** تطيرُ من ملاحظة القتير

فقلت لها المشيب نذير موتي *** ولست مسوداً وجه النذير

وقول الوزير المهلبى (201 / 20):

يا صروف الدهر حسبي *** أي ذنب كان ذنبي

علة خصت وعمت *** حبيب ومحب

دب في كفيه يامن *** حبه دب بقلبي

فهو يشكو حر حب *** وشكاتي حر صبي

وقول المجنون :

عشية مالي حيلة غير أنني *** بلقط الحصى والحظ بالدار مولع

أخط وأمحو كلما قد خططته *** و بدمعي والغربان حولي وقّع

وقول أحمد بن أبي عثمان الكاتب (238 / 20) :

واني ليرضيني المرور ببابها *** إذا كان لون الليل لون الطيالس

وقول كثير عزة (238 / 20) :

واني لأرضي منك ياعز بالذي *** لو أبصره الواشي لقرت بلابله

بلا وبالأ أستطيع وبالمني *** وبالوعد حتى يسأم الوعد آمله

وبال نظرة العجلى وبالحول ينقضي *** أو اخره لا تلتقي وأوائله

وقول وضاح اليمن (238 / 20) :

ص: 171

إذا قلت هاتي نولينى تبسمت*** وقالت معاذ الله من حل ما حرّم
فما نولت حتى تضرعت حولها*** وعرفتها ما رخص الله في اللمم
وقول آخر (238/20):

فقلت بحق الله إلا أتيتنا*** إذا كان لون الليل لون الطيالس
فجئت وما في القوم يقظان غيرها*** وقد نام عنها كل وال وحارس
فبتنا مبيتاً طيباً نستلذه*** جميعاً ولم أمدد لها كف لا مس
وقول أبي صخر الهذلي (239/20):

(و) لليلة منها تعود لنا*** من غير ما رفت ولا إثم
أشهى إلى نفسي ولو برحت*** مما ملكت ومن بني سهم
وقول آخر (239/20):

وما نلت منها محرماً غير أنني*** أقبل ساقاً من الثغر أفلجا
وألثم فاها آخذاً بقرونها*** وأترك حاجات النفوس تخرجنا
وقول عبد بني الحسحاس (239/20):

لعمر أبيها ما صبوت ولا صبت*** إليّ وإني من صباً لحليم
سوى قبلة أستغفر الله ذنبها*** سأطعم مسكيناً لها وأصوم
وقول آخر (239/20):

ومجدولة جدل العتاق كأنما*** سنا البرق في داجي الظلام ابتسامها
ضربت لها الميعاد ليست بكنة*** ولا جارة يخشى عليّ ذمامها

فلما التقينا قالت الحكم فاحتكم *** سوى خلة هيهات منك مرامها

فقلت معاذ الله أن أركب التي *** تبيد ويبقى في المعاد أاثامها

(وقوله : ليست بكنة ولا جارة يخشى عليّ ذمامها) مأخوذ من قول قيس بن الخطيم :

ومثلك قد أحببت ليست بكنة *** ولا جارة ولا حليلة صاحب

وقول بشار بن برد (240 /20) :

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم *** ما في التزام ولا في قبلة حرج

من راقب الناس لم يظفر بحاجته *** وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

وقول الصابي (230 /20) :

خضاب تقاسمناه بيني وبينها *** ولكن شأني فيه خالف شأنها

فيا قبحه إذ حل بيني بمفرقي *** ويا حسنه إذ حل منها بنانها

وسحقاً له عن لمتي حين شأنها *** وأهلاً به في كفها حين زانها

وقول المجنون (236 /20) :

كأن على أنيابها الخمر مجّه *** بماء الندى من آخر الليل غابق

وقول العباس بن الأحنف (237 /20) :

أتأذنون لصب في زيارتكم *** فعندكم شهوات السمع والبصر

لا يضمم السوء إن خال الجلوس به *** عف الضمير ولا فاسق النظر

وقول أبو صفير البولاني (236 /20) :

بأعذب من فيها وما ذقت طعمه*** ولكنني فيما ترى العين فارس

وقول الآخر (240/20):

نلهو بهن كذا من غير فاحشة*** لهو الصيام بتفاح البساتين

وبالرواية التي تقول :

نظر المأمون إلى غلام حسن الوجه في الموكب، فقال له :

يا غلام، ما اسمك؟ قال :

- لا أدري.

قال :

أو يكون أحد لا يعرف اسمه؟

فقال :

- يا أمير المؤمنين، اسمي الذي أعرف به (لا أدري).

فقال المأمون (368/19) :

وسميت لا أدري لأنك لا تدري*** بما فعل الحب المبرح في صدري

ص: 174

لقوله (عليه السلام) لما غلب أصحاب معاوية أصحابه (عليه السلام) على الفرات ومنعوه من الماء :

((قد استطعموكم القتال، فأقرّوا على مذلة وتأخير ومحله، أوردوا السيوف من الدماء تردوا من الماء، فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول عمارة اليميني شاعر المصريين في فخر الدين توران شاه بن أيوب، التي يغريه فيها بالنهوض إلى اليمن والاستيلاء على ملكها وأولها (3/244 و294-295):

العلم، مذكان، محتاج إلى القلم *** وشفرة السيف تستغني عن القلم

وخير خيلك إن غامرت في شرفٍ *** عزم يفرق بين الساق والقدم

إن المعاني عروس غير واصله *** ما لم تخلّق ردائيه بنضح دم

ترى مسامع فخر الدين تسمع ما *** أملاه خاطر أفكاري على قلبي

فإن أصبت فلي حظ المصيب وإن *** أخطأت قصدك فاعذرنني ولا تلم

كم تترك البيض في الأجفان ضامنة *** إلى الموارد في الأعناق والقمم

ومقلة المجد نحو الفهم شاخصة*** فترك قعودك عن إدراكها وقم
فعمك الملك المنصور سؤمها*** من الفرات إلى مصر بلا سأم
واخلق بنفسك أمراً لا تضاق به*** إلى سواك وأور النار في العلم
وانه المشيرين إن لجت نصيحتهم*** أولاً، فأنعم على العميان بالصمم
واعزم وصمم فقد طالت وقد سمجت*** قضية لفظتها ألسن الأمم
فرب أمر يهاب الناس غايته*** والأمر إن هوفيه من يد لقم
فكيف إن نهضت فيما هممت به*** أسد تشير من الخطي في أجم
لا يدرك المجد إلا كل مقتحم*** في موج ملتطم أو فوج مضطرم
وينتضي الخطوة الأولى بثانية*** ولا يفكر في العقبي من الندم
كأنما السيف أفتاه بقتلهم*** في فتح مكة حل القتل في الحرم
ولم يراعوا لعثمان ولا عمر*** ولا الحسين زمام الأشهر الحرم
فما ترون سوى فتح صوارمه*** يضحكن في كل يوم عابس البهم
حتى كأن لسان السيف في يده*** يروي الشريعة عما عاد عن أرم
هذا ابن توحرت قد كانت بدايته*** فما يقول الورى لحماً على وضم
وقد ترقى إلى أن صار طالعه*** من الكواكب بالأنفاس والكظم
وكان أول هذا الدين من رجل*** سعى إلى أن دعوه سيد الأمم
والبدر يبدو هلالاً ثم يكشف بال*** أنوار ماسترته شملة الظلم
والغيث فهو كما قد قيل أوله*** قطر وبدء خراب السد بالعرم

تموقوى الشيء بالتدرىج إن رزقت *** شرّاً ويقوى شرار النار بالضم

حاسب ضميرك عن رأي أتك وقل *** نصيحة وردت من غير متهم

أقسمت من أنت من جل بهمته *** ما رام من نعم أورك من نعم

وإنما أنت مرجوه لواحدة *** بنى بها الدهر مجدداً غير منهزم

كأنني بالليالي وهي هاتفة *** قد صم سمع رجال دونها وعمي

وبالعلا كلما لاقتك غائلة *** أهلاً بنشر أمالي من الرمم

وقول هشام بن عبد الملك في بعض ولد الوليد بن عقبة (9 / 63):

أبلغ أبا وهب إذا ما لقيته *** بأنك شر الناس غيباً لصاحب

فتبدي له بشراً إذا ما لقيته *** وتلسعه بالغيب لسع العقارب

ولقوله (عليه السلام):

((فأقسم بالله يا بني أمية قليل لتعرفتها في أيدي غيركم وفي دار عدوكم)) (7 / 113).

استشهد ابن أبي الحديد بقول سديف مولى أبي لهب وقد دخل على أبي العباس بالحيرة أنشد (7 / 125):

أصبح الملك ثابت الآساس *** بالبهايل من بني العباس

بالصدور المقدمين قديماً *** والبحور القماقم الرؤاس

يا إمام المطهرين من الدم *** ويا رأس منتهى كل راس

أنت مهدي هاشم وفتاها *** كم أناس رجوك بعد أناس

لا تقيلن عبد شمس عثراً*** واقطعن كل رقلة وغراس

أنزلوها بحيث أنزلها الله*** بدار الهوان والاتعاس

خوفها أظهر التودد منها*** وبها منكم كحز المواس

إقصهم أيها الخليفة واحسم*** عنك بالسيف شأفة الأرجاس

واذكرن مصرع الحسين وزيد*** وقتيلاً بجانب المهراس

والقتيل الذي بحران أمسي*** ثاوياً بين غربة وتناسي

فلقد ساءني وساء سوائي*** وقربهم من نمارق وكراسي

نعم كلب الهراش مولاك شبل*** لونجا من حبال الإفلاس

وروى المبرد الشاهد بصيغة أخرى وهي (127/7):

أصبح الملك ثابت الأساس*** بالبهايل من بني العباس

طلبوا وتر هاشم وشنوها*** بعد ميل من الزمان وياس

لا تقيلن عبد شمس عثراً*** واقطعن كل رقلة وأواس

ذلها أظهر التودد منها*** وبها منكم كحز المواسي

ولقد غاضني وغاض سوائي*** قربهم من نمارق وكراسي

أنزلوها بحيث أنزلها الله*** بدار الهوان والانعاس

واذكرن مصرع الحسين وزيد*** وقتيلاً بجانب المهراس

والقتيل الذي بحران أمسي*** ثاوياً بين غربة وتناسي

نعم شبل الهراش مولاك شبل*** لونجا من حبال الإفلاس

وقول سديف أيضاً إذ دخل على أبي العباس السفاح، وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك، وقد أعطاه يده قبلها وأدناه، فقال له (128 /7) :

لا يغرنك ماترى من رجالٍ *** إن تحت الضلوع داءً دويًا
فضع السيف وارفع الصوت حتى *** لا ترى فوق ظهرها أمويًا
فألقي المنديل في عنق سليمان، ثم جرّ فقتل.

ويقول العرجي (141 /7) :

إن الحبيب تروحت أجماله *** أضلا، فدمعك دائم إسباله
فاقن الحياء فقد بكيت بعولةٍ *** لو كان ينفع باكيًا إعواله
يا حبذا تلك الحمول وحبذا *** شخص هناك، وحبذا أمثاله

وقول سديف أيضا وقد أنشده أبا العباس وعنده رجال من بني أمية (141 /7) :

يا ابن عم النبي أنت ضياء *** استبنا بك اليقين الجليا
جرد السيف وارفع العفو حتى *** لا ترى فوق ظهرها أمويا
لا يغرنك ماترى من رجالٍ *** إن تحت الضلوع داءً دويا
قطن البغض في القديم وأضحى *** ثابتاً في قلوبهم مطويا
فقال أبو العباس : يا سديف، خلق الإنسان من عجل.

ثم أنشد أبو العباس متمثلاً :

أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا *** فلن تبيد وللآباء أبناء

ثم أمر بمن عنده فقتلوا.

وقول سديف أيضاً لأبي العباس يحضه على بني أمية ويذكر من قتل مروان وبنو أمية من أهله (143/7):

كيف بالعمو عنهم وقديماً*** قتلوكم وهتكوا الحرمات

أين زيد وأين يحيى بن زيد*** يا لها من مصيبة وترات

والإمام الذي أصيب بحرًا*** ن إمام الهدى ورأس الثقات

قتلوا آل أحمد لا عفا الذنب*** لم روان غافر السيئات

وقول رجل من شيعة بني العباس يحضه على بني أمية ويذكر من قتل مروان وبنو أمية من أهله (144/7):

إياكم أن تلبسوا لاعتذارهم*** فليس ذلك إلا الخوف والطمع

لو أنهم آمنوا أبدوا عداوتهم*** لكنهم قمعوا بالذل فانقمعوا

أليس في ألف شهر قد مضت لهم*** سقيتم جرعا من بعدها جرع

حتى إذا ما انقضت أيام مدتهم*** منوا إليكم بالأرحام ما قطعوا

هيهات لا بد أن يسقوا بكأسهم*** رياءً وأن يحصدوا الزرع الذي زرعوا

إنا وإخواننا الأنصار شيعتكم*** إذا تفرقت الأهواء والشيع

إياكم أن يقول الناس إنهم*** قد ملكوا ثم ما ضروا وما نفعوا

ولقوله (عليه السلام) من كتاب له إلى أحد عماله :

((فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك،

وأخزيت أمانتك، بلغني أنك جرّدت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك، فارفع إليّ حسابك، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أنس بن إياس الدولي ويقال أنها لأبي الأسود (3) (6/166):

أحار بن بدرقد وليت ولاية*** فكن جُرذاً فيها تخون وتسرق

ولا تحقرن يا صاح شيئاً أصبته*** فحظك من ملك العراقيين سُرق

وباه تميماً بالفني إن للفني*** لساناً به المرء الهيوبه ينطق

فإن جميع الناس إما مكذب*** يقول بما تهوى وإما مصدق

يقولون أقوالاً ولا يتبعونها*** وإن قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

ولقوله (عليه السلام):

((وليكن أبعـد رعيـتك منك، وأشـنأهم عنـدك، أطلبهم لمعايب الناس، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت، يستر الله منك ما تحب ستره من رعيـتك..

أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنك سبب كل وتر، وتغاب عن كل ما لا يتضح لك، ولا تعجلن إلى تصديق ساع، فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين، ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل

ص: 183

والجبن والحرص غرائزُ شتي يجمعها سوء الظن بالله)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (37-36/17):

وأجراً من رأيت بظهر غيب*** على عيب الرجال ألو العيوب

وقول آخر (37/17):

يامن يعيب وعييه مشعب*** كم فيك من عيب وأنت تعيب

وقول الشاعر (38/17):

ولست بذى نيرب وفي الرجا*** ل قناع خ ير وسبابها

ولا من إذا كان في جانب*** أضاع العشيرة واغتابها

ولكن أطاوع ساداتها*** ولا أتعلم ألقابها

وقول آخر (38/17):

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا*** فيكشف الله سترا من مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا*** ولا تعب أحداً منهم بما فيكا

وقول آخر (38/17):

ابداً بنفسك فانهها عن غيها*** فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك تعذر إن وعظت ويقتدى*** بالقول منك، ويُقبل التعليم

وقول آخر (40/17):

لعمرك ما سب الأمير عدوه*** ولكنما سب الأمير المبلِّغ

وقول آخر (40/17):

هرمت منائي منك إن كان ذا الذي *** أتك به الواشون عني بما قالوا

ولكنهم لما رأوك شريعة *** إليّ توأصوا بالنميمة واجتالوا

فقد صرت أذناً للوشاة سميعة *** ينالون من عرضي ولو شئت ما نالوا

وقول الشاعر (41 / 17):

فكفو في على الواشين لداء شعبة *** كما أنا للواشي ألد شغوب

وقول الشاعر (41 / 17):

وإذا الواشي وشي يوماً بها *** نفع الواشي بما جاء يضر

وقول العباس بن الأحنف (41 / 17):

ما حظك الواشون من رتبة *** وعندي ولا ضرك مغتاب

كانهم أثنوا ولم يعلموا *** عليك عندي بالذي عابوا

ولقوله (عليه السلام):

((فلا تطوّلنّ احتجاجك عن رعيتك، فإن احتجاج الولاية عن الرعية، شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمر، والاحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتجّبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس من الأمور، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب، وإنما أنت أحد رجلين إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق فقيم احتجاجك من واجب حق تعطيه، أو فعل كريم تسديه؟ أو معتلّ بالمنع، فما أسرع كف الناس عن

ص: 185

مسألتك، إذ أيسوا من ذلك، مع أن أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤونة عليك، من شكاة مظلمة، أو طلب إنصاف، في معادلة (90/17)-
(91).

استشهد ابن أبي الحديد بقول محمود الوراق (93/17):

إذا اعتصم الوالي بإغلاق بابه*** وردّ ذوي الحاجات دون حجابيه

ظننت به إحدى ثلاث وربما*** رجحت بظنٍ واقع لصوابه

أقول به مسٌ من العيِّ ظاهر*** ففي إذنه للناس إظهار مابه

فإن لم يكن عيِّ اللسان فغالب*** من البخل يحمي ماله عن طلابه

وإن لم يكن لا ذا ولا ذا فريبة*** يكتّمها مستورة بثيابه

وقول عبد العزيز بن زرارة الكلابي، وقد أقام على باب معاوية سنة في شملة من صوف لا يأذن له، ثم أذن له وقربه وأدناه، ولطف محله عنده
وولاه مصر، فكان يقال: استأذن أقوام لعبد العزيز بن زرارة، ثم صار يستأذن لهم، وقال في ذلك (93/17):

دخلت على معاوية بن حرب*** ولكن بعد يأسٍ من دخولي

وما نلت الدخول عليه حتى*** حللت مجلة الرجل الذليل

وأغضيت الجفون على قذاها*** ولم أنظر إلى قال وقيل

وأدركت الذي أمّلت منه*** وحرمان المنى زاد العجول

وبما كتب أحدهم إلى جعفر بن محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب (95/17):

أبا جعفر إن الولاية إن تكن *** منبلة قوساً فأنت لها نبيل

فلا ترتفع عنا لأمرٍ ولبتته *** كما لم يصغر عندنا شأنك العدل

وقول عبد الله بن محمد في عيينه (96/17) :

أتيتك زائراً لقضاءٍ حقٍ *** فحال الستر دونك والحجاب

ورأيي مذهب عن كل ناءٍ *** يجانبه إذا عزّ الذهاب

ولست بساقط في قدر قومٍ *** وإن كرهوا كما يقع الذباب

ولقوله (عليه السلام) من كتاب له إلى معاوية من المدينة في أول ما بويع له بالخلافة :

((فقد علمت إعداري فيكم، وإعراضني عنكم، حتى كان لا منه ولا دفع له، والحديث طويل، والكلام كثير، وقد أدبر ما أدبر، وأقبل ما أقبل، فبايع من قبلك، وأقبل إليّ في وفد من أصحابك)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الوليد بن عقبة وهو يحرض معاوية أن يثأر لدم عثمان (68/18-69):

فوالله ما هند بأملك إن مضى *** النهار ولم يثأر بعثمان نائر

أيقتل عبد القوم سيد أهله *** ولم تقتلوه ليت أملك عاقر

ومن عجب أن بت بالشام وادعاً *** قريراً وقد دارت عليه الدوائر

ولقوله (عليه السلام):

((أزرى بنفسه من استشرى به الطمع، ورضي بالذل من كشف عن ضرّه،

وهانت عليه نفسه من أمرٍ عليها لسانه)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي الأسود الدؤلي (85-84/18) :

إلبس عدوك في رفقٍ ودعةٍ *** طويبي لذي إربةٍ للدهر لبّاس

ولا تغرنك أحقادٌ مزملة *** قد يركب الدبر الدامي بأحلاس

واستغنٍ عن كل ذي قربي وذي رحم *** إن الغني الذي استغنَى عن الناس

ولقوله (عليه السلام):

((وصدر العاقل صندوق سره، والبشاشة حباله العوده، والاحتمال قبر العيوب)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (98-97/18):

لا تدخلنك ضجرة من سائلٍ *** فلخير دهرك أن ترى مسؤولاً

لا تجبهن بالرد وجه مؤملٍ *** قد رام غيرك أن يرى مأمولاً

تلقي الكريم فتستدل ببشره *** وترى العبوس على اللثيم دليلاً

واعلم بأنك عن قليل صائر *** خبيراً فكن خبيراً يروق جميلاً

وقول الشاعر (99/18):

إذا نطق السفية فلا تجبه *** فخير من إجابته السكوت

سكتٌ عن السفية فظن أنني *** عييت عن الجواب فما عييت

ولقوله (عليه السلام):

((إن هذه القلوب تمل كما تحمل الأبدان، فابتغوا لها طرائق الحكمة)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (16/19) :

أفد طبعك المكدود بالجد راحةً *** تجمه وعلله بشيء من المزح

ولكن إذا أعطيته ذاك فليكن *** بمقداره يعطى الطعام من الملح

ولقوله (عليه السلام):

((حسد الصديق من سقم المودة)).

استشهد بقول الشاعر (39/19) :

احذر عدوك مرة *** واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديقي *** فكان أعرف بالمضرة

وقول آخر (39-40/19) :

احذر مودة ما ذق *** شاب المرارة بالحلاوة

يحصي الذنوب عليك أي *** ام الصداقة للعداوة

وقول الشاعر (40/19):

إذا كان دوّاماً أخوك مصارحاً *** موجهة في كل أوب ركائبه

فخلّ له ظهر الطريق ولا تكن *** مطية رحّال كثير مذهبه

ولقوله (عليه السلام):

((أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (14/19) :

طمعت بليلى أن تريع وإنما *** تقطع أعناق الرجال المطامع

ودانيت ليلى في خلال ولم يكن *** شهود على ليلى عدول مقانع

وقول آخر (40/19):

إذا حدثتك النفس إنك قادر *** على ما حوت أيدي الرجال فكذب

وإياك والأطماع إن وعودها *** رقارق آل أو بوارق خلب

ولقوله (عليه السلام):

((إذا أزدل الله عبداً حضر عليه العلم)).

استشهد بقول الشاعر (182/19):

شكوت إلى وكيعٍ سوء حظي *** فأرشدني إلى ترك المعاصي

فقال لأن حفظ العلم فضل *** وفضل الله لا يعطيه عاص

وقول آخر (182/19):

إذا فاتك العلم جد بالقرى *** وإن فاتك الماء سد بالقراع

فإن فات هذا وهذا وذاك *** فمت فحياتك شر المتاع

وقوله أيضاً في المعنى عينه (192/19):

فلولا الحجى والقرى والقراع *** لما فضل الآخر الأولا

ثلاث متى يحك منها الفتى *** يكن كالبهيمة أو أزدلا

ولقوله (عليه السلام):

((كان لي فيما مضى أخ في الله، وكان يعظّمه في عيني صغر الدنيا في عينيه، وكان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يتشهى ما لا يجد، ولا يكتر

إذا وجد، وكان

أكثر دهره صامتاً، فإن قال بذا القائلين، ونقع غليل السائلين، وكان ضيفاً مستضعفاً، فإن جاء الجد فهو ليث عادٍ، وصلَّ وادٍ، لا يدلي، بحجة حتى يأتي قاضياً، كان لا يلوم أحداً على ما لا يجد العذر في مثله، حتى يسمع اعتذاره، وكان لا يشكو وجعاً إلا عند برئه، وكان يفعل ما يقول، ولا يقول ما لا يفعل، وكان إن غلب على الكلام لم يغلب على السكوت، وكان على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا بدهه أمران نظر أيهما أقرب إلى الهوى فخالفه؛ فعليكم بهذه الخلائق فالزموها، وتنافسوا فيها، فإن لن تستطيعوا فاعلموا أن أخذ القليل خير من ترك الكثير)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشنفرى (185-183/19) :

وأطوي على الخمص الحوايا كما انطوت *** خيوطه ماريّ تغار وتقتل

وإن مُدَّت الأيدي إلى الزاد لم أكن *** بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

وقول الأعشى (185/19) :

يابني المنذر بن عبد الله *** والبطه يوماً قد تأمن الأحلاما

وقول الشاعر (188/19) :

وأكلة أوقعت في الهلك صاحبها *** كحبة القمح دقت عنق عصفور

بكسرةٍ بجريش الملح أكلها *** ألد من ثمرة تحشى بزنبور

وقول ابن دريد : العرب تعير بكثرة الأكل وأنشد (188/19) :

لست بأكّالٍ كأكل العبد *** ولا بنوامٍ كتوم الفهد

ص: 191

وقول الشاعر (189/19) :

إذا لم أزر إلا لأكل أكلة*** فلا رفعت كفي إليّ طعامي

فما أكلة إن نلتها بغنية*** ولا جوعة إن جعتها بغرام

وقول حاتم الطائي (186-190) :

وإني لأستحيي صحابي أن يروا*** مكان يدي من جانب الزاد تمرعا

أقصر كفي أن تنال أكفهم*** إذا نحن أهوينا وحاجاتنا معا

أبيت خميص البطن مضطمر الحشا*** حياء أخاف الضميم أن أتضلعا

فإنك إن أعطيت نفسك سؤلها*** وفرجك نالا منتهى الدم أجمعا

ولقوله (عليه السلام): ((من بالغ بالخصومة أثم، ومن قصر فيها ظلم، ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (204/19):

إذا كنت بين الجهل والحلم قاعداً*** وخيرت أنى شئت فالعلم أفضل

ولكن إذا أنصفت من ليس منصفاً*** ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل

إذا جاءني من يطلب الجهل عامداً*** فإني سأعطيه الذي هوسائل

ولقوله (عليه السلام):

((رسولك ترجمان عقلك، وكتابك أبلغ ما ينطق عنك)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (207/19)

تخير إذا ما كنت في الأمر مرسلاً*** فمبلغ آراء الرجال رسولها

ص: 192

ورؤ وفكر في الكتاب فإنما*** بأطراف أفلام الرجال عقولها

ولقوله (عليه السلام):

(لا تظنَّ بكلمة خرجت من أحدٍ سوءً وأنت تجد لها في الخير محتملاً).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (278/19):

إذا ما أتت من صاحب لك زلة*** فكن أنت محتالاً لزلته عذرا

ولقوله (عليه السلام): ((الفكر مرآة صافية، والاعتبار منذر ناصح، وكفى أدباً لنفسك تجنبك ماكرهت لغيرك)). استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (283/19):

إذا أعجبتك خصال امريء*** فكنه يكن منك ما يعجبك

فليس على المجد والمكر مات*** إذا جئتها حاجب يحجبك

ولقوله (عليه السلام): ((المنية ولا الدنية، والتقلل ولا التوسل)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (362/19) :

أحسن بالأيام من ذلة*** ومن سؤال الأوجه الكالحة

فاستعن بالله تكن ذا غنى*** مغتبطاً بالصفقة الرابعة

فالزهد عز والتقى سؤدد*** وذلة النفس لها فاضحة

كم سالم صيح به بغتة*** وقائل عهدي به البارحة

أمسى وأمست عنده قينة*** وأصبحت تندبه نائحة

طوبى لمن كانت موازينه*** يوم يلاقي ربه راجحة

ص: 193

وقوله أيضاً (362 / 19) :

لمصّ الثماد وخرط القتاد*** وشرب الأجاج أوان الظما

على المرء من لا يُرى*** ذليلاً لخلق إذا أعدما

وخير لعينيك من منظر*** إلى ما بأيدي اللئام العمى

ولقوله (عليه السلام):

((ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أيمن بن طريم بن فاتك الأسدي ينصح ابن الزبير بعدم التعرض لابن عباس (102/20 و131):

يا بن الزبير لقد لاقيت بائعاً*** من البوائق فالطف لطف محتال

لاقينة هاشمياً طاب منبته*** في مغرس لكريم العم والنخال

ما زال يقرع عنك العظم مقتدراً*** على الجواب بصوت مسمع عالٍ

حتى رأيتك مثل الكلب منجحراً*** خلف الغبيط وكنت الباذخ العالي

إن ابن عباسٍ المعروف حكمته*** خير الأنام له حال من الحال

عيرته المتعة المتبوع سنتها*** وبالقتال وقد عيرت بالمال

لما رماك على رسل بأسهمه*** جرت عليك بسيف الحال والبال

فاحتر مقولك الأعلى بشفرته*** هزءً وحيا بلا قيل ولا قال

واعلم بأنك إن عاودت غيبته*** عادت عليك مخازٍ ذات أذيال

ولقوله (عليه السلام) في ذكر عمرو بن العاص (280 / 6):

ص: 194

((وانه لم يبايع معاوية حتى استشهد بالرواية التي تقول (28/16)، ذكرناه في جانب آخر، دعا رهط من رجال معاوية منهم عمرو بن العاص وغيره، عند معاوية وصاروا يسبون أباه ويثلمون جانبه، وبعد أن انتهوا تكلم الإمام الحسن فعدد مواقف معاوية وأهله من الإسلام ثم قال :

((أتسى يا معاوية الشعر الذي كتبتة إلى أبيك لما هم أن يسلم تنهاه عن ذلك؟ وهو:

يا صخر لا تسلمن يوماً فتفضحنا*** بعد الذين بيدر أصبحوا فرقا

خالي وعمي وعم الأم ثالثهم*** وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا

لا تركن إلى أمر تكلفنا*** والراقصات به في مكة الحرقا

فالموت أهون من قول العداة: لقد*** حاد ابن حرب عن العزى إذ فرقا

ولقوله (عليه السلام) في مجاهدة النفس :

((قد أحيا عقله وأمات نفسه، حتى دق جليله، ولطف غليظه)).

استشهد بقول أبي تمام وهو ينصح (128/11-129):

خذي عبرات عينك عن زماعي*** وصوني ما أزلت من القناع

أقلي قد أضاق بكاءك ذرعي*** وماضقت بنازلة ذراعي

ألفة النحيب كم افتراق*** أظل فكان داعية اجتماع

فليست فرحة الأبواب إلا*** لموقوف على ترح الوداع

تعجب أن رأيت صبحي نحيلاً*** فإن المجد يدرك بالصرع

أخو النكبات من يأوي إذا ما*** أطفن به إلى خلق وساع

يثير عجاجة في كل نبح*** يهيم به عدي بن الرقاع

أبّن مع السباع الماء حتى*** لخالته السباع من السباع

وقوله أيضاً (129/6):

فاطلب هدوءاً بالتقليل واستقر*** بالعيس من تحت السهاد هجودا

ما إن ترى الأحساب بيضاً وضماً*** إلا بحيث ترى المنايا سودا

لما قتل قوم من بني تميم أحاً لعمر بن هند، قال بعض أعدائه يحرض عمرو بن ملقط الطائي عليهم (300/13):

من مبلغ عمرو بأن*** المرء لم يخلق صبارة

وحوادث الأيام لا*** يبقى لها إلا الحجارة

ها إن عجزت أمة*** بالسفح أسفل من أداره

تسفي الرياح خلال كش*** حيه وقد سلبوا إزاره

فاقتل زرارة لا أرى*** في القوم أمثل من زرارة

ولقوله (عليه السلام): ((عند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء)). استشهد ابن أبي الحديد بقول أمية بن أبي

الصلت (267/19):

لا تضيقن في الأمور فقد يك*** شف غماؤها بغير احتيال

ربما تجزع النفوس من الأمر*** له فرجة كحل العقال

ص: 196

فلقوله (عليه السلام):

((أيها الناس إنه لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال عن عشيرته، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم؛ وهم أعظم الناس حيلة من ورائه، وألمهم لشعته، وأعظمهم عليه عند نازلة، إن نزلت به، ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خيراً له من المال يورثه غيره)).

استشهد ابن أبي الحديد بباقة من أشعار الحماسة (328-326/1):

كقول الشاعر (326/1):

إذا المرء لم يغضب له حين يغضب *** فوارس إن قيل للموت يركبوا

ولم يُحبه بالنصر قوم أعزّه *** مقاحيم في الأمر الذي يُتَهَيَّب

تكظمه أدنى العداة فلم يزل *** وإن كان عضناً بالضلالة يضرب

فأخ لحال السلم من شئت واعلمن *** بأن سوى مولاك في الحرب أجنب

ومولاك مولاة الذي إن دعوته *** أجابك طوعاً والدماء تصبب

فلا تخذل المولى وإن كان ظالماً *** فإن به تتأى الأمور وتُراب

ص: 199

وقول الشاعر(327/1):

أفيقوا بني حزني وأهواؤنا معا وأرحامنا موصولة لم تقضب العمري لرهط المرء خير بقية عليه وإن عالوا به كل مركب إذا كنت في قوم وأمك
منهم التعزى إليهم في خبيث وطيب وإن حدثتك النفس أنك قادر على ما حوت أيدي الرجال فكذب

وقول الشاعر (327/1) :

لعمرك ما أنصفتني حين سمتني *** هواك مع المولى وأن لا هوى ليا

إذا ظلم المولى فزعت لظلمه *** فحرق أحشائي وهرت كلابيا

وقول الشاعر (327/1) :

وماكنت أبغي العم يمش على شفا *** وإن بلغتني من أذاه الجنادع

ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه *** لترجعه يوماً إليّ الرواجع

وحسبك من ذلٍ وسوء صنيعه *** مناواة ذي القربى وإن قيل قاطع

وقول الشاعر (327/1):

ألا هل أتى الأمصار أن ابن شجدلٍ *** حميداً شفي كلباً فقرت عيونها

فأنا وكلباً كاليدين متى تقع *** شمالك في الهيجا تعنها يمينها

وقول الشاعر (328/1):

أخوك أخوك من ينأى وتدنو *** مودته وإن دعي استجابا

إذا حاربت حارب من تعادي *** وزاد غناؤه منك اقترابا

ص: 200

يواسي في كريهته ويدنو*** إذا ما مُضلع الحدثن نابا

ولقوله (عليه السلام): لما غلب أصحاب معاوية أصحابه (عليه السلام) على شريعة الفرات بصفين ومنعواهم من الماء :

((قد استطعموكم القتال، فأقروا على مذلة، وتأخير محلّة، أو روّوا السيوف من الدماء ترّوا من الماء، فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول عمرو بن براءة الهمداني (3/ 245):

فكيف ينام الليل من جل ماله*** حسام كلون الملح أبيض صارم

كذبتهم وبيت الله لا تأخذونها*** مراغمة ما دام للسيف قائم

ومن يطلب المال المقنع بالقنا*** يعيش ماجداً أو تخترمه الخوارم

ومثله (3/ 236):

ومن يطلب المال المقنع بالقنا*** يعيش ماجداً أو يؤذ فيما يمارس

وقول حرب بن سحر (3/ 236):

عظفت عليه المهر عطفة باسل*** كميّ ومن لا يظلم الناس يُظلم

فأوجرته لدن الكعوب منقفاً*** فخر صريعاً لليدين وللقيم

وقول الحارث بن الأرقم (3/ 246):

وما ضاق صدري يا سليمي بشخصكم*** ولكنني في الحادثات صليب

تروك لدار الخشف والضيم منكر*** بصير بفعل المكرمات أريب

ص: 201

إذا سامني السلطان ذلاً أئبته*** ولم أعطِ خسفاً ما أقام عسيب

وقول العباس بن مرداس السلمي (246/3):

بأبي فوارس لا يعرى صواهلها*** أن يقبلوا الخسف من ملك وإن عظما

لا والسيوف بأيدينا مجردة*** لا كان منا غداة الروع منهزما

وقول وهبة بن الحارث (346/3):

لا يحسبني كأفوام عبئت بهم*** لن يأنفوا الذل حتى تأنف الحُمُر

لا تعلقني قذاةً لست فاعلها*** واحذر ثباتي فقدماً ينفع الحذر

فقد علمت بأني غير مهتضم*** حتى يلوح ببطن الراحة الشعر

وقول المسيب بن عباس (246-247):

(و) أبلغ ضبيعة أن البلاء*** فيها لذي قوة مغضب

وقد يقعد القوم من دارهم*** إذا لم يضاموا وإن أجذبوا

ويرتحل القوم عند الهوان*** عن دارهم بعدما أخصبوا

وقد كان سامة في قومه*** له مطعم وله مشب

فساموه خسفاً ولم يرضه*** وفي الأرض ضيعهم مهرب

وقول آخر (247/3):

إن الهوان حمار القوم يعرفه*** والحر ينكره والرسلة الجلد

ولا يقيم على خسف يراه به*** إلا الأذلان غير الحي والوتد

هذا على الخسف مشدود برمته*** وذا يشيح فلا يأوي له أحد

فإن أقيمت على ضميم يراد بكم *** فإن رحلي له والٍ ومعتد
وفي البلاد إذا ما خفت باردة *** مكروهة عن ولاة السوء مفتقد
وقول أحد بني أسد (247/3) :

إني امرؤ من بني خزيمة لا *** أطعم خسفاً لناعب نعبا
لست بمعط ظلامه أبداً *** عجباً ولا أتقي بها عربا

وقول مويك السدوسي عندما دخل إلى البصرة يبيع إبلاً فأخذ عامل الصدقة بعضها، فخرج إلى البادية وقال (247/3):

ناق إني أرى المقام على الضي *** م عظيماً في قبة الإسلام
قد أراني ولي من العامل النص *** ف بحد السنان أو بالحسام
وقول يزيد بن مفرّج الحميري (248/3):

لا ذعرت السوام نة فلق الصب *** ح مغيراً ولا دعيت يزيدا
يوم أعطى من المخافة ضيماً *** والمنايا يرصدني أن أحيدا
وقول آخر (248/3):

لا تحسبني يا أمانة *** عاجزاً دنساً ثيابه
إني إذا خفت الهوا *** ن مُشيعٌ ذُلُّ ركابه
وقول عنتره (248/3) :

ذُلُّ ركابي حيث شئت مشايعي *** لُبِّي وأحفزةٌ برأي مبرم
وقول آخر (248/3):

أخشية الموت درّ درّكم *** أعطيتم القوم فوق ماسألوا

إنّا لعمر الإله نأبي الذي قاتلوا ولما تقصّف الأسل

نقبل ضيماً ونحن نعرفه *** ما دام منا بظهرها رجل

وقول آخر (248/3):

ورب يوم حبست النفس مكرهة *** فيه لأكبت أعداء أحاشيها

أبي وأنف من أشياء أخذها *** رث القوي وضعيف القوم يعطيها

وقول السراخ (249-248/3):

أيننا فلا نعطي مليكاً ظلامه *** ولا سوقاً إلا الوشيح المقوما

وإلا حساماً يبهر العين لمحّه *** كصاعقة في عارض قد تبسما

وقول أبي تمام في محمد بن حميد الطائي (249/3):

وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه *** إليه الحفاظ المر والخلق الوعر

ونفس تعاف الضنيم حتى كأنه *** هو الكفر يوم الضنيم أو دونه الكفر

فأثبت في مستنقع الموت رجله *** وقال لها: من تحت أخمصك الحشر

تردي ثياب الموت حمراً فما أتى *** لها الليل إلا وهي من سندس خضر

وقول سليمان بن قتة (249/3):

فإن الأولى بالطف من آل هاشم *** تأسوا فسنوا للكرام التأسيسا

وقول العباس بن مرداس (250/3):

فقال امرؤ يهدي إليك نصيحة *** إذا معشراً جاءوا بعرضك فانجل

وإن بوؤوك منزلاً غير طائل *** غليظاً فلا تنزل به وتحول
ولا تطمعن ما يعلفونك إنهم *** أتوك على قرباهم بالمتقل
أبعد الإزار مجسداً لك شاهداً *** أتيت به في الدار لم يتنزل
أراك إذا قد صرت للقوم نافحاً *** يقال له بالضرب أدبر وأقبل
فخذها فليست بالعزیز بخطمة *** وفيها مقام لا مريء متذلل
وله أيضاً (251/3):

فحارب فإن مولاك حارد نصره *** ففي السيف مولى نصره لا يحارد
وقول مالك بن حريم الهمداني (251/3):

وكنت إذا قوماً غزوني غزوتهم *** فهل أنا ذا بال همدان ظالم
متى تجمع القلب الذكي وصارماً *** وأنفأحماً تجتبيك المظالم
وقول رشيد بن رُميَّض العنزي (251/3):

باتوا نياماً وابن هند لم ينم *** بات يقاسيها غلام كالزلم
خُدِّج الساقين خفاق القدم *** قد لفها الليل بسواق حُطم
ليس براعي إبل ولا غنم *** ولا بجزاز على ظهر وضم
من يلقني بودٍ كما عودت أرم

وقول آخر (251/3):

ولست بمبتاع الحياة بسببة *** ولا مرتقٍ من خشية الموت سلماً
ولما رأيت الود ليس بنافعي *** عمدت إلى الأمر الذي كان أحزماً

بعد معركة بين يزيد بن المهلب ويزيد بن عبد الملك، استطاع الأخير أن يقتل بني المهلب عن آخرهم فحملت رؤوسهم وحمل الأسرى إلى يزيد بن عبد الملك بالشام، وهم أحد عشر رجلاً فلما دخلوا عليه قام كثير بن عزة أبي جمعة فأنشد (254/3) :

حليم إذا مانال عاقب محجلاً*** أشد العقاب أو عفالم يثرِبِ

فغفواً أمير المؤمنين وحسبة*** فما تأته من صالح لك يكتب

أسأؤوا فإن تصفح فإنك قادر*** وأفضل حلم خشية حلم مغضب

ولكنه قتلهم جميعاً، وبقي منهم صبي صغير، فقال :

أقتلونني فليست بصغير.

فقال يزيد بن عبد الملك :

انظروا هل أنبت؟

فقال :

أنا أعلم بنفسي، قد احتلمت ووطئت النساء، فاقتلونني؛ فلا خير في العيش بعد أهلي.

فأمر به فقتل. فقال الرضي الموسوي رحمه الله (255/3):

ألا لله بادرة الطلاب*** وعزم لا يروّع بالعتاب

وكل مشمر البردين يهوي*** هويّ المصلتات على الرقاب

ص: 206

أعاتبه على بعد التناهي *** فيعدلني على قرب الإياب
رأيت العجز يخضع لليالي *** ويرضى عن نوائبها الغضاب
وآمل أن تطاوعني الليالي *** وينشب في المنى ظفري ونابي
ولولا صولة الأقدار دوني *** هجمت على العلا من كل باب
وقوله أيضاً (255/3):

لا يبذ الهموم إلا غلام *** يركب الهول والحسام رديف
ما يذل الزمان بالفقر حراً *** كيفها كان فالشريف شريف
وقوله أيضاً (رحمه الله) (255/3):

ولست أضل طرق المعالي *** ونار العز عالية الشعاع
ودون المجد رأي مستطيل *** وباع غير محبوب الذراع
ويعجبني البعاد كأن قلبي *** يحدث عن عدي بن الرقاع
فردّ نهى العلاء بلا رقيب *** وشمر في الأمور بلانزاع
ولا تغررك قعقة الأعادي *** فذاك الصخر خرّ من اليفاع
ونحن أحق بالدنيا ولكن *** تُخسرت القطوف على الوساع
وقول حارثة بن بدر الغدراني (256/3):

أهان وأقصى ثم ينتصموني *** ومن ذا الذي يعطي نصيحته قسرا
رأيت أكف المصلتين عليكم *** ملاء وكفي من عطائكم صفرا
متى تسألوني ما علي وتمنعوا *** الذي لي، لا أسطيع في ذلكم صبيرا

وقول أحد الخوارج (256/3) :

تعيرني بالحرب عرسي وما درت *** بأني لها في كل ما أمرت ضد

لحا لله قوماً يقعدون وعندهم *** سيوف ولم يعصب بأيديهم قد

وقول الأعشى (256/3) :

أبالموت خستني عباد وإنما *** رأيت منايا القوم يسعى دليلها

وما موة إن متها غير عاجز *** بعار إذا ما غالت النفس غولها

وقول آخر (256/3) :

فلا أسمعن فيكم بأمر هزيمة *** وضميم ولا تسمع به هامتي بعدي

فإن السنان يركب المرء حده *** من الضميم أو يعدو على الأسد الورد

ومثله (256/3):

كرهوا الموت فاستبيح حماهم *** وأقاموا فعل اللثيم الذليل

أمن الموت تهربون فإن ال *** موت الذليل غير جميل

وقول بشامة بن الغدير:

وإن التي سامكم قومكم *** هم جعلوها عليكم عدولا

وخزي الحياة وكره الممات *** فكلاً أراه طعاما وبيلا

فإن لم يكن غير إحداها *** فسيروا إلى الموت سيرا جميلا

ولا تقعدوا وبكم منة *** كفى بالحوادث للمرء غولا

من وقول هدبة بن خشوم (257/3) :

وإني إذا بالموت لم يك دونه*** قدى الشبر أحمي الأنف أو أتأخرا

ولكنني أعطي الحفيظة حقها*** فأعرف معروفاً وأنكر منكرا

وقول آخر (257/3-258):

إني أنا المرء لا يفضي على ترة*** ولا يقر على ضيم إذ غشما

ألقي المنية خوفاً أن يقال فتى*** أمسى - وقد شبت الصفات منهزما

وقول آخر (258/3):

قوِّض خيامك والتمس بلدا*** تنأى عن الغاشيك بالظلم

أو شد بشدة بيهس فعسى*** أن يتقوك بصفحة السلم

وقول سبيع بن خطيم التيمي، وقد انتصر من بني قيم اللات بن ثعلبة زيد الفوارس الضبي فنصره (258/3):

نبهت زيدا فلم أفزع إلى وكل*** رث السلاح ولا في الحي مغمور

سالت عليه شعاب الحي حين وعي*** أنصاره بوجه كاللدنانير

وقول أبي طالب بن عبد المطلب (258/3):

كذبتم وبيت الله نخلي محمدا*** ولما نطاعن دونه وناضل

ونصره حتى نصرع حوله*** ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقول علي بن عبد الله بن عباس، وقد أراد مسلم بن عقبة إرغامه على مبايعة يزيد بن معاوية في وقعة الحرة وهو في حماية أخواله من كندة

(259/3):

أبي العباس رأس بني قصبي*** وأخوالي الملوك بني وليعة

ص: 209

أراد بي التي لا عز فيها*** فحالت دونه أيدٍ منيعة

هم منعوا ذماري يوم جاءت*** كتائب مسرف وبنو اللكيعة

ومسرف : كناية عن مسلم، وأم علي بن عبد الله بن العباس زُرعة بنت مشرّح بن معدي كرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية بن كندة.

وقول الحصين بن الحمام (260/3):

ولست بمبتاع الحياة بسبة*** ولا مرتق من خشية الموت سلّما

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد*** لنفسي حياة مثلما أتقدما

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا*** ولكن على أعقابنا تقطر الدما

تقلق هاماً من رجالٍ أعزة*** علينا، وهم كانوا أعق وأظلما

أبي لابن سلمى أنه غير خالد*** ملاقي المنايا أي صرف تبسما

(ابن سلمى : يعني نفسه وسلمى أمه).

وقول الطرماح بن حكيم (260/3):

ولا منعت دار ولا عز أهلها*** من الناس إلا بالقنا والقنابل

وقول آخر (260/3):

وإن التي حدثتها في أنوفنا*** وأعناقنا من الإباء كما هيا

وقول إبراهيم بن كنيف النبهاني (260/3) :

فإن تكن الأيام فينا تبدلت*** ببؤس ونعمى فالحوادث تفعل

فما لينت مناتاة صلييته*** ولا ذللتنا للتي سوف تجمل

ولكن رحلناها نفوساً كريمة*** تحمل ما لا يستطيع فتحمل

وقول آخر (261 /3):

إذا جانب إعياءك فاعمد لجانب*** فإنك لاقٍ في البلاد معوّلاً

وقول أبي النشاش (261 /3):

إذا المرء لم يرح سواماً ولم يسرح*** سواماً ولم تعطف عليه أقاربه

فللموت خير للفتى من قعوده*** عديماً ومن مولى تدب عقاربه

ولم أر من الهم ضاجعه الفتى*** ولا كسواد الليل أخفق طالبه

فحش معدماً أو مت كريماً فإنني*** أرى الموت لا ينجو من الموت هاريه

وقول سعيد بن عمر الحرشي أمير خراسان (262 /3):

فلمست لعامر إن لن تروني*** أمام الخيل أظعن بالعوالي

وأضرب هامة الجبار منهم*** بماضي الضرب حُودث بالصقال

فما أنا بالحروب بمستكين*** ولا أفضي مصاولة الرجال

أبي لي والدي من كل ذم*** وخالي حين يذكر خير خال

وقول آخر (262 /3):

خذيته وجريه ضباغ وابشري*** بلحم امريء لم يشهد اليوم ناصره

وقول الشداخ بن معمر الكناني في (263 /3):

قاتلوا القوم ياخزاع ولا*** يدخلكم من قتالهم فشل

القوم أمثالكم لهم شَعرة*** في الرأس لا ينشرون إن قتلوا

وقول يحيى بن منصور الحنفي (263/3):

ولما نأت عنا العشيّة كلها*** أنخنا فحالفنا السيوف مع الدهر

فما أسلمتنا عند يوم كريهة*** ولا نحن أغضينا الجفون على وتر

وقول أبي تمام (263/3):

كم بين قوم إنما نفقاتهم*** مال وقوم ينفقون نفوسا

وقوله أيضاً (264/3):

السيف أصدق أنباءً من الكتب*** وحده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لاسود الصحائف*** في متونهن جلاء الشك والريب

والعلم في شهب الأرماع لامعة*** بين الخميسين لا في السبعة الشهب

وقول أبي الطيب (264-265/3):

حتى رجعت وأفلامي قوائل لي*** المجد لل سيف ليس المجد للقلم

أكتب بنا أبداً بعد الكتاب به*** فإنما نحن للأسياف كالخدم

أسمعتني ودوائي ما أشرت به*** فإن غفلت فدائي خلة الفهم

من اقتضى بسوى الهندي حاجته*** أجاب كل سؤال عن (هل) ب (لم)

وقول عطاء بن محمد الأوسي (265/3):

أكابد الزفات موصدة*** تلتذ خوف القطع بالشلل

صرف همومك تنتدب همماً*** فالكر يعقب نشوة الثمل

ولليلة الميلاد مفرحة*** تنى الحوامل أشهر الحمل

سر البلاد تخوضها لجباً*** فالد ليس يصاب بالوشل

واجعل لصبوتك الضبا سكتاً*** والدور أكوار على الإبل

والعيش والوطن الممهدين في*** غَرَب الحسام وغارب الجمل

واشدد عليك وخذ إليك ودع*** ضعة الخمول وفترة الكسل

وارم العداة بكل صائبة*** ما الرمي موقوفاً على نُعل

لا تحسب النكبات منقصة*** قد يستجاد السيف بالقلل

وقول عروة بن الورد (265/3-266):

لحا لله صعلوكاً إذا جن ليلة*** مصا في المشاس أكفاً كل مجزر

يعد الفتى من نفسه كل ليلة*** أصار قراها من صديق ميسر

ينام عشاءً ثم يصبح ناعساً*** يحث الحصى من جنبه المتعثر

يعين نساء الحي ما يستعته*** ويمسي طليحاً كالبعير المحسّر

ولكن صعلوكاً صفيحة وجهه*** كضوء شهاب القابس المتنور

مطلاً على أعدائه يزجرونه*** بساحاتهم زجر المنيح المشهّر

وإن فقدوا لا يأمنون اقترابه*** تشوف أهل الغائب المتنظر

وقول آخر (266/3):

ولست بمولى سوءةٍ أدعى لها*** فإن لسوءات الأمور مواليا

وسيان عندي أن أموت وأن أرى*** كبعض رجال يوطنون المخازيا

ولن يجد الناس الصديق ولا العدا*** أو يحيى إذا عدوا أديمي واهيا

وإن نجاري يا ابن غنم مخالف*** نجار لئام فابغني من ورائيا

ولست بهياب لمن لا يهابني*** ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا

إذا المرء لم يحبك إلا تكرهاً*** عراض العلق لم يكن ذاك باقيا

وقول فار بن توسعة في يزيد بن المهلب (267/3):

وما كنا نؤمل من أمير*** كما كنا نؤمل من يزيد

فأخطأ ظننا فيه وقدماً*** زهدنا في معاشره الزهيد

إذا لم يعطنا نصفاً أمير*** مشينا نحوه مشي الأسود

وقول المتنبي (268/3):

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى*** حتى يراق على جوانبه الدم

وقوله أيضاً (286/3):

ومن عرف الأيام معرفتي بها*** وبالناس روى رمحه غير راحم

فليس بمرحوم إذا ظفروا به*** ولا في الردى الجاري عليه بأثم

وقوله أيضاً (268/3):

روي حياض الردى يا نفس وأطرحي*** حياض خوثر الردى للشاء والنعم

إن لم أدرك على الأرماع سائلة*** فلا دعيت ابن أم المجد والكرم

ولما قتلقتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان وما وراء النهر سعد وكيع بن أسود وقال:

إن قتيبة أراد قتلي، وأنا قتال الأقران وأنشد (272/3):

قد جربوني ثم جربوني *** من غلوتين ومن المئين

حتى إذا شبت وشيبوني *** خلوعناني ثم سيبوني

حذارٍ مني وتكبوني *** فإنني رام لمن يرميني

ثم قال : أنا أبو مطرف.. يكررها مراراً

ثم قال :

أنا ابن خندف تميني قبائلها *** للصالحات وعمي قيس عيلانا

وقول عبد الرحمن بن جمانة الباهلي يرثي قتيبة (273/3):

كان أبا حفص قتيبة لم يسر *** بجيش إلى جيش ولم يعل منبرا

ولم يخفق الرايات والجيش حوله *** صفوفاً ولم يشهد له الناس عسكرياً

دعته المنايا فاستجاب لربه *** وراح إلى الجنات عفاً مطهراً

فما رزء الإسلام بعد محمدٍ *** بمثل أبي حفص فبكيه عفها

وقول أحد شعراء العجم (274/3):

واسوء تا لا مريء شبيته *** في عنفوان وماؤه خضل

راضٍ بنزر المعاش مضطهدٍ *** على تراث الآباء يتكل

لا حفظ الله ذاك من رجلٍ *** ولا رعاه ما أظن الإبل

كلا وربّي حتى تكون فتى *** قد نهكته الأسفار والرحل

مشمراً يطلب الرياسة أو *** يضرب يوماً بهلكه المثل

حتى متى تتبع الرجال ولا *** تتبع يوماً، لا مك الهبل

وقول عبد الله بن ثعلبة الأزدي (275/3):

فلئن عمرت لاسفين *** النفس من تلك المساعي

ولأعلمن البطن أن *** الزاد ليس بمستطاع

أما النهار فقد أرى *** قومي بمراقبة يفاع

في قرة هلك وشو *** ك مثل أنياب الأفاعي

ترد السباع معي فتح *** سبني السباع من السباع

وقول هلال بن معاوية الطائي (275/3):

وبالجبيلين لنا معقل *** سعدنا إليه بصم الصعاد

ملكناه في أوليات الزمان *** من قبل نوح ومن قبل عاد

ومنا ابن مرّ ابوحنبل *** أجار من الناس رجل الجراد

وزيد لنا ولناحاتم *** غياث الورى في السنين الشداد

وقول آخر (276/3):

أرقُّ لأرحام أراها قريبة *** لحرار بن كعب لا لجرم بن راسب

وإننا نرى أقدامنا في سفالهم *** وأنفنا بين اللحي والحواجب

وأقدامنا يوم الوغى وإباؤنا *** إذا ما أبينا لاندرا لعاصب

وقول الراجز (276/3):

من كان ينوي أهله فلا رجع *** فرَّ من الموت وفي الموت وقع

وقول الكليحة (277/3):

إذا المرء لم يغش المكاره أوشكت *** حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا

وقول قطري بن الفجاءة (277/3):

أقول لها وقد طارت شعاعاً *** من الأبطال ويحك لا تراعي

فإنك لو سألت بقاء يومٍ *** على الأجل الذي لك لم تطاعي

فصبراً في مجال الموت صبراً *** فما نيل الخلود بمستطاع

ولا ثوب البقاء بثوب عزٍ *** فيطوي عن أخي الخنع اليراعي

سبيل الموت غاية كل حيٍّ *** فداعيه لأهل الأرض داع

ومن لا يغتبط يسأم ويهزم *** وتسلمه المنون إلى انقطاع

وما للمرء خير في حياةٍ *** إذا ما عد من سقط المتاع

ومنه أيضاً (277/3):

ولم ندر أن خضنا من الموت جيفة *** كم العمر باقٍ والمدى متناول

وقول جعفر بن علبة الحارثي أيضاً (278/3):

ولا يكسف الغماء إلا ابن حرةٍ *** يرى غمرات الموت ثم يزورها

وقوله أيضاً (278/3):

فلا تحسبي أنني تخشعت بعدكم *** لشيء ولا إني من الموت أفرق

ولا أن نفسي يزدهيها وعيدكم *** ولا أنني بالمشي في القيد أخرق

وقول الشاعر (278/3):

سأغسل عني العار بالسيف جالباً عليّ قضاء الله ما كان جالباً

وأذهل عن داري وأجعل هدمها*** لِعرضي من باقي المذمة حاجبا
ويصغر في عيني تلادي إذا ثنت*** يميني بإدراك الذي كنت طالبا
فإن تهدموا بالغدر داري فإنها*** تراث كريم لا يبالي العواقبا
أخي عزمات لا يطيع على الذي*** يهيم به من مقطع الأمر عاتبا
إذا هم ألقى بين عينيه عزمه*** ونكّب عن ذكر العواقب جانبا
فيا لرزام رشحوا بي مقدماً*** إلى الموت خواصاً إليه السباسباً
إذا همّ لم تردع عزيمة هممه*** ولم يأت ما يأتي من الأمر هائباً
ولم يستشر في أمره غير نفسه*** ولم يرض إلا قائم السيف صاحباً
وقول الشاعر (278 /3):

هما خطنا إما إيسار ومنه*** وإما دم، والقتل بالحر أجدر
وقول الشاعر (278 /3):

وإنا لقوم لا نرى القتل سبّة*** إذا ما رآته عامر وسلول
يقصر حب الموت آجالنا لنا*** وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات مناسب حثف أنفه*** ولا طلّ عنا حيث كان قتيل
تسيل على حد الضبات نفوسنا*** وليست على غير السيوف تسيل
وقول الشاعر (279 /3):

لا يركن أحد إلى الإحجام*** يوم الوغى متخوفاً لحمام
فلقد أراني للرماح دريئة*** من عن يميني تارة وأمامي

حتى خضبت بما تحدر من دمي *** أكناف سرجي أو عنان لجامي
ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب *** جذع البصيرة قارح الأقدام
وقول الشاعر (279 /3):

وإني لدى الحرب الضروس موكلٌ *** و بأقدام نفسي لا أريد بقاءها
متى يأتي هذا الموت لأتلف حاجة *** لنفسي إلا قد قضيت قضاءها
وقول الرضي الموسوي (رحمه الله) (281-280 /3):

سأمضي للتي لا عيب فيها *** وإن لم أستفد إلا عناء
وأطلب غاية إن طوحت بي *** أصابت بي الحمام أو العلاء
ومناكل أغلب مستميت *** إذا لددت بالذل قاء
إذا ما ضيم نمرصفحتيه *** وقام على برائته إباء
ونأبى أن يُنال النصف منا *** وأن نعطي مقارعنا السواء
ولو كان العداء يسوغ فينا *** لما سمنا الوري إلا العداء
وقول أبي الطيب (281 /3):

أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر *** وحيداً وما قولي كذا ومعني الصبر
وأشجع مني كل يوم سلامتي *** وما ثبتت إلا وين نفسها أمر
تمرس بالآفات حتى تركتها *** تقول: أمات الموت أم دُعر الذعر
وأقدمت إقدام الأبى كأن لي *** سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر
ذر النفس تأخذ حضنها قبل بينها *** فمفترق جاران دارهما العمر

ولا تحسبن المجد رقاً وقينة*** فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتضريب هامات الملوك وإن ترى*** لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دويماً كأنما*** تداول سمع المرء أنمله العشر
وقول ابن حيوس (284/3-285):

ولست كمن أحنى عليه زمانه*** فظل على أحداثه يتعتّب
تلذ له الشكوى وإن لم يفد بها*** وصلاحاً كما يلتذ بالحك أجرب
ولكنني أحمي ذماري بعزيمة*** تتوب مناب السيف والسيف تنصب
وليس الفتى من لم تسم جسمه الضبا*** ويحطم فيه من قنا الخط أكعب
وقوله أيضاً (285/3):

أخفق المترف الجنوح إلى الخفض*** وفاز المخاطر المقدام
وإذا ما السيوف لم تشهد الحر*** بفسيان ص ارم وكهام
وقول صاحب الزنج (288/3):

وإذا تنازعني أقول لها قري*** موت الملوك على صعود المنبر
ما قد قضى سيكون مصطبري له*** ولك الزمان من الذي لم يُقدر
وقوله أيضاً (288/3):

إني وقومي في أنساب قومهم*** كمسجد الخيف في بحبوحة الخيف
ما علق السيف منا ببن عائرة*** إلا وعزمته أمضى من السيف
وقول أحد الطالبين (288/3):

وإنا لتصبح أسيفنا*** إذا ما انتضين ليوم سفوك

منابرهن بطون الأكف*** وأعمادهن رؤوس الملوك

وقول المتنبي (289/3):

إذا غامرت في شرف مروم*** فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقير*** كطعم الموت في أمر عظيم

يرى الجبناء أن الجبن حزم*** وتلك خديعة الطبع اللثيم

وكل شجاعة في المرء تغني*** ولا مثل الشجاعة في الحلیم

وقوله (289/3):

إذا لم تجد ما يبتتر العمر قاعداً*** فقم واطلب الشيء الذي يبتتر العمرا

وقوله (289/3):

أهم بشيء والليالي كأنها*** تطاردني عن كونه وأطارده

وحيداً من الخلان في كل بلدة*** إذا عظم المطلاب قل المساعد

وقول ابن حيّوس (290/3):

أمواتهم بالذكر كالأحياء*** ولحيّهم فضل على الأحياء

نزلوا على حكم المروءة وامتطوا*** بالبأس ظهر العزة القعساء

والعز لا يبقى لغير معوّد*** أن يكشف الغمّاء بالغمّاء

لاتحسب الضراء ضراء إذا*** أفضت بصاحبها إلى السراء

وقوله (290/3):

وهي الرياسة لا تبوح بسرها*** إلا لأروع لا يبوح ذماره

يحمي حماه قلبه ولسانه*** وتذود عنه يمينه ويساره

لا العذل ناهيه ولا الأرض الذي*** امر النفوس بشحها أماره

فليعلم الساعي ليلبغ ذا المدى*** إن الطريق كثيرة أخطاره

وقوله (292/3):

وإذا كانت النفوس كباراً*** تعبت في مرادها الأجسام

وقوله (292/3):

إلى أي حين أنت في زي محرم*** وحتى متى في شقوة وإلى كم؟

وإلا تمت تحت السيوف مكرماً*** تمت وتقاسي الذل غير مكرم

فنب واثقاً بالله وثبة ماجد*** يرى الموت في الهيجا جنى النحل في الفم

وقول آخر (293/3):

إن تقتلونني فأجال الرجال كما*** حدثت قتل وما في القتل من عار

وإن سلمت لوقت بعده فعسى*** وكل شيء إلى حدٍ ومقدار

وقول مصعب، وقد كتبه إلى سكينه بنت الحسين (عليه السلام)، وكانت زوجته لما شخص إلى حرب عبد الملك وهي بالكوفة بعد ليالٍ من

فراقها (296/3-297):

وكان عزيزاً أن يبيت وبيننا*** حجاب فقد أصبحت مني على عشر

وأبكاهما والله للعين فأعلمي*** إذا ازددت مثليها فصرت على شهر

ص: 222

وأنكى لقلبي منهما اليوم إنني *** أخاف بألا نلتقي آخر الدهر

وقول محمد بن حافي (300 /3) :

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه *** فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا

وبالهمة العلياء نرقى إلى العلا *** فمن كان أعلى همة كان أظهرها

ولم يتأخر من أراد تقدماً *** ولم يتقدم من أراد تأخراً

وقول الشريف الرضي رضي الله عنه (301 /3) :

ومن أخرته نفسه مات عاجزاً *** ومن قدمته نفسه مات سيداً

وقوله رضي الله عنه (301 /3):

مامقامي على الهوان وعندي *** مقول صارم وأنف حمي

وإباء محلّق بي عن الضيم *** كما زاغ طائر وحشي

وقول أبي الطيب (301 /3) :

تقولين ما في الناس مثلك عاشق *** جدي مثل من أحببته تجدي مثلي

محب كني بالبيض عن مرهفاته *** وبالحسن عن أجسامهن من الصقل

وبالسحر عن سحر القناغير إنني *** جناها أحبائي وأطرافها رسلي

عدمت فؤاداً لم بيت فيه فضلة *** لغير ثنايا الثغر والحدق النجل

تريدين إدراك المعالي رخيصة *** ولا بد دون الشهد من إبر النحل

وقول أبي تمام (301-302 /3) :

فتى النكبات من يأوي إذا ما *** قطعن به إلى خلق وساع

يشير عجاجة في كل فجٍ *** يهيم بها عدي بن الرقاع
يخوض مع السباع الماء حتى *** لتحسبه السباع من السباع
فلبَّ العزم إن حاولت يوماً *** بأن تستطيع غير المستطاع
فلم تركب كنتاجية المهاري *** ولم تُركب همومك كالزمام
وقوله أيضا (302/3) :

إن خيراً مما رأيت الصفح *** عن النائبات والإغماض
غربة تقتدي بغربة قيس *** بن زهير والحارث بن مضاض
غرضي نكثتين مافتلاً رأياً *** فخافا عليه نكث انتفاض
من أبنّ البيوت أصبح في ثو *** ب من العيش ليس بالفضفاض
والفتى من تعرفته الليالي *** والفا في كالحية النضفاض
كل يوم له بصرف الليالي *** فتكة من فتكة البراض
وقوله أيضاً (302/3) :

إن تريني تري حساماً صقيلاً *** مشرفية من السيوف الحداد
ثاني الليل ثالث البيد والسير *** نديم النجوم سرب السهاد
وقول البحري (302-303) :

يانديمي بالسواجير من شم *** س بن عمرو وبحت بن عتود
اطلبا ثالثاً سواي فإني *** رابع العيس والدجي والبيد
لست بالعاجز الضعيف ولا القا *** نل يوماً إن الفتى بالجدود

وإذا استصعبت مقادة أمر *** سهلة أيدي المهاري القود

وقول الرضي (رحمه الله) (3/303-304):

ولم أرَ كالرجاء اليوم شيئاً *** تذلل له الجماجم والرقاب

وبعض القدم مأثرة وفخر *** وبعض المال منقصة وعاب

بناني والعنان إذا نبت بي *** ربا أرضٍ ورجلي والركاب

وقد عرفت توقُّعي الليالي *** كما عرفت توقُّعي العقاب

لأمنع جانباً وأفيد عزاً *** وعز الموت ماعز الجناب

إذا هولٌ دعاك فلا تهبه *** فلب يبق الذين أبو وهابوا

كليب عاقصته يد وأودي *** عتيبة يوم أقعصه ذؤاب

سواء من أقل الترب منا *** ومن واري معالمه التراب

وإن مزامل العيش اعتباراً *** مساوٍ للذين بقوا وشابوا

وأولنا العناء إذا طلعتنا *** إلى الدنيا، وآخرنا الذهاب

إلى كم ذا التردد في الأمانى *** وكم يُلوى بناظري السراب؟

ولا نقعُ يثار ولا قتام *** ولا طعنٌ يشب ولا ضراب

ولا خيل معقدة النواصي *** يموج على شكائهما اللعاب

عليها كل ملتهب الحواشي *** يصيب من العدو ولا يصاب

سأخطبها بحد السيف فعلاً *** إذا لم يغن قول أو خطاب

وأخذها وإن رغمت أنوف *** مغالبة وإن ذلت رقاب

وقول عدي بن زيد (305/3):

فهل من خالد إما هلكنا*** وهل بالموت يا للناس عار؟

وقول الرضي (رحمه الله) (305-306):

إذا لم يكن إلا الحمام فإني*** سأكرم نفسي عن مقال اللوائم

وألبسها حمراء تصفو ذبولها*** من الدم بعد عن لباس الملاوم

فمن قبل ما اختار أشعث عيشه*** على ترف عال رفيع الدعائم

فطار ذميما قد تقلد عارها*** بشر جناح يوم دير الجماجم

وجاءهم يجري البريد برأسه*** ولم يغن إيغال به في الهزائم

وقد حاص من خوف الردي كل حيصة*** ولم ينج والأقدار ضربة لازم

وهذا يزيد بن المهلب نافرت*** به الذل أعراق البرود الأكارم

فقال وقد عنَّ الغرام والردي:*** لحا الله أخزى ذكرة في المواسم

وما غمرات الموت إلا تقاسة*** ولا ذي المنايا غير تهويم نائم

رأى أن هذا السيف أهون محملاً*** من العار يبقى وسمه في المخاطم

وما قلد البيض المباتير عنقه*** سوى الخوف من تقليدها بالأداهم

فعاف الدنيا وامتطى الموت شامخاً*** يمارن عز لا يذل لخاطم

وقد حلقت خوف الهوان بمصعب*** قوادم آباء كرام المقادم

على حين أعطوه الأمان مخافة*** وخيّر فاختر الردي غير نادم

وفي خدره غراء من آل طلحة*** علاقة قلب للنديم المخالم

تحبب أيام الحياة وإنها*** لأعذب من طعم الخلود لطاعم

ففارقها والملك لما رآهما*** يجران أذلال النفوس الكرام

ولما ألح الحوفزان من الردى*** حذاه المخزي رمح قيس بن عاصم

وغادرهاشنعاء إن ذكرت له*** من العار طاطا رأس خزان واجم

كذاك مني بعد الفرار أمية*** بشقشقة لوثاء من آل دارم

وسل لهاسل الحسام بن معمر*** فكرت على أعقاب ناب بصارم

يردد ذكرى كل نجد وغائر*** والجم خوف كل باغ وظالم

وهددني الأعداء في المهدي لم يحن*** نهوضي ولم تقطع عقود تمانمي

وعندي يوم لو يزيد ومسلم*** بدا لهما لاستصغرا يوم واقم

على الفرق لا ميته مستكينة*** تزيل عن الدنيا بشم المراغم

وخاطر على الجلي خطارين حمرة*** وإن زاحم الأمر العظيم مزاحم

ولقوله (عليه السلام)، في ذم أصحابه :

((إنكم، والله لكثير في الباحات، قليل تحت الرايات، وإني لعالم بما يصلحكم، ويقيم أودكم، ولكن، والله لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي، أجزع الله خدودكم، وأتعس جدودكم، لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول معدان الطائي (104/6):

فأما الذي يحصيههم فمكثر*** وأما الذي يطريهم فمقلل

وقول قراد بن حفش (105 /6) :

لقومِي أرعى للعلام عصابة*** من الناس يا حار بن عمرو وتسودها

وأنت سماء يعجب الناس رزها*** بأبدية تنمي شديد ويدها

تقطع أطناب البيوت بحاصب*** وأكذب شيء برقها ورعودها

فويلمها خيلاً بهاءً وشارة*** إذا لقت الأعداء لولا صدوها

وقول الشاعر (105 /6) :

لقد كان فيكم لو وفيتم بحاركم*** لحى ورقاب عروة ومنافر

من الصهب أثناء وجذعاً كأنها*** عذارى عليهاشارة ومعاجر

وقول مروان بن الحكم لما بويع ودعا إلى نفسه (163 /6):

لما رأيت الأمر امرأة نهياً*** سبرت غسان لهم وكلبا

والسكسكيين رجالاً غلباً*** وطيباً تاباه إلا ض ضربا

والقين تمشي في الحديد نكبا*** ومن تنوخ مشمخراً صعبا

لا يملكون الملك إلا غصبا*** وإن دنت قيس فقل لا قربا

ويقول زفر بن الحارث - وهو يذكر ما حدث عند تولي مروان بن الحكم الخلافة، من حوادث منها قتل وهرب عمال بني أمية، على

الأمصار، لا سيما أولئك الذين يؤيدون، ويدعون لابن الزبير (164 /6):

أريني سلاحي - لا أبالك - إنني*** أرى الحرب لا تزداد إلا تحاويا

أتاني عن مروان بالغيب أنه*** مريق دمي، أوقاطع من لسانيا

ص: 228

وفي العيس منجاة وفي الأرض مهرب*** إذا نحن رفّعنا لهن المبانيا

فلا تحسبوني إن تعيبت غافلاً*** ولا تفرحوا إن جئكم بلقائيا

فقد ينبت المرعى على دمن الثرى*** وتبقى حزازات النفوس كما هيا

أذهب كلب لم تنهها رماحنا*** وتترك قتلى راهط هي ما هيا

لعمري لقد أبقت وقية راهط*** لحسان صدء بيننا متنايا

أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا*** ومقتل همام أمين الأمانيا

ولم تُرمني نبوة قبل هذه*** وفراري وتركبي صاحبي ورائيا

أيذهب يوم واحد إن أسأته*** بصالح أيامي وحسن بلائيا

فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا*** وتثار من نسوان كلب نسائيا

وقول زفر بن الحارث أيضا (6/164/166):

أن الله أمّا بحدلّ وابن بحدلّ*** فيحيا وأما ابن الزبير فيقتل

كذبتهم وبيت الله لا تقتلونه*** ولا يكن يوم أغرّ محجّل

ولما يكن للمشرقية فوقكم*** شعاع كقرن الشمس حين ترجل

ولقوله (عليه السلام)- وهو يخاطب بني أمية :-

((ألا- وإن لكل دم ثائراً، ولكل حق طالباً، وإن الثائر في دماننا كالحاكم في حق نفسه، وهو الله الذي لا يعجزه من طلب، ولا يفوته من هرب، فأقسم بالله يا بني أمية عما قليل لتعرفنا في أيدي غيركم، وفي دار عدوكم)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول مسلمة بن عبد الملك في الرواية التي تقول :

(إنه نظر عبد الله بن علي في الحرب إلى فتي عليه أبهة الشرف، وهو يحارب مستقتلاً، فناده :

- يا في لك الأمان، ولو كنت مروان بن محمد.

فقال :

- ألا أكنه فلست بدونه .

فقال :

- ولك الأمان ولو كنت من كنت.

فأطرق ثم أنشد :

لذل الحياة وكره الممات *** وكلاً أراه طعاماً وبيلاً

وإن لم يكن غير إحداهما *** فسير إلى الموت سيراً جميلاً

ثم قاتل حتى قتل :

ولقوله (عليه السلام):

((أنا كأت الدنيا لوجهها، وقادرها بقدرها، وناظرها بعينها)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول صاحب الزنج (8 / 128):

رأيت المقام على الاقتصاد *** فنوعاً به ذلة في العباد

إذا النار ضاق بهازندها *** ففسحتها في فراق الزناد

إذا صارم مرّ في غمده *** حوى غيره السبق يوم الجلال

وبما نسب إليه قوله (8 / 128):

ص: 230

وإذا تنازعني أقول لها: قري *** موت يريحك أو صعود المنبر

ماقد قضى سيكون مصطبري له *** ولك الأمان من الذي لم يقدر

ولقوله (عليه السلام):

((ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جسعي إلى تخير الأظعمة)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول حاتم بن عبد الله الطائي (228/16):

يا ابنة عبد الله وابنة مالك *** ويا ابنة ذي الجدين والفرس الورد

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له *** أكيلاً فإني لست آكله وحدي

قصياً بعيداً أو قريباً فإني *** أخاف مذمات الأحاديث من بعدي

كفى بك عاراً أن تبيت ببطنية *** وحوالك أكباد تحن إلى القدّ

وإني لعبد الضيف ما دام نازلاً *** وما من خلالي غيرها شيمة العبد

ص: 231

لقوله (عليه السلام):

((وقروا من الله إلى الله)). أي اهربوا إلى رحمة الله من عذابه .

استشهد ابن أبي الحديد بقول الفرزدق في مدح سعيد بن العاص 1/ 331 :

إليك فررت منك ومن زيادٍ *** ولم أحسب دمي لكم حلالاً

ولقوله (عليه السلام):

((أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه، ولن تقتلوه. إلا وإنه سيأمركم بسبّي والبراءة مني، فأما السب فسبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تبرؤوا مني؛ فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول كثير بن عبد الرحمن يمدح عمر بن عبد العزيز ويذكر قطعه السب (4/ 59-60):

وُليتَ فلم تشتم علياً ولم تخف *** برياً ولم تقبل إساءة مجرم

وكفرت بالعفو الذنوب مع الذي *** أثبت فأضحى راضياً كل مسلم

ص: 235

ألا إنما يكفي الفتى بعد زيغهِ *** من الأود البادي تِقافُ المقوم
ومازلت تواقاً إلى كل غاية *** بلغت بها أعلى العلاء المقدم
فلما أتاك الأمر عفوا ولم يكن *** لطالب دنيا بعده من تكلم
تركت الذي يفنى وإن كان بئداً *** وآثرت مايبقي برأي مصمم
وقول الرضبي (رحمه الله) (60/4):

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين *** فتى من أمية لبيكيتك
غير أنني أقول إنك قد صلت *** وإن لم يطب ولم يزك بيئتك
أنت نزهتنا من السب والقذ *** ف:فلو كان أمكن الجزاء جزيتك
ولو اني رأيت قبرك لاستح *** بيت من أرى وما حبيتك
وقليل لو أن بذلت دماء ال *** بدن صرفاً على الذرا وسقيتك
دير سمعان: منك مأوى أبي *** حفص بودي لوأني آويتك
دير سمعان: لا أعبك غيث *** خير ميت من آل مروان ميتك
أنت بالذكر بين عيني وقلبي *** إن تدانيت منك أو نأيتك
وإذا حرك الحشاخاطر منك *** توهمت أنني قد رأيتك
وعجيب إنني فليت بني مر *** وان طراً وإنني مامليتك
قرب العدل منك لمانأي الجو *** وربهم فاجتوتهم واجتبيتك
فلواني ملكت دفعاً لما نا *** بك من طارق الردي لفديتك
وقول النجاشي - شاعر أهل العراق بصفين - إذ كان مع صاحبه أبي

سحال الأسدى يشربان الخمر فى أول رمضان فجلده الإمام وأقامه فى سراويله للناس ومر به هند بن عاصم السلولى فطرح عليه مطرفاً فجعل الناس يملون به ويطرحون عليه المطارف، حتى اجتمعت عليه مطارف كثيرة، فمدح ابن سلول فقال (88/4):

إذا الله حيا صالحاً من عباده*** نقياً فحيا الله هند بن عاصم

وكل سلولى إذا ما دعوته*** وسريع إلى داعي العلا والمكارم

هم البيض أقداماً وديباج أوجه*** وجلوها إذا اسودت وجوه الملائم

ولا يأكل الكلب السروق نعالهم*** ولا يبتغي المنح الذي فى الجماجم

وقول أبى نصر بن نباتة، للشريف الجليل محمد بن عمر العلوى (111/4):

وأبوك الوصى أول من شاك*** د منار الهدى وصام وصلى

نشرت صلبه قريش فأعطت*** ه إلى صيحة القيامة فتلا

وقول ابن أبى الحديد لأبى المظفر هبة الله بن موسى الموسوى رحمه الله فى قصيدة يذكر فيها أباه (111-112/4):

أمك الدرلة التى أنجبت من*** جوهر المجد راضياً مرضياً

وأبوك الإمام موسى كظيم ال*** غيظ حتى بعيده منسيا

وأبوه تاج الهدى جعفر الصا*** دق وحيماً عن القلوب وحيّاً

وأبوه محمد باقر العلم*** مضى لنا هادياً مهدياً

وأبوه السجاد أتقى عباده*** الله مخلصاً ووفياً

والحسين الذي تخير أن *** يقضي عزيزاً ولا يعيش ديناً

وأبوه الوصي أول من طاف *** ولي سبعاً وساق الهديا

طامنت مجده قريش فأعطته *** إلى سدرة السماء رقيا

حملت صيته فطار إلى أن *** ملأ الأفق ضجةً ودويًا

وأبو طالب كفيل أبو القا *** سم كهلاً ويافعاً وفتيا

ولشيخ البطحاء تاج معدٍ *** شيبة الحمد هل علمت سميا

وأبوه عمرو العلاء هاشم الجود *** ومن مثل هاشم بشريا

وأبوه الهمام عبد مناف *** قل تقي صادقاً وتبدي بديا

ثم زيد أعني قصي الذي لم *** يك عن ذروة العلاء قصيًا

نسب إن ترفع النسب المحض *** كان السليب العريا

وإذا أظلمت مناسخة الأنس *** ساب يوماً كان المنير جليا

يا له مجدة على قدم الدهر *** وقد يَفْصَلُ العقيق الطريا

وقول حسان بن ثابت (123/4):

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقةٍ *** فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها *** بعد النبي وأوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده *** وأول الناس منهم صدق الرسلا

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد *** طاف العدو به إذ صعدوا الجبلا

وكان جدّ رسول الله قد علموا *** من البرية لم يعدل به رجلا

وقول أبي محجن الثقفي (124/4):

وسميت صديقاً وكل مهاجر *** سواك يسمي باسمه غير منكر

سبقت إلى الإسلام والله شاهد *** وكنت جلياً بالعرش المشهر

وبالغار إذ سميت خلاً وصاحباً *** وكنت رفيقاً للنبي المطهر

وقول أحد شعراء الإمامية في الإمام علي (عليه السلام) (7/5-8):

إذا كنتم ممن يروم لحاقه *** فهلا برزتم نحو عمرو ومرحب

وكيف فررتم يوم أحد وخيبر *** ويوم حنين مهرباً بعد مهرب

ألم تشهدوا يوم الإخاء وبيعة الـ *** غدير وكل حُضْر غير عُيْبِ

فكيف غدوا صنو النفيلين ويحه *** أميراً على صنو النبي المرجبِ

وكيف علا من لا يطا ثوب أحمد *** على من علا من أحمد فوق منكب

إمام هدى ردت له الشمس جهرة *** فصلى أداءً عصره بعد مغرب

ومن قبله أفنى سليمان خيله *** رجاء فلم يبلغ بها نيل مطلب

يجل عن الأفهام كنه صفاته *** ويرجع عنه الذهن رجعة أخيب

فليس بيان القول عنه بكاشف *** ولا فصل الخطاب بمعرب

وحق لقبر ضم أعضاء حيدر *** وغودر منه في صفيح معيب

يكون ثراه سرق قدس ممنع *** وحصباؤه من نور وصي محجب

وتغشاه عن نور الإله غمامة *** تفاديه من قدس الجلال بصيب

وتنقض أسراب النجوم عواكفاً *** على حجرتيه كوكب بعد كوكب

فلولاك لم ينجُ ابن متي ولا خبا*** سعيبر لإبراهيم بعد تلهب

ولا فلق البحر ابن عمران بالعصا*** ولا فرت الأحزاب عن أهل يثرب

ولا قبلت من عابد صلواته*** ولا غفر الرحمن زلة مذنب

ولم يغلُ فيك المسلمون جهالة*** ولكن لسرّ علاك مغيب

ويقول: أن بكرياً وشيعياً تجادلا، واحتكما إلى بعض أهل الذمة؛ ممن لا هوى له مع أحد الرجلين في التفضيل فأشد (9/5):

كم بين من شك في عقيدته*** وبين من قيل أنه الله

وإشارة الشريف الرضي إلى أم فروة زوجة الإمام الباقر (عليه السلام) وأم الإمام الصادق (عليه السلام) فقال (54/6):

يفاخرناقوم بمن لم نلدهم*** بتيم إذا عدّ السوابق أو عدي

وينسون من لو قدموه لقدموا*** عذار جواد في الجياد مقلد

فتى هاشم بعد النبي وباعها*** المرمى علا أونيل مجد وسؤدد

ولولا علي ماعلو سرواتها*** ولا جعجعوا فيها بمرعي ومورد

أخذنا عليكم بالنبي وفاطم*** طلاع المساعي من مقام ومقعد

وطلنا بسبطي أحمد ووصيه*** رقاب الوري من متهمين ومنجد

وحزنا عتيقاً وهو غاية فخرهم*** بمولد بنت القاسم بن محمد

فجدّ نبي ثم جدّ خليفة*** فإكرم بجدينا: عتيق وأحمد

وما افتخرت بعد النبي بغيره*** يدّ صفتت يوم البياع على يد

وقول قيس بن الرقيات في بني العباس (7/139):

فأنتموا من بني أمية إلا*** أنهم يحلمون إن غضبوا

وإنهم معدن الملوك فما*** تصلح إلا عليهم العرب

وبالرواية التي تقول : لما صعد السفاح منير الكوفة يوم بيعته وخطب الناس، قام إليه السيد الحميري فأنشد (7/158

:(

دونكموها يا بني هاشم*** فجددوا من أيها الطامسا

دونكموها لاعلاكوب من*** أمسى عليكم ملكها نافسا

دونكموها فالبسوا تاجها*** لا تعدموا منكم له لابسا

خلافة الله وسلطانه*** وعنصر كان لكم دارسا

قد ساسها من قبلكم ساسة*** لم يتركوا رطباً ولا يابساً

لوخير المنبر فرسانه*** ما اختار إلا منكم فارسا

والملك لو شور في سائس*** لما ارتضى غيركم سائسا

لم يبق عبد الله بالشام من*** إلى أبي العاص امرء عاطسا

فلست من أن تملكوها إلى*** هبوط عيسى منكم آيسا

ولقوله (عليه السلام):

((إن أكرم الموت القتلى، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش من غير طاعة الله!)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول المتنبي في سيف الدولة (7/300-301):

ص: 241

يكلف سيف الدولة الجيش همّه *** وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم

ويطلب عند الناس ما عند نفسه *** وذلك ما لا تدعيه الضراغم

وقول ابن أبي الحديد وهو يمدح الوزير العباسي مؤيد الدين محمد بن أحمد بن العلقمي بعد انتصاره على جيوش التتار قال فيها (8/242-243):

أبقى لنا الله الوزير وحاطه *** بكتائب من نصره ومقانب

وامتد وارف ظله لنزيله *** وصفت متون غديره للشارب

يا كاليء الإسلام إذ نزلت به *** فرعاء تشهق بالنحيع السالب

في خطة بهماء ديمومية *** لا يهتدي فيها السُّليك للاحب

لا يمتطي سلساتها مرهوبة *** إلا بساس جلق لا تدر لعاصب

فرجت غمرتها بقلب ثابت *** في حملة ذعري وقلب ثاقب

ما غبت ذاك اليوم عن تديرها *** كم حاضر يُعصي بسيف الغائب

عُمر الذي فتح العراق وإنما *** سعد حسام في يمين الضارب

أثنى عليك ثناء غير موارد *** وأجيد فيك المدح غير مراقب

وأنا الذي يهواك حبا صادقا *** متقادماً ولرب حب كاذب

حبا ملأت به شعاب جوانحي *** يفعأ، وها أنا ذو عذار شائب

إن القريض وإن أعب متيم *** بكم وربّ مجانب كمواضب

ولقد يخالصك القصي وربما *** يمني بود محاذق متقارب

سدت مسالكها هموم جعجعت *** بالفكر حتى لا يبصّر لحالب

ومن العناء مغلب في حظه*** يبغى مغالبة القضاء الغالب

وبالرواية التي تقول : لما بني عثمان داره بالمدينة فتوافد الناس عليه فخطب فيهم مبرراً ببناء الدار وكان في خطبته يغمز علياً (عليه السلام) وعندما انتهى من خطبته قام عدي بن الخباز فألقى خطبة أشاد بعثمان إلى أن قال : فعلام يقدمون عليك وهذا رأيهم فيك. أنت والله كما قال الأول (9/7-8) :

إذهب إليك فما للحسود*** إلا طلابك تحت العثار

حكمت فما جرت في خلة*** فحكمتك بالحق بادي المنار

فإن يسبعوك فرآ وقد*** جهرت بسيفك كل الجهار

وقول أبي طالب يمدح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (11/116):

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه*** ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يطيف به الهلاك من آل هاشم*** فهم عنده في نعمة وفواضل

ولقوله (عليه السلام):

((لله بلاء فلان؛ فلقد قوم الأود، وداوى العمد، وأقام السنّة، خلف الفتنة، ذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها، وسبق شرها.

أدى إلى الله طاعته، واتقاه بحقه، وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي بها الضال، ولا يستيقن المهتدي)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول زهير بن أبي سلمى (12/3-252):

لو كان يقدر فوق الشمس من كرم*** قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

ص: 243

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم *** طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

أنس إذا أمنوا، جن إذا فرعوا *** مرزؤون بهاليل إذا جُهدوا

محسدون على ما كان من نعمٍ *** لا ينزع الله منهم ما لهم حسدوا

ولقوله (عليه السلام) عندما طلب المشركون من الرسول (صلى الله عليه وآله) أن تقتلع الشجرة فتأتي إليه ثم أن يلتف غصنها عليه ثم لينحسر عنه (صلى الله عليه وآله) :

((لا-إله إلا-الله ؛ إني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من أقر بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوتك؛ وإجلالاً لكلمتك)).

فقال القوم كلهم :

- بل ساحر كذاب، عجيب السحر، خفيف فيه، فهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا.

يعنوني وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيماهم سيماء الصديقين، وكلامهم كلام الأبرار؛ عمار الليل، ومنار النهار، متمسكون بحبل القرآن يحيون سنن الله وسنن رسوله، لا يستكبرون ولا يستعلون، ولا يغفلون ولا يفسدون، قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل)) (213 / 13):

استشهد ابن أبي الحديد بقول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مجيباً الوليد بن عقبة بن أبي معيط (213 / 13):

وإن ولي الأمر بعد محمد *** علي وفي كل المواطن صاحبه

وصي رسول الله حقا وصنوه*** وأول من صلّى ومن لان جانبه

وقول خزيمة بن ثابت (213/3):

وصي رسول الله من دون أهله*** وفارسه مذ كان في سالف الزمان

وأول من صلّى من الناس كلهم*** سوى خيرة النسوان والله ذو منن

وقول أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس حين بويع أبو بكر (232/13):

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف*** عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

أليس أول من صلّى لقبلتهم*** وأعلم الناس بالأحكام والسنن

وقول أبي الأسود الدؤلي يهدد طلحة والزبير (232/13):

وإن علياً لكم مضمّر*** يماثله الأسد الأسود

أما أنه أول العابدين*** بمكة والله لا يُعبد

وقول سعيد بن قيس الهمداني يرتجز بصفين (232/13):

هذا علي وابن عم المصطفى*** أول من أجابه فيما روى

هو الإمام لا يبالى من غوى

وقول زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدي (323/13):

فحوطوا علياً فأنصروه فإنه*** وصي وفي الإسلام أول أول

وإن تخذلوه والحوادث جمّة*** فليس لكم عن أرضكم متحول

وبما روي أن أبا طالب فقد النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يوماً، وكان

يخاف عليه من قريش أن يغتالوه، فخرج ومعه ابنه جعفر يطلبان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فوجده قائماً في بعض شعاب مكة يصلي، وعلي (عليه السلام)، معه عن يمينه، فلما رآهما أبو طالب، قال لجعفر: تقدم وصل جناح ابن عمك.

فقام جعفر عن يسار محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما صاروا ثلاثة تقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتأخر الأخوان، فبكى أبو طالب، وقال (299):

إن علياً وجعفرأ تقتي *** عند ملم الخطوب والنّوب

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما *** أخي لأمي من بينهم وأبي

والله لا أخذل النبي ولا *** يخذله من بنيّ ذو حسب

ولقوله (عليه السلام)، من كتاب له إلى معاوية:

((إسلامنا سُمع، وجاهلتنا لا تُدفع، وكتاب الله يجمع لنا ماشد عنا، فنحن مرة أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول مطرود الخزاعي يمدح هاشماً، وكان يقال لهاشم (القمر) (15/182-200):

إلى القمر الساري المنير دعوته *** ومطعمهم في الأزل من قمح الجزر

وقول ابن الزبيري (15/200):

كانت قريش بيضة فتفلقت *** فالمنح خالصة لعبد مناف

الرائشون وليس يوجد رائش *** والقائلون هلمّ للأضياف

ص: 246

عمرو العلاء هشم الثريد لقومه*** ورجال مكة مسنتون عجاف

وقول مطرود الخزاعي في مدح عبد المطلب ولقبه شيبية الحمد (200/15):

ياشيبية الحمد الذي تشي له*** أيامه من غير ذخير الذاهر

المجد ما حجت قريش بيته*** ودعا هذيل فوق عض ناصر

والله لا أنساكم وفعالكم*** حتى أغيب في سقاة القابر

وقول حذافة بن غانم العدوي وهو يمدح أبا لهب، ويوصي ابنه خارجة ابن حذافة بالانتماء إلى بني هاشم (200/15-201):

أخرج أما أهلكن فلا تزل*** لهم شاكرًا حتى تغيب في القبر

بني شيبية الحمد الكرم فعالة*** يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

بساقى الحجيج ثم للشيخ هاشم*** وعبد مناف ذلك السيد الغمر

أبو عتبة الملقى إليّ جواره*** أغرهجان اللون من نفر غر

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا*** به جمع الله القبائل من فهر

وقول العبدى حين احتفل في الجاهلية فلم يترك (201/15):

لا ترى في الناس حياً مثلنا*** ما خلا أولاد عبد المطلب

وقول الشاعر (201/15):

إنما عبد مناف جوهر*** زين الجوهر عبد المطلب

وقول حذافة العذري يمدح بني هاشم (214/15):

كهولهم خير الكهول ونسلهم*** كنسل الملوك لا يبور ولا يجري

ملوك وأبناء الملوك وسادة*** تفلق عنهم بيضة الطائر الصقر

متى تلق منهم طامحا في عنانه*** تجده على إجراء والده يجري

هم ملكوا البطحاء مجداً وسودداً*** وهم نكلوا عنها غوان بني بكر

وهم ينكرون الذنب ينقم مثله*** وهم تركوا رأي السفاهة والهجر

أخرج أما أهلكن فلا تزل*** لهم شاكرأ حتى تغيب في القبر

وقول النابغة الذبياني يمدح ناساً (244/15):

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل*** بملتقطات لا ترى بينها فضلا

شفي وكفى ما في النفوس ولم يدع*** لذي إربة في القول جداً ولا هزلاً

وقول عبد الله بن كثير السحمي - يرد على عبد الله القسري والي مكة وكان إذا خطب بها لعن علياً والحسين عليهما السلام (256/15):

لعن الله من يسب علياً*** من سوقة وإمام

أيسب المطهرون جدوداً*** والكرام الآباء والأعمام

يأمن الطير والحمام ولا يأ*** من آل الرسول عند المقام

طبت بيتاً وطاب أهلك أهلاً*** أصل بيت النبي والإسلام

رحمة الله والسلام عليهم*** كلما قام قائم بسلام

وقول الشاعر خالد بن أسيد بن أمية (259/19):

إلى خالد حتى أنخنا بخالد*** فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

وقول موسى شهوات سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد

أبا خالد أعني سعيد بن خالد*** أخوا العرف لا أعني ابن بنت سعيد

ولكنني أعني ابن عائشة الذي*** أبو أبيه خالد بن أسيد

عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى*** فإن مات لم يرض الندى بعقيد

وقول عبد الله بن قيس الرقيات (15/259-260):

ما تقموا من أمية إلا*** أنهم يحلمون إن غضبوا

وإنهم معدن الملوك فما*** تصلح إلا عليهم العرب

وقول نصيب (15/260):

من نفر الشح الذي إذا انتجوا*** أقرت لنجواهم لؤي بن غالب

يحيون بسامين طوراً وتارة*** يحيون عباسين سوى الحواجب

وقول الأخطل (15/260):

شمس البداوة حتى يستقام لهم*** وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

وقول الكميت بن زيد (15/260):

فالآن صرن إلى أمية*** والأمور لها مصاير

وقول أبي الجهم العددي في معاوية (15/260):

نقلبه لنخبر حالتيه*** فنجر منهما كراماً ولينا

نجيل على جوانبه كأننا*** إذا ملنا نسير على أيينا

وقول علي بن بسام في ابن المعتز (15/288):

لله درك من ميت بمضيعة*** ناهيك في العلم والأشعار والخطب

مافيه لوّ ولا لولا لولا فتقصه*** وإنما أدركته حرفة الأدب

ولقوله (عليه السلام): ((وخذ على عدوك بالفضل فإنه أحد الظفرين)).

استشهد ابن أبي الحديد بقوله هو في أحمد بن محمد أمير البحرين على البر (109/16):

يا أحمد بن محمد أنت الذي*** علقت يده بأنفس الأعلاق

ما أمّلت بغداد قبل أن ترى*** أبداً ملوك البحر في الأسواق

ولها عليها غيرة وتنافسوا*** شغفائها كتنافس العشاق

وغدت صلاتك في رقاب سراتهم*** ونداك كالطواق في الأعناق

بسديد رأيك أصلحت جمحاتهم*** وتألفوا من بعد طول شقاق

لله همّة ماجد لم تعلق*** بسحيل آراء ولا أحذاق

جلب السلاح من أراك وبعدها*** جلب المراكب من جزيرة واق

هذا العدا هو العدا فعّد عن*** قول بن حجر لؤي وعناق

وأظنه والظن علم أنه*** سيجيننا بمحالك الآفاق

أما أسير صنيعه في جیده*** بالجود غل أو أسير وثاق

لازال في ظل الخليفة ماله*** فان، وسؤدده المعظم باق

ولقوله (عليه السلام)، من كتاب له إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة:

((فأقم على ما في يدك قيام الحازم الطيب، والناصح اللبيب، التابع لسلطانه، المطيع لإمامه.

وإياك وما يعتذر منه، ولا تكن عند النعماء بطراً، ولا عند البأساء فشلاً)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول داود بن مسلم في قُثم (141 / 16) :

عقمت من حلٍ ومن رحلةٍ *** يا ناق إن أدنيتي من قُثم

إنك إن أدنيت منه غداً *** حالفني اليسر ومات العدم

في كفه بحروفي وجهه *** يدور في العرنين منه شمم

أصم عن قيل الخنا سمعه *** وما على الخير به من صمم

لم يدر ما لله لالله وباللّه لا لله قد درى *** نعاتها فاعتاض منها فعم

ولقوله (عليه السلام):

((ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك، ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبان بن الحميد اللاهقي في سوار بن عبد الله القاضي (65 / 17) :

لا تقدح الظنة في حكمه *** شيمته عدل وانصاف

يمضي إذا لم تلقه شبهة *** وفي اعتراض الشك وقاف

ولقوله (عليه السلام): ((فلا تطولن احتجاجك عن رعيّتك، فإن احتجاج الولاية عن الرعية شعبة

من الضيق، وقلة علم بالأمر)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول بشار (95 / 17):

تأبى خلائق خالد وفعاله*** إلا تجنب كل أمر عائب

وإذا أتينا الباب وقت غدائه*** أدنى الغداء لنا برغم الحاجب

وقول الشاعر بشر بن مروان (95 / 17):

بعيد مراد الطرف وارد طرفه*** حذار الغواشي باب دار ولا ستر

ولو شاء بشر كان من دون بابه*** طماطم سود أو صقالبة حمر

ولكن بشر يستر الباب للتي*** يكون لها في غيرها الحمد والأجر

وقول إبراهيم بن هرمة (96 / 17):

هسُّ إذا نزل الوفود ببابه*** سهل المجاب مؤدب الخدام

وإذا رأيت صديقه وشقيقه*** لم تدر أيهما ذوي الأرحام

وقول أبي زيد يمدح الوليد بن عقبة ويتألم لفراقه حين عزل عن الكوفة (237 / 17):

لعمري لأن أمسى الوليد ببلدة*** سواء لقد أمسيت للدهر معورا

خلا أن رزق الله غاد ورائح*** وإني له راج وإن سار أشهرها

وكان هو الحصن الذي ليس مسلمي*** ذا أنا بالنكراء هيجت معسرا

إذا صادفوا دوني الوليد فإنما*** يرون جوادي ذي حماس مزعفرا

خضيب بنان ما زال براكب*** يخب وضاحي جلده قد نقشرا

ص: 252

وقال أيضاً فيه (237-236/17) :

لعمر أبيك يا ابن أبي مريّ *** لغيرك من أباح لنا الديارا

أباح لنا أبارق ذات قور *** ونرعى القف منها والقفارا

بحمد الله ثم فتى قريش *** أبي وهب بدناً غزارا

فتى طالت يدها إلى المعالي *** وطحطحة المجذمة القصارا

وقوله فيه أيضا يذكر نصره على مري بن أوس بن حارثة (237/17):

ياليت شعري بأنباء انبوها *** قد كان يعني بها صدري وتقديري

عن امريء ما يزيد الله من شرف *** أفرح به ومري غير مسرور

إن الوليد له عندي وحق له *** ود الخليل ونصح غير مذخور

لقد دعاني وأدناني وأظهرني *** على الأعادي بنصر غير تقرير

وشذب القوم عني غير مكترث *** حتى تناهوا على رغم وتصغير

نفسي فداء أبي وهب وقلّ له *** يا أم عمر فحلي اليوم أو سيري

ولقوله (عليه السلام):

((العلم وارثه كريمة، والآداب حلال مجددة، والفكر مرآة صافية)).

استشهد ابن أبي الحديد بما حدث سعيد بن خالد الجدي قال :

- لما قدم عبد الملك الكوفة بعد قتل مصعب دعا الناس يعرضهم عن فرائضهم، فحضرنا بين يديه، فقال : من القوم؟ قلنا : جديلة، قال :

جديلة عدوان؟ قلنا نعم، فأنشد (95/18):

ص: 253

عذيري الحي من عدوا*** وكانوا حية الأرض

يفي بعضهم بعضاً*** فلم يرعوا على بعض

ومنهم كانت السادا***ت والموفون بالقرض

ومنهم حكم يقضي:*** فلا ينقضي ما يقضي

ومنهم من يجيز الناء***س بالسنة والقرض

ثم أقبل على رجل منا وسيم جسيم قدمناه أمامنا، فقال :

أيكم يقول هذا الشعر؟

قال :

- لا أدري.

فقلت أنا من خلفه .

- يقوله ذو الأصبع،

فتركني وأقبل على ذلك الرجل الجسيم،

فقال :

ما كان اسم ذي الأصبع؟

قال :

- لا أدري.

فقلت أنا من خلفه :

- اسمه خرثان. فتركني وأقبل عليه فقال له :

ص: 254

ولم سمي ذا الأصبع؟

قال :

- لا أدري.

فقلت أنا من خلفه :

- نهشته حية في أصبعه ،

فتركني وأقبل عليه،

فقال :

من أيكم كان؟

فقال :

- لا أدري.

فقلت أنا من خلفه :

- من بني تاج الذي يقول الشاعر فيهم :

فابنو تاج فلا تذكرنهم*** ولا تتبعن عينك من كان هالكا

فأقبل على الجسيم فقال :

كم عطاؤك؟

فقال :

- سبع مئة درهم، فأقبل عليّ وقال :

وكم عطاؤك أنت؟

ص: 255

قلت : أربع مئة.

فقال :

- يا أبا الرعيزعة، حط من عطاء هذا ثلاث مئة وزدها في عطاء هذا.

فرحت وعطائي سبع مئة وعطاؤه أربع مئة.

ولقوله (عليه السلام):

((وصدر العاقل صندوق سره، والبشاشة حباله المودة والاحتمال قبر العيوب)).

استشهد بقول البحري (98/18):

لو أن كفك لم تجد لمؤمل *** لكفاه عاجل بشرك المتهلل

ولو أن مجدك لم يكن متقادماً *** أغناك آخر سؤدد عن طول

أدركت ما فات الكهول من الحجا *** من عنفوان شبابك المستقبل

فإذا أمرت فلا يقال لك اتند *** وإذا حكمت فما يقال لك اعدل

ولقوله (عليه السلام):

((إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه)).

استشهد ابن أبي الحديد بالحكاية التي تقول :

((ضل الأعشى طريقه فظفر به علقمة بن علاقة فقال :

- الحمد لله الذي أظفرتني بك من غير ذمة ولا عقد.

قال الأعشى :

ص: 256

أتدري لم ذاك جعلت فداك؟

قال :

- نعم، لأنتقم اليوم منك بتقولك على الباطل مع إحساني إليك. ثم قال :

- لا والله، لكن أظفرك الله ليبلو قدر حلمك فيّ.

فأطرق علقمة فاندفع الأعشى فقال (11 / 18):

أعلقم صيرتني الأمور *** إليك وما كان بي منكص

كساكم علاقة أثوابه *** وورثكم حلمه الأحوص

فهب لي نفسي فدوك النفوس *** فلازلت تُتَمي ولا تنقص

ولقوله (عليه السلام):

((إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أفصاها بقلة الشكر)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي نواس (116 / 18):

قد قلت للعباس معتذراً *** من ضعف شكري ومعتزفاً

أنت امرؤ حملتني ذمماً *** أوهت قوي شكري فعد ضعفاً

فإليك عني اليوم معذرة *** جاءتك بالتصريح منكشفاً

لا تسدين إلي عارفة *** حتى أقوم بشكر ما سلفاً

ويقول البحثري (116 / 18) :

فإن أنا لم أشكر لنعمائك جاهداً *** فلا نلت نعمي بعدها توجب الشكرا

وقوله أيضاً (117 / 18) :

ص: 257

سأجهد في شكري لنعمائك إنني *** أرى الكفراء للنعماء ضرباً من الكفرا

وقول أبي الفتح البستي 117/18

لا تظنن بي وبرك حيي *** إن شكري وشكرغيري موات

أنا أرض وراحتك سحاب *** والأيادي وبل وشكري بنات

وقوله أيضاً 117/18

وخبر لما أوليت شكري ساجداً *** ومثل الذي أوليت يعبده الشكر

وقول ابن أبي طاهر (117/18):

أراك بعين المكتسي ورق الفني *** بالائك اللاتي يعددها الشكر

ويعجبني فقري إليك ولم يكن *** ليعجبني لولا محبتك الفقر

وقول آخر (117/18):

بدأت بمعروف وثبت بالرضا *** وثلت بالحسنى وربعت بالكرم

وباشرت أمري واعتنيت بحاجتي *** وأخرت (لا) عني وقدمت لي (نعم)

وصدقت لي ظني وأنجزت موعدتي *** وطبت به نفساً ولم تشيع الندم

فإن نحن كافأنا بشكر فواجب *** وإن نحن قصرنا فما الود متهم

ولقوله (عليه السلام):

((لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول رجل مدح المهلب (163/18):

نعم أمير الرفقة المهلب *** أبيض وصّاح كتيس الحلب

ص: 258

فقال المهلب :

- حسبك رحمك الله .

ولقوله (عليه السلام):

((الشفيع جناح الطالب)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول رجل جاء المبرد يستشفع به في حاجة (18/ 204) :

إني قصدتك لا أدلي بمعرفةٍ*** ولا بقربي ولكن فشت نعمك

فبت حيران مكروباً يؤرقني*** ذل الغريب ويغشيني الكرى كرمك

ولو هممت بغير العرف ما علقته*** به يداك ولا انقادت به شيمك

ما زلت أنك حتى زلزلت قدمي*** فاحتل لتثيتها لا زلزلت قدمك

ولقوله (عليه السلام)، وهو يجيب شامياً لما سأله :

- كان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدره.

((ويحك! لعلك ظننت قضاءً لازماً، وقدرًا حاتماً، لو كان ذلك كذلك، لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعد)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشامي (18/ 228) :

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته*** يوم النشور من الرحمن رضواناً

أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً*** جزاك ربك عنافيه إحساناً

ولقوله (عليه السلام)، وقد سئل عن قريش :

ص: 259

((أما بنو مخزوم فريحانة قريش، تحبُّ حديث رجالهم، والنكاح في نسائهم، وأما بنو عبد شمس فأبعدها رأياً، وأمنعها لما وراء ظهورها، وأما نحن فأبذل لما في أيدينا وأسمح عند الموت بنفوسنا وهم أكثر وأمكر وأنكر، ونحن أفصح وأنصح وأصبح)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الحطيئة وهو يمدح بني أنف الناقة (286/18):

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم*** ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

وقول ابن غزالة الكندي، وهو يمدح بني شيبان ولم يكن في موضع رغبة إلى بني مخزوم ولا في موضع رهبة (

:286/18)

كأنني إذا حطت الرحل فيهم*** بمكة حين حل بها هشام

وقول رجل من بني جزم أحد بني سلمى، وهو يمدح حرب بن معاوية الخفاجي، وخفاجة من بني عقيل (287-286/18):

إلى حزن الحزون سمت ركابي*** بوابل خلفها عسلان جيش

فلما أن أنخت إلى ذراه...*** أمنت فراشتي منه بريشي

توسط بينه في آل كعب*** كبت بني مغيرة في قريش

وقول عبد الرحمن بن حسان لعبد الرحمن الحكم (287/18):

مارست أكيس من بني قحطان*** صعب الذرى متمنع الأركان

إني طمعت بفخر من لورامه*** آل المغيرة أو بنو ذكوان

لملأتها خيلاً تنضب لثاتها*** مثل الدبا وكواسر القصبان

ص: 260

منهم هشام والوليد وعدلهم*** وأبو أمية مفزع الركبان

وقول علي بن هرمة، عم إبراهيم بن هرمة (288/18) :

من يرتني مدحي فإن مدائحي*** توافق عند الأكرمين سوام

نوافق عند المشتري الحمد بالندي*** لفاق نبات الحرث بن هشام

وقول الأسود بن يعفر النهشلي (289/18) :

إن الأكارم من قريش كلها*** شهدوا فراموا الأمر كل مرام

حتى إذا كثر التجادل بينهم*** حزم الأمور الحارث بن هشام

وقول شاعر من بني هوازن، أحد بني أنف الناقة حين سقى إبله عبد الله بن أبي أمية المخزومي بعد أن منعه الزبرقان بن بدر (290/18) :

أتدري من منعت سيال حوض*** سليل خضارم منعوا البطاحا

أزاد الركب تمنع أم هشاماً*** وذا الرمحين أم نعمهم سلاحا

هم منعوا الأباطح دون فهر*** ومن بالخيف والبلد الكفاحا

بضرب دون بيضهم طَلْحَفٍ*** إذا الملهوف لاذ بهم وصاحا (27)

وماتدري بأيهم تلاقي*** دور المشرفية والرماحا

وقول عبد الله بن أمية مجيباً له (290/18) :

لعمري لأنت المرء يحسن بادياً*** وتحسن عود أشيمة وتصنعا

عرفت لقوم مجدهم وقديمهم*** وكننت لما أسديت أهلاً وموضعا

وقول خداهش بن زهير في يوم شمطة وهو أحد أيام الفجار، وهو عدو قريش

وخصمها (293 /18) :

وبلغ إن بلغت بن هشاماً*** وذا الرمحين بلّغ والوليدا

أولئك إن يكن في الناس جود*** فإن ل ديهم حسباً وجودا

هم خير المعاشر من قريش*** وأوراها إذا قدحوا زنودا

وقوله أيضاً، وذكرها في تلك الحروب (294 /18) :

يا شدة ما شددنا غير كاذبة*** على سخينة لولا الليل والحرم

إذا ثقفنا هشاماً بالوليد ولو*** أنا ثقفنا هشاماً ثالث الجذم

وقول الزعيري - وقد ذكرهم في تلك الحروب أيضاً - (294 /18)

ألا لله قوم ولدت*** أخت بنى سهم

هشام وأبنوعبد*** مناف مدرة الخصم

وذو الرحمين أشباك*** من القوة والحزم

فهذان يذودان*** وذا عن كذب يرمي

وهم يوم عكاظ منع*** عوا الناس من الهزم

بجأواء طحون فخم*** سة القوس كالنجم

أسود تزدهى الأقران*** ن مناعون للهضم

فإن أحلف وبيت الله*** لا أحلف على الإثم

وما من إخوة بين*** دروب الشام والردم

بأزكى من بنى ربيعة*** أو أرزن من حلم

وقول الزعبري يمدح أبا جهل (295 / 18) :

رب نديم ماجد الأصل *** مهذب الأعراض والنجل

منهم أبو عبد مناف وكم *** سریت بالضحخ على العدل

عمرو الندى ذاك وأشاعه *** ما شئت من قول ومن فعل

وقول الورد بن خلاس السهمي، سهم باهله يمدح الوليد (295 / 18) :

إذا كنت في حبي جذيمة شادياً *** فعند عظيم القريتين وليد

فذاك وحيد الرأي مشترك الندى *** وعصمة ملهوف الجنان عميد

وقوله أيضاً (295 / 18) :

إن الوليدين والأبناء ضاحية *** رباً تهامة في الميسور والعسر

هم الغياث وبعض القوم فرقة *** عز الذليل وغيظ الحاسد الوغر

وقوله أيضاً (295 / 18) :

ورهلك يا ابن الغيث أعظم محتد *** وأمنع للجار اللهيف المَهْظَم

وقول لبید بن ربیعة في حذيفة بن بدر (295 / 18) :

وأهلكن يوماً رب كندة وابنه *** ورب معدّ بين خبت وععر

وقول الأقيشر الأسدي في المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (303 / 18) :

أتاك البحر طمّ على قريش *** معيرتي فقد راع ابن بشر

وراع الجددي جدي التيم لَمَّا *** رأى المعروف منه غير نزر

ومن أوتار عقبة قد شفاني *** ورهط الحاطبي ورهط صخر

فلا يغرك حسن الزي منهم *** ولا سرح بيزبونٍ ونمر

وقول شاعر يمدح خالد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن العاص بن هشام بن المغيرة، إذ كان جواداً متلاًفاً (305/18) :

لعمر وك المجد ما عاش خالد *** على العمر من ذي كبدة لمقيم

وتندى البطاح اليد من جود خالد *** ويُحصن حتى بنهن عظيم

ولقوله (عليه السلام):

((احلفوا الظالم إذا أردتم يمينه بأنه بريء من حول الله وقوته، فإنه إذا حلف بما كاذباً عوجل، وإذا حلف بالله الذي لا إله إلا هو لم يعاجل، لأنه قد وحّد الله سبحانه وتعالى)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول عبد الله بن مصعب بن الزبير يمدح محمداً بن عبد الله ويحرضه للوثوب والنهوض للخلافة (92-93/19):

لا عز ركننا نزار عند سطوتها *** إن أسلمتاك ولا ركناً ذو يمن

ألست أكرمهم عوداً إذا انتسبوا *** يوماً وأطهرهم ثوباً من الدرن

وأعظم الناس عند الناس منزلة *** وأبعد الناس من عيب ومن وهن

قوموا ببيعتمكم نهض بطاعتها *** إن الخلافة فيكم يا بني حسن

إننا لنا من أن تترد الفتنة *** بعد التدابر والبغضاء والإحن

حتى يثاب على الإحسان محسناً *** ويأمن الخائف المأخوذ بالدمن

وتتقضي دولة أحكام قاداتها*** فينا كأحكام قوم عابدي وثن

فطالما قد بروا بالجور أعظمتنا*** بري الصناعات قدام النبع بالسفن

ولقوله (عليه السلام):

((إذا أملتكم فتاجروا الله بالصدقة)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أحد شعراء الشيعة يذكر إعادة الشمس عليه (عليه السلام) (101 / 19) :

جاد بالقرص والطوى ملء جنبه*** وعاف الطعام وهو سغوب

فأعاد القرص المنير عليه ال*** قرص والمقرض الكرام كسوب

إذ جاء في الأثر أن علياً (عليه السلام) عمل ليهودي في سقي نخل له في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمد من شعير فخبزه قرصاً، فلما هم أن يفطر عليه، أتاه سائل يستطعم، فدفعه إليه، وبات طاوياً وتاجر إلى الله بتلك الصدقة

ولقوله (عليه السلام):

((إن الرجل إذا كان له الديف الظنون يجب عليه أن يزكيه لما من قبضه)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الأعشى (112 / 19) :

من يجعل الجد الظنون الذي*** جُنّب صوب اللجب الماطر

مثل الفراتي إذا ما طمى*** يقذف بالبوصي والماهر

ولقوله (عليه السلام):

((نعم الطيب المسك، خفيف محمله، عطر ريحه)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري (343 / 19) :

أطيب الطيب طيب أم أبان*** فأر مسك بعنبر مسحوق

خلطته بعودها وبيان*** فهو أحوى على اليدين شريق

وقول الشاعر يمدح عمر بن عبد العزيز، إذ كان يجعل المسك بين قدميه ونعله (343 / 19) :

له نعلٍ لا تطبي الكلب ريحها*** وإن وضعت في مجلس القوم شمّت

ولقوله (عليه السلام):

((إن للوالد على الولد حقاً، وإن للولد على الوالد حقاً، فحق الوالد على الولد أن يطيعه في كل شيء إلا في معصية الله سبحانه، وحق الولد على الوالد أن يحسن اسمه، ويحسن أدبه، ويعلمه القرآن)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول المعري يمدح الرضي والمرضى رحمهما الله (367 / 19) :

أنتم ذوو النسب القصير فطولكم*** باد على الكبراء والأشراف

والراح أن قبل ابنه العنب اكتفت*** بأبٍ عن الأسماء والأوصاف

ولقوله (عليه السلام):

((ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول كثير بن ع-د الرحمن، وهو يذكر محمد بن

الحنفية عندما حجزه وقوم معه في شعب عارم (102/20-104):

ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى*** من الناس يعلم أنه غير ظالم

سمي المصطفى وابن عمه*** وحمال أثقال وفكاك غارم

تجر من لاقيت أنك عائد*** بل العائد المحبوس في سجن عارم

ولقوله (عليه السلام) في مدح الأنصار:

((هم والله ربوا الإسلام كما يرى القلث مع غنائهم، بأيديهم السياط، وألسنتهم السلاط)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الوزير المغربي إذ وجد بخطه وهو يمدح الأنصار

إن الذي أرسى دعائم أحم*** وعلا بدعوته على كيوان

ابناء قبيلة وارثوا شرف العلاء*** وعراعر الأقيال من قحطان

بسوفهم يوم الوغى وأكفهم*** ضربت مصاعب ملكه بجران

لولا مصارعهم وصدق قراعهم*** خرّت عروش الدين للأذقان

فليشكرن محمد أسيف من*** لولاه كان الخالد بن سان

ولقوله (عليه السلام): من كتاب له إلى معاوية (15/181):

((وزعمت أن أفضل الناس عند الله فلان وفلان، فذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله، وإن نقص لم يلحقك ثلمه. وما أنت والفاضل والمفضول،

والسائس والمسوس؟ وما للطلاق وأبناء الطلقاء والتميز بين المهاجرين الأولين، وترتيب

درجاتهم، وتعريف طبقاتهم؟)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول خويلد بن أسد بحق عبد المطلب لما حفر بئر زمزم (217/115):

أقول وما قولي عليهم بسبةٍ***إليك ابن سلمى أنت حافر زمزم

حفيرة إبراهيم يوم ابن هاجرٍ***وركضة جبريل على عهد آدم

وقول أحد بني كنانة يمدحه (219/15):

إني وما سترتُ قريشٌ والذي***تعزو لآل كلهن ظباء

ووحق من رفع الجبال منيفةً***والأرض مداً فوقهن سماء

مثنٍ ومهد لابن سلمى مدحةً***فيها أداء ذمامه ووفاء

ولقوله (عليه السلام)، من كتاب له إلى المنذر بن الجارود العبدى وقد كان استعمله على بعض النواحي، فخان الأمانة في بعض ما ولّاه من أعماله (54/18):

((فإن صلاح أيبك غرني منك، وظننت أنك تتبع هديه، وتسلك سبيله.. ولئن كان ما بلغني عنك حقاً لَجَمَلُ أهلِكَ وشسع نعلك خير منك)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الراجز يمدح الحكم بن المنذر بن الجارود (57/18):

يا حكم بن المنذر الجارود***أنت الجواد بن الجواد المحمود

سرادق المجد عليك ممدود

ص: 268

من خطبة له (عليه السلام) بعد استيلاء معاوية على البلاد قوله يهجو أصحابه :

((اللهم إني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني بهم، فأبدلني خيراً منهم وأبدلهم بي شر مني، اللهم أمت قلوبهم كما يمت الملح في الماء)) (332/1) :

استشهد ابن أبي الحديد بقول حسان بن ثابت الأنصاري، لما قالوا : إن عتبة بن أبي سفيان ولد من الصباح أيضاً، وقالوا أن هنداً كرهت أن تدعه في منزلها. فخرجت إلى أجياد، فوضعتة هناك، وفي هذا المعنى أيام المهاجرة بين المسلمين والمشركين في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل الفتح، قال حسان (336/1) :

إن الصبي بجانب البطحاء*** في التراب ملقى غير ذي مهد

نحبت به بيضاء آنسة*** من عبد شمس صلته الخد

ولقوله (عليه السلام):

((مالهم، قاتلهم الله ؛ قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر

ص: 271

اللّه ونهيه، فیدعها رأي العين بعد القدرة عليها، وينهز فرصتها من لا حريجة له في الدين)) (312/2)

استشهد ابن أبي الحديد بقول العارق الطائي وهو يهجو عمرو بن هند (317/1) :

(و) من مبلغ عمرو بن هند رسالة*** إذا استحقبتها العيس جاء من العبد

أبوعدتي والرمل بيني وبينه*** تبين رويداً ما أمانة من هند

ومن أجان حولي أعان كأنها*** قنابل خيل من كميته ومن ورد

غدوت بأمر كنت أنت اجتررتنا*** إليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد

ولقوله (عليه السلام) (وقد ذكرناه في موضع سالف):

((قبح الله مصقلة؛ فعَلْ فعَلْ السادة وفرّ فرار العبيد، فما أنطق مادحة حتى أسكته، ولا صدق واصف حتى بكّته، ولو أقام لأخذنا ميسوره،

وانتظرنا بماله وفوره)) (119/3):

استشهد ابن أبي الحديد بقول أحدهم في التقريع والتعنيف (119/3):

يامن مدحناه فأكذبنا*** بفعاله وأتا بنا خجلا

برداً قشيباً من مدائحنا*** سربلت فاردده لنا سهلا

إن التجارب تهتك المستور*** من أبنائها وتبهرج الرجال

وقول علي بن الجهم في هجاء الطالبين وذم الشيعة (122/3):

ورافضة تقول بشعبِ رضوى*** إمام، خاب ذلك من إمام

إمام من له عشرون ألفاً*** من الأتراك مشرعة السهام
وقول البحري - وهو يهجو علي بن الجهم (122/3):
إذا ما حصلت عليا قریش*** فلا في العير أنت ولا النقيير
ولو أعطاك ربك ما تمنى*** لزد الخلق في عظم الأيور
وما الجهم بن بدر حين يعزي*** من الأقمار ثم ولا البدور
علام هجوت مجتهداً علياً*** بما لقت من كذب وزور
أما لك في أستاذك الوجعاء شغلٌ*** بكفك عن أذى أهل القبور
وقول علي بن الجهم يهجو أحمد بن دؤاد لما سخط المتوكل عليه وطرده (114-125):

يا أحمد بن أبي دؤادِ دعوة*** بعثت عليك جنادة وحديدا
ماهذه البدع التي سميتها*** بالجهل منك - العدل والتوحيد
أفسدت أمر الدين حين وليته*** ورميته بأبي الوليد وليدا
لا محكماً جلدًا ولا متطرفاً*** كهلاً ولا مستحدثاً محمودا
شراً إذا ذكر المكارم والعلا*** ذكر القلا يا مبدئاً ومعيدا
ويود لو مسحت ربيعة كلها*** وبنو أباد صفحة وشريدا
وإذا تربع في المجالس خلته*** ضبعاً وخلت بني أبيه قرودا
وإذا تبسم ضاحكاً شبهته*** شرقاً تعجل شربه مردودا
لا أصبحت بالخير عين أبصرت*** تلك المناظر والثنايا السودا

وقوله يهجو له لما فلج (125/3):

لم يبق منك سوى خيالك لا معاً*** فوق الفراش ممهداً بوساد
فرحت بمصرعك البرية كلها*** من كان منهم موقناً بمعاد
كم مجلس لله قد عطته*** كي لا يحدث فيه بالإسناد
ولكم مصابيح لنا أطفأتها*** حتى تحيد عن الطريق الهادي
ولكم كريمة معشر أرملتها*** ومحدثٍ أوثقت في الأقياد
إن الأسارى في السجون تفرجوا*** لما أتتك مواكب العواد
وغدا المصروعك الطبيب فلم يجد*** لدواء دائك حيلة المرتاد
فدق الهوان معجلاً ومؤجلاً*** والله رب العرش بالمرصاد
لا زال فالجك الذي بك دائماً*** وفجعت قبل الموت بالأولاد

وقول مروان بن حفصة يهجو علي بن الجهم ويصفه بأنه مقطوع النسب بتحريض من المتوكل ليضحك منهما، وكان مروان يكنى أبا السحط
(126/3):

إن جهماً حين نسبته*** ليس من عجم ولا عرب
لجّ في شتمي بلاسبب*** سارق للشعر والنسب
من أناس يدعون أباً*** ماله في الناس من عقب

وقول علي بن الجهم يهجو مروان بن حفصة بإيماءة من المتوكل (126/3):

عليّ تعرضت لي ضلة*** لجهلك بالشعر يا مائق
تروم قريشاً وأنسابها*** وأنت لأنسابها سارق

فإن كإسامة جداً لكم*** فأملك مني طالق

ولقوله (عليه السلام)(وقد نقلناه في موضوع آخر فائت):

((أما أنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه، ولن تقتلوه، ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني؛ فأما السب فسبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تتبرؤوا مني فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة)) (54/4):

استشهد ابن أبي الحديد بقول النجاشي الحارث بن كعب يهجو الإمام علي (عليه السلام) عندما التحق بمعاوية لأن الإمام (عليه السلام) عاقبه لشربه الخمر في رمضان (89/4):

ألا من مبلغ مني علياً*** بأني قد أمنت فلا أخاف

تحدث مستقر الحق لهما*** رأيت أموركم فيها خلاف

وكان قبل ذلك قد هجا معاوية بقوله (89/4):

ونجّي ابن حرب سابح ذو غلالة*** أجش هزيم والرماح دوان

إذا قلت أطراف الرماح تنوشه*** مرته به الساقان والقدمان

ولقوله (عليه السلام)(وقد نقلناه بعد معركة صفين):

((إنكم واللّه لكثير في الباحات، قليل تحت الرايات)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول يزيد بن قناعة وهو يهجو حاتماً (107/6):

لعمري وما عمري عليّ بهين*** لبس الفتى المدعو بالليل حاتم

غداة أتى كالثور أخرج ناقتي *** بجبهته أفتاله و هو قائم

كأن بصحراء المرابط نعامة *** تبادرها جنح الظلام نعائم

أعارتك رجليها وهاتي لبها *** وقد جردت بيض المتون صوارم

وقول بعضهم (106/6):

(و) كاتر بسعدٍ إن سعداً كثيرة *** ولا نرجُ من سعد وفاءً ولا نصرا

ولا تدعُ سعداً للقراء وخلصها *** إذا أمنت وتعتها البلد القفرا

يروعك من سعد بن عمرو جسومها *** وتزهدها فيها حين تقتلها خبرا

وقول عوف القوافي (106/6) :

وما أمكم تحت الخوافق والقنا *** بشكلى ولا زهراء من نسوة زهر

ألستم أقل الناس عند لوائكم *** وأكثرهم عند الذبيحة والقدر

وقول عبد الملك بن مروان معيراً أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد (107/6) :

إذا صوّت العصفور طار فؤاده *** وليت حديد الناب عند الترائد

وقول آخر (107/6) :

يطير فؤاده من نبح كلبٍ *** ويكفيه من الزجر الصغير

وقول آخر (107/6) :

ولو أنها عصفورة لحبستها *** مسومة تدعو عبيداً وأزنجبا

وبالرواية التي تقول :

خرج مغيرة بن سعد العجلي في ثلاثين رجلاً بظهر الكوفة فعتطعوا، وخالد بن عبد الله القسري أمير العراق يخطب على المنبر فعرق واضطرب وتحير وجعل يقول :

- أطمعوني ماء.

فهجاه ابن نوفل فقال (6/110-111):

أخالد لا جزاك الله خيراً*** وأيري في جرامك من أمير

تروم الفخر في أعراب قسر*** كأنك من سراة بني جرير

ولقوله (عليه السلام) في ذكر عمرو بن العاص :

((أما والله إنني ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه قول الحق نسيان الآخرة، وإنه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتته ويرضخ له على ترك الدين رضىخة)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول حسان بن ثابت وهو يهجو عمرو بن العاص (6/280-285) :

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت*** لنا فيك منه بينات الدلائل

ففاخر به إما فخرت ولا تكن*** تفاخر بالعاص الهجين بن وائل

وإن التي في ذاك يا عمرو حكمت*** فقالت رجاء عند ذاك لنائل

من العاص عمرو تخبر الناس كلها*** تجمعت الأقدام عند المحافل

وقول الشاعر يهجو الوليد بن عقبة بن أبي معيط ويعلي من شأن الإمام

ص: 277

علي بن أبي طالب (عليه السلام) (6/292-293):

أنزل الله والكتاب عزيز*** في عليّ وفي الوليد قرانا

فتبوى الوليد إذا ذاك فتاً*** وعلي مَبْؤِ إيماننا

ليس من كان مؤمناً عمرك*** الله كمن كان فاسقاً إخواننا

سوف يدعى الوليد بعد قليل*** وعليّ إلى الحساب عيانا

فعلي يجزى بذاك جناناً*** ووليد يجزى بذاك هوانا

رب جد لعقبة ابن إبان*** لابس في بلادنا تبتانا

وقول نصر بن حجاج يهجو عتبة ابن أبي سفيان (6/293):

يا للرجال وحادث الأزمان*** ولسبّة تخزي أبا سفيان

نبئت عتبة خانة في عرسه*** حبس لئيم الأصل من لحيان

ولقوله (عليه السلام):

((فأقسم بالله يا بني أمية عما قليل لتعرفنّها في أيدي غيركم، وفي دار عدوكم)) (7/117).

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول (7/140):

(لما أقبل داود بن علي من مكة عمل مجلساً ببعض الطريق، وجلس فيه هو والهاشميون كلهم، وجلس الأمويون تحتهم فجاء ابن هرمة

فأنشد قصيدة قال فيها (7/140):

فلاعنا الله عن مروان مظلمة*** ولا أمية، بس المجلس النادي

كانوا كعاد فأمس الله أهلهم*** بمثل ما أهلك الغاوين من عاد

فلن يكذبني من هاشم أحد*** فيما أقول، ولو أكثر تعدادي

وقول الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب لما قتل زيد بن علي (عليه السلام) في سنة اثنتين وعشرين ومئة في خلافة هشام بن عبد الملك، من قصيدة طويلة وهي هجاء دولة (165/7-166): كلما حدثوا بأرض ثقيفاً*** ضمنونا السجون أو سيرونا

أشخصونا إلى المدينة أسرى*** لا كفاهم ربي الذي يحذرونا

خلفوا أحمد المطهر فينا*** بالذي لا يحب، واستضعفونا

قتلونا بغير ذنب إليهم*** قاتل الله أمة قتلونا

مارعوا حقنا ولا حفظوا في*** نا وصاة الإله بالأقربينا

جعلونا أدنى عدو إليهم*** فهم في دماننا يسبحونا

أنكروا حقنا وجاروا علينا*** وعلى غير إحنة أبغضونا

غير أن النبي منا وإنا*** لم نزل في صلاتهم راغبينا

إن دعونا إلى الهدى لم يجيبوا*** نا، وكانوا عن الهدى ناكبيننا

أو أمرنا بالعرف لم يسمعوا*** منّا وردوا نصيحة الناصحيننا

ولقد ما رد نصح ذوي الرأي*** فلم يتبعهم الجاهلوننا

فحسى الله أن يدل أناساً*** من أناسٍ فيصبحوا ظاهريننا

فتقر العيون من قوم سوءٍ*** قد أخافوا وقتلوا المؤمنينا

ليت شعري هل توجفن بي الخيل *** عليها الكمأة مستلثمين
من بني هاشم ومن كل حي *** ينصرون الإسلام مستنصرينا
في أناسٍ أبأؤهم نصرُوا الدينَ *** وكانوا لربهم ناصرينا
تحكم المرهفات في الهمام منهم *** بأكف المعاشر الثائرنا
أين قتلى منا بقيتم عليهم *** ثم قتلتموهم ظالمينا
أرجعوا هاشمًا وردوا أبا اليق *** ظان وابن البديل في آخرنا
وارجعوا ذا الشهاتين وقتلى *** أنتم في قتالهم فاجرونا
ثم ردوا حجرًا وأصحاب حجرٍ *** يوم أنتم في قتلهم معتدونا
ثم ردوا أبا عمير وردوا *** لي رشيداً وميثمًا والذينا:
قتلوا بالطفوف يوم حسين *** من بني هاشم وردوا حسيننا
أين عمرو وابن بشر وقتلى *** معهم بالعرء مايدفوننا
ارجعوا عامراً وردوا زهيراً *** ثم عثمان، فارجعوا عازميننا
وارجعوا الحر وابن قين وقوماً *** قتلوا حين جاوزوا صفينا
وارجعوا هانياً وردوا إلينا *** مسلماً والرواع في آخرنا
ثم ردوا زيداً إلينا وردوا *** كل من قد قتلتمو أجمعينا
لن تردوهم إلينا ولسنا *** منكم غير ذلكم قابلينا

ولقوله (عليه السلام) - يذكر ملك الموت وتوفيه الأنفس :

((هل يُحس إذا دخل منزلاً؟ أم هل تراه إذا توفي أحداً؟ بل كيف يتوفى

الجنين في بطن أمه؟ أيلج عليه من بعض جوارحها أم الروح أجابته بإذن ربها أم هو ساكن معه في أحشائها؟؟؟ كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله؟)) (237/7):

استشهد ابن أبي الحديد بقول أحد شعراء الموصل وقد أمره قرواش بن المقلد بهجاء وزيره سليمان بن فهد وحاجبه أبي جابر ومغنيه المعروف بالبرقيدي، في ليلة من ليالي الشتاء وأراد بذلك الدعابة والولع بهم، وهم في مجلس شراب وأنس فقال (245/7):

وليل كوجه البرقيدي ظلمة***وبر أغانيه وطول قرونه

سريت ونومي فيه نوم مشرد***كعقل سليمان بن فهد ودينه

على أولقي فيه التفات كأنه***أبوجابر في خبطه وجنونه

إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه***سنا وجه قرواش وضوء جبينه

ولقوله (عليه السلام):

((... أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذئال الميال، يأكل خضرتكم، ويذيب شحمتكم. إيه أبا ودقة)) (277/7):

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي بسام وقد كني أحد الرؤساء (280/7):

فأنت لعمرى أبو جعفر***ولكننا نحذف الفاء منه

وقوله أيضاً (280/7):

لبستم درن الثوب***نظيف القعب والقدر

ص: 281

أبو التنِ أبو الدفرِ *** أبو البعرِ، أو الجعِرِ

ولقوله (عليه السلام) - من كلام لأبي ذر (رحمه الله) لما أخرج إلى الربذة :

((يا أبا ذر إنك غضبت لله فارح من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك)) (252 / 8):

استشهد بقول أبي ذر لما دخل على عثمان (258 / 8):

لا أنعم الله بقين عينا *** نعم لألقاه يوماً زيناً

تحية السخط إذا التقينا

ولقوله (عليه السلام) للمغيرة بن الأحنس - بعد أن قال هذا لعثمان :

- أنا أكفيكه.

بعد مشاجرة بين الإمام وعثمان :

((يا ابن اللعين الأبر، والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، أنت تكفيني؟ فوالله ما أعز الله من أنت ناصره، ولا قام من أنت منهضه، أخرج عنا

أبعد الله نواك؛ ثم أبلغ جهدك، فلا أبقي الله عليك إن بقيت)) (301 / 8):

استشهد ابن أبي الحديد بقول يحيى بن نوفل، وهو يهجو العريان بن الهيثم بن الأسود النخعي، وقد تزوج (زباد) من ولدها نحا بن قبيصة

الشيبياني، وكانت قبله تحت الوليد بن عبد الملك بن مروان، فطلقها، فأنكحها إياه أخ لها يقال له زياد فقال يحيى بن نوفل (304 / 8) :

أعريان ما يدري امرؤ سبيل عنكم *** أمن مذحج تدعون أم من زياد

ص: 282

فإن قلتم من مذحج إن مذحجاً*** لبيض الوجوه غير حبر جاد
وأنتم صفاء الهام حُذِلْ كأنما*** وجوهكم مطلية بمداد
وإن قلتم الحي اليمانون أصلنا*** وناصرنا في كل يوم جراد
فأطول بأيرٍ من معدٍ ونزوة*** نزت بإياد خلف دار مراد
ظللتم كما ضلت ثقيف فما لكم*** ولا لهم بين القبائل هاد
لعمر بني شيبان إذ ينكحونه*** ريادٍ لقدما قصروا بزياد
أبعد وليد أنكحوا عبد مذحج*** كمنزلة غيراً خلاف جواد
وأنكحها لا في كفاءٍ ولا غني*** زيادٍ أضل الله سعي زياد
ولقوله (عليه السلام): من كتاب إلى معاوية :

((فذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله، وإن نقص لم يلحقك عمله)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الفرزدق يهجو جريراً) (15/189-190):

أتاني وأهلي بالمدينة قائم*** لآل تميم أقعدت كل قائم
كأن رؤوس الناس إذ سمعوا بها*** مشدخة هاماتها بالأمام
وما بين ما لم يؤت سمعاً وطاعة*** وبين تميم غير جز الحلاقم
أتغضب أن أذنا قتيبة جزّتا*** جهاراً ولم تغضب لقتل ابن حازم
وما منهما إلا نقلنا دماغه*** إلى الشام فوق الساحجات الرواسم
تذبذب في المخلات تحت بطونها*** محذفة الأذنان جلف المقادم
وما أنت من قيس فتنح دونها*** ولا من تميم في الرؤوس الأعظم

تخوفنا أيام قيس ولم تدع*** لعيلان أفقاً مستقيم الخياصم

لقد شهدت قيس فما كان نصرها*** قتيبة إلا عضها بالأباهم

وقول ابن مدلج يهجو أمير اليمن محمد بن عيسى المخزومي (15/198-199):

قل لابن عيسى المستغيث*** من السهولة بالوعورة

الناطق العوراء في*** جلّ الأمور بلا بصيرة

وَلَدَ المَغِيرَةَ تسعة*** كانوا صنديد العشيّة

إن النبوة والخلا***فة والسقاية والمشورة

في غيركم فاكفف إلي***ك يداً مجذّمة قصيرة

فانبرى له شاعر من ولد كُرَيْز بن حبيب بن عبد شمس كان مع محمد بن عيسى باليمن يهجو عنه ابن مدلج (15/199):

لا لواء يُعد بين كُرَيْز*** لا ولا رُفد بيته ذي السناء

لا حجاب وليس فيكم يرى الكبر*** وبغض النبي والشهداء

بين حاك ومخلج وطريد*** وقتيل يلعنه أهل السماء

ولهم زمزم كذاك وجبري***ل ومجد السقاية الغراء

وقول ابن الزعبري يهجو قوماً (15/221):

لعمري ما جاءت بنكر عشيرتي*** وإن صالحت إخوانها لا ألومها

فودّ جناة الشران سيوفنا*** بأيماننا مسلولة لا نشيمها

فيقطع ذو الصهر القريب ويتركوا*** غماغم منها إذ أجد يريمها

فإن قصياً أهل مجد وثروة*** وأهل فعال لا يرام قديمها

هم منعوا يومي عكاظ نساءنا*** كما منع الشول الهجان قرومها

وإن كان هيج قدموا فتقدموا*** وهل يمنع المخزاة إلا حميمها

كأشيد للمقري شراع إلى الندى*** مرازية غلب رزان حلومها

وقول الزبير بن عبد المطلب يرد عليه (222/15):

قومي بنوعبد مناف إذا*** أظلم من حولي بالجنديل

لا أسد لن يسلموني ولا*** تيم ولا زهرة للنيطل

ولا بنو الحارث إن مرّ بي*** يوم من الأيام لا ينجلي

يا أيها الشاتم قومي ولا*** حق له عندهم قبلي

إني لهم جار لئن أنت لم*** تقصر عن الباطل أو تعدل

وقول أبي طالب يهجو عبد شمس ونوفل حين تظاهرت عليه وعلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحصروهما في الشعب (15/333-334):

توالى علينا موليانا كلاهما*** إذا سئلا قالوا إلى غيرنا الأمر

بلى لهما أمر ولكن تراجماً*** ليم ارتجحت من رأس ذي القلع الصخر

أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً*** هما نبذانا مثلما تنبذ الخمر

هما غمضا للقوم في أخويهما*** فقد أصبحت أيديهما وهما صفر

قديماً أبوهم كان عبداً لجدنا*** بني أمة شهلاء جاش بها البحر

لقدسّفهوا أحلامهم في محمد*** فكانوا كجعرٍ بئس ما ضغطت جُعر

ولقوله (عليه السلام) في القضاء :

((ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك، ممن لا تضيق به الأمور، ولا يمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلا الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع)) (58/7) :

استشهد ابن أبي الحديد بقول الأسهب الكوفي (95/17):

يا أهل بغداد قد قامت قيامتكم*** مذ صار قاضيكم نوح بن دراج

لو كان حياً له الحجاج ما سلمت*** صحيحة يده من وسم حجاج

وكان الحجاج يسم أيدي النبط بالمشراط والنيل.

ولقوله (عليه السلام):

((فلا تطولن احتجاجك عن رعيّتك، فإن احتجاج الولاية عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمر)) (90/17).

استشهد بقول دعبل وقد حجب عن باب مالك بن طوق (194/17) :

لعمري لئن حجبني العبيد*** لما حجبني دونك القافية

سأرمي بها من وراء الحجاب*** شنعاء تأتيك بالداهية

تصم السميع، وتعمي البصير*** ويسأل عن مثلها العافية

وقول آخر (94/17) :

سأترك هذا الباب مادام الآن*** على ما أرى حتى يليت قليلا

ص: 286

فما خاب من لم يأتته مترفعاً*** ولا فاز من قد رام فيه دخولا

إذا لم نجد للأذن عندك موضعاً*** وجدنا إلى ترك المجيء سبيلاً

وقول أبي العتاهية، وقد كتبه إلى أحمد بن يوسف الكاتب إذ حجه (94/17):

وإن عدت بعد اليوم إنني لظالم*** سأصرف وجهي حيث تبغي المكارم

متى يفلح الغادي إليك لحاجة*** ونصفك محجوب ونصفك نائم

وقول بشار (95/17):

يا أميراً على جريب من الأرز*** ض له تسعة من الحجاب

قاعد في الخراب يحجب عنا*** ما سمعنا بحاجب في خراب

وقوله أيضاً (95/17):

خليلي من كعب أعينا أحاكما*** علي دهره إن الكريم يعين

ولا تبخلا بخل ابن قرعة إنه*** مخافة أن يرجى نداء حزين

إذا جئته للعرف أغلق بابه*** فلم تلقه إلا وأنت كمين

فقل لأبي يحيى متى تدرك العلا*** وفي كل معروف عليك يمين

وقول آخر (96/17):

وإنني لأستحيي الكريم إذا أتى*** على طمع عند اللئيم يطالبه

وأرثي له من مجلس عند بابه*** كمرثيتي للطرف والعليج راكبه

وقول آخر:

ص: 287

ما ضاقت الأرض على راغب*** تطلب الرزق ولا راهب

بل ضاقت الأرض على شاعر*** وأصبح يشكو جفوة الحاجب

ولقوله (عليه السلام) من كتاب له إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان :

((فإن الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل، فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء، فإنه ليس في الجور عوض من العدل، فاجتنب ما تنكر أمثاله، فابتذل نفسك فيما افترض الله عليك، واجباً ثوابه، ومتخوفاً عقابه)) (145/17).

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول (242/17):

نزع عثمان الوليد عن الكوفة وأمر عليها سعيد بن العاص، فلما قدمها قال اغسلوا هذا المنبر فإن الوليد كان رجلاً نجساً، فلم يصعده حتى غسل؛ وكان الوليد أسن من سعيد بن العاص، وأسخى نفساً وألين جانباً، وأرضى عندهم، فقال بعض شعرائهم :

يا ويلنا قد ذهب الوليد*** وجاءنا من بعده سعيد

ينقص في الصاع ولا يزيد

فدرت من الوليد إلى سعيد*** كأهل الحجر إذ فرغوا فباروا

يلينا من قريش كل عام*** أمير محدث أو مستشار

لنا نار تحرقنا فنخشي*** وليس لهم - ولا يخشون - نار

وقول الوليد بن عقبة يخاطب معاوية (244/17) :

ص: 288

وإذا سُئلت تقول ((لا)) *** وإذا سألت تقول (هات)

تأبى فعال الخير لا *** تروي وأنت على الفرات

أفلا تميل إلى نعم *** أو ترك ((لا)) حتى الممات

وبلغ معاوية شخوصه إلى الجزيرة فخافه وكتب إليه :

أقبل . فكتب (244 /7) :

أعف واستعفي كما قد أمرتني *** فأعط سواي ما بدا لك وانجل

سأعدو ركابي عنك إن عزيمتي *** إذا نابني أمركسلة منصل

وإني امرؤ للنأي مني تطرب *** وليس شبا قفل عليّ بمقفل

هرب هبيرة بن أبي وهب وعبد الله بن الزبيرى جميعاً إلى حصن نجران عندما دخل الرسول (صلى الله عليه وآله) مكة، فخوفا أهل الحصن من الرسول فأرسل حسان بن ثابت إلى ابن الزبيرى (3/18) :

لا تعد من رجلاً أحلك بفضه *** نجران في عيش أجد ذميم

بليت قناتك في الحروب فألقيت *** جوفاء ذات معايب ووصوم

غضب الإله على الزبيرى وابنه *** بعذاب سوء في الحياة مقيم

ولقوله (عليه السلام)، من كتاب له إلى قثم بن العباس عامله على مكة (30/18) :

((فأقم للناس الحج، وذكرهم بأيام الله، واجلس لهم العصرين، فأفت المستفتي، وعلم الجاهل، وذاكر العالم، ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك ولا

حاجب إلا وجهك، ولا تحجبين ذا حاجة عن لقائك به فإنها إن زيدت عن أبوابك

في أول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها)).

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول (18/31-32) :

وكان أبو عباد ثابت بن يحيى كاتب المأمون إذا سئل الحاجة يشتم السائل، ويسطو عليه ويخجله، ويبكته ساعة ثم يأمر له بها؛ فيقوم وقد صارت إليه، وهو يذمه ويلعنه، قال علي بن جبلة العكوك :

لعن الله أبا عبا*** د لعناً يتوالى

يوسع السائل شتما*** ثم يعطيه السؤالاً

وكان الناس يقفون لأبي عباد وقت ركوبه، فيتقدم الواحد منهم إليه بقصته ليناوله إياها، فيركله برجله بالركاب، ويضربه بسوطه ويطير غضباً. ثم لا ينزل عن فرسه حتى يقضي حاجته، ويأمر له بطلبته فينصرف الرجل بها وهو ذام له ساخط عليه؛ فقال فيه دعبل :

أولى الأمور بضیعة وفساد*** ملك يدبره أبو العباد

خرق على جلسائه فكانهم*** حضروا لملمحة ويوم جلاد

متعجب بدواته جلساءه*** فمضج ومخضب بمداد

وكانه من دير هزقل مفلت*** حرب يجر سلاسل الأقياد

فاشدد أمير المؤمنين صفاده*** بأشد منه في يد الحداد

وقول أحد الشعراء فيه :

ص: 290

قل للخليفة يا ابن عم محمد*** قَيْدَ وزيرك إنه رڭال

فلسوطه بين الرؤوس مسالك*** ولرجله بين الصدور مجال

ولقوله (عليه السلام):

((إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدره عليه)).

استشهد بقول لقيط بن زرارة (110-109/18):

فقل لبني سعد ومالي ومالككم*** ترقون مني ما استطعتم وأعتق

أغركم أني بأحسن شيمه*** بصير وأنني بالفواحش أخرج

وإنك قد سايتيني فقهرتني*** هنيئاً مريئاً أنت بالفحش أحذق

ولقوله (عليه السلام):

((لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه)).

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول (161-159/18):

((أرسل ابن معجل بن لجيم فرساً له في حلبة، فجاء سابقاً، فقيل له :

- سمّه باسم يعرف به.

فقام عينه وقال :

- قد سمّيته الأعور، فقال شاعر يهجوّه :

رمتني بنو عجل بداء أبيهم*** وأي عباد الله أنوك من عجل

أليس أبوهم عار عين جواده*** فأضححت به الأمثال تضرب بالجهل

ولقوله (عليه السلام):

((فأما بنو مخزوم فريحانة قريش، تحب حديث رجالهم والنكاح في نسائهم، وأما بنو عبد شمس فأبعدها رأياً وأمنعها لما وراء ظهورها، وأما نحن فأبدلها لما في أيدينا وأسمح عند الموت بنفوسنا، وهم أكثر وأمكر وأنكر، ونحن أفصح وأنصح وأصبح)).

استشهد بقول مالك بن نويرة (18/85 و28-288):

ألم يهنا فخر بكر بن وائل *** هزيمتهم في كل يوم لزام

فمنهن يوم الشر أو يوم منصح *** وبالجزع، إذ قسمن حي عصام

أحاديث شاعت في معدٍ وغيرها *** وخبرها الركبان حي هشام

وقول الشاعر يهجو رجلاً؟ :

أحسبت أن أبك يوم نسبتي *** في المجد كان الحارث بن هشام

أولى قريش بالمكارم كأسها *** في الجاهلية كان والإسلام

وقول ثابت قظنة، أو كعب الأشقري لمحمد بن أشعب بن قيس (18/289)

أتوعدني بالأشعبي ومالك *** وتفخر جهلاً بالوسيط الطماطم؟

كأنك بالبطحاء تدمم حارثاً *** وخالد سيف الدين بين الملاحم

وقول عبد الرحمن بن سيحان الجسري حليف بني أمية وهو يهجو عبد الله بن مطيع بن عدي (19/289):

حرام كنتي مني بسوء *** واذكر صاحبي أبداً بدام

ص: 292

لقد أحرمت ود بني مطيع*** حرام الدهر للرجل الحرام

وإن خيف الزمان مددت حبلاً*** متيناً من حبال بني هشام

وريق عودهم أبداً وطيب*** إذا ما اعتز عيدان الكرام

وقول حسان بن ثابت يهجو أبا جهل، وكان يكنى أبا الحكم (18/292):

الناس كنوه أبا حكم*** واللّه كناه أبا جهل

أبقت رياسته لأسرته*** لوم الفروع ودقة الأصل

ولقوله (عليه السلام):

((صحة الجسد من قلة الحسد)) (19/97):

استشهد ابن أبي الحديد بقول علي بن جبلة (19/97-98):

أبا دلف يا أكذب الناس كلهم*** سواي فإني في مديحك أكذب

وقول أبي بكر النطاح فيه :

أبا دلف إن الفقير بعينه*** لمن يرتجي جدوى يديك ويأمله

أرى لك باباً مغلقاً متمنعاً*** إذا فتحوه عنك فالبؤس داخله

كأنك طبل هائل الصوت معجب*** خلي من الخيرات قعس مداخله

وأعجب شيء فيك تسليم إمرة*** عليك على طنزٍ وإنك قابله

ولقوله (عليه السلام):

((ضع فخرك، واحطط كبرك، واذكر قبرك)) (19/352).

استشهد ابن أبي الحديد بقول عبد الأعلى البصري في قاضي القضاة محمد

بن أبي الشوارب الأموي إذ كان تائها (354/19) :

إني رأيت محمداً منشاوساً*** مستصغراً لجميع هذي الناس (35)

ويقول لما أن تنفس خالياً*** ونفساً له يعلو على الأنفاس

ويح الخلافة في جوانب لحيتي*** تستن دون لحي بني العباس

ولقوله (عليه السلام):

((رب قول أنفذ من صول)).

استشهد ابن أبي الحديد بقول محمود الوراق (9/359-360):

أتاني منك ماليس*** على مكروهه صبر

فأغضبت على عمدٍ*** وكم يغضي الفتى الحر

وأدبتك بالهجر*** فما أدبك الهجر

ولا ردك عماكاً*** ن منك الصفح والبر

فلما اضطرني المكروه*** ه واشتد بي الأمر

تناولتك من شعري*** بماليس له قدر

فحركت جناح الضر*** لَمَا مسك الضر

إذا لم يصلح الخير*** أمراً أصلحه الشر

وقول الشريف الرضي رضي الله عنه :

سأمصغ بالأقوال أعراض قومكم*** وللقول أنياب لدي حداد

يُرى للقوافي والسماء جلية*** عليكم بروق جمة ورعاد

وقوله :

كعمت لساني أن أقول وإن يقل *** فقل في الجراز العضب أن فارق الغمدا

وإن بروداً للمخازي معدة *** فمن شاء من ذا الحي أسميته بردا

قلاند في الأعناق بالعار لم تهن *** على مرّ أيام الزمان ولا تصدا

إذا صلصلت بين القنا قضب القنا *** وإن زفرت في السرد قطعت السردا

ولقوله (عليه السلام):

((ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله)) (102 / 20) :

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي حمزة موسى آل الزبير في عبد الله بن الزبير لشحّه وبخله (145 / 20):

إن الموالي أمست وهي عاتبة *** على الخليفة تشكو الجوع والحربا

ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا *** أي الملوك على ما حولنا غلبا؟

وقوله فيه :

لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد *** فضلت فضلاً كثيراً للمساكين

ما زلت في سورة الأعراف تدرسها *** و حتى فؤادي مثل الخبز واللبن

وقول شاعر فيه أيضاً؛ كما كانت الحرب بينه وبين الحصين بن نمير قبل أن يموت يزيد بن معاوية (145 / 20):

فيا راكباً أما عرضت فبلغن *** كبير بني العوام إن قيل من تعني

ص: 295

تحير من لاقيت إنك عائد*** وتكثر قتلى بين زمزم والركن

وقول الضحاك بن فيروز الديلمي (145/20):

تخبرنا أن سوف تكفيك قبضة*** وبطنك شبر أو أقل من الشبر

وأنت إذا ما زلت شيئاً قضمته*** كما قضمت نار الفصاحط السدر

فلو كنت تجزي أو تئيب بنعمة*** قريباً لردتك العطوف على عمرو

وبالرواية التي تقول (148-149/20):

أتى فضالة بن شريك الوالي عبد الله بن الزبير فقال :

- نفذت نفقتي، ونقبت ناقتي.

فقال :

- أحضرنيتها.

فأحضرها.

فقال : - أقبل بها، أدبر بها.

ففعّل.

فقال :

- إرقعها بسبت واخصفها بهلب يبرد حنّها، وسر البردين تصح.

فقال فضالة :

ص: 296

- إني أتيك مستحماً، ولم آتكَ مستوصفاً، فلعن الله ناقة حملتني إليك.

فقال :

- إن وراكبها .

فقال فضالة :

أقول لغلمتي شدوا ركابي *** أجازو بطن مكة في سواد

فمالي حين أقطع ذات عرقٍ *** إلى ابن الكاهلية من معاد

سبيعد بيننا نص المطايا *** وتعليق الأداوي والمزاد

وكل معبد قد أعلمته *** مناسمهن طلاع النجاد

أرى الحاجات عند أبي خبيب *** نكدن ولا أمية في البلاد

من الأعياص أو من آل حربٍ *** أغرّ كفره الفرس الجواد

وقول عبد الله بن حنبل الجمحي (1/198):

أحلف بالله رب الأنام *** ما ترك الله شيئاً سدى

ولكن خلقت لنا فتنة *** لكي نتلي بك أو تبتلي

فإن الأمينين قد بينا *** منار الطريق عليه الهدى

فما أخذنا درهماً غيلة *** ولا جعلنا درهماً في هوى

وأعطيت مروان خمس البلاد *** فتهيأت سعيك ممن سعى

ولقوله (عليه السلام) في ذكر عمرو بن العاص (6/280):

((عجبا لابن النابغة! يزعم لأهل الشام أن فيّ دعابة، وإني امرؤ تلعبه،

أعافس وأمارس! لقد قال باطلاً ونطقاً آثماً... أما والله إنني ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة)).

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول (313/6):

((كان عمرو بن العاص عدواً للحارث بن نضر الجشعمي، وكان من أصحاب علي (عليه السلام) وكان عليّ (عليه السلام) قد تهيّبه فرسان الشام، وملا قلوبهم بشجاعته، وامتنع كل منهم من الإقدام عليه، وكان قلما جلس مجلساً إلا ذكر فيه الحارث بن نضر الجشعمي دعابة فقال للحارث:

ليس عمرو بتارك ذكره الحارث *** رث بالسوء أو يلاقي عليا

واضع السيف فوق منكبيه الأثمة *** يمن لا يحسب الفوارس شيا

ليت عمرو يلقاه في حومة النقع *** وقد أمست السيوف عصيا

حيث يدعو للحرب حامية القوم *** م إذ كان بالبراز مليا

فوق شهب مثل السموق من النخل *** ينادي المبارزين إليا

ثم يا عمرو نستريح من الفخر *** ونلقى به فتى هاشميا

فالقه إن أردت مكرهة الدهر *** أو الموت كل ذلك عليا

وكان القباع - وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ابن المغيرة المخزومي - مسهبا، سريع الحديث كثيره، فقال فيه أبو الأسود الدؤلي (17):
:91

أمير المؤمنين جزيت خيراً *** أرحنا من قباع بني المغيرة

بلوناه ولمناه فأعيا *** علينا ما يمر لنا ميره

ص: 298

على أن الفتى نكح أكلول*** ومسهابٌ مذاهبه كثيرة

ولقوله (عليه السلام):

((فليقبل امرؤ كرامة بقبولها، وليحذر قارعة قبل حلولها، ولينظر امرؤ في قصير أيامه، وقليل مقامه في منزل، حتى يستبدل به منزلاً، فليصنع لمتحوله، ومعارف منتقله)) (65/11).

استشهد ابن أبي الحديد بقول حسان بن ثابت يهجو آل العوام بن خويلد (68/16) :

بني أسد مابال آل خويلد*** يحنون شوقاً كل يوم إلى القبط

متى يذكروا قهقي يحنو لذكرها*** وللمث المقرون والسملك الرقط

عيون كأمثال الزجاج وضبيعة*** تخالف كعباً في لحي كثة سُطّ

يُرى ذاك في الشبان والشيب منهم*** مييناً وفي الأطفال والحلية الشمط

لعمرو أبي العوام إن خويلدأ*** غداة تبناه ليوثق في الشرط

ولقوله (عليه السلام):

((فاعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل تأملوا أمرهم حال تشنتهم وتفرقهم، ليالي كانت الأكاسرة والقياصرة أرباباً لهم.. فالأحوال مضطربة والأيدي مختلفة، والكثرة متفرقة في بلاء أزل، وأطباق جهل، من نبات مؤودة وأصنام معبودة، وأرحام مقطوعة، وغارات مشنونة)) (171/13).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الفرزدق يهجو جريراً (175-176/13) :

ص: 299

ألم تر أنا بني دارم*** زرارة منا أبو معبد

ومنا الذي منع الوائدات*** وأحيا الوليد ولم يوئد

ألسنا بأصحاب يوم التتار*** وأصحاب أوية المربد

ألسنا الذين تميم بهم*** تساء وتفخر بالمشهد

وناجية الخير والأقرعان*** وقبر بكازمة المورد

إذا ما أتى قبره عانذ*** أناخ على القبر بالأسعد

أيطلب مجد بني دارم*** عطية كالجبل الأسود

قرنبي يحك قفا مقرف*** لئيم ماآره قعدد

ومجد بني دارم فوقه*** مكان السماكين والفرقد

ولقوله (عليه السلام)، وقد ذكر بعض قريش عندما طلبوا من الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يدعو الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديه، ولما فعل الرسول (صلى الله عليه وآله) ما طلبوا منه جاءت الشجرة ثم التفت الأغصان عليه :

((لا-إله إلا الله، إني أول مؤمن بك يا رسول الله وأول من أقر بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقاً بنبوتك وإجلالاً لكلمتك، فقال القوم كلهم :

- بل ساحر كذاب، عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا؟

-يعنوني - وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم)) (213 / 13):

استشهد ابن أبي الحديد بقول النعمان بن رشيد يهجو (عليه السلام)

لقد طلب الخلافة من بعيد*** وسارع في الضلال أبو تراب

معاوية الإمام وأنت منها*** على وتح بمنقطع السراب

وقول أحد الخوارج (241 /13):

أسسنا له تحت الظلام ابن ملجم*** جزاء إذا ما جاء نفساً كتابها

أبا حسن خذها على الرأس ضربة*** بكف كريم، بعد موت ثوابها

وقول عمران بن حطان يمدح قاتله (241 /13):

يا ضربة من تقي ما أراد بها*** إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره حيناً فأحسبه*** أوفى البرية عند الله ميزانا

المحتويات

الفخر... 7

الدنيا... 25

الشكوى... 51

الحكمة... 61

الرثاء... 91

الاعتقادات... 117

التصوف... 125

وصف الموتى والقبور... 137

الصبر والزهد... 149

النسيب... 161

النصح والإرشاد... 175

الحماسة... 197

المدح... 233

الهجاء... 269

ص: 302

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

أضواء على نهج البلاغة

الجزء الرابع

ص: 1

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق

وزارة الثقافة العراقية لسنة 2015-913

ص: 2

أضواءٌ على نهج البلاغة

بشرح ابن أبي الحديد في استشاداته الشعرية

الجزء الرابع

تأليف: الدكتور علي الفتال

إصدار: مؤسسة علوم نهج البلاغة العتبة الحسينية المقدسة

ص: 3

جميع الحقوق محفوظة للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى 1639 هـ - 2015 م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

مؤسسة علوم نهج البلاغة

www.inahj.org

Email: inahj.org@gmail.com

موبايل: 07815016633

جمعية خيرية رقمية: مركز خدمة مدرسة إصفهان

محرر: محمد محبوبى

ص: 4

مطالب لغوية و بلاغية و تشمل:

توضيح مفردة

الإسناد اللغوي

النحو

لزوم ما لا يلزم

الاقتباس

التشبيه

الاستعارة

الطباق والمقابلة

التخلص والاستطراد

الجناس

الكناية

ص: 5

لقوله عليه السلام:

«أحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون» (55/1).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الخنساء بنت عمرو بن عمرو بن الشريد (600059/1):

فما بلغت كف امريء متناول *** بها المجد إلا و الذي نلت أطول

و لا خبّر المثنون في القول مدحة *** وإن طنبوا إلا و ما فيك أفضل

و بقول أحد الفضلاء في خطبة و أرجوزة علمية بخصوص ما ورد في قوله

عليه السلام من (الحمد) (60/1):

الحمد لله بقدر الله *** لا قدر وسع العبد ذي التناهي

و الحمد لله الذي ينكره *** فإنما ينكر من يصوره

و لقوله عليه السلام:

«الذي ليس لصفته حد محدود، و لا نعت موجود، و لا وقت معدود، و لا أجل ممدود» (57/1).

ص: 9

استشهد ابن أبي الحديد بقول محمد بن هانيء في قدومه المعز أبي تميم معد بن المنصور العلوي فيما يخص (فن الإحاطة) (61/1):

أتبعته فكري حتى إذا بلغت *** غاياتها بين تصويب و تصعيد

رأيت موضع برهان يلوح و ما *** رأيت موضع تكييف وتحديد

و لقوله عليه السلام:

«فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم» (162/1)

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر، على أن أشنق بمعنى شقق :

ليس شتى على المنون بباقي *** غير وجه المسيح الخلاق

ساءها ما لها تبين في الأيد *** ي وإشناقها إلى الأعناق

وقد كان زارته بنية صغيرة إسمها (هند)، و هو في الحبس - حبس النعمان - و يدها مغلولتان إلى عنقه، فأنكرت ذلك وقالت:

- ما هذا الذي في يدك و عنقك يا أبت؟

وبكت وقالت هذا الشعر (172/1):

ولقد غمّني زيارة ذي قر *** بي صغير لقربنا مشتاق

ساءها ما لها تبين في الأيد *** ي وإشناقها إلى الأعناق

فاذهبي يا أميم غير بعيد *** لا يأتني العناق من في الوثاق

واذهبي يا أميم إن يشأ الله *** بنفس من أزم هذا الخناق

ص: 10

و لقوله عليه السلام:

«فمُنِي - لعمر الله - بِخَبْطِ وَشِمَاسٍ».

منيت بزمردة كالعصا *** الص وأخبث من كندش

على أن «مُنِي» بمعنى «بُلِي».

و لأن في أخلاق عمر و أفاضه جفاء و عنجهية ظاهرة كالكلمة التي قالها في مرض رسول الله صلى الله عليه و آله، و كان الأحسن أن يقول «مغمور» أو

«مغلوب بالمرض».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أعرابي في رجزه و كانت سنة قحط (183/1):

رب العباد ما لنا و ما لكا *** قد كنت تسقيننا فما بدا لكا

أنزل علينا القطر لا أبا لكا

و عندما سمعه سليمان بن عبد الملك قال:

- أشهد أن لا أبا له و لا صاحبة و لا ولد.

و لقوله عليه السلام:

«من وثق بماءٍ لم يظمًا».

استشهد ابن أبي الحديد بقول المتنبي (211/1-212):

و ما صباية مشتاقٍ على أملٍ *** من اللقاء كمشتاق بلا أمل

باعتبار أن الظمًا الذي يكون عند عدم الثقة بالماء، وليس يريد النفي المطلق؛ لأن الواثق بالماء قد يظمًا، ولكن لا يكون عطشه على حد عطش الكائن

عند عدم الماء، وعدم الوثوق بوجوده.

و لقوله عليه السلام:

«فتواكلتم و تخاذلتم و ثقل عليكم قولي، و اتخذتموه وراءكم ظهرًا».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الفرزدق (79/2):

تميم بن مرٍ لا تكونن حاجتي *** بظهرٍ ولا يعيا عليك جوابها

أي رميتم به وراء ظهوركم، أي لم تلتفتوا إليه، يقال في المثل:

لا يجعل حاجتي منك بظهر، أي لا تطرحها غير ناظر إليها. و لقوله عليه السلام:

«... و بقى رجال غَضَّ أبصارهم ذكر المرجعِ و أراق دموعهم خوف المحشرِ... أفواههم ضامرةٌ و قلوبهم قريحةٌ...» (175/2).

استشهد ابن أبي الحديد بقول بشر بن أبي خازم:

لقد ضمزت بحرتها سليم *** فخافتنا كما ضمز الحمار

و لقوله عليه السلام:

«كما حُمِّلَ فاضطلع».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (142-141/6):

فقلت له أبا الملحاء خذها *** كما أوسعتنا بغياً وعدوا

باعتبار أن الكاف في «كما حُمِّلَ» هنا تعليلية بمعنى لأجل أن يحمل.

و لقوله عليه السلام:

ص: 12

«فهو أمينك المأمون» (141/6-142).

استشهد ابن أبي الحديد بقول كعب بن زهير:

سقاك أبو بكر بكأس روية *** وأنهلك المأمون منك وعلكا

باعتبار أن العبارة من القاب الرسول صلى الله عليه وآله، أي يمينك على وجهك.

و لقوله عليه السلام:

«.. و عظم الشفق».

استشهد ابن أبي الحديد بقول إسحاق بن خلف (251/6):

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً *** والموت أكرم نزال على الحرم

باعتبار أن الشفق و الشفقة بمعنى وهو الاسم من الإشفاق وهو الخوف و الحذر.

و لقوله عليه السلام:

«وروية الارتياح، وأناة المقتبس المرتاد».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الحطية (252/6-253):

وأكرت العشاء إلى سهيل *** أو الشعرى فطال بي الإناء

باعتبار أن الأناة تعني التؤدة و الانتظار، مثل القناة. و جاء الإناء بالمد و الفتح على فعال.

و لقوله عليه السلام:

ص: 13

«وربما نظر قدماً أمامه».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (264/6 و 267):

غضبي إذا زجرت عن سواة قدماً *** كأنها هَدَمَ في الجفر منقاض

باعتبار أن العبارة تعني: نظر ما بين يديه مقدماً لم يثن ولم يعرج.

و لقوله عليه السلام:

«يتشعبهم ريب المنون».

استشهد ابن أبي الحديد بقول لبيد (205/7):

لمعفّرٍ فهد تنازع شلوه *** غبّس كواسب لا يمن طعامها

و لقوله عليه السلام:

«بتشعيه المشاعر عرف أن لا مشعر له». (أي لا حسن له).

استشهد ابن أبي الحديد بقول بلعاء بن قيس (73/13):

و الرأس مرتفع فيه مشاعره *** يهدي السبيل له سمع وعينان

و لقوله عليه السلام:

«نجا جريضا». (أي قد غص بالريق من شدة الجهد والكرب).

استشهد ابن أبي الحديد بقول امرئ القيس (150/16):

كأن الفتى لم يغن في الناس ليله *** إذا اختلف اللحيان عند الجريض وقوله:

وأفلتهن علباء جريضاً *** ولو أدركنه صفر الوطاب

و لقوله عليه السلام:

«ولا أؤخر لكم حقاً عن محله ولا أقف به دون مقطع».

استشهد بقول زهير (17-16/17):

فإن الحق مقطعه ثلاث *** يمين أو نفار أو جلاء

إذ إن الحق، هنا، غير العطاء. بل الحكم. و مقصوده عليه السلام؛ متى تعين الحكم حكمت به و قطعت ولا أقف ولا أتجسس.

و لقوله عليه السلام:

«و احذر صحابة من يفيل رأيه».

استشهد بقول طرفة (48/18):

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه *** فإن القرين بالمقارن يقتدي

باعتبار الصحابة بفتح الصاد: مصدر صحبت، و الصحابة بالفتح أيضا جمع صاحب. و المراد هاهنا الأول.

و لقوله عليه السلام:

«و لك منهم شافياً فرارهم من الهدى و الحق، وإيضاعهم إلى العمي و الجهل».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (53-52/18):

باعتبار أن الإيضاع يعني الإسراع. وضع البعير أي أسرع و أوضعه صاحبه.

و لقوله عليه السلام:

ص: 15

«و إياك و الغضب فإنه طيرة من الشيطان».

استشهد بقول الكميت (70/18):

و حلمك عزَّ إذا ما حَلُمْتَ *** و طيرتك الصاب و الحنظل

باعتبار أن الطيره، هنا، تعني، بفتح الطاء و سكون الياء، خفة و طيش.

و لقوله عليه السلام: ذاك استشهد بقول الشاعر (26/2):

من يأمن الحدثان بعد *** صبيرة القرشي ماتا

سبقت منيته المشي *** ب و كان ميته افتلاتا

يعني بعتة، و زلة، في قول ثان.

استشهد بهما بحديث عمر المعروف بحديث «الفلة» إذ قال عمر:

- إن بيعة أبي بكر كانت فلة و في الله شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه.

و لقوله عليه السلام:

«عالم السر من ضمائر المضميرين و نجوى المتخافتين».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (22/7 و 25): أخاطب جهراً إذ لهن تخافت *** و شتان بين الجهر و المنطق الخفت

لورود كلمة المتخافتين في قوله عليه السلام الأنف ذكره و لقوله عليه السلام:

«الباسط بالجوود يده».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (84/7):

فإن ترجع الأيام بيني وبينها *** فإن لها عندي يداً لا أضيعها

واليد هنا تعني النعمة.

و لقوله عليه السلام:

«إن عوازم الأمور أفضلها».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (93/9-94):

لقد غدوتُ خلقُ الثياب *** أحمل عدلين من التراب

لعوزم وصبية سغاب *** فأكلُ و لاحسُ وأبي

و لقوله عليه السلام:

«و إنما هم مطايا الخطيئات، و زوامل الآثام».

استشهد ابن أبي الحديد بقول مروان بن سليمان بن حفصة (218/9-219):

زوامل أشعار و لا علم عندهم *** بجيِّدها إلا كعلم الأباغر

العمرك ما يدري البعير إذا غدا *** بأوساقه أورا ح ما في الغرائر

باعتبار أن زوامل الآثام: جمع زاملة و هي بعير يستظر به الإنسان يحمل متاعه.

و لقوله عليه السلام:

«فاتقوا سكرات النعمه» (137/9).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر:

خمس سكرات الموت إذا مني *** المرء بها صارت عرضة للزمان

سكره المال و الحدائة و العشق *** و سكر الشراب و السلطان

و سكرات النعمة: ما تحدثه النعمة عند أربابها من الغفلة و المشابهة للسكر.

و لورود كلمة «البكاليّ» في رواية نوفي البكالي.

استشهد ابن أبي الحديد بقول الكميت (76/9-80):

يقولون يورثه و لولا تراثه *** فقد شركت فيه بكيل و أرحب

و لورود كلمة «ثفنة بعير» في الرواية نفسها.

استشهد ابن أبي الحديد بقول دعبل (76/9-80):

ديار علي و الحسين و جعفر *** و حمزة و السجاد ذي الثففات

ص: 18

لقوله عليه السلام، عن الخالق جل وعلا:

«وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته».

استشهد ابن أبي الحديد بقول خبيب الصحابي عند صلبه (407/6-408):

وذلك في ذات الإله وإن يشأ *** يبارك على أوصال شلو موزع

لإسناد إيراده عليه السلام كلمة «ذاته».

وقول النابغة للغرض نفسه 408/1:

محلثهم ذات الإله ودينهم *** قديم فما يخشون غير العواقب

ولقوله عليه السلام:

«وظهرت في البدائع التي أحدثها آثار صنعته، وأعلام حكمت».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي العتاهية (412/6):

فوا عجباً كيف يعصى الإله *** أم كيف يحمده الجاحد؟

وفي كل شيء له آية *** تدل على أنه واحد

ص: 21

و لقوله عليه السلام، وقد وردت فيه كلمة «تستك»:

«ووراء ذلك الرجح الذي تستك منه الأسماع سبحات نور تردع منه الأبصار، عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها».

استشهد ابن أبي الحديد بقول النابغة (427/6):

ونأت خير الناس أنك لمتني *** و تلك التي تستك منها المسامع

و لقوله عليه السلام:

«و سكن هيج ارتمائته، إذ وطئته بكلكلها».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر لورود كلمة «كلكل»:

كأن مهواها على الكلكل *** موضع كفي راهب مصلي

و لورود كلمة «الحكمة» في قوله عليه السلام:

«و في حكمة الذل منقادة أبداً».

استشهد ابن أبي الحديد بقول زهير بن أبي سلمى (440/6):

القائد الخيل منكوباً دوابرها *** قد أحكمت كلمات القيد و الابكا

و لورود كلمة «بأوه» في قوله عليه السلام:

«و سكنت الأرض مدحوة في لجة تياره، وردت من نحوه بأوه و اعتلاله».

استشهد ابن أبي الحديد بقول حاتم (440/6):

فما زارنا بأواً على ذي قرابة *** غنانا ولا أزرى بإحساننا الفقر

و لورود كلمة «فزع» في قوله عليه السلام:

«ألف غمامها بعد افتراق لمعه و تباين فرعه».

استشهد ابن أبي الحديد بقول ذي الرمة يصف فلاة (447/6):

ترى عصب القطا هلاً عليه *** كأن رعاله فزع الجهام

و لورود كلمة «بواني» في قوله عليه السلام:

«فلما ألتقت السحاب برك بوانيتها».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (444/6):

أصبر من ذي ضاغط عركك *** ألقى بواني زوره للمبرك

و لورود كلمة «باع» في قوله عليه السلام:

«باع ما استقلت به من العبء المحمول عليه». استشهد بقول امرئ القيس (440/6):

و ألقى بصحراء الغبيط باعه *** نزول اليماني بالعياب المثقل

و لورود كلمة «زعر» في قوله عليه السلام:

«أخرج به من هواق الأرض النبات و من زعر الجبال الأعشاب»

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (444/6):

من يك ذا رمة يرجعها *** فإنني غير ضائري زعري

و لورود كلمة قرن في قوله عليه السلام، عن الخالق جل شأنه:

«بل تعاهدهم بالحجج على أسن الحيرة من أنبيائه، و متحملي و دائع رسالاته، قرناً فقرنا».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (6/7):

إذا ما مضى القرن الذي أنت فيهم *** و خُلِّفت في قرنٍ فأنت غريب

و لورود كلمة «اقران» في قوله عليه السلام عن الخالق جل شأنه:

«ووصل بالموت أسبابها، و جعله خالجاً لأشطانها، و قاطعاً لمرائر أقرانها».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (21/7-22):

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقية *** أني لدى الباب كالمشودود في قرن

و لورود كلمة «أيم الله» في قوله عليه السلام:

«و أيم الله لتجدنَّ بني أمية لكم أرباب سوء بعد كالناب الضروس، تعزم بغيها وتخبط بيده» (45/7):

استشهد بقول الشاعر (54/7):

فقال فريق القوم لما نشدتهم *** نعم و فريق أيمنُ الله ما ندري

باعتبار أن «أيمن» اسم وضع للقسم هكذا بألف وصل، و يضم الميم و النون، قالوا: و لم تأت في الأسماء ألف وصل مفتوحة غيرها. و تدخل عليها اللام التأكيد الابتداء. كما في قول الشاعر المار ذكره. و تحذف نونه فيصير «أيم الله» كما في قول الإمام عليه السلام.

و ذهب أبو عبيدة و ابن كيسان و ابن درستويه إلى أن «أيمن» جمع يمين و الألف همزة قطع. و إنما خففت و طرحت في الوصل لكثرة الاستعمال، قالوا: و كانت العرب تحلف باليمين فتقول: يمين الله لا أفعل.

قال امرؤ القيس (55/7):

فقلت يمين الله أبرح قاعداً *** ولو قطعوا رأسي لديك و أوصالي

و اليمين تجمع على أيمن، قال زهير:

فتجمع أيمن منا و منكم *** بمقسمة تمور بها الدماء

و لورود كلمة الثاوي في قوله عليه السلام:

«انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها، الصادفين عنها، فإنها و الله عما قليل تزيل الثاوي الساكن. و تفجع المترف الآمن» (105/7).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الأعشى (105/7):

أثوى و قصر ليله ليزوداً *** فمضت و أخلف من قتيلة موعدا

و من معاني الثاوي: المقيم، و جاء «أثويت بالمكان» لغة في ثويت.

و لورود كلمة «السلب» في قوله عليه السلام، عن الفتن في المستقبل:

«أهلها قوم شديد كلبهم قليل سلبهم.

استشهد بقول أبي تمام (104-103/7):

إن الأسود أسود الغاب همتها *** يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

و لورود كلمة «مشوب» في قوله عليه السلام:

«سرورها مشوب بالحزن».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر:

«و ماء قدور في القصاع مشيب».

باعتبار أن مشوب مخلوط و جاء مشيب في قول الشاعر المار ذكره.

و لورود كلمة «مأدبة» في قوله عليه السلام، و هو يتحدث عن خلقه تعالى:

«سبحانك خالقاً و معبوداً، بحسن بلائك عند خلقك خلقت داراً، و جعلت فيها مأدبة» (200/7).

استشهد ابن أبي الحديد بقول طرفه، و هو يذكرها بصيغة «الأدب» إذ المأدبة بالفتح و الضم: الطعام يدعى الإنسان إليه. و الأدب الداعي إلى طعامه. قال طرفه (207/7):

نحن في المشتاة ندعوا لجفلى *** لا ترى الأدب فينا ينتقر

و لورود كلمة «منون» في قوله عليه السلام عن الملائكة:

«و لم يخلقوا من ماء مهين، و لم يتشعبهم ريب المنون».

استشهد ابن أبي الحديد بقول لبيد (205/7):

لْمُنْفِرِ فَهَدَّ تَنَافَرِ شَلْوَهُ *** عَبَسَ كَوَاسِبَ لَا يَمْنُ طَعَامَهَا

و لورود كلمة «رهون» في قوله عليه السلام:

«و المرء قد عَلِقَتْ رَهُونَهُ بِهَا» (201/7).

استشهد ابن أبي الحديد بقول زهير (209/7): و فارقتك برهنٍ لا فكاك له *** يوم الوداع فأمسي الرهن قد غلقا

باعتبار أن الإنسان، و هو مشرف على مفارقة الدنيا، صارت أموالها مرتهنة لغيره.

و لورود كلمة «أرجفها» في قوله عليه السلام:

«حتى إذا بلغ الكتاب أجله.. وجاء من أمر الله ما يريده من تجديد خلقه، أماد السماء و فطرها، و أرح الأرض و أرجفها» (201/7).

استشهد ابن أبي الحديد بقول مطرود بن كعب الخزاعي (210/7):

المطعمون اللحم كل عشية *** حتى تغيب الشمس في الرجاف والرجفة: الارتعاد.

و لورود كلمة «قطران» في قوله عليه السلام، و هو يتحدث عن أصحاب المعصية: «و ألبسهم سراويل القطران» (202/7).

استشهد بقول امريء القيس (211/7):

أقتلني و قد شغفت فؤادها *** كما قطر المهنوءة الرجل القالي

و لورود كلمة «حري» في قوله عليه السلام و هو يذكر الدنيا:

«و حري إذا أصبحت له منتصرة، أن تمسي له متكره» (226/7م):

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (230/7):

و هن حري أن لا يثبلك نقرة *** و أنت حري بالنار حين تشيب

و لقوله عليه السلام:

«اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبتكم، و اسألوه من أداء حق كما سألكم».

استشهد ابن أبي الحديد بقول عمرو بن كلثوم (246/7-248):

ألا لا يجهلن أحد علينا *** فجهل فوق جهل الجاهلينا

و هو سؤال لأجل المقابلة بين اللفظين.

و لورود كلمة «حداير» في قوله عليه السلام في الاستسقاء:

«اللهم خرجنا إليك حين اعتكرت علينا حداير السني» (262/7).

استشهد ابن أبي الحديد بقول ذي الرمة (263/7):

حداير لا تنفك إلا مناخة *** على الخسف أو نرمي بها بلداً قفراً

إذ أن حداير جمع حدبار وهي الناقة التي أنضاهها السير، فتشبهت بها السنة

التي فشا فيها الجرب.

و لإسناد دعاء عرب الجزيرة في الاستسقاء، استشهد ابن أبي الحديد بقول

أمية بن أبي الصلت (265/7):

أجعل أنت بيقوراً مسلّمة *** ذريعة لك بين الله والمطر

إذ إنهم إذا أصابهم المحل استسقوا بالبهايم، و دعوا الله بها و استرحموه لها، و منهم من كان يجعل في أذنان البقر السلع و العُشر يصعد بها الجبال و التلال العالية و كانوا يسقون بذلك.

و لورود كلمة «حفايها» في قوله عليه السلام، و هو يحث أصحابه على القتال (3/8):

«... فإن الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفون براياتهم و يكتنفونها حفايها».

استشهد ابن أبي الحديد بقول طرفة (4/8):

كأن ضاحي مضرحيّ تكنفا *** حفافيه شكّا في المسيب بمبرد

و لورود كلمة «الخلائب» في قوله عليه السلام، و هو يحث أصحابه على القتال في صفين:

«و حتى يُرموا بالمناسر تتبعها المناسر، و يُرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب».

استشهد ابن أبي الحديد بقول جعفر بن علبة الحارثي (8/8):

ألهفا بقريّ سحبل حين أسلبت *** علينا الولايا و العدو المباسل

و لورود كلمتي «حشاش النار» في قوله عليه السلام و هو يخاطب الخوارج:

«لبس حشاش نار الحرب انتم» (104/8).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (107/8):

أفي أن أحسّ الحرب فيمن يُحسُّها *** ألام، و في إلا أفر المخازيا!

و لورود كلمة «برح» في قوله عليه السلام:

«أفٍ لكم لقد لقيت منكم برحا».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (108/8):

أجدك هذا عمرك الله كلما *** دعاك الهوى برح لعينيك بارح

و لورود كلمة «سمير» في قوله عليه السلام:

«أ تأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وُلّيت عليه؟ و الله لا أطور به ما سمّر سمير» (109/8).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشنفرى:

هنالك لا أرجو حياة تسرنى *** سمير الليالي مسلاً بالجرائر

و لورود كلمة «وليصبر» في قوله عليه السلام:

«فمن أتاه الله مالاً... فليصبر نفسه على الحقوق و النوائب».

استشهد ابن أبي الحديد بقول عنترة يذكر حرباً (74/9-75):

فصبرت عارفة لذلك حرة *** ترسو إذا نفس الجبان تطلّع

و لورود كلمة «فوز» في قوله عليه السلام:

«إن فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا».

استشهد ابن أبي الحديد بقول سلم بن ربيعة (74/4-75):

إن شواء و نشوة *** و خيب البازل الأمون

من لذة العيش و الفتى *** للدهر، و الدهر ذو شؤون

إذ لم يقل (إن الشواء و النشوة) كأنه جعل من الشواء شخصاً من جملة أشخاص، كما أن الإمام عليه السلام أراد بالفوز المنكور التعميم و ليس التخصيص.

و لورود كلمة «بواء» في قوله عليه السلام:

«فيكون الثواب جزاءً، و العقاب بواءً».

استشهد ابن أبي الحديد بقول ليلى الأخيلية (84/9-85):

فإن تكن القتلى بواءً فإنكم *** فتى ما قتلتم آل عون بن عامر

و لورود كلمة «ذمامة» في قوله عليه السلام و هو يجيب سائلاً:

«و لك بعد، ذمامة الصهر، و حق المسألة ..».

استشهد ابن أبي الحديد بقول ذي الرمة (241/9-242):

تكن عوجة يجزيكها الله عنده *** بها الأجر أو تقضي ذمامة صاحب

و لورود كلمة «سيّته» في قوله عليه السلام يخاطب عثمان بن عفان:

«فلا تكونن لمروان سيّته يسوقك حيث شاء».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (262/9-263):

فما أنا إلا مثل سيقّة العدى *** إن استقدمت نجرّ و إن حبات مقر

و لورود كلمة «داري» في قوله عليه السلام يصف ذنب الطاووس:

«كأنه قلع داريّ، عنّجه نوتيه».

استشهد بقول الشاعر (269/9):

إذا التاجر الداري جاء بفأرة *** من المسك راحت في مفارقهم تجري

إذ إن الداري جالب العطر في البحرين من دارين، و هي فرضة في البحرين،

فيها سوق يحمل إليها المسك من الهند.

و لورود كلمة «زيفان» في قوله عليه السلام يصف الطاووس:

«يختال بألوانه، و يمس بزيفانه».

استشهد بقول عنتر (269/9):

ينباع من ذفري غضوب جرّه *** زيفانة مثل الفنيق المكدم

إذ إن الزيفان يعني التبختر.

و لورود كلمة «مداري» في قوله عليه السلام:

«تخال قصبه مداري من فضة».

استشهد ابن أبي الحديد بقول النابغة يصف الثور والكلاب (271/3):

شك الفريضة بالمدري فأنفذها *** شك المبيطر إذ يشفي من العضد

و كذلك المدراة، ويقال المدري لشيء كالمسلة تُصلح بها الماشطة شعور النساء، قال الشاعر (272/9):

تهلك المدراة في أكتافه *** وإذا ما أرسلته يعتفر

و لورود كلمة «صيصة» في قوله عليه السلام:

«وقد نجمت من طنوب ساقه صيصة خفية».

استشهد ابن أبي الحديد بقول دريد بن الصمة (274/9):

فجئت إليه و الرماح تنوشه *** كوقع الصياصي في النسيج الممدد

و لورود كلمة «عبدان» في قوله عليه السلام:

«قد ثارت معهم عبدانهم».

استشهد بقول الشاعر (292/9):

أنشب العبد إلى آبائه *** أسود الجلدة من قوم عبُد

و العبدان بالكسر جمع عبد. و جاء أعبد و عباد و عبْدان، مشدودة الدال، و عبدا بالمد، و عبدي بالقصر، و معبوداء بالمد. و عبُد بالضم.

و لورود كلمة «فياله» في قوله عليه السلام:

«فإنهم إن تحملوا على فياله هذا الرأي، انقطع نظام المسلمين» (295/9).

استشهد بقول الشاعر (297/9):

بني رب الجواد فلا تغيلوا *** فما أنتم لنعذرکم لفيل

و كذلك قول الشاعر:

رأيتك يا أخيطل إذ جرينا *** و جربت الفراسة كنت فالأ

و لورود كلمة «أحفها» في قوله عليه السلام:

«و ستنبك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها فاحفها بالسؤال و استخبرها الحال» (265/10).

عن إخواننا الأراقم يفلو *** ن علينا في قيلهم احفاء

و لورود كلمة «سبّابين» في قوله عليه السلام:

«إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين».

استشهد ابن أبي الحديد بقول عبد الرحمن بن حسان (21/11):

لا تسبّني فلست بسبي *** إن سبّي من الرجال الكريم

و لورود كلمة «أتلعوا» في قوله عليه السلام:

«لقد أتلعوا أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله فوقعوا دونه» (123/11).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الأعشى (126/11):

يوم تبدلنا قتيلة عن جي *** دِ تليع تزينه الأطواق

و لورود كلمة «عَيُّوا» في قوله عليه السلام يذكر الموتى:

«فلو كانوا ينطقون بما لَعِيُوا بصفة ما شاهدوا و ما عاينوا» (151/11).

عَيُّوا بأمرهم كما *** عَيَّت بيضتها الحمامه

جعلت لها عودين من *** نشم و آخر من تمامه

وروي «لَعِيُوا» بالتخفيف كما تقول «حَيُّوا». قالوا: ذهبت الياء الثانية الالتقاء الساكنين لأن الواو ساكنة، و ضمت الياء الأولى لأجل الواو، قال الشاعر:

و كنا حسبناهم فوارس كهمسٍ *** حيوا بعدما ماتوا من الدهر أعصرا

و لورود كلمة «اهدام» في قوله عليه السلام:

«و لبسنا أهدام البلي» (151/11).

استشهد ابن أبي الحديد بقول أوس (160/11):

و ذات هدمٍ عار نواشرها *** تصمت بالماء قولباً جذعا

و لورود كلمة «استكت» في قوله عليه السلام و هو يذكر الموتى أيضاً:

«و قد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكت» (151/11).

استشهد ابن أبي الحديد بقول النابغة (162/11):

و نبئت خير الناس أنك لمتني *** و تلك التي تستك منها المسامع

و استكت: أي ضاقت

و لقول عمر بن الخطاب:

«وكانت قابية قوب عامها و الحج بهاء من بهاء الله».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الكميت (122/12):

لهن و للمشيب و من علاه *** من الأمثال قابية وقوب

و القابية قشرة البيضة إذا خرج منها الفرخ. و القوب: الفرخ.

و لورود كلمة «كذبت» في قول عمر بن الخطاب:

«كذبت عليكم الحج».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (128/12):

كذبت عليك و لا تزال تفوقني *** كم فاق آثار الوثيقة فائق

و قول البارقي:

و ذبانية وصت بنيتها *** بأن كذب القواطف و القروف

و لقوله عليه السلام: في الأمم الماضية وروود كلمة (اعنقوا):

«حتى أعنقوا في حنادس جهالته».

استشهد ابن أبي الحديد بقول ابن النجم العجلي (148/13)

يا ناق سيرى عنقاً فسيحا *** إلى سليمان فتستريحاً

و لورود كلمة «أقزام» في شأن الحكمين و ذم أهل الشام في قوله عليه السلام:

«جفاة طغام، عبيد أقزام».

وقد روي (قزام).

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (310/13):

أحصنوا أمهم من بعدهم *** تلك أفعال القزام الوكعة

و لورود كلمة «أذربيجان» في كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس عامله عليها:

استشهد ابن أبي الحديد بقول حبيب (33/14):

و اذربيجان احتيال بعدما *** كانت معرّس عبرة و نكال

و قول الشماخ:

تذكرتها وهناً و قد حال دونها *** قرى اذربيجان المالح و الجال

و لأن العرب تسمي الطواعين رماح الجن.

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (250/15):

لعمرك ما خشيت على أبي *** رماح بني مقيدة الحمار

ولكنني خشيت على أبي *** رماح الجن أو إياك حار

و قول العماني الراجز:

قد رفع الله رماح الجن *** و أذهب التعذيب و التجني

و لورود كلمة «رحلت» في قوله عليه السلام من كتاب له إلى أهل البصرة:

«فها أنذا قد قربت جيادي، و رحلت ركابي».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الأعشى (4/16):

رحلت سمية غدوة أجمالها *** غضبي عليك فما تقول بدالها

ورحلت بمعنى: شددت على ظهورها.

ولورود كلمة «رهينة» في قوله عليه السلام:

«ورهينة الأيام».

استشهد بقول الشاعر:

أما ترى جسمي خلاء قد رهن *** هزلاً و ما مجد الرجال في السمن

ولورود كلمة «الموت» في قوله عليه السلام:

«وأسير الموت، و حليف الهموم، و قرين الأحزان، و نصب الآفات، و سريع الشهوات».

استشهد بقول طرفة (54/16):

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى *** لكأ طول المرضى و ثنياه باليد

ولورود كلمة «كذب» في قوله عليه السلام:

«و صدق لا يشوبه كذب».

استشهد ابن أبي الحديد بقول زهير (61/16):

ليث بعثرة يصطاد الليوث إذا *** ما كذب الليث عن أقرانه صدقا

ولورود كلمة «أهجر» في قوله عليه السلام:

«من أكثر أهجر».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشماخ (99/16):

كما جدة الأعراق قال ابن جدّة *** عليها كلاماً جار فيه وأهجرا

أهجر الرجل: إذا أفحش في المنطق.

و لورود كلمتي «كلا ولا» في قوله عليه السلام:

«فاقتتلوا كلا ولا».

أي شيئاً قليلاً، والمعروف عند أهل اللغة «كلا وذا» قال ابن هاني المغربي (149/16):

و أسرع في العين من لحظةٍ *** وأقصر السمع من لا وذا

و لورود كلمة «مقيرة» في قوله عليه السلام:

«و لهي في عيني أهون من عفصة مقيرة».

استشهد ابن أبي الحديد بقول ليبيد (207/16):

ممقر مرّ على أعدائه *** و على الأذنين حلو كالعسل

و لورود كلمة «مظانها» في قوله عليه السلام:

«مظانها في غد جدث».

استشهد ابن أبي الحديد في قوله عليه السلام:

فإن يك عامر قد قال جهلاً *** فإن مظنة الجهل الشباب

فالمظنان جمع مظنة، وهو موضع الشيء و مألفة الذي يكون فيه.

و لقوله عليه السلام:

«الذراع من العضد».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الراجز (290/16):

يا بكر بكرين و يا خلب الكبد *** أصبحت مني كذراع من عَضُد

و لورود كلمة «إن» في قوله عليه السلام:

«لقد آن لك أن تنتفع باللمع الباجر من عيان الأمور». استشهد بقول الشاعر (23/18):

ألم يأن لي أن تُجَلَّ عني عمايتي *** وأقصر عن ليلين بلى قد أن ليا

إذ آن و أنى لك بمعنى.

و لورود كلمة «خجوج» في قوله عليه السلام:

«إن الله أوصى إلى إبراهيم عليه السلام أن ابن لي بيتاً في الأرض، فضاق بذلك ذرعاً، فأرسل الله إليه السكينة، وهي ريح خجوج، فتطوقت حول البيت كالحجفة».

استشهد ابن أبي الحديد بقول ابن احمر (130/19):

هو جاء رعبلة الرواج خجو *** جاة الغدو رواحها شهر

و لورود كلمتي «كذبت» «ولقت» في قوله عليه السلام:

«كذبت و الله وولقت».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (126/19):

الخلافة العينين كذابة المنى *** وهي من الأحلاف و الولعان

و لورود كلمة «مبلح» في قوله عليه السلام:

«إن من ورائكم أموراً، متماحلة ردحاً، و بلاء مكلماً مبلحاً».

استشهد بقول الأعشى (127/19):

وإذا حمل عبئاً بعضهم *** و اشتكى الأوصال منه و بلح

و لقوله عليه السلام:

«و السرائر مبلوّة».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الأحوص (207/19):

ستبلى لها في مضمر القلب و الحشا *** سريرة حب يوم تبلى السرائر

و لورود كلمة «رز» في قوله عليه السلام:

«و من وجد في بطنه رزاً فلينصرف و ليتوضأ».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الراجز (128/19):

كان في ربابة الكبار *** رزّ عشار جلن في عشار

والرز: يعني الصوت في البطن من القرقرة.

و لورود كلمة «مودون» في قوله عليه السلام في ذي الثدي المقتول في النهروان:

«مودون اليد».

استشهد ابن أبي الحديد بقول حسان يذم رجلاً (129/19):

و أمك سوداء مودونة *** كأن أناملها الحنْظب

المودون اليد: القصيرها.

و لورود كلمة «عذراتكم» في قوله عليه السلام:

ص: 40

«ما لكم لا تنظفون عذراتكم».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الحطية (130/19):

العمري لقد جربتكم فوجدتكم *** قباح الوجوه سيئي العذرات

ولورود كلمة «أصعل» في قوله عليه السلام :

(استكثروا الطواف في هذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه، فكأنني برجل من الحبشة أصعل أصمع حمش الساقين قاعداً عليها وهي تُهدم).

استشهد ابن أبي الحديد بقول عنتره يصف ظليمة (120/19):

صعلٌ يلوذ بذئ العشيرة بيضه *** كالعبد ذي الفرو الطويل الأصلم

وكلام العرب «صعل» وهو الصغير الرأس.

ولورود كلمة «قَهز» في قوله عليه السلام:

استشهد ابن أبي الحديد بقول ذي الرمة يصف البزاة البيض (122/19):

من الورق أو صقع كأن رؤوسها *** من القهز والقوهي بيض المقناع

والقهز بكسر القاف: ثياب بيض يخالطها حرير.

ولقوله عليه السلام:

«طبيب دوار بطبه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه، من قلوب عمي و آذان صم و أسنة بكم، متبع بدوائه

مواضع الغفلة، ومواطن الخير» (183/7).

استشهد بقول البحري باعتباره من التقسيمات الفاسدة (185/7):

ذاك وادي الأراك فاحبس قليلاً *** مقصرة في ملاة أو مطيلاً

قف مشوقاً أو مسعداً أو حزيناً *** أو معيناً، أو عاذراً، أو عذولاً

إذ يرى ابن أبي الحديد أن التقسيم في البيت الأول صحيح، وفي الثاني يكون غير صحيح، لأن المشوق يموت حزيناً، والمسعد يكون معيناً. وكذلك يكون عاذراً، ويكون مشوقاً ويكون حزيناً.

وقول المتنبي (185/7):

فافخر فإن الناس فيك ثلاثة *** مستعظم أو حاسد أو جاهل

فإن المستعظم يكون حاسداً، والحاسد يكن مستعظماً، كما يقول ابن أبي الحديد.

وقول عبد الله بن همام السلولي (185/7):

و أنت امرؤ إما ائتمنتك خالياً *** فخنث، وأما قلت قولاً بلا علم

فأنت من الأمر الذي قد أتته *** بمنزلة بين الخيانة والإثم

إذ يقول ابن أبي الحديد: إن الخيانة أخص من الإثم، والإثم شامل لأنه أعم منها، فقد دخل أحد القسمين في الآخر.

وقول البحري - الذي أجاد في هذا المعنى (186/7):

غادرتهم أيدي المنية صباحاً *** للقنا بين رجع و سجد

فهم فرقتان بين قتيل *** قبضت نفسه بحدِّ الحديد

أو أسير غدا له السجن لحداً *** فهو حيّ في حالة الملحود

ص: 42

فرقة للسيوف ينفذ فيها ال *** حكم قسراً أو فرقة للقيود

وقول أبي تمام إذ صحّ القسم (186/7):

جمعت لنا فرق الأمانى فيكم *** يا برّ من روح الحياة وأوصل

كالمزن من ماضى الشباب و مقبل *** متنظّرٍ و مخيمٍ متمهّل

فصنّعة في يومها وصنّعة *** قد أحولت، وصنّعة لم تحول

ص: 43

النحو

اشارة

ص: 45

يتناول الأمور الآتية :

- منع صفين من الصرف

- شتان

- فتح وكسر اللام

- جزاء الشرط

- تعدية اللازم

- تقدير ذو

- تقدير فعل

- تشكيل اعتراضى

- جمع نوء

- أوه

- حذف إن

- تقديم الجار والمجرور على الحال

- بينات بينما

- خبر المبتدأ المحذوف

- وظيفة (من)

- تعدية (صبر)

- الفعل المقدر

- تكرار (بين)

- إياك

- تبادل الحروف

ممنوع من الصرف للتأنيث والتذكير (132/1).

كقول الحميري:

إني أدين بما دان الوصي به *** يوم الخريبة من قتل المُحلِّينا

وبالذي دان يوم النهر دنت به *** وشاركت كفه كفي بصفينا

تلك الدماء معا يارب في عنقي *** ثم اسقني مثلها آمين أمينا

وضع اللام موضع (على) (162/1):

قال عليه السلام:

«حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده».

استشهد ابن أبي الحديد بقول جابر بن متى التخيلي:

تناوله بالرمح ثم أنثنى له *** فخر صريعاً لليدين وللفم

على أن اللام تأتي بمعنى (على) و تقدير قوله عليه السلام «مضى على سبيله».

و تمثل الإمام عليه السلام ببيت أعشى قيس في قوله الآنف ذكره:

شتان ما يومي على كورها *** ويوم حيان أخي جابر

و هو من القصيدة التي قالها في مفاخرة علقمة بن علاقة و عامر بن الطفيل و أولها:

علقم ما أنت إلى عامر *** النافر الأوتار و الواتر

يقول فيها:

و قد أسلّي الهم إذ يعتري *** بحسرة دوسرة عافر

زيافة بالرحل خطارة *** تلوي بشرخي ميسة فاتر

شتان ما يومي على كورها *** ويوم حيان أخي جابر

أرمي بها البيداء إذ هجرت *** و أنت بين القرو و العاصر

في مجدل شيد بنيانه *** يزل عنه ظفر الطائر

و قال ابن أبي الحديد (167/1):

تقول: شتان ماهما، و شتان هما. و لا يجوز: شتان ما بينهما، إلا على قول ضعيف. و شتان أصله: يشنت، كوشكا ذا خروجاً من و شك.

و استشهد بمجيء شتان بخلاف القاعدة بقول البعيث (168/1): الشتان ما بيني و بين ابن خالد *** أمية في الرزق الذي الله

يقارع أتراك ابن خاقان ليله *** إلى أن يرى الإصباح لا يتلعثم

و أخذها حمراء كالمسك ريحها *** لها أرج من دونها يُتسم

إذ جاء هنا: (شتان ما بيني وبين ابن خالد) خلاف القاعدة.

فتح و كسر اللام

و لقوله عليه السلام:

«حتى إذا مضى لسبيله، جعلها في ستة زعم أني أحدهم! فيا لله و للشورى! متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم حتى أقرن إلى هذه النظائر».

استشهد ابن أبي الحديد بقول عبد الله بن مسلم بن جندب (184/1): يا للرجال ليوم الأربعاء و ما *** ينفك يحدث لي بعد النهي طربا

على أن اللام في «يا لله» مفتوحة، واللام في «و للشورى» مكسورة؛ لأن الأولى للمدعو و الثانية للمدعو إليه.

جزاء الشرط

و لقوله عليه السلام:

«وصلوا السيوف بالخطى».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (170/5):

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها *** خطانا إلى أعدائنا فنضارب

على أنهم قالوا بكسر (نضارب) لأنه معطوف على موضع جزاء الشرط

الذي هو (إذا). و فيه محاكاة للخطى أيضاً.

ص: 50

وضع (عن) موضع (بعد)

و لقوله عليه السلام:

«جعل لكم أسماً لتعي ما عناها، وأبصاراً لتجلو عن عشاها». استشهد ابن أبي الحديد بقول الحارث بن عباد (258/6):

قرباً مربوط النعمة عني *** لفحت حرب وائل عن حيالي

أي بعد حيالي، فيكون قد حذف المفعول، وحذفه جائز، لأنه فضله؛ ويكون التقدير: التجلو الأذى بعد عشاها.

تعدية اللازم

و لقوله عليه السلام:

«لا يسبقك من طلبت، ولا يفلتك من أخذت» (194/7).

استشهد ابن أبي الحديد بقول كعب بن سعد الغنوي (198/7):

وداع دعا يا من يجيب إلى النداء *** فلم يستجبه عند ذلك مجيب

وقول الشاعر:

أستغفر الله ذنباً لست محصية *** رب العباد إليه الوجه والعمل

فقد عدى عليه السلام فعل (يفلت) وهو فعل لازم بتقدير (لا يفلت منك) والشاهد في البيتين: (يستجبه) أي يستجيب له. و (أستغفر الله ذنباً) أي: من الذنب (198-197/7)

ص: 51

تقدير ذو

و لقوله عليه السلام:

«أنت لا بد فلا أمد لك» (194/7).

استشهد ابن أبي الحديد بقول علقمة (199/7):

تراد على دمن الحياض فإن تعف *** فإن المندى رحلة فركوب

وقال عنه ابن أبي الحديد:

إن له في العربية محملين؛ أحدهما أن المراد به (أن ذو لا بد) كما قالوا: رجل خال، أي رجل ذو خال. والخال: الخيلاء. ورجل داء: أي به داء. ورجل مال، أي ذو مال.

والمحمل الثاني، أنه لما كان الأزل والأبد لا ينفكان عن وجوده سبحانه، جعله عليه السلام كأنه أحدهما بعينه، كقولهم: أنت الطلاق، لما أراد المبالغة في البيونة. جعلها كأنها الطلاق نفسه.

تقدير فعل

و لقوله عليه السلام: بحق الدنيا:

«أن تمسي له متكرة، وإن جانب منها اعذوب و احلولى، أمر منها جانب فأوى».

استشهد بقول الشاعر (230-226/7):

ألا إنما الدنيا غضارة أيكّة *** إذا اخضر منها جانب جف جانب

ص: 52

فلا تكتحل عينك منها بعبرة*** على ذاهب منها فإنك ذاهب

وقال ابن أبي الحديد عن جانب المرفوع بعد (إن) لأنه فاعل فعل مقدر يفسره الظاهر، أي: وإن أعذوذب جانب منها لأن (إن) تقتضي الفعل و تطلبه فهي ك (إذا) في قوله تعالى:

«إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ».

(و هذا ما لا أوافق عليه - أنا علي الفتال - لأن التقدير هنا لا موجب له في قوله عليه السلام وفي قوله تعالى؛ ففي قوله عليه السلام (جانب) وهو فاعل قد سبق فعله (اعذوذب). وكذلك فعل الآية تأخر عن فاعله، فالأصل: (وإن أعذوذب و احلولى جانب).

(وإذا انشقت السماء) فلا تقدير ولا تخريج.

تشكيل اعتراضى

و لقوله عليه السلام:

«ألا وفي غد - و سيأتي غد بما لا تعرفون - يأخذ الوالى من غيرها عمالها على مساويء أعمالها».

استشهد ابن أبي الحديد بمجموعة من أقوال الشعراء قد تضمنت تشكيلات اعتراضية، التي يسميها النحاة "جملة اعتراضية". وأنا - علي الفتال - أسميها "تشكيل اعتراضى" لأن ما يسمى هنا ب "الجملة" لا تتوافر في أغلبه شروط الجملة، بل هو تشكيل اعتراضى، يعترض سياق الكلام - لتوضيح المراد

ص: 53

و تأكيده، و أحياناً شموليته .

و من هذه الأشعار التي استشهد بها ابن أبي الحديد:

قول جرير (43/9):

و لقد أراني - و الجديد إلى البلى - *** في موكب بيض الوجوه كرام

فقوله " و الجديد إلى البلى " اعتراض و المراد تعزيتة عما مضى من تلك اللذات.

و قول كثير (43/9):

لو أن الباحثين - وأنت منهم - *** رأوك تعلموا منك المطالا

فقوله " وأنت منهم " اعتراض؛ و فائدته أن لا تظن أنها ليست باطلة. و قول أسوار بن مضرب السعدي (44/9):

فلو سألت سراة الحي سلمى *** - على أن قد تلون بي زماني -

لخبرها ذوو أحساب قومي *** و أعدائي فكل قد بلاني

بذبي الذم عن حسبي و مالي *** و زبونات أشوس تيماني

وإني لا أزال أخا حروب *** إذا لم أجن كنت مجنّ جان

فقوله "على أن قد تلون بي زماني" اعتراض، و فائدته الإخبار عن الألسن قد أخذت منه و تغيّرت بطول العمر أوصافه.

و قول أبي تمام (44/9):

وإن الغنى لي أن لحظت مطابي *** من الشعر -إلا في مديحك- أطوع

ص: 54

فلاعتراض فيه قوله: "ألا في مديحك" هذا ما ذهب إليه ابن أبي الحديد، وأضاف: «و ليس قوله "إن لحظت مطالبني" اعتراضاً كما زعم ابن الأثير الموصلي لأن فائدة البيت معلقة عليه، لأنه لا يريد أن الغني لي على كل حال أطوع من الشعر.. و مراده أن الغني لي بشرط أن تلحظ مطالبني من الشعر أطوع لي؛ ألا في مديحك، فإن الشعر، في مديحك أطوع لي منه. وإذا كانت الفائدة معلقة بالشروط المذكور لم يكن اعتراضاً».

(وإنني - علي الفتال - أرى أن لا اعتراض في بيت أبي تمام سوى "ألا في مديحك" بخلاف ما يرى ابن الأثير الموصلي.

أما عبارة "إن لحظت مطالبني من الشعر" فقد تقدمت على خبر «إن» «أطوع» و إن جملة البيت - لولا الوزن - هي:

«و إن مديحك لي أطوع - في مديحك - إن لحظت مطالبني من الشعر».

بخلاف ما يرى ابن أبي الحديد، وإن كان كلامه قريباً من هذا).

وكذلك وهم ابن الأثير - كما يقول ابن أبي الحديد - في قول امرئ القيس (45/9):

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة *** كفاني ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثّل *** وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي

فقال ابن الأثير: إن قوله "و لم أطلب" اعتراض، و ليس بصحيح، لأن فائدة البيت مرتبطة به، و تقديره: لو سعيت لأن آكل و أشرب لكفاني القليل، و لم

أطلب الملك. فكيف يكون قوله "ولم أطلب الملك" اعتراضاً، و من شأن الاعتراض أن يكون فضلة ترد لتحسين و تكملة، و ليس فائدة أصلية! انتهى قول ابن أبي الحديد.

(في رأيي - أنا على الفتال - أن "ولم أطلب" جملة في رأسها تؤكد قوله "فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة" و لم تكن اعتراضية بمعنى الاعتراض كما ذهب إليه ابن الأثير، و لا هي تقديرية كما ذهب ابن أبي الحديد. بل هي جملة أخرى مضافة إلى الجملة الأولى لغرض التأكيد).

وقال ابن أبي الحديد، وقد يأتي الاعتراض و لا فائدة فيه، و هو غير

مستحسن، نحو قول النابغة (45/9):

يقول رجال يجهلون خليقتي *** لعل زياداً - لا أباً لك - غافل

فقوله "لا أباً لك" اعتراض لا معنى له ها هنا..

و مثله قول زهير:

سئمت تكاليف الحياة و من يعيش *** ثمانين حولاً - لا أباً لك - يسأم

فإن جاءت "لا أباً لك" تعطي معنى يليق بالموضوع فهي اعتراض جيد، نحو قول أبي تمام (45/9):

«عتابك عني - لا أباً لك و اقصدي».

فإنه أراد زجرها و ذمها لما أسرفت في عتابه.

وقد يأتي الاعتراض على غاية من القبح و الاستهجان، و هو على سبيل

ص: 56

التقديم و التأخير كقول الشاعر (46/9):

فقد - و الشك - بين لي عناء *** بوشك فراقهم صرّد فصيح

أبا

و لقوله عليه السلام:

«لا أبا لغيركم، ما تنتظرون بنصركم، و الجهاد على حقكم» (67/10).

استشهد ابن أبي الحديد بقول نهار بن توسعة الشكري (68/10):

أبي الإسلام لا أب لي سواه *** إذا افتخروا بقيس أو تميم

و قول الشاعر:

إن أباه و أبا أباه *** قد بلغا في المجد غايتها

يقول ابن أبي الحديد: إن الأفصح "لا أب" بحذف الألف، و قد خرجها أبو

البقاء بقوله: يجوز فيها وجهان آخران؛ أحدهما أنه أشبع فتحة الباء فنشأت الألف و الاسم باقٍ على تنكيه، و الثاني أن يكون استعمل "أبا" على لغة من قالها "أبا" في جميع أحوالها مثل "عصا".

جمع نوء

و لقوله عليه السلام:

(و ما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء و انهطال السماء .

استشهد ابن أبي الحديد بقول حسان بن ثابت (86/10-88):

ص: 57

و يثرب تعلم أتا بها *** إذا قحط القطر نوآنها

باعتبار أن جمع نوع أنواء و يأتي نوآن مثل بطن وبطنان وعبد وعبدان.

أين

و لقوله عليه السلام:

«و لا ينظر بعين، ولا يُحدُّ بأين».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر :

ليت شعري وأين مني ليت *** إن لله ليتاً لله و إن لله لؤاً لله

باعتبار أن أين في الأصل مبنية على الفتح فإذا نكَّرتَها صارت اسماً متمكناً.

أوه

و لقوله عليه السلام :

«أوه على إخواني الذين قرؤوا القرآن فأحكموه».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (110/10):

فأوهٍ لذكراها إذا ما ذكرتها *** و من بعد أرض دونها وسماء

إنهم ربما قلبوا الواو ألفاً فقالوا: آهٍ من كذا، آهٍ على كذا.

و ربما شددوا الواو وكسروها وسكنوا الهاء فقالوا: أو من كذا. بلا قد. وقد يقولون: آؤه: بالمد و التشديد و فتح الألف و سكنون الهاء. لتطويل الصوت بالشكاية. و ربما أدخلوا فيه الياء تارة يمدونه، و تارة لا يمدونه، فيقولون: "أويآه".

وقد أوّه الرجل تأويها، و تأوه تأوها، إذا قال: "أوه" و الاسم منه الآهة

بالممد.

قال المنقب العبدى:

إذا ما قمت أرحلها بليل *** تأوه آهة الرجل الحزين

حذف إن

و لقوله عليه السلام:

(أملكوا عني هذا الغلام لا يهدني؛ فإنني أنفس بهذين، يعني الحسن و الحسين عليه السلام، على الموت).

استشهد ابن أبي الحديد بقول طرفة (26-25/11):

ألا أيها الزاجري احذر الوغى *** و أن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

و أصله "لثلا يهدني" فحذف كما حذف طرفة.

تقديم الجار و المجرور على الحال

و لقوله عليه السلام:

(و جعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب، تفضلاً منه، و توسعاً بما هو من

المزيد أهله)

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (91-88/11):

لأن كان برد الماء حران صاديا *** إليّ حبيباً إنها لحبيب

ص: 59

أي: بما هو أهله من المزيّد، فقدم الجار والمجرور و موضعه نصب على الحال، وفيه دلالة على أن حال المجرور تتقدم عليه كقول الشاعر أيضاً.

و لقوله تعالى:

{ .. يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ }.

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (178/12):

ليبك يزيد ضارع لخصومة*** و مختبط مما تطيح الطوائح

إن من قرأ «يسبح له فيها» بفتح الباء ارتفع "رجال" بوجهين:

أحدهما: أن يضم له فعل يكون هو فاعله، تقديره "يسبحه رجال" و دل على (يسبحه) يسبح كقول الشاعر "ليبك" أي: يبكيه. ضارع و دل على "يبكيه" و "يبك".

و الثاني: أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره المسبحون رجال .

و من قرأ: «يسبح له فيه» بكسر الباء ف "رجال" فاعل.

و القراءة الأخيرة -عندي أنا علي الفتال- هي الصحيحة إذا ابتعدنا عن

تمحلات النحاة في تقديراتهم و تخريجاتهم التي لا موجب لها.

بينما = بينما

و لقوله عليه السلام:

(وإن أهل الدنيا كركب بينا هم حلوا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا).

ص: 60

استشهد ابن أبي الحديد بقول ثلاثة شعراء (52/20-53):

الأول لأبي ذؤيب:

بينما تعنّفه الكمأة وروغه *** يوماً أتبح له جريءٌ سلفع

و الثاني لأحدهم:

بينما الناس على عليائها *** إذ هووا في هونّةٍ منها فغاروا

و الثالث للحرقة بنت النعمان بن المنذر:

بينما نسوس الناس والأمر أمرنا *** إذا نحن فيهم سوقة نتصف

وقال ابن أبي الحديد: وبينما هي بين نفسها. ووزنها "فعلى" أشبعت فتحة النون فصارت ألفاً. ثم قالوا "بينما" فزادوا "ما" والمعنى واحد. وكان الأصمعي يخفظ بعد "بينما" إذا صلح في موضعه "بين" وينشد بيت أبي ذؤيب (الأول) بالكسر، وغيره يرفع ما بعد "بينما" وبينما، على الابتداء والخير.

فأما "إذ" و"إذا" فإن أكثر أهل العربية يمتنعون من مجيئها بعد بينا وبينما، ومنهم من يجيزه، وعليه جاء كلام أمير المؤمنين، وأنشدوا القول الثاني: "بينما الناس..". والقول الثالث "وبينما نسوس..".

الأحر

الأحرُّ

و لقوله عليه السلام:

«ألا حرُّ يدع هذه اللماظة لأهلها؟ إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها إلا مها.

ص: 61

باعتبار أن "الأ حر" مبتدأ وخبره محذوف، أي: في الوجود.

(وعندي - أنا علي الفتال - أن همزة "الأ" استفهامية و"لا" على وظيفتها، و"حر" مبتدأ وخبره عبارة «بدع هذه اللماظة لأهلها». فلا حذف ولا تقدير)

من

ولقوله عليه السلام:

«والاعتذار منها».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (171/1):

أمن رسم دار مُرَبِّعٍ ومصيف *** لعينيك من ماء الشؤون وكيف

على أن "من" يمكن أن تكون على أصلها، يعني أن عمراً كان كثيراً ما يحكم بالأمر ثم ينقضه، ويفتي الفتيا ثم يرجع عنها، ويعتذر من أفتى به أولاً. ويمكن أن تكون "من" هاهنا للتعليل والسببية. أي: ويكثر اعتذار الناس عن أفعالهم، وحركاتهم لأجلها، أي: لأجل أن رسم المربع والمصيف هذه الدار وكف دمع عينيك.

أصبر

ولقوله عليه السلام:

«فاستدركوا بقية أيامكم، واصبروا لها أنفسكم».

ص: 62

استشهد ابن أبي الحديد بقول عنتر (354/6):

فصبرت عارفة لذلك حرّة *** ترسو إذا نفس الجبان تطلّع
على أن "اصبر" يتعدى فينصب.

الفعل المقدر

و لقوله عليه السلام:

«و سينتقم الله ممن ظلم، فأكلًا بمأكل، و مشربًا بمشرب».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي تمام:

فبما قد أراه ديّان مكسوّ *** المعاني من كل حسن وطيب
باعتبار أن مأكلًا منصوب بفعل مقدر، أي: يأكلون مأكلًا.

بين

و لقوله عليه السلام:

«بين ناقة وبين فصيلها».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (156/15):

بين السحاب و بين الريح ملحمة *** قعاقع و ظبي في الجو تختلط
وقول آخر:

بين النديّ و بين برقة صاحك *** غيث الضريك و فارس مقدم

و من شعر الحماسة و هو للمقنع الكندي:

وإن الذي بيني وبين بني أبي *** وبين بني أُمي لمختلف جدا

باعتبار أن الأفصح حذف الثانية، لأن الاسمين ظاهرين، وإنما تكرارها إذا جاءت بعد المضمّر.

إياك

و لقوله عليه السلام:

«ثم وإياكم و تهزيع الأخلاق و تصريفها».

إذ سبق "تهزيع" واو، و هو الأكثر. فيما جاء بلا واو في البيت الآتي، فقد جاء "المراء" بلا واو (29/10):

إياك إياك المراء فإنه *** إلى الشر دعاءً وللشر جالب

تبادل الحروف

و لقوله عليه السلام:

«يعتصم إليها».

أي: بها، فأنا ب "إلى" مناب الباء.

و استشهد ابن أبي الحديد بقول طرفة:

وإن يلتقي الحي الجميع تلاقني *** إلى ذروة البيت الرفيع المصد

ص: 64

البلاغة

إشارة

البلاغة

وتشتمل على:

لزوم ما لا يلزم

الاقتباس

التشبيه

الاستعارة

الطباق والمقابلة

التخلص والاستطراد

الجناس

الكناية

ص: 65

و لقوله عليه السلام:

«و استعينه فاقة في كفايته .. فإنه أرجح ما وزن وأفضل ما خزن».

استشهد بقول الشاعر (132/1-135):

إن التي زعمت فؤادك ملها *** خلقت هواك كما خلقت هوى لها

بيضاء باكرها النعيم فصاغها *** بلباقة فأدقها وأجلها

حجبت تحيتها فقلت لصاحبي *** ما كان أكثرها لنا وأقلها

وإذا وجدت لها وساوس سلوة *** شفح الضمير إلى الفؤاد فسألها

باعتباره عليه السلام لزم الزاي في "وزن وحزن" من الباب المسمى "لزوم ما لا يلزم" وهو أحد أنواع البديع. وذلك أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفاً واحداً؛ وهذا في المنثور. أما في المنظوم فأن تتساوى الحروف قبل الروي مع كونها ليست بواجبة التساوي. كالأبيات التي مر ذكرها. في حين أن لزوم الباء في قول الراجز:

وفيشةٌ ليست كهذي الفيشِ *** قد مُلئت من نزقٍ وطيشِ

إذا بدت قلت أمير الجيشِ *** من ذاقها يعرف طعم العيشِ

قبل حرف الراوي ليس من هذا الباب، لأنه لزوم واجب، ألا ترى أنه لو قال في هذا الرجز: البطش و الفرش و العرش لم يجز. لأن الردف لا يجوز أن يكون حرفاً خارجاً عن حروف العلة.

وقد صنع أبو العلاء كتاباً في اللزوم من نظمه، فأتي فيه بالجيد و الرديء و أكثره متكلف، و من جيد قوله:

لا تطلبن بآلة لك حالة *** قلم البليغ بغير حظٍ مغزل

سكن السما كان السماء كلاهما *** هذا له رمح وهذا أعزل

ص: 68

لقوله عليه السلام:

«لكني أسففت إذ أسقوا، وطرت إذ طاروا فصغا رجلٌ منهم لضغنه، و مال الآخر لصهره، مع هن وهن».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (184/1):

أرى ابن نزار قد جفاني وملّني *** على هنوات شرها متتابع

لورود (هن وهن) في كلامه عليه السلام.

و لقوله عليه السلام:

«اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له أشراكاً.. فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم» أي صار الاثنان كالواحد.

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي الطيب (229-228/1):

ما الخل إلا من أود بقلبه *** وأرى بطرف لا يرى بسوائه

ص: 69

وقول الآخر:

كنا مع المساعده *** فياً بروح واحدة

وقول الآخر:

جبلت نفسك من نفسٍ كما *** تجبل الخمرة بالماء الزلال

فإذا مسك شيء مسني *** فإذا أنت أنا في كل حال

ص: 70

قال ابن أبي الحديد في شرح قوله عليه السلام:

«اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً. واتخذهم له أشراكاً».

"يجوز أن يكون أشراكاً جمع شريك؛ كشريف وأشراف، ويجوز أن يكون

جمع شَرَك كجبل وأجبال».

ويرى على الفئال: "إن الشَرَك هو الذي أراده الإمام عليه السلام لأن الشيطان يجعل من مريديه أشراكاً لتوريط الآخرين، ولاصطيادهم في طريق الشر والمعصية".

و لقوله عليه السلام:

«وقد أَرعدوا وأبرقوا ومع هذين الأمرين الفشل، ولسنا نرعد حتى نوقع، ولا نسيل حتى نمطر».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الكميت (237/1):

أرعد وأبرق يا بريد *** فما وعيدك لي بضائر

و لقوله عليه السلام، عن الدنيا:

«فلم يبق منها سحلة كسحلة الأداة، أو جرعة كجرعة المقلة لو تحزّزها الصديان لم ينقع».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (332/3-333):

قذفوا سيدهم في ورطة *** قذفك المقلة وسط المعترك

و المقلة بفتح الميم و تسكين القاف: حصاة القَسَم التي تلقى في الماء ليعرف قدر ما يسقى كل واحد منهم؛ و ذلك عند قلة الماء في
المفاوز.

ص: 72

و لقوله عليه السلام:

«المقدور على أهلها الزوال».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (333/3):

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر *** في الصحف الأولى الذي كان سطر

لاقتباس كلمة "المقدور".

و لقوله عليه السلام، في استبطاء أصحابه إذنه لهم بالقتال:

«فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، و تعشوا إلى ضوئي».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الحطية (12/4):

متى تأته تعشوا إلى ضوء ناره *** تجد خير نار عندها خير موقد

الاقتباس كلمة "تعشوا" من قوله عليه السلام.

و لقوله عليه السلام، و هو يكلم الخوارج:

«أصابكم حاصب».

استشهد ابن أبي الحديد بقول تميم بن أبي مقيل، وهو من دهاة العرب (130/4):

فإذا خلت من أهلها وقطينها *** فأصابها الحصباء و السَّقَانُ

و الحاصب: الريح الشديد التي تثير الحصباء، وهو صغار الحصى؛ ويقال لها، أيضاً حصبة. قال لبيب:

صبرت عليها إذ خوت من أهلها *** أذيالها كل مصوف حصبه

و لقوله عليه السلام: / لما حُوفَّ من الفيلة:

«وإن عليّ من الله جُنَّةٌ حصينة، فإذا جاء يومي انفرجت عني وأسلمتني؛ فحينئذٍ لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم».

استشهد ابن أبي الحديد بالشعر المنسوب إلى الإمام عليه السلام في قوله (132/5):

من أي يومى من الموت أفر *** أيوم لم يُقدَر أو يوم قُدير؟

فيوم لا يقدر لا أرهبه *** ويوم قد قُدِّر لا يُعني الحذر

إذ يعني "الجنة" هاهنا الأجل فاقتبس معناها.

و بقول صاحب الزنج:

وإذا تنازعني أقول لها قري *** موت يريحك أو صعود المنبر

ما قد قضي سيكون فاصطبري له *** ولك الأمان من الذي لم يقدر

ص: 74

و مثله:

قد علم المستأخرون في الوهل *** إن الفرار لا يزيد في الأجل

و الأصل في هذا كله مقتبس من قوله تعالى:

«وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا».

و لقوله عليه السلام، لأصحابه في بعض أيام صفين:

«و الحظوا الخزر، و اطعنوا الشزر».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (171-170/5):

إذا تخازرت و ما بي من خزر *** ثم كسرت العين ما بي من عور

الفيتني ألوي بعيد المستمر *** أحمل ما حُمّلت من خير و شر

إذ اقتبس "الخزر" من قوله عليه السلام.

(و أحسب أن إسكان زاء "خزر" أصح من تحريكها، و إن الراجز جاء بها محرّكة لضرورة شعرية. ع. ف).

و لقوله عليه السلام:

«واطعنوا الشزر».

استشهد ابن أبي الحديد بقول المنخل الإشكري:

يطوف بي عكبّ في معدّ *** و يطعن بالصحلة في قفياً

للتدليل على أن عين "طعنوا" مضمومة، يقال: طُعنت بالرمح. و طُعُن بالضم، و طعنت نسبة إلى طعن بالفتح، أي قدحت.

ص: 75

و لقوله عليه السلام:

«وصلوا السيوف بالخط».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر:

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها *** خطانا إلى أعدائنا فنضارب

و قول الآخر:

تصل السيوف إذا قصرت بخطونا *** يوماً وتلحقها إذا لم تلحق

و يقول النابغة بن لحارث بن كعب:

إن تسألني عنا سميّ فإنه *** يسم إلى قمم العلا أوانا

وتبيت جارتنا حصاناً عفة *** ترضى ويأخذ حقه مولانا

و تقوم إن طرق المنون بسُحرة *** لوصاة والدنا الذي أوصانا

أن لا نفر إذا لكتيبة أقبلت *** حتى تدور رحاهم ورحانا

و تعيش في أحلامنا أشيائنا *** مرداً وما وصل الوجوه لحانا

و إذا السيوف قصرن طولها لنا *** حتى تناول ما نريد خطانا

و يقول حميد بن ثور الهلالي:

إلى أن نزلنا بالفضاء و ما لنا *** به معقل إلا الرماح الشواجر

و وصل الخطا بالسيف والسيف بالخطا *** إذا ظن أن المرء ذا السيف قاصر

و يقول أبي سعيد المخزومي:

رب نار رفعتها ودجى اللي *** ل على الأرض مسبل الطيلسان

وأمون نحررتها لضيوف *** وألوف نفذتهن لجاني

وحروب شهدتها جامع القل *** ب فلم تنكر الكماة مكاني

وإذا ما الحسام كان قصيراً *** طولته إلى العدو بناني

وقول أحدهم يمدح صخر بن عمر بن شريد الأسلمي:

ان ابن عمرو بن الشريد *** له فخار لا يرام

وحجاً إذا عدم الحجا *** وندى إذا بخل الغمام

يصل الحسام بخطوه *** في الروع إن قصر الحسام

وقول الراجز:

يخطو إذا ما قصر العضب الذكر *** خطأ ترى منه المنايا تبتدر

وقول السمؤال:

وإنا لقوم ما نرى القتل سبة *** إذا ما رأته عامر وسلول

يقصر ذكر الموت آجالنا لنا *** وتكرهه آجالهم فتطول

وقول الآخر:

وإن قصرت أسيافنا كان وصلها *** خطانا إلى أعدائنا فتطول

وقول وداك بن شميل المازني:

مقاديم وصالون في الروع وصلهم *** بكل رقيق الشفرتين يمانى

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم *** لأية حرب أم بأي مكان

وقول آخر:

ص: 77

إذا الكماة تنحوا أن يصبهم *** حد السيوف وصلنا ما بأيدينا

وقول آخر:

وصلنا الرقاق المرهفات بخطونا *** على الهول حتى مكنتنا المضارب

وقول الراجز:

الطاعنون في النحور والكلى *** والواصلون للسيوف بالخطا

وقول النابغة:

فبت كأنني ساورتني ضئيلة *** من الرقش عن أنيابها السم ناعع

استشهد بهذا البيت لقول أم سلمة:

«لنهشت به نهش الرقشاء المطرقة».

وهي تخاطب عائشة لتلزم بيتها ولا تخرج إلى البصرة مطالبة بدم عثمان (224/6)

ولورود كلمة (المطرقة) في قول أم سلمة الأنف ذكره باعتبار أن الأفعى يوصف بالإطراق (224/6).

استشهد بقول الشاعر:

أصم اعمي ما يجيب الرقي *** من طول إطراق وإسبات

ولقوله عليه السلام:

«ما أصف من دار أولها عناء و آخرها فنا».

استشهد بن أبي الحديد بقول الرضي (238/6):

ص: 78

و أولنا العناء إذا طلعتنا *** إلى الدنيا و آخرنا الذهابُ

و لقوله عليه السلام:

«في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (239/6):

الدهر يومان فيوم مضى *** عنك بما فيه و يوم جديد

حلال يوميك حساب و في *** حرام يوميك عذاب شديد

تجمع ما يأكله وارث *** و أنت في القبر و حيد فريد

إني لغيري و اعظ تارك *** نفسي و قولي من فعالى بعيد

حلاوة الدنيا و لذاتها *** تكلف العاقل ما لا يريد

و قول الشاعر:

حلالها حسرة تقضي إلى ندم *** و في المحارم منها الغم منذور

و لقوله عليه السلام:

(و من أبصر بما أبصرته، و من أبصر إليها أعمته).

استشهد ابن أبي الحديد بقوله هو (239/6):

دياك مثل الضوء تدني إليك *** الضوء لكن دعوة المهلك

إن أنت أبصرت إلى نورها *** تعش، و إن تبصر به تدرك

و لقوله عليه السلام:

«علا بحوله و دنا بطوله».

استشهد ابن أبي الحديد بقول البحري (242/6):

دنوت تواضعاً وعلوت قدراً *** فشأنان انخفاض وارتفاع

و لقوله عليه السلام:

«عليهم لبوس الاستكانة».

استشهد ابن أبي الحديد بقول بيهق الفزاري (250/6):

إلبس لكل حالة لبوسها *** اما نعيمها و أما بؤسها

و لقوله عليه السلام:

«و حذرکم عدو نفذ في الصدر خفياً، و نفث في الأذان نجياً».

استشهد ابن أبي الحديد بقول سحيم بن وثيل اليربوعي (286/6):

إني إذا ما القوم كانوا أنجيه *** واضطرب القوم اضطراب الأرشية

هناك أوصيني ولا توص بيه

[كان على الراجز حذف حرف العلة لولا الوزن الذي جعله يُصَحِّي

بالقاعدة النحوية].

و النجى: الذي يساره و الجمع الأنجيه، و قد يكون النجى جماعة مثل

الصديق.

قال الله تعالى: «لصوا نجياً».

و لقوله عليه السلام: في صفة خلق الإنسان:

«دهمته فجعات المنية في عُبرِّ جماحة، و سنن مراحة».

ص: 80

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي كبير الهذلي (251/6):

ومبرًا من كل غُبرٍ حيضة *** وفساد مرضعة وداء مقيل

و لقوله عليه السلام، في صفة خلق الإنسان أيضاً:

«و لا موتة ناجزة و لا سنة مسلية، بين أطوار الموتات».

استشهد ابن أبي الحديد بقول ابن الرعاء الضباني (273/6):

ليس من مات فاستراح بميت *** إنما الميت ميّت الأحياء

و يعني بالموتات: الآلام العظيمة.

و لقوله عليه السلام:

«احذروا الذنوب المورطة».

استشهد ابن أبي الحديد بقول رؤية (276/6):

نحن جمعنا الناس بالملطاط *** فأصبحوا في ورطة الأوراط

والذنوب المورطة: التي تلقي أصحابها في الورطة.

و لقوله عليه السلام:

«وإنظار التوبة، وانفساح الحوبة».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الفرزدق (277/6):

فهب لي خنبساً واتخذنيه منه *** لحوبة أم ما ميسوغ شرابها

و لقوله عليه السلام:

«فليصل العامل منكم في أيام مهله، قبل ارهاق أجله».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الكميت (351/6):

تندى أكفهم وفي أبياتهم *** ثقة المجاور والمضاف المرهق

حيث اقتبس كلمة "مرهق" من قوله عليه السلام.

و لقوله عليه السلام:

(فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان).

استشهد ابن أبي الحديد بقول زهير (374/6):

وكائن ترى من صامت لك معجب *** زيادته أو نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف و نصف فؤاده *** فلم يبق إلا صورة اللحم و الدم

و لقوله عليه السلام: وهو ينصح:

«و تنفسوا قبل ضيق الخناق».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (396/6):

اختم وطينك رطب إن قدرت و كم *** قد أمكن الختم أقواماً و ما ختموا

فهو المعنى ذاته الذي أراده الإمام عليه السلام.

لقوله عليه السلام:

«من لم يعنه الله على نفسه حتى يجعل منها واعظاً و زاجراً لم ينفعه الزجر والوعظ من غيرها».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (397/6):

و أقصرت عما تعهدين و زاجرٌ *** من النفس خير من عتاب العواذل

و لقوله عليه السلام:

«.. و تنفس الدر و حصيد المرجان».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (403/6):

أدمى له المرجان صفحة خدّه *** وبكى عليه اللؤلؤ المكنون

و لقوله عليه السلام: عن قدرة الله تعالى:

«فظهرت في البدائع التي له، و دليلاً عليه، و إن كان خلقاً صامتاً، فحجته بالتدبير ناطقة، و دلالة على المبدع قائمة».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (412/6):

فوا عجباً كيف يعصى الإله *** أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية *** تدل على أنه واحد

و لقوله عليه السلام، في صفة الملائكة:

«... و وراء ذلك الرجيح الذي تستك منه الأسماع سُبُحات نور تردع الأبصار عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها».

استشهد ابن أبي الحديد بقول النابغة (427/6):

و نبت خير الناس أنك لمتني *** و تلك التي تستك منها المسامع

و لقوله عليه السلام:

«تستطيلون أيام البلاء».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (53/7):

فأيام الهموم مفصصات *** وأيام السرور تطير طيرا

وقول أبي تمام:

ثم انبرت أيام هجر أردفت *** بجوى أسئ فكأنها أعوام

ولقوله عليه السلام:

«إن حضر أطاعه، وإن غاب سبعه».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي الطيب (56/7):

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني *** ولا أعاتبه صفحاً وإهوانا

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني *** إن النفيس نفيس أينما كانا

و معنى سبعه: ثلمه و شتمه.

ولقوله عليه السلام:

«وصمته لسان».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الأعشى (69/7):

إني أتتني لسان لا أسرّ بها *** من علوّ لا كذب فيها ولا سخر

ولقوله عليه السلام:

«و نسأله المعافات في الأديان، كما نسأله المعافات في الأبدان».

استشهد بقول محمود الوراق (81/7):

و إذا مرضت من الذنوب فداوها *** بالذكر إن الذكر خير دواء

والسقم بالأبدان ليس بضائر *** والسقم في الأديان شر بلاء

و لقوله عليه السلام:

«الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبوا تركها».

استشهد ابن أبي الحديد بقول المتنبى (82/7):

كل دمع يسيل منها عليها *** وبفك اليدين منها تخلى

و لقوله عليه السلام:

«بطيء القيام، سريع إذا قام».

أي: هو متأنٍ مثبت في أحواله؛ فإذا نهض جدَّ و بالغ

استشهد ابن أبي الحديد بقول المتنبى (85/7):

و ما قلت للبدر أنت اللجين *** و لا قلت للشمس أنت الذهب

فيفلق منه البعيد الأناة *** و يغضب منه البطين الغضب

و قول ابن هانئ المغربي (86/7):

و كل أناة في المواطن سؤدد *** و لا كأناة من قدير محكم

و من يتبين أن للصفح موضعا *** من السيف يصفح عن كثير و يحلم

و ما الرأي إلا بعد طول تثبت *** و لا الحزم إلا بعد طول تلؤم

و قول الشنفرى:

مسبلٌ في الحي أحوى رقلٌ *** و إذا يغزو فسمعٌ أزلُّ

و لقوله عليه السلام:

«قليل سلبهم». أي همهم القتل لا السلب.

استشهد بقول أبي تمام (104/7):

إن الأسود أسود الغاب همتها *** يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

و لقوله عليه السلام: في الدنيا:

«لا يرجع ما تولى منها فأدبر، و لا يُدري ما هو آت منها، فينتظر».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (106/7):

وأضيع العمر لا الماضي انتفعت به *** و لا حصلت على علم من الباقي

و لقوله عليه السلام: «فبادروا العلم من قبل تصويح نبتة».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي علي البصير (168/7):

لعمر أبيك ما نسب المعلّى *** إلى كرمٍ و في الدنيا كريم

ولكن البلاد إذا اقشعرت *** وصوح نبتها رعي الهشيم

و لقوله عليه السلام:

«استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ».

استشهد بقول أبي الأسود الدؤلي (168/7):

لا تنه عن خلق و تأتي مثله *** عار عليك إذا فعلت عظيم

و لقوله عليه السلام:

«ولكل أجل كتاب، ولكل غيبة إياب».

استشهد بقول عبيد بن الأبرص (190/7):

وكل ذي غيبة يؤوب *** وغائب الموت لا يؤوب

و لقوله عليه السلام:

«فلا منجى منك إلا إليك».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الفرزدق (199/7)

إليك فررت منك و من زيادٍ *** و لم أحسب دمي لكما حالالا

و لقوله عليه السلام:

«و من عشق شيئاً أعشى بصره».

استشهد بقول عبد الله بن معاوية (207/7):

و عين الرضا عن كل عيب كليله *** كما أن عين السخط تبدي المساويا

و لقوله عليه السلام:

«فهو عبد لها ولمن في يديه شيء منها».

استشهد بقول ابن دريد (207/7):

عبيد ذي المال و إن لم يطمعوا *** من ماله في نفيه تشفي الصدا

وهم لمن أملقوا أعداء و إن شاركهم فيها أفاد و حوى

و لقوله عليه السلام:

«حيثما زالت زال إليها، و حيثما أقبلت أقبل عليها».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (208/7):

ما الناس إلا مع الدنيا و صاحبها *** فكيفما انقلبت يوماً به انقلبوا

يعظمون أخوا الدنيا فإن وثبت *** يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا

و لقوله عليه السلام، عن الأموال:

«قد لزمته تبعات جمعها».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (209/7):

أكلت حنيفة ربها *** زمن التقحم والمجاعة

لم يحذروا من ربهم *** سوء العواقب والتباعة

و لقوله عليه السلام: عن الدنيا:

«إن تمسي له متكرة، وإن جانب منها اعذوذب واحلولي، أمر منها جانبه فأوبى».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (230/7):

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة *** إذا اخضر منها جانب جف جانب

فلا تكتحل عينك منها بعبرة *** على ذاهب منها فإنك ذاهب

و لقوله عليه السلام:

«ولا يمسي منها في جناح آمن، إلا أصبح قوادم خوف».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي نواس (231/7):

تغطيت من دهري بظل جناحه *** فصرت أرى دهري وليس برائي

فلو تسأل الأيام ما اسمي فما درت *** و أين مكاني ما عرفن مكاني

و لقوله عليه السلام، عن الدنيا:

«وضعضتكم بالنوائب».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر:

وتجلدي للشامتين أريهم *** أني لريب الدهر لا أتضعضعوا ولقوله عليه السلام: عن الموتى:

«فهم جيرة لا يجيبون داعياً، ولا يتزاورون، وقريبون لا يتقاربون».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشريف الرضي (234/7):

بادون في صور الجميع وإنهم *** متفردون تفرّد الآحاد

ويقول الشريف الرضي أيضاً:

قربت ضرائحهم على زوارها *** ونأوا على الطلاب أي تناء

وقول عبد الله بن ثعلبة الحنفي:

هم جيرة الأحياء أما مزارهم *** فدان، وأما الملتقى فبعيد

ولقوله عليه السلام:

«إن الزاهدين في الدنيا تبكي قلوبهم وإن ضحكوا».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (248/7):

كم فاقة مستورة بمروءة *** وضرورة قد غطيت بتجمل

و من ابتسام تحته قلب شيخ *** قد خامرته لوعة ما تنجلي

ولقوله عليه السلام:

«ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه، ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشريف الرضي (249/7):

نقص الجديدين من عمري يزيد على *** ما ينقصان على الأيام من مالي

دهر تؤثر في جسمي نوائبه *** فما اهتمامي إن أودي بسر بالي

و لقوله عليه السلام:

«يجمع ما لا يأكل، و يبني ما لا يسكن».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (256/7):

أموالنا لذوي الميراث نجمعها *** ودورنا لخراب الدهر ننبها

وقول الآخر:

ألم تر حوشباً أمسى يبني *** بناء نفعه لبني بقبيله

يومل أن يعمر عمر نوح *** وأمر الله يطرق كل ليلة

و لقوله عليه السلام:

«لا جاء يرد، و لا ماضٍ يرتد»، أي يسترد و يرجع.

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي العتاهية (256/7):

فلا أنا راجع ما قد مضى لي *** و لا أنا دافع ما سوف يأتي

و لقوله عليه السلام:

«ما أقرب الحي من الميت للحاقه به، و ما أبعد الميت من الحي لانقطاعه عنه».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (257-256/7)

يا بعيداً عني وليس بعيداً*** من لحاقي به سميع قريب

صرت بين الورى غريباً كما أن***ك تحت الثرى وحيد غريب

و لقوله عليه السلام:

«ليس شيء بشر من الشر إلا عقابه، وليس شيء بخير من الخير إلا ثوابه».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (257/7):

خير البضائع للإنسان مكرمة*** تنمي و تزكو إذا بارت بضائعه

فالخير خير، و خير منه*** و الشر شر، و شر منه صانعه

و لقوله عليه السلام:

«و كل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه، و كل شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (257/7):

اهتز عند تمنني وصلها طرباً*** و رب أمنية أحلى من الظفر

و لقوله عليه السلام:

«و اعلموا أن ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدني».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي الطيب المتنبى (258/7):

كلما لم يكن من الصب في الأنف*** س سهل فيها إذا هو كانا

و لأبي الطيب أيضاً (258/7-259):

بلاد ما اشتهيت رأيت فيها *** فليس يفوتها إلا كرام

فهلا كان نقص الأهل فيها *** كأن لأهلها منها التمام

و لقوله عليه السلام:

«الرجاء مع الجائي، واليأس مع الماضي».

ما مضى فات و المقدر غيب *** ولك الساعة التي أنت فيها

و لقوله عليه السلام:

«وأخذوا بأطراف الأرض».

استشهد بقول الفرزدق (259/7):

أخذنا بأطراف السماء عليكم *** لنا قمرها والنجوم الطوالع

و لقوله عليه السلام:

«إن أكرم الموت القتل، والذي نفس ابن أبي طالب بيده، لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش في غير طاعة الله».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (301/7):

لو لم يمت بين أطراف الرماح إذاً *** لمات - إذ لم يمت - من شدة الحزن

وقول الآخر (302/7):

يستعذبون مناياهم كأنهم *** لا يأسون من الدنيا إذا قتلوا

و لقوله عليه السلام:

«قد خليتكم والطريق، فالنجاة للمقتحم، والهلكة للمتلوم».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الحصين بن الحمام المري (305/7):

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد *** لنفسي حياة مثلما أتقدما

وقول قطري ابن الفجاءة (305/7):

لا يركن أحد إلى الإحجام *** يوم الوغى متخوفاً لحمام

فلقد أراني للرماح دريئة *** من عن يميني تارة و أمامي

حتى خضبت بما قدرت من دمي *** أكناف سرجي أو عنان لجامي

ثم انصرفت وقد أصبت و لم أصب *** جرح البصيرة قارح الأقدام

وقول المتنبي (305/07):

يقتل العاجز الجبان وقد يع *** جز عن قطع عنق المولود

و يوقى الفتى المخيشن وقد خو *** ض في ماء لبة الصنديد

و لقوله عليه السلام:

«و إن الفار لغير مزيد في عمره».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الراجز (16/8):

قد علمت حسناء دعجاء المقل *** إن الفرار لا يزيد في الأجل

و لقوله عليه السلام:

«إنهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعنٍ دركٍ يخرج منه النسيم».

استشهد ابن أبي الحديد بقول قيس بن الخطيم (8/8):

طعنت ابن عبد القيس طعنة نائر *** لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

ملكته بها كفي فانهرت فتقها *** يرى قائم من دونها ما وراءها

و لقوله عليه السلام:

«فرب دائب مضيع، ورب كادح خاسر».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر:

إذا لم يكن عون من الله للفتى *** فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

و مثله:

إذا لم يكن عون من الله للفتى *** أتته الرزايا من وجوه الفوائد

و لقوله عليه السلام:

«كل شيء مملول إلا الحياة».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي الطيب (288/8):

ولذيذ الحياة أنفوس في النف *** س وأشهى من أن يملُّ وأحلى

و إذا الشيخ قال أفٍ فما ملّ *** حياة ولكن الضعف ملّاً

و لقوله أيضاً:

أرى كلنا يبقي الحياة لنفسه *** حريصاً عليها مستهاباً بها صباً

فحب الجبان النفس أورده البقا *** و حب الشجاع النفس أورده الحربا

و قول أبي العلاء:

فما رغبت في الموت كدر مسيرها *** إلى الورد خمساً ثم تشرين من أجن

يصادفن صقراً كل يوم و ليلة *** ويلقين شراً من مخالبه الحجن

و لا قلقات الليل باتت كأنها *** من الابن و الأدلاج بعض القنا اللدن

ضربن مليعاً بالسنايك أربعاً *** إلى الماء لا يقدر منه على معن

و خوف الردى آوى إلى الكهف أهله *** وكلف نوحاً وابنه عمل السفن

و ما استعذبتة روح موسى و آدم *** و قد وعدا من بعده جنتا عدن

و بقول ابن أبي الحديد نفسه، و قد خاطب رجلين قرًا من الحرب:

عذرتكما إن الحمام لمبغض *** و إن بقاء النفس للنفس محبوب

و يكره طعم الموت و الموت طالب *** فكيف يلذ الموت و الموت مطلوب؟

و قول أبي الطيب أيضاً:

طيب هذا النسيم أوفر في الآن *** فس إن الحمام مرُّ المذاق

والأسى قبل فرقة الروح عجزٌ *** والأسى لا يكون بعد الفراق

و قول البحتري:

ما أطيب الأيام إلا أنها *** يا صاحبي إذا مضت لم ترجع

و قول آخر:

أوفي يصفق في الجناح مفلساً *** و يصيح من طرب إلى الندمان

يا طيب لذة هذه الدنيا لنا *** لو أنها بقيت على الإنسان

و قول آخر:

أرى الناس يهوون البقاء سفاهة *** و ذلك سيء ما إليه سبيل

و من يأمن الأيام أما بلاؤها *** فجمُّ، و أما خيرها فقليل

و لقوله عليه السلام: لمن سأله: ما أكثر حب الناس للدينا؟

«هم أبناؤها، أيلام الإنسان على حب أمه؟».

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول محمد بن وهيب الحميري (290/8):

و نحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها *** و ما كنت منه فهو شيء محبب

و قول آخر:

ياموت ما أفجأك من نازلٍ *** تنزل بالمرء على رغمه

تستلب العذراء من خدرها *** و تأخذ الواحد من أمه

و قول أبي الطيب:

و هي معشوقة على الغدر لا تح *** فظ عهداً و لا تتم وصلا

كل دمع يسيل منها عليها *** ويفك اليدين عنها تُخلى

شيم الغانيات فيها فلا أد *** ري لذا أنت الناس اسمها أم لا؟

و قال ابن أبي الحديد:

فإن قلت: قد ذكرت ما قيل في حب الحياة و كراهية الموت، فهل قيل في عكس ذلك و نقيضه شيء؟

قلت: نعم؛ فمن ذلك قول أبي الطيب (29/8):

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً *** و حسب المنايا أن يكنّ أمانيا

تمنيها لما تمنيت أن ترى *** صديقاً فاعيا، أو عدواً مداجيا

و قول آخر:

ص: 96

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأسرفوا *** في الموت ألف فضيلة لا تُعرف

منها أمان لقائه بلقائه *** و فراق كل معاشر لا ينصف

وقول إبراهيم بن مهدي:

وإني وإن قدمت قبلي لعالمٍ *** بأنني وإن أبطأت عنك قريب

وإن صباحاً نلتقي في مسائه *** صباح إلى قلب الغداة حبيب

وقول الشاعر:

جزى الله عنا الموت خيراً فإنه *** أبرُّ بنا من كل برٍّ وأرأف

يعجّل تخلص النفوس من الأذى *** و يدني من الدار التي هي أشرف

وقول آخر:

من كان يرجو أن يعيش فإنني *** أصبحت أرجو أن أموت لأعتقا

في الموت ألف فضيلة لو أنها *** عُرِفَت لكان سبيله أن يُعشقا

وقول أبي العلاء:

جسمي ونفسي لما استجمعا صنعا *** شراً إلي، فجعل الواحد الصمد

فالجسم يعذل فيه النفس مجتهداً *** و تلك تزعم أن الظالم الجسد

إذا ما بعد طول الصحبة افترقا *** فإن ذلك لأحداث الزمان يد

وقول أبي العتاهية:

المرء يأمل أن يعي *** ش و طول عمر قد يضمره

تغني بشاشته ويب *** قى بعد طول العيش مرّه

و تخونه الأيام حت *** ي لا يرى شيئاً يسره

كم شامت بي إن هلك *** ت وقائل: لله دره

وقول ابن المعتز:

ألت ترى يا صاح ما أعجب الدهرا *** فذا ماله لكن للخالق الشكرا

لقد حب الموت البقاء الذي أرى *** فيا حسداً مني لمن يسكن القبرا

و لقوله عليه السلام، في شأن طلحة و الزبير:

«وقد زاح الباطل عن نصابه».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أحد المحدثين (34/9):

قد رجع الحق إلى نصابه *** و أنت من دون الورى أولى به

و لقوله عليه السلام، عن الحرب:

«حلوا رضاءها، علقماً عاقبتها».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (41/9):

الحرب أول ما تكون فتية *** تسعى بزيتها لكل جهول

حتى إذا اشتعلت و شب ضرامها *** عادت عجوزاً غير ذات حليل

شمطاء جزّت رأسها و تنكرت *** مكروهة للشم و التقبيل

و لقوله عليه السلام:

«لقد مضت أصول عن فروعها فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله».

استشهد ابن أبي الحديد بقول لبيد (93/9):

فإن أنت لم تصدقك نفسك فانتسب *** لعلك تهديك القرون الأوائل

فإن لم تجد من دون عدنان ولدًا *** و دون معد فلتدعك العواذل

وقول الشاعر:

فعددت آبائي إلى عرق الثرى *** فدعوتهم فعلمت أن لم يسمعوا

لابد من تلف مصيب فانتظر *** بأرض قومك أم بأخرى تصرع

وقول أبي العتاهية:

كل حياة إلى ممات *** وكل ذي جدة يحول

كيف بقاء الحروف يوماً *** وقد ذوت قبلها الأصول

و لقوله عليه السلام: قبل وفاته:

« غدا ترون أيامي، و يكشف لكم عن سرائري، و تعرفونني بعد خلوّ مكاني و قيام غيري مقامي».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي تمام (124/9):

راحت وفود الأرض عن قبره *** قارعة الأيدي ملاء القلوب

قد علمت ما رزئت إنما *** يعرف قدر الشمس بعد الغروب

وقول أبي الطيب:

و نذمّهم و بهم عرفنا فضله *** و بضدّها تتبين الأشياء

و لقوله عليه السلام:

«فلا تستبطنوا ما يجيء به الغد؛ فكم من مستعجل بما أن أدركه ودّ أن لم

يدرکه، و ما أقرب الیوم من تباشیر غد».

استشهد ابن أبي الحديد بقول القائل:

وإن غداً للناظرین قریب

وقول الآخر:

غدٌ ما غدٌ ما أقرب الیوم من غد

وقول أبي العتاهية:

من عاش لاقى مايسو***ء من الأمور و ما یسرّ

ولرب حتف فوقه*** ذهب و یاقوت و درّ

وقول الآخر:

فلا تتمنّین الدهر شیئاً*** فكم أمنية جلبت منیة

و لقوله عليه السلام:

«حتى إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء، حملوا بصائرهم على أسيافهم».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (131/9):

راحوا بصائرهم على أكتافهم*** و بصیرتی یعدو بها عند وأي

و لقوله عليه السلام، عن الفتنة:

«تبدأ في مدارج خفية، و تؤول إلى فظاعة جلیه».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (140/9):

ص: 100

ولرب هاج الكبير *** من الأمور لك الصغير

وقول نصر بن يسار:

فإن النار بالعودين تذكى *** وإن الحرب أولها كلام

وقول أبي تمام:

رب قليل بدا كثيراً *** كم مطر بدؤه مطير

وقوله أيضاً:

لا تديلن صغير همك وانظر *** كم بذي الأسل دوحة من قضيب

ولقوله عليه السلام، يصف الفتنة أيضاً:

«شبابها كشباب الغلام، وآثارها كآثار السلام».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (141/9):

والحب مثل الحرب أو *** لها التخيل والنشاط

وختامها أم الربى *** ق التكز والضرب القطام

ولقوله عليه السلام:

«فليصدق رائد أهله».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (177/9):

أخي إذا خاصمت نفسك فاحتشد *** لها وإذا حدثت نفسك فاصدق

ولقوله عليه السلام:

«وصاروا إلى مصائر الغايات».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الكميّ (203/9):

فالآن صرت إلى أمي *** والأمر إلى مصائر

و لقوله عليه السلام:

«الدهر يجري بالباقيين كجريه بالماضين».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (211/9):

مات من مات والثريا الثريا *** والسماك السماك والنسر نسر

ونجوم السماء تضحك منا *** كيف تبقى من بعدنا وتمرُّ

وقول آخر:

فما الزهر إلا كما الزمان الذي مضى *** ولا نحن إلا كالقرون الأوائل

و لقوله عليه السلام:

«لا يعود ما قد ولّى عنه».

استشهد ابن أبي الحديد بقول البحريّ (211/9):

ما أحسن الأيام إلا أنها *** يا صاحبي إذا مضت لم ترجع

و لقوله عليه السلام:

«و لا يبقى سرمداً مافيه».

استشهد ابن أبي الحديد بقول عديّ (211/9):

ليس شيء على المنون بباقي *** غير وجه المهيمن الخلاق

و لقوله عليه السلام:

«و يشيب فيه الأطفال».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي الطيب (215/9):

والهم يخترم الجسيم نحافة *** ويشيب ناصية الصبي ويهرم

و لقوله عليه السلام، عن الملائكة:

«و حفاظ صدق».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (216/9):

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل *** خلوت، ولكن قل: عليّ رقيب

و لقوله عليه السلام:

«و إن غداً من اليوم قريب».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (216/9):

فإن يك صدر هذا اليوم ولّى *** فإن غداً لناظره قريب

و لقوله عليه السلام:

«فجعل من خوفه من العباد نقداً، وخوفه من خالقه ضمارةً و وعداً».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر:

و أنضاءً أنخينَ إلى سعيد *** طروقاً ثم عجلن ابتكارا

حمدن مزاره و أصبن منه *** عطاءً لم يكن عدة ضمارة

و لقوله عليه السلام:

«هيهات إن من يعجز عن صفات ذي الهيئة والأدوات، فهو عن صفات

خالقه أعجز».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (260/9):

رأيت الورى يدعون الهدى *** وكم يدعي الحق خلق كثير

و ما في البرايا امرؤ عنده *** من العلم بالحق إلا اليسير

خفيّ فما ناله ناظر *** و ما إن أشار إليه مشير

و لا شيء أظهر من ذاته *** و كيف يرى الشمس أعمى ضرير

و لقوله عليه السلام:

«فرحم الله امرءً نزع عن شهوته، وقمع هوى نفسه».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي ذؤيب (17/10):

و النفس راغبة إذا رغبتها *** و إذا ترد إلى قليل تقنع

و للكلام المروي عنه عليه السلام:

«أيها الناس إن هذه النفوس طلعة فالأ تفرعوها تنزع بكم إلى شر غاية».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (18/10):

و ما النفس إلا حيث يجعلها الفتى *** فإن أطمعت تاقت إلا تسلّت

و لقوله عليه السلام: في ذم أصحابه:

«و إن أحبّ ما أنا لاقٍ إلى الموت».

استشهد ابن أبي الحديد بقول المتنبي (72/10):

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً *** وحسب المنيا أن يكنّ أمانياً

تمنيها لما تمنيت أن ترى *** صديقاً فاعياً أو عدواً مداجياً

و لقوله عليه السلام:

«تالين الأجزاء القرآن يرتلوها ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم و يستثيرون به دواء دائهم».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (95/10):

فقلت لها إن البكاء لراحة *** به يشتفي من ظن أن لا تلاقيا

و قول الآخر:

شجاك من ليلتك الطول *** فالدمع من عينيك مسدول

و هو إذا أنت تأملته *** حزن على الخدين مملول

و لقوله عليه السلام:

«قد براهم الخوف بري القداح».

استشهد ابن أبي الحديد بقول ليلى الأخيلية (145/10):

يا أيها السدِّم الملوِّس رأسه *** ليقود من أهل الحجاز بريما

أتريد عمر بن الخليع و دونه *** كعب، إذن لوجدته مرؤوما

و مخرَّق عنه القميص تخاله *** بين البيوت من الحياء سقيما

حتى إذا دفع اللواء رأيته *** تحت اللواء على الخميس زعيما

و بقول الشاعر:

ضعيفة كر الطرف تحسب أنها *** حديثة عهد بالإفاقة من سقم

ص: 105

و لقوله عليه السلام:

«و من أعمالهم مشفقون».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي تمام (145/10):

يتجنب الآثام ثم يخافها *** فكأنها حسناته آثام

و لقوله عليه السلام:

«و القول و العمل». أي لا يقتصر على القول.

استشهد ابن أبي الحديد بقول متمم بن نويرة (158/10):

لقد كفن المنهال تحت ردائه *** فتى غير مبطان العشيات أروعا

و قول الشاعر (157/10):

و أراك تفعل ما تقول و بعضهم *** حذق اللسان يقول ما لا يفعل

و لقوله عليه السلام:

«منزوراً أكله». أي قليلاً.

استشهد ابن أبي الحديد بقول أعشى باهلة (158/10):

تكفيه حزة فلذ إن ألم بها *** من الشواء و يكفي شربة الغمر

و لقوله عليه السلام:

«و لا يشمت بالمصائب».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (160/10):

فلست تراه شامتاً بمصيبة *** و لا جزعاً من طارق الحدثان

و لقوله عليه السلام:

«حسرة الرخاء و مؤكد البلا».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي الطيب (167/10):

و كأنما لم يرض فينا بريب ال *** دهر حتى أعانه من أعانا

كلما ركب الزمان قناه *** ركب المرء في القناة سنانا

و لقوله عليه السلام، عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«فكان يأمر أهله، و يصبر نفسه».

استشهد ابن أبي الحديد بقول عنتر (205/10)

فصبرت عارفة لذلك حرة *** ترسو إذا نفس الزمان تطلع

و لقوله عليه السلام:

«و استخبرها الحال».

استشهد ابن أبي الحديد بقول جرير (270/10):

و يقضى الأمر حين تغيب تيم *** و لا يستأذنون وهم شهود

و لقوله عليه السلام:

«لا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني، و لا أدفع عن نفسي محذوراً من المرض أو الموت إلا ما دفعته عني».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (86/11):

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقي *** نواب هذا الدهر أم كيف يحذر؟

يرى الشر مما يتقي فيخافه *** و مما يرى مما يقى الله أكثر

وقول عبد الله بن سليمان بن وهب:

كفاية الله أقدر من توفينا *** وعادة الله في الأعداء تكفينا

كاد الأعداء فما أبقوا ولا تركوا *** عيباً وطعناً وتقبيحاً وتهجيناً

ولم نزد نحن في سر وفي علقن *** على مقالتنا: الله يكفينا

و كان ذاك - ورد الله حاسدنا *** بغيظه - لم ينل مأموله فينا

ولقوله عليه السلام:

«واقتمته العيون». أي: احتقرته وازدرته.

استشهد بقول ابن دريد:

ومنه ماتتحم العين فإن *** ذقت جناه ساغ عذبا في اللها

ولقوله عليه السلام:

«فلا تكلموني بما تكلم به الجابرة، ولا تتحفظوا في بما يتحفظ به عند أهل البادية».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي تمام في محمد بن عبد الملك (105/11-106)

وزير حق، ووالي شرطة ورحا *** ديوان ملك، و شيعي و محتسب

كالأرحبي المذكى سيره المرطي *** والوخذ والملح والتقريب والخبب

عود تساجله أيامه فيها *** من مسنه و به من مسها جُلب

ثبت الخطاب إذا اصطكت بمظلمة*** في رحله السن و الأقوام والركب

لا المنطق اللغوي زكوفي مقاومه*** يوماً، و لا حجة الملهوف تُستلب

كأنما هو في نادي قبيلته*** لا القلب يهفو و لا الأحشاء تضطرب

و قول أبي الجهم الدوري:

تقلبه لنخبر حالتيه*** فنخبر منهما كرمًا ولينا

نميل على جوانبه كأننا*** إذا ملنا نميل على أبنينا

و لقوله عليه السلام:

«و برق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق»

استشهد ابن أبي الحديد بقول البحري (138/11):

خطرت في النوم منها خطرة*** خطرة البرق بدا ثم اضمحل

أي زور لك لو قصدت ترى*** و ملّم بك لو حقاً فعل

و لقوله عليه السلام، يحث فيه أصحابه على الجهاد:

«و اطوا فضول الخواصر».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (143-142/11):

كلوا في بعض بطنكم و عفوا*** فإن زمانكم زمن خميص

و قول أعشى باهلة:

طاوي المصير على العزاء منصلت*** بالقوم ليلة لا ماء و لا شجر

و قول الشنفرى:

وأطوي على الخمص الحوايا كما انطوت *** خيوطه ماري تغار و تقتل

و لقوله عليه السلام:

«لا تجتمع عزيمة و وليمة، ما انقضى النوم لعزائم اليوم! وأمحي الظلم، التذاكير الهمم».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أحد المحدثين إلى ولده:

خدمة السلطان والكا *** سات في أيدي الملاح

ليس يلتامان فاطلب *** رفعة أو شرب راح

وقول آخر إلى ولده:

ما للمطيع هواه *** من الملام ملاذ

فاختر لنفسك هذا *** مجد، و هذا التذاذ

وقول آخر:

وليس فتى الفتیان من راح و اغتدى *** لشرب صبوح أو شرب غدوق

ولكن فتى الفتیان من راح و اغتدى *** لضر عدوٍ أو لنفع صديق

وقول الآخر:

فتى لا ينام على عزمه *** ومن صمم العزم لم يرقد

و لقوله عليه السلام:

«ذهبتم في أعقابهم جهالا، تطؤون في هامهم».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي العلاء المعري (148/11):

ص: 110

خفف الوطء ما أظن أديم ال *** أرض إلا من هذه الأجساد

ربِّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً *** ضاحك من تراحم الأضداد

و دفين على بقايا دفين *** من عهود الآباء والأجداد

صاح هذي قبورنا تملأ الأر *** ض فأين القبور من عهد عاد

سر إن اسطعت في الهواء رويداً *** لا اختيالاً على رفات العباد

و لقوله عليه السلام، عن الموتى:

«لا يتعارفون لليل صباحاً، و لا لنهار مساءً».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (156/11):

لابد من يوم بلا ليلة *** أو ليلة تأتي بلا يوم

و لقوله عليه السلام:

«واكتحلت أبصارهم بالتراب فحسفت».

استشهد ابن أبي الحديد بقول المتنبي (163/11):

يدفن بعضنا بعضاً ويمشي *** أو اخرنا على هام الأوالي

و كم عين مقبلة النواصي *** كحيل بالجنادل و الرمال

و مفض كان لا يفضي لخطب *** وبال كان يفكر في الهزال

و لقوله عليه السلام:

«جديد بلى».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (163/11):

يادار غادرني جديد بلاكٍ *** رث الجديد فهل رثيت لذاك

و لقوله عليه السلام:

«في ظل عيش غفول».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (164/11):

وكان المرء في غفلات عيشٍ *** كأن الدهر منها في وثاق

وقول الآخر:

ألا إن أحلى العيش ما سمحت به *** صروف الليالي و الحوادث نؤم

و لقوله عليه السلام:

«وارحل مطايا التمشير».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الأعشى (245/11):

رحلت سمية غدوة اجمالها *** غضبي عليك فما تقول بدا لها

و خطب السفاح أول يوم صعد فيه المنبر فارتج عليه فقام عمه داود بن علي، فقال:

«أيها الناس إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فيكم فعله، ولأثر الأفعال أجدى عليكم من تنسيق المقال، و حسبكم كتاب الله علماً فيكم، و ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله.

خليفة عليكم».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (17/13):

ص: 112

و ما خير من لا ينفع الدهر عيشه *** وإن مات لم يحزن عليه أقاربه

كهام على الأقصى كليل لسانه *** وفى بشر الأذى حديد مخالبه

وقول احيحة بن الحلاج:

و الصمت أجمل بالفتى *** ما لم يكن عي يشينه

و القول ذو خطل إذا *** ما لم يكن لبُّ يزينه

و لقوله عليه السلام: في تقسيم الناس:

«.. فتام الرواء و ناقص العقل».

و الرواء بالهمز والمد: المنظر الجميل.

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (21-20/13)

عقله عقل طائر *** و هو في خلقة الجمل

وقول أبي الطيب:

و ما الحسن في وجه الفتى شرف له *** إذا لم يكن في فعله و الخلائق

وقول الآخر:

و ما ينفع الفتیان حسن وجوههم *** إذا كانت الأخلاق غير حسان

فلا يغرنك المرء راق رواؤه *** فما كل مصقول الغرار يمانى

وقول قراد بن حنش الصاردي:

لقومي أرعى للعلا من عصابة *** من الناس يا حار بن عمرو تسودها

و أنت سماء يعجب الناس رزها *** بأبدة تنحى شديد وئيدها

تقطع أطناب البيوت بحاجب *** و أقرب شيء برقها ورعودها

فويل امها خيلاً بهاءً وشارة *** إذا لاقى الأعداء لولا صدودها

و منه ايضاً:

وكاثر بسعدٍ إن سعداً كثيرة *** ولا ترجُ من سعدٍ وفاءً ولا نصراً

يروعك من سعد بن زيد جسومها *** و تزهّد فيها حين تقتلها خُبراً

و لقوله عليه السلام: في صفة الناس:

«و قريب القعر بعيد السير».

استشهد ابن أبي الحديد بقول العباس بن مرداس (22/13): ترى الرجل النحيف فتزدريه *** وفي أثوابه أسد مزير

و يعجبك الطير فتبتليه *** فيخلف ظنك الرجل الطير

و قيل لبعض الحكماء:

ما بال القصار من الناس أدهى و أحذق؟

قال:

لقرب قلوبهم من أدمغتهم.

فاقتبس الشاعر هذا القول فقال (22/12):

(و) إن لا يكن عظمي طويلاً *** له بالخصال الصالحات وصول

و لا خير في حسن الجسوم و طولها *** إذا لم تزن حسن الجسوم عقول

فما عظم الرجال لهم بفخرٍ *** ولكن فخرهم كرم و خير

ص: 114

ضعاف الطير أطولها جسوماً *** ولم تطل البزاة ولا الصقور

بغاة الطير أكثرها فراخاً *** وأم الصقر مقلات نزور

لقد عظم البعير بغير لبٍ *** فلم يستغن بالعظم البعير

و لقوله عليه السلام: و هو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و تجهيزه:

« خصصت حتى صرت مسلياً عن سواك ».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (26-25/13):

رزئنا أبا عمر و لا حيٍّ مثله *** فله در الحادثات بمن تقع

فإن تك قد فارقتنا و تركتنا *** ذوي خلة ما في انسداد لها طمع

لقد جر نفعاً فقدنا لك إننا *** أمنا على كل الرزايا من الجزع

و قول آخر:

أقول للموت حين نازله *** والموت مقدامة على البُهم

اظفر بمن شئت إن ظفرت به *** ما بعد يحيى للموت من ألم

و قول ابن أبي الحديد مما كتبه إلى صديق غاب عنه من جملة أبيات:

و قد كنت أخشى من خطوب غوائلٍ *** فلما نأى عني أمنت من الحذر

فأعجب لجسم عاش بعد حياته *** و أعجب النفع حاصل جرذه ضرر

و قول اسحق بن خلف يرثي بنتاً له:

أمست أميمة معموراً بها الرجم *** لقا سعيد عليها الترب مرتكم

يا شقة النفس إن النفس والهة *** حرّى عليك وإن الدمع منسجم

قد كنت أخشى عليها أن تقدمني *** إلى الحمام فييدي وجهها العدم

فالآن نمت فلاهم يؤرقني *** تهذا العيون إذا ما أورت الحُرم

للموت عندي أيا لست أكفرها *** أحيا سروراً وبي مما أتى ألم

وقول آخر:

فلو أنها إحدى يدي رزيتها *** ولكن يدي بانث على إثرها يدي

فأكبت لا آسى على أثر هالك *** قدى الآن من حزن على هالك قدي

وقول آخر:

تغدو المنيا حيث شاءت فإنها *** محللة بعد الفتى ابن عقيل

فتىّ كان مولاه يحل بنجوة *** فحل الموالى بعده بمسيل

ولقوله عليه السلام: وهو يحذر من طاعة الأسياد:

«الذين تكبروا عن حسَبهم».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (149/13):

ما بال من أوله نطفة *** وجيفة آخره يفخر

يصبح لا يملك تقديم ما *** يرجو ولا تأخير ما يحذر

ولقوله عليه السلام:

«يا ابن عباس، ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرب، أقبل وأدبر، بعث إليّ أن أخرج ثم بعث إليّ أن أقدم».

ص: 116

استشهد ابن أبي الحديد بقول العباس بن مرداس (297/13):

أراك إذا أصبحت للقوم ناضحاً *** يقال له بالغرب أدبر و أقبل

و لقوله عليه السلام:

«ألا ترون إلى بلادكم تُغزى، و إلى صفاتكم ترمى».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (313/13):

و الدهر يوتر قوسه *** يرمي صفاتك بالمقابل

و لقوله عليه السلام: مخبراً عن شدة اتحاد ولده به:

«وجدتك بعضي».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (61/16):

و إنما أولادنا بيننا *** أكبادنا تمشي على الأرضِ

لو هبت الريح على بعضهم *** لا تمتعت عيني من الغمضِ

وقول الطرماح، و قد غضب على امرأته فشفع فيها ولده منها صمصام، و هو غلام لم يبلغ عشرًا.

أصمصام إن تشفع لأمك تلقها *** لها شافع في الصدر لم يتزحزح

هل الحب إلا أنها لو تعرضت *** لذبحك يا صمصام قلت لها: اذبحي

أحاذر يا صمصام إن مت أن يلي *** تراثي و إياك امرؤ غير مصلح

إذا حك وسط القوم رأسك حكمة *** يقول له الناهي: ملكت فأسجحِ

وقول أعرابية في ترقيص ولدها:

يا حبذا ريح الولد *** ريح الخزامي في البلد

أهكذا كل ولد *** أم لم يلد قبلي أحد

وقول الرياشي:

من سرّه الدهر أن يرى الكبدا *** يمشي على الأرض فليبرّ الولدا

و لقوله عليه السلام:

«و أعرض عليه أخبار الماضين».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر:

سل عن الماضين إن نطقت *** عنهم الأحداث و الترك

أيّ دار للبلبي نزلوا *** و سبيل للردى سلخوا

و لقوله عليه السلام:

«و إنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقى فيها من شيء قبلته».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (67/16):

اختم وطينك رطب إن قدوركم *** قد أمكن الختم أقوام فما ختموا

و لقوله عليه السلام:

«فالمال لا يبقى لك و لا تبقى له».

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي الطيب (88/16):

أين الجبارة الأكاسرة الأولى *** كنزوا الكنوز فلا بقين و لا بقوا

و لقوله عليه السلام: يوصي ولده:

«فخفف في الطلب».

و هو أصلاً مقتبس من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فأجملوا في الطلب».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (94/16):

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله *** عوضاً و لا نال الغني بسؤال

و إذا النوال إلى السؤال قرنته *** رجح السؤال وخف كل نوال

وقول آخر:

رددت رونق وجهي عن صحيفته *** رد الصقال بهاء الصارم الخدم

و ما أبالي و خير القول أصدقه *** حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دمي

وقول آخر:

وإني لأختار الزهيد على الغنى *** و أجزأ بالمال القراح على المحض

و لقوله عليه السلام:

«و حرارة اليأس خير من الطلب إلى اليأس».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (98/16):

و إن كان طعم اليأس مرأفانه *** ألد و أحلى من سؤال الأراذل

وقول البحتري:

و اليأس إحدى راحتين ولن ترى *** تعباً لظن الخائب المغرور

ص: 119

و لقوله عليه السلام:

«المرء أحفظ لسره»

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر:

إذا ضاق صدر المرء عن حفظ سره *** فصدر الذي بُستودع السر أضيق

و قول الآخر:

عن المرء لا تسأل و سل عن قرينه *** فكل قرين بالمقارن مقتدٍ

و لقوله عليه السلام:

"إذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً"

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر عمرو بن كلثوم (101/16) (121):

ألا لا يجهلن أحد علينا *** فنجهل فوق جهل الجاهلينا

و لقوله عليه السلام:

"و ربما كان الدواء داءً، والداء دواءً".

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي نواس (101/16):

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء *** وداوني بالتي كانت هي الداء

و قول الشاعر:

تداويت من ليلي بليلى فلم يكن *** دواءً ولكن كان سقماً مخالفاً

و لقوله عليه السلام:

"إياك والاتكال على المني فإنها بضائع النوكي".

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي تمام (102/16):

من كان مرعي عزمه وهمومه *** روض الأمانى لم يزل مهزولا

و لقوله عليه السلام:

"ليس كل طالب يصيب"

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (103/16):

ما كل وقت ينال المرء ما طلبا *** ولا يسوغه المقدار ما وهبا

و لقوله عليه السلام:

"ولا كل غائب يثوب"

استشهد ابن أبي الحديد بقول عبيد (103/16):

و كل ذي غيبة يؤوب *** و غائب الموت لا يشوب

و لقوله عليه السلام:

"رب يسير أثنى من كثير"

استشهد ابن أبي الحديد بقول الفرزدق (104/16):

فإن تميماً قبل أن يلد الحصا *** أقام زماناً وهو في الناس واحد

و لقوله عليه السلام:

"لا خير في معين مهين، ولا في صديق ظنين"

إذا تكفيت بغير كاف *** وجدته اللهم غير شافٍ

وقول الآخر:

ص: 121

فإن من الأحزان من شحط النوى *** به فهو راعٍ للوصال أعين

و منهم صديق العين أما لقاءه *** فحلو و أما غيبه فظنين

و لقوله عليه السلام:

"ساهل الدهر ما ذل لك قعوده"

استشهد ابن أبي الحديد بقول القائل (106/16):

و در مع الدهر كيفما دارا

و يقول الآخر:

و من قاصر الأيام عن ثمراتها *** فأحرى بها أن تنجلي ولها العمر

و قول الآخر:

إذا الدهر أعطاك العنان فسر به *** رويدا فلا تعنف فيصبح شاما

و لقوله عليه السلام:

"إحمل نفسك من أخيك عند صرفه على الصلة. و عند صدوده على اللطف و المقاربة؛ و عند جحوده على البذل. و عند تباعده على الدنو، و عند شدته على اللين، و عند جرمه على العذر، حتى كأنك له عبد، و كأنه ذو نعمة عليك؛ و إياك أن تضع ذاك في غير موضعه، و أن تفعله بغير أهله".

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (107/16):

و إن الذي بيني و بين بني أبي *** و بين بني أمي لمختلف جدا

فإن أكلوا لحمي و فرت لحومهم *** و إن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

ص: 122

وإن زجروا طيرا بنحس تمر بي *** زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم *** وليس رئيس القوم من يحمل الحقد
وقول عروة المرجي:

إني وإن كان ابن عمي كاشحا *** المقاذف من خلفه وورائه
و مفيده نصري وإن كان امرءاً *** متزحزحا في أرضه وسمائه
وأكون و الي سره وأصونه *** حتى يحق علي وقت أدائه
وإذا الحوادث أجحفت بسوامه *** قرت صحيحته إلى جربائه
وإذا دعا باسمي ليركب مركبا *** صعبا قعدت له على سيمائه
وإذا أجن خليفة في خدره *** لم أطلع مما وراء خبائه
وإذا أتى ثوبا جميلا لم أقل *** يا ليت أن علي فضل ردايه
لقوله عليه السلام:

"لا تتخذن عدو صديقك صديقا لك فتعادي صديقك".

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (107/16):

صديق صديقي داخل في صداقتي *** و خصم صديقي ليس لي بصديق
وقول الآخر:

تود عدوي ثم تزعم أنني *** صديقك إن الرأي عنك لعازب ولقوله عليه السلام:

"ولا تضيعن حق أخيك، إتكالا على ما بينك وبينه فإنه ليس لك بأخ من

أضعت حقه".

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (110/16):

إذا خنتم بالغيب عهدي فما لكم *** تدلون إدلال المقيم على العهد
حلوا و افعلوا فعل المدل بوصله *** وإلا فصدوا و افعلوا فعل ذي الصد
و لقوله عليه السلام:

"لا ترغبن فيمن زهد فيك".

استشهد ابن أبي الحديد بقول العباس بن الأحنف (110/16):

ما زلت أزهد في مودة راغب *** حتى ابتليت برغبة في زاهد هذا هو الداء الذي ضاقت به *** حيل الطيب و طال يأس العائد
و قول تأبط شرا:

إني إذا خلة ظنت بنائلها *** و أمسكت بضعيف الحبل أحذاقي نحوت منها نجائي من بجيلة إذ *** ألقىت ليلة خبت الرهط أرواقي
و لقوله عليه السلام:

"إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك".

و هو مقتبس من قول رسول الله صلى الله عليه و آله:

"يا ابن آدم ليس لك من مالك إلا ما أملت فأفئيت، و لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت".

استشهد ابن أبي الحديد بقول أبي العتاهية (116/16):

ليس للمتعب الكادح من دن *** ياه إلا الرغيف و الطمران

ص: 124

و لقوله عليه السلام:

"وإن كنت جازعا على ما ثقلت من يديك فاجزع على ما لم يصل إليك".

استشهد بقول الشاعر:

و ذي إبل يستقي ويحسبها له *** أخي تعب في رعيها ودؤوب

غدت و غدا رب سواه يسوقها *** و بدل أحجارا و جال قليب

و لقوله عليه السلام:

"ما استدل على ما لم يكن بما كان، فأن للأمور أشباهها".

قال أبو الطيب في سيف الدولة:

ذكى تظنيه طليعة عيشه *** يرى قلبه في يومه ما يرى غدا

و لقوله عليه السلام:

"ولا تكونن ما لا تنفعه العظة، إذا بالغت في إيلامه، فأن العاقل يتعظ بالآداب، و البهائم لا تتعظ إلا بالضرب".

قال ابن المفرغ:

العبد يقرع بالعصا *** و الحر تكفيه الملامة

و لقوله عليه السلام:

"الصديق من صدق غيبه".

قال أبو نواس (117/16):

هل لك والهلهل خبر *** فيمن إذا غبت حضر

ص: 125

أو مالك اليوم أثر *** فإن رأى خيراً شكر

أو كان تقصيراً عذر

و لقوله عليه السلام:

"رب بعيد أقرب من قريب و قريب أبعد من بعيد".

قال الشاعر (118/16):

لعمرك ما يضر البعد يوماً *** إذا دنت القلوب من القلوب

و قال البحري:

زنازحة والدار منها قريبة *** و ما قرب ثاوفي التراب مغيب

و لقوله عليه السلام: عن الدنيا:

"من أمن الزمان خانته، و من أعظم أهانته".

قال أبو الطيب (120/16):

هي معشوقة على الغدر لا تح *** فظ عهداً و لا تتمم وصلا

شيم الغانيات فيها فلا أد *** ري لذا أنت أسمها أم لا

و لقوله عليه السلام:

"إياك و التغاير في غير موضع غيرة".

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر (127/16):

يا أيها الغائر مه لا تقر *** إلا لما تدركه بالبصر

ما أنت في ذلك إلا كمن *** بيته الدب لرمي الحجر

قال مسكين الدارمي:

ما أحسن الغيرة في حينها *** وأقبح الغيرة في غير حين
من لم يزل متهما عرسه *** مناصبا فيها لرجم الظنون
يوشك أن يغيريها بالذي *** يخاف، أو ينصبها للعيون
حسبك من تحصينها ضمها *** منك إلى خيم كريم ودين
لا تظهرن يوما على عورة *** فيتبع المقرون جبل القرين
و لقوله عليه السلام:

"والله، الله في جيرانكم، فأنهم وصية نبيكم، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم."

قال الشاعر (8/17):

ألا من يشتري دارا برخص *** كراهة بعض جيرتها تباع

وقال قيس بن زهير (10/17):

أطوف ما أطوف ثم أوي *** إلى جار كجار أبي دوادٍ

وقول مسكين الدارمي:

ما ضر جاراً لي أجاوره *** ألا يكون لبابه ستر

أعمى إذا ما جارتني خرجت *** حتى يوارى جارتني الخدر

ناري ونار الجار واحدة *** وإليه قبلي ينزل القدر

و لقوله عليه السلام:

ص: 127

"ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء".

قال أبو الطيب (46/17):

شر البلاد بلاد لا صديق بها *** وشر ما يكسب الإنسان ما يصم

وشر ما قبضته راحتي قنصٍ *** شهب البزاة سواء منهمو الرخم

و لقوله عليه السلام:

"ولا تسرف نفسه على طمع".

قال الليث (59/17):

ومن مضر الحمراء إسراف أنفس *** علينا وحياتها علينا تمضرا

وقال عروة بن أذينة:

لقد علمتُ و ما الأشراف من خلقي *** إن الذي هو رزقي سوف يأتيني

و لقوله عليه السلام، يوصي أحد عماله:

"ثم انظر في حال كتابك؛ فول على أمورك خيرهم".

قال أحدهم:

"لا تخف صولة الأمير مع رضا الكاتب، ولا تتقن برضا الأمير مع سخط الكاتب"

وقال أبو الفضل بن العميد (80/17):

وزعمت أنك لست تتكر بعد ما *** علقت يداك بذمة الأمراء

هيهات قد كذبتك فكرتك التي *** قد أوهمتك غني عن الوزراء

ص: 128

لم تغن عن أحد سماء لم تجد *** أرضا ولا أرض بغير سماء

ولقوله عليه السلام، من كلام يوصي به شريح بن هانئ لما جعله على مقدمته إلى الشام:

"واعلم أنك إن لم ترزع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهه، سمت بك الأحوال إلى كثير من الضرر".

قال حاتم الطائي (139/17):

فإنك إن أعطيت بطنك سؤلها *** وفرجك نالا منتهى الدم أجمعا

ولقوله عليه السلام:

"ومن نام لم ينم عنه".

قال الشاعر (226/17):

لله درك ما أردت بثائر *** حران ليس عن التراث براقد

أسهرته ثم اضطجعت فلم ينم *** حنقا عليك و كيف نوم الحاقد ولقوله عليه السلام:

"أذرى بنفسه من استشعر بالطمع، ورضي بالذل من كشف عن ضره".

قال الشاعر (85/18):

رأيت مخيلة فطمعت فيها *** وفي الطمع المذلة للرقاب

ولقوله عليه السلام:

"وهانت عليه نفسه من أمر عليها لسانه".

قال الشاعر (86/18):

يموت الفتى من عثرة بلسانه *** وليس يموت المرء من عثرة الرجل

و لقوله عليه السلام:

"و الجبن منقصة".

قال أبو دلامة (88/18):

إني أعود بروح أن يقدمني *** إلى القتال فتشفي بي بنو أسد

إن المهلب حبُّ الموت أورثهم *** ولم أرث رغبة في الموت عن أحد

و لقوله عليه السلام:

"الفقر يخرس الفطن عن حاجته".

قال الشاعر (88/18):

سأعجل نص العيس حتى يكفني *** غنى المال يوما أو غنى الحدثان

فللموت خير من حياة يرى لها *** على الحر بالإقلال و سم هوان

متى يتكلم يبلغ حكم كلامه *** و إن لم يقل قالوا: عديم بيان

كأن الغنى عن أهله يورد الغنى *** بغير لسان ناطق بلسان

و لقوله عليه السلام:

"و المقل غريب في بلدته".

قال خلف الأحمر (88/18):

لا تظني أن الغريب هو النا *** ئي ولكن الغريب المقلُّ

و لقوله عليه السلام:

"من رضي عن نفسه كثر الساخط عليه".

قال الشاعر (100/18):

أرى كل إنسان يرى عيب نفسه *** و يعمى عن العيب الذي هو فيه

و ما خير من تخفى عليه عيوبه *** و يبدو له العيب الذي بأخيه

و لقوله عليه السلام:

"إن قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه".

قال (ابن أبي الحديد) 109/18:

إن الأمانى أكساب الجهول فلا *** تقنع بها فاركب الأهوال والخطرا

و اجعل من الفعل جهلا و أطرح نظرا *** في الموبقات و لا تستشعر الخدرا

و إن قدرت على الأعداء منتصرا *** فاشكر بعفوك عن أعدائك الظفرا

و لقوله عليه السلام:

"أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، و أعجز منه من ضيع من ظفر به منهم".

قال ابن الأعرابي (112/18):

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة *** ولكن إخوان الصفاء الذخائر

و لقوله عليه السلام:

"إذا وصلت إليكم أطراف النعم، فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر".

ص: 131

قال البحتري (116/18):

فإن أنا لم أشكر لنعمائك جاهدا *** فلا نلت نعمي بعدها توجب الشكرا
وقوله أيضا:

سأجهد في شكري لنعمائك أنني *** أرى الكفر للنعماء ضرباً من الكفر
و لقوله عليه السلام:

"ما كل مفتون يحاسب".

قال المتنبي (119/18):

فما كل فعّال يجازى بفعله *** ولا كل قوّال لدي يجاب
وربّ كلام مرّ فوق مسامعي *** كما طن في لفح الهجير ذباب
و لقوله عليه السلام:

"من جرى في عنان أمله عشر بأجله".

قال الشاعر (127/18):

من تمنى المنى فأغرق فيها *** مات من قبل أن ينال مناه
ليس من مال في تتابع الل *** ذات فضل عن نفسه لثراه
و لقوله عليه السلام:

"قرنت الهيبة بالخيبة، و الحياء بالحرمان، و الفرصة تمر مر السحاب، فانتهزوا فرص الخير".

قال الشاعر (131/18):

ص: 132

ليس للحاجات إلا *** من له وجه وقاح

ولسان طرمذي *** وغدو ورواح

فعليه السعي فيها *** وعلى الله النجاح

ولقوله عليه السلام:

"ما أضمر أحد شيئا إلا ظهر في فلتات لسانه، وصفحات وجهه".

قال الشاعر (137/18):

تخبر في العينان ما القلب كاتم *** وما جن بالبغضاء والنظر الشرر

وقال آخر:

وفي عينيك ترجمة أراها *** تدل على الضغائن والحقود

وأخلاق عهدت اللين فيها *** غدت و كأنها زبر الحديد

وقد عاهدتني بخلاف هذا *** وقال الله: لله أوفوا بالعقود

ولقوله عليه السلام:

"أفضل الزهد إخفاء الزهد".

قال الشاعر (139/18):

معشر أثبت الصلاة عليكم *** لجباه يشقها المحراب

عمروا موضع التصنع منهم *** و مكان الإخلاص منهم خراب

ولقوله عليه السلام:

"فاعل الخير خير منه، و فاعل الشر شر منه".

قال ابن أبي الحديد:

خير البضائع للإنسان مكرمة *** تنمي و تزكو إذا بارت بضائعه

فالخير خير و خير منه فاعله *** و الشر شر و شر منه صانعه

و لقوله عليه السلام، لابنه الحسن عليه السلام:

"يا بني إياك و مصادقة الأحمق، فإنه يريد أن ينفحك فيضرك".

قال ابن أبي الحديد (157/18):

حياتك لا تصاحبين الجهول *** فلا خير في صحبة الأخرق

يظن أخو الجهل إن الضلال *** عين الرشاد فلا يتقي

و يكسب صاحبه حمقه *** فيسرق منه و لا يسرق

و أقسم أن العدو اللبيب *** خير من المشفق الأحمق

و لقوله عليه السلام:

"احذروا صولة الكريم إذا جاع، و اللئيم إذا شبع".

قال الشاعر (179/18):

و يصبر الحر تحت ضيم *** و إنما يصبر الحمار

و لقوله عليه السلام:

"قلوب الرجال و حشية، فمن تألفها أقبلت عليه".

قال الشاعر (180/18):

و إني لو حشي إذا ما زجرتني *** و إني إذا ألفتني لألوف

وقال عمار بن عقيل، الذي عكس المراد:

تبحثتمُ سخطي فكدّر بحتكم *** نخيلة نفس كان صفرا ضميرها

و لم يلبث التخشين نفسا كريمة *** على قومها أن يستمر مريها

و ما النفس إلا نطفة بقرارة *** إذا لم تكدر كان صفوا غدورها

و لقوله عليه السلام:

"السخاء ما كان ابتداءً، فإذا كان عن مسألة فحياء وتذمم".

قال ابن حيوس على سبيل الإعجاب (184/18):

إني دعوت ندى الكرام فلم يجب *** فلاشكرن ندى أجاب و ما دعي

و من العجائب و العجائب جمّة *** شكر بطيء ن ندى المتسرع

وقال آخر:

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله *** عوضا و لو نال الغنى بسؤال

و إذا النوال إلى السؤال قرنته *** رجع السؤال وخف كل نوال

و لقوله عليه السلام:

"الغني في الغربة وطن، و الفقر في الوطن غربة".

قال الشاعر (190/18):

يا دائب الفقر ألا تزدر *** عيب الغنى أكبر لو تعتبر

إنك تعصي الله تبغي الغنى *** و ليس تعصي الله كي تقتقر

و لقوله عليه السلام:

ص: 135

"القناعة مال لا ينفد". ويروى أنه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الشاعر:

وما الناس إلا واحد غير قانع *** بأرزاقه أو طالب غير واجد

و لقوله عليه السلام:

"المال مادة الشهوات".

قال الشاعر (194/18):

وصاحب صدق ليس ينفع قربه *** ولا وده حتى تفارقه عمدا وقال الحريري:

وليس يغني عنك في المضايق *** إلا إذا فرَّ فرار الأبق

وقال آخر:

ألم تر أن المال يهلك ربه *** إذا جم آتيه وسد طريقه

و من جاوز البحر الغزير بقحمة *** و سد طريق الماء فهو غريقه

و لقوله عليه السلام:

"سَبِّحْ إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقْر".

قال الشاعر (199/18):

هي العوجاء لست تقيمها *** ألا أن تقويم الضلوع انكسارها

يجمعن ضعفا و اقتدارا على الغنى *** أليس عجيبا ضعفها و اقتدارها

وقال طفيل الغنوي:

ص: 136

إن النساء كأشجار نبتن معاً*** هن المرار وبعض المر ماأكل إن النساء متى ينهين عن خلق*** فإنه واجب لا بد مفعول

و لقوله عليه السلام:

"الشفيع جناح الطالب".

قال أبو الطيب (205/18):

إذا عرضت حاج إليك فنفسه*** إلى نفسه فيها شفيع مشفع

وقال آخر:

إذا أنت لم تعطفك إلا شفاعه*** فلا خير في ود يكون بشافع

وقال دعبل:

وإن امرئ أسدى إلي بشافع*** إليه ويرجو الشكر مني لأحمق

وقال آخر:

مضى زمني و الناس يستشفعون بي*** فهل لي إلى ليلي الغداة شفيع

وقال المجنون:

ونبت ليلي أرسلت بشفاعه*** إلي، فهلا نفس ليلي شفيعها

أأكرم من ليلي عليّ فتبتغي*** به الجاه أم كنت امرءاً لا يطيعها

وقال آخر:

و من يكن الفضل بن يحيى بن خالدٍ*** شفيعا له عند الخليفة ينجح

وقال آخر:

ص: 137

وإذا امرؤ أسدى إليك صنيعه *** من جاهه، فكأنها من ماله

وقال آخر:

وعطاء غيرك إن بذلت *** عناية فيه عطاؤك

ولقوله عليه السلام:

"فقد الأحبة غريبة".

قال الشاعر (210/18):

فلا تحسبي أن الغريب الذي نأى *** (و) لكن من تنأين عنه غريب

وقال آخر:

أسرة المرء والداه وفيما *** بين حصنيهما الحياة تطيب

وإذ وليا عن المرء يوما *** فهو في الناس أجنبي غريب

ولقوله عليه السلام:

"العفاف زينة الفقير، والشكر زينة الغني".

قال الشاعر (213/18):

فإذا افتقرت فلا تكن *** متخشعا وتجمّل

وقال آخر:

أقسم بالله لمصقُّ النوى *** وشرب ماء القلب المالحه

أحسن بالإنسان من ذلة *** ومن سؤال الأوجه الكالحه

فاستغن بالله تكن ذا غنى *** مغتبطا بالصفقة الرابحة

ص: 138

طوبى لمن تصبح ميزاته *** يوم يلاقي ربه راجحة

وقال آخر، وقد وقف على كنيف وأسفله كتاف:

وأكرم نفسي عن أمور كثيرة *** ألا إن إكرام النفوس من العقل

وأبخل بالفضل المبين على الأولى *** رأيتهم لا يكرمون ذوي الفضل

وما شانتي كنس الكنيف وإنما *** يشين الفتى أن يجتدي نائل النذل

وأفبح مما بي وقوفي مؤملاً *** نوال فتى مثلي، وأي فتى مثلي

ولقوله عليه السلام:

"قيمة كل امرئ ما يحسنه".

قال الشاعر (231/18):

تعلم فليس المرء يخلق عالماً *** وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإن كبير القوم لا علم عنده *** صغير إذا التفت عليه المحافل

ولقوله عليه السلام:

"لا يرجون أحد منكم إلا ربه".

قال أبو العتاهية:

والله لا أرجو سوا *** ك ولا أخاف سوى ذنوبي

ولقوله عليه السلام:

"رأي الشيخ أحب من جلد الغلام".

قال أبو الطيب (237/18):

الرأي قبل شجاعة الشجعان *** هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتماعاً لنفسٍ مرة *** بلغت من العلياء كل مكان

ولربما طعن الفتى أقرانه *** بالرأي قبل تطاعن الأقران

لولا العقول لكان أدنى ضيغم *** أدنى إلى شرف من الإنسان

ولما تفاضلت الرجال و دبرت *** أيدي الكمأة عوالي المران

وقال لقيط بن يعمر الأيادي (238/18):

وقلدوا أمركم لله دركم *** رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا مترفا إن رضاء العيش ساعده *** ولا إذا عض مكروه به خشبا

ما زال يحلب هذا الدهر أشطره *** يكون متبعا طورا و متبعا حتى استمر على شزر مريته *** مستحكم الرأي لا قحما ولا ضرعا

و لقوله عليه السلام:

"و من أصلح أمر آخرته، أصلح أمر دنياه".

قال الشاعر (242/18):

أنا شاكر أنا مادح أنا حامد *** أنا خائف أنا جائع أنا عارٍ

هي ستة و أنا الضمين بنصفها *** فكن الضمين بنصفها يا باري

و لقوله عليه السلام:

"لا يستقيم قضاء الحوائج إلا بثلاث، باستصغارها لتعظم، و باستكثامها لتظهر، و بتعجيلها لتتها".

قال أبو تمام (259/18):

وكان المطل في بدءٍ وعودٍ *** دخاناً للصنيعة وهي نار

نسيب البخل مذ كانا وإلا *** يكن نسب فيبينهما جوازٌ

لذلك قيل بعض المنع أدنى *** إلى جود، وبعض الجود عازٌ ولقوله عليه السلام:

"إذا استوى الصلاح على الزمان وأهله ثم أساء رجل الظن برجل لم تظهر منه حوبة فقد ظلم، وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله، فأحسن رجل الظن برجل فقد غرر".

قال الشاعر (278/18):

أسأت إذا أحسنت ظني بكم *** والحزم سوء الظن بالناس

وقال آخر:

وقد كان حسن الظن بعض مذهبى *** فأدبني هذا الزمان وأهله

وقال ابن المعتز:

تفقد مساقط لحن المريب *** فإن العيوب وجوه القلوب

وطالع بواده في الكلام *** فأنتك تجني ثمار العيوب

وقيل له عليه السلام:

- كيف تجدلك أمير المؤمنين؟

فقال:

ص: 141

"كيف يكون حال من يفني ببقائه، ويسقم بصحته، ويؤتى من مأمنه".

قال عبدة بن الطبيب (280/18):

أرى بصري قد رابني بعد صحةٍ *** و حسبك داء أن تصح و تسلما

و لن يلبث العصران يوم و ليلة *** إذا طلبا أن يدركا ما تيمّما و قال آخر:

كانت قناتي لا تلين لغامز *** فأنها الإصباح و الإمساء

و دعوت ربي بالسلامة جاهدا *** ليصحني فإذا السلامة داء

و لقوله عليه السلام:

"شتان ما بين عمليين؛ عمل تذهب لذته، و تبقى تبعته، و عمل تذهب مؤونته، و يبقى أجره".

قال الشاعر (310/18):

تفني اللذاذة ممن نال بغيته *** من الحرام و يبقى الإثم و العار

تبقى عواقب سوء في مغبتها *** لا خير في لذة من بعدها النار

و لقوله عليه السلام:

"لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث، في نكبته، و غيبته، و وفاته"

قال الشاعر (330/18):

و إذا الفتى حسنت مودته *** في القرب ضاعفها على البعد

ص: 142

وقال آخر:

وإني لأستحييه و الترب بيننا *** كما كنت أستحييه وهو يراني

وقال أبو العلاء:

أزرت بكم يا ذوي الألباب أربعة *** يتركن أحلامكم نهب الجهالات

وَدّ الصديق و علم الكيمياء و أح *** كام النجوم، و تفسير المنامات

و لقوله عليه السلام:

"ما عال من اقتصد"

قال أبو العلاء (338/18):

وإن كنت تهوى العيش فابغِ توسطاً *** فعند التناهي ينصر المتطاول

و لقوله عليه السلام:

"والهم نصف الهرم".

قال الشاعر (341/18):

هموم قد أبت إلا التباساً *** تبثُّ الشيب في رأس الوليد

و تقعد قائماً بشجا حشاه *** و تطلق للقيام حبا القعود

و أضحت خشعاً منها نزار *** مركبة الرواجب في الخدود

وقال أبو تمام:

شاب رأسي و ما رأيت مشيب ال *** رأس من فضل شيب الفؤاد

و كذلك القلوب في كل بؤسٍ *** و نعيم طلاع الأجساد

ص: 143

طال إنكاري البيض و لو عمّر *** تُ شيئا أنكرت لون السواد و لقوله عليه السلام:

"ينزل الصبر على قدر المصيبة" و "عليكم بالصبر فإن به يأخذ الحازم، و يعود إليه الجازع".

قال أبي خراش الهذلي يذكر أخاه عروة (342/18):

تقول أراه بعد عروة... *** و ذلك رزءٌ لو علمت جليل

فلا تحسبي أني تناسيت عهده *** ولكن صبر يا أميم جميل

و قال عمرو بن معد يكرب:

كم من أخ لي صالح *** برأته بيديّ لحدا

ألبسته أكفانه *** و خلقت - يوم خلقت - جلدا

و قال الشاعر:

أيا عمرو لم أصبر ولي فيك حيلة *** ولكن دعاني اليأس منك إلى الصبر

تصبرت مغلوبا و أني لموجع *** كما صبر القطان في البلد القفر

و لقوله عليه السلام:

"المرء مخبوء تحت لسانه".

قال الشاعر (353/18):

و كان أخلائي يقولون مرحباً *** فلما رأوني مقترأ مات مرحب

و قول الآخر:

ص: 144

و كائن ترى من صامت لك معجب *** زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف و نصف فؤاده *** فلم يبق إلا صورة اللحم و الدم
و لقوله عليه السلام:

"لكل امرئ عاقبة حلوة أو مرّة".

قال الطائي (361/18):

فكانت لوعة ثم استقرت *** كذاك لكل سائلة قرار
و قال الكميت:

فالآن صرت إلى أمي *** ة و الأمور إلى مصاير

و لقوله عليه السلام:

"لكل مقبل إدبار، و ما أدبر كأن لم يكن".

قال الشاعر (365-363/18):

ما طار طير و ارتفع *** إلا كما طار وقع

و قال الآخر:

في هذه الدار في هذا الرواق على *** هذي الوسادة كان العز فانقرضا

و قال الآخر:

إن الأمور إذا دنت لزوالها *** فعلامه الأدبار فيها تظهر

و قال الآخر:

أفٍ لدنيا إذا كانت كذا *** أنا منها في هموم و أذى

ص: 145

إن صفا عيش امرئ في صباحها *** جرعته محسباً كأس القذي

و لقد كنت إذا ما قيل من *** أنعم العالم عيشاً؟ قيل: ذا

وقال أهاب بن هام صعصعة المجاشعي:

لعمر أبيك فلا تكذبين *** لقد ذهب العمر إلا قليلاً

وقد فتن الناس في دينهم *** و خلى ابن عفان شراً طويلاً

وقال أبو العتاهية:

يعمر بيت بخراب بيت *** يعيش حي بتراب ميت

وقال شاعر:

رب يوم بكيت منه فلما *** صرت في غيره بكيت عليه

وقول الآخر:

إنما الدنيا دول *** راحل قيل نزل

نازل قيل رحل

وقالت الحرقة بنت النعمان بن المنذر لخالدها بن الوليد عندما فتح عين التمر و سأل عنها قالت:

فبينما نسوس الناس و الأمر أمرنا *** إذا نحن فيها سوقة نتنصف

فأفٍ لدنيا لا يدوم نعيمها *** تقلب قارات بنا و تصرّف

وقال سعد بن أبي وقاص، و قد جاء الحرقة بنت النعمان بن المنذر مرة فلما رآها قال:

ص: 146

- قاتل الله عدي بن زيد، كأنه كان ينظر إليها حيث قال لأبيها:

إن للدهر صرعة فاحذرنها *** لا تبيتن قد أمنت الدهورا

قد ببيت الفتى معافي فيردى *** ولقد كان آمنا مسرورا

و لقوله عليه السلام:

"لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان".

قال الشاعر:

و الصبر بالأرواح يعرف فضله *** صبر الملوك وليس بالأجسام

و لقوله عليه السلام:

"عاتب أخاك بالإحسان إليه، واردد شره بالإنعام عليه".

قال محمود الوراق (378/18-379):

إني شكرت لظالمي ظلمي *** وغفرت ذاك له على علم

ورأيتَه أهدى إليّ يدا *** لما أبان بجهله حلمي

رجعت إساءته إليه وإح *** ساني فعاد مضاعف الجرم

و غدوت ذا أجرٍ و محمده *** و غدا بكسب الظلم والإثم

فكأنما الإحسان كان له *** و أنا المسيء إليه بالحكم

ما زال يظلمني و أرحمه *** حتى بكيت له من الظلم

و لقوله عليه السلام:

"من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن".

ص: 147

قال الشاعر (380/18):

وزعمت أنك لا تلوط فقل لنا *** هذا القرطق واقفا ما يصنع شهدت ملاحظته عليك بريية *** و على المريب شواهد لا تدفع

و لقوله عليه السلام:

"من ملك استأثر".

قال أبو الطيب (381/18):

و الظلم من شيم النفوس فإن تجد *** ذا عفة فلعله لا يظلم

و لقوله عليه السلام:

"من استبد برأيه هلك، و من شاور الرجال شاركها عقولها".

قال بشار (383/18):

إذا بلغ الرأي النصيحة فاستعن *** بعزم نصيح أو مشورة حازم

و لا تجعل الشورى عليك غضاضة *** فإن الخوا في عدة للقوادم

و لقوله عليه السلام:

"الموت الفقر الأكبر".

قال الشاعر (386/18):

خلق المال و اليسار لقوم *** و أراني خلقت للإملاق

أنا فيما أرى بقية قوم *** خلقوا بعد قسمة الأرزاق

و قال السيواسي:

ص: 148

ليت شعري لما بدا يقسم ال *** أرزاق في أي مطبق كنت

وقال من كتب على جانب دينار:

قرنت بالنجح وبي كلما *** يراد من ممتنع يوجد

وعلى الجانب الآخر:

وكل من كنت له ألفا *** فالإنس والجن له عبد

وقال آخر:

وإذا رأيت صعوبة في مطلب *** فاحمل صعوبته على الدينار

تردد كما الظهر الذلول فإنه *** حجر يلين قوة الأحجار

ولقوله عليه السلام:

"من قضى حق من لا يقضي حقه فقد عبده".

قال الشاعر، وهو تقيض هذا القول يخاطب صاحبا له (388/18):

كن كمن لم تلاقني قط في النا *** س ولا تجعلن ذكراي شوقا

وتيقن بأنني غير داءٍ *** لك حقا حتى ترى لي حقا

وبأنني مفوق ألف سهم *** لك إن فوقت يمينك فوقا

ولقوله عليه السلام:

"الإعجاب يمنع من الازدياد".

قال المتنبي (393/18):

ومن جهلت نفسه قدره *** رأي غيره منه مالا يرى

و لقوله عليه السلام:

"الأمر قريب و الاضطحاب قليل".

قال أبو العلاء (394/18):

نفسى و جسمى لما استجمعا صنعا *** شرا إليّ فجل الواحد الصمد
فالجسم يعزل فيه النفس مجتهدا *** و تلك تزعم أن الظالم الجسد
إذا هما بعد طول الصحبة افترقا *** فإن ذاك لأحداث الزمان يد
و أصبح الجوهر الحساس فى محن *** موصولة واستراح الآخر الجحد
و لقوله عليه السلام:

"قد أضاء الصبح لذى عينين".

قال ابن هانئ (395/8):

فاستيقضوا من رقدة و تنبهوا *** ما بالصباح عن العيون خفاء
ليست سماء الله ما ترونها *** لكن أرضا تحتويه سماء
و لقوله عليه السلام:

"كم من أكلة تمنع أكالات".

قال أبو العلاف فى سنور له يرثيه (397/18):

أردت أن تأكل الفراخ و لا *** يأكلك الدهر أكل مضطهد
يا من لذيد الفراخ أوقعه *** ويحك هلا قنعت بالغدد
كم أكلة خامرت حشا شره *** فأخرجت روحه من الجسد

و لقوله عليه السلام:

"أزجر المسيء بثواب المحسن".

قال ابن هاني المغربي (410/18):

لولا انبعث السيف و هو مسلط *** في قتلهم قتلتهم النعماء

و قال أبو العتاهية:

إذا جازيت بالإحسان قوما *** زجرت المذنبين عن الذنوب

فما لك و التناول من بعيد *** و يمكنك التناول من قريب

و لقوله عليه السلام:

"ثمرة التفريط الندامة، و ثمرة الحزم السلامة".

قال أبو الأسود و هو يرد على زياد -وقد أسن-:

"لولا ضعفك لاستعملناك على بعض أعمالنا".

فقال:

- أ للصرع يريدني الأمير؟

قال زياد:

- إن للعمل مؤونة، و لا أراك إلا تضعف عنه.

فقال أبو الأسود (414/18):

زعم الأمير أبو المغيرة أنني *** شيخ كبير قد دنوت من البلى

صدق الأمير فقد كبرت و إنما *** نال المكارم من يدي على العصا

ص: 151

يا ابا المغيرة رب أمر مبهم *** فرجته بالحزم مني والدها

وأنشد يزيد بن معاوية لما نزل بأبيه الموت فرآه مسكنا لا يتكلم بكى وأنشد:

لوفات شئى يرى لفات أبو *** حيان لا عاجز ولا وكل

الحوّل القلب الأريب ولا *** تدفع يوم المنية الحيل

و لقوله عليه السلام:

"إن من لم ينجح الصبر، أهلكه الجزع".

قال الشاعر (415/18):

وإني لأدري أن في الصبر راحة *** ولكن إنفاقي على الصبر من عمري

وقال أبو العلاء يستبطن بعض الرؤساء:

فإن قيل صبراً فلا صبر للذي *** غدا بيد الأيام تقتله صبراً

وإن قيل لي عذراً فوالله ما أرى *** لمن ملك الدنيا إذا لم يجد عذراً

و لقوله عليه السلام:

"وا عجباً أن تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقراة"

قيل ما روي للشريف الرضي (رحمه الله) (416/18):

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم *** فكيف بهذا والمشرون غيب

وإن كنت بالقربي حججت خصيمهم *** فغيرك أولى بالنبي وأقرب

و لقوله عليه السلام:

ص: 152

"يا ابن آدم ما كسبت فوق قوتك، فأنت فيه خازن لغيرك".

قال الشاعر (10/19):

ما لي أراك الدهر تجمّع دائماً *** البعل عرسك لا أبالك تجمّع

و لقوله عليه السلام، وقد مر بقدرٍ على مزبلة:

"هذا ما بخل به الباخلون".

قال المتنبي (13/19):

لو أفكر العاشق في منتهى *** حسن الذي يسييه لم يسه

و لقوله عليه السلام، وقد أتى بجان و معه غوغاء فقال:

"لا مرحبا بوجه لا تُرى إلا عند كل سوء".

قال الشاعر (20/19):

وإني لأستبقي امرأ السوء عدة *** العدو عريض من الماس جانب

أخاف كلاب الأبعدين و هرشها *** إذا لم تجاوبها كلاب الأقارب

و لقوله عليه السلام:

"و السلو عوضك ممن غدر".

قال الشاعر (32/19):

أعتقني سوء ما صنعت من ال *** رق فيا بردها على كبدي

قصدت عبدا للسوء فيك و ما *** أحسن سوء قبلي إلى أحد

و لقوله عليه السلام:

ص: 153

"والمودة قرابة مستفادة، ولا تأمنن ملولا".

قال العباس بن الأحنف (32/19):

لو كنت عاتبته لسكن عبرتي *** أمني رجلك وزرت غير مراقب
لكن مللت فلم يكن لي حيلة *** صد الملوک خلاف صد العاتب
و لقوله عليه السلام:

"الخلاف يهدم الرأي".

قال دريد بن الصمة (36/19):

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى *** فلم يستينوا النصح إلا ضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى *** غوايتهم وإني غير مهتدٍ
و لقوله عليه السلام:

"في تقلب الأحوال، علم جواهر الرجال".

ما زال يحلب هذا الدهر أشطره *** يكون متبعا طورا و متبعا
حتى استمرت على شزر مريته *** مستحکم الرأي لا قحما و لا ضرعا
و لقوله عليه السلام:

"من أشرف أفعال الكريم غفلته عما يعلم".

قال أبو تمام (44/19):

ليس الغبي بسيد في قومه *** لكن سيد قومه المتغابي
وقال طاهر بن الحسن بن مصعب:

و يكفيك من قوم شواهد أمرهم *** فخذ صفوفهم قبل امتحان الضمائر

فإن امتحان القوم يوحش منهم *** و ما لك إلا ما ترى في الظواهر

وإنك إن كشفت لم تر مخلصاً *** و أبدى لك التجريب خبث السرائر

و لقوله عليه السلام:

"من كساه الحياء ثوبه، لم يرَ الناس عيبه".

قال الشاعر (45/19):

يجري الحياء الفض في قسمااتهم *** في حين يجري في أكفهم الدم

و قول الآخر:

كريم يغض الطرف فضل حيائه *** و يدنو و أطراف الرماح دوان

و قول الآخر:

صلابة الوجه لم تغلب على أحد *** إلا تكامل فيها الشر و اجتماعا

و لقوله عليه السلام:

"و باحتمال المؤمن يجب السؤدد".

قال أبو تمام (48/19):

و الحمد شهد لا ترى مشناره *** يجنيه إلا من نقيع الحنظل

غل لحامله و يحسبه الذي *** لم يوه عانقه خفيف المحمل

و لقوله عليه السلام:

"الطمع في وثاق الذل".

ص: 155

قال البحتري:

و اليأس إحدى راحتين و لن ترى *** تعباً لظن الخائب المكدود

و لقوله عليه السلام:

"شاركوا الذين قد أقبل عليهم الرزق، فإنه أخلق للغنى، و أجدد بإقبال الحظ".

قال الرضي (57/19):

أسيغ الغيظ من نوب الليالي *** و ما يحفلن بالحنق المغيظ

و أرجو الرزق من خرق دقيق *** يسد بسلك حرمان غليظ

و أرجو ليس في كفيّ منه *** سوى عذ اليمين على الحظوظ

و لقوله عليه السلام:

"خيار خصال النساء شرار خصال الرجال، الزهو و الجبن و البخل".

قال الطغرائي (65/19):

الجود و الإقدام في فتیانهم *** و البخل في الفتيات و الإشفاق

و الطعن في الأحداق دأب رماثهم *** و الراميات سهامها الأحداق

و له أيضاً:

قد زاد طيب أحاديث الكرام بها *** و بالكرائم من جبن و من بخل

و لقوله عليه السلام:

"و الحجر الغصب رهن على خرابها".

ص: 156

قال ابن بسام لأبي علي بن مقلة لما بنى داره بالزاهر، ببغداد من الغصب و ظلم الرعية (72/19):

بجنبك داران مهدومتان *** و دارك ثالثة تهدم

فليت السلامة للمنصفين *** دامت فكيف لم يظلم

و قوله فيه أيضا:

قل لابن مقلة مهلا لا تكن عجلا *** فإنما أنت في أضغاث أحلام

تبنى بأنقاض دور الناس مجتهدا *** دارا ستتقض أيضا بعد أيام

و لقوله عليه السلام:

"إذا كثرت المقدورة قلت الشهوة"

استشهد بقول الشاعر (19م78):

و أخ كثرت عليه حتى ملني *** و الشيء مملوك إذا هو يرخص

يا ليته إذ باع ديناً باعه *** ممن يزيد عليه لا من ينقص

و لقوله عليه السلام:

"الكرم أعطف من الرحم."

قال أبو تمام لابن الجهم (81/19):

إلا يكن نسب يؤلف بيننا *** أدب أقمناه مقام الوالد

أو يختلف ماء الوصال فماؤنا *** عذب تحدر من غمام واحد

و قال ابن أبي الحديد في بعض أغراضه:

ص: 157

ووشائج الآداب عاطفة ال *** فضلاء فوق و شائج النسب

و لقوله عليه السلام:

"الرداء الدين".

قال الشاعر (125/19):

إن لي حاجة إليك فقالت *** بين أذني و عاتقي ما تريد

و لقوله عليه السلام:

"أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يغيبك يوماً ما و أبغض بغيبك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما".

قال الشاعر: (156/19):

فأحببت ما أحببت حباً مقارباً *** فإنك لا تدري متى أنت نازع

و أبغض ما أبغضت غير مباين *** فإنك لا تدري متى أنت راجع

و قال عدي بن زيد:

و لا تأمنن من مبعوض قرب داره *** و لا من محب أن يمل فيبعدا

و لقوله عليه السلام:

"قطع العلم عذر المتحللين".

استشهد بقول الشاعر (176/19):

قدمت على الكريم بغير زاد *** من الأعمال ذا ذنب عظيم

و سوء الظن أن تعتد زادا *** إذا كان القدوم على الكريم

ص: 158

و لقوله عليه السلام:

"ينام الرجل على الثكل ولا ينام على الحرب".

قال الشاعر (213/19):

لنا أبل غر يضيق فضاؤها *** و يغبر عنها أرضها و سماؤها

فمن دونها أن تستباح دماؤنا *** و من دوننا أن تستباح دماؤها حمى و قرى فالموت دون مرامها *** و أيسر يوم يوم حق فناؤها

و لقوله عليه السلام:

"مودة الآباء قرياء بين الأبناء، و القرابة أحوج إلى المودة من المودة إلى القرابة".

قال الشاعر (214/19):

أبقى الضغائن آباء لنا سلفوا *** فلن تبيد و للأبناء أبناء

و لقوله عليه السلام:

"اتقوا ظنون المؤمنين فإن الله تعالى جعل الحق على ألسنتهم". قال أبو الطيب (215/19):

ذكي تظنيه طليعة عينه *** يرى قلبه في يومه ما يرى غدا

و قال أوس بن حجر:

الألمعي الذي يظن بك الظن *** و كأن قد رأى و قد سمعا

و لقوله عليه السلام:

ص: 159

"ردوا الحجر من حيث جاء، فإن الشر لا يدفعه إلا الشر".

قال عمرو بن كلثوم (221/19):

ألا لا يجهلن أحد علينا *** فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقال الفند الزماني:

فلما صرح الشر *** فأمسى وهو عريان

فلم يبق سوى العدو *** ن دناهم كما دانوا

وبعض العلم عند الجهه *** ل للذلة إذعان

وفي الشرنجاة حي *** ن لا ينجيك إحسان

قال الأحنف:

وذي ضعف أمت القول عنه *** بحلمي فاستمر على المقال و من يحلم و ليس له سفیه *** يلاقي المعضلات من الرجال

وقال الراجز:

لا بد للسؤدد من أرماع *** و من عديد يتقي بالراح

و من سفیه دائم النباح

وقال آخر:

و لا يلبث الجهال أن يتهضموا *** أخوا العلم ما لم يستعن بجهول

وقال آخر:

و لا أتمنى الشر و الشر تاركه *** ولكن متى أحمل على الشر راكب

ص: 160

و لقوله عليه السلام:

(العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة)

قال الشاعر (إذ قال بالأربعين) (283/19):

إذا ما المرء قصر ثم مرت *** عليه الأربعون من الرجال
و لم يلحق بصالحهم فدعه *** فليس بلاحق أخرى الليالي

و لقوله عليه السلام:

"الاستغناء عن العذر، أعز من الصدق به."

قال الشاعر (241/19):

إذا كان وجه العذر ليس بواضح *** فإن إطراح العذر خير من الغدر

و لقوله عليه السلام:

"السلطان وزعة الله في الأرض."

قال الأفوه الأودي (244/19):

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم *** ولا سراة إذا جهالهم سادوا

و لقوله عليه السلام:

"الغني الأكبر اليأس عما في أيدي الناس."

قال الشاعر (246/19):

أرحت روحي من عذاب الملاح *** لليأس روح مثل روح النجاح

وقال ابن المفضل:

لا أمدح اليأس ولكنه *** أروح للقلب من المطمح

أفلح من أبصر روض المنى *** يدعى فلم يرع ولم يرتع

و ما روي لعبد الله بن المبارك الزاهد:

قد أرحنا و استرحنا *** من غدو و رواح

بعفاف و كفاف *** و قنوع و صلاح

و جعلنا اليأس مفتا *** حا لأبواب النجاح

و لقوله عليه السلام:

"لكل امرئ في ماله شريكان، الوارث و الحوادث".

قال الرضي (215/19):

خذ من تراثك ما استطعت فإنما *** شركاؤك الأيام و الوراث

لم يقض حق المال إلا معشر *** نظروا الزمان يعيث فيه فعاثوا

و لقوله عليه السلام:

"من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه".

قال الشاعر (265/19):

يخوض أناس في الكلام ليوجزوا *** و للصمت في بعض الأحيان أوجز

إذا كنت عن أن تحسن الصمت عاجزا *** فأنت عن الإبلاغ في القول أعجز

و لقوله عليه السلام:

"أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله".

قال الشاعر (269/19):

إذا أنت عبت الأمر ثم أتيته *** فأنت ومن تزري عليه سواء
و لقوله عليه السلام:

"لا تسأل عما لم يكن ففي الذي قد كان لك شغل".

قال أبو الطيب في سيف الدولة (282/19):

ليس المدائح تستوفي مناقبه *** ممن كليب و أهل الأعصر الأول
خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به *** في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل
وقد وجدت مكان القول ذا سعة *** فإن وجدت لساناً قائلاً فقل
و لقوله عليه السلام:

"رب مستقبل يوماً ليس بمستدبره، مضبوط في أول ليلة. قامت بواكيه في آخره"

قال الشاعر (321/19):

ياراقد الليل مسروراً بأوله *** إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
و مثله:

لا يغرنك عشاء ساكن *** قد يوافي بالمنيات السحر
و لقوله عليه السلام:

"من فاته حب نفسه، لم ينفعه حب آبائه".

قال الشاعر (331/19):

ص: 163

لئن فخرت بآباء ذوي حسب *** لقد صدقت ولكن بس ما صدقوا

و لقوله عليه السلام:

"ألا وإن من البلاء الفاقة، وأشد من الفاقة مرض البدن، وأشد من مرض البدن مرض القلب، ألا وإن من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب".

قال أحمد بن يوسف الكاتب:

المال للمرء في معيشته *** خير من الوالدين والولد

و إن تدم نعمة عليك تجد *** خيرا من المال صحة الجسد

و ما بمن نال فضل عافية *** وقوت يوم فقر إلى أحد

و لقوله عليه السلام:

"أزهد في الدنيا يبصرك الله عوراتها، ولا تغفل فليس بمغفول عنك".

قال عبد الله بن معاوية (339/19):

و عين الرضا عن كل عيب كليله *** ولكن عين السخط تبدي المساويا

و لقوله عليه السلام:

"رب قول، أنفذ من صول".

قال الشاعر (359/19):

وقافيه مثل حد السنان *** تبقى ويذهب من قالها

تخيرتها ثم أرسلتها *** ولم يطق الناس إرسالها

ص: 164

و لقوله عليه السلام:

"من لم يعط قاعدا، لم يعط قائما".

قال الشاعر (363/19):

جرى قلم القضاء بما يكون *** نسيان التحرك والسكون

جلون منك أن تسعى لرزق *** ويرزق في غشاوته الجنين

و لقوله عليه السلام:

"مقاربة الناس في أخلاقهم آمن من غوائلهم".

قال المتنبي (3/20):

و خلة في جليس أتقيه بها *** كيما يرى أننا مثلان في الوهن

و كلمة في طريق خفت أعربها *** فيهتدي لي فلم أقدر على اللحن

وقال بشار:

و ما أنا إلا كالزمان إذا صحا *** صحوت و إن فاق الزمان أفوق

وقال الشاعر:

أحامقه حتى يقال سجية *** و لو كان ذا عقل لكنت أعاقله

و لقوله عليه السلام:

"ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبا لما عند الله، و أحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله سبحانه".

قال الشاعر (39/20):

ص: 165

قنعت فأعتقت نفسي ولن *** أملك ذا قدوة رقتها

ونزهتها عن سؤال الرجال *** ومنة من لا يرى حقها

وإن القناعة كنز اللبيب *** إذا ارتقت فتقت رقتها

سبيعث رزق الشفاه الفرات *** وخص البطون السبي سقها

فما فارقت مهجة جسمها *** لعمرك أوفيت رزقها

مواعيد ربك مصدوقة *** إذا غيرها فقدت صدقها

و لقوله عليه السلام:

(ما استودع الله امرءً عقلاً إلا ليستنفد به يوماً ما)

قال الشاعر (43/20):

وما ألف مطرور الزمان مشرد *** يعارض يوم الروح رأياً مسددا

وقال الآخر:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة *** فإن فساد الرأي أن تترددا

فإن كنت ذا عزم فأنفذه عاجلاً *** فإن فساد العزم أن يتفندا

و لقوله عليه السلام:

"من صارع الحق صرعه".

قال الطائي (45/20):

و من قامر الأيام عن غراتها *** فأصبح بها أن تنجلي ولها القمر

و لقوله عليه السلام:

"القلب مصحف البصر".

قال الشاعر (46/20):

تخبرني العينان ما القلب كاتم *** و ما جن بالبغضاء و النظر الشزر

و قول الشاعر:

إن العيون لتبدي في قلبها *** ما في الضمائر من ود و من حنق

و لقوله عليه السلام:

"لا تجعلن ذرب لسانك على من أنطقك، و بلاغة قولك على من سدّدك".

قال المتنبي في سيف الدولة (48/20):

و لما كسا كعبا ثيابا طغوا بها *** رعى كل ثوب من سنان نجارق

و ما يوجع الحرمان من كف حازم *** كما يوجع الحرمان من كف رازق

و لقوله عليه السلام:

"كفأك أوبأ لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك"

قال أحد الكتاب و هو يكتب إلى بعض الملوك في حال اقتضت ذلك:

"ما على هذا افترقنا بشبذان اذ كنا، و لا هكذا عهدنا الإخاء تضرب الناس بالمهندة البيض على غدرهم و ننسى الوفاء":

و لقوله عليه السلام: للأشعث بن قيس معزيا عن ابن له:

"إن صبرت صبر الأكارم، و إلا سلوت سلو البهائم".

قال أبو تمام (50/20):

ص: 167

وقال علي في التعازي لأشعث *** وخاف عليه بعض تلك المآثم

أصببر للبلوى عزاء وصية *** فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

و لقوله عليه السلام:

"وإن أهل الدنيا كركب، بينما هم حلوا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا".

قال أبو العتاهية (53/20):

إن دارا نحن فيها لدار *** ليس فيها لمقيم قرار

كم وكم وقد حلها من أناس *** ذهب الليل بهم والنهار

فهم الركب قد أصابوا مناخا *** فاستراحوا ساعة ثم ساروا

وكذا الدنيا على ما رأينا *** يذهب الناس وتخلوا الديار

و لقوله عليه السلام:

"الحلم عشيرة".

قال الشاعر (61/20):

وللكف عن شتم اللئيم تكرا *** أضر من الشتم حين شتمه

و لقوله عليه السلام:

"إن لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد، فيقرها في أيديهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، ثم حولها إلى غيرهم".

قال الشاعر (70/20):

وبالناس عاش الناس قدما ولم يزل *** من الناس مرغوب إليه وراغب

ص: 168

وقال آخر:

لم يعطك الله ما أعطاك من نعم *** إلا لتوسع من يرجوك إحسانا

فأن منعت فأخلق أن تصادفها *** تطير عنك زرافات و وحدانا

و لقوله عليه السلام:

"لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين: العافية والغني، بينما تراه تعافي إذ سقم، وبينما تراه غنيا إذ افتقر".

قال الشاعر (71/20):

وبينما المرء في الأحياء مغتبط *** إذ صار في اللحد تسفيه الأعاصير

وقال الآخر:

لا يغرنك عشاء ساخن *** قد يوافي بالمنيات السحر

وقال عبيد الله بن طاهر:

وإذا ما أعارك الدهر شيئا *** فهو لا بد آخذ ما أعارا

وقال الآخر:

يعز الفتى مر الليالي سليمة *** وهن به عما قليل عواثر

وقال آخر:

ورب غنى عظيم الثراء *** أمسى عقلا عديما فقيرا

وكم بات من مترف في القصور *** فعوض في الصبح عنها القبورا

و لقوله عليه السلام:

ص: 169

"إن أخسر الناس صفقة، وأخيهم سعياً، رجل أخلق بدنه في طلب آماله، ولم تساعده المقادير على إرادته، فخرج من الدنيا بحسرتة، وقدم على الآخرة بتبعته".

قال الشاعر (75/20):

نروح ونغدو لحاجاتنا*** وحاجة من عاش لا تنقضي

تموت مع المرء حاجاته*** وتبقى له حاجة ما بقي

و لقوله عليه السلام:

"اذكروا انقطاع اللذات، وبقاء التبعات".

قال الشاعر:

تفنى اللذذة ممن نال بغيته*** من الحرام، ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها*** لا خير في لذة من بعدها النار

و لقوله عليه السلام:

"أخبر ثقله، أي: أخبر الناس و جربهم بُغضهم.

قال أبو العلاء (81/20):

جربت دهري وأهليه فما تركت*** لي التجارب في ود امرئ غرضاً

وقال آخر:

و كنت أرى أن التجارب عدة*** فخانت ثقة الناس حتى التجارب

وقال عبيد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:

ص: 170

رأيت فضلا كان شيئا ملفقا *** فأبرزه التمهيص حتى بدا ليا

وقول الآخر:

عبت على سلم فلما فقدته *** و جربت أقواما، رجعت إلى سلم

و مثله:

ذممتك أولا حتى إذا ما *** و بلوت سواك عاد الذم حمدا

و لم أحمذك من خير ولكن *** وجدت سواك شر منك جدا

فعدت إليك مضطرا ذليلا *** لأنني لم أجد من ذلك بدا

لمجهود تحامي كل ميت *** فلما اضطر عاد إليه شدا

و لقوله عليه السلام:

"أولى الناس بالكرم من عرفت فيه الكرام". أي: ضربت عروقه في الكرم.

أنشد المبرد في علم السعدي (83/20):

إنا سألنا قومنا فخيرهم *** من كان أفضلهم أبوه الأفضل

أعطى الذي أعطى أبوه قبله *** و تبخلت أبناء من يتبخل

و ما أنشده أيضا في هذا المعنى:

لطلحة بن خثيم حين تسأله *** أندي و أكرم من هند بن هطال

و بيت طلحة في عز و مكرمة *** و بيت هند إلى ربقٍ و أحمال إلا فتى من بني ذبيان يحملني *** و ليس يحملني إلا ابن حمال

فقلت طلحة أولى من حملت له *** و جئت أمشي إليه مشي مختال

ص: 171

مشيتنا أن حبلي سوف يعلقه *** في رأس ذيالة أو رأس ذيال

وقال آخر:

عند الملوک مضرة و منافع *** و أرى البرامک لا تضر و تنفع

إن العروق إذا استثر بها الثرى *** أثرى النبات بها و طاب المزرع

و إذا جهلت من امرئ أعراقه *** و قديمه فانظر إلى ما يصنع

وقال آخر:

إن السرى إذا سرى بنفسه *** و ابن السرى إذا سرى أسراها

وقال البحترى:

و أرى النجابة لا تكون تمامها *** لنجيب قوم ليس بابن نجيب

و لقوله عليه السلام:

"الناس أعداء ما جهلوا".

قال الشاعر (86/20):

جهلت أمراً فأبدت النكير له *** و الجاهلون لأهل العلم أعداء

و لقوله عليه السلام:

"الولايات مضامير الرجال".

قال الشاعر (88/20):

سكرات خمس إذا منى المرء *** بها صار عرضة للزمان

سكرة المال و الحدائة و العش *** ق و سكرة الشراب و السلطان

ص: 172

وقال آخر:

يا ابن وهب و المرء في دولة *** السلطان أعمى ما دام يدعى أميراً

فإذا نالت الولاية عنه *** و استوى بالرجال عاد بصيرا

وقال البحتري:

و تاه سعيد أن أعير رياسة *** و قلد أمرا كان دون رجاله

و ضاق على حق بعقب اتساعه *** فأوسعته عذرا لضيق احتماله

فأدبر عني عند إقبال حظه *** و غير حالي عنده حسن حاله

فليت أبا عثمان أمسك تيهه *** كما مسكه عند الحقوق بماله

و لقوله عليه السلام:

"ما أنقض النوم لعزائم اليوم".

قال المعري (89/20):

ما قضى الحاجات إلا شَمِلَ *** نومه فوق فراش من نمال

وقال الرضي (رحمه الله):

عليها أخامس مثل الصقور *** طوال الرجاء جسام الأرب

و كل فتى حظ أجفانه *** من النوم مضمضة يستلب

فبينما يقل كرى جفنه *** بقطع من الليل إذ قيل هب

و لقوله عليه السلام:

"ليس بلد بأحق منك من بلده خير البلاد ما حملك".

قال الشاعر (90/20):

لا يصدقنك عن أمر تحاوله *** فراق أهل و أحباب و جيران
تلقى بكل ديار ما حللت بها *** أهلاً بأهل و أوطانة بأوطان

و قال الشيخ أبو جعفر يحيى بن أبي زيد نقيب البصرة:

أنسييتني بلدي و أرض عشيرتي *** و نزلت من نعماك أكرم منزل
و أخذت فيك مدائحي فكأنها *** في آل شماس مدائح جرول

و قال البحري:

في نعمة أوطأتها و أقمت في *** أكنافها فكأنني منيح

و قال أبو تمام:

كل شعب كنتم به آل و هب *** فهو شعبي و شعب كل أديب

إن قلبي لكم كالقبد الحرى *** و قلبي لغيركم كالقلوب

و قال الشاعر:

أحب بلاد الله ما بين منيح *** إليّ و سلمى أن يصوب سحابها بلاد بها نيظت عليّ تمانمي *** و أول أرض مس جلدي ترايبها

و قال الشاعر:

و كنا ألفناها و لم تك مألفاً *** و قد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن

كما تؤلف الأرض التي لم يطب بها *** هواء و لا ماء ولكنها وطن

و قول الشاعر:

ص: 174

تسير على علم بكنه مسيرنا *** بعقّة زاد في بطون المزاد

و لا بد في أسفارنا من قبيصة *** من الترب نسقاها لحب الموالد

وقال ابن الرومي:

وحبب أوطان الرجال إليهم *** مآرب قضاها الشباب هنالك

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم *** عهود الصبا فيها فحنوا لذلك

و لقوله عليه السلام:

"قليل مدوم عليه، أفضل من كثير مملول منه".

قال الشاعر (94/20).

إني كثرت عليه في زيارته *** فحل فالشيء محلول إذا كثرا

و رابني منه أني لا أزال أرى *** في طرفه قصرا عني إذا نظرا

و لقوله عليه السلام:

"من كرمت عليه نفسه، هانت عليه شهوته".

قال حاتم الطائي (99/20):

فإنك إن أعطيت بطنك سؤله *** وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

و لقوله عليه السلام:

"زهديك في راغب فيك نقصان حصه، و رغبتك في زاهد فيك ذل نفسك".

قال العباس بن الأحنف (101/20):

ما زلت أزهدي في مودة راغب *** حتى ابتليت برغبة في زاهد

هذا هو الداء الذي ضاقت به *** حيل الطبيب و طال يأس العائد

و لقوله عليه السلام:

"ما لأبن آدم و الفخر! أوله نطفة، و آخره جيفة، لا يرزق لنفسه و لا يدفع حتفه"

قال الشاعر (150/20):

ما بال من أوله نطفة *** و جيفة آخره يفخر

يصبح ما يملك تقديم ما *** يرجو و لا تأخير ما يحذر

و لقوله عليه السلام:

"علامة الإيمان أن تؤثر الصدق، حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك."

قال الشاعر (175/20):

عليك بالصدق و لو أنه *** أحرقك الصدق بنار الوعيد

و لقوله عليه السلام:

"يغلب المقدار على التقدير، حتى تكون الآفة في التدبير."

قال الشاعر (176/20):

لعمرك ما لابن آدم أخطب نفسه *** ولكنه من يخذل الله يخذل

لجاهد حتى تبلغ النفس عذرها *** و قلقل يبقى العز كل مقلل

و قال أبو تمام:

وركب كأطراف الأسننة عرسوا *** على مثلها و الليل تطوى غياهبه

ص: 176

لأمر عليهم أن تتم صدوره *** وليس عليهم أن تتم عواقبه

و لقوله عليه السلام:

"الحلم و الأناة توأمان ينتجهما علو الهمة".

قال ابن هاني:

وكل أناة في المواطن سوؤد *** ولا كأناة من تدبر محكم

و من يتبين أن للسيف موضعاً *** من الصفح يصفح عن كثير و يحلم

و قال شاعر:

الرفق يمن والأناة سعادة *** فتأن في أمر تلاقٍ نجاحا

و قال آخر:

كم من مضيع فرصة قد أمكنت *** لغدٍ و ليس له غدٌ بمواتٍ

حتى إذا فاتت وفات طلابها *** ذهبت عليها نفسه حسرات

و لقوله عليه السلام:

"الغيبة جهد العاجز".

قال الشاعر (179/20):

و يغتابني من لو كفاني اغتيابه *** لكنك له العين البصيرة و الأذنا

و عندي من الأشياء ما لو ذكرتها *** إذا قرع المغتاب من ندم سنا

و قال ابن أبي الحديد:

أكل عرضي أن غبت ذما فما *** أبت فمدح و رهبة و سجود

ص: 177

هكذا يفعل الجبان شجاع *** حين يخلو، وفي الوغى رعديد

لك في حالان: مني عينك *** الجنة حسناً، وفي الفؤاد وقود

و لقوله عليه السلام:

"الدنيا خلقت لغيرها و لم تخلق لنفسها".

قال أبو العلاء المعري (181/20):

خلق الناس للبقاء فضلت *** أمة يحسبونهم للنفاد

إنما يتقلون من دار أعما *** ل إلى دار شقوةٍ أو رشاد

و لقوله تعالى:

{ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ }.

قال الشاعر (188/20):

فيا من ليس يكفيه صديق *** و لا ألفا صديق كل عام

أضنك من بقايا قوم موسى *** فهم لا يصبرون على طعام

و لقوله عليه السلام:

"هم القوم لا يشقى بهم جليسهم".

قال الشاعر (195/20):

و كنت جليس قعقاع بن ثور *** و لا يشقى بقعقاع جليس

ضموك ألسن أن نطقوا بخير *** و عند الشر مطراق عبوس

و لقوله عليه السلام:

ص: 178

"و الله أن امرئ يمكن عدوه من نفسه، يعرق نفسه، لعرق لحمه، و يهشم عظمه، و يفري جلده لعظم عجزه، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره".

قال ابن أبي الحديد في رسالة إلى صديق (189/20-192):

إن امرئ أمكن من نفسه *** عدوه يجده آرابه

لا يدفع الضيم و لا ينكر ال *** ذل و لا يحض جلبابه

لقائل الرأي ضعيف القوى *** قد حرم الخذلان أمبابه

أنت فكن ذاك فأني امرؤ *** لا يرهب الخطب إذا نابه

إن قال دهر لم يطع أو شحا *** له فم أورد أنيابه

أو سامه الخسف أبي و انتضى *** دون حرام الخسف قرضا به

أخزر عضان شديد السطا *** يقدر ما يترك ما رابه

و لقوله عليه السلام: عن الدنيا:

(و صادتموها و الله ضلاً ممدوداً إلى أجل معدود).

قال دعبل الخزاعي (120/7):

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم *** الله يعلم أني لم أقل فنذا

أنني لأفتح عيني ثم أغمضها *** على كثير ولكن لا أرى أحدا

و لقول الرسول صلى الله عليه و آله و سلم:

"جار الدار أحق بدار الجار".

قال الشاعر (286/8):

ص: 179

أبا الفياض لا تحسب بأني *** لفقري من حُلي الأشعار عار

فلي طبع كسلسال معين *** ولا لي من ذرا الأحجار جار

و لقوله عليه السلام:

"يتسمون بدعائه روح التجاوز، رهائن فاقاة إلى فضله، وأسارى ذلة لعظمته، جرح طول الأسى قلوبهم، و طول البكاء عيونهم" (177/1)

فقال علي الدقال:

إذا بكى المذنب فقد راسل الله

فأخذ الشاعر (230/11):

دموع الفتى عما يجن تترجم *** وأنفاسه تبدين ما القلب يكتم

و لقوله عليه السلام:

"كناقل الثمر إلى حجر".

قال الشاعر (188/15):

أهدي له طرف الكلام كما *** يُهدى لوالي البصرة التمر

و لقوله عليه السلام:

"أخفض للرعية جناحك، وابسط لهم وجهك، وألن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة، والإشارة والتحية".

قال الشاعر (4-3/17):

أقسم اللحظ بيننا إن في اللح *** ظ لعنوان ما تجن الصدور

إنما البر روضة فإذا ما *** كان بشر فروضة وغدير

ص: 180

و لقوله عليه السلام: " وإياك بالعجلة بالأمر قبل أوأنها".

قال الشاعر (113/17-116):

دعها سماوية تجري على قدر *** لا تفسدنها براي منك معكوس

و لقوله عليه السلام: " و الوهن عنها إذا استوضحت".

قال الشاعر (4-3/17):

فإذا أمكنت فبادر إليها *** حذراً من تعذر الإمكان

و لقوله عليه السلام:

"ماء وجهك جامد يقطره السؤال، فانظر عند من تقطره".

قال الشاعر (261/19):

إذا أظمأتك أكف اللثام *** كفتك القناعة شبعاً ورياً

فكن رجلاً رجله في الثرى *** وهامة همته في الثريا

فإن إراقة ماء الحياة *** دون إراقة ماء المحيا

وقال آخر (261/19):

رددت لي ماء وجهي في صفيحته *** رد الصقال بهاء الصارم الجذم

و ما أبالي و خير القول أصدقه *** حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي

وقال آخر:

ما ماء كفيك إن أرسلت مزنته *** من ماء وجهي إذا استقطرته عوض

ص: 181

لقوله عليه السلام وأراد الخلافة:

"لقد تميمها ابن أبي قحافة". أي جعلها كالقميص مشتملة عليه، والضمير للخلافة ولم يذكرها للعلم بها.

قال حاتم (152/1):

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى *** إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

وقال أبو تمام:

تسربل سربالاً من النصر وأرتدي *** عليه بعضب في الكريهة فاصل

ولقوله عليه السلام:

"وإنه ليعلم إن محلي منها (أي من الخلافة) محل القطب من الرحي؛ ينحدر عني السيل".

قال الهذلي:

وعطاء يكثر فيها الذليل *** وينحدر السيل عنها انحدارا

ص: 182

"يعني رفعة منزلته عليه السلام، كأنه في ذروة جبل ارتفاع مشرف، ينحدر السيل عنه إلى الوهاد والغيطان".

ولقوله عليه السلام:

"ولا يرقى إلى الطير".

كأنه يقول: إني لعلو منزلتي كمن في السماء التي يستحيل إن يرقى الطير إليها.

قال المتنبي:

فوق السماء و فوق ما طلبوا *** فإذا أرادوا غاية نزلوا

وقال حبيب:

مكارم لجت في علو كأنما *** تحاول ثأراً عند بعض الكواكب

ولقوله عليه السلام:

"إن محلي منها كمحل القطب من الرحي"، وقد أوردناه.

قال الراجز (154/1):

على قلاص من خياطين السلم *** قد طويت بطونها على الأدم

بعد انفضاح البدن و اللحم الذيم *** إذا قطعن علما بدا علم

فهن بحثاً كمضلات الحزم *** حتى إنحناها إلى باب الحكم

خليفة الحجاج غيره انحتم *** في سره المجد و بحبوح الكرم

وقال أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جدعان (154/1):

ص: 183

فحللت منها بالبطاح *** و حل غيرك بالظواهر

و لقوله عليه السلام:

"فمن شواهد خلقه خلق السماوات موطدات بلا عمد، قائمات بلا سند، دعاهن فأجبن طائعات مذعنات".

قال الراجز (83-81/10):

امتلاً الحوض وقال قطني *** مهلاً رويدا قد ملأت بطني

ص: 184

لقوله عليه السلام:

"شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة".

لأن الفتن قد تتضاعف و تترادف، فحسن تشبيهها بأمواج البحر المضطربة، ولما كانت السفن الحقيقية تنجى من أمواج البحر، حسن إن يستعار للفظ السفن لما ينجى من الفتن. وكذلك "وضعوا تيجان المفاجر". لأن التاج لما كان مما يعظم به قدر الإنسان استعاره لما يتعظم به الإنسان من الافتخار و ذكر القديم. وكذلك قوله "أفلح من نهض بجناح" كأنه لما نفض يديه عنهم صار كالطائر الذي ينهض من الأرض بجناحيه.

وفي الاستعارات ما هو خارج عن هذا النوع. وهو مستقبح. و ذلك كقول أبي نواس (215/1-216):

بح صوت المال مما *** منك يبكي و ينوح

و كذلك قوله:

ما لرجل المال أضحت *** تشتكي منك الكلالا

ص: 185

وقول أبي تمام:

وكم أحرزت منكم على قبح قدها *** صروف النوى من مرهف حسن القد

و كقوله:

بلونك إما كعب عرضك في العلا *** فعالٍ، جذ مالك أسفل

فإنه لا مناسبة بين الرجل و المال، و لا بين الصوت و المال، و لا معنى لتصبيره للنوى قدًا، و لا للعرض كعبًا، و لا للمال خدًا.

و قريب منه أيضا قوله:

لا تسقني ماء الملام فإنني *** صب قد استعذبت ماء بكائي

إذ يقال إن مخلدا الموصلي بعث إليه بقارورة يسأله فيها قليلا من ماء الملام، فقال لصاحبه؛ قل له يبعث إلي بريشة من ضاح الذل لأستخرج بها من القارورة ما أبعثه إليه.

و لقوله عليه السلام:

"فاسمعوا أيها الناس وعوا و احضروا آذان قلوبكم تفهموا".

قال الشاعر (98-95/13):

يدق على النواظر ما أتاه *** فيبصره بأبصار القلوب

إذ جعل عليه السلام للقلب آذانا كما جعل الشاعر للقلوب أبصارا.

ص: 186

لقوله عليه السلام:

"فإن الدنيا قد أدبرت و أذنت بوداع، و إن الآخرة أقبلت و أشرفت باطلاع، ألا و إن اليوم المضممار و غداً السباق، و السبقة الجنة، و الغاية النار."

فقد طابق و قابل الأمام عليه السلام بين الإدبار و الإقبال و الجنة و النار.

و مما جاء من ذلك في الشعر قول الفرزدق يهجو قبيلة جرير (91/2 و 105-110):

يستيقظون إلى نهيق حميرهم *** و تنام أعينهم على الأوتار

و قول آخر:

فلا الجود يغني المال و الجد مقبل *** و لا البخل يبقي المال و الجد مدبر

و قول أبي تمام:

ما إن ترى الأحساب بيضا وُضِّحاً *** إلا بحيث ترى المنايا سودا

ص: 187

شرف على أولى الزمان وإنما *** خَلَقُ المناسب ما يكون جديدا

ذلك كان مقابلة اللفظ باللفظ والمعنى، وأما مقابلة الشيء بضده بالمعنى إلا باللفظ فكقول المقنع الكندي:

لهم جل مالي إن تتابع لي *** وإن قل مالي لا أقبلهم رفا

فقوله: "إن تتابع لي غنى" في قوة قوله: "إن كثر مالي" والكثرة ضد القلة.

و قول البحري:

تقيض لي من حيث لا أعرف النوى *** ويسري إليّ الشوق من حيث أعلم

فقوله: "لا أعلم" ليس ضد قوله: "أعلم": لكنه تقيض له في قوله: "أجهل" و الجهل ضد العلم.

وقول أبي تمام:

مها الوحش إلا إن هاتا أوانس *** قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

فقابل بين "هاتا" وبين "تلك" وهي مقابلة معنوية لا لفظية، لأن "هاتا" للحاضرة و"تلك" للغائبة، والحضور ضد الغيبة. و ثمة مقابلة المفرد بالمفرد كقول أبي تمام:

بسط الرجاء لنا برغم لوائب *** كثرت بهن مصارع الآمال

فقال "الآمال" عوض "الرجاء".

وقول المتنبي:

إني لأعلم و اللبيب خبير *** إن الحياة - وإن حرصت - غرور

فقال "خبير" ولم يقل "عليم".

(وإن علي الفتال يقول: إن هذا التخريج من ابن أبي الحديد غير علمي. لو كانت قافية بيت المتنبي ميمية لقال "عليم" فالقافية هي التي حكمت الشاعر وليس ما ذهب إليه ابن أبي الحديد).

و أما مقابلة المخالف، فهو على وجهين:

أحدهما أن يكون بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقابل، كقول أنيف بن قريط العنبري:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة *** و من إساءة أهل السوء إحسانا

فقابل الظلم بالمغفرة وهي مخالفة [إياه]، ليست مثله ولا ضده.

و الوجه الثاني: ما كان بين المقابل والمقابل بُعد؟ وذلك مما لا يحسن استعماله، كقول امرأة من العرب لابنها، وقد تزوج بامرأة غير محمودة:

تربص بها الأيام علَّ صروفها *** سترمي بها في جاحم متسعرٍ

فكم من كريم قد مناه إلهه *** بمذمومة الأخلاق واسعة الحر

ف "مذمومة" ليست في مقابلة "واسعة" و لو كانت قالت "بضيقة الأخلاق" كانت المقابلة صحيحة و الشعر مستقيما.

و كذلك قول المتنبي:

ص: 189

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها *** سرور محب أو مساء مجرم

فالمقابلة الصحيحة بين المحب و المبغض لا بين المحب و المجرم.

(مرة أخرى يقول علي الفتال: إن القافية هي التي اضطرت الشاعر أن يقابل المجرم بالمحب فلو كانت ضادية لقال "مساء مبغض").

ص: 190

لقوله عليه السلام و هو يذكر ملك الموت و توقيه الأنفس:

"هل يحس به إذا دخل منزلا، أم هل تراه العيون إذا توفي أحدا، بل كيف يتوفى الجنين في بطن أمه، أيلج عليه من بعض جوارحها، أم الروح أجابته بإذن ربها، أم هو ساكن معه في أحشائها، كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله؟

إذ استعمل الأمام علي عليه السلام فن التخلص من تساؤلاته الستة إلى سؤاله الأخير الذي أراد الوصول إليه، و هذا هو التخلص في علم البلاغة، فعقد ابن أبي الحديد فصلا فيه و استشهد بقول أبي نواس (239/7):

تقول التي من بيتها خف مركب *** عزيز علينا إن نراك تسير

أما دون مصر للغنى متطلب؟ *** بلى، إن أسباب الفنى لكثير

فقلت لها و استعجلتها بوادر *** جرت، فجرى في جريهن عبير

ذريني أكثر حاسديك برحلة *** إلى بلد فيه المصيب أمير

وقول أبي تمام:

يقول في قوس صحبي وقد أخذت *** منا السري وخطا المهريّة القود

أمطلع الشمس تبغي إن تؤم بنا *** فقلت كلا ولكن مطلع الجود

وقول البحتري:

هل الشباب ملم بي فراجعة *** أيامه لي في أعقاب أيامي

لوائه نائل عمر يجاد به *** إذن تطلبتّه عند ابن بسطام

وقول المتنبي وهو يتغزل بأعرابية، ويصف بخلها وجبنها وقلة مطعمها، وهذه كلها من الصفات الممدوحة في النساء خاصة (240/7):

في مقلتي رشا تديرهما *** بدوية فتننت بها الحلل

تشكوا المطاعم طول هجرتها *** وصدودها و من الذي تصل

ما اسارت في القعب من لبن *** تركته، وهو المسك والعسل

قالت ألا تصحوا فقلت لها *** أعلمتني إن الهوى ثمل

لو إن فنا خسر صبحكم *** وبرزت وحدك عاقه الغزل

و تفرغت عنكم كتائبه *** إن الملاح خوادع قتل

ما كنت فاعلة و ضيفكم *** ملك الملوك و شأنك البخل

أتمنعين قرى فتفضحني *** أم تبدلين له الذي يسئل

بل لا يمل بحيث حل به *** بخل ولا جور ولا وجل

و ثمة نوع يسمى الاستطراد، وقد يسمى الالتفات، وهو من جنس

التخلص، وشييه به. إلا إن الاستطراد هو إن تخرج بعد أن تمهد ما تريد أن تمهده إلى الأمر الذي تروم ذكره فتذكره و كأنك غير قاصد لذكره بالذات، بل قد حصل و وقع ذكره بالعرض من غير قصده، ثم تدعه و تتركه و تعود إلى الأمر الذي كنت في تمهيدته، كالمقبل عليه، و كالملغي عما استطردت بذكره، فمن ذلك قول البحري و هو يصف فرسا:

و أغرّ في الزمن البهيم محجل *** قد رحّت منه على اعز محجلٍ

كالهيكَل المبني إلا إنه *** في الحسن جاء كصورة في هيكل

ما في الضلوع يشد عقد حزامه *** يوم اللقاء على معمّ مخول

أخواله للرسّمين بفارس *** وجدوده للتبّعين بموكل

يهوى كما هوت العقاب و قد رأت *** صيداً و ينتصب انتصاب الأجدل

متوجس برقيقتين كأنما *** ثريان من درق عليه مكلل

ما إن يعاف قذى و لو أوردته *** يوماً خلّاتق حمدويه الأحول

ذنب لما سحب الرثاء يذب عن *** عرف، و عرف كالقناع المسبل

جدلان ينفض عذرةً في غرة *** يقق تسيل حجولها في جندول

كالرائح النشوان أكثر مشيه *** عرضاً على السنن البعيد الأطول

ذهب الأعالي حيث تذهب مقلة *** فيه يناظرها حديد الأسفل

هزج الصهيل كأن في نغماته *** نبراس معبد في الثقيل الأول

ملك القلوب فإن بدا أعطيته *** نظر المحب إلى الحبيب المقبل

ألا تراه كيف استطرده بذكر حمدويه الأحوال الكاتب، وكأنه لم يقصد ذلك، ولا أرادته إنما جرّته القافية، ثم ترك ذكره وعاد إلى وصف الفرس، فهذا هو الاستطرد ومن الفرق بينه وبين التخلص؛ إنك في التخلص متى شرعت في ذكر الممدوح أو المهجو تركت ما كنت فيه من قبل بالكلية وأقبلت على ما تخلصت إليه من المدح والهجاء بيتا بعد بيت حتى تنقضي القصيدة، وفي الاستطرد تمر على ذكر الأمر الذي استطرده به مرورا كالبرق الخاطف؛ ثم تتركه وتساءه، وتعود إلى ما كنت فيه كأنك لم تقصد ذلك، إنما عرض عروضا.

و من لطيف التخلص الذي يكاد يكون استطرادا، لولا أنه أفسده بالخروج إلى المدح، قول أبي تمام في قصيدته التي يمدح بها محمد بن الهيثم التي أولها:

أسقي طولهم أحش منيم *** وغدت عليهم نظرة ونعيم

ظلمتك ظالمة البريء ظلوم *** والظلم من ذي قدرة مذموم

زعمت حواك عفا الغداة كما عفت *** منها طول باللوى ورسوم

لا والذي هو عالم إن النوى *** صبر وإن أبا الحسين كريم

ما خلت عما تعهدين ولا غدت *** نفسي على ألف سواك تحوم

فلو أثم متغزلا لكان مستطردا لا محالة، ولكنه نقض الاستطرد وغمس يده في المدح. فقال بعد هذا البيت:

لمحمد بن الهيثم بن شبانة *** مجد إلى جنب السماك مقيم

ملك إذا نسب الندى من ملتقى *** طرفيه فهو أوله وحميم

و مضى على ذلك إلى آخرها.

و من الاستطردا يحتال الشاعر إلى ذكر ما يروم ذكره. بوصف أمر ليس من غرضه، و بدمج الغرض الأصلي في ضمن ذلك و في غضونه؛ و أحسن ما يكون ذلك إذا صرح بأنه قد استطرد و نص في شعره على ذلك، كما قال أبو إسحاق الصابي في أبيات كتبها إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف كاتب عضد الدولة بفارس و كرمان و ما والاها متواصلة إلى العراق، و كتب عبد العزيز واصلها بها إلى عز الدولة. بختيار و الصابي يجيب عنها:

يا راكب الجسرة العيرانة الأجد *** يطوي المهامة من سهل إلى جلد

ابلق أبا قاسم نفسي الفداء له *** مقالة أخ للحق معتمد

في كل يوم لكم فتح يشار به *** بين الأنام بذكر السيد العضد

و مالنا مثله لكننا أبدأ *** نجيبكم بجواب الحاسد الكمد

فأنت اكتب عني في الفتوح و ما *** تجري مجيبا إلى شأوي و لا أمدي

و ما زعمت ابتدائي في مكاتبة *** و لا جوابكم في القرب و البعد

لكنني رمت إن أثني على ملك *** مستطرد بمديح فيه مطرد

ص: 195

لقوله عليه السلام وقد استعمل الجناس:

"وإن الدنيا منتهى بصر الأعمى، لا يبصر مما وراءها شيئاً، والبصير ينفذها بصره، ويعلم إن الدار ورائها، فالبصير منها شاخص، والأعمى إليها شاخص، والبصير منها متزود والأعمى لها متزود".

قال أبو تمام (277/8-278):

فأصبحت غرر الإسلام مشرقة*** بالنصر تضحك عن أيامها الغرر

فالغرر الأولى مستعارة من غرة الوجه والغرة الثانية من غرره الشيء، وهي أكرمه

(ويرى علي الفتال: أن لا جناس في البيت لأن "الغرر" واحدة سواء استعيرت للوجه أو للشيء، فهي مقدمة الوجه مثلما هي مقدمة الشيء).

و كذلك قوله:

ص: 196

من القوم جعد أبيض الوجه والندى *** وليس بنان يجتدى منه بالجعد

فالجعد الأول: السيد. والثاني: السبط، وهو من صفات البخيل.

و كذلك قوله:

بكل فتى ضرب يعرض للقتلنا *** محبا محلى حليه الطعن و الضرب

فالضرب الأول: الرجل الخفيف، والثاني "ضرب".

و كذلك قوله:

عداك حر الشغور المستظامة عن *** برد الثغور وعن سلسالها الحصب

فأحدها جمع ثغر وهو ما يتعاضم العدو من بلاد الحرب، والثاني للأسنان.

و من هذه القصيدة:

كم أحرزت قصب الهندي مصلته *** تهتر من قصب تهتر كتب

بيض إذا انتضيت من حجبها رجفت *** أحق بالبيض أبدأنا من الحجب

(وإن ابن أبي الحديد لا يعد ذلك من التجنيس فالقصب و القصب في معنى و البيض و البيض في معنى).

و من هذا القسم قول أبي تمام أيضا:

إذا الخيل جابت قسطل الخيل صدعوا *** صدور العوالي في صدور الكتائب

و هو عنده ليس من التجنيس لأن الصدور في الموضوعين بمعنى واحد، و هو جز الشيء المتقدم البارز عن سائره.

فأما قوله أيضا:

ص: 197

عامي و عام العين بين وديقة *** مسجورة، وتنوفة صيخود

حتى أغادر كل يوم بالفلا *** للطير عيداً من بنات العيد

فإنه من التجنيس التام: فالعيد الأول هو اليوم الأول من الأعياد، والثاني فحل من فحول الإبل.

و نحو هذا قول أبي نواس:

عباس عباس إذا احتدم الوغى *** والفضل فضلٌ والربيع ربيع

وقول البحتري:

إذا العين راحت وهي عين على الهوى *** فليس بسرما تسدّ الأضالع

فالعين الثانية: الجاسوس، والأول العين المبصرة.

وللغزي المتأخر قصيدة أكثر من التجنيس التام فيها، أولها:

لوزارنا طيف ذات الخال أحياناً *** ونحن في حفر الأجداث أحياناً

وقال في أثنائها:

تقول أنت أمرؤ جاف مغالطة *** فقلت لا حرمت أجفان أجفانا

ومنها:

لم يبق غيرك إنسان يُلاذ به *** فلا برحت لعين الدهر إنساناً

وقد ذكر الغانمي في كتابه (صناعة الشعر) باباً أسماه رد الأعجاز على الصدور؛ ذكر أنه خارج عن باب التجنيس، قال، كقول الشاعر:

ونشري بجميل الصنع *** ذكراً طيب النشر

ص: 198

ونفري بسيوف الهند *** من أسرف في النفر

وبحري في ثرى الحمد *** على شاكلة البحر

يقول ابن أبي الحديد: وهذا من التجنيس؛ وليس بخارج عنه ولكنه تجنيس مخصوص، وهو الإتيان في طرفي البيت.

وعدّ ابن الأثير الموصلي في كتابه من التجنيس قول الشاعر في الشيب:

يا بياضاً أذرى دموعي حتى *** عافها سواد عيني بياضاً

وكذلك قول البحتري:

وأعرّ في الزمن البهيم محجّل *** قد رحّت منه على أعرّ محجّل

كالهيكّل المبني إلا أنه *** في الحسن جاء كصورة في هيكل

وهذا عند ابن أبي الحديد ليس بتجنيس، لاتفاق المعنى، وأنكر ابن الأثير قول أبي تمام:

أظنّ الدمع في خدي سيبقى *** رسوماً من بكائي في الرسوم

كونه من التجنيس، في حين أنه منه.

وهناك تجنيس آخر هو أن تكون الحروف في تركيبها، مختلفة في وزنها، كقول البحتري:

وفر الخائن المغرور يرجو *** أماناً أي ساعة ما أمان

يهاب الالتفات وقد تصدى *** للحظة طرفه طرف السنان

وقول الآخر:

ص: 199

قد ذبت بين حشاشة و ذماء *** ما بين حر هوى و حر هواء

و منها أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير. فإن زاد عليه خرج من باب التجنيس، كقول أبي تمام:

يحدون من أيد عواض عواصم *** تصول بأسياف قواض قواصم

و قول البحري:

شواجر أرماح تقطع بينهم *** شواجن أرحام ملوم قطوعها

وقد جمع هذا البيت بين التجنيس الناقص و بين المقلوب و هو أرماح و أرحام.

و منها أن تكون الألفاظ مختلفة في الوزن و التركيب بحرف واحد. كقول أبي تمام:

أيام تدمي عينه تلك الدمى *** حسنا و تقمر لبه الأقمار

بيض فهن إذا رمقن سوافراً *** صور وهن إذا رمقن صوارٍ

و كذلك قوله:

بدر أطاعت فيك بادرة النوى *** ولعاً و شمس أولعت بشماس

وقوله أيضاً:

كادوا النبوة و الهدى فتقطعت *** أعناقهم في ذلك المضمارِ

جهلوا فلم يستكثروا من طاعة *** معرفة بعمارة الأعمارِ

وقوله أيضاً:

ص: 200

إن الرماح إذا غرسن بمشهد *** فجنى العوالي في ذراه معالٍ

وقوله أيضا:

إذا أحسن الأقوم إن يتناولوا *** بلا نعمة أحسنت أن تتناولوا

وقوله أيضا:

شد ما استنزته من دمعك *** الأظعان حتى استهل هو العزالي

أي ريع يكذب الدهر عنه *** وهو ملقى على طريق الليالي

بين حال جنت عليه و حول *** فهو نضو الأوحال و الأحوال

أي حسن في الذاهبين تولى *** و جمال على ظهور الجمال

و دلال مخيم في ذرى الخيم *** و حجل مقصر الحجال

فالبيت الثالث و الخامس هما المقصودان بالتمثيل.

و من ذلك قول علي بن جبلة:

و كم لك من يوم رفعت عماده *** بذات جفون أو بذات جفان

و كقول البحري:

و ذكّر نيك و الذكرى عناء *** مشابه فيك بينه الشكول

نسيم الروض في ريح شمال *** و صوب المزن في راح شمول

و كقوله:

جدير بأن تنشق عن ضوء وجهه *** ضبابة نقع تحتها الضوء نافع

و منها تجنيس التصريف، كقول البحري:

ولم يكن المعتز بالله إذ سرى *** اليعجز و المعتز بالله طالبه

و كقول محمد بن وهيب الحميري:

قسمت صروف الدهر ياساً و نائلاً *** فما لك موتور و سيفك واتر

و منها القسم المكنى بالمعكوس؛ و هو على ضربين عكس لفظ و عكس صرف، و الأول كقول الأظبط بن قريع:

قد يجمع المال غير آكله *** و يأكل المال غير من جمعه

و يقطع الثوب غير لابسه *** و يلبس الثوب غير من قطعه

و كقول المتنبي:

فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ ماله *** و لا مال في الدنيا لمن قلَّ مجده

و كقول الرضي (رحمه الله) يذم الزمان:

أسف بمن يطير إلى المعالي *** وطار بمن يسف إلى الدنيا

و كقول آخر:

إن الليالي للأنام مناهل *** تُطوى و تُنشر بينها الأعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة *** و طولهن مع السرور قصار

و لبعض شعراء الأندلس يذكر غلامه:

غيرتنا يد الزمان *** فقد شبت والتحي

فاستحال الضحى دجى *** واستحال الدجا ضحى

و يسمى هذا الضرب: تبديل.

و الضرب الثاني من هذا القسم عكس الحروف، و هو كقول بعضهم، و قد أهدي لصديق له كرسيًا:

أهديت شيئًا يقل لولا *** أهدوت الفال و التبرك

(كرسي) تفاءلت فيه لما *** رأيت مقلوبه (يسرك)

و كقول الآخر:

كيف السرور بإقبال و آخره *** إذا تأملته مقلوب إقبال

أي: (لا بقاء) و هو مقلوب إقبال.

و كقول الآخر:

جاذبتها و الريح تجذب عقربا *** من فوق خد مثل قلب العقرب

و طفقت الثم ثغرها فتمنعت *** و تجبت عني بقلب العقرب

يريد (برقعاً) و هو مقلوب عقرب.

و منهال النوع المسمى المجلب، و هو إن يجمع بين كلمتين إحداهما كالجنبية التابعة، للأخرى، مثل قول بعضهم:

أبا الفياض لا تحسب بأني *** لفقري من طلى الأشعار عارٍ

فلي طبع كسلسال معين *** زلال من ذرا الأحجار جارٍ

و هنا يسمى لزوم ما لا يلزم و ليس من باب التجنيب. و منها المقلوب و ما يتساوى وزنه و تركيبه إلا أن حروفه تتقدم و تتأخر مثل قول أبي تمام:

بيض الصفائح لا سود الصحائف في *** متونهن جلاء الشك و الريب

ص: 203

لقوله عليه السلام، لما قتل الخوارج وقيل له، يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم:

"كلا والله، إنهم نطف في أصلاب الرجال، وقرارات النساء، وكلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين".

إذ ورد في قوله عليه السلام "نجم" أي ظهر وطلع، و"قرارات النساء" أي الأرحام، وهي كناية لطيفة.

فاستشهد ابن أبي الحديد بجملة من الشعر فيه كناية ورموز وتعريض، والكناية: إبدال لفظة -يُستحي من ذكرها، أو يُستهجن ذكرها، أو يتطير بها، أو يقتضي الحال لتركها لأمرٍ من الأمور- بلفظ ليس فيه ذلك المانع.

و من هذا الباب قول امرؤ القيس (63-15/5):

سموت إليها بعد ما نام أهلها *** سمو صباب الماء حالا على حال

فقلت لك الولايات إنك فاضحي *** ألسنت ترى السمار والناس أحوالى

فلما تنازعنا الحديث فأسمحت *** هصرت بغصن ذي شماريخ ميثال

فصرنا إلى الحُسنى ورقُّ كلامنا *** ورضت فذلت صعبة أي إذلال

قوله: "فصرنا إلى الحُسنى" كناية على الرفث و مقدمات الجماع.

و قال أبو قتيبة:

تمازح معاوية والأحنف؛ فما رؤي مازحان أقر منهما: قال معاوية:

- أبا بحر. ما الشيء الملفف بالبجاد؟

فقال:

- السخينة يا أمير المؤمنين.

و إنما كنى معاوية عن رمي بني تميم بالنهم وحب الأكل بقول القائل:

إذا ما مات ميت من تميم *** فسرك إن يعيش فجىء بزاد

بخبز أو بتمر أو بسمنٍ *** أو الشيء الملفف بالبجاد

تراه يطوف في الآفاق حرصاً *** ليأكل رأس لقمان بن عاد

والسخينة ما يسخن بالنار، و يذر عليه دقيق؛ و غلب ذلك على قريش حتى سميت سخينة، قال حسان:

زعمت سخيفة أن ستغلب ربها *** وليغلبن مغالب الغلاب

فعبر كل واحد من معاوية والأحنف عما أراده بلفظ غير مستهجن ولا مستفح، و علم كل واحد مراد صاحبه، و لم يفهم الحاضرون ما دار بينهما. و هذا

من باب التعريض هو قريب من الكناية.

ويرى الفتال: أن الشاهد - في صدر البيت الأول [إذا ما مات ميتٌ من تميمٍ...] يُدَكِّرنا بأحجية للصبيان، تقول: أين تقع المدينة التي لا يموت فيها ميتٌ ولا يُطحنُ فيها طحين؟ في حين لا يوجد هكذا مدينة، لأنَّ الميتَّ لا يموت مرتين وكذا الطحين لا يُطحن، إذ كيف يُطحن المطحون؟

و مما ورد من الأخبار النبوية في هذا الباب الخبر الذي فيه: إن المرأة قالت للرجل القاعد منها مقعد القابلة:

- لا يحل لك إن تقض الخاتم إلا بحقه.

فقام عنها و تركها. وقد أخذ الصاحب بن عباد هذه اللفظة فقال: لأبي العلاء الأسدي الأصفهاني، وقد دخل بزوجة له بكر:

قلبي على الحجرة يا أبا العلاء *** فهل فتحت الموضع المقفلا

و هل فضضت الكيس عن ختمه *** و هل كحلت الناضر الأحولا

و أنشد الفرزدق في سليمان بن عبد الملك فقال:

دفعن إليَّ لم يطمئن قلبي *** و هن أصح من بيض النعام

فبتن بجائبي مصرعاتٍ *** وبثُّ أفض أغلاق الختام

وقول أبو نواس:

لا أذود الطير عن شجر *** قد بلوت المر من ثمره

وقول آخر:

ص: 206

قد وسموا أبا لهم بالنار *** و النار قد تشفي من الأوار

وقول النابغة الجعدي:

إذا ما الضجيج ثنى عطفها *** تشت فكانت عليه لباسا

وقد حاكي قوله تعالى: "هن لباس لكم و أنتم لباس لهن".

و هي كناية عن الجماع و المخالطة. وقد كُنتِ العربُ عن المرأة بالريحان، و بالسرحة.

قال ابن الرقيات:

لا أشم الريحان إلا بعيني *** كرمًا إنما تشم الكلام

أي أقنع من النساء بالنظر، و لا أرتكب منهن محرما.

وقال حميد بن ثور الهلالي:

أبى الله إلا إن سرحة مالك *** على كل أفنان العضة تروق

فيا طيب رياها و برد ظلالها *** إذا حان من حامي النهار وديق

و هل أنا إن عللت نفسي بسرحة *** من السرح مسدود عليّ طريق

و السحرة: الشجرة.

وقول أعرابي و كتي عن امرأتين:

أيا نخلتي أود إذا كان فيكما *** جنىً فانظرا من تطعمان جناكما

و يا نخلتي أود إذا هبت الصبا *** و أمسيت مقرورا ذكرت ذراكما

وقال شاعر يذكر امرأة:

من البيض لم تصطد على خيل لأمة*** ولا تمش بين الناس بالحطب الرطب

وكما ورد نظير ممازحة معاوية و الأحنف /الآنفة/ من التعريضات إن أبا غسان المسمعي مر بأبي غفار السدوسي فقال:

يا غفار؛ ماذا فعل الدر همان؟

فقال:

- لحقا بالدرهم؛

أراد بالدرهمين قول الأخطل:

فإن تبخل سدوس بدرهميها*** فإن الريح طيبة قبول

وأراد الآخر قول بشار:

وفي جحدر لؤم وفي آل مسمع*** صلاح ولكن درهم القوم كوكب

و كان محمد بن عقال المجاشعي عند يزيد بن يزيد الشيباني، و عنده سيوف تعرض عليه، فدفع سيفاً منها إلى يد محمد، وقال:

- كيف ترى هذا السيف؟

فقال:

- نحن أبصر بالتمر منها بالسيوف.

أراد يزيد قول جرير في الفرزدق:

سيف أبي رغوان سيف مجاشع*** ضربت و لم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعشت*** يداك فقالوا: مُحدَثٌ غير صارم

ص: 208

و أراد محمد قول مر وإن بن أبي حفصة:

لقد أفسدت أسنان بكر بن وائل *** من التمر ما لو أصلحته لمارها

وقال محمد بن عمير بن عطاء التميمي لشريك النميري، و على يده صقر:

- ليس في الجوارح أحب إليّ من البازي.

فقال شريك:

- إذا كان يصيد القطا.

أراد محمد قول جرير:

إنا البازي المطل على نُمير *** أتيج من السماء لها انصبابا

و أراد شريك قول الطرماح:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا *** و لو سلكت سبل المكارم ظلت

و دخل عبد الله بن ثعلبة المحاربي على عبد الملك بن يزيد الهلالي؛ و هو يومئذ و الي أرمينية، فقال له:

- ماذا لقينا الليلة من شيوخ محارب؟ منعونا النوم بضوضائهم و لغطهم.

فقال عبد الله بن ثعلبة:

- إنهم - أصلح الله الأمير - أظلوا الليلة برقعاً، فكانوا يطلبونه.

أراد عبد الملك قول الأخطل:

تكش بلا شيء شيوخ محارب *** و ما خلتها كانت تريش و لا تبرى

ضفادح في ظلماء ليل تجاوبت *** فدل عليها صوتها حية البحر

ص: 209

و أراد عبد الله قول الفائل:

لكل هلالى من اللؤم برقع *** ولاين يزيد برقع و جلال

عرض على معاوية فرس، و عنده عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص؛

فقال:

- كيف ترى هذا الفرس يا أبا مطرف؟

قال:

- أراه أجش هزيما!

قال معاوية:

- أجل لكنه لا يطلع على الكنائن.

قال: يا أمير المؤمنين؛ ما استوجبت منك هذا الجواب كله.

قال:

قد عوضتك منه عشرين ألفا.

أراد عبد الرحمن التعريض بمعاوية، بما قال النجاشي في أيام صفين:

ونجى ابن حرب سابح ذو علالة *** أجش هزيم و الرماح دواني

إذا قلت أطراف الرماح تنوشه *** مرته له الزقان و القدمان

فلم يحتمل معاوية منه هذا، و قال: "لكنه لا يطلع على الكنائن" لأن عبد الرحمن كان يتهم بنساء أخوته.

ورد إلى البصرة غلام من بني فقعس، كان يجلس في المربد فينشد شعرا،

ص: 210

و يجمع الناس إليه؛ فذكر ذلك للفرزدق، فقال:

- لا سوء منه.

فجاء إليه، فسمع شيئاً من شعره، فحسده عليه، فقال:

- فمن أنت؟

قال:

- من بني فقعس.

قال:

- كيف تركت القنان؟

فقال:

- مقابل أصاف

فقال:

- يا غلام هل أنجدت أمك؟

قال:

- بل أنجد أبي.

أراد الفرزدق قول فثل بن حري يهجو بني فقعس:

ضمن القنان لفقعس سوءاتها *** إن القنان لفقعس لمعمدٍ

و أراد الغلام قول أبي المهوش:

ص: 211

وإذا يسرك من تميم خلة *** فلما يسوؤك من تميم أكثر

أكلت أسيد و الهشيم و دارم *** أير الحمار و خصيته العنبر

قد كنت أحسبهم أسود خفية *** فاذا لصاف بيض فيه الحمر

و أراد بقوله: "هل أنجدت أمك"، أي: إن كانت أنجدت فقد أصابها أبي، فخرجت تشبهني؛ فقال: "بل انجد أبي". يريد بل أصاب أمك فوجدها بغيا.

قال عبد الله بن سوار، كنا على مائدة إسحاق بن عيسى بن علي الهاشمي فأتينا بحريرة قد عملت بالسمن و السكر و الدقيق؛ فقال معد بن غيلان العبدي:

- يا حبذا السخينة! ما أكلت - أيها الأمير - سخينة ألد من هذه!

فقال:

إن المعاييب لا تذكر على الخوان.

أراد معد ما كانت العرب تعير به قريشا في الجاهلية من أكل السخينة و أراد إسحاق بن عيسى ما يعير به عبد القيس من الفسق.

قال الشاعر:

و عبد القيس مصفر لحاها *** كأن نساءها قطع الصباب

و كان سنان بن أحمس النميري يساير الأمير عمر بن هبيرة الفزاري، و هو على بغلة له، فتقدمت البغلة على فرس الأمير فقال:

- أغضض بغلتك يا سنان.

فقال:

ص: 212

- أيها الأمير، إنها مكتوبة، فضحك الأمير.

أراد عمر بن هبيرة قول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير *** فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

وأراد سنان قول ابن دارة:

لا تأمنن فزارياً خلوت به *** على قلوصلك و اكتبها بأسيار

و كانت فزارة تعير بإتيان الإبل، و لذلك قال الفرزدق يهجو عمر بن هبيرة هذا و يخاطب يزيد بن عبد الملك:

أمير المؤمنين و أنت بُرٌ *** نقيّ لستَ بالجشع الحريصِ أأطعمت العراق ورافديه *** فزارياً أحرَّ يدَ القميصِ

تغنى بالعراق أبو المثنى *** و علم قومه أكل الخبيص

و لم يك قبلها راعي مخاض *** لتأمنه على وركي قلوصل

و البيت الأخير كناية عن إتيان الإبل الذي كانوا يعيرون به.

قال المبرد: و قد يسير البيت في واحد؛ و يرى أثره عليه أبداً، لقول أبي العتاهية في عبد الله بن معن بن زائدة:

لقد بلغت ما قالاً *** فما بالبيت ما قالاً

و لا كان من الأسد *** لما هال و ما صالا

فما تصنع بالسيف *** اذا لم تك قتالا

فكسر حلية السيف *** وصفها لك خلخالاً

ص: 213

وكان عبد الله بن معن إذا تقلد السيف ورأى من يرمقه بان أثره عليه فظهر الخجل منه.

ومثل ذلك ما يحكى إن جريراً قال: والله فقد قلت في بني تغلب بيتاً لو طعنوا بعده بالرمح في أستائهم ما حكوها؛ هو:

والتغليبي إذا تنحى للقرى *** حك أسته و تمثل الأمثالا

و حكى أبو عبيدة عن يونس قال: قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده رجال:

- هل تعلمون أهل بيت قبل فيهم شعر، ودوا لو أنهم افتدوا منه بأموالهم؟

فقال أسماء بن خارجة الفزاري:

- نحن يا أمير المؤمنين!

قال:

- فما هو؟

قال:

- قول الحارث بن ظالم المري:

وما قومي بثعلبة بن سعد *** ولا بفزارة الشعر الرقابا

فوالله يا أمير المؤمنين؛ أني لألبس العمامة الصفيقة؛ فيخيل لي أن شعر قفاي قد بدا منها.

وقال هاني بن قبيصة النميري:

ص: 214

- نحن يا أمير المؤمنين؛

قال:

- وما هو؟

قال:

- قول جرير:

فغض الطرف انك من نمير *** فلا كعبا بلغت ولا كلابا

كان النميري - يا أمير المؤمنين إذا قيل له من أنت؟ قال: نمير فصار يقول بعد هذا البيت: "من صعصعة".

و مثل ذلك يروى أن النجاشي لما هجا بني العجلان بقوله:

إذا الله عادى أهل لؤم و قلة *** فعادى بني عجلان رهط بن مقبل

فُبَيْلَةٌ لا يغدرون بذمة *** ولا يظلمون الناس حبة خردلٍ

ولا يردون الماء إلا عشيةً *** إذا صدر الوراد عن كل منهلٍ

وما سمي العجلان الا لقوله: *** خذ القصب و احلب أيها العبد و اعجل

فكان الرجل منهم إذا سئل عن نسبه يقول: من بني كعب، و ترك أن يقول "عجلان".

و كان عبد الملك بن عمير القاضي، يقول: و الله إن التنحنح والسعال ليأخذني و أنا في الخلاء فأرده حياء من قول القائل:

إذا ذات دلٍ كلمته لحاجة *** فهمم بأن يقضي تنحنح أو سعل

ص: 215

و من التحريضات اللطيفة، ما روي: أن المفضل بن محمد الضبي بعث بأضحية هزيلة إلى شاعر، فكلما لقيه سأله عنها:

فقال:

- كانت قليلة الدم .

فضحك المفضل وقال:

- مهلاً يا أبا فلان.

أراد الشاعر قول القائل:

ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد *** من اللوم للضبي لحماً ولا دماً

وروى بن الأعرابي في الأمالي قال: رأى عقاب بن شعبة بن عقاب المجاشعي على إصبع بن عنيس وضحاً، فقال:

- ما هذا البياض على إصبعك يا أبا الجراح؟

فقال:

سلح النعامه يا ابن أخي.

أراد قول جرير:

فضح العشيرة يوم يسلم قائماً *** سلح النعامه شبة بن عقاب

و كان شبة بن عقاب قد برز يوم الطوانة مع العباس بن الوليد بن عبد المالك إلى رجل من الروم؛ فحمل عليه الرومي؛ و نكص و أحدث؛ فبلغ ذلك جريرة باليمامة، فقال فيه ذلك.

ص: 216

و لقي الفرزدق محتببًا يحمل قماشة. كأنه يتحول من دار إلى دار؛ فقال:

- أين راحت عمتنا؟

فقال:

- قد نفاها الأغر يا أبا فراس؛

يريد قول جرير في الفرزدق:

نفاك الأغر بن عبد العزيز *** وحقك تنفي من المسجد

و ذلك أن الفرزدق ورد المدينة، و الأمير عليها عمر بن عبد العزيز فأكرمه صخرة بن عبد الله بن الزبير و أعطاه، و قعد عند عبد الله بن عمر بن عفان و قصر به، فمدح الفرزدق حمزة بن عبد الله. و هجا عبد الله فقال:

ما أنتم من هاشم في سرها *** فأذهب إليك و لا بني العوام

قوم لهم شرف البطاح و أنتم *** وضر البلاط موطنوا الأقدام

فلما تناشد الناس ذلك، بعث إليه عمر بن عبد العزيز، فأمره أن يخرج من المدينة. و قال له:

- إن وجدتك بعد ثلاث عاقبتك.

فقال الفرزدق:

- ما أراني إلا كشمود حين قيل لهم: *** لله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام لله

فقال جرير يهجو:

نفاك الأغر بن عبد العزيز *** وحقك تنفي من المسجد

ص: 217

وسميت نفسك أشقى ثمود *** فقالوا ضللت ولم تهتد

وقد أجلسوا حين حل العذاب *** ثلاث ليالٍ إلى الموعد

وجدنا الفرزدق بالموسحين *** خبيث المداخل والمشهد

و حكى أبو عبيدة، قال: بينما نحن على أشرف الكوفة، وقوف، إذ جاء أسماء بن خارجة الفزاري فوقف، وأقبل ابن مكعب الضبي فوقف متنحياً عنه؛ فأخذ أسماء خاتماً كان في يده، فصَّه فيروز أزرق، فدفعه إلى غلامه وأشار إليه أن يدفعه إلى ابن المكعب، فأخذ ابن المكعب شسع نعله، فربطه بالخاتم وأعادته إلى أسماء، تمازحاً ولم يفهم أحد من الناس ما أرادا. أراد أسماء بن خارجة قول الشاعر:

لقد رزقت عينك يا ابن مكعب *** كذا كل ضبي من اللؤم أزرق

وأراد ابن مكعب قول الشاعر:

لا تأمن فزارياً خلوت به *** على قلوبك واكتبها بأسيار

و كان فزارة تعير ياتيان الإبل، وقد عيرت أيضاً بأكل جردان الحمار؛ لأن رجلاً منهم كان في سفر فجاج، فاستطعم قوماً فدفعوا إليه جردان الحمار، فشواه وأكله، فأكثر الشعراء ذكرهم بذلك، وقال الفرزدق:

جهز إذا كنت مرتادا ومنتجعا *** إلى فزارة عمرا تحمل الكمرا

إن الفزاري لو يعمى فيطعمه *** أير الحمار طيب أبراً البصرا

إن الفزاري لا يشفيه من قرم *** أطايب العير حتى ينهش الذكرا

و يحكى أن بني فزارة و بني هلال بن عامر بن صعصعة تنافروا إلى أنس بن مدرك الخثعمي؛ و تراضوا به: فقالت بنو هلال:

- أكلتم يا بني فزارة أير الحمار.

فقالت بنو فزارة:

- و أنتم مدرتم الحوض بسلحكم.

فقضى أنس لبني فزارة على بني هلال.

فأخذ الفزاريون منهم مئة بعير كانوا تخاطروا عليها. و فيما ورد يقول الشاعر:

لقد جللت خزيا هلال بن عامر *** بني عامر طراً بسلحة ما در

فأف لكم، لا تذكروا الفخر بعدها *** بني عامر، أنتم شرار المعاشر

و في مجلس قتيبة بن مسلم، بعد فتح سمرقند، سأل أخوه عبد الله بن مسلم الحصين بن المنذر بن الحارث بن وعله الرقاشي.

فقال عبد الله:

- أتعرف يا أبا ساسان الذي يقول:

عزلنا و أمّرنا و بكر بن وائل *** تجر خصاها تبتغي من تحالف

و ما مات بكري من الدهر ليلة *** فيصبح إلا و هو للذل عارف

فقال:

- أعرفه و أعرف الذي يقول:

فأوى العزم من نادي مشيراً *** و من كانت له أسرى كلاب

ص: 219

و خيبة من يخيب على غني *** و باهلة بن أعصر و الرباب

فقال:

- أفتعرف الذي يقول:

كأن فقاح الأزد حول ابن مسمع *** و قد عرفت أخواه بكر بن وائل

قال:

- نعم و أعرف الذي يقول:

قوم قتيبة أمهم و أبوهم *** لولا قتيبة أصبحوا في مجهل

حكى أن قتيبة بن مسلم دخل على الحجاج و بين يديه كتاب قد ورد إليه من عبد الملك، و هو يقرؤه، و لا يعلم معناه و هو مفكر، و في

الكتاب:

"أما بعد فإنك سالم و السلام".

قال قتيبة:

- انه يسرك أيها الأمير، و يقر عينك، إنما أراد قول الشاعر:

يديروني عن سالم و أديرهم *** و جلدة بين العين و الأنف سالم

أي: أنت عندي مثل سالم عند هذا الشاعر.

فولاه خراسان كما وعده.

و كتب عبد الملك كتاباً إلى الحجاج جواباً على كتاب له يذكر فيه شدة شوكة الخوارج، فقال عبد الملك في كتابه:

"أوصيك بما أوصى به البكري زيداً و السلام".

ص: 220

فلم يفهم الحجاج ما أراد عبد الملك، فقال:

- من جاءني بتفسيره فله عشرة آلاف درهم.

فأخبره رجل حجازي، انه يعني قوله:

أقول لزيد لا تثرثر فإنهم *** يرون المنيا دون قتلك أو قتلي

فأن وضعوا حربا فضعها وإن أبوا *** فعرضة نار الحرب مثلك أو مثلي

وإن رفعوا الحرب العوان التي ترى *** فشب وقود النار بالحطب الجزل

فقال الحجاج:

أصاب أمير المؤمنين فيما أوصاني، وأصاب البكري فيما أوصى به زيدا، وأصبت أيها الأعرابي، فدفع إليه الدراهم.

تلك كانت اضمامة من كنيات تعريضية، وهي - وان كانت خارجة عن باب الكناية - الا أنها مشابهة إيّاها، ولإنها كالنوعين تحت جنس عام.

و من الكنيات قول أبي نواس:

و ناضرة إليّ من النقاب *** تلاحظني بطرف مستطاب

كشفت قناعها فإذا عجوز *** مموهة المفارق بالخضاب

فما زالت تجشمني طويلاً *** وتأخذ في أحاديث التصابي

تحاول أن يقوم أبو زياد *** و دون قيامه شيب الغراب

أتت بجرابها تكتال فيه *** فقامت وهي فارغة الجراب

و الكناية في البيت الأخير وهي ظاهرة.

و منها قول أبي تمام:

مالي رأيت ترابكم بشئ الثرى *** مالي أرى أطوادكم تتهدم

فكنى ب(بئس الثرى) عن تنكر ذات بينهم. وب(تهدم الأطواد) حلومهم وطيش عقولهم.

و منها قول أبي الطيب:

و شر ما قنصته راحتي قنص *** شهب البزاة سواء فيه و الرّخم

كنى بذلك عن سيف الدولة، و أنه يساوي بينه و بين غيره من أراذل الشعراء.

و خامليهم في الصلة و القرب. قال الأقيشر لرجل: ما أراد الشاعر بقوله:

و لقد غدوت بمشرف يافوخه *** مثل الهراوة ماؤه يتفصد

ارن يسيل من المراح لعابه *** و يكاد جلد أهابه يتقدد

حتى علوت به مشق ثنية *** طوراً أغور به و طوراً أنجد

و قد عني بالعضو.

و قريب من هذه الكناية قول سعيد بن عبد الرحمن بن حسان، و هو غلام يختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب ولد هشام بن عبد الملك، و قد جشمه عبد الصمد فأغضبه، فدخل إلى هشام فقال له:

إنه و الله لولا أنت لم *** ينج مني سالماً عبد الصمد

فقال هشام:

- و لم ذلك؟

ص: 222

- قال :

إنه قد رام مني خطة *** لم يرمها قبله منى أحد

قال هشام:

- وما هي ويحك؟

قال:

رام جهلاً بي و جهلاً بأبي *** يدخل الأفعى إلى بيت الأسد

فضحك هشام وقال:

- لو ضربته لم أنكر عليك.

و من هذا الباب قول أبي نواس:

إذا ما كنت جار أبي حسين *** فتم ويداك في طرف السلاح

فإن له نساء سارقات *** إذا ما بتن أطراف الرماح

سرقن وقد نزلن عليه عضوي *** فلم أضفر به حتى الصباح

فجاء وقد تخدش جنباه *** يئن إليّ من ألم الجراح

والكناية في قوله "أطراف الرماح" وفي قوله "في طرف الرماح".

و من الكناية الحسنة قول الفرزدق يرثي امرأته، وقد ماتت بجمع:

وجعن سلاح قد رزئت ولم أنح *** عليه، ولم أبعث عليه البواكيا

وفي جوفه من وارم ذو حفيظة *** لو أن المنيا أخطأته لياليا

أخذه الرضي (رحمه الله) يرثي امرأته:

ص: 223

إن لم تكن نصلاً فغمد نصول *** غالته أحداث الزمان بغول

أو لم تكن بأبي شبول ضيغم *** تدمي أظفاره فأم شبول

و من الكنايات الحسنة قول حاتم:

و ما تشكيني جارتى غير أننى *** إذا غاب عنها بعلمها لا أزورها

سيبلغها خير و يرجع بعلمها *** إليها، و لم يسبل عليّ ستورها

فكنى بأسبال الستر عن الفعل، لأنه يقع عنده غالباً.

و يشبه قول حاتم في الكناية المقدم ذكرها قول بشار بن برد:

وإني لَعَفْتُ عن زيارة جارتى *** و إني لمشوء إليّ اغتياها

و لم أكنُ طَلَّاباً أحاديث سرها *** و لا عالماً من أين حوك ثيابها

و إن قراب البطن يكفيك ملؤها *** و يكفيك عورات النساء اجتنابها

إذا سُدَّ باب عنك من دون حاجة *** فذرها لأخرى لتبين لك بابها

إذا غاب عنها بعلمها لم أكن لها *** زؤوراً و لم تنبح عليّ كلابها

و قال الأخطل ضد ذلك يهجو رجلاً و يرميه بالزنا:

سيبقى يضل الكلب يمضغ ثوبه *** له في ديار الغانيات طريق

و من جيد الكناية عن العفة قول عقيل بن علفة المرى:

و لست بسائل جارات بيتي *** أغياب رجالك أم شهود

و لا ملقٍ لذي الودعات سوطي *** ألاعبه و ريبته أريد

و من جيد ذلك و مختاره قول مسكين الدارمي:

ناري و نار الجار واحدة *** وإليه قبلي تنزل القدرُ

ما ضر جاراً لي أجاوره *** ألا يكون لبابه سترُ

أعمى إذا ما جارتي برزت *** حتى يوارى جارتي الخدرُ

و يصم عما كان بينهما *** سمعي و ما بي غيره وقرُ

و العرب تُكَنِّي عن الفرج بالإزار، وبالذيل، فتقول: عفيف الإزار و عفيف الذيل. وكنى الشاعر بالإزار عن الزوجة فقال:

ألا أبلغ أبا بشر رسولا *** فداً لك من أخي ثقة إزاري

قلائصنا - هداك الله - أنا *** شغلنا عنكم زمن الحصارِ

يريد به زوجتي. أو كنا هاهنا بالأزار عن نفسه.

وقال زهير:

الحافظون ذمام عهدهم *** و الطيبون مع اقد الأزر

والستر دون الفاحشات ولا *** يلقاك دون الخير من ستر

وقد أحسن ابن طباطبا في قوله:

فطربت طربة فاسق متهتك *** و عفت عفة ناسك متحرج

الله يعلم كيف كانت عفتي *** ما بين خلخال هناك و دملج

و من الكنايات عن العفة قول ابن ميادة:

و ما نلت منها محرماً غير أنني *** أقبل بساماً من الثغر أفلجا

و ألثم فاهاً أخذاً بقرونها *** و أترك حاجات النفوس تحرجا

ص: 225

فكَّنِي عن الفعل نفسه بحاجات النفوس، كما كنى أبو نواس عنه بذلك العمل في قوله:

مرَّ بنا و العيون ترمقه *** تجرح منه مواضع القبل

أفرغ في قالب الجمال فما *** يصلح إلا لذلك العمل

و كما كَنَّى ابن المعتز بقوله:

وزارني في ظلام الليل مستتراً *** يستعجل الخطو من خوف و من حذر

ولاح ضوء هلال كاد يفضحه *** مثل القلامه قد قصت من الظفر

فقمتم أفرش خدي في الطريق له *** ذلاً و أسحب أذيالي على الأثر

فكان ما كان مما لست أذكره *** فظنَّ خيراً و لا تسأل عن الخبر

و مما تطيروا من ذكره: فكَنُّوا عنه قولهم: "مات" فأنهم عبروا عنه بعبارات مختلفة داخلية في باب الكناية، نحو قولهم: "لحق إصبغه". وقالوا: "اصفرت أنامله"؛ لأن اصفرة الأنامل من صفات الموت. قال عوف بن محلم الخزاعي:

فقرباني بأبي أتما *** من وطني قبل اصفرة البنان

وقبل منعاي إلى نسوة *** منزلها حران و الرقتان

وقال ليبيد:

و كل أناس سوف تدخل بينهم *** دويهية تصفر منها الأنامل

و يقولون في الكناية عنه: صك لفلان على أبي يحيى، و أبو يحيى كنية الموت.

كني عنه بضده، كما كنوا عن الأسود بالأبيض و قال الخوارزمي:

ص: 226

سريعة موت العاشقين، كأنما *** يغار عليهم من هواها أبو يحيى

وكنى رسول الله صلى الله عليه وآله عنه بهادم اللذات. فقال:

"أكثرُوا من ذكر هادم اللذات".

وقال أبو العتاهية:

رأيت المنايا قسمت بين أنفس *** ونفسي سيأتي بينهن نصيبها

فيا هادم اللذات ما منك مهرب *** تحاذر نفسي منك ما سيصيبها

وقالوا: حلقت به العنقاء، و حلقت مع عنقاء مُغرب قال:

فلولا دفاعي اليوم عنك ل حلقت *** بشلوك بين القوم عنقاء مُغرب

وقالوا: زل الشرك عن قدمه، قال:

لا يسلمون العداة جارهم *** حتى يزل الشرك عن قدمه

أي: حتى يموت فيستغنى عن لبس النعل.

فأما قولهم "زلت نعله" فيكنى به تارة عن غلظه و خطئه و تارة عن سوء حاله و اختلال أمره بالفقر، و هذا المعنى الأخير أراد الشاعر بقوله:

سأشكر عمراً ما تراخت منيتي *** أيادي لم تمنن وإن هي جلّت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه *** و لا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

رأى خلتي من حيث يخفي مكانها *** فكانت قذي عينيه حتى تجلت

و يقولون فيه: شالت نعمته، قال:

يا ليت أُمي قد شالت نعمتها *** ايما إلى جنة ايما إلى نار

ليست بشعصي ولو أوردتها هَجراً *** ولا برياً ولو حلت بذى قار

أي لا يشبعها كثرة التمر ولو نزلت عمر - وهي كثيرة النخل - ولا تروى ولو نزلت ذا قار. وهو موضع كثير الماء.

ويقولون: خَلَى فلان مكانه؛ وأنشُر ثعلب للعتبي في السري بن عبد الله

كأن الذي يأتي السري لحاجة *** أباح إليه بالذي جاء يطلب

إذا ما ابن عبد الله خلى مكانه *** فقد حلقت بالجود عنقاء مغرب

وقال دريد بن الصمة:

فإن يك عبد الله خلى مكانه *** فما كان وقافاً ولا طائش اليد

ويقولون طار من ماله الثمين: يريدون الثمن. يقال: ثمن و ثمين، و سبيع، ذلك لأن الميت ترث زوجته من ماله الثمن غالباً، قال الشاعر:

فلا و أبيك لا آوي عليها *** لتمنع طالباً عنها اليمين

فإني لست منك و لست مني *** إذا ما طار من مالي الثمينُ

أي: إذا مت و أخذت ثمنك من تركتي.

وقالوا لحق اللطيف الخبير، قال:

و من الناس من يحبك حباً *** ظاهر الود ليس بالتقصير

و إذا ما خبرته شهد الطرف *** على حبه بما في الضمير

و إذا ما بحثت قلت كهذا *** ثقة و رأس مال كبير

فإذا ما سألته ربع فلسٍ *** ألحق الود باللطيف الخبير

وقال أبو العلاء:

لا تسل عن عدائك أين استقروا *** لحق القوم باللطيف الخبير

وقالوا في الدعاء عليه: لا عُدَّ من نفره، أي: إذ عد قومه فلا عد منهم، وإنما يكون كذلك إذا مات. قال امرؤ القيس:

فهو لا تنمى رميَّته *** ماله عُد من النفر

وقالوا في الكناية عن الدفن: أضلوه وأضلوا به، قال المخبل السعدي:

أضلت بنو قيس بن سعد عميدها *** وسيدها في الدهر قيس بن عاصم

ويقولون للمقتول: ركب الأشقر، كناية عن الدم، وإليه أشار الحارث بن هشام المخزومي في شعره، الذي يعتذر به عن فراره يوم بدر عن أخيه أبي جهل بن هشام حين قتل:

الله يعلم ما تركت قتالهم *** حتى علوا فرسي بأشقر مزيد

وعلمت أنني إن أقاتل واحداً *** أقتل، ولا يضرر عدوي مشهدي

فصدت عنهم والأحبة فيهم *** طمعاً لهم بعقاب يوم مرصد

ويقولون تُرك فلان بجعجاج؛ أي: قتل، قال أبو قيس بن الأسلت:

من يذق الحرب يجد طعمها *** مرأً و تركه بجعجاج

أي: تركه قتيلاً مخلى بالفضاء.

و مما كنوا عنه قولهم للمقيّد: هو محمول على الأدهم. والأدهم: القيد، قال الشاعر:

أوعدني بالسجن و الأدهم *** رجلي ورجلي شئنة المناسم

وكنوا عن القيد أيضا بالأسمر، أنشد ابن عرفة لبعضهم:

فما وجدَّ صعلك بصنعاء موثق *** بساقيه من سمر القيود كبول

قليل الموالي مسلم بجريرة *** له بعد نومات العيون غليل

يقول له البواب أنت معذب *** غداة غدٍ أو رائحٍ فقتيل

بأكثر من وجددي بكم يوم راغبي *** فراق حبيب ما إليه سبيل

و من كناياتهم عنه، ركب روعه، و أصله السهم يرمى به فيرتد نصله فيه، أي: وُقِصَ فدخل عنقه في صدره، قال الشاعر:

تقول و صكت صدرها بيمينها *** أبعلي هذا بالرحا المتقاعس

فقلت لها لا تعجلي و تبيني *** بلاي إذا التفت علي الفوارس

ألست أرد القبر يركب روعه *** و فيه سنان ذو غدارين يابس

لعمر أبيك الخير إني لخدم *** لضيفي و إني إن ركبت لفارس

و أنشد الجاحظ لبعض الخوارج:

و مسوم للموت يركب روعه *** بين الأسنة و القنا الخطار

يدنو و ترفعه الرماح كأنه *** شلو تنشب في مخالبي ضاري

فتوى صريعا و الرماح تنوشه *** إن الشراة قصيرة الأعمار

و مما تفاءلوا به قولهم للفلاة التي يظن فيها الهلاك: مفازة، اشتقاقاً من الفوز، و هو النجاة، و قال بعض المحدثين:

أحب الفأل حين رأى كثيراً *** أبوه عن اقتناء المجد عاجز

فسماه لقلته كثيراً *** لتلقيب المهالك بالمفاوز

و من هذا تسميتهم اللديغ سليما، قال:

كأنني من تذكر ما ألقى *** إذا ما أظلم الليل البهيم

سليم مل منه أقربوه *** وأسلمه المجاور و الحميم

وقال أبو تمام في الشيب:

شعلة في المفارق استودعتني *** في صميم الأحشاء شكلا صميما

(و) تثير الهموم ما اكن منها *** صدأ وهي تستثير الهموما

دقة في الحياة تدعى جلالاً *** مثلما سمي اللديغ سليما

عزمة بهمة إلا إنما كنت *** أغر أيام كنت بهيما

حلّمتي - زعمتم - و أراني *** قبل هذا التحليم كنت حلّيما

و سموا الغراب أعور لحدة بصره، قال ابن ميادة:

ألا طرقتنا أم عمر و دونها *** فيافٍ من البيداء يعشي غرابها

و يكونون عن العجمي بالأحمر، و قال:

رددت صحيفة القرشي لما *** أبت أعراقه الا احمرارا

لأنه توسم فيه أن بعض أعراقه ينزع إلى العجم لما رأى من بياض لونه و شقرته.

و منه قول جرير يذكر العجم:

يسموننا الأعراب و العرب أسمنا *** و أسماؤهم فينا رقاب المزود

و إنما يسمونهم رقاب المزود لأنها حمراء.

و من كناياتهم تعبيرهم عن المفارقة بالمساجلة، و أصلها من السجل؛ و هي الدلو المليء، كان الرجلان يستقيان، فأيهما غلب صاحبه كان الفوز و الفخر له، قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب:

و أنا الأخضر من يعرفني *** أخضر الجلد من بيت العرب

من يساجلني يساجل ماجداً *** يملأ الدلو إلى عقد الكرب

برسول الله و ابني عمه *** و عباس بن عبد المطلب

و قال الشاعر:

قوم إذا اخضرت نعالهم *** يتناهقون تناهق السميرِ

أي: إذا أعشبت الأرض اخضرت نعالهم من وطئهم إياها، فأغار بعضهم على بعض، و التناهى هاهنا: أصواتهم حين يتنادون للغارة.

و نظير هذا البيت قول الآخر:

قوم إذا نبت الربيع لهم *** نبتت عداوتهم مع البقل

أي: إذا خصبوا و شبعوا غزا بعضهم بعضا.

و مثله قول الآخر:

يا ابن هشام أهلك الناس اللبن *** فكلهم يغدو بسيف و قرن

أي: تسفهوا لما رأوا من كثرة اللبن و الخصب فأفسدوا في الأرض فأغار

ص: 232

بعضهم على بعض. و القرن: الجعة.

و من الكنايات الداخلة في باب الإيماء قول الشاعر:

فتى لا يرى قد القميص بخصره *** ولكنما يوهي القميص عواتقه

لما كان سلامة القميص من الحرق في موضع الخصر تابعا لدقة الخصر، و وهنه في الكاهل تابعا لعظم الكاهل، ذكر ما دل بهما على دقة خصر هذا الممدوح و عظم كاهله.

و منه قول مسلم بن الوليد:

فرعاء في طرفها ليل على قمر *** على قضيب على حقف النقا الدهس

كأن قلبي و شاحاها إذا خطرت *** و قلبها قلبها في الصمت و الخرس

تجري محبتها في قلب عاشقها *** مجرى السلامة في أعضاء منتكس

و من هذا الباب قول القائل:

إذا غرد المكاء في غير روضه *** فويل لأهل الشاء و الحمرات

أوماً بذلك إلى الجذب، لأن المكاء يألف الرياض فإذا أجدبت الأرض سقط في غير روضه و غرد، فالويل حينئذ لأهل الشاء و الحمر.

و منه قول القائل:

لعمري لنعم الحي حي بني كعب *** إذا جعل الخلخال في موضع القلب

القلب: السوار؛ يقول: نعم الحي هؤلاء إذا ريع الناس و خافوا، حتى أن المرأة لشدة خوفها تلبس الخلخال مكان السوار، فاختصر الكلام اختصاراً شديداً.

ص: 233

و منه قول الأفة الأودي:

إن بني أودٍ همُ ما همُ *** للحرب للجدب و عام الشموس

قد يأتي من الكلام ما يجوز أن يكون كناية، و يجوز أن يكون استعارة، و يختلف ذلك باختلاف النظر إليه بمفرده، و النظر إلى ما بعده، كقول نصر بن سيار (في أبياته المشهورة) التي يحرض بها على بني أمية عند خروج أبي مسلم:

أرى خلل الرماد و مبيض جمر *** و يوشك أن يكون له ضرام

فإن النار بالزندان توري *** و إن الحرب أولها كلام

أقول من التعجب ليت شعري *** أيقاظُ أمية أم نيام

فأن هبوا فذاك بقاء ملك *** و إن رقدوا فأنى لا الألام

فإن يك أصبحوا و ثوروا نياما *** فقل قوموا فقد حان القيام

فالبيت الأول لو ورد بمفرده لكان كناية لأنه لا يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز، فإذا نظرنا إلى الأبيات بجملتها؛ كان البيت الأول المذكور باستعارة لا كناية.

و لقوله عليه السلام:

"العين وكاء الستة".

و هذا القول في الأشهر الأظهر للنبي صلى الله عليه و آله و سلم و قد رواه قوم لأمير المؤمنين عليه السلام.

و ذلك المبرد في كتاب المقتضب باب اللفظ المعروف. و الوكاء رباط القربة؛

فجعل العين وكاء - و المراد اليقظة - للسته للوكاء للقرية.

والسته: الأست: فاستشهد بقول يحيى بن زياد، إذ كان يحيى و مطيع بن اياس و حماداً الراوية قد جلسوا على شرب لهم، و معهم رجل منهم فانحل، فاستحيا و خرج، و لم يعد إليهم فكتب إليه يحيى بن زياد (186/20-187):

أمن قلو ص غدت لم يؤذها أحد *** ألا تذكرها بالرمل أوطانا

خان العقال لها فانبث إذ نفرت *** و إنما الذنب فيها للذي خانا

منحتنا منك هجرانا و مقلية *** و لم تزرنا كما قد كنت تغشانا

خفض عليك فما في الناس ذو ابلٍ *** الا وابتقة يشرون أحيانا

و الكناية في تلك الأبيات واضحة.

و قال الشاعر (188/20):

فيا من ليس يكفيه صديق *** و لا ألفا صديق كل عام

أظنك من بقايا قوم موسى *** فهم لا يصبرون على طعام

و هو تضمنين لقوله تعالى:

{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ}

إذ يقال: فلان من قوم موسى، إذا كان ملولا.

و قول العباس بن الأحنف (188/20):

كتبت تلوم و تستريث زيارتي *** و تقول لست لنا كعهد العاهد

فأجبتها ودموع عيني سبَّجٌ *** تجري على الخدين غير جوامد

ص: 235

يا فوز لم أهجركم لملاية *** عرضت و لا المقال واش حاسد

لكنني جربتكم فوجدتكم *** لا تصبرون على طعام واحد

وقال الشاعر: إذ يقولون للجارية الحسنة قد أبقت من رضوان (188/20):

جست العود بالبنان الحسان *** و تثنت كأنها غصن بان

فسجدنا لها جميعا وقلنا *** إذ شجتنا بالحسن و الإحسان

حاش لله أن تكون من الأنس *** ولكن (أبقيت) من رضوان

و بما تمثل به الحجاج (188/20):

أنا ابن جلا و طلاع الثنايا *** متى أضع العمامة تعرفوني

إذ يقولون للمكشوف الأمر الواضح الحال: ابن جلا، و هي كناية عن الصبح.

و بما أشد الأصمعي (189/20):

أتي الندى فلا يقرب مجلسي *** و أقود للشرف الرفيع حماري

إذ يقولون في الكناية عن الشيخ الضعيف: قائد الحمار، أي: يقوده من الكبر إلى موضع مرتفع ليركب لضعفه.

و يقول الشاعر (189/20):

و أصبحت كنيئا و أصبحت عاجزا *** و شر خصال المرء: كنت ذاعجن

إذ كانوا يكونون عن الشيخ الضعيف بالعاجن: لأنه إذا قام عجن الأرض

بكفيه.

والكتني: الذي يقول: كنت أفعل كذا. و كنت أركب الخيل يتذكر ما مضى من زمانه. و لا يكون ذلك الا عند الهرم، أو الفقر و العجز.

وقول لبيب (20189):

أخبر أخيار القرون التي مضت *** أدب كأي كلما قمت راع

إذ كانوا يكونون عن الشيخ بالراع، و الركوع هو التباطؤ و الإغفاء بعد الاعتدال و الاستواء.

وقول الأضبط بن قريع السعدي (189/20):

لا تهن الفقير علك أن *** تررع يوماً و الدهر قد رفعه

إذ يقال للإنسان إذا انتقل من الثروة إلى الفقر: قد ررع.

وقول الشاعر (190/20):

ارفع ضعيفك لا يمر بك ضعفه *** يوماً فتدركه الحوادث قد نما

يجزيك أو يثني عليك و إن من *** يثني عليك بما فعلت فقد جزي

و مثله أيضاً:

و أكرم كريماً إن أتاك لحاجة *** لعاقبة إن القضاة تروح

تروح: الشجر إذا انفطر بالنبت؛ يقول: إن كان فقيراً فقد سبقني.

كما أن الشجر الذي لا ورق عليه سيكتسي ورقاً، و يقال ررع الرجل؛ أي: سقط، كقول الشاعر (190/20):

ص: 237

خرق إذا ركع المطي من الوجي *** لم يطو دون رفيقه ذا المرود

حتى يؤوب به قليلا فضله *** حمد الرفيق نذاك أو لم يحمد

و كما يكون الشيخ بالرايع فيكنون به عنه، كذلك يقولون: يحجل في قيده خطوة، كقول أبي الطحان القيني:

حتنتي حانيات الدهر حتى *** كأني خاتل أدنو لعيد

قريب الخطو يحسب من رأني *** - ولست مقيدا - أني بقيد

و نحو هذا قولهم لكبير: بدت له الأرنب، و ذلك أن من يختل الأرنب ليصيدها يتمايل في مشيته كقول ابن الأعرابي في النوادر:

و طالت بي الأيام حتى كأنني *** من الكبر العالي بدت لي أرنب

و يقولون لمن رشا القاضي أو غيره؛ صب في قنديله زيتا كقوله (191/20):

و عند قضاتنا خبث و مكر *** و زرع حين تسقيه يسنبل

إذا ما صب في القنديل زيت *** تحولت القضية للمقنديل

و كان أبو صالح كاتب الرشيد ينسب إلى أخذ الرشاء، و كان كاتب أم جعفر، و هو سعدان بن يحيى كذلك، فقال لها الرشيد يوماً:

- أما سمعت ما قيل في كاتبك؟

قالت:

ما هو؟

فأنشدها:

ص: 238

صب في قنديل سعدان *** مع التسليم زيتنا

وقناديل بنيه *** قبل أن تخفي الكميّتا

قالت:

- فما قيل في كاتبك أشنع.

فأشدته:

قنديل سعدان علا ضوءه *** فرخ لقنديل أبي صالح

تراه في مجلسه أحوصاً *** من لمححه للدرهم اللائح

ويقولون لمن يفخر بآبائه هو عظامي. و لمن يفخر بنفسه هو عصامي.

إشارة إلى قول النابغة في عصام بن سهل صاحب النعمان:

نفس عصام سودت عصاما *** و علمته الكد و الإقداما

و جعلته ملكا هماما

و أشار بالعظامي إلى فخره بالأموال من آبائه ورهطه، و قال الشاعر:

إذا ما الحي عاش بعظم ميت *** فذاك العظم حي و هو ميت

و مثل قولهم: عظامي، قولهم: خارجي، أي يفخر بغير أولوية كانت له، قال كثير لعبد العزيز:

أبا مروان لست بخارجي *** و ليس قديم مجدك بانتعال

و يكونون عن العزيز و عن الذليل أيضا ب (بيضة البلد) في المدح (193/20):

لكن قائله من لا كفاء له *** من كان يدعى أبوه بيضة البلد

ص: 239

وقال الآخر في الدم:

تأبى قضاة لم تعرف لكم نسباً *** و ابنا نزار فأنتم بيضة البلد

ويقولون للشيء الذي يكون في الدهر مرة واحدة، هو بيضة الديك.

ويكنون عن الثقل بالقذي في الشراب.

قال الأخطل يذكر الخمر و الاجتماع عليها:

و ليس قذاها بالذي قد يضرها *** و لا بذياب نزعه أسير الأمر

ولكن قذاها كل جلف مكلف *** أتتنا به الأيام من حيث لا ندري

فذاك القذي و ابن القذي و أخو القذي *** فأن له من زائر آخر الدهر

ويكنون عنه أيضا بقدح اللباب، قال الشاعر:

يا ثقيلاً زاد في الثق *** ل على كل ثقل

أنت عندي قدح اللب *** لاب في كف العليل

ويكنون عنه أيضا بالقدح الأول، لأن القدح الأول من الخمر تكرهه الطبيعة و ما بعده فدونه لاعتياده، قال الشاعر:

و أثقل من حصين باديا *** و أبغض من قدح الأول

ويكنون عنه بالكانون، قال الخطيئة يهجو أمه:

تنحّي و اقصدني عني بعيداً *** أراح الله منك العالمينا

أغربالاً إذا استودعتي سراً *** و كانوا على المتحدثينا

ويكنون عن الثقل أيضا برحا البزر، قال الشاعر (194/20):

وَأثقل من رحا بزر علينا *** كأنك من بقايا قوم عاد

و مثله قولهم:

هو جليس قعقاع بن ثور، وكان قد قدم إلى معاوية، فدخل عليه، و المجلس غاص بأهله ليس فيه مقعد، فقام له رجل من القوم وأجلسه مكانه، فلم يبرح القعقاع من ذلك الموضوع يكلم معاوية و معاوية يخاطبه حتى أمر له بمئة ألف درهم، فأحضرت إليه، فجعلت إلى جانبه، فلما قام قال الرجل القائم له من مكانه:

ضمها إليك، فهي لك بقيامك لنا عن مجلسك، فقيل فيه (195/20):

و كنت جليس قعقاع بن ثور *** و لا يشقى بقعقاع جليس

ضحوك السن أن نطقوا بخير *** و عند الشر مطراق عبوس

و يقولون: هو فاختة البلد، من قول الشاعر (20/196):

أكذب من فاختة *** تصيح فوق الكرب

و الطلع لم يبْد لها *** هذا أوان الرطب

و قال آخر:

حديث أبي حازم كله *** كقول الفواخت جاء الرطب

و هن و إن كن يشبهنه *** فلسن يدانينه في الكذب

و يكونون عن النمانم بالزجاج، لأنه يشف على ما تحته، قال الشاعر:

انم بما استودعته من زجاجة *** يرى الشيء فيها ظاهراً و هو باطن

و يكونون عنه بالنسيم من قول الآخر:

ص: 241

و أنك كلما استودعت سرا *** انم من النسيم على الرياض

وقالوا للجائع: عضه الصفر، وعضه شجاع البطن (197/20): وقال الهندي:

أرذُ شجاع البطن قد تعلمنيه *** وأثر غرثي من عيالك بالطعم

مخافة أن يحيا برغم و ذلة *** و للموت خير من حياة على رغم

و يقولون: زوده زاد الضب، أي لم يزوده شيئا لأن الضب لا يشرب الماء، و انما يتغذى بالريح، و النسيم، و يأكل القليل من عشب الأرض،
قال ابن المعتز:

يقول أكلنا لحم جدي وبطة *** و عشر دجاجات شواء بالبان

فقد كذب الملعون إذ كان زاده *** سوى زاد ضب يلحق الريح عطشان

وقال أبو الطيب:

لقد لعب البين المشت بها وبي *** و زودني في السير ما زود الضبا

و يقولون للمختلفين من الناس. هم كنعم الصدقة، و هم كبعر الكبش. قال عمرو بن لجأ:

و شعر كبعر الكبش ألف بينه *** لسان دعي في القريض دخيل

و يقولون فيهم: خبر كُتاب، لأنه يكون مختلفا، قال الشاعر يهجو الحجاج ابن يوسف (198/20):

أنيس كليب زمان الهزال *** و تعليمه سورة الكوثر

رغيف له فلكة ما تري *** و آخر كالقمر الأزهر

و مثله:

أما رأيت بني سلم وجوههم *** كأنها خبز كَتَّابٍ و يقالِ

و يقال للمتساوين في الرواء، كأسنان الحمار، قال الشاعر:

سواء كأسنان الحمار فلا ترى *** الذي شينة منة على ناشئٍ فضلا

و قال آخر:

شبابهم و شبيهم سواء *** فهم في اللؤم أسنان الحمار

و أنشد المبرد في الكامل لأعرابي يصف قوما من طيء بالتساوي في الرداءة:

ولما أن رأيت بني جوينٍ *** جلوسا ليس بينهم جليس

يئست من الذي أقبلت أبغي *** لديهم، اتني رجل يؤوس

إذا ما قلت أيهم لأبي *** تشابهت المناكب و الرؤوس

و يعني ب(ليس بينهم جليس)، أي لا ينتج الناس معروفهم، فليس بينهم غيرهم.

وقال ابن الأعرابي: كل طائر إذا كسرت إحدى رجله تحامل على الأخرى، الا النعام فإنه منى كسرت إحدى رجله جثم، فلذلك قال الشاعر يذكر أخاه (199/20):

واني مراياه كرجلي نعامة *** على ما بنا من ذي غنى و فقير

و يقال للمتكلف بمصالح الناس، انه وصي آدم على ولده.

وقد قال الشاعر في هذا الباب:

ص: 243

فكان آدم عند قرب وفاته *** أوصاك و هو وجود بالحواء

بنيه أن ترعاهم فرعيتهم *** و كفيت آدم عيلة الأبناء

و يقولون فلان خليفة الخضر، إذا كان كثير السفر، قال أبو تمام (200/20):

خليفة الخضر من يربع على وطن *** أو بلدة فظهور العيس أوطان

بغداد أهلي و الشام الهوى و أنا *** بالرقتين و بالفسطاط إخواني

و ما أظن النوى ترضى بما صنعت *** حتى تبلغ بي أقصى خراسان

و يقولون: أسمن فلان في أديمه، كناية عمن لا ينتفع به، أي: ما خرج منه يرجع إليه، و أصله أن نجياً من السمن انشق في ظرف من الرقيق، فقليل ذلك، قال الشاعر:

ترحل فما بغداد دار إقامة *** و لا عند من أضحي ببغداد طائل

محل ملوك سمنهم في أديمهم *** و كل بهم من حلية المجد عاطل

فلا غزو أن شكت يد المجد و العلا *** و قل سماع من رجال و نائل

إذا غضفض البحر القطامط ماء *** فليس عجيباً أن تفيض الجداول

و يقولون لمن كان حسن اللباس و لا طائل عنده، و المشجب خشبة القصار التي يطرح الثياب عليها: قال بن الحجاج:

لي سادة طائر السرور بهم *** يطرد اليأس بالمقاليع

مشاجب للثياب كلهم *** و هذه عادة المشاقيع

جائزي عندهم إذا سمعوا *** شعري: هذا كلام مطبوع

وانهم يضحكون إن ضحكوا*** وأبكي أنا من الجوع

وقال آخر:

إذا لبسوا دكن الخروز و خضرها*** وراحو فقد راحت عليك المشاجب

و يكونون عن الطفيلي: هو ذباب، لأنه يقع في القدور قال الشاعر (201/20):

ولست بواقع في قدر قوم*** وان كرهوا كما يقع الذباب

أتيتك زائرا لقضاء حق*** فحال الستر دونك و الحجاب

وقال آخر:

وأنت أخو السلام و كيف أنتم*** ولست أخو الملمات الشداد

وأطفل حين يجفى من ذباب*** و الدم حين يدعي من فراد

و يكونون عن القصير القامة بأبي زبيبة، و عن الطويل بخيط باطل، و كانت كنية مروان بن الحكم لأنه كان طويلا مضطربة، قال فيه الشاعر:

الحا الله قوماً أمروا خيط باطل*** على الناس يعطي من يشاء و يمنع

و في خيط باطل قولان: أحدهما أنه الهباء الذي يدخل من ضوء الشمس في الكوة من البيت، و تسمية العامة: غزل الشمس، و الثاني أنه الخيط الذي يخرج من فم العنكبوت، و تسمية العامة: مخاط الشيطان.

و يقولون عن النادم: يقرع السن، و النجيل: ينكث الأرض ببنانه، أو يعود عند الرد. قال الشاعر (202/20):

ص: 245

عبيد أخوانهم حتى إذا ركبوا *** يوم الكريهة فالأساد في الأجم

يرضون من الأيسار سائلهم *** لا يقرعون على الأسنان من ندم

وقال آخر من نكث الأرض بالعيدان:

قوم إذا نزل الغريب بدارهم *** تركوه رب صواهل وقيان

لا ينكثون الأرض عند سؤالهم *** لتطلب العلان بالعيدان

ويقولون للمثري من المال: منفرس. و حكي المبرد وقال: كان الحرماذي في ناحية عمرو بن مسعدة و كان يجري عليه فخرج عمرو بن مسعدة إلى الشام، و تخلف الحرماذي ببغداد، فأصابه النقرس فقال:

أقام بأرض الشام فاختل جانبي *** و مطلبه بالشام غير قريب

و لاسيما من مفلس حلف نقرس *** أما نقرس في مفلس بعجيب

إذ ساد الاعتقاد أن علة النقرس *** أكثر ما تعترى أهل الثروة و التتعم.

وقال بعضهم يهجو ابن زيدان الكاتب (203/20):

تواضع النقرس حتى لقد *** صار إلى رجل ابن زيدان

علة انسان ولكنها *** قد وجدت في غير انسان

و يقولون للمتترف: انه رقيق النعل، و أصله قول النابغة:

رقاق نعال طيب حجاتهم *** يحيون بالريحان يوم السباب

و كذلك قولهم: فلان مسحطة النعال. أي نعله طبقة واحدة غير مخصوف، قال المرار بن سعيد الفقعي:

وجدت بني خفاجة في عقيل *** كرام الناس مسحطة النعال

وقريب من هذا قول النجاشي:

ولا يأكل الكلب السروق نعالنا *** ولا ينتقي المخ الذي في الجماجم

ويقولون لأبناء الملوك و الرؤساء و من يجري مجراهم: جفاة المحز، قال الشاعر (204/20):

جفاة المحز لا يصيبون مفصلا *** ولا يأكلون اللحم الا تخذما

أي: لا يحسنون الذع، و اذا أكلوا قطعوا اللحم قليلاً قليلاً.

وأنشد الجاحظ في مثله:

وصلع الرؤوس عظام البطون *** جفاة المحز غلاظ القصر

وقريب من ذلك قوله (205/20):

ليس براعي أبل و لا عنم *** و لا بجزار على ظهر وضم

و يقولون: ملححه على ركبته، أي: هو سيئ الخلق، يقضيه أدنى شيء، قال:

لا تلمها أنها من عصبية *** ملحها موضوعة فوق الركب

و يقولون كناية عن المجوسي: هو من يخط على النمل، و النمل جمع نملة، و هي قرصة بالأسنان، كانت العرب تزعم أن المجوسي إذا كان

من أخته و خط عليها برأت: قال الشاعر:

و لا عيب فينا غير عرق لمعشر *** كرام و أنا لا نخط على النمل

و يقولون للصبي: قد فطغت ثمرته، أي: ختن، و قال عمارة بن عقيل بن

بلال بن جرير (206/20):

ما زال عصياننا لله يرذلنا *** حتى دفعنا إلى يحيى ودينار

الا عليجين لم تقطف ثمارها *** قد طالما سجدا للشمس و النار

و تكني العرب عن الحشرات و هوام الأرض بجلود سعد، يعنون سعد الأخبية، ذلك أنه إذا طلع انتشر في ظاهر الأرض، و خرج منه ما كان مستترا في باطنها، قال الشاعر:

قد جاء سعد منذرا بحره *** موعده جنود بشره

و يكني قوم عن السائلين على الأبواب بحفاظ سورة يوسف عليه السلام.

لأنهم يعتنون بحفظها دون غيرها. و قال عمارة يهجو محمدا بن وهيب:

تشبهت بالأعراب أهل التعجرف *** فدل على ما قلت قبح التكلف

لسان عراقي اذا ما ضرفته *** الى لغة الأعراب لم يتصرف

و لم تنس ما قد كان بالأمس حاله *** أبوك وعود الجف لم يتصرف

لأن كنت للأشعار و النحو حافظا *** لقد كان من حفاظ سورة يوسف

و يكونون عن اللقيط: بترية القاضي. و عن الرقيب بثاني الحبيب لأنه يرى معه أبدا، قال ابن الرومي (207/20):

موقف للرقيب لا أنساه *** لست أختاره و لا أباه

مرحبا بالرقيب من غير وعد *** جاء يجلو على من أحواه

لا أحب الرقيب الا لأنني *** لا أرى من أحب حتى أراه

ص: 248

و يكونون عن الوجه المليح: بحجة المذنب، إشارة إلى قول الشاعر:

قد وجدنا غفلة من رقيب *** فسرقتنا نظرة من حبيب

ورأينا ثم وجهها مليحا *** فوجدنا حجة للذنوب

و يكونون عن الجاهل، ذي النعمة بحجة الزنادقة قال ابن الرومي: مهلا أبا الصقر فكم من طائر *** خر صريعا بعد تحليق

لا قدست نعمي تربلتها *** كم حجة فيها لزندق

وقال ابن بسام في أبي الصقر أيضا:

يا حجة الله في الأرزاق و القسم *** وعبرة لأولي الألباب و الفهم

تراك أصبحت في نعماء سابقة *** الا وربك غضبان على النعم

وقال ابن الرومي (208/20):

وقينة أبرد من ثلجة *** تبيت منها النفس في ضجة

كأنها من ننتها ضجة *** لكنها في اللون أترجة

تفاوتت خلقتها فاغتندت *** لكل من عطل ممتجة

وقد يشابه ذلك قول أبي علي البصير في ابن سعدان:

يا ابن سعدان اجعل الرزق في أم *** رك واستحسن القيح بحرة

نلت ما لم تكن تمنى إذا ما *** أسرفت غاية الأمانى عشرة

ليس فيما أظن الا لكيلا *** ينكر المنكرون لله قدره

و للمفجع في قريب منه:

ص: 249

إن كنت خنتكم المودة غادراً *** أوصلت عن سنن المحب الوافق

فمسخت في قبح ابن طلحة أنه *** ما دل قط على كمال الخالق

ويقولون: وعد سابري: أي لا يقرن به وفاء واصل. السابري، الرقيق اللطيف، وقال المبرد سألت الجاحظ:

- من أشعر المولدين؟

فقال:

- القائل:

كأن ثيابه أطلع *** ن من أزارار قمرا

يزيدك وجهه حسناً *** إذا ما زرته نظرا

بعين خالط التغبي *** ر في أجفانها الحورا

ووجه سابري لو *** تصوّب ماؤه قطرا

يعني العباس بن الأحنف.

وجاء أعرابي إلى أبي العباس ثعلب وعنده أصحابه فقال له، ما أراد القائل بقوله (209/20):

الحمد لله الوهوب المنان *** صار الثريد في رؤوس القضبان

فأجابه ثعلب: أراد أن السنبل قد أضرك.

ويكنون عن الشيب، بغبار العسكر، وبرغوة الشباب قال الشاعر (210/20):

ص: 250

قالت أرى شيئا برأسك قلت لا *** هذا غبار من غبار العسكر

وقال آخر، وسماه غبار وقائع الدهر:

غضبت ظلوم و أزمعت هجري *** وصبت ضمائرهما إلى الغدر

قالت أرى شيئا فقلت لها *** هذا غبار وقائع الدهر

وقال الجاحظ: رأيت رجلا أعمى يقول في الشوارع وهو يسأل: ارحموا ذا الزماتين.

قلت:

- وما هما؟

قال:

- أنا أعمى و صوتي قبيح.

وقد أشار شاعر إلى هذا فقال:

(و) اثنان إذا عداً *** حقيق بهما الموت

فقير ماله زهدٌ *** و أعمى ما له صوت

و تقول: فلان عندي بالشمال، أي: منزلته خسيصة، و فلان عندي باليمين: أي: بالمنزلة العليا، قال أبو نواس (211/20):

أقول لناقتي إذ بلغتني *** لقد أصبحت عندي باليمين

فلم أجعلك للغربان نهبا *** و لم أقل أشريقي بدم الوتين

حرمت على الأزيمة و الولايا *** وأعلاق الرحالة و الوضين

ص: 251

وقال ابن ميادة:

أبيني أفى يمني يديك جعلتني *** فأفرح أم صيرتني في شمالك؟

ويقولون: امرئ لا ينادى وليده، أي أمر عظيم ينادي فيه الكبار دون الصغار، قال الشاعر يصف حرباً عظيمة (212/20):

إذا خرس الفحل وسط البحور *** وصاح الكلاب وعق الولد

ويقولون: أصبح فلان عن قرن أعفر؛ وهو الضبي، إذ أرادوا أصبح على خطر، قال امرؤ القيس.

ومثل يوم بالعضالي قطعته *** كأنني وأصحابي على قرن أعفر

وقال أبو العلاء المعري:

في بلدة مثل ظهر الضب بت بها *** كأنني فوق أوق الضبي من حذر

وأنشد ابن دريد في هذا المعنى:

وما خير عيش لا يزال كأنه *** محلة يعسوب برأس سنان

ويقولون: ألقى عصاه، إذا أقام واستقر، قال الشاعر (213/20):

فألقت عصاها واستقر بها النوى *** كماقر عيناً بالإياب المسافر

ويقولون: فلان ألقى عصاه في أعقاب نجمة مغرب، أي: هو نادم آس، قال الشاعر:

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر *** مع الصبح في أعقاب نجمة مغرب

ويقال: هذه فرس غير محلقة. أي: لا تحوج صاحبها إلى أن يحلف أنها

ص: 252

كريمة. قال الشاعر (214/20):

كميت غير محلفة ولكن *** كلون الصرف عل به الأديم

و لقله عليه السلام:

"إن للوالد على الولد حقاً، وإن للولد على الوالد حقاً، و حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه...".

قال الشاعر (366-365/19)

و حللت من مضر بأمنع ذروة *** منعت بحد الشوك و الأحجار

إذ كني عن أخواله، و هم قتادة و طلحة و عوسجة، بالشوك، و عن أعمامه بالأحجار.

ص: 253

المحتويات

توضيح مفردة ... 7

الإسناد اللغوي ... 19

النحو ... 45

صفيين ... 48

شتان ... 49

فتح و كسر اللام ... 50

جزاء الشرط ... 50

وضع (عن) موضع (بعد) ... 51

تعديه اللازم ... 51

تقدير ذو ... 52

تقدير فعل ... 52

تشكيل اعتراضى ... 53

ص: 254

أبا ... 57

جمع نوء ... 57

أين ... 58

اوه ... 58

حذف إن ... 59

تقديم الجار والمجرور على الحال ... 59

الا حر ... 61

من ... 62

أصبر ... 62

الفعل المقدر ... 63

بين ... 64

إياك ... 64

تبادل الحروف ... 64

البلاغة ... 65

لزوم ما لا يلزم ... 67

الاقتباس ... 69

رأي ... 71

الاقتباس ... 73

التشبيه ... 182

الاستعارة ... 185

ص: 255

الطباق و المقابلة ... 187

التخلص و الاستطرداد ... 191

الجناس ... 196

الكناية ... 204

ص: 256

جميع الحقوق محفوظة للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى 1439 هـ - 2015 م

العراق : كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

مؤسسة علوم نهج البلاغة

www.inahj.org

Email: inahj.org@gmail.com

موبايل : 078150 16633

جمعية خيرية رقمية: مركز خدمة مدرسة إصفهان

محرر: شعبان حاتمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أضواء على نهج البلاغة

الجزء الخامس

ص: 1

بَحْرُ الْعِلْمِ وَمَدَارُ الْحَقِّ

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق

وزارة الثقافة العراقية لسنة 2015-914

ص: 2

أضواء على نهج البلاغة

شرح ابن أبي الحديد في استشاداته الشعرية

الجزء الخامس

تأليف: الدكتور علي الفتال

إصدار: مؤسسة علوم نهج البلاغة

العتبة الحسينية المقدسة

ص: 3

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى 1439 هـ - 2015 م

العراق : كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

مؤسسة علوم نهج البلاغة

www.inahj.org

Email: inahj.org@gmail.com

موبايل : 078150 16633

ص: 4

اخترت لهذا الباب من الجزء الخامس عنوان { التمثيل }، وأعني به؛ أن المتحدث - سواء كان الإمام علي (عليه السلام) أو غيره - كان يستشهد ويتمثل بأقوال غيره، شعراً كانت تلك الأقوال أو نثراً، وهذا ضوء مهم للوقوف على ما الأدب العصر ذاك من أهمية في التمثيل به من بلغاء العرب وفي رأسهم الإمام علي (عليه السلام)، الذي [سنّ البلاغة لقريش].

وإليك - قارئ الكريم - العينات تلك من التمثيل :

من خطبة له (عليه السلام)، وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عاملاه في اليمن وهما : عبد الله بن عباس وسعيد بن غران، لما غلب عليهما بسر بن أرطاة فقام (عليه السلام) على المنبر ضجرة بثاقل أصحابه عن الجهاد، ومخالفتهم إياه في الرأي، فقال :

{ ما هي إلا الكوفة أقبضها وأسطها، إن لم يكن إلا أنت تهبُّ أعاصيرك فعجك الله } . وتمثّل بقول الشاعرة / 332:

لعمر أبيك الخير يا عمرو أنني *** على وضرٍ من ذا الإناء قليل

ص: 7

ثم قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) 332 / 1 - 333 : { بُنِّتُ أَنْ بَسْرًا خَلَعَ الْيَمَنُ، وَأَنْتِي وَاللَّهِ لِأُظَنَّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سِيدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَقَرُّفِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ، وَإِطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ بِالْبَاطِلِ وَإِدَائِكُمْ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ، وَخِيَانَتِكُمْ، بِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ، فَلَوْ أَتَيْتُمْ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ، أَللَّهُمَّ أَنْتَ قَدْ مَلَلْتَهُمْ وَمَلُّونِي، وَسَمَّيْتَهُمْ وَسَمُّونِي فَأَبْدَلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدَلْهُمْ بِي شَرًّا مِنْي! اللَّهُمَّ مِتْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاتُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ، أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنْ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فَرَّاسٍ بَنِ غَنَمٍ :

هنالك لو دعوت أتاك منهم***فوارس مثل أرمية الحميم

ثم نزل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من المنبر.

ومن خطبة للحجاج عَنَّفَ فيها أهل العراق شرَّ تعنيف ثم تمثَّل بقول ابن بُرَاقَةَ 343 / 1:

وكنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْتَهُمْ***فهل أنا في ذَا يَالِ هَمْدَانَ ظَالِمٌ؟

مَتَى تَجْمَعُ الْقَلْبَ الذَّكِيَّ وَصَارَمَا***وَأَنْفَاحِمِيًّا تَجْتَنِّبُكَ الْمِظَالِمَ

وفي خطبةٍ للحجاج أيضاً يمتدح بها أهل الشام تمثَّل ببَيْتِي أَخِي ذِيانَ وَهَمَا 346 / 1

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أُسِيرٍ فُخُورًا***فإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي

هَمْ دَرَعِي الَّذِي اسْتَلَامْتُ فِيهَا***إلى يَوْمِ النِّشَارِ وَهَمْ مَجْنِي

وخطب الحجاج أيضاً بعد موت أخيه وابنه؛ ومما قال 347 / 1:

يا أهل العراق؛ أتيتكم وأنا ذو لَمَّةٍ وافرةٍ أرفل فيها؛ فما زال بي شقاقكم وعصيانكم حتىَّ حص شعري، كشف عن رأسه وهو صلَعٌ وقال :

من يك ذا لَمَّةٍ سيكشفها***فإنني غير ضائري زعري

لا يمنع المرء - أن يسود وأن***يُضربَ بالسيف قَلَّة - الشعر

كان سَلَم بن عقبة ليزيد وما عمل بالمدينة في وقعة الحرّة، كما أن بُسر المعاوية وما عمل في الحجاز واليمن، وقال ابن أبي الحديد : [ومن أشبه أباه فما ظلم وتمثل 18/2:

يُضربُ بالسيف قلة الشعر***لسنا على الأحساب نتكلُّ

بني كما كانت أوائلنا***تبني ونفعل مثلما فعلوا

رُوي أنّ شريك بن عبد الله النُخعي حجَّ مع عمر، ولما نزلوا وعظم الناس خرج شريك من رحله يُريده فلقبه المغيرة بن شعبة فرافقه ثم قال :

- أين تُريد؟

فقال :

- أمير المؤمنين.

فانطلقا يُريدان رحل عمر. لما أذن لهما دخلا فوجداه مستلقياً على بردعةٍ برحل، وبعد أن تحادثوا عن حسد قريش وكيف أنهم ما كانوا يُريدون أن يستخلف أبو بكرٍ عمرة، تمثّل عمر بقول كعب بن زهير :

ص: 9

لا تفسح سِرِّكَ إِلَّا عند ذِي ثِقَةٍ***أولى وأفضل ما استودعت أسراراً

صدراً وسيعاً وقلباً واسعاً قمنا***أن لا تخافا متى أودعت إظهاراً

إذ سألاه عن حسد قريش فأجابهما - بعد أن حدّثهما طويلاً - وطلب منهما كتمان ما يقول :

- كلاً واللّه بل كان أبو بكرٍ أعق وهو الذي سألتها عنه، كان واللّه أحسد قريش كلاًها.

لما حُصر عثمان الحصر الأخير جاء مروان بن الحكم فاستصحب زيد بن ثابت - وكان زيد يميل لعثمان - إلى عائشة ليكلّمها في هذا الأمر وكانت عازمة على الحج فأقبلت على زيد فقالت :

- وما منعك بين ثابت ولك الأشاريف قد اقتطعتها عثمان، ولك كذا وكذا.

فلم يرجع زيدٌ عليها حرفة واحدة، وأشارت إلى مروان بالانصراف فانصرف وهو يقول 8/3:

[و] حرق قيسٍ عليّ البلاد***حتى إذا اضطرمت أجذما

لما حضر الموت عبد الله بن مسعود أوصى عمّار بن ياسر (رحمه الله) أن لا يُصلّ عليه عثمان فعملها عمار، ولما دُفن جاء عثمان منكراً ذلك فقيل له إن عمارة وليّ الأمر فقال لعمار :

- ما حملك على أن لا تؤذني؟

فقال :

- عَهْدَ إِلَيَّ أَنْ لَا أُؤْذَنُكَ. فوقف على قبره وأثنى عليه وانصرف وهو يقول : (رفعتهم والله أيديكم من خير من بقي).

فتمثل الزبير بقول عبد الله بن الأبرحي 42/3:

لَا أَلْفَيْتُكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَدْبِنِي *** وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادِي

عَنَّفَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) زَيْدًا لَمَّا خَرَجَ، وَحَدَّرَهُ الْقَتْلَ، وَقَالَ لَهُ :

- إِنْ أَهْلَ الْعِرَاقِ خَذَلُوا أَبَاكَ عَلِيًّا وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَإِنَّكَ مَقْتُولٌ، وَإِنَّهُمْ خَاذِلُونَ.

فَلَمْ يُثْنِ عَزْمَهُ، وَتَمَثَّلَ قَائِلًا :

بَكَرْتُ تُخَوِّفُنِي الْحَتُوفَ كَأَنَّي *** أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الْحَتُوفِ بِمَعزَلِ

فَأَجَبْتُهَا أَنْ الْمَنِيَةَ مَنَهْلُ *** لَا بَدَّ أَنْ أُسْقَى بِذَلِكَ الْمَنَهْلِ

إِنْ الْمَنِيَةَ لَوْ تُمَثَّلُ مَثَّلْتُ *** مِثْلِي، إِذَا نَزَلُوا بِضَيْقِ الْمَنْزِلِ

فَاقْنِي حَيَاءُكَ لَا أَبَا لِكَ وَأَعْلَمِي *** أَنِّي امْرُؤٌ سَامُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ

خرج عبد الملك المقاتلة مصعب بن الزبير فجاءته امرأته عاتكة بنت يزيد بن معاوية، فالتزمته وبكت لفراقه، وبكى جزار حولها، فقال عبد الملك :

- قَاتَلَ اللَّهُ ابْنَ أَبِي جَمْعَةَ كَأَنَّهُ شَاهِدُ هَذِهِ الصُّورَةِ حَيْثُ قَالَ 296/3:

ص: 11

إذا همَّ بالأعداء لم يُثنِ عزمه *** حصانٌ عليها محض نظمٍ يزينها

نهته فلما لم ترَ النهي عاقه *** بكت وبكى مما عراها قطينها

كان مصعب لما خرج إلى عبد الملك سأل عن الحسين بن علي (عليه السلام) وكيف كان قتله؟ فجعل عروة بن المغيرة يُحدِّث عن ذلك، فقال متمثلاً بقول سليمان بن فتّة 3 / 298:

وأنَّ الألى بالطف من آل هاشمٍ *** تأسَّوا فستَّوا للكرام التأسِّيا

لما كان يوم السبخة، وعسكر الحجاج يازاء شبيب، قال له الثاني :

- أيها الأمير، لو تنحَّيت عن هذه السبخة فإنهما فتنة الريح.

قال :

- ما تنحُّوني - والله - إليه أنتن، وهل ترك مصعب لكريم معزا؟

ثم أنشد قول الكلحية 3 / 298:

إذا المرء لم يخش الكريهة أو شكت *** حبالُ الهوينا بالفتى أن تُقطَّعا

لما وُضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك أنشد 3 / 197:

لقد أردى الفوارس يوم حيٍ *** غلامٌ غير مناع المتاع

ولا وقافةً والخيل تُروى *** ولا خالٍ كأنبوب اليراع

لما خرج إبراهيم بن عبد الله، ومَرَّ بمربد سليمان بن علي وقف عليهم وأمنَّهم واستسقى ماءً، فأُتِش به فشرب فأجري إليه صبيان من صبيانهم فضمهم إليه، وقال :

ص: 12

- هؤلاء - والله - منا ونحن منهم! لحمنا ودمنا ولكن آباءهم انتزوا على أمرنا وابتزوا حقوقنا، وسفكوا دماءنا، ثم تمثّل 309/3 :

مهلاً بني عمّنا ظلامتنا*** أن بنا سورة من الفلق

لمثلكم تحمل السيوف ولا*** تغمز أحسابنا من الرقي

إني لأنمي - إذا انتحيت - إلى*** عزّ عزيز ومعشرٍ صدق

بيضٍ سباطٍ كأنّ أعينهم*** تكحل - يوم الهياج - بالعلق

ولما أتاه نعي أخيه محمّد انفجر باكياً مناجياً الله تعالى ثم تمثّل (309/3):

أبا المنازل يا خير الفوارس من*** يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعاً

الله يعلم أنّي لو خشيتهم*** أو آسن القلب من خوف لهم فزعا

لم يقتلوك ولم أسلم أخي لهم*** حتى نعيش جميعاً أو نموت معاً

فجعل المفضل يُعزّيه ويعاتبه على ما ظهر من جزعه فقال :

- إنّي - والله - في هذا كما قال دريد بن الصمّة 310/3:

يقول ألا تبكي أخاك وقد أرى*** مكان البكا، لكن بنيت على الصبر

لمقتل عبد الله والهالك الذي*** على الشرف الأعلى قتيل أبي بكر

وعبد يغوث تحجل الطير حوله*** وجلّ مصاباً حثو قبر علي قبر

فأما ترينا لانزال وماؤنا*** لدى واطر يسعى بها آخر الدهر

فإنّ لحكم السيف غير نكيرة*** ونلحمه طوراً وليس بذئ نكر

يغار علينا واطرين فيشتفي*** بنا إن أصبنا أو نغير على وتر

بذاك فسحنا الدهر شطرين بيننا*** فما ينقضي إلّا ونحن على شطر

ثم ظهرت جيوش أبي جعفر مثل الجراد، فتمثل إبراهيم قوله 210/3:

إن يقتلوني لا تصيب رماحهم***ثأري ويسعى القوم سعياً جاهداً

نبتت أن بني جذيمة أجمعت***أمراً تدبره لتقتل خالداً

أرمي الطريق وإن رُصدت بضيقه***وأنازل البطل الكمي الحارداً

وأقبلت عساكر أبي جعفر فطعن رجالاً وطعنه آخر، فقال له المفضل:

- أتباشر القتال بنفسك؟ وإنما العسكر منوط بك.

قال: إليك يا أخا بني ضبّة، فإنني لكما كما قال عوف القوافي 310/3:

ألمت سعاد وإمامها***أحاديث نفس وأحلامها

محجبة من بني مالك***تداول في المجد أعلامها

وإن لنا أصل جرثومة***ترد الحوادث أيامها

ترد الكتيبة مغلوله***بها أفنها وبها ذامها

والتحمت الحرب واشتدت، فقال: يا مفضل احكني بشيء؛

فذكر أبياتاً لعوف القوافي لما كان ذكره هو من شعر فأنشد 211/3:

ألا أيها الناهي فزارة بعدما***أجدت لسير، إنما أنت ظالم

أبي كل حر أن يبيت بوتره***وتمنع منه النوم إذ أنت نائم

أقول لفتيان كرام ترّوحوا***على الجرد في أفواههنّ الشكائم

قفوا وقفة من يحيى لا يُخرّ بعدها***ومن يخترم لا تتبعه اللوائم

وهل أنت إن باعدت نفسك عنهم***لتسلم فيما بعد ذلك سالم

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مجيباً أحد أصحابه عن كيفية دفعهم عن هذا المقام وهم أحقُّ به :

... أما الاستبداد علينا بهذا المقام، ونحن الأعلون نسباً والأشدُّون بالرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) نوطاً، فإنها كانت أثره سمت عليها نفوس قومٍ وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم لله، والمَعوَدُ إليه يوم القيامة.

ودع عنك نهياً صحيحاً في حجراته***ولكن حديثاً ما حديث الرواحلِ

وهلمَّ الخطبُ في ابن أبي سفيان، فلقد أضحكني الدهر بعد بكائه؛ ولا غروَ واللَّه، فيا له غروا يستكثر العجب ويكثر الأود.

لذلك القول المبين استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول 241/9 - 244:

[تتقلَّ امرؤ القيس بعد مقتل أبيه، في أحياء العرب. ومن نزل عندهم خالد بن سدوس، فأغارت بنو جديلة على امرئ القيس وهو في جوار خالد ابن سدوس فذهبوا بإبله، وكان الذي أغار عليه باعث بن حويص، فأخذ خالد بن سدوس رواحل امرئ القيس وركب في إثر القوم حتى أدركهم وبدل أن يأخذ الإبل أخذوا الرواحل منه وذهبوا بها وبالإبل، فقال امرؤ القيس 244/9 - 245:

[و] دع عنك نهياً صحيحاً في حجراته***ولكن حديثاً ما حديث الرواحلِ

كَانَ دثاراً حَلَّقَتْ بلبونة***عقاب التنوع لا عقاب القواعلِ

تلعبُ باعثٌ بدممةٍ خالدٍ***وأودى دثاري في الخطوب الأوائلِ

وأعجبني مشي الحُرْقَة خالدٍ *** كمشي أتانٍ حُلَّتْ بالمناهلِ

أبت أجاً أن تسلم العام جارها *** فمن شاء فلينهض لها من مقاتلِ

تبيت لبونٌ بالقريةِ آمنًا *** وأسرجها غبًا بأكتافِ حائلِ

بنو ثعلٍ جيرانها وحماتها *** وتمنع رُمّة سعدٍ ووائلِ

تلاعب أولاد الوعول رباعها *** ذوينَ السماء في رؤوس المجادلِ

مكلّلة حمراء ذات أسرٍ *** لها حبٌ كأنها من وصائلِ

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من كتاب له إلى معاوية جواباً :

... أن قوما استشهدوا في سبيل الله تعالى من المهاجرين والأنصار، ولكلِّ فضل، حتى إذا استشهد شهيدنا قيل : سيد الشهداء، وخصّه الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه، أو لا ترى أن قوما قطعت أيديهم في سبيل الله ولكلِّ فضل حقُّ فُعل بواحدنا ما فُعل بواحدهم، قيل : الطيار في الجنة وذو الجناحين.

ولولا ما نهى الله عنه في تزكية المرء نفسه لذكر ذاكراً فضائل جمّة تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمحها آذان السامعين [181/15 - 182.

لذلك القول الكريم أورد ابن أبي الحديد مفاضلة بين بني أمية وبني هاشم وعدّد خصائص كل منهما ورجح خصائص بني هاشم على بني أمية ذاكراً ما فعله بنو أمية ببني هاشم كقتل عبد الله بن زياد يوم الطف تسعة من صلب علي [(عَلَيْهِ السَّلَامُ)]. وسبعة من صلب عقيل، وتمثّل بقول الناعي 236/10:

عينُ جودي بعبرةٍ وعويلٍ *** وانديبي - إن ندبتِ - آل الرسولِ

تسعةٌ كلهم لصلبِ عليٍّ *** قد أصيبوا وسبعةٌ من عقيلِ

وأورد زعم بني أمية أن عقيلاً أعان معاوية على عليّ (عليه السلام) فإن كانوا كاذبين نجا أولاهم بالكذب، وإن كانوا صادقين جازوا عقيلاً بما صنع أو ضرب عنق مسلم بن عقيل صبرةً وغدرةً بعد الأمان، وقتلوا معه هاني بن عروة لأنه آواه ونصره، وتمثل بقول الشاعر 236/15 - 237:

فإن كنتِ لا تدرين ما الموت فانظري *** إلى هاني في السوق وابن عقيل

تري بطلاً قد هشم السيف رمحه *** وآخر يهوي من طمار قتيل

ثم عدّد كذلك ما فعله بنو أمية ببني هاشم فمن قُتل بالسيف أو بالسم، وما فعلوا: نبشوا زيد وصلبوه وألقوا رأسه توطؤً بالأقدام، وينقر دماغه الدجاج حتى قال القائل 15238:

اطردوا الديك عن ذؤابة زيدٍ *** طالما كان لا تطاه الدجاجُ

وتمثّل بقول شاعرهم 238/15:

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلةٍ *** ولم نر مهدياً مع الجذع يُصلبُ

وقستم بعثمانٍ عليّاً سفاهةً *** وعثمان خيرٌ من عليٍّ وأطيبُ

ثم عدّد مثالب أخرى لبني أمية وتمثّل بقول شاعرهم 238/15:

أفاض المدامع قتلى كُدى *** وقتى بكشوة لم تُرسِ

وبالزايين نفوس ثوت *** وأخرى بنهر أبي فطرسِ

ص: 17

وتمثل بقول بني هاشم 15 / 238 - 239:

واذكروا مصرع الحسين وزيداً*** وقتيلاً بجانب المتراس

والقتيل الذي بنجران أمسى*** ناويا بين غربة وتناس

وتمثل بقول الراجز يذكر دولة بني هاشم 15/240:

قد رفع الله رماح الجنّ*** وأذهب التعذيب والتجنّي

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من وصية للحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين :

من الوالد الفاني المقر للزمان، المدير العمر، المستسلم للدهر، الدام للدينا، الساكن مساكن الموتى، الظاعن عنها غدا، المولود المؤمل، ما لا يدرك، السالك سليل من قد هلك؛ غرض الأسقام، ورهينة الأيام، وأسير الموت، وحليف الهموم وقرين الأحزان، ونصب الآفات، وصريع الشهوات وخليفة الأموات 9/16.

لتلك الوصية استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول :

[عندما أراد الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مغادرة العراق إلى المدينة، ولما صار بدير هند نظر إلى الكوفة وقال 16 / 16:

ولا من قلبي فارقت دار معاشري*** هم المانعون حوزتي وذماري

خطب الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بعد وفاة أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فأخبر القوم بوفاة أبيه ثم قدم نفسه لهم وعرفهم بنفسه، ولما انتهى من خطبته قام عبد الله بن عباس بين يديه فدعا الناس إلى بيعته، فاستجابوا وقالوا : ما أحبه إلينا وأحقه

ص: 18

بالخلافة! فبايعوه ثم نزل من المنبر.

ودسَّ معاوية رجلاً من حمير إلى الكوفة، ورجلاً من بني القين إلى البصرة يكتبان إليه بالأخبار فدُلَّ على الحميري وعلى القين فأخذوا فقتلوا. وكتب الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى معاوية :

أما بعد : فإنَّك دسست إلى الرجال، كأنَّك تحبُّ اللقاء؛ لا شكَّ في ذلك فتوقَّعه إنشاء الله، وبلغني أنك شمتت بما لم يشمت به ذو الحجى؛ وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول [31 / 16]:

فإنَّا ومن قد مات منَّا لكالذي *** يروح فيمسي في المبيت ليفتدي

فقل للذي يبغى خلاف الذي مضى *** تجهَّز لأخرى مثلها لكأنَّ قد»

فأجابه معاوية :

[أما بعد : فقد وصل كتابك، وفهمنا ما ذكرت فيه، ولقد علمت بما حدث فلم أفرح ولم أحزن ولم أشمت ولم آس، وإن عليا أبأك، كما قال أعشى بني قيس بن ثعلبة [31 / 16]:

فأنت الجواد وأنت الذي *** إذا ما القلوب ملأن الصدورا

جديراً بطعنة يوم اللقاء *** يُضرب منها النساء النحورا

وما مزيداً من خليج البحار *** يعلو الأكام ويعلو الجسورا

بأجود منه بما عنده *** فيعطي الألوفا ويعطي البدورا

وكتب عبد الله بن عباس من البصرة إلى معاوية :

ص: 19

[أما بعد : فإنك دسست أخابني القين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش بمثل ما ظفرت به من يمانيتك لكما قال

أمية بن أبي الأسكر 16 / 32]:

لعمرك إني والخزاعي طارقاً***كنعجة عار حنتفها تتحفراً

أشارت عليها شفرة بكرامها***فظلّت بها من آخر الليل تنحراً

شمتَ بقومٍ من صديقك أهلكوا***أصابهم يومٌ من الدهر أصفراً]

فأجابه معاوية :

[أما بعد : فإن الحسن بن علي قد كتب إليّ بنحو ما كتبت، وأنبأني بما لم يُحقّق سوء ظن ورأيٍ فيّ، وأنك لم تصب مثلي ومثلكم وإنما مثلنا

كما قال طارق الخزاعي يجيب أمية عن هذا الشعر 16 / 32:

فوالله ما أدري وإني لصادقٌ***إلى أي من يظننني أتعدّراً

أُعنّف إن كانت زبيبة أهلكت***ونال بني لحيان شراً فأنفروا]

وكتب معاوية كتاباً إلى الحسن (عليه السّلام) يستميله ويهدّده في آنٍ واحد وختم الكتاب بقول الأعشى بن قيس بن علبة 16 / 37:

وإن أحدٌ أسدى إليك أمانةً***فأوفٍ بها تُدعى إذا متّ وافيًا

ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى***ولا تجفهِ إن كان في المال فانيا

ولقوله (عليه السّلام) :

.. وإياك ومشاورة النساء فإن رأيهنّ أفن، وعزمهنّ إلى وهن».

ص: 20

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول :

[لما بلغ فاطمة إجماع أبي بكرٍ على منعها فدك لاثت خمارها وقصدت أبا بكرٍ في جمعٍ من الأنصار والمهاجرين وألقت هناك خطبةً طويلة أبكت الحاضرين ثم تمثلت بقول هند بنت أاثاة 212/16:

قد كان بعدك أنباءً وهيمنةٌ***لو كنت شاهداً لم تكثر الخطبُ

أبدت رجالاً لنا نجوى صدورهم***لما قضيت وحالت دونك الكتبُ

تجهمتنا رجالاً واستخفَّ بنا***إذ نُحتَ عنَّا فنحن اليوم نُغتصبُ

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : من وصية له للحسن والحسين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) لما ضربه ابن ملجم لعنه الله :

«.. والله الله في جيرانكم، فإنه وصية نبيكم، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم» 15/17.

. استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول :

[سئل سليمان بن علي بن خالد بن صفوان عن ابنه (محمد وسليمان) وكانا جاريه، فقال :

- كيف أجازك جوارهما؟

فتمثل بقول يزيد بن مفرغ الحميري] :

سقى الله داراً لي وأرضاً***إلى جنب داري معقل بن يسارٍ

تركتهأ***فيالك جاري ذلّة وصغار

ص: 21

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : «(والصقُّ بأهل الورع والصدق ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يُبجّعوك بباطلٍ لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تُحدث الزهو وتُدني من العزّة)».

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول 17 / 44 - 45:

[قال خالد بن عبد الله القسري إلى عمر بن عبد العزيز يوم بيعته :

- من كانت الخلافة زائنته فقد زينتها، وإن كانت شرفته فإنك لكما قال القائل] :

وإذا الدُرُّ زان حسنَ وجوهٍ*** كان للدُرِّ حسن وجهك زينا

فقال عمر بن عبد العزيز :

مستقبلين رياح الصيف تضربهم*** بحاصب بين أغوارٍ وجلمودٍ

- لقد أُعطي صاحبكم هذا مقولاً وحُرم معقولاً، وأمره أن يجلس.

في أحد أيام فتح مكة مكث رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في قُبَّة ساعةً من النهار، ثم دعا بإراخلته - بعد أن اغتسل وصلَّى - فأذِنَتْ إلى باب القُبَّة فخرج وعليه السلاح والمغفر على رأسه، وقد صَفَّ له الناس، فركبها والخيل تُسرِع ما بين الخندق إلى الحجون... وإذا بنات أبي أحيحة سعيد بن العاص بالبطحاء وإزاء منزل أبي أحيحة، وقد نُشِرت شعورهن، فلطمن وجوه الحيل بالخمر، فنظر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى أبي بكر فتبسّم وأنشد قول حسَّان 17 / 278:

ص: 22

تظل جياتنا متعطراتٍ *** تُلطمهنَّ بالخمر النساءُ

كان قيس بن صبابه يوم فتح مكة عند أخواله بني سهم، فاصطحب الخمر في ذلك اليوم في ندامى له، وخرج ثملاً يتغنى ويتمثل بأبيات منها
: 115 / 18

دعيني أضح يا بكر أنني *** رأيت الموت نقب عن هشام

ونقب عن أبيك أبي يزيدٍ *** أخي القينات والشرب الكرام

يُخبرنا ابن كبشة أن سنحياً *** وكيف حياة أصدقاء وهام

إذا ما الرأس زال بمنكبيه *** فقد شبع الأنيس من الطعام

أقتلني إذا ما كنت حيًّا؟ وتحيني إذا رمّت عظامي؟

ولقوله (عليه السلام) :

«العلو وراثته كريمة والأداب حلالٌ مجددة، والفكر مرآة صافية».

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول 18 / 93 و 196:

[سأل الواثق عن خبر (إن) في البيت :

أظلم أن مصابكم رجالاً *** - أهدى السلام تحيةً - ظلم

فقال له؛ (رجلاً) فسأل عمن بقي من النحويين؟ فقليل له : أبو عثمان المازني، ولما شخص بين يديه صار يسأله عن عشيرته فيجيبه حتى سأله
عن خبر (إن) في البيت، فقال :

- (ظلم)، لأن البيت إن لم يجعل (ظلم) خبر إن يكون مقطوع الفائدة.

[ويضيف علي الفتال : لأن (أهدى السلام تحيةً) هو (تشكيل اعتراضى)

فبرفعه من جملة البيت تكون الجملة الباقية (أظلم أن مصابكم رجلاً ظلم) فتكون الجملة تامة ب (ظلم) .[

فقال الواثق : فَبَحَّ اللهُ من لا أدب له. ثم قال : - ألك ولد؟ فأجابه :

-ألك ولد؟

- بنية.

قال : فما قالت لك حين ودَّعتها؟

قال :

- قالت ما قالت أبيات الأعمى :

تقول ابنتي حين جدَّ الرجيل***أرانا سواء ومن قد يتم

أبانا فلا رمت من عندنا***فإنَّا بخير إذا لم ترم

أبانا إذا أصخرتك البلاد***نجصُّ ونقطع منا الرحم

فسأله الواثق :

فما قلت لها؟

قال :

- أنشدتها بيت جرير :

ثقي بالله ليس له شريك***ومن عند الخليفة بالنجاح

ص: 24

فقال الواثق :

- بالنجاح إنشاء الله.

ثم أمر له بألف دينار وكسوة، ومشى إلى البصرة.

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «أقبلوا ذوي المروءات عثراتهم، فما يعثر منهم عاثر إلا ويده بيد الله يرفعه».

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول 18 / 128 - 129:

سُئِلَ النِّظَامُ عَنِ الْمَرْوَةِ فَأَنْشَدَهُ بَيْتَ زَهِيرٍ :

السترُ دون الفاحشات ولا***يلقاك دون الخير من سترٍ

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : «إذا حبيت بتحيّةٍ فحبي بأحسن منها، وإذا أُسديت إليك فكافئها بما يُربي عليها، والفضل - مع ذلك - للبادي)

:201/18

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول 18 / 203:

[جاء رجلٌ إلى معاوية، وهو في مجلس العامة، فقال :

- يا أمير المؤمنين أن لي حرمة.

فقال :

- وما هي؟

قال :

- دنوت من ركابك يوم صفين، وقد قربت فرسك الشجر وأهل العراق قد رأوا الفتح والظفر، فقلت لك : والله لو كانت هند بنت عتبة مكانك ما فرّت ولا

ص: 25

اختارت إلا أن تموت كريمة أو تعيش حميدة، أين تفر وقد قلدتك العرب أزمّة أمورها وأعطتك قياد أعنتها؟ فقلت لي : أخفض صوتك لا أمّ لك! ثم تماسكت وثبتت وثابت إليك حماسك، وتمثّلت - حينئذ - بشعرٍ أحفظ منه :

أبت لي عفتي وأبى بلائي***وأخذي الحمد بالثمن الريح

واجشامي على المكروه نفسي***وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جأشت وجأشت***مكانك تُحمدي أو تستريحي

ولقوله (عليه السلام): «الشفيع جناح الطالب».

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول : 207/18:

[قال المبرّد لعبد الله بن يحيى بن خاقان، أنا شفيعُ إليك، أصلحك الله في أمر فلان، فقال له :

- قد سمعت وأطعت وسأفعل في أمره كذا، وما كان من نقص فعليّ، وما كان من زيادةٍ فله.

قال المبرّد :

- أنت - أطال الله بقاءك - كما قال زهير :

وجارٍ سار معتمداً إلينا***أجاءته المخافة والرجاء؟

ضمناً ماله فغداً سليماً***علينا نقصه وله النماء]

ولقوله (عليه السلام): «يهلك فيّ رجلاًن، محبٌ مفرط، وباهتٌ مُغتر».

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول 220/20 - 223:

ص: 26

اكتب ميمون بن مهران إلى عمر بن عبد العزيز برفقة رجلين وامرأة أبوها والثاني زوجها، وأن أبها زعم أن زوجها حلف بطلاقها، أن عليّ ابن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) خير هذه الأمة وأولادها برسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)

وكتب في أسفل الكتاب :

إذا ما المشكلات وردن يوماً***فحارت في تأمّلها العيونُ

وضاق العزم ذرعا عن نباها***فأنت لها أبا حفص أمين

لأنك قد حويت العلم طراً***وأحكمت التجارب والشؤونُ

وخلّفت الإله على الرعايا***فحظّك فيهم الحظّ الثمينُ

فجمع عمر بن عبد العزيز بني هاشم وبني أمية أفخاذ قريش، ولما استوضح عمر وتأكد من الرجل أكبّ ملياً ينكت الأرض بيده والقوم صامتون ينظرون ما يقوله، ثم رفع رأسه وقال :

إذا وليّ الحكومة بين قومٍ***أصاب الحقّ والتمس السدادا

وما خير الإمام إذا تعدّى***خلاف الحق واجتنب الرشادا

ثم قال للقوم :

- ما تقولون في يمين هذا الرجل؟

فسكتوا، وأوكلوا الأمر إليه، فالتفت إلى رجل من بني هاشم من ولد عقيل ابن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال له : ما تقول فيما حلف هذا الرجل يا عقيلي؟

- فقال كما قال الأول :

ص: 27

دُعيتم إلى أمرٍ ولما عجزتُم *** تناوله من لا يُداخله عجزُ

فلما رأيتم ذلك أبدت نفوسكم *** ندماً وهل يُغني من القدر الحرز

فاستحسنه عمر وطلب منه أن يقول رأيه، فقال، بعدم طلاقها، مستنداً إلى الرواية التي تقول: إن فاطمة (عليها السَّلامُ) كانت مريضة فاشتهدت عنة، وليس وقت عنب، ولما كان أبوها عندها وعليَّ (عليه السَّلامُ)، لم يكن في الدار فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): إن الله قادرٌ على أن يجيئنا به، ثم قال: اللهم اتتنا به من أفضل أمتي عندك منزلة فطرق على الباب ودخل ومعه يكتل قد ألقى عليه طرف رداه، فقال له النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ):

- ما هذا يا علي؟

فقال: عنبُ التمسته لفاطمة... إلخ.

فأقرَّ عمر بعدم صحة الطلاق، فدعا إلى أصحاب زوجته وقال:

- يا بني عبد مناف ما نجعل ما يعلم غيرنا ولا بنا عمي في ديننا ولكننا كما قال الأول:

تصيَّدت الدنيا رجالاً بفخِّها *** فلم يدركوا خيراً بل استقبحوا شراً

وأعماهم حُبُّ الغنى وأحمَّهم *** فلم يدركوا إلاَّ الخسارة والوزراً]

بعد أن ذكر العباس ما كان منه (عليه السَّلامُ) أن يتقدم لبياعه المسلمون فرفض أجابه الإمام علي (عليه السَّلامُ):

- اما أني أعلم أنهم سيولون عثمانة وليحدث البدع والأحداث، ولنن بقي

ص: 28

لأذكرنك، وإن قُتل أو مات لُيتداولنَّها بنو أمية بينهم، وإن كنت حيًّا لتجدني حيث تكهون، ثم تمثل 1 / 192 :

حلفت ربِّ الراقصات عشيةً غدون خفافاً يتردن المحصَّباً

ليجتلبن رهط بن يعمر غدوةً***نجيعا بنو الشداخ وِرداً مصلباً

ولقوله (عليه السَّلام) في ذم أصحابه :

«إنَّكم - والله - لكثيرٌ في الباحات قليلٌ تحت الرايات» 102/6.

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول 108 / 6 :

[إن امرأة الوليد بن عبد الملك تمثَّلت ببيتين من الشعر وهي تصفه -بعد تأنيبه - بكلامٍ مقذع وهما :

أسدٌ عليٌّ وفي الحروب نعامةٌ***ريداء تنفر من صغير الصافرِ

هلاً برزت إلى غزالة في الوغى***أم كان قلبك في جناحي طائر]

بعد أخذ وردِّ بين ابن عباس وابن الزبير، قال ابن الزبير :

- أتعيرُّ الزبير بالجبين؟ والله أنك لتعلم منه خلاف ذلك.

قال ابن عباس :

- والله إنني لا أعلم إلا أنه فرَّ وما كرَّ، وحارب وما صبر، وباع فما تمَّم، وقطع الرحم، وأنكر الفضل، ورام ما ليس له بأهل] 327/9.

وأدرك منها بعض ما كان يرتجي***وقصَّر عن جري الكرام ووطَّدا

وما كان إلا كالهجين أمامه***عناقاً فجاراه العناق فأجهدا

ص: 29

وأُشِدُّ منشِدٌ عندَ عمرٍ قولَ طرفةٍ 11 / 82:

فلولا ثلاثٌ هنَّ من عيشةِ الفتى *** وجدَّك لم أحفل متى قام عُودِي

ومنهنَّ يبقي العاذلاتُ بشربةٍ *** كميتٍ متى ما تعلُّ بالماءِ تزبدِ

وكريِّ إذا نادى المطافُ مُحنيًا *** كسيدِ الفضا بَبَّهته المتورِّدِ

وتقصيرِ يومِ الدجنِ والدجنِ *** معجبِ بيهكنةِ تحتِ الطوافِ المُعمَّدِ

فقال عمر:

- وأنا لولا ثلاثٌ من عيشةِ الفنى لم أحفل من قام عُودِي؛ حُبِّي في الله، وبغضِي في الله، وجهادي في سبيلِ الله.

وأكلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قليلاً من التمر، وشرب عليه ماءً، وأمَرَ يده على بطنه وقال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله، ثم تمثَّلَ 19 / 187:

فإنك مهما تعطِ بطنك سُؤله *** وفرجك نالا منتهى الذمِّ أجمعا

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في ذكرِ عمر بنِ العاصِ 280 / 2:

«... أما بعد - وشرُّ القولِ الكذبُ - أنه ليقول فيكذب، ويعد فيخلف، ويُسأل فيبخل، ويسأل فيلحف، ويخون العهد، ويقطع الآل».

استشهد ابن أبي الحديد بمفاخرة بين الحسن بن علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ورجال قريش، وكان منهم عمر بن العاص فأجابهم الحسن (عَلَيْهِ

السَّلَامُ) واحداً واحداً ذاكراً عيوبهم ومواقفهم من الإسلام في بداية دعوته حتى انتهى إلى عمرو بن العاص، فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) 292 / 6:

ص: 30

ويحك يا ابن العاص، الست القائل في بني هاشم لما خرجت من مكّة إلى النجاشي؟:

تقول ابنتي أين هذا الرحيل***وما السير مني بمستنكرٍ

فقلتُ ذريني فإني امرؤٌ***أريد النجاشي في جعفر

الأكويهُ عنده كيّةٌ***أقيم بها نخوة الأصعر

وشاني أحمد من بينهم***وأقولهم فيه بالمنكرِ

وأجري إلى عتبةٍ جاهداً***ولو كان كالذهب الأحمرِ

ولا أنثي عن بني هاشمٍ***وما اسطعتُ بالغيب والمحضر

فإن قبل العتب مني له***وإلا لويتُ له مشفري

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عند دفن سيّدة النساء فاطمة (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، كالمناجي به رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عند قبره 10 / 290:

«السلام عليك يا رسول الله مني ومن ابنتك النازلة إلى جوارك، والمسرعة للحاق بك، قلّ - يا رسول الله عن صفيّتك صبري، ورقّ عنها تجلّدي... أما حزني فرمد وأما ليلي فمسهد، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مُقيم».

وتمثل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عند قبر فاطمة (عَلَيْهَا السَّلَامُ) 288/10:

ذكرتُ أبا أروى فبتُّ كأنني***بردّ الهموم الماضيات وكيلُ

لكلِّ اجتماعٍ من خليلين فرقةٌ***وكل الذي دون الفراق قليلُ

وإن افتقادي واحداً بعد واحدٍ***دليلٌ على أن لا يدوم خليلُ

توضيح:

لكلّ أمةٍ تراثها الشعبي، وهو متواصلٌ عبر عصورها التاريخية. وأمتنا العربية غنية بهذا التراث، وهو يتواصل حتى يومنا هذا. ولما كنت قد وجدن عيّنات، لا بأس بها من هذا التراث، ولتواصلها مع ما نراه اليوم، رأيت من المناسب أن أفرد له فقرة قائمة بذاتها، ولعلاقة ذلك بشعرنا العربي الذي تكثرت فيه الإشارات إلى هذا التراث.

صيد الحيوان

قال الإمام علي (عليه السلام)، من كلامٍ له لما أُشير عليه أن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال 1 / 223:

«والله لا أكون كالضبع تنام على الدم؛ حتى يصل إليها طالبها ويختلها راصده».

والعرب تقول في رموزها وأمثالها: (أحمق من ضبع) ويزعمون أن الصائد يدخل عليها وُجارهها، فيقول لها: (اطرقي أم طريقتي، خامري أم عامر). ويكرّر ذلك عليها مرارا.

ص: 35

معنى (اطرفي أم طريقي): طأطني رأسك، وكناها ب (أم طريقي) لكثرة إطرافها، ومعنى (خامري): إلزمي وجارك واستري فيه، فتلجأ إلى أقصى مغارها وتتقبض فيقول: أم عامر ليست في وجارها... أم عامر نائمة. فتمد يديها ورجليها وتستلقي، فيدخل عليها فيوثقها، وهو يقول:

ابشري أم عامر بكم الرجال، ابشري أم عامر بشاء هزل وجرادٍ عظلي. فثشد عراقيها فلا تتحرك، وإلى هذا أشار الكمي 1/ 224:

فعل القرة للمقالة***خامري يا أم عامر

وقال الشنفرى:

(و) تعيرون أن قبري محرم***عليكم ولكن خامري أم عامر

إذا ما مضى رأسي وفي الرأس أكثرى***وغودر عند الملتقى ثم سائري

هنالك لا أرجو حياةً تسرني***بحبس الليالي ميسلاً بالجرائر

الحسد: قال منصور الفقيه / 316/1:

منافسة الفتى فيما يزول***على نقصان همته دليل

ومختار القليل أقل منه***وكل فوائد الدنيا قليل

وقال أبو تمام / 319/1:

وإذا أراد الله نشر فضيلة***طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت***ما كان يُعرف طيب عرف العود

لولا محاذرة العواقب لم تزل***للحاسد النعمي على المحسود

ص: 36

وقال آخر 1/ 317:

قل للحسود إذا تنفس ضغنه***يا طالما وكأنه مظلوم

وقال آخر/ 318:

يا طالب العيش في أمن وفي دعة***محضاً بلا كدرٍ صفواً بلا رنقٍ

خلّص فؤادك من غلٍّ ومن حسدٍ***فالغلُّ في القلب مثل الغلِّ في العنقِ

ومن الشعر المنسوب إلى الكميت الأسدي أو بشراً 1/ 318:

إن يحسدوني فإنّي غير لائمهم***قبلاً من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم مابي وما بهم***ومات أكثرنا غيظاً بما يجدُ

وقال أبو الأسود الدؤلي 1/ 319:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه***فالكلُّ أعداءٌ له وخصومٌ

لضرائر الحسناء قلن لوجهها***- حسداً وبغياً - إنّه لدميمٌ

التطير والفأل

ولقوله (عليه السّلام) :

«إنّ العين حق، والرقى حق، والسحر حق والفأل حق، والطيرة ليست بحق، والعدوى ليست بحق والطيب نشرة، والعسل نشرة، والركوب نشرة، والنظر إلى الخصرة نشرة».

الأقوال الإمام (عليه السّلام) تلك استشهد ابن أبي الحديد بشواهد من القصص والشعر كثيرة ندرجها في ما يأتي :

ص: 37

قال الشاعر 19 / 374:

لا يعلم المرء ليلاً ما يُصَبِّحُه***إلا كوافد ما يجري به الفأل
والفأل والزجر والكهَّان كلُّهم***مظلَّلون ودون الغيب أفعالُ

وقال لبيد 19 / 375:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى***ولا زاجرات الطير ما الله صانعُ

وُنسبَ إلى المرقش 19 / 375:

لا يُقَدِّنكَ عن بقا***ءالخير تقعاد العزائم
فلقد غدوتُ وكنت لا***أغدو على راقٍ وحائم
فإذا الأشائمُ كالأيا***من والأيامن كالأشائم
وكذاك لا خيرٌ ولا***شرٌّ على أحدٍ بدائم

وقال مزرد بن ضرار 19 / 375:

واني امرؤ لا نقشعرُ ذوابتي***من الذئب يعوي والغراب المُحجَّلِ

وقال الكميت 19 / 375:

ولا أنا ممن يزجر الطير همَّة***أصاح غرابٍ أم تعرَّض ثعلبُ

وقال لبيد 19 / 375:

فلئن بعثتُ من البُغا***ة فما البُعاة بواجدينا

* تجهَّز النابغة الذبياني للغزو - واسمه زياد بن عمر - مع زيان بن سيَّار الفزاري، فلما أراد الرحيل سقطت عليه جرادة فتطير وقال :

ص: 38

- ذات لونين تجرد، غري من خرج.

فأقام ولم يلتفت زبان إلى طيرته، فذهب ورجع غانما فقال 378 / 19:

تطير طيرة يوماً زياداً*** لتخبره وما فيها خبير

أقام كأن لقمان بن عادٍ*** أشار له بحكمته مشير

تعلم أنه لا خير إلا*** على متطير وهو الثبور

بلى، شيء يوافق بعض شيء*** أحياناً وباطله كثير

وقال كثير بن عبد الرحمن 378 / 19:

تيممت لهاً أبتغي العلم عندها*** وقد صار عام الطائفين إلى لهب

*كان للعرب كاهنان؛ اسم أحدهما (شق)، وكان نصف إنسان، واسم الآخر (سطيح)؛ وكان يطوي طي الحصير، ويتكلمان بكل أعجوبة في الكهانة، فقال ابن الرومي 379/19:

لك رأى كأنه رأى شق*** وسطيح قريقي الكهان

يستشف الغيوب عما توارى*** بعيون جلية الإنسان

كان مسيلمة قد أحكم علم الحزاة والزجر والحظ فعمد إلى بيضة فصب عليها خللاً حاذقاً قاطعاً، فلانت حتى إذا مسها الإنسان استطالت ودقت كالعلك، ثم أدخلها قارورة ضيقة الرأس وتركها حتى انتظمت واستدارت وجمدت فعادت كهيأتها الأولى، فأخرجها إلى قوم وهم أعراب واستغواهم بها، فيها قيل:

(و) بيضة قارور وراية شادن*** وتوصيل مقطوع من الطير حاذق

أراد (براية شادن) : الطيَّارة الورقية.

وقال شاعر في الطيرة 380 / 19:

وأمنع الياسمين الغض من حذري *** عليك، إذ قيل لي نصف اسمه يأس

وقال آخر 380 / 19:

أهدت إليه سفر جلاً فتطيِّراً *** منه وظلّ مفكراً مستعبراً

خوف الفراق لأن شطر هجائه *** سفرٌ وحقُّ له بأن يتطيِّراً

وقال آخر 380 / 19:

يا ذا الذي أهدى لنا سوسناً *** ما كنت في إهدائه محسناً

نصف اسمه سوءٌ فقد ساءني *** ياليت أنّي لم أر السوسناً

ومثله 380 / 19:

لا تراني طول دهري *** أهوى الشفانقا

إن يكن يشبه الخدو *** د فنصفه اسم شقا

وكانوا يتفاءلون بالأس لدوامه، ويتطيِّرون من النرجس لسرعة انقضائه ويُسمُّونه (الغدار). قال العباس بن الأحنف 380 / 19:

إنّ الذي سمّاك يا منيتي *** بالنرجس الغدار ما أنصفا

لو أنه سمّاك بالآسة *** وفيت أن الأس أهل الوفا

خرج كثير يريد عزة ومعه صاحبٌ له من نهد، فرأى غرابة ساقطاً فوق بانه ينتف ريشه، فقال النهدي : إن صدق الطير فقد ماتت عزة.

ص: 40

فوافي أهلها وقد أخرجوا اجنازتها، فقال 19 / 380:

وما أعيَفَ النهديُّ لا درَّ درُّه *** وأزجره للطير لا عزَّ ناصرُه

رأيت غراباً ساقطاً فوق بانه *** يُنتف أعلى ريشه و يُطايِره

فقال غرابٌ لا غراب، وبانه *** لبين، وفقد من حبيبٍ تعاشرُه

وقول الشاعر 19 / 381:

وسمَّيته يحيى ليحيا ولم يكن *** إلى ردِّ حكم الله فيه سبيلاً

تيممتُ فيه الفأل حين رزقته *** ولم أدر أنَّ الفأل فيه يغيلُ

ومن مذاهب العرب أنهم إذا أُجذبت وأمسكت السماء عنهم وأرادوا أن يستمطروا عمدوا إلى السَّلَع والعُشْر، فحزموها وعقدوها في أذنان البقر، وأضرموا فيها النيران، وأصعدوها إلى جبل وعر، واتبعوها بدعوى الله ويستسقونه؛ وإنما يضرمون النيران بأذنان البقر تفاؤلاً للبرق بالنار، وكانوا يسوقونها نحو المغرب، من دون الجهات.

قال أمية بن أبي الصلت يذكر هذا 19 / 382:

سنة أزيمة تُبرِّح بالنا *** س ترى للعضاة فيها صريرا

لا على كوكب تنوء ولا ري *** ح جنوب ولا ترى طحورا

ويُسقون باقر السهل للطو *** د مهازيل خشية أن تبورا

عاقدين النيران في تلکم الأذ *** ناب منها لكي تهيج البحورا

سَلَع ما ومثله عُشْر *** عامل ما وعالت البيقورا

ص: 41

وقال أعرابي (يعيب العرب بفعلهم هذا) 382/ 19:

شفعنا ببيقورٍ إلى هاطل الحيا*** فلم يُغنِ عنَّا ذاك بل زادنا جدبا
فعدنا إلى ربِّ الحيا فأجارنا*** وصيرَّ جذب الأرض من عنده خصبا

وقال آخر 382/ 19:

قل لبني نهشل أصحاب الحوز*** أتطلبون الغيث جهلاً بالبقر؟

وسلِّع من بعد ذلك أو عُّشُرُ*** ليس بذا يجل الأرض المطر

وقال آخر 383/19:

لا درَّ درُّ رجال خاب سعيهم*** يستمطرون لدى الإعسار بالعُشُرِ

أجعلُ أنت بيقوراً مسلَّعةً*** ذريعةً لك بين الله والمطرِ

ومن مذاهبهم أنهم إذا أوردوا البقر فلم تردُّه ضربوا الثور ليقتحم الماء، فتقتحم البقر بعده، ويقولون: إنَّ الجنَّ تصدُّ البقر عن الماء، وإنَّ الشيطان يركب قرني الثور.

قال السليك بن السلكة 384 / 19:

إنِّي وقتلي سليكاً حين أعقله*** كالثور يُضرب لما عافت البقرُ

وقال نهشل بن مري 384 / 19:

كذاك الثور يُضربُ بالهراوى*** إذا ما عافت البقرُ الظمَاءُ

وقال آخر 384 / 19:

كالثور يُضرب للورود إذا تمنَّعت البقرُ

وقال آخر 19 / 384:

فلا تجعلوني كالبقير وفحلها***يَكْسُرُ ضرباً وهو للورد طائِع

وما ذنبه إن لم يرد بقراته***وقد فاجأتها عند ذاك الشرائع

وقال الأعمش 19 / 385:

لكالثور والجني يضرِب وجهه***وما ذنبه إن عافت الماء مشرباً

وما ذنبه إن عافت الماء باقره***وما أن يعاف الماء إلا ليضرباً

ومن مذاهبهم : تعليق الحلبي والجلجل على اللديغ يرون أنه يفيق بذلك. ويقال إنما يُعلِّق عليه لأنهم يرون أنه إن نام يُسْرَب السم فيه فيهلك، فشغلوه بالحلي والجلجل وأصواتها عن النوم، وهو قول النظر بن شَمَّيل، وبعضهم يقول : إذا علَّق عليه حلي الذهب برأ، إن علق عليه الرصاص أو حلي الرصاص مات.

وقيل لبعض الأعراب :

- أتريدون شهرة؟

فقال :

- إن الحلبي لا تشهر، ولكنها سنَّة ورثناها. وقال النابغة 19 / 385:

فبتُّ كائني ساورتنِي ظئيلة***من الرقش ين أنيابها السم نافع

يُسَهِّد من ليل التمام سليمها***لحلي النساء في يديه فعاقع

وقال أحد بني عذرة 19 / 385:

ص: 43

كانني سليم ناله كلم حية*** ترى حوله حلبي النساء مرصعا

وقال آخر 386/19 :

وقد عللوا في البطل في كل موضع*** وعروا كما غرّ السليم الجلاجل

وقال جميل بثينة 386/19 :

إذا مالديغ أبرأ الحلبي داءه*** فحليك أمسى يا بثينة دانيا

وقال عويمر النبهاني 386/19 :

فبتُّ معني بالهموم كآنتي*** سليم نفى عنه الرقاد الجلاجل

وقال آخر 386/19 :

كانني سليم سهد الحلبي عينه*** فراقب من ليل التمام الكواكبا

ومن مذاهبهم في العرّ يصيب الإبل يكوون الصحيح ليبراً السقيم. قال النابغة 386/19 :

وكلفنتي ذنب امرئ وتركته*** كذي العرّ يكوى غيره وهو رانع

وقال أحد الأعراب 386/19 :

كمن يكوى الصحاح يروم برء*** به من كل جرباء الإهاب

ومن مذاهبهم أنهم كانوا يفقؤون عين الفحل إذا بلغت ألفاً، كأنهم يدفعون العين عنها. قال الشاعر 387/19 :

فقأنا عيوناً من فحول بهازر*** وأنتم برعي البهم أجدى وأجدر وقال آخر 387/19 :

ص: 44

وهبتها وكنت ذا أفنانٍ *** تُفَقِّأُ فيها أعين البعران

وقال آخر 387/19 :

أعطيتها ألفاً ولم تبخل بها *** ففَقِّأْتُ عين فُحِيلها معتافا

ومن مذاهبهم أنهم إذا مات منهم كريم بلوا ناقته وبعيره، فعكسوا عنقها وأداروا رأسها إلى مؤخرها، وتركوها في حفيرة لا تُطعم ولا تُسقى حتى تموت، وربما أحرقت بعد موتهما، وربما سُلِخت ومُلئ جلدُها ثماماً.

وكانوا يزعمون أن من مات ولم يُبَلِّ عليه حُشْرَ ماشياً، ومن كانت له بلية حُشْرَ راكباً على بلية. قال جُربية بن الهشيم الفقعسي لابنه 388/19 :

ياسعد أما أهلكنَّ فإنني *** أوصيك أن أبا الوصايا الأقربُ

لا أعرفنَّ أباك يُحشِرُ خلفكم *** تعباً يجرُّ على اليدين وينكبُّ

واحمل أباك على بعيرٍ صالحٍ *** وتقي الخطيئة أن ذا هو أصوبُ

ولعلِّي لي مما جمعتُ مطيئةً *** في الحشِرِ أركبها إذا قيل اركبوا

وقال جريب أيضاً 388/19 :

إذا متُّ فادفني بجَدَاءٍ ما بها *** سوى الأحرصين أو يفوز ركبُ

فإن أنت لم تعرف عليَّ مطيئةً *** فلا قام في حالٍ لك الدهر جالبُ

ولا تدفني في صوئٍ وادفنتي *** بديمومةٍ تنزو عليا الجنادب

ومن مذاهبهم العقر على القبور؛ كقول زياد بن الأعجم في المغيرة بن المهلب 389/19 :

ص: 45

إن السّماحة والمرّوة صُمتاً***قبراً بمرّو على الطّريق الواضح

فإذا مررت بقبره فاعقرّ به***كوم الهجان وكلّ طرفٍ سابح

وانضح جوانب قبره بدمائها***فلقد يكون أخدامٍ وذباح

وقال الآخر 389/19 :

نفرت قلوصي عن حجارة حرّة***بنيّت على طلق اليدين وهوب

لا تنفري ياناق منه فإنه***شريب خمرٍ مسعرٍ لحروب

لولا السفار وبعد خرقٍ مهمّة***لتركتها تحبو على العرقوب

ومما ورد عن العرب في البلية قول أحدهم 390/19 :

أبيّ زودني إذا فارقتني***في القبر راحلةً برحلٍ فاتر

للبعث أركبها إذا قيل أركبوا***مستوثقين معاً لحشر الحاشر

وقال عويمّ النبّهاني 390/19 :

أبيّ لا تنس البليّة أنّها***لأبيك يوم نشوره مركوب

ومن مذاهبهم؛ إذا نفرت الناقة فسّميت لها أمّها سكنت من النفار. قال الراجز 391/19:

أقول والوجناء تقحّم***ويلك قل ما اسم أمّها يا علکم

وأشدّ السكري 391/19:

فقلت له ما اسم أمّها هات فادعها***تجك فيسكن روعها ونفارها

ومن مذاهبهم القول ب(الهامة) ذلك أنّهم كانوا يقولون :

ليس من يموت، ولا من يُقتل، إلا يخرج من رأسه هامة، فإن كان قَتيلٌ ولم يُؤخذ بثأره نادى الهامة على قبره : اسقوني فإني صدئة. وقيل إن الهامة هي إحدى هوام الأرض، أو أنها الصدى. قال أبو داود الأيادي 391/19 :

سَلَطَ الموت والمنون عليهم***فلهم في صدى المقابر هامٌ

وقال أحدهم لابنه 392/19 :

ولا تَرْقُونَ لي هامةً فوق مرقبٍ***فإنَّ زقاءَ الهام للمرء عائب

تنادي الا اسقوني وكلُّ صدىً به***وتلك التي تبيضُ منها الذوائب

وقال ذو الإصبع 392/19 :

يا عمرو وإلا تدع سقمي ومنقصتي***أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

وقال المجنون 392/ 19:

فيا ربُّ إن أهلك ولم تروِ هامتي***بليلي أمت لا قبر أعطش من قبري

وقال مفلس المفقسي 392/19 :

وأن أحاكم قد علمت مكانه***بسنح قبا تسفي عليه الأعاصرُ

له هامةٌ تدعو إذا الليل جنَّها***بني عامرٍ هل للهلاليِّ ثائرٌ؟

وقال توبة بن الحمير 1392/19 - 393:

ولو أن ليلي الأخيلية سلَّمت***عليّ ودوني جندلٌ وصفائحُ

لسلَّمت تسليم البشاشة أو زقا***إليها صدى من جانب القبرِ صائحُ

وقال قيس بن الملوِّح 393 / 19:

وهل تلتقي أصدأؤنا بعد موتنا؟***ومن دوننا مسٌ من الأرض أنكبُ

لظلَّ صدى رمسي وإن كنتُ رمّةً***لصوت صدى ليلي يهشُّ ويَطربُ

وقال حميد بن ثور 393/19 :

ألا هل صدى أمّ الوليد مكلمٌ***صداي إذا ما كنت رمسا وأعظما

ومن مذاهبهم أن في البطن حيّة إذا جاع الإنسان عصّت على شرسوفه وكبده، وقيل هو الجوع بعينه. قال الشاعر 393/19 :

لا يتأزى لما في القدر يرقبه***ولا تراه أمام القدر يقتفرُ

لا يُغمز الساق من أين ومن وصبٍ***ولا يطنُّ على شرسوفه الصفرُ

وقال أحد شعراء بني عيس يذكر قيس بن زهير لما هجر الناس وسكن الفيافي وأنس الوحش، ثم رأى ليلة ناراً فغشا إليها، فشمَّ عندها قثار اللحم، فنازعته شهوته فغلبها وقهرها، ومال إلى شجرة سلم فلم يزل يكدها ويأكل من ورقها إلى أن مات 394 / 19:

إن قيساً كان ميته كرمٍ والحيّ منطلقُ

شام ناراً بالهوى فهوى***وشجاع البطن يختفق

في أديسٍ ليس يستره***رَبُّ حُرِّ ثوبه خَلِقُ

* قوله : بالهوى / اسم موضع بعينه.

وقال أبو النجم العجلي 394 / 19:

ص: 48

إِنَّكَ يَا خَيْرَ فِتْيٍ تَسْتَعْدِي

عَلَى زَمَانٍ مُسْنِتٍ بِجَهْدٍ

عَضّاً كَعَضِّ صَفَرٍ بِكَبْدٍ

وفال آخر 394/19 :

أرثُ شجاعَ البطنِ قد تعلمينه*** وأورد غيري من عيالكِ بالطعمِ

ومن مذاهبهم أن الرجل كان إذا أراد دخول قرية فخاف وباءها، أو جنَّها، وقف على بابها، قبل أن يدخلها، فنهق نهيق الحمار، ثم علَّق عليه كعب أرنب، كان ذلك عوذة ورؤية من الوباء والجن، ويُسمون هذا التعشير. قال شاعرهم 394/19:

ولا ينفع التعشير إن حُمَّ واقع*** ولا زعزعٌ مُجدٍ ولا كعب أرنبِ

وقال الهيثم بن عدي: خرج عروة بن الورد إلى خيبر في رُقعة ليمتاروا فلما قربوا منها عَشَّروا، وعاف عروة أن يفعل فعلهم وقال 395/19:

لعمري لئن عَشَّرتُ من خيفة الردى*** نهاق حميرٍ أنني لجزوعٌ

فلا واءلت تلك النفوس ولا أتت*** فقولاً إلى الأوطان وهي جميعٌ

وقالوا ألا انهق لا تضرَّك خيبر*** وذلك من فعل اليهود وُلُوعٌ

ولوع، بالضم: الكذب؛ ولع الرجل إذا كذب. وقالوا أن رفقته مرضوا ومات بعضهم، ونجا عروة من الموت والمرض.

وقال آخر 395/19 :

ص: 49

لا يُنجِيَنَّكَ من حِمَامٍ واقعٍ *** كعبٌ تعلقَهُ ولا تعشيرٌ

وشابه هذا أن الرجل منهم كان إذا دخل في خلاة قلب قميصه، وصفق بيديه كأنه يومئ إلى إنسان فيهتدي. قال أعرابي 19 / 395:

قلبت ثيابي والظنون تجول بي *** وترمي برجلي نحو كلِّ سبيل

فلأياً بلأى ما عرفتُ جليتي *** وأبصرت قصداً لم يصب بدليل

وقال أبو العمَل الطائي 19 / 395:

فلو أبصرتني بلوى بطنٍ *** أصفّق بالبنان على البنان

فأقلب تارةً خوفاً ردائي *** وأصرخ تارةً بأبي فلان

لقلت أبا العمَلَس قد دهأه *** من الجتن خالعة العنان

* الأصل بقلب الثياب التفاؤل بقلب الحال.

ومن مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذا سافر عمد إلى خيط فعقده في غصن شجرة أو في ساقها، فإذا عاد نظر إلى ذلك الخيط، فإن وجده بحاله، علم أن زوجته لم تخنه، وإن لم يجده، أو وجده محلولاً، قال:

- خاتنتي.

وذلك العقد يُسمى الرتم، ويُقال: بل كانوا يعقدون طرفاً من غصن شجرة بطرف غصنٍ آخر. قال

الراجز 19 / 396:

هل ينفعنك اليوم إن همتَ بهم *** كثره ما توصي وتعداد الرتم؟

ص: 50

وقال آخر 19 / 396:

خانته لما رأت شيباً بمفرقه***وغرّه حلفها والعقد والرتم

وقال آخر 19 / 396:

لا تحسبن رثائماً عقّدتها***تنبك عنها باليقين الصادق

وقال آخر 19 / 396:

يُعَلِّ عمرؤ بالرتائم قلبه***وفي الحيّ ظبيّ قد أُحَلَّت محارمُه

فما نفعت تلك الوصايا ولا جنت***عليه سوى ما لا يُحِبُّ رثائمُه

وقال آخر 19 / 396:

ماذا الذي تنفَعك الرثائم***إذ أصبحت وعشقتها الملازم

وهي على لذاتها تُداوم***يزورها طبُّ الفؤاد عارم

وقد كانوا يعقدون الرتم للحُمى، ويُروى أن من حلها انتقلت الحُمى إليه.

قال الشاعر 19 / 396:

حللت رثيمةً فمكثت شهراً***أكابد كلَّ مكروه الدواء

ومن مذاهبهم أن المرأة المقلاة؛ وهي التي لا يعيش لها ولد، إذا وطئت القليل الشريف عاش ولدها، قال بشر بن خازم 19 / 397:

تظل مقاليت النساء يطأنه***يقلن ألا يُلقى على المرء منزراً؟

وقال الكميت 19 / 397:

وتطيل المرزآت المقالي***ت إليه لتعود بعد القيام

ص: 51

وقال آخر 397/19 :

تركنا الشعثمين برمل خبيثٍ***تزورهما مقاليت النساءِ

وقال آخر 397/19 :

بنفسي التي تمشي المقاليت حوله***يُطاف له كشحا هظيماً مُهشَّما

وقال آخر 397/19 :

تباشر المقالت حين قالوا***ترى عمرو بن مُرّة بالحفير

ومن مذاهبهم، أن الغلام منهم إذا سقطت له سنٌّ أخذها بالسبابة والإبهام واستقبل الشمس وقذفها بها، وقال :

- يا شمس أبدليني بسنٍّ أحسن منها وليجر في ظلّها أيأتك.

أو تقول : (أيأوك) وهما جميعاً شعاع الشمس.

قال طرفة 398 / 19 :

سقته آية الشمس إلا لثأته***أسفّ ولم تكدم عليه بأثمد

وإلى هذا المذهب أشار شاعرهم بقوله 398 / 19 :

شادنٌ يجلو إذا ما ابتسمت***عن أقاحٍ كأقاح الرمل غرٌّ

بدلته الشمس من منبته***بردأً أبيض مصقول الأشر

وقال آخر 368/19 :

وأشنب واضحٌ عذب الثنايا***كأنّ رضابُه صافي المدامِ

كسته الشمس لوناً من سناها***فلاح كأنّه برق الغمامِ

ص: 52

وقال آخر 19 / 398:

بذي أشرٍ عذب المذاق تفرّدت *** به الشمس حتى عاد أبيض ناصعا

ومن مذهبهم؛ أنهم كانوا يعتقدون أن دم الرئيس يشفي من عضّة الكلبِ الكلبِ، قال الشاعر 19 / 398:

بنات مكارمٍ وأساة جرحٍ *** دماؤهم من الكلب الشفاء

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي 19 / 398:

من خير بيتٍ علمناه وأكرمه *** كانت دماؤكم تشفي من الكلبِ

وقال الكميت 19 / 398:

أحلامكم لسقام الجهل شافيةٌ *** كما دماؤكم تشفي من الكلبِ

ومن مذهبهم أنهم إذا خافوا على الرجل الجنون وتعرّض الأرواح الخبيثة له نجّسوه بتعليق الأقدار عليه كخرقة الحيض وعظام الموتى وقالوا :
أنفع من ذلك أن تعلق عليه طامث عظام موتي، ثم لا يراها يوم ذاك.

فلو أن عندي جارتين وراقياً *** وعلق أنجاساً عليّ المعلق

قالوا : والتنجيس يشفي إلا من العشق، قال أعرابي 19 / 399:

يقولون علق - يا لك الخير - رمّةً *** وهل ينفع التنجيس من كان عاشقاً

وقالت امرأة وقد نجّست ولدها فلم ينفعه ومات :

نجّسته لو ينفع التنجيس *** والموت لا تفوته النفوس

وكان أبو مهديّة بعلّق في عنقه العظام والصوف حذر الموت، وأشدوا 19 /

ص: 53

أتوني بأنجاس لهم ومنجسٍ *** فقلت لهم: ما قدر الله كائنُ

ومن مذاهبهم أن الرجل منهم إذا خدرت رجله ذكر من يحب أو دعاه فيذهب خدرها. قال الشاعر 399/19:

: على أن رجلي لا يزال امذالها *** مقيما بها حتى أُجبلِك في فكري

وقال كثير 19 / 399:

إذا خدرت رجلي ذكركِ أشتفي *** بدعواكِ من مذلٍ بها فيهنُ

وقال جميل 399/19 :

وأنتِ لعيني قُرَّةٌ حين نلتقي *** وذكركِ يشفيني إذا خدرت رجلي

وقال امرأة 19 / 400:

إذا خدرت رجلي دعوت ابن مصعبٍ *** فإن قلتُ: عبد الله أجلى فتورها

وقال آخر 19/ 400 :

صبُّ محبِّ إذا ما رجله خدرت *** نادي كبيشة حتى يذهب الخدرُ

وقال المؤمِّل 19 / 400:

والله ما خدرت رجلي وما *** إلا ذكركِ حتى يذهب الخدرُ

وقال الوليد بن يزيد 19 / 400 :

أثيبي هانما كلفاً مُعني *** إذا خدرت له رجلٌ دعاكِ

ويضيف آل فتال : [أن بعض عجاتنا ما يزلن بؤمنً بذلك؛ فإذا خدرت

رِجْلُ إِحْدَاهُنْ ضَرَبَتْ عَلَيْهَا ضَرْبَاتَ خَفِيفَةٍ وَهِيَ تَخَاطِبُهَا : (كُومِي نَرُوحَ لِلْحَضْرَةِ، أَوْ لِلْعَرَسِ) .]

* ونظير هذا إذا الرجل منهم اختلجت عينه قال : أرى من أحبه؛ فإن كان غائباً توقَّع قدومه، وإن كان بعيداً توقَّع قربه، قال بشر 400/19 :

إذا اختلجت عيني أقول لعلَّها***فتاة بني عمرٍ بها العين تلمعُ

وقال آخر 400/19 :

إذا اختلجت عيني تيقَّنت أنني***أراكِ وإن كان المزار بعيداً

وقال آخر 400 /19:

إذا اختلجت عيني أقول لعلَّها***الرؤيتُها تهتاج عيني وتطرفُ

ويضيف الفئال : [بعض المعمرين يؤمنون بمذا؛ إذ يرون أن من تختلج عينه اليمنى فهو إشارة إلى سوء قد يلحقه، وإذا اختلجت عينه اليسرى فذلك إشارة إلى ما ينتظره من المسرَّات].

ومن مذاهبهم أن الرجل منهم إذا عشق ولم يسأل وأفرط عليه العشق حمله رجلٌ على ظهره كما يُحْمَلُ الصبي، وقام آخر فأحمي حديدة، أو ميلاً، وكوى به بين إلبته فيذهب عشقه، في ما يرون.

قال أعرابي 401 / 19:

كويتم بين رافقتي جهلاً***ونار القلب يضرمها الغرامُ

وقال آخر 401/19 :

ص: 55

شكوت إلى رفيقيّ اشتياقي ***فجاءني وقد جمعا دواء

وجاء بالطيب ليكوباني ***ولا أبغي - عدمتهما - اكتواء

ولو أتيا بسلمي حين جاء ***العاضاني من السقم الشفاء

وقال كثير 401/19 :

أغاضر لو شهدت غداة بنتم ***حنو العائدات على وسادي

أويت لعاشقي لم ترحميه ***بواقدة تلذع بالزناد

وقال أيضا 401/19 :

عفا الله عن أم الحويرث ذنبها ***علام تُعني وتكمي دوائيا

ولو آذوني قبل أن يرقموا بها ***لقلت لهم أم الحويرث دائيا

ومن مذاهبهم أنهم كانوا يزعمون أن الرجل إذا أحب امرأة وأحبته فشق برقعها وشقت رداءه صلح حبهما ودام، فإن لم يفعل ذلك فسد

حبهما. قال سحيم عبد بني الحسحاس 402/19 :

وكم قد شققنا من رداءٍ مُحَبَّرٍ ***ومن برقعٍ عن طفلةٍ غير عابسٍ

إذا شقُّ برْدُ شُقِّ بالبرْدِ بُرْقَعٍ ***دواليك حتى كلنا غير لابسٍ

نروم بهذا الفعل بقيا على الهوى ***وإلف الهوى يُغري بهذي الوسوس

وقال آخر 402/19 :

شقت رداءي يوم برفة عالجٍ ***وأمكنني من شقِّ برقعك السحفا

فما بال هذا الود يفسد بيننا ***ويمحق جبل الوصل ما بيننا محقا

ص: 56

ومن مذاهبهم أنهم كانوا يرون أن أكل لحوم السباع تزيد في الشجاعة والقوة، قال أحدهم 402/19 :

أبا المعارك لا تتعب بأكلك ما*** تظن أنك تلقي منه كرازا

فلو أكلت سباع الأرض قاطبة*** ما كنت إلا جبان القلب خوارا

وقال أحدهم، وأكل فؤاد الأسد ليكون شجاعة، فغدا عليه نمر فجرحه 402/ 19:

أكلت من الليث الهصور فؤاده*** لأصبح أجرا منه قلباً وأقدما

فأدرك مني ثاره بابن أخته*** فيا لك ثاراً ما أشد وأعظما

وقال آخر 402/19 - 403:

إذا لم قلب الفتى غدوة الوغى*** أصم فقلت الليث ليس بنافع

وما نفع قلب الليث في حومة الوغى*** إذا كان سيف المرء ليس بقاطع

ومن مذاهبهم أن صاحب الفرس المهقوع إذا ركبه فعرق تحته اغتلمت امرأته وطمحت إلى غيره.

* الهقعة : دائرة تكون بالفرس، وربما كانت على الكتف في الأكثر وهي مستقيمة عندهم، قال أحدهم لصاحبه 403/ 19:

إذا عرق المهقوع بالمرء لفظت*** حليلته وازداد حر عجانها

فأجابه صاحبه 403/19 :

[و] قد يركب المهقوع من ليس مثله*** وقد يركب المهقوع زوج حصان

ص: 57

ومن مذاهبهم المشهورة تعليق كعب الأرنب لدفع شرّ الجن وما إليهم، قال امرؤ القيس 19 / 404 :

أيا هند لا تنكحي بوهة*** عليه عقيقته أحسبا

موسعة بين أدباقه*** به عسم يتغي أرنا

ليجعل في رجله كعبها*** حذار المنية أن يعطبا

ويضيف الفتال : [ما يزال بعضهم بعلق فوق أبواب دورهم رأس غزال، نعال صغير، أو قطعة خزف زرقاء مفر نصة تسمى (أم سبع عيون) دفعاً لحسد الحاسدين من ذوي العيون (المالحة)].

وكانت العرب تعلق على الصبي سن ثعلب وسن هرة، خوفاً من الخطفة، ويقولون : إن جنية أرادت صبي قوم فلم تقدر عليه، فلامها قومها من الجن في ذلك، فقالت تعتذر إليهم 19 / 404 :

كان عليه نقرة

ثعلب وهرة

والحيض حيض الشمرة

ويضيف الفتال : [إن سكان الريف في العراق لم يزالوا يعلقون في رقاب أطفالهم معلقات عديدة، كال (ودعة) وسنّ الذيب والقلائد الملونة وقاية لهم من (الجنّ) و(العين الحاسدة)].

قال عبد الرحمن بن أخي الأصمعي : إن بعض العرب قال لأبي :

ص : 58

- إذا ولد لك ولد فنفر عنه.

فقال له أبي :

- وما التنفير؟

قال : - غرّب اسمه.

فولد له ولد فسمّاه قنفذة، وكنّاه أبا العداء. قال :

وأُنشد 404/19 :

كالخمر مزج دوائها منها بها***تشفي الصداع وتبرئ المنجودا

قال : يريد أن القنفذ من مراكب الجن، فداوي ولدهم منهم بمراكبهم.

ومن مذاهبهم : أن الرجل منهم إذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق الليل فعمد إلى وادي شجر فأناخ راحلته في قرارته، وعقلها وخطّ عليها خطاً ثم قال :

- أعوذ بصاحب هذا الوادي.

وربما قال بعضهم هذا الوادي.

عن هذا قال في القرآن الكريم

{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا. وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (الجن 6-7) }.

واستعاذ رجلٌ ومعه ولد فأكله الأسد فقال 405 / 19 :

ص: 59

قد استعدنا بعظيم الوادي

وشرّ ما فيه من الأعادي

فلم يجرنا من هزبر عادٍ

وقال آخر 19 / 405 :

أعوذ من شرّ البلا البعيد

بسيّد معظّمٍ مجيدٍ

أصبح بلوى بلوى زرودٍ

ذي عزّةٍ وكاهلٍ شديدٍ

وقال آخر 19 / 405 :

يا جن أجراء اللوى من عالج

عاذ بكم ساري الظلام الدارج

لا ترهقوه بفويّ هائج

وقال آخر 19 / 405 :

قد بتُّ ضيفاً لعظيم الوادي

المانعي من سطوة الأعادي

راحلتي في ج ارتي وزادي

وقال آخر 19 / 405 :

ص: 60

هيا صاحب الشجرء هل أنت مانعي***فإنني ضيفٌ نازلٌ بفنائكا

وإنك للجان في الأرض سيدٌ***ومثلك آوي في الظلام الصعالكا

ومن مذاهبهم أن المسافر إذا خرج من بلد إلى بلد آخر فلا ينبغي أن يلتفت إلا العاشق الذي يريد العود. قال أحدهم 406 / 19 :

دع التلفت يا مسعود وارم بها***وجه الهواجر تأمن رجعة لبلد

وقال آخر 406/19 :

صبري بالثعلبية لما***طال ليلى وملني قرنائي

كلما سارت المطايا بنامي***لأ تنفست والتفت ورائي

* قول ابن أبي الحديد في ذيك البيتين إنهما لا دليل فيهما على ما أراد لأن التلفت في أشعارهم كثير ومرادهم الإبانة والإعراب عن كثرة الشوق، والتأسف على المفارقة، وكون الراحل عن المنزل حيث لم يمكنه المقام فيه، بجثمانه فيتبعه بصره، ويتزود من رؤيته، كقول الرضي (رحمه الله) 406/19 :

ولقد مررت على طولهم***ورسومهم بيد البلي نهب

فوقفت حتى ضج من لغب***نضوي ولج بعذلي الركب

وتلفت عيني فمد خفيت***عني الطلول تلف القلب

وقال الصمة بن عبد الله 407/19 :

تلفت نحو الحبي حتى وجدنتني***وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا

وقال أحدهم في المذهب الأول 407/19 :

تَلَفَّتْ أَرْجُورُ جَعَةً بَعْدَ نَيْتِي *** فَكَانَ التَّفَاتِي زَائِدَةً فِي بِلَايَا

أَرْجُورُ جَعَةً بَعْدَ مَا حَالَ بَيْنَنَا *** وَبَيْنَكُمْ حُزْنَ الْفَلَا وَالْفِيَايَا

وَقَالَ آخِرُ، وَقَدْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَتَلَفَّتْ إِلَيْهِ 407/19 :

تَلَفَّتْ تَرْجُورُ جَعَةً بَعْدَ فَرْقَةٍ *** وَهِيَهَاتَ مِمَّا تَرْتَجِي أُمَّ مَازِنِ

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي جَمُوحٌ عَنَانُهُ *** إِذَا كَانَ مِنْ أَهْوَاهِ غَيْرِ مَلَائِنِ

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ؛ إِذَا بُرِّتْ شَفَةُ الصَّبِيِّ حَمَلٌ مَنخَلًا عَلَى رَأْسِهِ وَنَادَى بَيْنَ بِيوتِ الْحَيِّ :

- الحلا.. الحلا، الطعام.. الطعام.

فَتُلْقِي لَهُ النِّسَاءَ كَسْرَ الْخَبْزِ وَأَقْطَاعَ التَّمْرِ وَاللَّحْمِ فِي الْمَنخَلِ، ثُمَّ يُلْقَى ذَلِكَ لِلْكَلابِ، فَيَبْرَأُ مِنَ الْمَرَضِ، فَإِنْ أَكَلَ صَبِيًّا مِنَ الصَّبِيَّانِ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَاهُ لِلْكَلابِ...! أَصْبَحَ وَقَدْ تَرَّتْ شَفَتَاهُ وَأَنْشَدَ لَامْرَأَةٍ :

أَلَا حَلَا فِي شَفَةِ مَشْقُوقَةٍ *** فَقَدْ قَضَى مَنخَلْنَا حَقُوقَهُ

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ؛ أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا عَسَرَ عَلَيْهَا خَاطِبُ النِّكَاحِ نَشَرَتْ جَانِبًا مِنْ شَعْرِهَا، وَكَحَلَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهَا مَخَالَفَةً الشَّعْرَ الْمَنْشُورَ، وَحَجَلَتْ عَلَى أَحْدَى رِجْلَيْهَا، وَيَكُونُ ذَلِكَ لَيْلًا، وَتَقُولُ :

- يَا لِنِكَاحِ قَبْلِ الْفَجْرِ.

فَيَسْهَلُ أَمْرُهَا وَتَتَزَوَّجُ عَنْ قُرْبٍ. قَالَ رَجُلٌ لِمَنْدِيقِهِ وَقَدْ رَأَى أُمَّهُ تَفْعَلُ ذَلِكَ 408/19 :

أما ترى أمك تبغي بعلا***قد نشرت من شعرها الأقالاً

ولم توف مقلتيها كحلا***ترفع رجلاً وتحط رجلاً

هذا وقد شاب بنوها أصلا***وأصبح الأصغر منهم كهلاً

خذ القطيع ثم سمها الذلاً***ضرباً به ترك هذا الفعلاً

وقال آخر 408/19 :

قد كحلت عيناً وأعفت عيناً

وحجلت ونشرت قريناً

تظن زيناً ماتراه شيناً

وقال آخر 08/19 :

تصنعي ما شئت أن تصنعي

وكحلي عينيك أو لا فدعي

ثم احجلي في البيت أو في المجمع

مالك من بعل أرى من مطعم

ومن مذاهبهم؛ كانوا إذا رحل الضيف أو غيره عنهم وأحبوا أن لا يعود كسروا شيئاً من الأواني وراءه، قال أحدهم 409/19 :

كسرونا القدر بعد أبي سواح***فعاد وقد رنا ذهبنا ضياعاً

وقال آخر 409/19 :

ولا نكسر الكيزان في إثر ضيفنا***ولكننا نقفيه زاداً ليرجعا

ص: 63

وقال آخر 409/19 :

أما والله أن بني تُقْبِلُ *** لحاللون بالشرف اليفاع

أناسٌ ليس تكسر خلف ضيفٍ *** أوانيهم ولا شِعْبَ القصاع

ويضيف الفتال : [يرمون حجارات خلف من لا يريدون عودته قائلين : (سبع حجارات سود وراك) ومن يريدون عودته يرشون خلفه ماء].

ومن مذاهبهم؛ قولهم : أن من وُلِدَ في القمراء تَقَلَّصَتْ غُرْلَتُهُ فكان كالمختون، قال امرؤ القيس لقيصر، وقد دخل معه الحمام فرآه أغلف

: 409/19

إني حلفت يمينا غير كاذبة لأنت أغلف إلا ما جنى القمر

ومن مذاهبهم؛ التشاؤم بالعطاس، قال امرؤ القيس 409/19 :

وقد أغتدي، قبل العطاس، بهيكلٍ *** شديدٍ منيع الجنب فعم المُنْطَقِ

وقال آخر 409/19 :

وخرق إذا وجهت فيه لغزوةٍ *** مضيت ولم يحبسك عنه العواطس

ويضيف الفتال : [لما يزل معظم العراقيين يؤمنون أن العطسة الواحدة تعني (الصبر) أي : تأجيل ما كان يُنوي من عمل، وإن عطستين

تعنيان التعجيل في ما نُوي من عمل وتسمى (عجلة)].

ومن مذاهبهم؛ أنهم كانوا يُسْمُون العشا في الليل الهُدْبُد.

وأصل الهُدْبُد اللبن الخاثر، فإذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنامٍ فقطع منه قطعة ومن الكبد قطعة وغلاها، وقال عند كل لقمة يأكلها بعد

أن يمسح جفنه

ص: 64

فيا سناماً وكبئد

ألا أذهباً بالهؤبئد

ليس شفاء الهؤبئد

إلا السنام والكبئد

فيذهب العشا بذلك. [كما يرون].

ومن مذاهبهم : أن الورل والقنفذ والأرنب والظبي واليربوع والنعام والعصفوف مراكب الجن يمتطونها، ولهم في ذلك أشعار مشهورة، ويزعمون أنهم يرون الجن ويشاهدون الغول، وربما جامعوهما وقالوا : أن عمرو بن يربوع تزوج الغول وأولدها بنين، ومكثت عنده دهرا فكانت تقول له :

- إذا لاح البرق من جهة بلادي، وهي جهة كذا، فاستره عني، فإن لم تستره عني تركت ولدك عليك، وطرت إلى بلاد قومي، فكان ابن يربوع كلما برق البرق غطى وجهها بردائه، فلا تبصره، وإلى هذا المعنى أشار أبو العلاء المعري في قوله يذكر الإبل وحنينها إلى البرق 411/19 :

طربين لضوء البارق المتعالي***ببغداد وهنأ ما لهنّ ومالي

سمت نحوه الأبصار حتى كأنها***بناريه من هنأ وثم صوالي

إذا طار عنها سرّها لرؤوسها***تمدّ إليها في صدور عوالي

تحنّت قوبقأ والصراة أمامها***ترابّ لها من أينق وجمال

إذا لاح أيأ من سترت وجوهها***كأني عدو والمطيّ سعالي

وكم همّ نظوُّ أن يطير مع الصبا***إلى الشام لولا حسبه بعقال

* قالوا فغفل عنها عمر بن يربوع ليلة وقع لمع البرق فلم يستر وجهها فطارت وقالت له وهي تطير:

أمسك بنيك عمر أني آبق***برق على أرض السعالي آلق

* ومنهم من يقول: ركبت بعيرة وطارت عليه، أي أسرع فلم يدركها، وعن هذا يقول الشاعر: 412/19:

رأى برقاً فأوضع فوق بكرٍ***فلايكُ ما أسال ولا أغاما

* وبنو عمر بن يربوع يُدعون بني السعلاة، لذلك قال الشاعر يهجوهم:

ياقبَّح الله بني السعلاة

عمر بن يربوع شرار النات

ليسوا بأبطالٍ ولا أكيات

[أبدل السين تاءً في (الнат) و(أكيات) وهي لغة قوم من العرب]

ومن مذاهبهم؛ قولهم في الدعاء: لا عشت إلا عيش القراد. يضربونه مثلاً في الشدة والصبر على المشقة، ويزعمون أن القراد يعيش ببطنه، وبظهره عاماً، ويقولون: إنه يُترك في طينة ويُرمى بها الحائط فيبقى سنة على بطنه وسنة على ظهره ولا يموت. قال أحدهم 410/19:

فلا عشتَ إلا كعيش القرادِ***عاماً بطنٍ وعاماً بظهرٍ

ومن مذاهبهم؛ كانت النساء إذا غاب عنهن من يحبهن أخذن تراباً من

موضع رجله، كانت العرب تزعم أن ذلك أسرع لرجوعه. وقالت امرأة من العرب، واقتبضت من أثره 410/19 :

أخذت تراباً من مواطى رجله***غداة عدا كيما يؤوب مُسَلِّماً

ومن مذاهبهم؛ في الغول قولهم : إذا ضُربت ضربةً واحدةً بالسيف هلكت، فإذا ضُربت ثانيةً عاشت. وإلى هذا أشار الشاعر 412/19 :

فقال: ثنّ قلت لها: رويداً***مكانك أنّني ثبت الجنان

ومن مذاهبهم؛ اعتقادهم في الديك والغراب والحمامة وساق حُرّ - وهو الهديل - والحية؛ فمنهم من يعتقد أن للجن بهذه الحيوانات تعلّقات ومنهم من يزعم أنها نوع من الجن. ومن أشعارهم في مراكب الجن قول أحدهم في قنفذ رآه ليلاً 19 / 413 :

فما يعجب الجنان منكَ عدمتهم***و الأُسْدِ أفراسٍ لهم ونجائب

أيسرج يربوعٌ ويُلجم قنفذٌ***وقد أعوزتكم ما علمت النجائبُ

فإن كانت الجنان حنّت فبالحرى***ولا ذنب للأقوام واللّه غائب

ومن الشعر المنسوب إلى الجن 19 / 418 :

أيسمع الأسرار راكب قنفذٍ***لقد ضاع سرُّ الله يا أمَّ معبدٍ

ومن أشعارهم في رواية الجن وخطابهم وهتافهم ما رواه أبو عثمان الجاحظ السمير بن الحارث الضُّبي 414/19 :

ونارٍ قد خطأتُ بُعِيدَ وهنٍ *** بدارٍ لا أريدُ بها مقاما
سوى تحليلٍ راحلةٍ وعينٍ *** أكالتهَا مخافةً أن تناما
أتوا ناري فقلت: منون أنتم؟ *** فقالوا: الجُنُّ قلتُ: عموا ظلما
وقال أبو البلاد الطهوي، ويروى لتأبطُ شرًا 410/19 :
لهان على جُهينة ما ألقى *** من الروعات يوم رحا بطنِ
لقيت الغول تسري في ظلامٍ *** بسببِ كالعباءة صمصمانِ
فقلت لها كلانا نفض أرضٍ *** أخو سفرٍ فخلى لي مكاني
فشدت شدَّة نحوي فأهوى *** لها كفي بمصقولٍ يماني
فقلت: زد فقلت: رويد أني *** على أمثالها ثبت الجنانِ
والذين يروون هذا الشعر لتأبطُ شرًا يرون أوله 415/19 - 416 :
ألا من مبلغٍ فتیان جهمٍ *** بما لاقيت عند رحا بطنِ
بأنى قد لقيت الغول تلوي *** بحرثِ كالصحيفة صمصمانِ
فصدت فانتخبت لها بعضبٍ *** حسامٍ غير محتسبٍ يماني
فقدت سراتها والبرك منها *** فخرت لليدين وللجرانِ
فقلت: نثرت قلت لها: رويدا *** مكانك أنني ثبت الجنانِ
وما أنفك مضطجعا لديها *** لأنظر مصبحا ماذا دهاني
إذا عينان في رأسٍ دقيقٍ *** كرأس الهرة مشقوق اللسانِ
وساقا محذجٍ ولسانٍ كلبٍ *** وثوبٍ من عباءٍ أو شنانِ

وقال البهراني 416/19 :

وتزوَّجت في الشبيبة غولاً***بغزالٍ وصدقتي زقُّ خميرٍ

وقال أبو عبيدة بن أيوب العنبري أحد لصوص العرب 416/ 19:

تقول وقد ألممت بالأنس لمةً***مخضبة الأطراف خرس الخلاخلِ

أهدا خدين الغول والذئب والذي***يهيم بربات الحجال الهواكلِ

رأت فلق الدرسين أسود شاحباً***من القوم بساماً كريم الشمائل

تعوّد من آبائه فتكاتهم***وإطعامهم في كلِّ غبراء شاملٍ

إذا صاد صيداً لفه بضرامه***وشيكا ولم ينظر لغلي المراجلِ

ونهباً كنهس الصقر ثم مراسه***بكفيه رأس الشيخة المتماثل

ومن هذه الأبيات :

إذا ما أراد الله ذلَّ قبيلة***رماها بتشتيت الهوى المتخاذل

وأوّل عجز القوم عمّا ينوبهم***تقاعدهم عنه وطول التواكل

وأوّل خبث الماء خُبث ترابه***وأوّل لؤم القوم لؤم الحلائل

وقال عبيد بن أيوب أيضاً 417 / 19:

وصار خليل الغول بعد عداوة***وصفياً وربته القفا والبسباس

وقال أيضاً 417/19 :

فله دُرُّ الغول أيُّ رفيقة***لصاحب قفرٍ في المهامه يدعُرُ

أرنت بلحنٍ بعد لحين وأوقدت***حوالي نيراناً تلوح وتزهُرُ

ص: 69

وقال أيضاً 417/19 :

وغولاً قفراً ذكرٌ وأنثى*** كان عليهما قطع البجاد

وقال أيضاً 417/19 :

وقد لاقت الغيلان مني بليّة*** وقد لاقت الغيلان مني الدواهيا

وقال البهراني في قتل الغول 417 / 19:

ضربت ضربةً فصارت هباءً*** في محاق القمرأ أحرم شهر

وقال أيضاً، لما ثني عليها الضربة عاشت 417/19 :

فثنيتُ والمقدار يحرس أهله*** فليت يميني يوم ذلك سُلتُ

وقال تابطُ شراً يصف الغول ويذكر أنه راودها عن نفسها فامتنعت عليه فقتلها 417 / 19:

فأصبحتُ والفول لي جارة*** فيا جارة أنتِ ما أغولاً

وطالبتها بضعها فالتوت*** فكان من الرأي أن تُقتلا

فجللتها مرهفاً صار ما*** أبان المرافق والمفصلاً

فصار بقحف ابنة الجنّ ذا*** شقاشق قد أخلق المحملاً

فمن يك يسأل عن جارتِي*** فإن لها باللوى منزلاً

عضاءة أرضٍ لها حلّتان*** من ورق الطلح لم تُغزلاً

فكنتُ إذا همهمت ابتهلت وأخرى إذا قلت أن أفعلاً

ومن مذاهبهم؛ أحم إذا طالت علّة الواحد منهم، وظنّوا أن به مساً من

الجن، لأنه قتل جنيّة أو يربوعاً أو قنفذة، عملوا جمالاً من طين، وجعلوا عليها جوالق وملؤها حنطةً وشعيراً أو تمراً، وجعلوا تلك الجمال في باب جُحرٍ إلى جهة المغرب وقت غروب الشمس، وباتوا ليلتهم تلك، فإذا أصبحوا نظروا إلى تلك الجمال الطين، فإن رأوا أنما بحالها قالوا:

- لم تقبل الديّة.

فزادوا فيها. وإن رأوها قد تساقطت وتبدّد ما عليها من الميرة قالوا:

- قَبِلْتُ الدِيَّةَ.

واستدلوا على شفاء المريض وضربوا بالدف، قال أحدهم 19 / 418:

دعوتُ أبا المغوار في الجفر دعوةً***فما أصّ صوتي بالذي كنتُ داعياً

أظنُّ أبا المغوار في قعر مظلمٍ***تجرُّ عليه الذاريات السوافيا

وقال آخر 19 / 419:

وكم ناديتُهُ والليل ساجٍ***بعاديّ البئار، فما أجابا

وقال آخر 19/419:

غاب فلم أرجُ له إيابا

والجفر لا يُرجع لي جوابا

وما قرأتُ، مذناًى، كتابا

حتى متى أستنشد الركابا

عنه وكلُّ يمنع الخطابا

ص: 71

وقال آخر 420/19 :

ألم تعلمي أنني دعوتُ مجاشعاً*** من الجفر والظلماء بادٍ كسورها

فجاووني حتى ظننتُ بأنه*** سيطلع من جوفاء صعبٍ خدورها

لقد سكنت نفسي وأيقنت أنه*** سيقدم والدينا عجاباً أمورها

وقال آخر 420/19 :

دعوانه من عاديه نُصّب ماؤها*** وهدم جاليها اختلاف عصور

فردّ جواباً ما شككتُ بأنه*** قريبٌ إلينا بالإياب يصيرُ

[أقوى في البيت الثاني.]

ومن مذاهبهم؛ أنّهم إذا كانوا في الحرب ربما أخرجوا النساءَ فيبُلنَ بين الصفّين؛ يروون أن ذلك يُطفئ نار الحرب ويقودهم إلى السلم قال أحدهم 420 / 19 :

لقونا بأبوال النساء جهالة*** ونحن نلاقيهم ببيضٍ قواضبٍ

وقال آخر 420/19 :

بالت نساء بني خراشة خيفة*** منّا وأدبرت الرجال شلالاً

وقال آخر 420/19 :

بالت نساؤهم والبيض قد أخذت*** منهم ماخذٌ يُستشفى به الكلبُ

وقال آخر 421/19 :

جعلوا السيوف المشرفيّة منهم*** يوم النساء وقلّ ذلك غشاء

ومن مذاهبهم؛ ذكّر عزيّف الجن في المفاوز والسباسب، كقول أحدهم 421 / 19 :

وخرقٌ تُحدّثُ غيظانه***حديث العذارى بأسرارها

وقال آخر 421/19 :

ودويّةٍ سببٍ سحلقٍ***من البيد تعزف جتّانها

وقال الأعشى 421 / 19 :

وبهماء تعزف جتّانها***وناحلها آجناتٌ سُدمٌ

وقال 421/19 :

وبلدةٍ مثل ظهر الترسٍ موحشةٍ***للجنّ في الليل في حافاتها زجلٌ

وقال الشرقي بن قطامي :

كان رجلٌ من كلب - يقال له عبيد بن الحمارس - شجاعاً وكان نازلاً بالسماوة أيام الربيع، وقلّ ماؤه وانقطعت أنواؤه، تحمّل إلى وادي بُتل، فرأى روضةً وغديراً فقال : روضةٌ وغديرٌ وحطبٌ يسير، وأنا لما حويتُ مجير

فنزّل هناك، وله امرأتان؛ اسم إحداهما الرباب والأخرى خولة، فقالت له خولة 422 / 19 :

أرى بلدةً قفراً قليلاً أنيسها***وإنّنا لنخشى، إن دجا الليل، أهلها

وقالت الرباب 422 / 19 :

أرتك برأى فاستمع عنك قولها***ولا تأمنن جنّ الطريق وجهلها

ص: 73

فقال مجيباً لهما (كذا) 422 / 19 :

ألستُ كميّاً في الحروب مجرّباً***شجاعاً إذا شبّت له الحرب معرباً؟

سريعاً إلى الهيجا إذا حمس الوعى***فأقسم لا أعدو الغدير منكّبا

ثم صعد إلى جبل بُتّل فرأى مشيمة - وهي أنثى من القنفاذ - فرماها فأقصعها، ومعها ولدها، فارتبطه، فلما كان الليل هتف به هاتف من الجن 422 / 19 :

يا ابن الحمامس قد أسأت جوارنا***وركبت صاحبنا بأمرٍ مفضع

وعقرت لحقته وقدت فصيلها***توداً عنيفاً في المنيع الأرفع

ونزلت مرعى شائنا وظلمتنا***والظلم فاعله وخيم المرتع

فلنظرفنك بالذي أوليتنا***شرّ يجيئك ماله من مدفع

فأجابه ابن الحمامس 422 / 19 :

با مدّع ظلمي ولستُ بظالمٍ***اسمع لديك مقالتي وتسمّع

إن كنتم جناً ظلمتم قنفذاً***عقرت فشرّ عقيرة في مصرع

لا تطمعوا فيما لديّ فما لكم***فيما حويت وحزنه في مطمع

فأجابه الجنّي 422 / 19 - 423 :

يا ضارب اللقحة بالعضب الأفل

قد جاءك الموت ووافاك الأجل

وساقلك الحين إلى جنّ تُبّل

ص: 74

فاليوم أقويت وأعيتك الحِيلَ

فأجابه ابن الحمارس 19 / 423 :

ياصاحب اللقحة هل أنت بجل؟

مستمع مني فقد قلت الخطلُ

وكثرة المنطق في الحرب فشلُ

هيّجت قمقاماً من القوم بطلُ

ليث ليوثٍ وإذا همَّ فعلُ

لا يرهب الجنَّ ولا الإنسَ أجلُ

من كان بالعقوة من جنِّ تبُلُ

قال : فسمعهما شيخٌ من الجنِّ، فقال : لا والله لا نرى قتل إنسان مثلاً هذا ثابت القلب ماضي العزيمة، فقام ذلك الشيخ وحمد الله ثم أنشد

: 19 / 423 :

يا ابن الحمارس قد نزلت بلادنا***فأصبت منها مشرباً ومناماً

فبدأتنا ظلماً بعقر لقوحنا***وأسأت لَمَّا أن نطقت كلاماً

فاعمد لأمر الرشد واجتنب الردى***إتانا نرى لك حرمةً وذماماً

واغرم لصاحبنا لقوحاً متبعاً***فلقد أصبت بما فعلت أثاماً

فأجابه ابن الحمارس 19 / 423 :

الله يعلم حيث يرفع عرشه***إني لأكره أن أُصيب أثاماً

أما ادّعاؤك ما ادّعتَ فإنني***جئتُ البلاد ولا أريد مقاماً

ص: 75

فَأَسْمَتَ فِيهَا مَا لَنَا وَنَزَلَتْهَا***لَأَرْيَحَ فِيهَا ظَهْرَنَا أَيَّامًا

فَلْيُقَدِّرْ صَاحِبِكُمْ عَلَيْنَا نَعْطِهِ***مَا قَدْ سَأَلْتَ وَلَا نَرَاهُ غَرَامًا

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ؛ أَنْ لِكُلِّ شَاعِرٍ شَيْطَانًا يَلْقِي إِلَيْهِ الشُّعْرَ. قَالَ الرَّاجِزُ 19 / 424 :

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ صَغِيرَ السِّنِّ

وَكَانَ فِي الْعَيْنِ نُبُوٌّ عَنِي

فَإِنْ شَيْطَانِي أَمِيرَ الْجِنِّ

يَذْهَبُ بِي بِالشُّعْرِ كُلِّ فَرْقٍ

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ 19 / 424 :

إِذَا مَا تَرَعَرَعَ فِينَا الْغَلَامُ***فَمَا أَنْ يَقَالَ لَهُ مَنْ هُوَ؟

إِذَا لَمْ يُشَدِّ قَبْلَ شِدِّ الْإِزَارِ***وَذَلِكَ فِينَا الَّذِي لَا هَوَ

وَلِي صَاحِبٌ مِنْ بَنِي الشَّيْصِبَانِ***وَطَوْرًا أَقُولُ وَطَوْرًا هَوَ

وَكَانُوا يَزْعَمُونَ أَنَّ اسْمَ شَيْطَانِ الْأَعَشَى (مِسْحَلٍ) وَاسْمَ شَيْطَانِ الْمُخَبَّلِ (عَمْرُو)، قَالَ الْأَعَشَى 19 / 424 :

دَعَوْتُ خَلِيلِي مِسْمَحَلًا وَدَعَا لَهُ***جَهَنَّمَ جَدْعًا لِلْهَجِينِ الْمَذْمَمِ

وَقَالَ آخِرُ 19 / 424 :

لَقَدْ كَانَ جَنِّي الْفَرَزْدَقُ قَدْوَةً***وَمَا كَانَ فِينَا مِثْلَ فَحْلِ الْمُخَبَّلِ

وَلَا فِي الْقَوَافِي مِثْلَ عَمْرُو وَشَيْخِهِ***وَلَا بَعْدَ عَمْرُو شَاعِرٌ مِثْلَ مِسْحَلِ

وقال الفرزدق يصف قصيدته 19 / 424 :

كانها الذهب العقيان حيرها***لسان أشعر خلق الله شيطانا

وقال أبو النجم 19 / 424 :

إني وكلُّ شاعرٍ من البشرِ

شيطانه أثنى وشيطاني ذكر

وأنشد الخالغ فيما نحن فيه لبعض الرُّجَّاز 19 / 425 :

إنَّ الشياطين أتوني أربعة

في غلس الليل وفيهم زويعة

ومن مذاهبهم؛ أنهم كانوا إذا قتلوا الثعبان خافوا من الجن أن يأخذوا بثأره فيأخذون روثةً ويفتُّونها على رأسه ويقولون :

- روثةٌ راثٌ نأترك. قال أحدهم 19/425 :

طرحنا عليه الروث والزجر صادقٌ***فراث علينا ثأره والطوائلُ

وفي أمثالهم - لمن ذهب دمه هدرًا - (هو قتيل العين). قال الشاعر 19 / 425 :

ولا أكن كقتيل العين وسطكم***ولا ذبيحة تشريقٍ وتنحار

ومن مذاهبهم؛ اعتقادهم بالخرزات والأحجار والرُّقي والعزائم؛ فمنها السلوان - ويُقال السلوة - وهي الخرزة يُسقى العاشق منها فيسلو في

زعمهم، وهي بيضاء وشفَّافة. قال الشاعر 19/425 :

ص: 77

جعلتُ العراف اليمامة حكمة***وعرّاف نجدٍ إن هما شفياني

فقالا: نعم نشفي من الداء كلّه***فقاما مع العوّاد بيندرانِ

وقال آخر 426/19 :

سقوني سلوةً فسلوت عنها***سقى الله المنيةً من سقاني

وقال الشمردل 426/19 :

ولقد سُقيتُ بسلوةٍ فكأنما***قال المداوي للخيال بها ازدد

ومن خرزاتهم (الهتمة) تُجتَلَبُ بها الرجال وتُعْطَفُ بها قلوبهم، ورُقيتُها : [أخذته بالهتمة بالليل زوجٌ وبالنهـار أمة].

ومنها : الفطسة والقبلة والدرديس. كلُّها لاجتلاب قلوب الرجال. قال الشاعر 426/19 :

جمّعن من قَبْلِ لَهْنٍ وفطسةٍ***والدرديس تمانماً في منظم

فانقاد كلُّ مشذب مرس القوى***لحبالهن وكلُّ جردٍ شيطم

وقال آخر 426/19 :

قطعت القيد والخرزات عني***فمن لي من علاج الدرديس

[أصل الدرديس : الداهية، ونُقِلَ إلى هذه القوّة تأثيرها].

ومن خرزاتهم (القرزحلة). أنشد ابن الأعرابي 427 / 19 :

لا تنفع القرزحلة العجائزا

إذا قطعن دونها المفاوزا

ومنها الخصمة : خريزة للدخول على السلطان والخصومة، تُجعل تحت فص الخاتم، أوفي زر القميص، أوفي حمائل السيف، قال أحدهم
: 427 / 19

يُعلّق غيري خصمةً في لقائه***ومالي عليكم خصمةً غير منطقي

وقالت فارك في زوجها 428 / 19 :

أتبعته إذ رحل العيس ضحي

بعد النواة روثه حيث النوى

الروث للرت وللرأي النوى

وقال آخر 428 / 19 :

رمت خلفه لما رأته وشك بينه***نواةً تلتته روثه وحصاةً

فقلت: نأت منك الديار فلا دنت***وراثت بك الأخبار والرجعاتُ

وحصّت لك الآثار بعد ظهورها***ولا فارق الترحال منك شتات

وقال آخر يخاطب امرأته 428 / 19 :

لا تقذف خلفي إذا الركب اغتدى

روثةً غيرٍ وحصاةً ونوى

لن يدفع المقدار أسباب الرقى

ولا التهاويل علي جنّ الفلا

ص: 79

توضيح:

هذا لضوء يشتمل على موضوعات متفرقة، وكل موضوع له علاقة بكلام للإمام علي (عليه السلام) في استشهادات ابن أبي الحديد، كما هو الحال في الضوءين السابقين. والمتفرقات هي :

الرياء

قال الإمام (عليه السلام) - من خطبة له - : «فاحذروا من الله ما حذرکم من نفسه، واخشوه خشيةً ليست بتعذير، واعملوا في غير رياء، ولا سمعة، فإنه من يعمل لغير الله يكله إلى من عمل 312/1».

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر 326 / 1:

صلى وصام لأمرٍ كان يطلُّبه***حتى حواه فلا صلى ولا صاماً

الكرم :

ولقوله (عليه السلام): «ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خيراً له من المال يُورثه غيره 313/1».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر 328 / 1:

ص: 83

إذا أنت أعطيت الفتى ثم لم تجد***لديه بفضل الغيث مالك حامد

وقل عناءً عنك مالا جمعه***إذا كان ميراثاً وواراك لاحد

وقول حاتم الطائي 1 / 329:

أماوي إن يصبح صداي بقفرة***من الأرض لا ماءً لدي ولا خمراً

تري أن ما أنفقت لم يك ضررتي***وأن يدي ما بنخلت به صفر

أماوي ما يعني الثراء عن الفتى***إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

وقول أحد المحدثين 1 / 329 :

من اشترى بماله

من الشاء غبناً

أفقره سماحه

وذلك الفقر غنى

وقول أبي الطيب 1 / 329 :

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته***ما قاته وفضول العيش إشغال

صلة الرحم

ولقوله: «(عَلَيْهِ السَّلَامُ) لا يعدلن أحدكم عن القرابة يرى بها الخاصة أن يسدّها بالذي لا يُزيده إن أمسكه، ولا يُنقصه إن أهلكه، ومن يقبض يده عن عشيرته؛ فإنما تقبض منه عنهم يد واحدة، وتقبض منهم عنه أيد كثيرة 1 / 313».

استشهد ابن أبي الحديد بقول زهير بن أبي سلمى 1 / 330 :

ص: 84

ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخل بفضله***على قومه يُستغنَ عنه ويُذمم

وقول طرفة 1 / 330 :

وأنتَ على الأدنى شمالَ عَرِيَّةٍ***شَامِيَّةٍ تزوي الوجه بليلُ

وأنتَ على الأقصى صبي غير مرَّةٍ***تذاب منها مزرعٌ وأسيلُ

وقال المقنَّع الكندي 1 / 330 :

لهم جُلُّ مالي إن تتابع لي غني***وإن قلَّ مالي لا أُكَلِّفهم رفدا

ولا أحمل الحقد القديم عليهم***وليس رئيس القوم من يحمل الحقددا

الاعتذار

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، في معنى قتل عثمان : «لو أمرت به لكنتُ قاتلاً،

أو نهيت عنه لكنتُ ناصراً، غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير مني، وأنا جامعٌ لكم أمره، استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأساء الجزع، واللَّه حكمٌ واقع في المستأثر والجازع 2 / 126».

استشهد ابن أبي الحديد بالخبر الآتي :

[قال ضابي بن الحارث البرجي، إذ كان قد خرج على عثمان فحبسه لأنه هجا قوماً فنسبهم إلى أن كلباً يأتي أمهم، فقال لهم 2 / 160:

فَأُمَّكُمْ لا تتركوها وكلبكم***فإنَّ عقوق الوالدين كبيرُ

وذكر الخير رواية أخرى تقول أن ضابي بن الحارث البرجي، استعار - في

ص: 85

زمان الوليد بن عقبة - كلباً من قوم من الأنصار، يدعى (فرحان) لصيد الضباء، فحبسه عنهم فناغره الأنصاريون، واستغاثوا عليه بقومه فكاثروه فاتزعوه منه، وردّوه على الأنصار، فهجّاهم وقال في ذلك :

تجسّم دوني وفد فرحان خطّة***نقيل لها الوجناء وهي حسيّر

فباتوا شباعاً ناعمين كأنما***حباهم بيت المرزبان أمير

فكلبكم لا تركوا فهو أمكم***فإن عقوق الأمّهات كبير

فاستعدوا عليه عثمان فأرسل إليه فعزّره فحبسه، كما كان يصنع بالمسلمين، فاستثقل ذلك، فما زال في الحبس حتى مات فيه.

وقال في الفتك يعتذر إلى أصحابه :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني***فعلت ووليت البكاء قلاقله

وقائلة قد مات في السجن ضابئي***ألا من لخصم من يجد من يجادله

وقائلة ولا يُبعد الله ضابئاً***فنعم الفتى تخلّوبه وتحاوله

المغلاة

ولقوله (عليه السلام) : لما عزم على حرب الخوارج، وقيل له : إن القوم قد عبروا جسر النهروان - : «مصارعهم دون النطفة، والله لا يُغلب منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة.

روى أبو العباس إذ قال : لقد كان عليّ (عليه السلام) عشر على قوم خرجوا من محبته باستحواذ الشيطان عليهم، إلى أن كفروا برّبهم، وجحدوا ما جاء به

نبيهم، واتخذوه رباً وإلهاً، وقالوا : فاستتابهم وتوعدهم، فأقاموا على قولهم، فحفر لهم حفراً ودخن عليهم فيها طمعا في رجوعهم، فأبوا فمرقهم بالنار، وقال :

ألا ترون قد حفرتُ حفراً

إني - إذن - رأيتُ أمراً منكراً

وقدتُ ناري ودعوتُ قنبرا

وروى أبو العباس : أنه (عليه السلام)، مر بهم وهم يأكلون في شهر رمضان فقال :

- أسفر أم مرضى؟

قالوا :

- ولا واحدة منهما.

قال :

- أفمن أهل الكتاب أنتم؟

قالوا :

- لا.

قال :

- فما بال الأكل في شهر رمضان نهياً؟

قالوا :

ص: 87

- أنت أنت.

لم يزيدوه على ذلك.

ففهم مرادهم، ونزل عن فرسه فألصق خدّه بالتراب، ثم قال :

- ويلكم! أنا عبدٌ من عبيد الله، وارجعوا إلى الإسلام.

فأبوا، فدعاهم مراراً فأقاموا على أمرهم، فنهض عنهم ثم قال :

- شدوهم وثاقاً، وعليّ بالفعلة والنار والحطب.

ثم أمر بحفر بئرين فحُفرتا، فجعل إحداهما سرباً والأخرى (10) مكشوفة وألقى الحطب في المكشوفة، وفتح بينهما فتحاً، وألقى النار في الحطب، فدخن عليهم، وجعل يهتف بهم ويُناشدهم :

- ارجعوا إلى الإسلام.

فأمر بالحطب والنار، وألقى عليهم، فاحترقوا، فقال الشاعر 5/6:

لَتَرَمَّ بِي المنيَّةُ حيث شاءت *** إذا لم ترم بي في الحفرتين

إذا ما حسَّنا حطباً بناًرٍ *** فذاك الموت فقدأ غير دين

فلم يبرح واقفاً عليهم حتى صاروا حمماً.

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

«والله لو شئت لأخبرت كلَّ رجلٍ منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه الفعلة، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ألا وإني مفضية إلى الخاصَّة، ممن يُؤمِّن ذلك منه، والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق،

ما أنطق إلا صادقاً.

قال شاعرهم 10 / 13 :

ومن أهلك عاداً وثمرأة بدواهيه

ومن كلم موسى فوق طورٍ إذ يُناديه

ومن قال على المنبر يوماً، وهو راقيه،

سلوني أيُّها الناس فحاروا في معانيه

وقال أحد شعرائهم 10 / 13:

إنما خالق الخلائق من زع***زع أركان حصن خبير جذبا

قد رضينا به إماماً ومولى***وسجدنا له إلهاً ورباً

بين معاوية وعمرو بن العاص

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) «فأجمع رأي ملئكم على أن اختاروا رجلين؛ فأخذنا عليهما أن يُجمعجا عند القرآن ولا يُجاوزاه، وتكون ألسنتهما معه وقلوبهما تبعه، فتاها عنه وتركا الحقَّ وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما والاعوجاج رأيهما، وقد سبق استنثارنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحق سوء رأيهما، وأتيا بما لا يُعرف من معكوس الحكم.

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول :

[بعث معاوية كتاباً إلى عمرو بن العاص، وهو على مصر، إذ كتب إليه يقول 10 / 55 - 57 : (أما بعد؛ فإنَّ سُؤال أهل الحجاز وزوَّار أهل العراق كثروا

ص: 89

عليّ، وليس عندي فضلٌ من أعطيات الحجاز، فأعني بخراج مصر هذه السنة).

فكتب عمرو إليه :

معاوي إن تدريك نفس شحيحة***فما مصر إلا كالهباءة في الذبِّ

وما نلتها عفواً ولكن شرطتها***وقد وارت الحرب العدوان على قطبِ

ولولا دفاعي الأشعريّ ورهطه***لألفيتها ترغو كراغية السقب]

ثم كتب في ظاهر الكتاب :

معاوي حظي لا تغفل***وعن سنن الحق لا تعدلِ

أتسى مخادعتي الأشعري***وما كان في دومة الجندل؟

ألين فيطمع في تمرتي***وسهمي قد خاض في المقتلِ

فألظمه عسلاً بارداً***وأخبأ من تحته حنظلي

وأعليته المنبر المشمخر***كرجع الحسام إلى المفصلِ

فأضحى لصاحبه خالعاً***كخلع النعال من الأرجلِ

وأثبتها فيك موروثه***ثبوت الخواتم في الأنملِ

وهبت لغيري وزن الحبال***وأعطيتني زنة الخردلِ

وأن علياً غدا خصمنا***سيحتجُ بالله والمرسلِ

وما دام عثمان مُنحٍ لنا***فليس عن الحق من مزحلِ

بين مصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان

من كلام له (عليه السلام) كَلَّمَ به طلحة والزبير - بعد بيعته بالخلافة - وقد

عتبا عليه من ترك مشورتهم والاستعانة في الأمور بهما، قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«لقد نقتما يسيراً وأرجأتما كثيراً، ألا تُخبراني أيّ شيءٍ كان لكما فيه حقّ دفعتمكما عنه؟ أم أيّ قسمٍ استأثرت عليكما به؟ أو أيّ حقٍّ رفعه إليّ أحد المسلمين ضعفتُ عنه؟ أم جهلته؟ أم أخطأتُ بابه؟».

ثم قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : «رحم الله رجلاً رأي حقّاً فأعان عليه، أو رأي جوراً فردّه، وكان عوناً بالحق على صاحبه».

* كتب مصعب بن الزبير كتاباً إلى عبد الملك يقول فيه 11 / 8 و 18 :

ستعلم يا فتى الزرقاء أنني *** سأهتك من حلائلك الحجابا

وأترك بلدةً أصبحت فيها *** تهوّر من جوانبها خرابا

فكتب عبد الملك إليه :

أتوعدني ولم أرَ مثلَ يومي *** خشاش الطير يوعده العقابا؟

متى تلقى العقاب خشاش طيرٍ *** يُهتِك عن مقاتلها الحجابا

أتوعد بالذئاب أسود غابٍ *** وأشدُّ الغاب تلتهم الذئابا؟

إفشاء السر

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : «وذلك زمانٌ لا ينجو فيه إلا كلُّ مؤمنٍ نومةً؛ إن شهد لم يعرف، وإن غاب لم يُفتقد، أولئك مصابيح الهدى ويفتح لهم أبواب رحمته ويكشف عنهم ضرراً نقمته».

استشهد ابن أبي الحديد بقول صالح بن عبد القدوس 13/7 :

من يُخْبِرِك بِشْتِمٍ عَنْ أَحٍ *** فَهُوَ الشَّاتِمُ لَا مِنْ شَتْمِكَ

ذَاكَ شَيْءٌ لَمْ يُوَاجِهْكَ بِهِ *** إِنَّمَا اللُّومُ عَلَيَّ مِنْ أَعْلَمَكَ

كَيْفَ لَمْ يَنْصُرِكَ إِنْ كَانَ أَخَا؟ *** ذَا حِفَاظٌ عِنْدَ مَنْ قَدْ ظَلَمَكَ

وقول طريح بن إسماعيل الثقفي 13/7 :

إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ يَخْفَوهُ وَإِنْ عِلْمُوا *** شَرًّا أَدَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَبُوا

وقول الشاعر 221/11 :

كَتَمْتُ حَبِّكَ حَتَّى مَنَكَ تَكْرِمَةً *** ثُمَّ اسْتَوَى فَيْكَ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي

كَأَنَّهُ غَاضٌ حَتَّى فَاضَ مِنْ جَسَدِي *** فَصَارَ سُقْمِي بِهِ فِي جِسْمِ كَتْمَانِ

الخمر، وعمر بن الخطاب

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : «لَلَّهِ بِلَادُ فُلَانٍ، لَقَدْ قَوْمٌ الْأَوْدُ، وَدَاوُسُ الْعَمْدِ، وَأَقَامُ السُّنَّةَ، وَخَلَّفَ الْفِتْنَةَ، ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ قَلِيلَ الْعَيْبِ، أَصَابَ خَيْرَهَا، وَسَبَقَ شَرَّهَا، أَدَّى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ، رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طَرِقٍ مَتَشَعِّبَةً، لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ، وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمَهْتَدِي 12 /13».

فاستشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول :

[إن عمر بن الخطاب استعمل النعمان بن عدي بن نضلة على ميسان، فبلغه عنه الشعر الذي قاله، وهو 12 / 23 - 24 :

ص: 92

ومن مبلغ الحسناء أن حليلها***بميسان يشقى من زجاجٍ وحتيم
إذا شئت غنت في دهاقين قرية***وصناجةٍ تحدو على كل منسم
فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني***ولا تسقني بالأكبر المتثلّم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه***تادمنا في الجوسق المتهدّم
فكتب إليه :

[بسم الله الرحمن الرحيم «حَسَمَ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلُوقِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ
الْمَصِيرُ»].

أما بعد : فقد بلغني قولك :

(لعل أمير المؤمنين يسوؤه)

وأيام الله أنه ليسوؤني، فأقدم فقد عزلتك]

فلما قدم عليه قال :

- يا أمير المؤمنين، والله ما شربتها قط، وإنما هو شعرٌ طفح على لساني، وأنا الشاعر.

فقال عمر :

- أظن ذلك، ولا تعمل لي على عملٍ أبداً.

واستعمل عمر رجلاً من قريش على عمل فبلغه أنه قال :

اسقيني شربةً تُروِّي عظامي***واسق بالله مثلها ابن هشام

فأشخصه إليه، ففطن القرشي فضم إليه بيتاً آخر، فلما مثل بين يديه قال

له :

أنت القائل :

(اسقني شربةً تُروِّي عظامي)؟

قال :

- نعم يا أمير المؤمنين فهلاً أبلغك الواشي ما بعده؟

قال : ما الذي بعده؟

قال :

عسلاً باردةً بماءٍ غمامٍ***إنني لا أحبُّ شرب المدام

قال :

- الله الله.

- ارجع إلى عملك.

وبينا كان عمر يعسُّ ذات ليلةٍ انتهى إلى باب متجافٍ، وامرأةٌ تغني نسوة 12/ 27 :

هل من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربها***أم هل سبيلٌ إلى نصر بن حجاج

فقال عمر:

- أما عشت فلا.

ففناه إلى البصرة ومن هناك كتب إلى عمر :

ص: 94

لعمري لئن سيرتني وحرمتني ***لما نلت من عرقي عليك حرام

أن غنت الذلفاء يوماً بغنية ***وبعض أمانتي النساء غرام

ظننت بي الظن الذي ليس بعده ***بقاء فمالي في الندي كلام

وأصبحت منفيًا على غير ريبة ***وقد كان لي في المكتنين مقام

سيمنعني مما تظن تكرمي ***وأباء صدق سائعون كرام

ويمنعها مما تمت صلواتها ***وحال لها في دينها وصيام

فهاتان حالانا فهل أنت راجع ***فقد جبّ مني كاهل وسنام

فقال عمر:

- أما وليّ ولاية فلا.

وأقطعه أرضاً بالبصرة ودارا.

ولما قُتل عمر ركب راحلته ولحق بالمدينة.

وكان عمر أصلع فلما حلق وفرة نصر بن حجاج قال نصر، وكان شاعراً 28/12:

تضنّ ابن خطّابٍ عليّ بحجّة ***إذا رجّلت تهترُّ هزّ السلاسل

فصلّع رأساً لم يصلّعه ربُّه ***يرفُّ رفيفاً بعد أسود جائل

فقد حسد الغرمان أسود لم يكن ***إذا ما مشى بالفرع بالمتخايل

وخافت المرأة، التي سمع عمر منها ما سمع، أن يبدر إليها منه شيء فدسّت إليه أبياتاً 29 / 12:

ص: 95

قل للأمير الذي تُخشى بوادرة***مالي وللخمر أو نصر بن حجاج

إني بُليت - أبا حفص - بغيرهما***شرب الحليب وطرف فاتر ساج

لا تجعل الظنَّ حقاً أو تبيّنه***إن السبيل سبيل الخائف الراجي

ما منيةً قتلها عرضاً بضائرة***والناس من هالك قدماً ومن ناج

إن الهوى رعية التقوى نقيده***حتى أفرّ بالجسام وإسراج

فبكي عمر وقال : الحمد لله الذي قيّد الهوى بالتقوى.

* ومن عهدٍ له (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر رحمه الله حين قلّده مصر 163/10 :

(... واعلم يا محمد بن أبي بكر، إني وليّتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر فأنت محقّق أن تخالف على نفسك، وأن تنافح عن دينك ولو لم يكن لك إلا ساعة من الدهر، ولا تُسخط الله برضا أحدٍ من خلقه، فإن في الله خلقاً من غيره، وليس من الله خلقٌ في غيره»

استشهد ابن أبي الحديد بقول هرمة، الحسن بن زيد بن الحسن - وكان والياً على المدينة - عن الحمرة 15 / 169:

نهاني بن الرسول عن المُدام***وأدبني بأداب الكرام

وقال لي اصطر عنها ودعها***لخوف الله لا خوف الأنام

وكيف تصبّري عنها وحبّي***لها حبُّ تمكّن في عظامي

أرى طيب الحلال عليّ خبثاً***وطيب النفس في خبث الحرام

* ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«... وإني إلى لقاء الله لمشتاق، ولحسن ثوابه المنتظر راج، ولكنني آسي أن يلي هذه الأمة سفهاؤها وفجّارها، فيتخذوا مال الله دولاً وعباده حولا، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً؛ فإن منهم الذي شرب منكم الحرام، وجلد حداً في الإسلام».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الحطية بذكر الوليد بن عقبة 17 / 220 - 229 :

شهد الحطية يوم يلقي ربه*** أن الوليد أحق بالعدر

نادى وقد تمت صلاتهم*** أزيدكم - مكرراً - ولم يدر

فأبوا أبا وهب ولو أذنوا*** لقرنت بين الشفع والوتر

كفوا عتابك إذ جُزيت ولو*** تركوا عنانك لم تزل تجري

قرعت مكدوباً عليك ولم*** تردد إلى عذر ولا فقر

وقوله فيه أيضاً 17/230 :

تكلم في الصلاة وزاد فيها*** علانية وأعلن بالنفاق

ومجّ الخمري سنن المصلّى*** ونادى والجميع إلى افتراق

أزيدكم على أن تحمدوني*** فما لكم ومالي من خلاق

وقيل إن الوليد شرب بالكوفة وقام ليصلي بهم الفجر في المسجد الجامع، فصلّى بهم أربع ركعات، ثم التفت إليهم فقال :

ص: 97

- أزيكم؟

وتقياً في المحراب بعد أن قرأ فيهم رافعا صوته في الصلوات 17 / 230:

غلق القلب الربا***بعد ما شابت وشابا

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان فأخبروه بخبره وشهدوا عليه بشرب الخمر، فأمر عثمان بضرب الحد، قال الوليد، بعدما شهدوا عليه، :

اللهم أنهم قد شهدوا عليّ بالزور، ولا ترضهم عن أمير ولا تُرض عنهم أميراً.

وقد عكس الخطيئة أبياته فجعلها مدحة للوليد 17 / 230 - 231 :

شهد الخطيئة حين يلقي ربه***أن الوليد أحقُّ بالعدرِ

كفوا عنانك إذ جريت ولو***تركوا عنانك لم تزل تجري

ورأوا شمائل ماجدٍ أنفٍ يُعطي على الميسور والعسر

فنزعت مكذوباً عليك ولم***تنزع على طمعٍ ولا ذعرٍ

وارتجز الوليد يوماً، وهو يسوق بقومٍ يعزرونه، منهم عديُّ بن حاتم الطائي 17 / 233:

لا تحسبنا قد نسينا الأحقاف

والنشوات من معتقٍ صافٍ

وعزف قيناتٍ علينا عرافٍ

وكان نصير الطائي نديماً للوليد بن عقبة أيام ولايته بالكوفة، ولما شهدوا

ص: 98

عليه بالسكر من الخمر خرج من الكوفة معزولاً، فقال أبو زيد يتذكر أيامه وندامته 17 / 234 - 235 :

من يرى العير أن تمشي على ظه***ر المروى حداتهنَّ عجالُ

ناعماتُ والبيت بيت أبي وه***ب خلاءً نحنُ فيه الشمالُ

يعرف الجاهل المضللُّ أن الى***الدهرَ فيه النكراء والزلالُ

ليت شعري كذاكم العهد أم كا***ن فيهم عزُّ لنا وجمالُ

ووجهُ تمدُّنا مشرفاتُ***ونوالُ إذا أريدَ نوالُ

أصبح البيت قد تبدل بالحي***وجوها كأنها الأقيالُ

كلُّ شيء يحتال فيه الرجالُ***غير أن ليس للمنايا احتيالُ

ولعمر الإله لو كان للسي***ف مضاءٌ وللسان مقالُ

ما تناسيتك الصفاء ولا الودّ***ولا حال دونك الإشغالُ

ولحرمتُ لحمك المتعضّ***لة ضلَّ حلمهم ما اغتالوا

قولهم شريك الحرام وقد كا***ن شراب سوء الحرام حلالُ

واين ظاهر العداوة والشنآ***ن إلا مقال مالا يُقال

من رجالٍ تعارضوا منكراتٍ***لينالوا الذي أرادوا فنالوا

غير ما طالبين ذحلاً ولكن***مال دهرٌ على أناسٍ فمالوا

من يخنك الصفاء أو يتبدل***أو يزل مثلما يزول الظلالُ

فاعلمن أنني أخوك أخو الودّ***حياتي حتى تزول الجبالُ

ليس بُخلي عليك يوماً بمالٍ***أبدأ ما أقلَّ فعلاً قبأ

ولك النصر باللسان وبالكف *** إذ كان لليدين مصالاً

*أذن عمر يوماً للناس، فدخل شيخ كبير يعرج، وهو يقود ناقةً رجيعاً يجاذبها، حتى وقف بين ظهرائي الناس، ثم قال :

وأنت مسترعي رعيتي *** وأنت مدعوٌ بسيماك يا عمر

لدى يوم شرٍّ شره لشراره *** وخيرٌ لمن كانت مواسمه الخيرُ

فقال عمر :

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال

- عمر بن بَرّاقة.

قال :

- ويحك! فما منعك أن تقول {واعلموا أن ما غنمتم من شيءٍ فإن الله خمسه وللرسول}؟

ثم قرأها إلى آخرها، وأمر بناقته فقبضت، وحمله على غيرها، وكساه وزوَّده.

وبينا عمرٌ يسير في طريق مكة يوماً إذا بالشيخ بين يديه يرتجز، ويقول 12 / 41 :

ص: 100

ما أن رأيت كفتي الخطابِ

أبرّ بالدين وبالأحساب

بعد النبيِّ صاحبِ الكتابِ

* كان عمر بن العاص قد كَلَّم عمر بن الخطاب في الحطية، وكان محبوساً، فأخرجه من السجن، ثم أنشد 41/12 :

ماذا تقول لأفراخِ بذي مرخٍ *** زُغِب الحواصل لا ماءً ولا شجرُ؟

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ *** فاعفر عليك سلام الله يا عمرُ

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه *** ألق إليه مقاليد النهى البشرُ

ما آثروك بها إذ قدّموك لها *** لكن لأنفسهم كانت بك الأثرُ

* جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب فقالت :

- يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وأنا أكره أن أشكوه، وهو يعمل بطاعة الله.

فقال :

- نعم الزوج زوجك!

فجعلت تكرر عليه القول، وهو يكرر عليها الجواب.

فقال له كعب بن سور :

- إنها تشكو زوجها في مبادئه إياها عن فراشه، فغطّى عمر - حينئذ - وجهه وقال :

ص: 101

- قد وليتكم الحكم بينهما!

فقال كعب :

- عليّ بزوجه.

فأتى به فقال :

- إن زوجتك هذه تشكوك.

قال : - في طعام أم شراب؟

قال :

- لا.

قالت المرأة 47/12 :

يا أيها القاضي الحكيم رشده

ألهمي خليلي عن فراشي مسجده

زهدة في مضجعي تعبده

نهاره وليله ما يرقده

فقال زوجها :

ص: 102

زَهَّدَنِي بَيْنَ فَرَشِهَا وَفِي الْحَمَلِ

إِنِّي أَمْرٌ أَذْهَلَنِي مَا قَدْ نَزَلَ

فِي سُورَةِ النَّمْلِ وَفِي السَّبْعِ الطُّوْلِ

وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَخْوِيفٌ جَلُّ

قَالَ كَعْبٌ :

إِنْ لَهَا حَقًّا عَلَيْكَ يَا رَجُلُ

تَصِيبُهَا فِي أَرْبَعٍ لِمَنْ عَقَلُ

فَأَعْطَهَا ذَاكَ وَدَعَّ عَنْكَ الْعَلُّ

فَقَالَ لِعِمْرٍ :

- إِنْ اللَّهُ أَحَلَّ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَيْ وَثَلَاثٍ وَرَبَاعٍ، فَلَهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَلِيَالِيَهُنَّ، يَعْبُدُ فِيهَا رَبَّهُ، وَلَهَا يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ.

فَقَالَ عِمْرٌ :

- وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ مِنْ أَيِّ أَمْرِيكَ أَعْجَبُ؟ أَمِنْ فَهْمِكَ أَمْرَهَا، أَمْ مِنْ حِكْمِكَ بَيْنَهُمَا؟ أَذْهَبَ فَقَدْ وَلَّيْتَنِي قِضَاءَ الْبَصْرَةِ.

*أَتَى أَعْرَابِي عِمْرَ فَقَالَ :

- إِنْ نَاقَتِي فِيهَا نَقْبٌ وَدَبَّاءَةٌ، فَاحْمَلْنِي.

فَقَالَ لَهُ :

- وَاللَّهِ مَا بَبْعِيرُكَ مِنْ نَقْبٍ وَلَا دَبْرٍ.

ص: 103

فقال 62/12 :

أقسم بالله أبو حفصٍ عمرُ

ما مسَّها من نقبٍ ولا دبَّرِ

فاغفر له اللهم إن كان فجزرُ

فقال :

- اللهم اغفر لي.

ثم دعاه فحمَّله.

* بينا عمرُ ذات ليلةٍ سمع امرأةً من سطيحٍ وهي تنشد 63/12 :

تطاول هذا الليل وازورَّ جانبُهُ*** وليس إلى جنبي خليلُ الأعبهُ

فوالله لولا الله تُخشى عواقبُهُ*** لُرُزعَ من هذا السريرِ جوانبُهُ

مخافة ربِّي والحياء يصدُّني*** وأُكْرِم بعلي أن تُنالِ مراكبُهُ

ولكنني أخشى رقيباً موكِّلاً*** بأنفسنا لا يفتر الدهرُ كاتبُهُ

ثم جاء إلى ابنته حفصٍ فسألها :

- كم تصير المرأة المغيَّبة عن بعْلِها؟

قالت :

أقصاه أربعة أشهر.

فكتب إلى عمَّاله ألا تُجمَّر البعوث وأن لا يُعيَّب رجلٌ عن أهله أكثر من أربعة أشهر.

ص: 104

* حجّ عمر فلما كان بضحنان قال :

- لا إله إلا الله العليّ العظيم، المعطي ما يشاء لمن يشاء، أذكر وأنا أرعى إبل الخطّاب بهذا الوادي في مدرعة - صوف - وكان فظاً يُتعبني إذا عملت، ويضربني إذا قصّرت، وقد أمسيت اليوم وليس بيني وبين الله أحد. ثم تمثّل 12 / 64:

لا شيء مما يرى تبقى بشاشته*** يبقى الإله ويؤدى المال والولدُ

لم تُغن عن هر مز يوماً خزائنه*** والخلد قد حاولت عادً فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياح له*** والإنس والجن فيما بينها يرُدُّ

أين الملوك التي كانت منازلها*** من كلّ أوبٍ إليها راكبٌ يفدُ

حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كذبٍ*** لا بدّ من وِزده يوماً كما وردوا

* سمع عمر منشداً ينشد قول طرفة 12 / 65 :

فلولا ثلاثٌ هنَّ عيشة الفتى*** وجدك لم أحفل متى قام عودى

فمنهنَّ يُسقى العاذلون بشربة*** كميتٍ متى ما تعلقوا بالماء تزيد

فكرّى إذا نادى المضاف محنّباً*** كسيد الفضا نبّهته المتوسّد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجبٌ*** بهكنة تحت الطراف الممدّد

فقال :

- وأنا لولا ثلاث من عيشة الفتى لم أحفل من قام عودى ؛ أن أجاهد في سبيل الله وأن أضع وجهي في التراب لله وأن أجالس قوماً يلتقطون طيب القول كما يلتقط طيب التمر.

ص: 105

*وقف أعرابي على عمر فقال له 12 / 65:

يا ابن خطّاب جُزيت الجنّة

أكسُ بنيّاتي وأمّهنَّ

أقسم بالله لتفعلنَّ

فقال عمر : - إن لم أفعَل يكون ماذا؟

قال :

إذن أبا حفصٍ لأمّصينَّ.

إذا مضيت يكون ماذا؟

قال :

تكون في حالي لتُسالنَّ

يوم تكون الأُعطيات منّة

والواقف المسؤول يذهبنَّ

أما إلى نارٍ وأمّا جنّة

فبكى عمر ثم قال الغلامه :

- اعطه قميصي هذا لذلك اليوم، لا لشعره، والله ما أملك ثوباً غيره.

العقوبة

كان عمر، ومن بعده الولاة، إذا أخذوا العصاة نزعوا عمائمهم، وأقاموا

ص: 106

لنّاس، حتى جاء زياد فضربهم بالسياط، فحلق مع الضرب، فجاء بشر بن مروان، فكان يصلب تحت الإبطين، ويضرب الأُكف بالمسامير، فكتب إليه بعض الجند قومٌ من أهله يستزيّدونه، وقد أخرجهُ بشر إلى الري فكتب إليهم 45/ 12 :

لولا مخافةِ بشرٍ أو عقوبتهُ*** أو أن يرى شانتي كُفي بمسماٍ
إذن لعطّلت ثغري ثم زرتكمُ*** إن المحبَّ المُعنى جد زوّارٍ
فلما جاء الحجاج قال : كلُّ هذا لعب، فقتل العُصاة بالسيف.

الوصف

مما نُسب إلى امرئ القيس قوله في وصف الحرب 119/12 :

الحرب أوّل ما تكون فتيةً*** تسعى بزيتها لكلّ جهولٍ
حتى إذا استعرت وشبَّ حزامها*** عادت عجوزاً غير ذات خليلٍ
شمطاء جزّت رأسها وتنكّرت*** مكروهةً للشمّ والتقبيلِ

القضاء

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك، عمن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلّة، ولا يحصر من الفتى إلى الحق، إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، بأدين فهمٍ دون أقصاه».

فاستشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول 58/17 - 62 :

[خرج شريك، وهو على قضاء الكوفة، يتلقى الخيزران، وقد أقبلت تريد

الحج، وقد كان استتضي وهو كاره، فأتى شاهي فأقام بها ثلاثاً، فلم تواف، فحفّ زاده وما كان معه، فجعل يُبَلِّلهُ بالماء ويأكله بالملح، فقال العلاء بن المنهال الغنوي :

فإن كان الذي قد نلت حقاً*** بأن قد أكرهوك على القضاء

فما لك موضعاً في كل يوم*** تُلقِي من يحجُّ من النساء

مقيماً في قرى شاهي ثلاثاً*** بلا زادٍ سوى كِسْرٍ وماءٍ

وبروايةٍ أخرى تقول : تقدمت كلثم بنت سريع مولى عمر بن حريث - وكانت جميلة - وأخوها الوليد بن سريع إلى عبد الملك بن عمير - وهو قاضٍ في الكوفة - فقضى لها على أخيها فقال هذيل الأشجعي 62/17 - 63 :

أتاهم وليدٌ بالشهود يسوقهم*** على ما ادعى من سامت المال والخول

وجاءت إليه كلثمٌ وكلامها*** شفاءً من الداء المخامر والخبول

فأدلى وليدٌ عند ذاك بحقّه*** وكان وليدٌ ذا سراءٍ وذا جدل

فولَّهت القبطيَّ حتى قضى لها*** بغير قضاء الله في محكم الطول

فلو كان من في القصر يعلم علمه*** لما استعمل القبطيُّ فينا على عمل

له - حين يقضي للنساء - تخاوصٌ*** وكان وما فيه التخواوص والحول

إذا ذات دلّ كلمته لحاجة*** فهمم بأن يقضي، تنحنح أو سعل

وبرق عينيه ولاك لسانه*** يرى كل شيء، ما خلا وصلها، جلل

وبروايةٍ أخرى تقول : إن أبا دلامة دخل ليشهد عند أبي فقال - حين

إذا الناس غَطُّوني تَغَطَّتْ عنهم*** وإن بحثوا عني ففيهم مباحثُ

وإن حفروا بُري حفرت بناهم*** ليعلم ما تخفيه تلك النبأث

وبرواية أخرى تقول : ارتفعت جميلة بنت عس بن جراد - وكانت جميلة كاسمها - مع خصم لها إلى الشعبي - وهو قاضي عبد الملك - فقضى لها، فقال هذيل الأشجعي 66 / 17:

قد فتى الشعبي لما*** رفع الطرف إليها

فتنته بثنايا*** ها وقوسي حاجبيها

ومشت مشياً رويداً*** ثم هزت منكبيها

فقضى جوراً على الخصم*** ولم يقضِ عليها

فقبض الشعبي عليه وضربه ثلاثين سوطاً.

وبرواية أخرى تقول : إن رجلاً سافر مع أصحاب له فلم يرجع حين رجعوا، فاتَّهم أهلُه أصحابه، ورفعوه إلى شريح فسألهم البيئَةَ على قتله، فارتفعوا إلى علي (عليه السَّلامُ) فأخبروه بقول شريح فقال 122 / 19 :

أوردها سعدٌ وسعدٌ مشتملٌ

ياسعد لاترو بهذاك الإبل

ثم قال : إن أهون السقي التشريع، ثم فرَّق بينهم فسألهم، فاختلفوا، ثم أقرُّوا بقتله، فقتلهم به.

كان مالك بن نويرة والياً على صدقات قومه بني يربوع من قبل النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، ولما بلغه وفاة الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أمسك عن أخذ الصدقة من قومه وقال لهم؛ تَرَبَّصُوا بِهَا حَتَّى يَقُومَ قَائِمٌ بَعْدَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَنَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ، وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي شِعْرِهِ حَيْثُ يَقُولُ 205 / 17 :

وَقَالَ رِجَالٌ: سَدَّدَ الْيَوْمَ مَالَكٌ *** وَقَالَ رِجَالٌ: مَالِكٌ لَمْ يُسَدِّدْ

فَقُلْتُ: دَعُونِي لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ *** فَلَمْ أَخِطِ رَأْيًا فِي الْمَقَامِ وَلَا النَّدِي

وَقُلْتُ: خَذُوا أَمْوَالَكُمْ غَيْرِ خَائِفٍ *** وَلَا نَاطِرٍ فِيمَا يَجِيءُ بِهِ غَدِي

فَدُونَكُمْ وَمَا إِنَّمَا هِيَ مَالِكٌ *** مَصَوَّرَةٌ أَخْلَاقَهَا لَمْ تُجَدِّدِ

سَأَجْعَلُ نَفْسِي دُونَ مَا تَحْذَرُونَهُ *** وَأَرْهَنُكُمْ - يَوْمًا بِمَا قُلْتُمْ - يَدِي

فَإِنْ قَامَ بِالْأَمْرِ الْمَجْدِدِ قَائِمٌ *** أَطْعَنَا وَقَلْنَا: الدِّينَ دِينَ مُحَمَّدٍ

وما روى أبو جعفر شعراً للخطيل بن أوس، أخي الحطية في منع الزكاة، وأن أبا بكر رَدَّ سؤَالَ الْعَرَبِ وَلَمْ يُجِبْهُمْ، مِنْ جَمَلَتِهِ 210 / 17:

أَطْعَنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ كَانَ بَيْنَنَا *** فَيَا لِعِبَادِ اللَّهِ مَا لِأَبِي بَكْرٍ

أَيُورِثُهَا بَكْرًا إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ؟ *** وَتِلْكَ - لِعَمْرِ اللَّهِ - قَاصِمَةُ الظَّهْرِ

فَهَلَّا رَدَدْتُمْ وَفَدْنَا بِإِجَابَتِهِ؟ *** وَهَلَّا حَبِسْتُمْ مِنْهُ رَاسِيَةَ الْبَكْرِ؟

فَإِنَّ الَّذِي سَأَلَكُمْ فَمَنْعْتُمْ *** لَكُمْ أَوْ أَحَلَّى لِحَلْفِ بَنِي فَهْرٍ

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تحجبه السواتر، الدال على قدمه بحدوث خلقه، على وجوده وباشتباهم على أن لا شبه له».

فقال ابن أبي الحديد وهو يرد على الفلاسفة، الذين علّلوا حركة الفلك بأنه أراد استخراج الوضع أولاً؛ لِيُشَبَّهَ بالعقل المجرّد في كماله، وإنّ كل ما له بالقوّة خارجٌ بالفعل 50 و53 - 54 :

تحيّر أرباب النهي وتعجّبوا*** من الفلك الأقصى لماذا تحركا

فقليل بطبع كالثقل إذا هوى*** وقيل اختياراً والمحقق تسلكا

فردّ حديث الطبع إذ كان دائراً*** وليس على سمتٍ قويمٍ فيسلكا

وقيل لمن قال اختياراً فما الذي*** دعاه إلى أن دار ركضاً فأوشكا

فقالوا لوضعٍ حادثٌ يستجدّه*** يعاقب منه مطلباً ثم متركا

فقليل لهم هذا الجنون بعينه*** ولو رامه منا امرؤٌ كان أعفكا

ولو أن إنساناً غدا ليس قصده*** سوى الوضع واستخراجه عدّ مضحكا

وقال، أيضاً في الرد على من زعم أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) رأى الله سبحانه بالعين 13 / 54:

عجبت لقوم يزعمون نبئهم***رأى ربّه بالعين، تبتّ لهم تبتاً

وهل تدرك الأبصار غير مكّيّبٍ؟***وكيف تبيح العين ما يمنع القلباً؟

إذا كان طرف القلب عن كنهه نبا***حسيراً فطرف العين في كنهه أنبي

الاستجارة

ولقوله (عليه السّلام)، من كتاب إلى معاوية جواباً :

(فإسلامنا ما قد سُمع، وجاهتنا لا تُدفع، وكتاب الله يجمع لنا ما شدّ عنا، وهو قوله سبحانه وتعالى :

{ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ }

وقوله تعالى :

{ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ }.

فنحن مرّةً أولى بالقرابة وتارةً أولى بالطاعة».

فاستشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول 182/15 - 230 :

[منع حرب بن أمية تاجراً اسمه ابن حاجب زرارة التميمي من دخول مكة؛ لأنه سبقه في اجتياز العقبة. ولما كان متجره وداره في مكة قصد الزبير بن عبد المطلب وأناخ ناقته ببابه فرغت الناقة، فخرج إليه الزبير فقال :

- أمستجيرٌ فتجار أم طالب قري فتقري؟

فقال 230 / 15 :

ص: 112

لاقيتُ حرباً بالثنية مقبلاً***والليل أبلج نوره للساوي
فعلا بصوتٍ واكتني ليروعني***ودعا بدعوة معلنٍ وشعارٍ
فتركته خلفي وجزت أمامه***وكذاك كنت أكون في الأسفارِ
فمضى يُهددني ويمنع مكة***أن لا أحلَّ بها بدار قرارٍ
فتركته كالكلب ينبح وحده***وأتيت قرمٍ مكارمٍ وفخارٍ
ليثاً هزبراً يُستجارُ بقربه***رحب المباعه مكرماً للجارِ
وحلفت بالبيت العتيق وحجّة***ويزمزم والحجر والأستارِ
فقال الزبير:

- اذهب إلى المنزل فقد أجزتك.

إلى آخر الرواية في ص 231.

وبرواية أخرى تقول :

[إن نوفل بن عبد مناف ظلم عبد المطلب بن هاشم أركاحاً له بمكة - وهي الساحات - فاستنجد أخواله من بني النجار بيثرب، فأقبل معه سبعون راكباً فطلبوا منه ردّها فردّها، فقال عبد المطلب 15 / 232 :

تأبى مازنٌ وبنوعدي***وذبيان بن تيم الالة ضيمي

وزادت مالكٌ حتى تناهت***ونكّب بعد نوفل عن حريمي]

ولقوله (عليه السلام)، من كتاب إلى زياد بن أبيه، وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يُريد خديعته باستلحاقه :

ص: 113

«وقد عرفت أن معاوية كتب إليك ينزل لبك، ويستغلّ غربك، فاحذره فإنما هو الشيطان يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ليقتمح غفلته، ويستلب غرته، وقد كان ابن أبي سفيان في زمن عمر بن أبي الخطاب فلتة من حديث النفس، ونزعة من نزعات الشيطان، لا يثبت بها نسب، ولا يستحق بما إرث، والمتعلّق بما كالواغل المدقّع، والنوط المذبذب»

فاستشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول :

[إنّ عمر بعث زياداً في إصلاح فساد واقع في اليمن، فلما رجع من وجهه خطب عند عمر خطبة لم يُسمع مثلها، وأبو سفيان حاضرٌ وعليّ (عليه السّلام) وعمر بن العاص، فقال عمر بن العاص :

- لله أبو هذا الغلام، لو كان قرشياً لساق العرب بعصاه؛

فقال أبو سفيان :

إنه لقرشي، وأنا لأعرف الذي وضعه في رحم أمّه.

فقال علي (عليه السّلام) :

- ومن هو؟

قال :

- أنا

فقال :

- مهلاً يا أبا سفيان.

ص: 114

أما والله لولا خوف شخصي*** يراني يا عليّ من الأعادي

لأظهر أمره صخر بن حرب*** ولم يخفِ المقالة في زيادٍ

وقد طالت مجاملتي ثقيفا*** وتركني فيهمُ تمر الفؤادي

وكان زياد بن أبيه (ابن أبي سفيان) والياً على فارس في زمن الإمام علي (عليه السّلام) فكاتبه معاوية في محاولات في استمالته إلى جانبه

فختم أحد كتبه بهذا البيت 16 / 181 :

تنسي أباك وقد شالت نعمته*** إذ يخطب الناس والوالي لهم عمرٌ

وختم كتاباً آخر بهذا البيت 16 / 185 :

كتاركة بيضها في العراء*** وملحفة بيض أخرى جناحا

وقد أجابه زياد بكتابٍ لام فيه معاوية وختمه بهذه الأبيات 16 / 186 :

إذا معشري لم ينصفوني وجدتني*** أدافع عني الضيم ما دمت باقيا

وكم معشرٌ أعيت فئاتي عليهم*** فلا مواءلقوني لدى العزم ماضيا

وهمٌ به ضاقت صدورٌ فرجتها*** وكنت بطبي للرجال مداويا

أدافع بالحلم الجهول مكيدة*** وأخفي له تحت العضاة الدواهيا

فإن شدت مني أدن منك وإن تبني*** تجدني إذا لم تدن مني نائيا

فأعطاه معاوية جميع ما سأله، وكتب إليه بخطّ يده ما وثق به، فدخل فقربّه وأدناه، وأقرّه على ولايته ثم استعمله على العراق].

وبرواية أخرى تقول :

[إن زياداً مرّ - وهو والي البصرة - بأبي العريان العدوي - وكان شيخاً مكفوفاً ذا لسن وعارضة شديدة - ولما تساءل عن هذه الجلبة قيل له أنه زياد بن أبي سفيان فأنكر أن يكون لأبي سفيان ولد اسمه زياد، فأنفذ إليه زياد مئتي دينار فسكت ولما مرّ زياد في الغد في موكبه فوقف عليه فسلم بكى أبو عريان فقيل له : ما يُبكيك ؟ قال عرفت صوت ابن أبي سفيان في صوت زياد، فبلغ ذلك معاوية، فكتب إلى أبي العريان 16 / 188 :

ما ألبثتك الدنانير التي بُعثت *** أن لوّنتك أبا العريان ألوانا

أمسى إليك زيادٌ في أرومته *** نكرٌ فأصبح ما أنكرت عرفانا

لله درّ زيادٍ لو تعجّلها *** كانت له دون ما يخشاه قربانا

فلما قرئ كتاب معاوية عل بن عريان قال اكتب جوابه يا غلام:

أحدث لنا صلةً تحيي النفوس بها *** قد كدت يا ابن أبي سفيان تنسانا

أما زيادٌ فقد صحّمت مناسبة *** عندي فلا أبتغي في الحقّ بهتانا

من يُسدّ خيراً يُصبه حين يفعلهُ *** أو يُسدّ شراً يُصبه حيثما كانا]

وبرواية أخرى تقول :

[دخل بنو أمية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية أيام استلحاق زياد، فقال له عبد الرحمن :

- لو لم تجد إلا الزنج لاستكثرت بكم علينا قلّة وذلة - يعني على بني أبي

ص: 116

العاص -.

فأقبل معاوية على مروان فقال :

- أخرج عنّا هذا الخليع.

فقال مروان :

- إي والله أنه خليع ما يُطاق.

فقال معاوية :

- والله لولا حلمي وتجاوزي لعلمت أنه يطاق. ألم يبلغني شعره فيّ وفي زياد؟

ثم قال مروان :

- أسمعنيه.

فأنشده 189/16 - 190 :

ألا أبلغ معاوية ابن حربٍ *** فقد ضاقت - بما يأتي - اليدان

أتغضب أن يقال أبوك عَفٌّ *** وترضى أن يقال أبوك زانٍ؟؟

فاشهد أن رحمك من زيادٍ *** كرحم الفيل من ولد الأتان

واشهد أنها حملت زياداً *** وصخرٌ من سمية غير دان

ثم قال : والله لا ارضى عنه حتى يأتي زيادة فيترضاه ويعتذر إليه، فجاء عبد الرحمن إلى زياد معتذراً وبعد تمنع رضي زياد، فأنشد عبد

الرحمن 190/16 - 191 :

ص: 117

إليك أبا المغيرة تبت مما***جرى بالشام من خطل اللسانِ

وأغضبت الخليفة فيك حتى***دعاه فرط غيظٍ أن هماني

فقلت لمن لحاني في اعتذاري***إليك اذهب فشأنك غير شاني

عرفت الحقَّ بعد ضلال رأيي***وبعد الغي من زيغ الجنانِ

أراك أخوا وعمماً وابن عمِّ***فما أدري بعيبٍ ما تراني

وأن زيادةً في آل حربٍ***فقد ظفرت بما تأتي اليدانِ

وقال يزيد بن مفرغ الحميري في هجائه عبيد الله وعبد، ابني زيادة 191/16-192 :

أعباد ماللوم منك تؤل***ولا لك أم من قريشٍ ولا أب

وقل لعبيد الله مالك والدٌ***بحق ولا يدري امرؤ كيف تنسب

وقال :

شهدت بأن أمك لم تباشر***أبا سفيان واضعة القناعِ

ولكن كان أمر فيك لبسٌ***على حذرٍ شديدٍ وارتياحِ

إذا أودى معاوية ابن حربٍ***فبشر شعب قعبك بالصداعِ

وقال :

أنَّ زياداً ونافعاً وأبا***بكرة عندي من أعجب العجب

هم رجالٌ ثلاثةٌ خلِقوا***في رحم أنثى وكلُّهم لأب

ذا قرشي كما تقول وذا***مولي وهذا بزعمه عربي

ص: 118

وقال - وكان عبيد الله بن زياد يقول عنه؛ ما شجيت بشيء أشد عليّ من قول ابن المفرغ -:

فكّر ففني ذاك إن فكّرت مُعتبرٌ*** هل نلت مكرمةً إلا بتأمير

عاشت سُميّة ما عاشت وما علمت*** أن ابنها في قريش في الجماهير

وقال - وقد باع بُرد غلامه لما حبسه عبّاد بن زياد بسجستان - :

يا بُردُ ما مسّنا دهرٌ أضربنا*** من قبلُ هذا ولا بعنا له ولدا

لا امتي النفس في بُردٍ فقلت لها*** لا تهلكي إثر بُردٍ هكذا كمدنا

لولا الدعويُّ ولولا ما تعرّض بي*** من الحوادث ما فارقتُه أبدا

وقال :

أبلغ لديك بني قحطان مهلكةً*** عصّت بأير أبيها سادة اليمن

أضحى دعويُّ زيادٍ فقع قرقة*** يا للعجائب يلهو ببن ذي زين]

وبرواية أخرى تقول :

[إن عبّاداً استلحقه زياد، كما استلحق معاوية زياداً؛ إذ لما أذن لزيادٍ في الحجّ تجهّز، فتقدّم عبّاد - وكان خرازاً - فصار يعرض عليه ويجاوره

ويجيبه فقال زياد :

- ويحك من أنت؟

قال :

- أنا ابنك..!

ص: 119

قال : - ويحك، وأيُّ بني؟

قال :

- قد وقعت على أمي فلانة وكانت من بني كذا، فولدتني، وكنت في بني قيس بن ثعلبة وأنا ملوكٌ لهم.

فقال : - صدقت.

فبعث فاشتراه، وادَّعاه وألحقه، وعظم أمر عبَّاد حتى ولَّاه معاوية سجستان بعد موت زياد، فتزوَّج عبَّاد الستيرة ابنة أنيف بن زياد الكلبي، فقال الشاعر يُخاطب أنيفاً - وكان سيِّد كلب في زمانه 16 / 193 :

أبلغ لديك أبا ترکان مألکةً***أنائما كنت أم بالسمع في صمم

أنکحتَ عبدَ بني قيسٍ مُهذَّبةً***أباؤها من عليم، معدن الكرم

أكنت تجهل عبَّاداً ومحتدُهُ؟***لا درَّ دُرُّك؟ أم أنکحت من عدم

أبعد آل أبي سفيان تجعله***صهراً، وبعد بني مروان والحكم؟

أعظم عليك بذاعاراً ومنقصةً***ما دمت حيّاً وبعد الموت في الرحم]

وبروايةٍ أخرى تقول :

[كان سعيد بن سرح شيعَةً لعلي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فلما قدم زياد إلى الكوفة طلبه وأخافه فاستجار بالحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فوثب زياد عليه وعلى أخيه وولده

ص: 120

وامراته فحبسهم وأخذ ماله ونقض داره فكاتبه الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وردَّ عليه زياد يُعْتَفُه ومنتقص منه فبث الحسن كتاباً إلى معاوية ومعه كتاب زياد إليه فكتب معاوية إلى زياد كتاباً يأمره فيه أن يرد حق سعيد بن سرح وان يعرف منزلة الحسن من الإسلام، وذيل كتابه شعرة من جملة 195/16 :

أما حسنٌ فابن الذي كان قبله***إذا سار، سار الموت حيث يسيرُ

وهل يلد الرئبال إلا نظيره***وذا حسنٌ شبه له ونظيرُ

ولكنه لو يوزن الحلم والحجا***بأمر لقالوا يذبلٌ وثبيرُ

فأطلقهم ورَّ مالهم].

وبما روى الزبير بن بكار في (الموفقيات) أن عبد الملك أجرى خيلاً، فسبقه عبّاد بن زياد فأشدد عبد الملك 16 / 196 :

سبَّق عبّادٌ وصلت لحيته وكان خرازة تجور قريته

فاطمة الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ):

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«بل كانت في أيدينا فذك وكلما أضلّته السماء فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله، وما أصنع بفذك وغير فذك، والنفس مضانها في غدٍ جدث، تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد فسحتها، وأوسعت يدا حافرها لاحتفضها الحجر والمدر، وسدّ فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفسٌ أروضها بالتقوى لتأتي آمنةً يوم الخوف الأكبر وتثبت على

استشهد ابن أبي الحديد بقول مهيار بن مرزويه الشاعر في قصيدة قالها في موقف أبي بكرٍ وعمر من فاطمة (عَلَيْهَا السَّلَامُ) 208/16 و 235 - 236 :

يا ابنة القوم تراكِ *** بالغُ قتلِي رضاكِ
يا ابنة الطاهر لم تقِ *** رعِ بالظلم عصاكِ
غضب الله لخطبِ *** ليلة الطف عراكِ
ورعى النار غداً قطَّ *** رعى أمس حماكِ
مرَّ لم يعطفه شكوى *** [لا] ولا استحيا بكِ
واقتردى الناس به بعِ *** دُفأردى والدكِ
يا ابنة الراقي إلى السدِ *** رة في ل وح السكاكِ
لهف نفسي وعلى مثِ *** لكِ فلتبكِ البواكي
كيف لم تُقطع يدُ مدِّ إيلكِ ابن ضحككِ
فرحوا يوم أهانو *** اكِ بماساء أباكِ
ولقد أخبرهم أن *** رضاه من رضاكِ
دفعاً النص على أر *** ثك لما دفعاكِ
وتعرَّضتِ لقدرٍ *** تافهٍ وانتهراكِ
وإدَّعتِ النحلة المش هود فيها بالصكاكِ
فاستشطا ثم ما إن *** كذباً أن كذبكِ
ونفى عن بابه الو *** اسع شيطاناً نفاكِ

ويقول فاطمة الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) بعد خطبتها إلى أبي بكر 251/16 :

قد كان بعدك أنباءً وهنبةٌ***لو كنتَ شاهداً لم تكثر الخطبُ

إذا فقدناك فقد الأرض وابلها***واختلَّ قومك فاشهدهم ولا تطب

فليت بعدك ظلُّ الموت صادفنا***لما قضيت وحالت دونك الكتبُ

ضاقَت عليَّ بلادِي بعدما رحبت***وسيم سبطاك خسفاً فيه لم تُصبِ

فليت قبلك كان الموت صادفنا***قومٌ تمنَّوا فأعطوا كلما طلبوا

تجهمتنا رجالٌ واستخفَّ بنا***مذ غبتَ عنَّا وكلَّ الإرث قد عصبوا

استقراء المستقبل

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«ولكنني آسي أن يلي هذه الأمة سفهاؤها وفجآرها، فيتخذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، والصالحين حرباً، فإن منهم الذي شرب فيكم الحرام، وجلِدَ حدًّا في الإسلام، وإن منهم من لم يُسلم حتى رُضخت له على الإسلام الرضائخ».

فاستشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول 220 / 17 و 240 - 241:

[إن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لما انصرف عن غزوة بني المصطلق نزل رجلٌ من المسلمين فساق بالقوم ورجز، ثم آخر فساق بمم ورجز، ثم بدا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أن يواسي أصحابه فنزل فساق بهم ورجز، وجعل يقول - فيما يقول -:

جُنْدُبٌ وَمَا جُنْدُبٌ *** وَإِلَّا قَطَعَ زَيْدٌ الْخَيْرَ

فَدَنَا مِنْهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ قَلْتَ قَوْلًا نَدْرِي مَا هُوَ؟

قَالَ :

- وَمَا ذَلِكَ؟

قَالُوا :

- كُنْتَ تَقُولُ :

جُنْدُبٌ وَمَا جُنْدُبٌ *** وَإِلَّا قَطَعَ زَيْدٌ الْخَيْرَ

فَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) :

«رَجُلَانِ يَكُونَانِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ يُضْرَبُ أَحَدُهُمَا ضَرْبَةً يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَتُقَطَعُ يَدَا آخِرِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ يَتَّبِعُ اللَّهُ آخِرَ جَسَدِهِ بِأَوَّلِهِ».

وَكَانَ زَيْدٌ هُوَ زَيْدُ بْنُ صَوْهَانَ، وَقُطِعَتْ يَدُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْمَ جَلَوْلَاءَ، وَقُتِلَ يَوْمَ الْجَمَلِ، مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

وَأَمَّا جُنْدُبٌ هَذَا فَدَخَلَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ وَعِنْدَهُ سَاحِرٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو شَيْبَانَ، يَأْخُذُ أَعْيُنَ النَّاسِ فَيُخْرِجُ مِصَارِينَ بِطُونِهِمْ ثُمَّ يَرُدُّهَا، فَجَاءَ مِنْ خَلْفِهِ فَضْرِبَهُ فَقَتَلَهُ، وَقَالَ 240/17 - 241:

ص: 124

إلعن ولىداً وأباشىبان

وابن حبىش راكب الشىطان

رسول فرعون إلى هامان

* وقىل إن عبد الله بن الزبىر أتى به رسول الله (صلى الله عالىه وآله وسلم) فنظر فى وجهه وقال: «هو هو؟ لىمنعن البىت أو لىموتنّ دونه».

وقال العقىلى فى ذلك 108/20 :

بُرِّيتبىن ماقال الرسول له***وذو صلاةٍ يضاهى وجهه علم

حمامة من حمام البىت قاطنة***لا تتبع الناس إن جاروا وإن ظلموا

الشىب والخضاب

سئل (عالىه السلام) عن قول الرسول (صلى الله عالىه وآله وسلم) :

«غىروا الشىب ولا تشبّهوا بالىهود».

فقال (عالىه السلام):

«إنما قال (صلى الله عالىه وآله وسلم) والدىن قُلُّ، فأما الآن وقد اتسع نطاقه، وضرب بجرانه، فامرؤ وما اختار».

ولهذا الكلام قال أنس بن مالك وهو يخضب 18 / 122 - 124 :

نُسود أعلاها وتابى أصولها***ولىس إلى رذ الشباب سبىل

وتقول رواية أخرى : إن عبد المطلب وفد على سىف بن ذى يزن فقال له :

- لو خضبت؟

ص: 125

فلما عاد إلى مكة خضب، فقالت له امرأته - نثيلة أم العباس وضرار :

- ما أحسن هذا الخضاب لو دام.

فقال 18 / 124 :

فلو دام لي هذا الخضاب حمدته*** وكان بديلاً من خليلٍ قد انصرم

تمتعت منه والحياة قصيرة*** ولا بدّ من موتٍ - نثيلة - أو هرم

وموت جهيزٍ عاجلٍ لا شوي له*** أحبُّ إلينا من مقالكم حكم

(يعني أنه صار شيخاً، فصار حكماً بين الناس، من قوله :

لا تغبط المرء أن يقال له*** أضحى فلانٌ لسنته حكماً

وروي أن اسماعيل بن خارجة قال لجاريتته :

- أخضبيني.

فقالت :

- حتى من أرقّعك ؟

فقال 18 / 125؛

غيرتني خلقاً أبلت جدّته*** وهل رأيتَ جديداً لم يعد خلقاً؟

وقال محمود الورّاق 18 / 125:

يا خاضب الشيب الذي*** في كلِّ ثالثةٍ ويعودُ

إن الخضاب إذا مضى ف*** كأنه شيبٌ جديدٌ

فدع المشيب وما يُريدُ*** فلن تعود كما تريدُ

ص: 126

وقال الشاعر 18 / 125 :

وصبغت ما صبغ الزمان فلم يدم *** صبغي ودامت صبغة الأيام

وقال آخر 18 / 127 :

يا أيها الرجل المغير شبيهه *** كما تُعدُّ له من الشبان

أقصر فلو سوّدت كلّ حمامة *** بيضاء ما عدت من الغربان

وقال البحري 18 / 125 - 126 :

لا بس من شبيهه أم ناض *** ومليح من شبيهه أم راض

وإذا ما امتعضت من ولع الشيا *** ب برأس لم يُثنِ ذا امتعاض

ليس يرضى عن الزمان امرؤ في *** هالاً عن غفلة أو تغاض

والبواقى من الليالي وإن خا *** لفن شيئاً شبيهةً بالمواضي

وأبت تركي الغدييات والآ *** صال حتى خضبت بالمقراض

طال حزني على الشباب وما بيض *** من لون صبغة الفضفاض

فهل الحادثات بين عويف *** تاركاتي ولبس هذا البياض

ولقوله (عليه السلام)، عندما قيل له : لو غيرت شبيك يا أمير المؤمنين :

«الخضاب زينة في مصيبة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الصابي 20 / 230 :

ص: 127

خضابٌ تقسمناه بيني وبينها*** ولكنَّ شأني خالفٌ فيه شأنها
فيا قبحه إن حل مني بمفرقي*** ويا حسنه إن حلَّ منها بنانها
وسحقاً له من لمتي حين شانها*** وأهلاً به في كفها حين زانها
ويقول أبي تمام 230/20 - 231 :

لعب الشيب بالمفارق بل جدّ*** فأبكي تماضراً ولعوبا
خضبت خدها إلى لؤلؤال*** عقد إن رأت شواتي خضيبا
كلُّ داءٍ يُرجى الدواء له إلّا*** الفضييعين ميتةً ومشيبا
يا نسيب الثغام ذنبك أبقي*** حسناتي عند الحسان ذنوبا
ولئن عين ما رأين وقد أن*** كرن مستنكراً وعين معيبا
ويقوله أيضاً 231/20 :

فإن يكن المشيب طعى علينا*** وأودى بالبشاشة والشبابِ
فإني لست أدفعه بشيءٍ*** يكون عليه أثقل من خضابِ
أردت بأن ذاك وذا عذابٍ*** فسَلَطُ العذاب على العذابِ
ويقوله أيضاً 231/20 :

نسج المشيب له لفاعاً مندفاً*** يققاً فققع مذرويه ونصفا
نظر الزمان إليه قطع دونه*** نظر الشقيق تحسراً وتلهفا
ما اسودَّ حتى ابيضَّ كالكرم الذي*** لم يبدُ حتى جيءَ كيما يُقطفا
لما تقوّف الخطوب سوادها*** ببياضها عبثت به فتقوّفا

ما كان يخطر قبل ذا في فكره*** للبدري قبل تمامه أن يكسفا

ويقوله أيضاً 230/20 - 231 :

غدا الههّم مختطاً بفوديّ خطّة*** طريق الردي منها إلى الموت مهيعُ

هو الزور يخفي والمعاشر يحتوي*** وذو الألف يُقلى، والجديد يُرَقّع

له منظرٌ في العين أبيض ناصع*** ولكنّه في القلب أسود أسفعُ

ونحن نُرجيه على الكره والرضا*** وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

وقوله أيضاً 232 /20 :

شعلةٌ في المفارق استودعتني*** في صميم الأحشاء ثكلاً صميماً

تستثير الهموم ما اكتنّ منها*** صعداً وهي تستثير الهموما

عُرّة مرة إلا إتما كن*** ت أغرّ أيام كنتُ بهيما

دقةٌ في الحياة تُدعى جلالاً*** مثلما سَمّي اللديغ سليماً

حلّمتي زعمتُم وأراني*** قبل هذا التحليم كنتُ حلّيماً

وقول ابن الرومي 231/20 :

لم أخضب الشيب للغواني*** أبغي به عندهم ودادا ؟

لكن خضابي على شبابٍ*** لبستُ من بعده حدادا

وقول البحري 232 / 20 :

ص: 129

بان الشباب فلا عينٌ ولا أثرٌ***إلا بقيّة بُردٍ منه أسمالٍ

قد كدتُ أخرجهُ عن منتهى عددي***ياساً وأسقطهُ إذ فات من بالي

سوء العواقب يأسٌ قبلهُ أملٌ***وأعضل الداء نكسٌ بعد إبلالٍ

والمرءٌ طاعةٌ أيامٌ تُثقلُهُ***تثقلُ الظلُّ من حالٍ إلى حالٍ

وقول الصابلي يذكر الخضاب 232/20 :

خَصَّبْتُ شَيْبِي لِلتَّلَعُّقِ بِالصَّبَا***وأوهمتُ من أهواه أني لم أشبُ

فلما ادعي مني الشباب شيبيةً***إذا صلّعي قد صاح من فوقه كذبٌ

فكم طرّةً طارت ودانت ذوائبٌ***وكم وجنةٌ حالت وماءٌ بها نضب

شواهد بالتزوير يحوين ريّها***فهجرانهُ عند الأحبّة قد وجب

الأجوبة المسكتة

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«من أسرع إلى الناس بما يكرهون، قالوا فيه ما لا يعلمون».

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول :

[لما فتح قتيبة بن مسلم سمرقند أفضى إلى أثاث لم تُر مثله وإلى آلات لم يُر مثلها، فأراد أن يُرى الناس عظيم ما أنعم الله عليه، ويُعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم، فأمر بدارٍ ففُرِشت وفي صحنها قدورٌ يُرتقي إليها بالسلاالم، فإذا الحُضين بن المنذر بن الحارث بن ولة الرقاشي قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم، والحُضين شيخٌ كبير، فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لأخيه قُتيبة :

- إ إذن لي في معاتبته :

قال :

- لا تردّه لأنه خبيث الجواب.

فأبي عبد الله إلاً أن يأذن له، فقال 152/18 - 153 :

يا أبا ساسان، أتعرف الذي يقول :

عزّلنا وأمرنا وبكر بن وائل *** تجرّ حضاها تبتغي من تحالفه

قال :

أجل، وأعرف الذي يقول :

بأدنى العزم قاد بنو قشير *** ومن كانت له أسرى كلاب

وخيبة من يخيب على غني *** وباهلة بن يعصر والطلاب

قال :

- أتعرف الذي يقول؟

كان فقاع الأزدي حول ابن مسمع *** إذا عرفت أفواه بكر بن وائل

قال :

- نعم أعرفه وأعرف الذي يقول :

قوم قتيبة أمهم وأبوهم *** لولا قتيبة أصبحوا في مجهل

قال :

- أما الشعر فأرك ترويه، فهل تقرأ من القرآن شيئاً؟

قال :

- أقرأ منه الأكثر الأطيب : «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا».

فأغضبه فقال :

- والله بلغني أن امرأة الحَضِينِ حُمِلت إليه، وهي حبلى من غيره.

فما تحرَّك الشيخ عن هياتِه الأولى ثم قال على رسله :

- فما يكون : تلد غلاماً على فراشي، فيقال : فلان بن الحَضِينِ كما يُقال : عبد الله بن مسلم، فأقبل قتيبة على عبد الله وقال :

- لا يُبعد الله غيرك !

المسك

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«نِعْمَ الطِّيبُ الْمَسْكُ؛ خَفِيفٌ حَمَلُهُ، عَطِرٌ رِيحُهُ».

استشهد ابن أبي الحديد بما أنشد المتوكِّل، وهو يُناول أحمد بن فنن فأرة مسك 342/19 :

لئن كان هذا طيبنا وهو طيبٌ***لقد طيبته من يدك الأناملُ

وبرواية تقول 342/19 - 343:

[سَمَّ مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري من أخته هند بنت أسماء ريحاً غالية، وكانت تحت الحجاج، فقال :

ص: 132

- عَلَمِينِي طَيْبِكَ. قَالَتْ :

لا افعل، أتريد أن تُعلِّمه جواريك؟ هو لك عندي ما أردته. ثم ضحكت وقالت :

والله ما تعلَّمته إلا من شعرك حيث تقول :

أطيب الطيب طيب أم أبانٍ *** فأرْمسك بعنبرٍ مسحوق

خلطُته بعودها وبيانٍ *** فهو أحوى على اليدين شريقٍ [

وبما قيل :

[إن عمر بن عبد العزيز - في إمارته على المدينة - يجعل المسك بين قدميه ونعله، فقال فيه الشاعر يمدحه 343/ 19:

له نَعْلٌ لا يطبِّي الكلب ريحها *** وإن وضعت في مجلس القوم شُمَّتِ [

وبروايةٍ أخرى تقول 344 / 19 : [سمع عمر قول عبد بني الحسحاس :

وهبَّت شمالاً آخر الليل قَوَّةٌ *** ولا ثوب إلا درعها وردائيا

فما زال بُردِي طيِّباً من ثيابها *** مدى الحول حتى نهَّج البرد باليا

فقال له :

- ويحك، إنك مقتول.

فلم تمضِ عليه أيام حتى قُتِل [

وبروايةٍ أخرى تقول 344 / 19 - 345:

ص: 133

[عرضت مدنية لكثير، فقالت : أنت القائل؟

فما روضةً بالحزن طيبة الثري***يمجُ الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزةً موهناً***وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

لو كانت هذه الصفة لنجية تجتلي الحلّ لطابت، هلاً قلت كما قال سيّدك امرؤ القيس :

ألم ترياني كلما جئت طارقاً***وجدتُ لها طيباً وإن لم تُطَيّبِ

واستشهد بقول شاعر 347 / 19:

والمسك بيناتراه ممتهاً***ببهر عطاره وساحقه

حتى تراه في عارضي ملكٍ***أو موضع التاج من مفارقه

ويقول الصنوبري في استهداء المسك 347 / 19 :

المسك أشبه شيء بالشباب فهب***بعض الشباب لبعض العصبة الشيب

و :

كأن دخان الندّ ما بين جمره***بقايا ضباب في رياض شقيق

وقول أبي العباس الأعمى 348 / 19 :

ليت شعري من أين رائحة المس***ك وما أن أخال بالخيف أنس

حيث غابت بنو أميّة عنه***والبهاليل من بني عبد شمس

خطباءً على المنابر فُرسا***نُ قاله غير خُرس

بحلوم مثل الجبال رزان***ووجوه مثل الدنانير ملس

وقول المسيّب بن علس 348/19 - 349 :

ص: 134

تبيت المملوك على عتبها***وشيبان إن غضبت تعتبُ

وكالشهد بالراح أفاظهم***وأخلاقهم منهما أذبُ

وكالمسك تُربُ مقاماتهم***وشربُ قبورهم أطيْبُ

وقول العباس بن الأحنف 349/19 :

وأنت إذا ما وطنت التراب***كأنَّ ترابك للناس طيبُ

وقول أحد الشعراء وهو يهجو العمال في أيام عمر 349/19 :

نؤوبُ إذا آبوا ونغزو إذا غزوا***فأنتي لهم وفرٌ ولسنا ذوي وفرٍ

إذا التاجر الداري جاء بفارة***من المسك راحت في مفارقهم تجري

وقول الشاعر في فارة الإبل 350/19 :

كأنَّ فارة مسكٍ في مباءتها***إذا بدا من ضياء الصبح تنتشرُ

وقول عيينة بن أسماء بن خارجة الفزاري 350/19 :

لو كنت أحمل خمراً حين زرتكم***لم ينكر الكلب إنني صاحب الدارِ

لكن أتيت وريح المسك يقدمني***والعنبر الورد مشبواً على النارِ

فأنكر الكلب ريحي حين خالطني***وكان يألف ريح الزقِّ والفارِ

وقول سلمة بن عيَّاش لجعفر بن سليمان 351 / 19:

فما شمَّ أنفي ريح كَفَّ رأيتها***من الناس إلا ريح كَفَّك أطيْبُ

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«ما زال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله».

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول 102/20 :

[... بويع لعبد الله بن الزبير في سنة أربع وستين في قول وخمسٍ وستين في قولٍ ثانٍ، ولما كان اليوم الذي قُتِل فيه دخلت على أمه في المسجد فحثته على أن لا يقبل الذل مخافة القتل.

فخرج ونصب له مصراع عند الكعبة، فأتاه رجل من قريش فقال له :

- والله لو وجدوكم تحت أستار الكعبة لقتلوكم عن آخركم، وهل حرمة البيت كحرمة الحرم؟ ثم أنشد 105 / 20 :

ولست بمبتاع الحياة بسبّةٍ***ولا مرتقٍ من خشية الله سلماً

ثم شد عليه أصحاب الحجاج، فحمل عليهم فصار يضربهم بسيفين حتى أخرجهم من المسجد، ثم انصرف وهو يقول 105/20 :

لو كان قرني واحدٌ أرديته***أوردته الموت وقد أذكيته

ثم عاد فحمل عليهم فأخرجهم من المسجد بعد دخوله ثم انصرف وهو يقول 105 / 20 :

ولسنا على الأعقاب تُدمي كلومنا***ولكن على أعقابنا تقطر الدما

وحماه موليان له، فكان أحدهما يقول 106/20 :

العبد يحمي ربّه ويحتمي

وكان أهل الشام وهم يُقاتلون عبد الله في مكة يصيحون :

يا ابن ذات النطاقين.

يَضُنُونَهُ عَيْباً فَقَالَ لَهُمْ :

إني وإياكم لكما قال أبو ذؤيب :

وَعَبَّرَنِي الْوَاشُونَ أَنِّي أَحْبَبُهَا***وَتَلَّكَ شِكَاةً ظَاهِرًا عَنْكَ عَارَهَا

فَإِنْ أَعْتَذَرَ عَنْهَا فَإِنِّي مَكْذُوبٌ***وَإِنْ تَعْتَذِرُ يُرَدُّ عَلَيْكَ اعْتِدَارَهَا

وزعموا أن عبد الله بن الزبير لما ولد أُتِيَ به رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فنظر في وجهه وقال :

- هو هو لمنعني البيت وليموتنّ دونه.

وقال العقيلي في ذلك، وقد نقلناه في فقرة التوقّعات المستقبلية 108/20 :

بُرِّ تَبَيَّنَ مَا قَالَ الرَّسُولَ لَهُ***وَذُو صَلَاةٍ يُضَاهِي وَجْهَهُ عِلْمٌ

حَمَامَةٌ مِنْ حَمَامِ الْبَيْتِ قَاطِنَةٌ***لَا تَتَّبِعُ النَّاسَ إِنْ جَارُوا وَإِنْ ظَلَمُوا

وخطب الحجاج بعد قتله زجلة بنت منظور بن زيّان بن سيّار الفزارية، وهي أم هاشم بن عبد الله بن الزبير، فقلعت ثنيتها وردّته وقالت :

- ماذا يُريد إلى ذلّقاء ثكلى حرّي. وقالت 109/20 :

أبعد عائد بيت الله تخطبني***جهلا جهلت وغبّ الجهل مذمومٌ

ص: 137

فاذهب إليك فإني غير ناكحة***بعد ابن أسماء ما استنَّ الدياميمُ

من يجعل العير مصفرًا جحافله***مثل الجواد وفضل الله مقسومٌ]

* سمع معاوية رجلاً ينشد 111/20 :

ابن رقشٍ ماجدٌ سميدع***يأبى فيعطي عن يي ويمنعُ

فقال :

- ذلك عبد الله بن الزبير.]

*لما كان يوم الثلاثاء، صبيحة سبع عشرة من جمادي الأولى سنة ثلاث وسبعين، وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب، بات ابن الزبير يُصلي الليل، ثم تقلد سيفه فصلي الفجر، وبعدها خطب في قومه ثم قال :

أبي لابن سلمى أنه غير خالدٍ***يلاقي المنايا أيَّ وجهٍ تيمَّما

فلست بمبتاع الحياة بسبِّة***ولا مرتقٍ من خشية الموت سلَّما

*كان عبد الله بن الزبير شديد البخل، كأن يطعم جنده تمرا، ويأمرهم بالحرب، فإذا فرُّوا من وقع السيوف لاحتهم وقال لهم :

- أكلتم تمرى وعصيتم أمري.

فقال أحدهم 123/20 :

ألم ترَ عبد الله - والله غالبٌ***على أمره - يبغى الخلافة بالتمرِ

*خطب ابن الزبير بمكة على المنبر، وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر فعرض بيني هاشم، فقال ابن عباس : يا ابن الزبير 130/20 :

ص: 138

قد أنصف الفارة من رماها

إنّا إذا ما فئةً نلقاها

نردُّ أولاهاعلي أخواها

حتى تصير حرصاً دعواها

*خطب عبد الله بن الزبير أيام يزيد بن معاوية فقال :

(يزيد القروء، يزيد الفهود، يزيد الخمور، يزيد الفجور، أما والله لقد بلغني أنه لا يزال مخموراً يخطب الناس وهو طافح في سكره).

فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فجهّز جيش الحرّة وهو عشرون ألف وقال 133 / 20 - 134 :

أبلغ أبا بكرٍ إذا الجيش انبرى

وأخذ القوم على وادي القرى

عشرين ألفاً بين كهلٍ وفتى

أجمع سكرانٍ من القوم ترى

أم جمع ليثٍ دونه ليث الشرى

*لما خرج الحسين من مكة إلى العراق ضرب عبد الله بن عباس بيده على منكب ابن الزبير وقال :

يالك من قبرةٍ بمعبرٍ*** خلالك الجؤ فيضني واصفري

هذا الحسين سائرٌ فأبشري*** وتقرّي ماشئت أن تنقري

ص: 139

*دخل عبد الله بن الزبير على معاوية فقال :

- اسمع أبياتا قلتها أعاتبك فيها.

قال :

- هاتها.

فأنشد 135/20 :

لعمري ما أدري وأني أؤجل ***على أيننا تعدو المنية أول
وأني أخوك الدائم العهد لم أزل ***أن أعياك خصم أو نبا بك منزل
أحارب من حاربت من ذي عداوة ***وأحس يوماً إن حبست وأعقل
وإن يؤتني يوماً صفحت إلى غد ***ليعقب يوم منك آخر مقبل
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني ***يمينك فانظر أي كف تبدل
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ***على طرف الهجران كان يعقل
ويركب حدّ السيف من أن تُضيمه ***إذا لم يكن في شفرة السيف معدل
وكنت إذا ما صاحب ملّ صحتي ***وبدل شراً بالذي كنت أفعل
قلبت له ظهر المجنّ ولم أقم ***على الضيم إلا ريثما أتحوّل
وفي الناس إن رئت جبالك واصل ***وفي الأرض عن دار العلا متحوّل
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد ***إليه بوجه آخر الدهر تقبل

فقال معاوية :

- لقد شعرت بعدي يا أبا خبيب.

ص: 140

وبينا هو كذلك دخل معن بن أوس المُنزني فقال له معاوية :

- إيه ! هل أحدثت بعدي شيئاً؟

قال :

- نعم.

قال :

قل :

فأنشد هذه الأبيات فعجب معاوية وقال لابن الزبير :

- ألم تنشدها لنفسك آنفاً؟

فقال :

- أنا سوّيت المعاني وهو ألف الألفاظ ونظمها، وهو بعدُ طري (69) فما قال من شيء فهو لي.

فقال معاوية :

- وكذباً يا أبا خبيب؟

فقام عبد الله وخرج.

أشعر الشعراء :

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وقد سُئل عن أشعر الشعراء :

«إن القوس لم يجر في حلبة تعرف الغاية عند قصبته، فإن كان لا بد فالملك الضليل».

ص: 141

وهو (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يريد امرأ القيس.

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول 153/20 - 154 :

[كان عليُّ بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يُعَشِّي الناس في شهر رمضان ولا يتعشَّى معهم، فإذا فرغوا خَطَبَهُم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وقال في خطبته :

«اعلموا أن ملاك أمركم الدين، وعصمتكم التقوى، وثبتكم الأدب، ومصون أعراضكم الحلم...».

ثم قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

قل، يا أبا الأسود، فيم كنتم تقيضون فيه ؟ أي الشعراء أشعر؟

فقال :

- الذي يقول :

ولقد أعتدي يُدافع ركني***أعوجيُّ ذو ميعةٍ ضريِّج

مُخلط، مِزبلٌ، مِعنٌ، مِفنٌ***منفحٌ، مطرحٌ، سيوحٌ، خروجٌ

فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

- ليس به.

قالوا :

- من يا أمير المؤمنين ؟

فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«لورُفعت للقدم غاية فجزوا إليها معاً علمنا من السابق منهم، ولكن إن

ص: 142

يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا عن رهبة)).

قيل :

- من هو يا أمير المؤمنين ؟

قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

- هو الملك الضليل ذو القروح.

قيل : امرؤ القيس يا أمير المؤمنين ؟

قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

- هو...

ويعني (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بالغاية (الراية)، قال الشاعر :

وإذا غاية مجدٍ رُفِعَتْ *** نهض الصلْتُ إليها فحواها

ويروى قول الشماخ :

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ *** تلقَّاها عرابة باليمينِ

وهي لهجة قوم. والراء أكثر.

وقيل؛ شاعر الشعراء - في الجاهلية - زهير لقوله 156/20 :

وما يكُ من خيرٍ أتوه فإنما *** توارثها آباء آبائهم قبلُ

وهل ينبت الخَطِّيُّ إلا وشيجهً *** وتُغرسُ إلا في منابتها النخلُ

وقوله 157/20 :

ص: 143

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غايية*** إلى المجد لم يسبق إليها يسود

سبقت إليها كل طلق مبرر*** سبق إلى الغايات غير مُزند

كفعل جواد يسبق الخيل عفوه الى*** سراع وإن يجهد ويجهدن يبعد

فلو كان حمداً يخلد الناس لم تمت*** ولكن حمد الناس ليس بمخلد

(إلا أنه يتبع حوشي الكلام ولا يفاضل في منطقته، ولا يقول إلا ما يعرف، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه)

وقوله 158/20 :

ومن يك ذا فضل ويبخل بفضله*** على قومه يستغن عنه فيذمم

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه*** يهدم، ومن لا يظلم الناس يظلم

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه*** ولونال أسباب السماء بسلم

ومن يجعل المعروف من دون أهله*** يفره، ومن لا يتق الشتم يشتم

وقيل : النابغة. لقوله 159/20 :

فإنك شمس والملوك كواكب*** إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكب

وقوله 159/20 :

أيتك عارياً خلقاً ثيابي*** على خوفٍ تظنُّ بي الظنون

وقوله 159/20 :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة*** وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني وليتما*** لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ص: 144

بمستبِقٍ أحمًا لا تلمَّه خيانهٌ***على شعثِ أيُّ الرجال المهذبُ

وقوله 160/20 :

فإنك كالليل الذي هو مدركي***وإن خلت أن المنتأى عنك واسعُ

خطاطيف حجلٍ في حبالٍ متينة***تمدُّ بها أي إليك نوازعُ

وقوله يمدح النعمان بن المنذر 166/20 :

كتمتكم ليلاً بالجحومين ساهراً***وهيّن همماً مستكناً وظاهراً

أحاديث نفسٍ تشتكي ما يُريبها***وورد همومٍ لا يجدن مصادراً

تُكلّفني أن يغفل الدهر همّها***وهل وجدت قبلي على الدهر ناصراً؟

ألم تر خير الناس أصبح نعشه***على فتيةٍ قد جاور الحيّ سائراً

ونحن لديه نسأل الله خلده***يردُّ لنا ملكاً وللأرض عامراً

ونحن نُرجي الخير إن فارقدحنا***ونرهب قدح الدهر إن جاء قامراً

لك الخير إن وارت بك الأرض واحداً***وأصبح حبر الناس بعدك عاثراً

وردت مطايا الراغبين وعريت***جياذك لا يخفى لها الدهر حافراً

رأيتك ترعاني بعينٍ بصيرة***وأبعثت حُرّاساً عليّ وناظراً

وذلك من قولٍ أتاك أقوله***ومن دس أعداءٍ لديك المآبراً

فأهلي فداءً لا مريءٍ إن أتيته***تقبّل معرون وسدّ المفارقاً

سأربط كليّ إن يُريبك نبهة***وإن كنت أرعى مسحلان وعامراً

وحلّت بيوتي في بقاعٍ منّع***تخال به راعي الحمولة طائراً

تزل الوعول العصم عن قذفاته***ويضحي ذراه في السحاب كوافراً

ص: 145

حذاراً على أن لا تنال مقادتي *** ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا
أقول وقد شطت بي الدار عنكم *** إذا مالقيت من معدّ مسافرا
ألا أبلغ النعمان حيث لقيته *** فأهدى له الله الغيوث البواكرا
وربّ عليه الله أحسن *** وكان على كلّ المعادين ناصرا
صنعه

وقوله 192/20 :

هذا غلامٌ حسنٌ وجهه *** مستقبل الخير سريع التمام
للحارث الأكبر والحارث ال *** أصغر فالأعرج خير الأنام
ثم لعمرٍ ولعمرٍ وقد *** أسرع في الخيرات منه إمام
خمسة آباء هم ما هم *** أفضل من يشرب صوب الغمام
وقيل القطامي، لقوله 164/20 :

إنّا محبّبوك فاسلم أيها الطل *** وإن بليت وإن طالت بك الطيل
ليس الجديد به تبقى بشاشته *** إلا قليلاً ولا ذوقاً يصل
والعيش لا عيش إلا ما تقرّ به *** عينٌ ولا حال إلا سوف تنتقل
إن ترجعي من أبي عثمان منجمة *** فقد يهون على المستنجد العمل
والناس من يلق خيراً قائلون له *** ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل
قد يدرك المتأني بعض حاجته *** وقد يكون مع المستعجل الزلل
وقوله 164/20 :

ص: 146

طرفت جنوب رحالنا من مطرق*** ماكنت أحسبها قريب المُعَنَقِ

وقيل الخنساء لقولها 190/20 :

وقائلة والنعش قد فات خطوها*** لتدركه: يا لهف نفسي على صخرِ

ألا هبلت أم الذي غدروا به*** إلى القبر، ماذا يحملنَّ إلى القبرِ

وقيل ليلي أخت المنشر بن وهب الباهلي لقولها 165/20 :

مهفهفٌ أهضم الكشحين منحرقٌ*** عنه القميص يسير الليل محتقرا

لا يأمن الدهر ممساه ومصبحه*** من كلِّ أوبٍ وإن لم يغزُ منتظرا

وقيل امرؤ القيس لقوله: 168/20 :

وقاهم جدُّهم بني أبيهم*** وبالأشقين ما كان العقابُ

وقوله 199/20 :

أغرَّك مني أنَّ حبَّك قاتلي*** وإنَّك مهما تأمري القلب يفعلِ

وقيل : الذي يقول 169/20 :

ويبرد برد رداء العروس*** بالصيف رقرق فيه العبيرا

ويسخن ليلة لا يستطيع*** نباحا به الكلب إلا هريرا

ولقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) 234/20 :

«ما المجاهد في سبيل الله بأعظم ممن قدر فعفَّ لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر 234/20 :

ص: 147

إن أكن طامح اللحاظ فإني***- والذي يملك القلوب - عفيفُ

وقول الآخر 234/20 :

وإني لعفُّ من فكاهة جارتِي*** وإني لمشئوءٌ إليّ إغتيابها

إذا غاب عنها بعلمها لم أكن لها*** صديقاً ولم تأنس إليّ طلابها

ولم أكنُ طلاباً أحادث سرّها*** ولا عالماً من أيّ حوكٍ ثيابها

وقول جميل بثينة 234/20 :

لا والذي تسجد الجباه له*** مالي بما ضمّ ثوبها خبرُ

ولا بفيها ولا هممت به*** ما كان إلّا الحديث والنظرُ

وقول الشاعر 235/20 :

قالت وقلت ترفقي فصلي*** حبل امري بوصالكم حبي

صديق إذن بعلي فقلت لها*** الغدر شيءٌ ليس من شبي

ثنتان لا أصبو لوصولهما*** عرس الصديق وجارة الجنبِ

أما الصديق فلست خائنه*** والجار أوصاني به ربي

وبالرواية التي تقول 235/20 : [إن امرأة ذات جمالٍ دعت عبد الله بن عبد المطلب إلى نفسها لما كانت ترى على وجهه من النور فأبي

وقال :

ص: 148

أما الحرام فالممات دونهُ

والحلُّ لاحتلُّ فاستبينهُ

فكيف بالأمر الذي تبغينه

يحمي الكريمُ عرضه ودينه [

وبالرواية التي تقول 235/20 :

[راود توبة بن الحمير ليلي الأخيلية مرّةً عن نفسها، فاشمأزت منه وقالت :

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها***فليس إليها - ما حييت - سبيلُ

لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه***وأنت لأخرى صاحبٌ وخليلٌ]

ويقول ابن ميادة 235/20 :

موانع لا يُعطين حبة خردلٍ***وهنّ زوانٍ في الحديث أوانسُ

ويكرهن إن يسمعن في اللهوريبة***كما كرهت صوت اللجام الشوامسُ

وقول آخر 235/20:

بيضُ أوانس ما هممت بريبة***كضباء مكة صيدهن حرامُ

يُحسبن - من لين الكلام -***ويصدُّهنّ عن الخنا الإسلامُ

وقول قيس بن الملوّح 236/20 :

كانَّ على أنيابها الخمر مجّه***بماء الندى من آخر الليل غابقي

وما ذقته إلا بعيني تفرُّساً***كما شيم من أعلى السحابة بارقي

وقول أبو صفيرة البولاني 236/20 :

بأعذب ما فيها وما ذقت طعمه*** ولكنني - فيما ترى العين -

وقول ابن المولى المدني 236/20 :

فأبكي فلا ليلى بكت من صباية*** لباك، ولا ليلى التي البذل تبذل

وأخنع بالعتبي إذا كنت مذنباً*** وإن أذنت كنت الذي أتصّل

وقول شاعر 236/20 - 237 :

ما أن دعاني الهوى لفاحشة*** إلا نهاني الحياء والكرم

ولا إلى محرم مددت يدي*** ولا مشت بي - لريبة - قدم

وقول العباس بن الأحنف 237/20 :

أتأذنون لصبّ في زيارتكم*** فعندكم شهوات السمع والبصر

لا يضر السوء إن طال الجلوس به*** عفّ الضمير ولكن فاسق النظر

وقول آخر 237/20 :

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني*** منه الحياء وخوف الله والحدز

وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني*** منه الفكاهة والتحديث والنظر

أهوى الملاح وأهوى من أجالسهم*** وليس لي - في حرام منهم - وطر

كذلك الحب لا إتيان معصية*** لا خير في لذّة من بعدها سقر

وقول آخر 20240:

أنا زاني اللسان والطرف إلا*** أن قلبي يعاف ذلك ويأبى

لا يراني إلا له أشرب إلا*** كلما حلّ شربه لي وطابا

وقول آخر 240/20 :

نلهو بهنّ كذا من غير فاحشة***لهو الصيام بتفاح البساتين

وقول المتنبي 240/20 :

وترى الفتوة والمروءة والأبوة في كل مليحة ضرّاتها

هنّ الثلاث المانعات للذّتي***في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

إني على شفقي بما في خمرها***لا عفّ عما في سرا ويلاتها

ذم الحرب

ولقوله (عليه السلام) :

«كلما أطلّ عليكم منسّرٌ من مناسر أهل الشام أغلق كلّ رجلٍ منكم بابه، وانجحر انجحر الضبّة في جحرها، والضب في وجاره».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعرة 106/ 6:

أضحت تشجّعني هندٌ وقد علمت***أن الشجاعة مقرونٌ بها العطبُ

لا والذي حجّت الأنصار كعبته***ما يشتهي الحرب عندي من له أربُ

للحرب قومٌ أضلّ الله سعيهم***إذا دعتهم إلى حوماتها وثبوا

ولست منهم ولا أهوى فعالهم***لا القتل يعجبني منا ولا السلبس

وقول أيمن بن خزيمة الأسدية 106/ 6 :

ص: 151

إِنَّ لِّلْفِتْنَةِ مِيطًا بَيْنَنَا***ووريد الميط منها يعتدلُ

فإذا كان عطاء فابتدر***وإذا كان قتالُ فاعتزلُ

إنما يُسرِّعها جُهلها***حطب النار فدعها تشتعلُ

ص: 152

ويشتمل على :

الإرشاد والنصح من 1 - 7

النقد والتعريض من 8 - 15

العتاب والتقريع من 16 - 21

الزهديات من 22 - 30

البعثة النبوية من 31 - 36

التحذير من الفتن من 37 - 41

منزلته (عَلَيْهِ السَّلَام) عند الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من 42 - 46

المناظرة والجدل من 47 - 50

الوصف العجيب من 50 - 52

الأحكام الشرعية من 53 - 56

الوصايا والتعاليم من 57 - 67

المنهج السياسي من 68 - 70

حكّ قصار من 71 - 300

ص: 155

1 - قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لأبي ذر (رحمه الله) لما خرج إلى الربذة :

((يا أبا ذر إنك غضبتَ لله، فأرجُ من غضبتَ له، إن القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفت عليه، فما أحوجهم إلى ما منعهم، وما أغناك عما منعوك، وستعلم من الرابع غداً، والأكثر حسداً، ولو أن السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقاً، ثم اتقى الله، لجعل الله له منها مخرجاً، لا يؤنسُك إلا الحق، ولا يوحشُك إلا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك، ولو قرضت (قطعت) منها لأمنوك)).

2 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في المسارعة إلى العمل :

((فاعملوا وأنتم في نَفْس (سعة) البقاء، والصحف منشورة، والتوبة مبسوطة (مقبولة) والمُدبِر (المُعْرِض) يُدعى، والمسيء يرجي، قبل أن يُخمدَ (ينقطع) المُهَل، وينقطع المهمل، وينقضي الأجل، وَيُسَدُّ بابُ التوبة، وتصعد الملائكة، فأخذ امرؤ من نفسه لنفسه، وأخذه من حيِّ لميِّت، ومن فانٍ لباقي، ومن ذاهب الدائم، امرؤ خاف الله وهو مَعَمَّرٌ إلى أجله، ومنظور (مُهمل) إلى عمله، امرؤ ألجم نفسه بلجامها وزمَّها (قادها) بزمامها، فأمسكها بلجامها عن معاصي الله، وقادها بزمامها إلى طاعة الله)).

3 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في فساد الزمان :

((واعلموا رحمكم الله أنكم في زمان القائل فيه الحق قليل، واللسان عن الصدق قليل (قاصر) واللازم للحق ذليل، أهله معتكفون على العصيان،

مصطلحون على الإدهان، فتاهم عارم (شرس) وشائبهم آثم، وعالمهم منافق، وقارغم محاذق (غشاش)، لا يعظم صغيرهم كبيرهم ولا يعول غنيهم فقيرهم».

4 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«ألا وإن اللسان بضعة (قطعة) من الإنسان، فلا يسعده القول إذا امتنع، ولا يمهله النطق إذا اتسع، وإنا لأمرء الكلام، وفينا تنشبت (ثبتت) عروقه، وعلينا تهدلت (تدلت) غصونه».

5 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهو يعظ ويوصي:

«أوصيكم - عباد الله - بتقوى الله، وأحذكم الدنيا، فإنها دار شخوص (ذهاب) ومحلّة تنغيص، ساكنها ضاعن، وقاطنها بائن (مبتعد)، تميد (تضطرب) بأهلها ميدان السفينة تقصفها (تكسرها) العواصف في لجج البحار؛ فمنهم الغرق الويق (الهالك)، ومنهم الناجي على بطون الأمواج، تحفّزه (تدفعه) الرياح بأذيالها وتحمله على أهوالها، فما غرق منها فليس بمستدرك، وما نجا منها فإلى مهلك!

عباد الله، الآن فاعملوا، والألسن مطلقة، والأبدان صحيحة، والأعضاء لدنة (لينة)، والمنقلب فسيح، والمحال عريض، فخففوا عليكم نزوله، ولا تنتظروا قدومه».

6 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وكان يدعو به كثيراً:

«الحمد لله الذي يصبح بي ميتاً ولا سقيماً، ولا مضروباً على عروقي بسوء، ولا مأخوذاً بأسوأ عملي، ولا مقطوعاً واتري (نسلي)، ولا مرتداً عن ديني، ولا

ص: 157

منكر ربّي، ولا مستوحشا من إيماني، ولا ملتبساً عقلي، ولا معذباً بعذاب الأمم من قبلي، أصبحت عبداً مملوكاً ظالماً نفسي، لك الحجة عليّ ولا حجة لي، ولا أستطيع أن أخذ إلا ما أعطيتني، ولا أتقي إلا ما وقيتني، اللهم إني أعوذ بك أن أفترق في غناك، أو أضل في هداك، أو أضام في سلطانك، أو أضطهد والأمر لك، اللهم اجعل نفسي أول كريمة تنتزعها من كرائمي، وأول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي، اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك، وأن نُفتتن في دينك، أو تتابع بنا أهواؤنا، دون الهدى الذي جاء من عندك».

7 - وقال (عليه السّلام) في عجيب صنعة الكون :

«وكان من اقتدار جبروته، وبديع لطائف صنعته، أن جعل من ماء البحر الزاخر المتراكم المتقاصف (المتزاحم)، يبساً جامداً، ثم فطر (خلق)، منه أطباقاً (طبقات) ففتقها سبع سماوات بعد ارتفاقها (اتصالها)، فاستمسكت بأمره وقامت على حدّه وأرسي أرضاً يحملها الأخضر (البحر) المتعنجر (معظم البحر)، والقمقام (البحر) المُسخر، قد ذلّ لأمره، وأذعن لهيبته، ووقف الجاري لخشيته، وجبل (خلق) جلاميدها (صخورها)، ونشوز (مرتفعات) متونها (متصلباتها) وأطوادها (عظامها النائتات) فأرساها في مراسيها، وألزمها قراراتها، فمضت رؤوسها في الهواء ورست أصولها في الماء، فأنهد جبالها (أظهرها) عن سهولها، وأساخ (عوّص) قواعدها في متون أقطارها، ومواضع أنصابها (معالمها)، فأشهب (رفع) قلالها (أعلاها) وأطال أنساها (جوانب الأرض المرتفعة)، وجعلها للأرض ماداً، وأرزها (ثبتها) فيها أوتاداً، فسكنت على حركتها من أن تحميد (تضطرب)

ص: 158

بأهلها، أو تسيخ (تغوص) بحملها، أو تزول عن مواضعها، فسبحان من أمسكها بعد موحان مياهها، وأجهدها بعد رطوبة أكنافها، فجعلها لخلقه مهاداً، وبسطها لهم فراشاً، فوق بحرٍ لُجِّيٍّ راكد لا يجري (لا يسيل)، وقائم لا يسري، تكررته تذهب به وتعود إلى الرياح العواصف، وتمخضه الغمام الذوارف (الذارفة الدموع) :

{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (النازعات/26) }

التقد والتعريض

8 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في الخوارج لما سمع قولهم (لا حكم إلا الله) :

«كلمة حق يُراد بها باطل، نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون : لا إمره إلا الله، وإنه لا بد للناس من أميرٍ برٍّ أو فاجرٍ يعمل في امرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويتجمع به الفيء، ويقا تل به العدو، وتأمين به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح برٌّ، ويستراح من فاجر».

9 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يشير فيه إلى ظلم بني أمية :

«والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً إلا استحلوه (استباحوه) ولا عقدل إلا حلّوه، وحتى لا يبقى بيد مدر ولا وبر إلا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم، وحتى يقوم الباكيان يبكيان :

بالك يبكي لدينه، وبالك يبكي لديناه، وحتى تكون نصره أحدكم من احدكم

كنصرة العبد من سيده، إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه، وحتى يكون أعظمكم فيها عناءً أحسنكم بالله ظناً، فإن (العاقبة للمتقين)».

10 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وفيه بيّن بعض أحكام الدين وكشف للخوارج الشبهة ونقض كلمة الحكمين :

«فإن أبيتم إلا أن تزعموا أنني أخطأت وضللت، فلم تضللون عامة أمة محمد بضاللي، وتأخذونهم بخطئي وتكفروهمم بذنوبي! سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم، وتخلطون من أذنّب بمن لم يذنب، وقد علمتم أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) رجم الزاني المُحصن، ثم صلى عليه، ثم ورّثه أهله، وقتل القاتل وورث ميراثه أهله، وقطع السارق وجلد الزاني غير المُحصن، ثم قسم عليهما من الفيء، ونكح المسلمات فأخذهم رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بذنوبهم، وأقام حق الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام، ولم يُخرج أسماءهم من بين أهله، ثم أنتم شرُّ الناس، ومن رمى به الشيطان مراميه، وضرب به - (ضلالته)!

وسيهلك في صنفان، محبٌ مفرط يذهب به الحب إلى غير الله، ومبغضٌ مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس في حالاً النمط الأوسط فالزموه، والزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم لذئب».

11 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يصف فئة من أهل الضلال :

«وطال الأمد بهم ليستكملوا الخزي، ويستوجبوا الغَيْر (النائبات)، حتى إذا

اخْلُوقِ الْأَجَلَ (انْقِضْ) واستراح قوم إلى الفتن، وأشالوا (رفعوا) من لقاح حربهم، لم يُمَنِّوا على الله بالصبر، ولم يستعظموا بذل أنفسهم في الحق، حتى إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء، حملوا بصائرهم على أسيافهم، ودانوا لربهم بأمر واعظهم، حتى إذا قبض الله رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على الولاةج (المكر)، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أُمرُوا بمودِّتِهِ، ونقلوا البناء عن أرض أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة، وأبواب كل ضارب في غمرة (شدة).

قد ماروا (اضطربوا) في الحيرة، وذهلوا في السكر، على سنّة من آل فرعون : من منقطع إلى الدنيا راكن، أو مفارق للدين مباين».

12 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يوم الشورى :

(.. وقد قال قائل : إنك على هذا الأمر يا بن أبي طالب لحريص؛ فقلت :

بل أنتم والله لأحرص وأبعد، وأنا أخص وأقرب، وإنما طلبت حقاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي (تمنعونني) دونه. فلما قرعته (ضربته) بالحجة في الملاء الحاضرين، هب (صاح) كأنه يهب لا يدري ما يجيبني به».

13 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في ذكر أصحاب الجمل :

(فقدموا على عمالي وخرّان بيت المسلمين الذي في يديّ، وعلى أهل مصر، كلهم في طاعتي وعلى بيعتي، فقتلوا طائفة منهم غدراً، وطائفة عضّوا (صبروا) على أسيافهم، فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين».

18 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، في شأن الحكمين وذم أهل الشام :

«جفأة غِلاظ طغام، وعبيد أقزام (أرذال)، جُمعوا من كل أوب، وتلقطوا من كل شوب (خلط)، من ينبغي أن يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ، وَيُعَلَّم وَيُدْرَبَ، وَيُوَلَّى عليه، ويؤخذ على يديه، ليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا من الذين تبوءوا الدار والإيمان.

ألا وإن القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم مما يحبون، وأنكم اخترتم الأنفسكم أقرب القوم مما تكرهون، وإنما عهدكم بعبد الله بن قيس؛ بالأمس من يقول :

إنها فتنة، فقطعوا أوتاركم وشيموا (اغمدوا) سيوفكم، فإن كان صادقاً فقد أخطأ بمسيره غير مُستكرِهٍ، وإن كان كاذباً فقد لزمته التهمة، فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن عباس وخذوا مهل الأيام، وخوطوا قواصي الإسلام.

ألا ترون إلى بلادكم تُغزى، وإلى صفاتكم ترمى .»

15 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في الاستنصار على قريش :

«اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعني، أمر هولبي، ثم قالوا: ألا إن الحق أن تأخذه، وأن الحق أن تتركه.

فخرجوا يجرون حرمة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) - كما تُجر الأمة عند

شرائها، متوجهين بها إلى البصرة، فحبسا (يقصد طلحة والزبير) نساءها في بيوقما، وأبرزاً حبيس (عائشة) رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لهما ولغيرهما، في جيش ما منهم رجل إلا وقد أعطاني الطاعة، وسمح لي بالبيعة، طائعاً غير مُكره.. فوالله لو لم يصيبوا المسلمين إلا رجلاً واحداً معتمدين (قاصدين) قتله، بلا جرم جرّه، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كله، إذ حضروه ولم ينكروا، ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد».

العتاب والتفريع

16 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وفيه ينفر من الغفلة وينبه إلى الفرار لله :

«فإنكم لو قد عاينتكم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم (خفتتم) وسمعتم وأطعتم، ولكن محجوبٌ عنكم ما قد عاينوا، وقريبٌ ما يُطرح الحجاب! ولقد بصرتهم إن أبصرتهم، وسمعتهم إن أسمعتهم، وهديتهم إن اهتديتكم، وبحقٍ أقول لكم :

لقد جاهدتكم العبر وزُجرتم بما فيه مزدجر، وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء الملائكة) إلا البشر».

17 - وفي استنفار الناس إلى أهل الشام، بعد فراغه من أمر الخوارج، وفيها يتأفف بالناس، وينصح لهم بطريق السداد، قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

«أفّ لكم لقد سئمت عتابكم! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً؟ وبالذل من العز خلفاً؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت (اضطربت) أعينكم

ص: 163

كأنكم من الموت في غمرة (شدة)، ومن الدهول في سكرة، يُرْتَج (يغلق) عليكم حوارى (مخاطبتي)، فتعمهون (تتحيرون) وكأن قلوبكم مألوسة (مجنونة) فأنتم لا تعقلون، ما أنتم لي بثقةٍ سجيّسَ (أبدا) الليلي، وما أنتم بِرُكنٍ يُمالُ بكم، ولا زوافر أركان عزٍّ، يفتقر إليكم، ما أنتم إلا- كإيلٍ ضلَّ رعاتها، فكلما جُمعت من جانب انتشرت من جانب آخر لبئس - لعمر الله - سدَّع (موقدوا) نار الحرب أنتم! تُكادون ولا تكيدون، وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون، لا يُنام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، غلب والله المتخاذلون! وأيم الله إنني لأظن بكم أن لو حُمس (اشتد) الوغى (الحرب) واستمر الموت، قد انفرجتكم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس، والله إن امرأاً يُمكنُ عدوّه من نفسه يعرُق لحمه (يذوب)، ويهشم عظمه يفري (يمزق) جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضُمَّت عليه جوانح صدره (ضلوع صدره)، أنت فكن ذاك إن شئت؛ فأما أنا فوالله دون أن أعطي ذلك ضرباً بالمشرفية (السيوف) تطير منه فراش الهام، وتطيح السواعد والأقدام، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء».

18 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في أصحابه :

«ولئن أمهل الظالم فلن يفوت أخذُه، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، وموضع الشجا (عظم يعترض الحلق) من مساغ ريقه، أما والذي نفسي بيده ليظهرنَّ هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائهم عن حقه، ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحتُ أخاف ظلم رعيتي، استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم

ص: 164

تسمعوا، ودعوتكم سرّاً وجهرّاً فلم تستجيبوا، ونصحتُ لكم فلم تقبلوا، أشهدُ كغِيَاب، وعبيدُ كارباب! أتلوا عليكم الحِكم فتنفرون منها، وأعظُّكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها، وأحثُّكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سبأ، ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم، أقومكم غُدوةً، وترجعون إلىّ عشيةً، كظاهر الحنية (القوس) عجز المَقوم وأعضل المَقوم».

19 - وقال (عَلِيهِ السَّلَامُ) يوبخ البخلاء بالمال والنفس :

«فلا- أموال بذلتموها للذي رزقها، ولا- أنفس خاطرتم بها للذي خلقها، تكرمون (تعزون) بالله على عباده، ولا تكرمون الله في عباده! فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم، وانقطعكم عن أوصال إخوانكم».

20 - بعد ليلة الهرير في صفين قام إليه (عَلِيهِ السَّلَامُ) رجل من أصحابه فقال :

نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندر أي الأمرين أرشد؟

فصفق (عَلِيهِ السَّلَامُ) إحدى يديه على الأخرى ثم قال :

«هذا جزاء من ترك العقدة (التعاقد)! أما والله لو أني حين أمرتكم به حملتكم على المكروه، الذي يجعل الله فيه خيراً كثيراً، فاستمعتم هديتكم، وإن اعوججتكم قوّمتمكم، وإن أبيتم تداركتكم، لكانت الوثقى، ولكن بمن؟ وإلى من؟ أريد أن أداوي بكم وأنت دائي، كناقش الشوكة بالشوكة، وهو يعلم أن ضلّعها (ميلها) معها.

ص: 165

اللهم قد ملّت أطباء هذا الداء الدوي (المؤلم) وكَلّت (ضعفت) النزعة بأشطان الركيّ (حبائل البئر)! أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى الجهاد فولهوا وَلَهَ اللقاح (النوق) إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً، وصفافاً صفافاً، بعضٌ هلك وبعضٌ نجا؟ لا يبشرون بالأحياء (لحبهم الموت في سبيل العقيدة)، ولا يُعزّون عن الموتى (لأن الموت عندهم سعادة)، مُرّة العيون (بيض العيون) من البكاء، خمص (ضوامر) البطون من الصيام، ذبل (يابسة) الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غيرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحُق لنا أن نظماً إليهم، ونعض الأيدي على فراقهم، إن الشيطان يسني (يسهل) لكم طرقه، ويريد أن يُحلّ دينكم عقدة عقدة، ويُعطيكُم بالجماعة الفرقة، وبالفرقة الفتنة، فاصدقوا (أعرضوا) عن نزعاته (وساوسه) ونفتاته، واقبلوا النصيحة ممن أهداها إليكم، واعقلوها (احبسوها) على أنفسكم».

21 - وبعد سماعه أمر الحكمين قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ا

«إننا لم نحكّم الرجال، إنما حكمنا القرآن، هذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان، وإنما ينطق عن الرجال.. فأين يتاه بكم؟ ومن أين أتيتم؟ استعدّوا للمسير إلى قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه، ومُورّعينَ بالجور (أغري بهم) لا يعدلون (لا يستبدلون) به، جفاة من الكتاب نُكِّد (حائرين) عن الطريق، ما أنتم بوثيقة (عروة) يُعلّقُ بها، ولا زوافر (أنصار) عزّ يعتصم إليها، لبس حشاش نار الحرب أنتم! أفّ لكم! لقد لقيت منكم برحا

ص: 166

(شدة)، يوماً أناديكم ويوماً أناجيكم، فلا أحرار صدق عند النداء، ولا إخوان ثقة عند النجاء (المعتبات)».

الزهديات

22 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في زهدياته :

«أما بعد، فإن الدنيا أديرت، وأذنت أعلمت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت (أقبلت بفتنة) باطلاع، ألا وإن اليوم المضممار (من الضمور) وغداً السباق، والسبقة الجنة (الغاية)، والغاية النار؛ أفلا تائب عن خطيئته قبل منيئته؟ ألا عامل لنفسه قبل يوم يؤسه؟

ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله، وضره أجله.

ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة.

ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها.

ألا وإنه من لا ينفق الحق يضره الباطل، ومن لا يستقيم به الهدى، يجريه الضلال إلى الردى.

ألا وإنكم أمرتم بالضعف ودلتم على الزاد، وإن أخوف ما أخاف عليكم، اثنتان : اتباع الهوى، وطول الأمل. فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تخرزون به أنفسكم غداً».

23 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

ص: 167

«فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة (قشرة) القرظ (ورق السلم)، وقراضة الحلم (مقراط)، واتعظوا بمن كان قبلكم، قبل أن يتعظ من بعدكم! وارضضوها ذميمة فإنها رفضت من كان أشفق با منكم».

24 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان؛ اتباع الهوى وطول الأمل؛ فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، ألا وإن الدنيا قد أقبلت حذاء (سريعة).

ألا وإن الآخرة قد أقبلت، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كل ولد سيلحق بأبيه يوم القيامة، وإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل».

25 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، في ذم الدنيا :

«والدنيا دار مُنِي (قَدَّر) لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء (الخروج)، وهي حلوة خضراء، وقد عجلت للطالب، والتبست (اختلطت) بقلب الناظر، فارتحلوا منها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد، ولا تسألوا فيها فوق الكفاف (مقدار القوت) ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ (ما يقتات به)».

26 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«ألا وإن الدنيا قد تصرّمت، وأذنت بانقضاء، وتنكر معروفها (خفي وجهها)، وأدبرت حذاءً، فهي تحفز (تدفع) بالفناء سكانها، وتحذو (تسوق)

ص: 168

بأموات جيرانها، وقد أمرَّ (صار مرّاً) فيها ما كان حلواً، وكدر (تعكّر) منها ما كان صفواً، فلم يبق منها إلا سحلة كسحلة الأدوية (كبقية الماء في الإناء)، وجرعة كجرعة المقلّة (حصاة لتقسيم الماء) ولو تمزّزها الصديان (مصها العطشان) لم يتقع (يرو)، فأزمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدنيا المقدور (المكتوب) على أهلها الزوال ولا يغلبنكم فيها الأمل، ولا يطولنَّ عليكم فيها الأمد.

فوالله لو حنتم حين الولّه العجال (النوق الفاقدة وُلدّها) ودعوتهم بهديل الحمام، وجارتهم جوار (أصوات) متبتلي (منقطعي) الرهبان، وخرجتم إلى الله من الأموال والأولاد، التماس القربة إليه في ارتفاع درجة عنده، أو غفران سيئة أحصتها كتبه، وحفظتها رسله، لكان قليلاً فيما أرجو لكم من ثوابه، وأخاف عليكم من عقابه.

وتلك لو انماثت (ذابت) انمياثاً (ذوباناً) وسالت عيونكم من رغبة إليه أو رهبة منه دماً، ثم عمّرتكم في الدنيا، ما الدنيا باقية، ما جزت أعمالكم عنكم - ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم - أنعمه عليكم العظام، وهده إياكم الإيمان».

27 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

«ألا وإن الدنيا لا يسلم منها إلا فيها، ولا يبقى بشيء كان لها، أبتلي الناس بها فتنة، فما أخذوه منها لها، أخرجوا منه حوسبوا عليه، وما أخذوه منها لغيرها، قدموا عليه وأقاموا فيه. فإنها عند ذوي العقول كفيء الظل، بينا تراه سابقاً (ممتداً) حتى تراه قلص (انقبض) وزائداً حتى نقص».

28 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

ص: 169

«أيها الناس، الزهادة قصر الأمل، والشكر عند النعم، والتورع (الكف) عند المحارم، فإن عَزَبَ (بَعُدَ) ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم، ولا تنسوا عند النعم شكركم، فقد أعذر (أنصف) الله إليكم بحجج مسفرة (كاشفة) ظاهرة، وكتب بارزة العذر واضحة».

29 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«أيها الناس، إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتضل (تترامى) فيه المنايا، مع كل جَرَعَة شَرَقٌ، وفي كل أكلة غصصٌ، لا تتالون منها نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يُعَمَّرَ معَمَّرٌ منكم يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله. ولا تجدد له زيادة في أكله إلا بنفاد ما قبلها من رزقه، ولا يحيا له أثر، إلا مات له أثر، ولا يتجدد له جديد إلا بعد أن يَخْلَقَ (يبلى) له جديد، ولا تقوم له نابتة إلا وسقط منه محصوده، وقد مضت أصول نحن فروعها، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله».

30 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«أيها الناس إنما الدنيا دار المجاز (ممر) والآخرة دار قرار، فخذوا من ممركم لمقرمكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختبرتم، ولغيرها خُلِقْتُمْ، إن المرء إذا هلك قال الناس : ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدّم ؟ لله آباؤكم! فقدّموا بعضاً يكن لكم قرصاً، ولا تخلفوا كلاً فيكون قرصاً عليكم».

ص: 170

31 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يصف العرب قبل البعثة :

«إن الله بعث محمداً (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شرِّ دين، وفي شرِّ دار، منيخون (مقيمون) بين حجارة حُشِنٍ (من الخشونة)، وحبَّاتٍ صُمِّمٍ تشربون الكدر وتأكلون الجشب (الطعام الغليظ)، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة (مشدودة)».

32 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في حكمة بعثة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) :

«إن الله بعث محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً، ولا يدعي فساق الناس حتى بوأهم محللتهم (منزلتهم)، وبلغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم (أحوالهم) واطمأنت صفاتهم».

33 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهو يقرر فضيلة الرسول الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) :

«بعثه والناس ضلال في حيرة، وحاطبون فتنة قد استهوتهم الأهواء، واستزلتهم الكبرياء، واستخفتهم (طيشتهم) الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال الأمر، وبلاءٍ من الجهل، فبالغ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا بالحكمة والموعظة الحسنة».

34 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في ذكر الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) :

«مستقرّة غير مستقرب، ومنبته أشرف منبت، في معادن الكرامة، ومجاهد (مباسط) السلامة، قد صُرفَتْ نحوهُ أفئدة الأبرار، وثُنيت إليه أزمة الأمصار، دفن الله به الضغائن، وأطفأ به الثوائر (العداوات)، أَلَّفَ به إخواناً، وقرَّبَ به أقراناً، أعزَّ به الذلة، وأدَلَّ به العزّة، كلامه بيان، وصمته لسان».

35 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يذكر فضل النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) :

«أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصاعد، إزاحةً للشبهات، واحتجاجاً بالبيّنات، وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً بالمثّلات (العقوبات)، والناس في فتنٍ انجذم (انقطع) فيها جبل الدين، وترعزت سوارى اليقين، واختلف النجر (الأصل)، وتشتت الأمر، وضاق المخرج، وعمي المصدر، فالهدى خامل، والعمى شامل، عُصِيَ الرحمن، ونُصِرَ الشيطان، وخُذِلَ الإيمان، فانهارت دعائمه، وتنكرت معالمه، ودرست (انطمست) سبله، وعفت شُرْكُهُ (طرقه)، أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله (مشاربه)، بهم سارت أعلامه، وقام لواؤه، في فتنٍ داستهم بأخفافها (جمع خف)، ووطئتهم بأظلافها، وقامت على سنابكها، فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون، في خير دار وشر جيران، نومهم سهود، وكحلهم دموع، بأرضٍ عالمُها مُلجَم، وجاهلها مُكْرَم».

التحذير من الفتن

36 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في الفتن :

«إنما بدءٌ وقوع الفتن أهواء تُتَّبَع، وأحكامٌ تُبَدَع، يخالفُ فيها كتاب الله،

ص: 172

ويتولى عليها رجالاً رجالاً، على غير دين الله، فلو أن الباطل خالص من مزاج الحق لم يَحْفُ على المرتادين (الطالبين) ولو أن الحق خالص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذُ من هذا ضغث (حشيش مختلط) ومن هذا ضغث، فيمزجان! فهنالكَ يستولي الشيطان على أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسني».

37 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في ذكر الملاحم :

«الحمد لله الأول قبل كل أول، والآخِر بعد كل آخِر، وبأوليته وجب أن لا أول له، وبآخريته وجب أن لا آخِر له، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادةً يوافق فيها السرُّ الإعلان، والقلب اللسان.

أيها الناس، لا يجرمنكم (يحرمنكم) شقاقي (مخالفتي) ولا يستهوينكم (يجعلنكم) عصياني، ولا تتراموا بالأبصار عندما تسمعون مني، فو الذي فلق الحبة (شقها) وبرأ (خلق) النسمة (الروح)، إن الذي أنبتكم به من النبي الأُمِّي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، ما كذبَ المبلِّغ، ولا جهل السامع، لكأنني أنظر إلى ضلَّيل (شديد الضلال) قد نعق بالشام، ونصب براياته في ضواحي كوفان (الكوفة) فإذا فغرت فاغرت (فمه)، واشتدت شكيمته، وثقلت في الأرض وطأته، عصت الفتنة أبناءها بأنيابها، وماجت الحرب بأمواجها، وبدا من الأيام كُلوْحُها (عبوسها) ومن الليالي كُدُوْحُها (خدوشها). فإذا أبع زرع، وقام على ينعه (نضجه)، وهدرت شقاشقه (هدير البعير) وبرقت بوارقه (سيوفه)، عقدت رايات الفتن المعضلة، وأقبل الليل المظلم، والبحر الملتطم، هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف (رعد) ويمر عليها من

ص: 173

عاصف (ريح)، وعن قليل تلتف القرون (القادة) ويُحصَدُ القائم، ويُحطَّم المحصود».

38 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهو يذكر يوم القيامة وأحوال الناس المقبلة :

«.. وذلك يوم يجمع الله الأولين والآخرين، لِنِقَاشِ الحِسابِ، وجزاء الأعمال، خضوعاً، قياماً، قد أجمعهم العَرَقُ (سال حتى أَلْفَمَ) (اللجام)، ورجفت بهم الأرض، فأحسنهم حالاً من وجد لقدم موضعاً، ولنفسه متسعاً».

39 - وعن الفتن قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«فتن كقطع الليل المظلم، لا تقوم لها قائمة، ولا تُرَدُّ لها راية، تأتيكم مزومة، مرحولة (من الزمام والرحال) يحفرها (يحشّها) قائدها يَمَهدها راكبها، أهلها قومٌ شديدٌ كلبهم (شهم)، قليل سلبهم، يجاهدكم في سبيل الله قوم أذلة عند المتكبرين، في الأرض مجهولون، وفي السماء معروفون، فويلٌ لك يا بصرة عند ذلك، من جيش من نَقَمَ الله لا رهج (غبار) له ولا حسّ (صوت)، ويبتلى أهلك بالموت الأحمر، والجوع الأغر (المحل والجذب)».

40 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في ذكر الملاحم :

«ألا بآبي وأمي، هم من عِدَّةِ أسمائهم في السماء معروفة، وفي الأرض مجهولة، ألا فتوقعوا ما يكون من إدار أموركم، وانقطاع وصلكم، واستعمال صغاركم، ذاك حيث تكون ضربة السيف على المؤمن أهون من الدرهم من حلّه.

ذاك حيث يكون المُعْطَى أعظم أجراً من المعطي.

ذاك حيث تسكرون من غير شراب، بل من النعمة والنعيم، وتحلفون من غير اضطرار وتعذبون من غير إخراج (تضييق).

ذاك إذا عصَّكم البلاء كما يعض القتب غارب البعير (ما بين عنقه وسنامه).

ما أطول هذا العناء، وأبعد هذا الرجاء!

أيها الناس، ألقوا هذه الأزمّة (جمع زمام) التي تحمل ظهورها الأثقال في أيديكم، ولا تصدّعوا (تفرقوا) على سلطانكم فتذمّوا غب فعالكم، ولا تقتحموا ما استقبلتم من فور (ارتقاع) نار الفتنة، وأميطوا عن سننها (تموا) وضلوا قصد السبيل لها : فقد - لعمرى - يهلك في لحبها المؤمن، ويسلم فيها غير المسلم.

إنما مثلي بينكم كمثل السراج في ظلمة، يستضيء به من ولجها، فاسمعوا أيها الناس، وعوا، واحضروا آذان قلوبكم تفهموا».

41 - وقام إليه رجل فقال :

- يا أمير المؤمنين : أخبرنا عن الفتنة، وهل سأل رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عنها؟

فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«إنه لما أنزل الله - سبحانه - قوله :

{ أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (العنكبوت / 2) }

علمت أن الفتنة لا تنزل بنا، ورسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بين أظهرنا،

ص: 175

فقلت :

- يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها؟

فقال :

- يا علي إن أمتي سيفتتون من بعدي.

فقلت :

- يا رسول الله أو ليس قد قلت يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين حِيْرْتُ (ابتعدت) عني الشهادة، فشَقَّ ذلك عليّ، فقلت لي : أبشر فإن الشهادة من ورائك؟

فقال لي : - إن ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذن؟

فقلت :

- يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشري والشكر.

قال :

- (يا علي، إن القوم سيفتتون بأموالهم، وَيُمنَّونَ بدينهم على ربهم، ويتمنون رحمة، ويأمنون سطوته، ويستحلون حرامه، بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية، فيستحلون الخمر بالبنين والسحت بالهدية، والربا بالبيع).

قلت :

ص: 176

- يا رسول الله، فبأي المنازل أنزلهم عند ذلك؟ أم منزلة ردة أم بمنزلة فتنة؟

فقال :

- بمنزلة فتنة».

منزلته (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عند الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) :

42 - قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«.. وإن عليّ من الله جُنَّةٌ (وقاية) حصينة، فإذا جاء يومي انفرجت عني وأسلمتني؛ فحينئذٍ لا يطيش السهم، ولا يبرأ الكلم والجرح».

43 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، لما عزموا على بيعة عثمان :

«لقد علمتم أنني أحق الناس بها من غيري، والله لأسلمنَّ ما سلّمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جورٌ إلا عليّ خاصة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفةٍ، وزيرجه (وشية)».

44 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يذكر فضله ويعظ الناس :

«تالله لقد علّمتُ تبليغ الرسالات، وإتمام العدات (المواعيد) وتمام الكلمات، وعندنا - أهل البيت - أبواب الحكّم وضياء الأمر ألا وإن شرائع الدين واحدة، وسيله قاصدة (مستقيمة)، من أخذ بها لحق وغنم، ومن وقف عنها ظل وندم، اعملوا ليوم تذخر له الذخائر، وتبلى فيه السرائر، ومن لا ينفعه حاضر لُبِّه فعازبه (غاربه) عنه أعجز، وغائبه أعوز، واتقوا ناراً حرها شديد، وقعرها بعيد، وحليتها حديد وشرابها صديد (قيح)، ألا وإن اللسان الصالح يجعله الله تعالى للمرء في فيه

ص: 177

خير له من المال يورثه من لا يحمده».

45 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في الموعظة وبيان قربه من رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ):

«أيها الناس غير المغفور عنهم، والتاركون المأخوذ منهم، مالي أراكم عن الله ذاهبين، وإلى غيره راغبين، كأنكم نَعَمُّ (الابل والغنم) أراح (ذهب) بها سائم (راع) إلى مرعى وبيي (موبوء) ومشربٍ دويي (وييل) وإنما هي كالمعلوفة للمُدى (السكاكين) لا تعرف ماذا يُراد بها! إذا أحسن إليها تحسب يومها دهرها، وشبعها أمرها.

والله لو شئت أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجة، وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

ألا وأني مفضيه (قائله) إلى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه، والذي بعثه بالحق، واصطفاه على الخلق، ما أنطق إلا صادقاً، وقد عهد إليّ بذلك، ويمهلك من يهلك، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمرُّ على رأسي إلا أفرغه في أذني وأفضى به إليّ.

أيها الناس، إني والله ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهي قبلكم عنها».

46 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ينبه فيه على فضيلته بقبول قوله وأمره ونهيه :

«... ولقد علم المستحفظون (المؤمنون) من أصحاب محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَ آلِهِ وَسَلَّمَ) أني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط. ولقد واسيته (أشركته) بنفسي في المواطن التي تنكص (تراجع) فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام، نجدة (شجاعة) أكرمني الله بها.

ولقد قضى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وإن رأسه لعلى صدري، ولقد سألت نفسه في كفي، فأمررتها على وجهي، ولقد وُلِّيتُ غسله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، والملائكة أعواني، فضجت الدار والأفنية (الباحات) ملاً يهبط وملاً يعرج، وما فارقت سمعي هنيمة (صوت خفي) منهم، يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه، فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً؟ فانفذوا على بصائرکم (ضياء العقل) ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم.

فوالذي لا إله إلا هو إنني لعلی جادة الحق، وإنهم لعلی مزلة الباطل، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم».

المناظرة والجدل

47 - وقال (عَلِيهِ السَّلَامُ)، وقد استبطن أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين :

«أما قولكم : أكل ذلك كراهية الموت؟ فوالله ما أبالي ؛ دخلت إلى الموت أو خرج الموت لي، وأما قولكم شكاً في لأهل الشام، فوالله ما دفعت للحرب يوماً وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشو (ببصر ضعيف) إلى ضوئي، وذلك أحب إلي من أن أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء (ترجع) بآثامها».

48 - وقال (عَلِيهِ السَّلَامُ) للخوارج وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون

«ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف، حيلةً وغيلةً، ومكرًا وخديعةً :

إخواننا وأهل دعوتنا، استقالوا واستراحوا إلى كتاب الله، سبحانه، فالرأي المقبول منهم، والتنفيس عنهم؟ فقلت لكم :

هذا أمرٌ ظاهره إيمان، وباطنه عدوان، وأوله رحمة، وآخره ندامة، فأقيموا على شأنكم، وألزموا طريقكم، وعضوا على الجهاد بنواجذكم، ولا تلتفتوا إلى ناعقٍ نعق، إن أجيب ضل، وإن ترك ذل، وقد كانت هذه الفعلة، وقد رأيتكم أعطيتموها، والله لئن أبيتها وما وجبت علي فريضتها، ولا حملني الله ذنبها، والله إن جئتها إني لمحِقُّ الذي يُتَّبَع؛ وإن الكتاب المعني، ما فارقتَه مذ صحبتَه، فلقد كنا مع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وإن القتل ليدور على الآباء والأبناء والإخوان والقربات، فما زداد على كل مصيبة وشدة إلا إيماناً، ومضياً على الحق، وتسليماً للأمر وصبراً على مضض الجراح.

ولكننا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام، على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل، فإذا طمعنا في خصلة (وسيلة) يلم الله بها شعثنا (أمرنا)، وتدانى (تتقارب) بها إلى البقية فيما بيننا، رغبنا فيها، وأمسكنا عن أسوارها».

49 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لما عوتب على التسوية في العطاء :

«أأمروني أن أطلب النصر بالجور في من وُلِّيت عليه! والله لأطور (لأُقار) به ما سمر سمير (مدى الدهر) وما أمَّ (قصد) في السماء نجماً! لو كان المال لي لسويِّتُ

بينكم، فكيف وإنما المال مال الله! ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس ويهينه عند الله، ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه ولا عند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم، وكان غيره ودهم. فإذا زلت به النعل يوماً فاحتاج إلى معونتهم فشرّ خليل وألم خدين (صديق)».

50 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لبعض أصحابه وقد سأله :

- كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم على حق؟

«يا أبا بني أسد، إنك لقلق البطين (بطان رحل البعير) وترسل (تطلق) في غير سدد (استقامة) ولك بعد ذمامة (حماية) الصهر وحق المسألة، وقد استعلمت فاعلم :

أما الاستبداد علينا بهذا المقام، ونحن الأعلون نسباً، والأشدون برسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) نوطاً (تعلقاً)، فإنها كانت أثره (الاستئثار بلا حق) شحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم لله، والمَعْوَدُ إليه القيامة

وَدَعَ عنك نهباً صيح في حجراته***ولكن حديثاً ما حديث الرواحل

وهلم (اذكر) الخطب في ابن أبي سفيان، فلقد أضحكني الدهر بعد بكائه؛ ولا- غرو والله، فيا له خطباً يستفرغ العجب، ويكثر الأود (الاعوجاج) حاول القوم إطفاء نور الله، عن مصباحه، وسدّ قوّاره (تقبه) من ينبوعه، وجدحوا (خلطوا) بيني وبينهم شرباً وبيئاً (موبوءاً) فإن ترتفع عنا وعنهم محن البلوى، أحملهم من الحق على محضه (خالصه)؛ وإن تكن الأخرى، فلا تذهب نفسك

ص: 181

عليهم حسرات، إن الله عليهم بما يصنعون».

الوصف العجيب

51 - وقال (عَلِيهِ السَّلَامُ)، عن الخالق جل شأنه :

«هو الله الحق المبين، أحق وأبين مما ترى العيون، لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبهاً، ولم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلاً، خلق الخلق على غير تمثيل، ولا مشورة مشير، ولا معونة معين، فتم خلقه بأمره، وأدعى لطاعته، فأجاب ولم يدافع، وانقاد ولم ينازع».

52 - وقال (عَلِيهِ السَّلَامُ)، في عجيب صنعة الكون :

«وكان من اقتدار جبروته، وبديع لطائف صنعته، أن جعل من ماء البحر الزاخر (الممتليء)، المتراكم المتقاصف (المتزاحم)، يساً جامداً، ثم فطر (خلق) منه أطباقاً (طبقات)، ففتقها سبع سماوات بعد ارتفاقها، فاستمسكت بأمره، وقامت على حده، وأرسي أرضاً يحملها الأخضر (البحر) المتضجر (معظم)، والقمقام (البحر) المسخر، قد ذل لأمره، وأذعن لهيبته، ووقف الجاري منه لخشيتيه، وجبل (خلق) جلاميدها (صخورها الصلبة) ونشوز (مرتفعات) متونها (الصلبة) وأطوادها فأرساها في مراسيها (مراسخها)، وألزمها قراراتها (مستقراتها) فمضت رؤوسها في الهواء ورست أصولها في الماء، فأنهد جبالها (رفعها) عن سهولها، وأساخ (أغاص) قواعدها في متون أقطارها ومواضع أنصابها (أعلامها) فأشهب خلالها (أعلاها) وأطال أنشازها (متونها المرتفعة) وجعلها للأرض عمادة وأرزها (تبتها) فيها أوتاداً، فسكنت عن حركتها من أن تميد بأهلها، أو تسيخ بحملها، أو تزول

ص: 182

عن مواضعها، فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهما، وأجمدها بعد رطوبة أكنافها، فجعلها لخلقه مهاداً، وبسطها لهم فراشاً! فوق بحرٍ لُجِّيٍّ (راكدا لا يجري)، وقائم لا يسري)».

الأحكام الشرعية

53 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في ذكر الحج :

(... وفرض عليكم حج بيته الحرام، الذي جعله قبلةً للأنام، يرددونه وروود الأفهام، ويألّهون إليه ولوه الحمام (لوذ الحمام) وجعله، سبحانه، علامة التواضعهم لعظمته، وإذعاناً لعزته، واختار من خلقه سُمَاعاً أجابوا إليه دعوته، وصدقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عنده موعد مغفرته، جعله، سبحانه وتعالى، للإسلام علماً، وللعائدين حرمة، فرض حقه، وأوجب حجه، وكتب عليكم وفادته (زيارته)، فقال سبحانه :

{ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } (آل عمران / 97)

54 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في وصف الأضحية :

(ومن تمام الأضحية استشراف أذنها (تفقدتها) وسلامة عينيها، فإذا سلمت الأذن والعين سلمت الأضحية وتمت، ولو كانت عضباء القرن (مكسورته) تجر

ص: 183

رجلها المنسك (المذبح)».

55 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، في أركان الدين :

«إن أفضل ما توصل به المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى، الإيمان به ورسوله، والجهاد في سبيله، فإنه ذروة الإسلام، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة! وإقام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من العقاب، وحج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر، ويرحضان (يغسلان) الذنب، وصلة الرحم فإنها مثرة في المال، ومنسأة (مزيد) في الأجل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة؛ وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء، وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع الهوان.

أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر.

وارغبوا في ما وعد المتقين فإن وعده أصدق الوعد.

واقصدوا بهدي نبيكم فإنه أفضل الهدى.

واستنوا بسنته فإنها أهدى السنن.

وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث.

وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب.

واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور.

وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص.

وإن العالم العامل بغير علم كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله بل

ص: 184

الحجة عليه أعظم، والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم (أشد لوماً)»

56 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يوصي أصحابه :

(.. تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا بها فإنها :

{ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (النساء/ 103) }

ألا تسمعون جواب أهل النار حين سُئلوا :

- ما سلككم في سقر؟

قالوا :

- { لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (المدثر/ 43) }.

وإنها لتحتُّ (تقشر) الذنوب حتث الورق وتطلقها طلاق الريق (حبل من عدة عري)، وشبهها رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بالحمة (عينٌ ماؤها حار)، تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات. فما عسى أن يبقى من الدرن الوسخ؟ وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع، ولا قرّة عينٍ من ولدٍ ولا مال، يقول الله سبحانه :

{ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (النور/ 37) }.

الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ)، وكان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) (نصباً) بعد التبشير له بالجنة، لقوله سبحانه :

ص: 185

{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (طه / 32) }.

فكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه. ثم إن الزكاة جُعِلَتْ مع الصلاة قربانا لأهل الإسلام، فمن أعطاها طيب النفس بها، فإنها تجعل له كفارة، ومن النار حجازة ووقاية، فلا يتبعنها أحد نفسه، ولا يكثرنَّ عليها لهفه، فإن من أعطاها غير طيب النفس بها، يرجو بها ما هو أفضل منها، فهو جاهل بالسنة، مغبون (منقوص) الأجر، ضال العمل، طويل الندم.

ثم أداء الأمانة، فقد خاب من ليس من أهلها، إنما عُرِضَتْ على السماوات المبنية، والأرضين المدحوة (المبسوطة) والجبال ذات الطول المنصوبة، فلا- أطول ولا أعرض، ولا أعلى ولا أعظم منها ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوة أو عز الامتنع ولكن أشفقن من العقوبة، وعقلن ما جهل مَنْ هو أضعف منهنَّ، وهو الإنسان.

{إِنَّه كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (الأحزاب / 72)}.

الوصايا والتعاليم

57 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، يوصي عبد الله بن العباس (رحمه الله) :

«أما بعد، فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً،

ص: 186

وليكن همك فيما بعد الموت».

58 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، من وصية للإمام الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) طويلة وذات مضامين تتوافر على مفاصل الحياة بتفاصيل دقيقة نجتزيء منها ما يأتي :

× أوصيك بتقوى الله - أي بني - ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله، أو أي سبب أوثق بينك وبين الله إن أنت أخذت به.

× أحبي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقوه باليقين، ونوره بالحكمة، ودلله بذكر الموت، وقرره بالفناء، وبصّره فجائع الدنيا، وحدّره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والأيام.

× فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك.

× ودع القول في ما لا تعرف، والخطاب في ما لم تكلف.

× وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالتك، فإن الكف عند حيرة الضلال خيرٌ من ركوب الأهوال.

× وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وباين من فعله بجهدك.

× وجاهد في الله حق جهاده، ولا تأخذك في الله لومة لائم.

× وخض الغمرات للحق حيث كان.

× وتفقّه في الدين.

× وعود نفسك الصبر على المكروه، ونعم الخلق التصبر في الحق.

ص: 187

× وألجئ نفسك في أمورك كلها إلى إلهك.

× وأكثر الاستخارة.

× وإن خير القول ما نفع، واعلم أنه لا خير في علمٍ لا ينفع، ولا يُنتفع بعلم لا يحق تعلمه.

× واعلم إن مالك الموت هو مالك الحياة، وإن الخالق هو المميت، وإن المغني هو المعيد.

× وإن المبتلي هو المعاني.

× واعلم - يا بني - إن أحداً لم ينبيء عن الله سبحانه كما أنبأ عنه الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

× فارضَ به رائداً، وإلى النجاة قائداً.

× واعلم يا بني، لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إلهٌ واحد، كما وصف نفسه، لا يضادّه في ملكه أحد، ولا يزول أبداً ولم يُزل.

× يا بني، اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك واکره له ما تكره لها.

× ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم.

× وأحسن كما تحب أن يُحسن إليك.

× واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك.

ص: 188

× وارضى من الناس بما ترضاه لهم من نفسك.

× ولا تقل ما لا تعلم وإن قلَّ ما تعلم.

× ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك.

× واعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب.

× واعلم أن أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة، ومشقة شديدة، وإنه لا غنى بك فيه عن حسن الارتياح، وقدر بلاغك من الزاد، مع خفة الظهر. فلا تحملنَّ على ظهرك فوق طاقتك فيكون من ثقل ذلك وبالاً عليك.

× واغتنم من استقرضك في حال غناك، ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك.

× واعلم يقيناً لأنك لن تبلغ أملك، ولن تعدو أجلك، وإنك في سبيل من كان قبلك فخفف في الطلب، وأجمل في المكتسب، فإنه رُبَّ طلبٍ قد جرى حَرَب (سلب المال) فليس كل طالب بمرزوق، ولا كل مجمل بمحروم.

× وأكرم نفسك عن كل دنية، وإن ساقتك إلى الرغائب، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً.

× ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً.

× وإياك أن توجف (تسرع) بك مطايا الطمع، فتوردك مناهل الهلكة.

× وتلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقتك.

× وحفظ ما في يديك أحب إليّ من طلب ما في يدي غيرك.

- × ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس.
- × والحرفة مع العفة خير من الغني مع الفجور.
- × والمرء أحفظ لسره.
- × ورُبَّ ساع فيما يضره.
- × من أكثر هجر (هذى) ومن تفكر أبصر.
- × قارن أهل الخير تكن منهم، وبإين أهل الشر تبين عنهم.
- × بسّ الطعام الحرام.
- × وظلم الضعيف أفحش الظلم.
- × إذا كان الرفيق خرقاً (عنفاً) كان الحرق رفقاً.
- × ربما كان الدواء داءً، والداء دواءً.
- × وربما غير الناصح، وغش المستنصح.
- × وإياك والاتكال على المعنى فإنها بضائع النوكى (الحمقى).
- × والعقل حفظ التجارب، وخير ما جربت ما وعظك.
- × بادر لفرصة قبل أن تكون غصّة.
- × وليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤوب.
- × ومن الفساد إضاعة الزاد، ومفسدة المعاد.
- × ولكل أمر عاقبة، سوف يأتيك ما قُدِّر لك.

× التاجر مخاطر، وربّ يسير أنمي من كثير.

× ساهل (من السهولة) الدهر ما ذل لك تعود (انقياده).

× ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه، وإياك أن تجمع بك مطية اللجاج (الخصومة).

× احمل نفسك من أخيك : عند صرمة (القطيعة) عن الصلة (ضد القطيعة).

وعند صدوده (هجره) على اللطف، والمقاربة.

وعند جموده (بخله) على البذل (العطاء).

وعند تباعده على الدنو.

وعند شدته على اللين.

وعند جرمه على العذر. حتى كأنك له عبد وكأنه ذو نعمة عليك،

وإياك أن تصنع ذلك في غير موضعه أو تفعله بغير أهله.

× لا تتخذنّ عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك وامحض أخاك النصيحة، حسنة كان أو قبيحة.

× وتجرع الغيظ (الغضب الشديد) فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألدّ مغبةً.

× ولين (من اللين) لمن غالظك (خاشنك) فإنه يوشك أن يلين لك، وخذ على عدوك بالفضل فإنه أحلى الظفرين.

- × وإن رمت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إن بدا له ذلك يوماً ما.
- × ومن ظنَّ بك خيراً فصدَّق ظنَّه.
- × ولا تضيعنَّ حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك باغٍ، من أضعت حقه.
- × ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك.
- × ولا ترغبن في من زهد عنك.
- × ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته.
- × ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان.
- × ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك، فإنه يسعى في مضرتة ونفعك.
- × وليس جزاء من سرك أن تسوءه.
- × إن الرزق رزقان، رزق تطلبه، ورزق يطلبك، فإن أنت لم تأته أتاك.
- × ما أقبح الخضوع عند الحاجة، والجفاء عند الغني.
- × إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك (منزلتك).
- × وإن كنت جازعاً على ما ثقَّلت (تملص) من يديك فاجزع على كل ما لم يصل إليك.
- × استدل على ما لم يكن بما قد كان، فإن الأمور أشباه.
- × ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة، إلا إذا بالغت في إيلامه، فإن العاقل يتعظ

بالآداب، والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب.

× اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين.

× من ترك القصد (الاعتدال) جار (مال).

× والصاحب مناسب (أي كالتقريب في النسب). *

× والصديق من صدق غيبه (ضد الحضور).

× والهوى (شهوة وقتية) شريك العمى.

× ورب بعيد أقرب من قريب، وقريب أبعد من بعيد

× والغريب من لم يكن له حبيب.

× من تعدَّ الحق ضاق مذهبه.

× ومن اقتصر على قدره كان أبقى له.

× وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله سبحانه.

× ومن لم يبالك (يهتم) فهو عدوك.

× قد يكون اليأس إدراكاً، إذا كان الطمع هلاكاً.

× ليس كل عورة تظهر، ولا كل فرصة تصاب، وربما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده.

× آخر الشر فإنك إذا شئت تعجلته.

× وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل.

× من أمن الزمان خانته، ومن عَظَّمه (هابه) هانته.

× ليس كل من رمي أصاب.

× إذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان.

× سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار

× إياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا، وإن حكيت ذلك عن غيرك.

× أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول.

59 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى بعض عمّاله :

«أما بعد : فإنك ممن أستظهر (أستعين) به على إقامة الدين، وأقمع (أكسر) به نخوة (كبر) الأثيم، وأسدّ به لهأة الثغر المَخُوف. فاستعن بالله على ما أهمّك، واخلط الشدة بضغث (خلط) من اللين، وارفق ما كان الرفق أرفق، واعتزم بالشدة حين لا تغني عنك إلا الشدة، واخفض للرعية جناحك، وابسط لهم وجهك، وألن لهم جانبك، وآس (شارك) بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية، حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك والسلام».

60 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، للحسن والحسين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) لمّا ضربه ابن ملجم :

«أوصيكما بتقوى الله، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما (طلبتكما)، ولا تأسفا

على شيء منها زوي (فَيُض) عنكما، وقولا بالحق، واعملا للأجر، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً.

أوصيكم - وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي - بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإني سمعت جد كما (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول :

(صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام).

الله الله في الأيتام، فلا تُغَبُّوا (تحرّموا) أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم.

والله الله في جيرانكم، فإنهم وصية نبيكم، ما زال يوصي بهم، حتى ظننا إنه سيورثهم.

والله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم.

والله الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم.

والله الله في بيت ربكم، لا تُخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروه.

والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم، وألسنتكم في سبيل الله.

وعليكم بالتواصل والتبادل (العطاء)، وإياكم والتدابير والتقاطع.

لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيؤلّي عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم.

61 - وما كتب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) للأشتر النخعي، لما ولّاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر. وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«.. اعلم يا مالك، إني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك، من عدل وجور، وإن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك، وشحّ (ابخل) بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت.»..

وبسبب طول "العهد" أجتزئ منه الفقرات الآتية :

× أشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتم أكلهم، فإنهم صنفان؛ أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.

× أعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه.

× لا تنصبنَّ نفسك لحرب الله (مخافة شريعته) فإنه لا يد لك بنقمته. ولا غنى بك عن عفوه ورحمته.

× لا تبجحنَّ (تفرحن) بعقوبة.

× إذا حدث لك ما أنت فيه من سلطانك أُبّهة (عظمة) أو مَخِيلَةً (خيلاء)، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك.

× إياك ومسامات (مبارات) الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإن الله

ص: 196

يذل كل جبار، ويهين كل مختال.

× أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى (ميل) من رعيتك.

× وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها الرضى الرعية.

× وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم (أبغضهم) عندك، أشدهم لمعائب الناس.

× أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنهم سبب كل وتر (عداوة).

× لا تعجلن إلى تصديق ساع فإن الساعي (النامم) غاشٌّ وإن تشبّه بالناصحين.

× إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرة.

× إن أحقَّ من حسن ظنك به كمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده (البلاء = الصنع).

× أكثر مدارس العلماء، ومناقشة الحكماء، في تثبيت مصلح عليه أمر بلادك.

× أعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض.

× إن أفضل قرة عين الولاة، استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية.

ص: 197

× إعرف لكل امريء منهم ما أبلى.

× أُررد إلى الله ورسوله ما يضلحك (يثقلك) من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور.

× اختر للحكم بين الناس أفضل رعيك في نفسك.

× أنظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محاباة (مياً) وأثرة.

× تققد أمر الخراج بما يصلح أهله.

× ليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج.

× من طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً.

× أنظر في حال كتابك فولّ على أمورك خيرهم.

× إن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل.

× الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم.

× اجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك.

× لا تطولن احتجابك عن رعيك.

× إياك والدماء وسفكها بغير حلّها.

× إياك والإعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء

62 - ومن وصية وصّى بها شريح بن هاني، لما جعله على مقدمته إلى الشام، قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ا

«اتق الله كل صباح ومساءً، وخفف على نفسك الدنيا الغرور، ولا- تأمنها على حال، واعلم إنك إن لم تردع نفسك عن كثير مما تحب، مخافة مكروهه، سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر، فكن لنفسك مانعاً رادعاً، ولنزوتك (وثبتك) عند الحفيظة (الغضب) واقعا (قاهراً) قامعاً».

63 - ومن كتاب له (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

«أما بعد، فإن الوالي إذا اختلف هواه، منعه ذلك كثيراً من العدل، فاجتنب ما تنكر أمثاله، وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك، راجياً ثوابه، ومتخوفاً عقابه.

واعلم أن الدنيا دار بلية يفرغ صاحبها فيها كل ساعة إلا كانت فرغته (خلوته) عليه حسرة يوم القيامة، وإنه لن يغنيك من الحق شيء أبداً، ومن الحق عليك حفظ نفسك، والاحتساب (المراقبة) على الرعية بجهدك، فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك والسلام».

64 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى سلمان الفارسي قبل أيام خلافته :

«أما بعد، فإن مثل الدنيا مثل الحية؛ لئن مسها، قاتل سَمَّها، فأعرض عما يعجبك فيها، لقلّة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها، لما أيقنت من فراقها، وتصرف حالها، وكن آنس ما تكون بها، أحذر ما تكون منها، فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور شخصته (أذهبته) عنه إلى محذور، وإلى إيناس أزالته إلى أيحاش والسلام».

65 - وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى عبد الله بن عباس :

«أما بعد : فإنك لست بسابق أجلك، ولا مرزوق ما ليس لك، واعلم بأن الدهر يومان، يوم لك ويوم عليك، وإن الدنيا دار دول، فما كان منها لك أتاك على ضعفك، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك».

66 - وعندما استخلف عبد الله بن عباس على البصرة قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«سع الناس بوجهك ومجلسك و حكمك، وإياك والغضب فإنه طيرة (خفة) من الشيطان. واعلم إن ما قرّبك من الله يباعدك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار».

67 - وعندما بعثه للاحتجاج على الخوارج أوصى (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

«لا- تخصمهم بالقرآن، فإن القرآن حمّال وجوه (ذو معانٍ كثيرة)، تقول ويقولون، ولكن حاجهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً (مهرباً)».

المنهج السياسي:

68 - ولما تكدر محمد بن أبي بكر لدى عزله عن مصر وإحلال الأشر محله كتب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إليه يقول :

«أما بعد، فقد بلغني موجدتك (كدرك) من تسريح (إرسال) الأشر إلى عمك (ولايتك)، وإني لم أفعل ذلك استبطاءً لك في الجهد ولا ازدياداً لك في الجهد، ولا نزعاً ما تحت يدك، من سلطانك، لوليتك ما هو أيسر عليك مؤونة، وأعجب إليك ولاية».

ص: 200

إن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر، كان رجلاً لنا ناصحاً، وعلى عدونا شديداً ناقماً (كارهاً)، فرحمه الله فقد استكمل أيامه، ولاقى جامه (موته)، ونحن عنه راضون، أولاه الله رضوانه، وضاعف الثواب له، فأصحر (ابرز) لعدوك، وامض على بصيرتك، وشمر لحرب من حاربك، وادع إلى سبيل ربك، وأكثر الاستعانة بالله يكفك ما أهّمك، ويعينك على ما ينزل بك، إن شاء الله».

69 - وكتب (عليه السلام) إلى أهل مصر، لما ولى عليهم الأشر يقول :

«من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في أرضه، وذُهب بحقه، فضرب الجور (الظلم) سرادقه (غطاءه) على البر (التقي) والفاجر. والمقيم والظاعن (المسافر)، فلا معروف يستراح إليه، ولا منكر يُتناهى عنه.

أما بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله، لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل (يجبن) عن الأعداء ساعات الروع (الخوف) أشد على الفجار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث، أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق، فإنه سيف من سيوف الله، لا كليل (لا يقطع) الظبّة (حدّ السيف) ولا ثابي الضريبة: إن تنفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنه لا يُقدم ولا يُحجم، ولا يؤخر ولا يُقدم إلا عن أمري، وقد آثرتكم (خصصتكم) به على نفسي لنصيحتته الكم، وشدّة كيمته (بأسه) على عدوكم».

70 - وكتب (عليه السلام) إلى سهل بن حنيف الأنصاري، عامله على المدينة عندما لحق قوم من أهلها بمعاوية فقال :

«أما بعد: فقد بلغني إن رجلاً من قبلك (عندك) يتسللون إلى معاوية فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم، ويذهب عنك من مددهم، فكفى لهم غيًّا (ضلالاً) ولك منهم شافياً، فرارهم من الهدى والحق، وانصياعهم (إسراعهم) إلى العمى والجهل، وإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها، ومهطعون (مسرعون) إليها، وقد عرفوا العدل ورأوه، وسمعوه ووعوه، وعلموا أن الناس عندنا بالحق أسوة، فهربوا إلى الأثرة (الأنانية) فبعداً لهم وسحقاً!!

إنهم والله لم يفروا من جور، ولم يلحقوا بعدل، وإنما لنطمع في هذا الأمر، أن يذلل لنا صعبه، ويسهل لنا حزنه (أخشنه)، إن شاء الله والسلام».

حِكْمٌ قِصَارٌ :

وفي ما يأتي جملٌ قصار اخترناها من كلامه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهي :

71 - إذا احتشم (أغضب) المؤمن أخاه فقد فارقه.

72 - ما أخذ على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعَلِّمُوا

73 - القناعة مال لا ينفد.

74 - منهومان لا يشبعان، طالب علم وطالب دنيا.

75 - الحلم والأناة توأمان ينتجهما علو الهمة.

76 - من اتجر بغير فقه ارتطم في الربا.

77 - من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها.

ص: 202

- 78 - من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته.
- 79 - ليس بلد بأحق منك من بلد، خير البلاد ما حملك
- 80 - قليل مدوم عليه خير من كثير محلول منه.
- 81 - الناس أعداء ما جهلوا.
- 82 - أولى الناس بالكرم من عُرفَتْ به الكرام.
- 83 - الحلم عِشيرة.
- 84 - كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك
- 85 - التُّقى رئيس الأخلاق.
- 86 - القلب مصحف البصر.
- 87 - من صارع الحق صرعه.
- 88 - ما استودع الله امرأ عقلاً إلا استنقذه به يوماً ما.
- 89 - من صَبَرَ صَبَرَ الأحرار وإلا سُلِّوْ والأغمار.
- 90 - ضع فخرك، واحطط كبرك، واذكر قبرك.
- 91 - مقارنة الناس في أخلاقهم آمن من غوائلهم.
- 92 - ازهد في الدنيا يبصرك الله عوراتها، ولا تغفل فلست بمغفول عنك.
- 93 - تكلموا تُعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه.
- 94 - ربّ قول أنفذ من صول.

- 95 - كل مقتصر عليه كاف.
- 96 - من طلب شيئاً ناله أو بعضه.
- 97 - البخل جامع لمساويء العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كل سوء.
- 98 - الرزق رزقان، رزق تطلبه، ورزق يطلبك.
- 99 - ربّ مستقبل يوماً ليس بمستدبره.
- 100 - الكلام في وثاقتك ما لم تتكلم به، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه.
- 101 - إن الحق ثقيل مريء، وإن الباطل خفيف وبيء
- 102 - العلم مقرون بالعمل، فمن عَلمَ عمل.
- 103 - من الخرق المعاجلة قبل الإمكان، والأناة بعد الفرصة.
- 104 - لا تسأل عما لا يكون، ففي الذي يقدم كان لك فيه مشكل.
- 105 - عند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق حلق البلاء، يكون الرخاء.
- 106 - أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله.
- 107 - ماء وجهك جامد يقطره السؤال، فانظر عند من تقطره.
- 108 - الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عيٌّ وحسد.
- 109 - أشد الذنوب ما استهان به صاحبه.
- 110 - لو رأى العبد الأجل ومصيره، لأبغض الأمل وغروره.

- 111 - لكل امرئ في حاله شريكان : الوارث والحوادث.
- 112 - المسؤول حر حتى يعدّ.
- 113 - الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر.
- 114 - العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغني.
- 115 - يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم.
- 116 - الغني الأكبر اليأس عما في أيدي الناس.
- 117 - ما ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الإثم به، والغالب بالشر مغلوب.
- 118 - الاستغناء عن العذر أعز من الصدق به.
- 119 - أقل ما يستلزم لكم لله أن تستعينوا بدمه على معاصيه.
- 120 - إن الله سبحانه جعل الطاعة غنيمة الأكياس عند تقريظ العجزة.
- 121 - السلطان وَزَعَة (حكم) الله في أرضه.
- 122 - المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه.
- 123 - اتقوا معاصي الله في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم.
- 124 - إن الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت.
- 125 - إن الجاهل المتعلم شبيه بالعالم، والعالم المتعسف شبيه بالجاهل
- 126 - إن للقلوب إقبالاً وإدباراً.
- 127 - أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار.

128 - الناس أبناء الدنيا لا يلام الرجل على حب أمه.

129 - إن المسكين رسول الله، فمن منعه فقد منع الله، ومن أعطاه فقد أعطى الله.

130 - كن بالأجل حارساً.

131 - ما أكثر العبر وأقل الاعتبار.

132 - من بالغ بالخصومة أثم، ومن بالغ فيها ظلم.

133 - رسولك ترجمان عقلك، وكتابك أبلغ ما ينطق عنك.

134 - لا تصحب المائق فإنه يزين لك فعله، ويود أن تكون مثله.

135 - ما قال الناس لشيء طوبى له، إلا قد خبأ له الدهر يوم سوء.

136 - إذا أرذل الله عبداً حضر عليه العلم.

137 - من تذكر بعد السفر استعد.

138 - بينكم وبين الرؤية حجاب من الغرة (الغفلة).

139 - قطع العلم عذر المتعلمين.

140 - كل معاجل يسأل الإنظار، وكل مؤجل يتعلل بالتسويق.

141 - لا تجعلوا علمكم جهلاً، و يقينكم شكاً.

142 - إذا علمتم فاعملوا، وإذا تيقنتم فاقدموا.

143 - إن الطمع مورد غير مُصدر، وضامن غير وفي.

- 144 - كلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده.
- 145 - الأمانى تعمى عين البصائر.
- 146 - الحظ يأتي من لا يأتيه.
- 147 - صاحب السلطان كراكب الأسد، يُغبط بموقعه وهو أعلم بموضعه.
- 148 - أحسنوا في عقب غيركم تُحفظوا في عقبكم.
- 149 - إن كلام الحكماء إذا كان صواباً كان دواءً وإذا كان خطأً كان داءاً.
- 150 - إن للخصومة فحماً.
- 151 - صحة الجسد من قلة الحسد.
- 152 - إذا أملتكم فتاجروا بالصدقة.
- 153 - الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله.
- 154 - مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة.
- 155 - فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك.
- 156 - اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته في نفسك.
- 157 - إذا ازدحم الجواب في الصواب.
- 158 - إذا كثرت المقدره قلَّت الشهوة.
- 159 - احذروا نفار النعم من كل شارذ بمردود.
- 160 - الكرم أعطف من الرجم (الغرابة).

- 161 - من ظن بك خيراً فصدق ظنه.
- 162 - أفضل الأعمال ما كرهت نفسك عليه.
- 163 - العاقل هو الذي يضع الشيء مواضعه.
- 164 - من أطاع التواني ضيَّع الحقوق، ومن أطاع الواشي ضيَّع الصديق
- 165 - الحجر الغصيب في الدار رهن على خراجها.
- 166 - إن قوما عبدوا الله شكري فتلك عبادة الأحرار.
- 167 - كفى بالقناعة مُلكاً.
- 168 - من يعطٍ باليد القصيرة (يد المرء) يُعطى باليد الطويلة (يد الله)
- 169 - من كساه الحياء ثوبه لم يرَ الناس عيبه.
- 170 - بكثرة الصمت تكون الهيبة.
- 171 - الطامع في وثاق الذل.
- 172 - الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان.
- 173 - من أصبح على الدنيا حزيناً أصبح لقضاء الله ساخطاً.
- 174 - عُجِبُ (إعجاب) المرء بنفسه أحد حساد عقله.
- 175 - اغظِ على القذى والأهم ترضى أبداً.
- 176 - من لان عوده كشفت أغصانه.
- 177 - الخلاف يهدم الرأي.

- 178 - من نال (أعطى) استطال (استعلى).
- 179 - في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال.
- 180 - جسد الصديق من سقم المودة.
- 181 - أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع.
- 182 - ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن.
- 183 - من أشرف أعمال الكريم غفلته عما يعلم
- 184 - إن لم تكن حليماً فَتَحَلَّمْ،
- 185 - من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر.
- 186 - الجود حارس الأعراض.
- 187 - الاستشارة عين الهداية.
- 188 - أشرف الغني ترك المني.
- 189 - من التوفيق حفظ التجربة.
- 190 - المودة قرابة مستفادة.
- 191 - إن مع كل إنسان ملكين يحفظانه.
- 192 - كل وعاء يضيق بما جعل فيه، إلا وعاء العلم فإنه يتسع به.
- 193 - أول عوض الحليم من حلمه إن الناس أنصاره على الجاهل
- 194 - لم يذهب من مالك ما وعظك.

- 195 - ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك.
- 196 - ثمرة التفريط الندامة، وثمره الحزم السلامة.
- 197 - لا خير في الصمت عن الحلم، كما لا خير في القول بالجهل.
- 198 - ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداهما ضلالة.
- 199 - ما شككتُ بالحق مذُ أريتته.
- 200 - للظالم البادي غداً بكفُّه عظة.
- 201 - من أبدى صفحته للحق هلك.
- 202 - من لم ينجح الصبر أهلكه الجزع.
- 203 - قد أضاء الصبح لذي عينين.
- 204 - ترك الذنب أهون من طلب المعونة.
- 205 - كم من أكلة منعت أكالات.
- 206 - الناس أعداء ما جهلوا.
- 207 - من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ.
- 208 - آلة الرياضة سعة الصدر.
- 209 - ازجر المسيء بثواب المحسن.
- 210 - احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك.
- 211 - اللجاجة (الخصومة) تسل (تذهب) الرأي.

212 - الطمع رق مؤبد.

213 - عاتب أخاك بالإحسان إليه، واردة شره بالإنعام عليه.

214 - من ملك استأثر.

215 - من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها

216 - من كتم سره كانت الحيرة بيده.

217 - الفقر الموت الأكبر.

218 - من قضى حق من لا يقضى حقه فقد عبده

219 - لا يعاب المرء بتأخير حقه، إنما يعاب من أخذ ما ليس له.

220 - الإعجاب يمنع الازدياد.

221 - لكل امرئ عاقبة حلوة أو مرّة.

222 - لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان.

223 - عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته.

224 - هلك امرؤ لا يعرف قدره.

225 - لا تكن من يرجو الآخرة بغير العمل، ويرجو التوبة بطول الأمل

226 - العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال.

227 - العلم حاكم والمال محكوم عليه.

228 - إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها.

- 229 - قلة العيال أحد اليسارين.
- 230 - التودد نصف العقل.
- 231 - الهم نصف الهرم.
- 232 - ينزل الصبر على قدر المصيبة.
- 233 - كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظمأ.
- 234 - سوسوا إيمانكم بالصدقة.
- 235 - حصنوا أموالكم بالزكاة.
- 236 - ادفعوا أمواج البلاء بالدعاء.
- 237 - استنزلوا الرزق بالصدقة.
- 238 - من أيقن بالخلف جاء بالعطية.
- 239 - تنزل المعونة على قدر المؤونة.
- 240 - ما عال (افتقر) من اقتصد.
- 241 - الدنيا دار ممر لا دار مقر.
- 242 - عظم الخالق عندك يصغر المخلوق لديك.
- 243 - إن الدنيا دار صدق لمن صدقها.
- 244 - غيرة المرأة كفر، وغيره الرجل إيمان.
- 245 - عجبت للبخيل يستعجل الفقر، الذي منه هرب، ويفقره الغني

الذي إياه طلب.

246 - وعجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة، ويكون غداً جيفة.

247 - من قصر بالعمل ابتلي بالهم.

248 - إضاعة الفرصة غصة.

249 - نوم على يقين خير من صلاة في شك.

250 - أعتقلوا الخبر إذا سمعتموه، عقل رعاية لا عقل رواية.

251 - قيمة كل امرئ ما يحسنه.

252 - من ترك قول (لا أدري) أصيبت مقاتله.

253 - عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار.

254 - إذا تم العقل نقص الكلام.

255 - من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره

256 - نَفْسُ المرءِ حُطَّاءُ إلى أجله.

257 - كل معدود منتقض وكل متوقع آت.

258 - الشفيح جناح الطالب.

259 - فقد الأحبة غربة.

260 - فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها

261 - لا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه

ص: 213

262 - إذا لم يكن ما تريد فلا تُبَلِّ (تم) ما كنت.

263 - عيبك مستور ما أسعدك جدك.

264 - أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة.

265 - الصبر صبران، صبر على ما تكره، وصبر عما تحب.

266 - الغني في الغربية وطن، والفقير في الوطن غربة.

267 - من حذرك كمن بشرك.

268 - اللسان سُبُعٌ إن خُلِّي عنه عَقَرَ (عض).

269 - سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك.

270 - قدر الرجل على قدر همته.

271 - احذروا صولة الكريم إذا جاع، واللثيم إذا شبع

272 - فاعل الخير خير منه، وفاعل الشر شر منه.

273 - ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.

274 - أفضل الزهد إخفاء الزهد.

275 - من جرى في عنان أمله عشر في أجله.

276 - البخل عار.

277 - صدر العاقل صندوق سرّه.

278 - خذ الحكمة أتى كانت.

279 - الحكمة ضالة المؤمن.

280 - إن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار

281 - خذ الحكمة ولو من أهل النفاق.

282 - كن في الفتنة كابن اللبون (ابن الناقة) لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب.

283 - أزرى (احتقر) بنفسه من استشعر الطمع.

284 - رضي بالذل من كشف عن ضُرِّه.

285 - هانت عليه نفسه من أَمَرَ عليها لسانه.

286 - الرجاء مع الجائي واليأس مع الماضي.

287 - الجبن منقصة.

288 - الفقر يخرس الفطنَ عن حجَّته.

289 - العجز آفة.

290 - الصبر شجاعة.

291 - نعم القرين.

292 - العلم وراثه كريمة.

293 - الفكر مرآة صافية.

294 - من رضيت عن نفسه كثر الساخط عليه.

ص: 215

295 - من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

296 - من كفّارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب

297 - إذا رأيت ربك، سبحانه، يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره

298- كن سمحاً ولا تكن مبذراً.

299 - كن مقدراً ولا تكن مقتراً.

300 - من أطال الأمل أساء العمل.

301 - لا قرية بالنوت بالفرائض.

302 - قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه.

303 - سيئة تسوؤك خير من حسنة تعجبك.

304 - الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحسين الأسرار

305 - أولى الناس بالعمو أقدرهم على العقوبة.

306 - المال مادة الشهوات.

307 - فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك.

308 - كل معدود منقوضٍ، وكل متوقع آت.

310 - إن الأمور إذا اشتبهت اعتُبر آخرها بأوها.

311 - رأي الشيخ أحب إليّ من جَلَبِهِ الغلام.

312 - من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.

313 - إن هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان، فابتغوا لها طرائق الحكم.

314 - طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة

315 - لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع.

316 - لا مال أعود من العقل.

317 - لا ربح كالثواب.

318 - لا حسب كالتواضع.

319 - لا قائد كالتوفيق.

320 - لا شرف كالعلم.

321 - لا مظاهرة أوثق من المشاورة.

322 - شتان ما بين عمليّن : عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤونته ويبقى أجره.

323 - من قصر بالعمل ابتلي بالهم.

324 - استقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك.

325 - إن لله ملكاً ينادي في كل يوم : لدوا للموت، واجمعوا للفناء، وابنوا للخراب.

326 - لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث : في نكبته، وغيبته، ووفاته.

ص: 217

327 - كلُّ شيءٍ محلولٌ إلا الحياة.

328 - التودّد نصف العقل.

329 - الهم نصف الهرم.

330 - هلك خُزّان الأموال وهم أحياء.

331 - هلك امرؤ لم يعرف قدره.

332 - لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل، ويُرجّي التوبة بطول الأمل.

333 - لكل مقبل إقبال، وما أدبر كأن لم يكن

334 - لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان.

335 - الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم.

336 - اعتصموا بالدم في أوتادها (رجالها).

337 - عاتب أخاك بالإحسان إليه، وارتد شرّة بالإنعام عليه.

338 - من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومنّ من أساء به الظن.

339 - قد أضاء الصبح لذي عينين.

340 - من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ.

341 - آلة الرياضة سعة الصدر.

342 - از جر المسيء بثواب المحسن.

343 - احصر الشر في صدر غيرك بقلعه من صدرك

- 344 - الطمع رفق مؤبّد.
- 345 - لم يذهب من مالك ما وعظك.
- 346 - الجود حارس الأعراض.
- 347 - العفو زكاة الظفر.
- 348 - السلو (النسيان) عوضك من غدر.
- 349 - الاستشارة عين الهداية.
- 350 - من لان عوده كثفت أغصانه.
- 351 - في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال.
- 352 - حسد الصديق من سقم المؤدّة.
- 353 - أكثر مصارع العقول تحت بروق المعامع.
- 354 - من أشرف أعمال الكريم غفلته عما يعلم.
- 355 - الدهر يجري بالباقيين كجريه بالماضين.
- 356 - الطامع في وثاق الذل.
- 357 - من أتى غنياً فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه
- 358 - العاقل هو الذي يضع الشيء مواضعه.
- 359 - من الفساد إضاعة الزاد، ومفسدة المعاد.
- 360 - إذا ازدحم الجواب خفي الصواب.

361 - إذا كثرت المقدره قلّت الشهوة.

362 - الكرم أعطف من الرحم.

363 - إن كلام الحكماء إذا كان صوابا كان دواءً، وإذا كان خطأً كان داءً.

364 - لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً.

365 - إذا علمتم فاعملوا، وإذا تيقنتم فأقدموا.

366 - قليل تدوم عليه أرجى من كثير مملول منه.

367 - من تذكّر بعد السفر استعد.

368 - قطع العلم عذر المتعلمين.

369 - إذا أزدل الله عبداً حظر عليه العلم.

370 - لو رأى العبد الأجل ومصيره، لأبغض الأمل وغروره.

ص: 220

القرآن الكريم

- 1 - إحياء علوم الدين / الغزالي.
- 2 - أخبار أبي تمام / الصولي.
- 3 - أخبار شعراء الشيعة / أبو عبد الله الخراساني.
- 4 - الأخبار الطوال / الدينوري.
- 5 - الأدب الجاهلي طه حسين.
- 6 - أدب الكاتب / ابن قتيبة.
- 7 - الإرشاد / المفيد.
- 8 - الاستيعاب / ابن عبد البر.
- 9 - الأسلوب / أحمد الشايب.
- 10 - الأشباه والنظائر / السيوطي.

- 11 - الاشتقاق / ابن دريد.
- 12 - الإصابة في تمييز الصحابة / ابن حجر العسقلاني.
- 13 - إصلاح المنطق / ابن السكيت.
- 14 - إعجاز القرآن / الباقلائي.
- 15 - إكمال كنز العمال / الحنفي.
- 16 - الأغاني / أبو الفرج الأصفهاني.
- 17 - أمالي القالي / أبو علي.
- 18 - أمالي المرتضى / المرتضى.
- 19 - أمالي اليزيدي / عبد الله بن عباس اليزيدي.
- 20 - الإمام علي بن أبي طالب / عبد الفتاح عبد المقصود.
- 21 - الإمامة والسياسة / ابن قتيبة.
- 22 - أنباء الرواة على أنباء النحاة / علي بن يوسف القفطي.
- 23 - أنساب الأشراف / البلاذري.
- 24 - الإنسكلوبيديا الإسلامية.
- 25 - أيام العرب في الجاهلية.
- ب -
- 26 - البدء والتاريخ / مظهر بن طاهر المقدسي.

27 - بلاغة الإمام علي / أحمد محمد الحوفي.

28 - البيان والتبيين / الجاحظ.

- ت -

29 - تاريخ ابن خلدون / ابن خلدون.

30 - ابن الوردي / عمر بن المظفر بن الوردي.

31 - آداب اللغة العربية / جرجي زيدان.

32 - الأدب العربي في العصور الإسلامية / بيومي السباعي.

33 - تاريخ الإسلام / حسن إبراهيم حسن.

34 - تاريخ الخلفاء / السيوطي.

35 - تاريخ الخميس / حسين بن محمد حسن الديار بكري.

36 - تاريخ الطبري / محمد بن جرير الطبري.

37 - تاريخ يعقوبي / أحمد بن إسحاق يعقوبي.

38 - تحف العقول / ابن شعبة.

39 - تذكرة الحفاظ / الذهبي.

40 - ترجمة علي بن أبي طالب / أحمد زكي صفوة.

41 - تصنيف نهج البلاغة / لبيب وجيه بيضوني.

42 - تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي / أنيس المقدسي.

ص: 223

43 - تقريب التهذيب / ابن حجر العسقلاني.

44 - التوحيد / الصدوق.

45 - تهذيب التهذيب / ابن حجر العسقلاني.

-ج-

46 - جمهرة أنساب العرب.

-ح-

47 - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / أبو نعيم الأصفهاني.

48 - خزينة الأدب / البغدادي.

49 - خصائص أمير المؤمنين / الشريف الرضي.

50 - === / النسائي.

51 - خصائص العشرة الكرام البررة / الزمخشري.

52 - الخطابة في صدر الإسلام / محمد ظاهر درويش.

- د -

53 - درة الغواص في أوهام الخواص / أبو محمد الحريري.

54 - دستور مظالم الحكمة ومأثور مكارم الشيم / القضاعي.

ص: 224

55 - دعائم الإسلام / أبو حنيفة النعمان.

56 - دلالة الألفاظ / إبراهيم أنيس.

57 - ديوان ابن الفارض.

58 - = ابن الرقيات.

59 - = أبي تمام.

60 - = أبي طالب.

61 - = أبي العتاهية.

62 - = أبي نواس.

63 - = الأخطل.

64 - = الأعشى.

65 - = الأعشىين.

66 - = الأفوه الأودي.

67 - امرئ القيس.

68 - = أوس بن حجر.

69 - ديوان البحري.

70 - = بشار بن برد.

71 - = بشر بن خازم.

ص: 225

72 - = جرير.

73 - = حاتم الطائي.

74 - = حسان بن ثابت الأنصاري.

75 - = الحطيأة.

76 - ديوان الحماسة للتبريزي.

77 - ديوان الحماسة / للمرزوقي.

78 - = حميد بن ثور الهلالي.

79 - = الحميري،

80 - = الخنساء.

81 - = دعبل الخزاعي.

82 - = زهير بن أبي سلمى.

83 - = سحيم بن عبد الحسحاس.

84 - = سقط الزند / لأبي العلاء المعري.

85 - = الشريف الرضي.

86 - = طرفة بن العبد.

87 - = الطرّماح.

88 - = العباس بن الأحنف.

ص: 226

- 89 - = عبيد ابن الأبرص.
- 90 =- العرجي.
- 91 =-عروة بن الورد.
- 92 = - علي بن الجهم.
- 93 =-عمر بن أبي ربيعة.
- 94 =-عنترة بن شداد.
- 95 =- الفرزدق.
- 96 = - قيس بن الحطيم.
- 97 =- كعب بن زهير.
- 98 - ديوان لبيد.
- 99 = - مجنون ليلى.
- 100 = - محمد بن هاني.
- 101 =- مسلم بن الوليد.
- 102 =- معن بن زائدة.
- 103 = - المفضليات.
- 104 =- النابغة الذبياني.
- 105 = = - الجعدي.

106 = الهدليين.

-ر-

107 - الرسالة القشيرية / القشيري.

109 - رغبة الآمل / المرصفي.

110 - الرياض النضرة.

-ز-

111 - زهر الآداب.

-س-

112 - سرح العيون.

113 - سلوان المطاع.

114 - سيرة ابن هشام.

-ش-

115 - شذرات الذهب / ابن العماد.

116 - شرح مختار بشار.

117 = المعلقات السبع / التبريزي.

118 = نهج البلاغة / ابن أبي الحديد.

ص: 228

119 - === / ميشم البحراني.

120 - شرح الهاشميات محمد محمد الرافي.

121 - شعراء النصرانية.

122 - الشعر والشعراء.

123 - شواهد المغني للسيوطي.

- ص -

124 - الصحاح الجوهري.

125 - صحيح البخاري.

126 - = مسلم.

127 - صفة الصفوة / ابن الجوزي.

128 - الصناعتين / أبو هلال العسكري.

129 - الصواعق المحرقة / ابن حجر.

130 - صور البديع ا علي الجندي.

- ط -

131 - طبقات الشعراء / ابن سلام الجمحي.

132 - الطبقات الكبرى / ابن سعد.

ص: 229

-ع-

133 - عبقرية الإمام علي / عباس محمود العقاد.

134 - العقد الفريد / ابن عبد ربه.

135 - علي بن أبي طالب سلطة الحق / عزيز السيد جاسم.

136 - علي صوت العدالة الإنسانية / جورج جرداغ.

137 - علي نبراس ومتراس / سليمان كثناني.

138 - العمدة / ابن رشق.

139 - عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب / ابن قتيبة.

140 - عيون الأخبار / ابن قتيبة.

-غ-

141 - غرر الحكمة ودُرر الكلمة / الآمدي.

-ك-

142 - الكامل في الأدب / المبرد.

143 - الكامل في التاريخ / ابن الأثير.

144 - كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين / الشريف الرضي.

145 - كفاية الطالب.

146 كتابات الجرجاني.

ص: 230

147 - الكتابة والتعريض / الثعالبي

- ل -

148 - اللاكئ - البكري.

149 - لسان العرب / ابن منظور.

150 - لسان الميزان / العسقلاني.

- م -

151 - ما هو نهج البلاغة / هبة الله الشهرستاني الحسيني.

152 - مرآة الجنان / اليافعي.

153 - المثل السائر / ابن الأثير

154 - المجازات النبوية / الشريف الرضي.

155 - مجالس ثعلب.

156 - المحاسن والآداب / أبو جعفر البرقي.

157 - المحاسن والمساوي / إبراهيم البيهقي.

158 - محاضرات الأدباء.

160 - مختصر تاريخ البشر.

161 - مستدرک نهج البلاغة / هادي كاشف الغطاء.

162 - مروج الذهب / المسعودي.

ص: 231

- 163 - المستطرف في كل فن مستظرف / الإشبهي.
- 164 - المسند الإمام أحمد.
- 165 - مصادر نهج البلاغة / عبد الله نعمة.
- 166 - المصون في الأدب / أبو أحمد العسكري.
- 167 - معاهد التنصيص / الشريف الرضي.
- 168 - معجم الأدياء / الحموي.
- 169 - معجم البلدان / الحموي.
- 170 - / مغني اللبيب / البغدادي.
- 171 - / مقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب / نجم الدين العسكري.
- 172 - مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب / صالح القزويني.
- 173 - المقتضب / المبرد.
- 174 - المنتقى من تاريخ بغداد / الحداد الحنفي.
- 175 - المؤلف والمختلف / الآمدي.
- 176 - مودّة القربي / الهمداني.
- 177 - ميزان الاعتدال في نقد الرجال / محمد الذهبي.
- 178 - المئة المختارة من كلامه (ر) / الجاحظ.

-ن-

179 - النثر الفني في القرن الرابع / زكي مبارك.

180 - النثر الفني وأثر الجاحظ فيه / عبد الحكيم بليغ.

181 - نقض العثمانية / أبو جعفر الإسكافي.

182 - النهاية / ابن كثير

183 - نهج البلاغة / د. صبحي الصالح.

184 - == / عمر فروخ.

185 - == / محمد عاشور وإبراهيم البنا

186 - == / محمد عبدة.

187 - == / محمد محيي الدين عبد الحميد.

- ف -

188 - فجر الإسلام / أحمد أمين.

189 - الفصول المهمة / ابن الصباغ المالكي.

190 - الفن ومذاهبه في النثر العربي / شوقي ضيف.

-و-

191 - وفيات الأعيان / ابن خلّكان.

192 - وقعة صفين / نصر بن مزاحم.

ص: 233

- ي -

193 - ينابيع المودّة / القندوزي الحنفي.

ص: 234

المحتويات

الضوء الأول: التمثيل...5

الضوء الثاني: التراث الشعبي...33

صيد الحيوان...35

التطير والفأل...37

الضوء الثالث: متفرقات...81

الرياء...83

صلة الرحم...84

الاعتذار...85

المغالاة...86

بين معاوية وعمرو بن العاص...89

بين مصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان...90

إفشاء السر...91

الخمير، وعمرو بن الخطاب...92

العقوبة...106

ص: 235

الوصف...107

القضاة...107

الصدقات...110

الفلسفة...111

الاستجارة...112

استفراء المُستقبل...123

الشيب والخضاب...125

الأجوبة المسكتة...130

المسك...132

عبد الله بن الزبير...136

ذم الحرب...151

الضوء الرابع: المختار من أقوال الإمام علي (عليه السلام)...153

النصح والإرشاد...156

النقد والتعريض...159

العتاب والتفريع...163

الزهديات...167

البعثة النبوية...171

التحذير من الفتن...172

الوصف العجيب...182

الأحكام الشرعية...183

الوصايا والتعاليم...186

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

